١

سلسلة الرسائل الجامعية (١٢)

الإمام القرافي

وجهوده في الرد على اليهود والنصارى

إعداد الباحث
بسيوني عبد السلام عبد الخالق
المدرس المساعد بجامعة الأزهر



دار المحدثين
للبحث العلمي والترجمة والنشر

سلسلة الرسائل الجامعية (١٢)

الإمام القرافي وجهوده في الدفاع عن العقيدة الإسلامية



الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

رقم الإيداع

٢٠٠٨/٢١٤٣٨

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عبد الخالق، مسعد عبد السلام

الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى/ مسعد عبد السلام عبد الخالق– القاهرة: دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر، ٢٠٠٨

٩٠٩ صفحة؛ ٢٤سم

تدمك ٦ ١١ ٦٣١٧ ٩٩٧ ٩٧٨

١- الإسلام – دفع مطاعن

٢- القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي، ١٢٢٨-١٢٨٥

٣- الديانات المقارنة

٢١٦



الإدارة والمركز الرئيسي: ٧٦أ ش جسر السويس – ميدان الألف مسكن – القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٤٩٣١٠٧٤(٠٠٢٠٢)

رئيس مجلس الإدارة: ٠١٢/٧٧٥٥٩٥١(٠٠٢)

الإدارة والمبيعات: ٠١٢/٥٠٢٧٢١٢(٠٠٢) ٠١٢/٧٠٤٢٥٧٠(٠٠٢)

فرع الأزهر: ٣ش الدرديري من ش البيطار درب الأتراك – خلف الجامع الأزهر

البريد الالكتروني: muhaddethin@yahoo.com

«الإمام القرافي وجهوده
في
الرد على اليهود والنصارى»

تأليف
مسعد عبد السلام عبد الخالق
المدرس المساعد بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية بجامعة الأزهر

المجلد الأول

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أصل هذا الكتاب رسالة علمية

من

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنين - القاهرة

جامعة الأزهر

ونال بها الباحث درجة التخصص (الماجستير)

بتقدير ممتاز

اعتراف بالجميل

الإحسان الواصل للإنسان من غيره، يتطلب اعترافًا وشكرًا، إقرارًا بالفضل، وموافاة للحق، وعلى هذا الأساس.

فإني أقدم من الاعتراف أعلاه، ومن الشكر أوجبه إلى أستاذي الجليل:

الأستاذ الدكتور/ فتحي أحمد عبد الرازق
أستاذ العقيدة والفلسفة بالكلية

على ما قدمه لي من نصح وإرشاد، وتوجيه، وتسديد خلال إشرافه على هذا البحث.

فالله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يمتعه بالصحة والعافية، وأن يبارك له في علمه وولده وماله؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أتقدم بخالص الشكر، ووافر الاعتراف والتقدير إلى أستاذي الجليل:

الأستاذ الدكتور/ صلاح محمود العادلي
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بالكلية

على ما قدمه لي من يد العون والمساعدة والتوجيه والنصح خلال إشرافه على هذا البحث.

فالله تعالى أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يبارك له في صحته وولده وماله وأن ينفعه بعلمه في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نعمه ويكافي مزيد إحسانه؛ فهو المتفضل أولاً، وهو المتفضل آخرًا، فـ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠]، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه التابعين بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

جاء رسول الله ﷺ بالرسالة الخاتمة إلى الناس أجمعين ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وخص أهل الكتاب بدعوة خاصة إلى الإسلام، رغم أنهم داخلون في عموم الآية ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ... ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وذلك لئلا يظنوا أنه ﷺ ليس مرسلا إليهم.

فكان المتوقع من أهل الكتاب أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وسلم جميعهم، ولاسيما أن صفته معلومة عندهم من كتبهم، بل كان اليهود يترقبون ظهوره ويتوعدون غيرهم -الأوس والخزرج- بالقتل، إذا بعث النبي الخاتم وآمن به يهود، فإنهم سيقتلونهم فيه قتل عاد وثمود، ولكن الكثيرين من أهل الكتاب لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ولا برسالته لماذا؟!

١- أن محمد ﷺ جاء بدين يدعوا الناس إلى الالتفاف تحت رايته، وهذا لا يرضي أهل الكتاب؛ لأنهم كانوا يريدونها يهودية خالصة، أو نصرانية خالصة ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ ... ﴾ [البقرة: ١١٣].

٢- لم يكن يتوقع اليهود أن يكون النبي الخاتم من العرب الذين كانوا في نظر

اليهود من الدرجة الثانية ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ...﴾ [آل عمران: ٧٥] فهم كانوا ينتظرون نبيا يكون من الجنس السامي (جنس اليهود).

٣- جاء القرآن الكريم بمحاربة التثليث وتكفير معتقدة، ونفى صلب المسيح عليه السلام، ونفي كونه ابنا لله تعالى، وقرر أنه لا يزيد عن كونه عبدا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، غير أنه خص بالرسالة من الله تعالى.

هذه الأسباب وغيرها جمعت بين اليهود والنصارى في الكيد للإسلام، والوقوف في وجهه مهما كلفهم ذلك، وكان كيد اليهود للإسلام أسبق من كيد النصارى؛ لقربهم من المسلمين وهم في مكة، ومجاورتهم لهم في المدينة النبوية المشرفة، ثم انضم كيد النصارى إلى كيد اليهود.

فاليهود -والمسلمون في مكة- كانوا يمدون المشركين بأسئلة يسألونها رسول الله ﷺ قاصدين من تلك الأسئلة تعجيز رسول الله ﷺ والنيل من دعوته[١]، ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقف اليهود في وجه دعوته بالقوة وإحداث القلاقل بين المسلمين من ناحية، ومن ناحية أخرى كانوا يهزءون بالمسلمين، ويثيرون الشبه التي يقصدون بها تعجيز المسلمين، وإضعاف صلتهم بدينهم.

---

(١) من أمثلة ذلك: أنهم قالوا للمشركين: سلوا محمدًا ﷺ عن فتية ذهبوا في الزمن الأول، وسلوه عن رجل طوق البلاد شرقا وغربا، وسلوه عن الروح، فإن أجابكم فهو نبي، وإلا فالرجل متقول.

والنصارى جادلوا رسول الله ﷺ، ووقفوا في وجه دعوته بالقوة والعناد[1]، واستمر الحال بين المسلمين وأهل الكتاب في عداء دائم، أهل الكتاب يبغضون المسلمين عن دينهم، والمسلمون يردون كيدهم في نحورهم، ولكن العداء بين المسلمين وأهل الكتاب في عصر الإسلام الأول كانت صورته العسكرية هي السمة الغالبة، وكان العداء الفكري في هذه الآونة موجودًا لكن لم يكن بصورة العداء الحربي، حتى إذا فتح المسلمون بلاد فارس والروم وغيرها من البلاد التي كان بها عدد كبير من أهل الكتاب الذين كان عندهم علوم الفرس واليونان، وجدوا أن الأمر مختلف فهم الآن في مواجهة قوم تسلحوا بالمنطق وغيره من العلوم العقلية، ولذلك بعد اتساع رقعة الإسلام واتصاله بهؤلاء الأقوام زاد عداء أهل الكتاب -أصحاب العلوم العقلية- للإسلام والمسلمين، فأثاروا الشبه، والطعون القوية ضد الإسلام فكان على المسلمين أن يتصدوا لهذه الطعون بالردود القوية التي تبطل تلك الشبه، وترد الكيد في النحر، وحتّم الحال على علماء المسلمين أن تكون ردودهم مقننة ومنظمة.

فقام المسلمون بهذه المهمة خير قيام حيث حفظ لنا التاريخ أسماء علماء كثيرين تصدوا لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى، ومن هؤلاء العلماء:

١- أبو الربيع محمد بن الليث كاتب هارون الرشيد المتوفى سنة ١٩٣هـ، أمره هارون الرشيد بكتابة رسالة إلى قسطنطين ملك الروم يبين فيها محاسن دين الإسلام، وما عليه النصارى من مخالفة للحق، وقد فعل.

٢- أبو الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٢٦هـ، له كتاب في الرد على اليهود، وكتاب

---

(١) كما كان من نصارى نجران في جدالهم مع رسول الله ﷺ وما جرت من حروب بين النبي ﷺ والنصارى، مثل ما حدث في غزوة مؤتة وغيرها من الحروب بين النصارى والمسلمين.

في الرد على المجوس، وكتاب في الرد على الملحدين، قال الذهبي عن ثلاثتها: (ولكنها لا توجد)[1].

٣- علي بن ربن الطبري -كان نصرانيًا فأسلم- توفي سنة ٢٤٧هـ له: الرد على أصناف النصارى، وكتابه الآخر الدين والدولة في إثبات نبوة النبي ﷺ.

٤- الجاحظ عمرو بن بحر الكناني المتوفى سنة ٢٥٥هـ ألفَ كتابًا في الرد على اليهود، وآخر في الرد على النصارى[2].

٥- أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن جبير البصري المعتزلي المتوفى سنة ٣٨٠هـ له كتاب في الرد على اليهود[3].

٦- ابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦هـ، له: الفصل في الملل والأهواء والنحل، وله الرد على ابن النغريلة اليهودي.

٧- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ له: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل.

٨- يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي -كان نصرانيًا فأسلم- توفي سنة ٤٩٣هـ له الرد على النصارى[4].

٩- حجة الإسلام أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، له: الرد الجميل

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٧٤)، ت/ شعيب الأرناؤوط، حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ التاسعة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٠).

(٣) معجم المؤلفين لرضا كحالة (١٠/ ١٣٦)، مكتبة المتنبي، بيروت، بدون تاريخ.

(٤) الأعلام لخير الدين الزركلي (٨/ ١٦١)، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ الخامسة، ١٩٨٠م.

لألوهية عيسى بصريح الإنجيل.

١٠- السمؤال بن يحيى المغربي: الذي كان يهوديًا فأسلم توفي ٥٧٠هـ، له: بذل المجهود في إفحام اليهود.

١١- المهتدي نصر بن يحيى -الذي كان نصرانيًا فأسلم- المتوفى سنة ٥٨١هـ، له النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، وغيرهم كثير.

ومن بين هؤلاء العلماء الذين شاركوا في الدفاع عن هذا الدين ضد أعدائه من اليهود والنصارى الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، فقد كانت شوكة النصارى قوية في أيامه، فثاروا على العالم الإسلامي، وكتبوا الطعون ضد الإسلام، فكان الإمام القرافي من الذين تصدو لهؤلاء الطاعنين، بالمناظرة، والكتابة.

وقد كتب في الرد على اليهود والنصارى: الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة لليهود والنصارى، وكتب في الرد على النصارى أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية إلى غير ذلك مما هو منثور في كتبه الأخرى، والتي ستعرض لها صفحات هذه الرسالة المتواضعة.

وقد منَّ الله عليّ أن يكون موضوع الماجستير بعنوان:

«الإمام القرافي وجهوده في الدفاع عن العقيدة الإسلامية»

تناولت فيه جهود الإمام القرافي في الرد على أهل الكتاب، وكان سبب اختياري لهذا الموضوع بعد فضل الله وتوفيقه، ما يلي:

- أسباب اختيار الموضوع:

١- توجيه أساتذتي الكرام في شعبة العقيدة والفلسفة بالكلية.

٢- أن الإمام القرافي -رحمه الله تعالى- عرف عنه واشتهر أنه أصولي فقيه، حتى غلب -وحق له ذلك- على جانب كتابته في العقيدة الإسلامية تقريرًا ودفاعًا، فأردت بيان أن الشيخ وإن كان ضليعًا في الفقه وأصوله، فقد كان كذلك في العقيدة، والدفاع عنها.

٣- أن صلب البحث إنما هو في الرد على اليهود والنصارى، وهؤلاء مطاعنهم وسمومهم ثابتة في كل وقت وحين، غير أنها تلبس ثياب العصر الذي توجد فيه، فأردت أن أعرض لجهد واحد من علمائنا الأفاضل في الرد على شبه القوم القديمة، الحديثة في آن واحد، حتى يستفاد من تلك الجهود في الذود عن العقيدة الإسلامية في هذه الأيام.

٤- رغبة في معرفة ما عند أهل الكتاب من فكر، وعقائد، وشعائر، وغير ذلك، لا لذات المعرفة ولكن إذا عرف المسلم ما عند غيره، وقارنه بما عنده استبان له الحق واتضح، وزاد الإيمان في القلب ورسخ.

٥- الرغبة والأمل بمعالجة هذا الموضوع أن أكون ساهمت بشيء ما في الذود عن حياض هذا الدين القيم، وإقامة الحجة على المخالفين.

- **خطة البحث:**

وقد جاءت خطة البحث بحمد الله تعالى في: مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة: فذكرت فيها بعد الحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ سبب إختياري للموضوع وخطة البحث ومنهجي فيه.

وأما الفصل الأول: ففي التعريف بالإمام القرافي.

ففيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: عصر الإمام القرافي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية في عصر القرافي.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية في عصر القرافي.

المطلب الثالث: الحياة العلمية في عصر القرافي.

المطلب الرابع: الحياة الدينية في عصر القرافي.

المبحث الثاني: حياة الإمام القرافي ومكانته العلمية ووفاته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه وشهرته، ونسبته ومولده ونشأته.

المطلب الثاني: شيوخه - تلاميذه - مهامه العلمية.

المطلب الثالث: مؤلفاته، ثناء العلماء عليه، اهتمامه بالدفاع عن العقيدة، وفاته.

وأما الفصل الثاني: ففي عقيدة الإمام القرافي وآراؤه الكلامية، وفيه مبحثان

المبحث الأول: عقيدة الإمام القرافي.

المبحث الثاني: آراء الإمام القرافي الكلامية، وفيه مطالب.

المطلب الأول: الإيمان.

المطلب الثاني: أسماء الله تعالى، وفيه مسلكان:

المسلك الأول: أقسام أسماء الله تعالى.

المسلك الثاني: هل أسماء الله تعالى توقيفية أو لا؟

المطلب الثالث: صفات الله تعالى؛ وفيه مسالك

المسلك الأول: أقسام صفات الله تعالى.

المسلك الثاني: أحكام الصفات.

المسلك الثالث: منهج الإمام القرافي في إثبات الصفات.

المسلك الرابع: النصوص الموهمة للتشبيه.

المطلب الرابع: أفعال الله تعالى وفيه مسلكان

المسلك الأول: هل يجب على الله تعالى مراعاة المصالح؟

المسلك الثاني: أفعال العباد.

المطلب الخامس: رؤية الله تعالى.

المطلب السادس: النبوات وفيه مسلكان

المسلك الأول: الفرق بين النبي والرسول

المسلك الثاني: طرق إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ

المطلب السابع: القرآن الكريم، وفيه مسلكان.

المسلك الأول: وجوه إعجاز القرآن الكريم.

المسلك الثاني: هل في القرآن لفظ غير عربي؟

الفصل الثالث: موقف الإمام القرافي من أهل الكتاب، وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: مداخل، وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: أهل الكتاب مفهوم وتحديد.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في مناقشة أهل الكتاب.

المطلب الثالث: طريقة أهل الكتاب في الطعن على الإسلام.

المطلب الرابع: منهج الإمام القرافي في مناقشة أهل الكتاب.

المطلب الخامس: القرافي بين التأثير والتأثر.

المبحث الثاني: جهود الإمام القرافي في الرد على اليهود، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اليهود وتسمياتهم.

المطلب الثاني: التوراة وبيان الإمام القرافي ما فيها من تحريف، وفيه مسلكان:

المسلك الأول: التوراة، وفيه فرعان:

الفرع الأول: التوراة وأسفارها.

الفرع الثاني: نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام.

المسلك الثاني: موقف الإمام القرافي من التوراة المحرفة، وفيه فروع:

الفرع الأول: إثبات ضياع التوراة.

الفرع الثاني: إثبات أن التوراة محرفة.

الفرع الثالث: بيان ما في التوراة مما ينافي جلال الربوبية.

الفرع الرابع: بيان ما في التوراة مما ينافي عصمة الأنبياء.

الفرع الخامس: بيان ما في التوراة من وصف الملائكة بما لا يليق.

المطلب الثالث: موقف اليهود من النسخ ورد القرافي عليهم، وفيه مسلكان:

المسلك الأول: تعريف النسخ وبيان حكمته.

المسلك الثاني: شبه اليهود على النسخ ورد القرافي عليها.

المطلب الرابع: إنكار اليهود نبوة عيسى عليه السلام ورد القرافي عليهم، وفيه مسلكان:

المسلك الأول: إنكار اليهود نبوة عيسى عليه السلام (الأسباب والنتائج).

المسلك الثاني: شبه اليهود ورد القرافي عليها.

المطلب الخامس: النعيم الأخروي عند اليهود وموقف القرافي منه، وفيه مسلكان:

المسلك الأول: اليوم الآخر عند اليهود.

المسلك الثاني: إنكار اليهود النعيم الجسماني في الجنة ورد القرافي عليهم.

المبحث الثالث: جهود الإمام القرافي في الرد على النصارى وفيه مطالب:

المطلب الأول: النصارى وأشهر فرقهم.

المطلب الثاني: بولس وتأثيره في النصرانية.

المطلب الثالث: أناجيل النصارى وموقف القرافي منها، وفيه مسلكان.

المسلك الأول: الأناجيل وكاتبوها.

المسلك الثاني: موقف القرافي من أناجيل النصارى وفيه فروع:

الفرع الأول: رد القرافي على قول النصارى إن القرآن الكريم عظم الإنجيل ودل على أنه غير مبدل.

الفرع الثاني: بيان انقطاع سند الأناجيل وعدم تواترها.

الفرع الثالث: بيان تناقض الأناجيل وتكاذبها.

الفرع الرابع: هل في الأناجيل شيء مما نزل على عيسى عليه السلام؟

المطلب الرابع: عقائد النصارى وموقف القرافي منها، وفيه مسالك أربعة:

المسلك الأول: ألوهية المسيح وموقف القرافي منها، وفيه فروع:

الفرع الأول: موقف الأناجيل من تأليه المسيح عليه السلام.

الفرع الثاني: شبهة النصارى التي يعتمدون عليها في تأليه المسيح ورد القرافي عليها.

الفرع الثالث: أدلة القرافي العقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام.

الفرع الرابع: أدلة القرافي النقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام.

المسلك الثاني: عقيدة الصلب والفداء وموقف القرافي منها، وفيه فروع:

الفرع الأول: عقيدة الصلب والفداء عند النصارى.

الفرع الثاني: شبهة النصارى في إثبات الصلب وتفنيد الإمام القرافي لها.

الفرع الثالث: أدلة الإمام القرافي العقلية على نفي الصلب لعيسى عليه السلام.

الفرع الرابع: أدلة الإمام القرافي النقلية على نفي الصلب لعيسى عليه السلام.

الفرع الخامس: نفي النصارى اعتقاد المسلمين إلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام ورد القرافي عليهم.

الفرع السادس: أدلة الإمام القرافي على وقوع شبه عيسى عليه السلام على غيره.

المسلك الثالث: عقيدة التثليث وموقف القرافي منها: وفيه فروع:

الفرع الأول: عقيدة التثليث عند النصارى.

الفرع الثاني: التثليث ليس من النصرانية في شيء.

الفرع الثالث: شبهة النصارى في إثبات عقيدة التثليث ورد القرافي عليها.

الفرع الرابع: إبطال القرافي لعقيدة التثليث.

الفرع الخامس: قياس النصارى التثليث على الصفات الموهمة للتشبيه ورد

القرافي عليهم.

المسلك الرابع: عقيدة الحلول والاتحاد وموقف القرافي منها، وفيه فروع:

الفرع الأول: عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى.

الفرع الثاني: مناقشة القرافي لفرق النصارى في عقيدة الحلول والاتحاد.

الفرع الثالث: المحالات العقلية التي ألزم القرافي النصارى بها على قولهم بالحلول والاتحاد.

الفرع الرابع: استدلال النصارى بالقرآن الكريم على جواز الاتحاد ورد القرافي عليهم.

المطلب الخامس: شعائر دين النصارى وموقف القرافي منها، وفيه مسالك:

المسلك الأول: المعمودية عند النصارى وموقف القرافي منها، وفيه فرعان:

الفرع الأول: المعمودية عند النصارى.

الفرع الثاني: موقف القرافي من معمودية النصارى.

المسلك الثاني: رفض النصارى للختان وموقف القرافي من ذلك، وفيه فرعان:

الفرع الأول: الختان عند النصارى.

الفرع الثاني: موقف الإمام القرافي من رفض النصارى للختان.

المسلك الثالث: الاعتراف بالذنوب للقسيس ليغفرها وموقف القرافي من ذلك، وفيه فرعان:

الفرع الأول: سر الاعتراف عند النصارى.

الفرع الثاني: موقف القرافي من الاعتراف بالذنوب للقسيس

المسلك الرابع: العشاء الرباني عند النصارى وموقف القرافي منه، وفيه فرعان:

الفرع الأول: العشاء الرباني عند النصارى.

الفرع الثاني: موقف القرافي من العشاء الرباني.

المطلب السادس: شبهات النصارى على الإسلام ورد القرافي عليها، وفيه مسالك:

المسلك الأول: انتشار الإسلام بالسيف ودحض القرافي ذلك.

المسلك الثاني: ادعاء النصارى أن شريعتهم شريعة الكمال، وأن شريعة الإسلام شريعة النقص ورد القرافي عليهم.

المسلك الثالث: ادعاء النصارى أن المسلمين على ضلال في دينهم ورد القرافي عليهم.

المطلب السابع: شبهات النصارى على القرآن ورد القرافي عليها، وفيه مسلكان:

المسلك الأول: دعوى النصارى أن القرآن الكريم فيه ما ليس بصحيح ورد القرافي عليها.

المسلك الثاني: دعوى النصارى أن القرآن الكريم ليس مقطوعًا به ورد القرافي عليها.

الفصل الرابع: جهود الإمام القرافي في إثبات نبوة خير الخلق سيدنا محمد ﷺ وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إنكار اليهود نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم.

المبحث الثاني: اعتراض النصارى على نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم.

المبحث الثالث: بشارات نبوته ﷺ من كتب اليهود والنصارى المقدسة

عندهم، وفيه مطالب أربعة:

المطلب الأول: بشارات نبوته ﷺ من التوراة (أسفار موسى الخمسة).

المطلب الثاني: بشارات نبوته ﷺ من مزامير داود عليه السلام.

المطلب الثالث: بشارات نبوته ﷺ من سفر إشعياء.

المطلب الرابع: بشارات نبوته ﷺ من الأناجيل.

وأما الخاتمة: فذكرت فيها أهم النتائج التي أسفر عنها البحث، ثم بعد ذلك ذكرت الفهارس وهي كالآتي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

٣- فهرس الأبيات الشعرية.

٤- فهرس نصوص العهد القديم والعهد الجديد.

٥- فهرس التراجم.

٦- فهرس المصادر والمراجع.

٧- فهرس الموضوعات.

- منهجي في البحث:

وقد سلكت في هذا البحث عدة مناهج أبرزها المنهج النقدي، والتحليلي، والتاريخي، والمقارن ويتجلى ذلك فيما يلي:

١- عرض المسألة -التي هي محل المعالجة- من كتب اليهود والنصارى الأصيلة ما وسعني ذلك، أو الكتب المعنية المتخصصة في دراسة الأديان.

٢- ذكر معالجة الإمام القرافي للمسألة، ثم النظر في كتب من سبقه، ومن لحقهُ، فإن وجدت أحدًا تناول المسألة التي ذكرها القرافي، ووجدت عنده فائدة أو زيادة لم توجد عند القرافي أضفتها حتى يكون الجواب مكتملاً من كتب السابق، واللاحق، وإلا اكتفيت بما ذكر القرافي، وذكرت في الهامش الكتب التي تناولت المسألة وليس فيها إضافة، وذلك تنبيهًا إلى مواطن المسألة في كتب السابقين واللاحقين، وأحيانًا أذكر من تناول المسألة في متن الصحيفة.

٣- إن لم أذكر من تناول المسألة وأشرت إلى ذلك في الهامش -بذكر المصادر- فهذا يعني أنه لم يذكر جديدًا عما ذكر، بل ذكر ما ذكر غيره، كما أنه قد يعني أنه ذكر المسألة بدون تعليق لما فيها من وضوح.

٤- أقارن بين ما ذكره القرافي وما ذكره غيره في الكثير الغالب، مقارنة أبغي بها بيان مكانة رد القرافي بين ردود غيره، ومن ناحية أخرى أبغي بيان هل القرافي أصيل أو متأثر، وهل تأثر به أحد أو لا.

٥- عزوت الآيات القرآنية، وخرجت الأحاديث النبوية، ونسبت الأشعار.

٦- خرجت نصوص التوراة والأناجيل التي ذكرها القرافي من النسخ الموجودة اليوم، وما لم أصل إليه، أو وجدته مختلفًا عما هو موجود اليوم، نوهت إلى ذلك في الهامش.

٧- إذا خرجت الحديث من أكثر من كتاب من كتب الأحاديث المعنية، ووجدت اشتراكًا في الراوي، فإني أذكر الكتب ثم أذكر الراوي بعد ذكر بيانات الكتب، كأن أقول مثلاً، أخرجه البخاري، ك كذا، باب، كذا، حديث رقم كذا، جـ، صـ وأخرجه مسلم، ك كذا، باب كذا، حديث رقم كذا، جـ/ صـ عن أبي هريرة ﷺ.

٨- إذا قلت: لم أجد ذلك عند أحد من السابقين واللاحقين، أو نحو ذلك، فإني أقصد بالسابقين: ابن أبي الربيع في رسالته إلى قسطنطين ملك الروم، وابن حزم في الفصل، والغزالي في الرد الجميل، والسمؤال بن يحيى في بذل المجهود، والمهتدي نصر بن يحيى في النصيحة الإيمانية، وأبا عبيدة الخزرجي في بين الإسلام والمسيحية، والقرطبي المحدث في الإعلام، وأبا البقاء الجعفري في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، وأحيانًا الماوردي في أعلام النبوة وذلك في الفصل الأخير فقط، وأقصد باللاحقين: أبا الوليد الباجي في كتابه على التوراة، والطوفي البغدادي في الانتصارات الإسلامية، وابن تيمية في الجواب الصحيح، وابن القيم في كتابيه: هداية الحيارى، وإغاثة اللهفان، وعبد الله الترجمان في تحفة الأريب، ورحمت الله الهندي في إظهار الحق، والألوسي بن الألوسي المفسر في الجواب الفسيح، والباجي زاده في الفارق بين المخلوق والخالق، وأفضت إليهم العلامة الشيخ بعد اطلاعي على قدرٍ من نتاجه العلمي الغزير أحمد ديدات وذلك في الفصل الأخير.

٩- إذا قلت: يراجع فهذا معناه أني تصرفت في النص أو ذكرته بمعناه، وإذا قلت: ينظر فهذا معناه أني غيرت بعض كلمات النص، وإذا ذكرت الكتاب بدون عبارة: يراجع، أو ينظر، فهذا يعني أني ذكرت الكلام بلفظه.

١٠- لم أسر وراء الإمام القرافي في كل كلام قاله، فأحيانًا يبدو لي أن كلام الإمام القرافي فيه نظر، فأذكر ذلك في الهامش، وأذكر ما أراه صحيحًا، وأحيانًا أخرى يبدو لي أن جواب الإمام القرافي غير قوي في بابه فأشير إلى ذلك مؤيدًا كلامي بالدليل، وكذا الحال مع غيره ممن ورد النقل عنهم في هذا البحث.

١١- ذكر الإمام القرافي خمسين بشارة من بشارات الكتب السابقة بنبوة سيدنا

محمد ﷺ تعرضت لاثنتي عشرة بشارة فقط ولم أتعرض للبشارات كلها، وذلك لدلالتها على المقصود ويزيد.

١٢- إذا ذكرت نصًا من التوراة، كأن قلت مثلاً في التوراة، أو ذكرت الإصحاح والفقرة، فقط فهذا أقصد به التوراة البابلية المتداولة في أيدي النصارى اليوم، وأحيانًا أذكر نصوصًا من التوراة السامرية، وأصرح باسمها.

١٣- ما ذكره القرافي من نصوص من كتب أهل الكتاب ذكرته بلفظه، لم أتصرف فيه، وقد رأيت أن أذكر نصها من كتب أهل الكتاب، ولكني عدلت عن ذلك؛ لأن الشيخ أحيانًا كثيرة يذكر المعنى ملخصًا، فلو ذكرت النص فهذا معناه أن يتضخم البحث.

وبعد،،،

فما كان من توفيق في هذا البحث فهو بفضل الله تعالى وحده، ثم بفضل أستاذي الجليلين، الذين وسعني صدرهما، ونالني إحسانها وتوجيههما، ولم يمنعاني نصحًا، ولا وقتًا.

الأستاذ الدكتور/ فتحي أحمد عبد الرازق
أستاذ العقيدة والفلسفة بالكلية
الأستاذ الدكتور/ صلاح محمود العادلي
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بالكلية

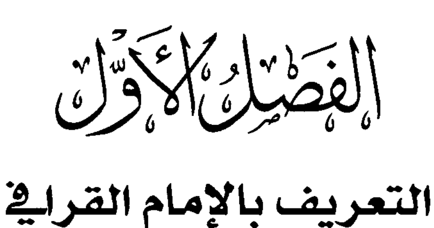
فجزاهما الله عني خيرًا، وجعل هذا البحث والباحث في ميزان حسناتهما يوم القيامة، كما أنه بفضل دعاء والدي الكريمين الدائب لي، فجزاهما عني خيرًا، وأعانني على القيام بشكرهما، وما كان من تقصير في البحث، فهو من نفسي ومن الشيطان، كما أنه دليل كمال كتاب الله تعالى، فليس كتاب خلا من النقص إلا هو.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور/ حبيب الله حسن أحمد، فهذا البحث كان فكرة من أفكاره التي عرضها عليَّ، فجزاء الله عني خير الجزاء.

وأخيرًا، الله أسأل أن ينفعني بهذا البحث في الدنيا والآخرة وأن ينفع به كل من قرأه، وأن يتلقاه مني بالقبول، وأن يحسن نيتي وعملي، وسري وعلانيتي؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الباحث



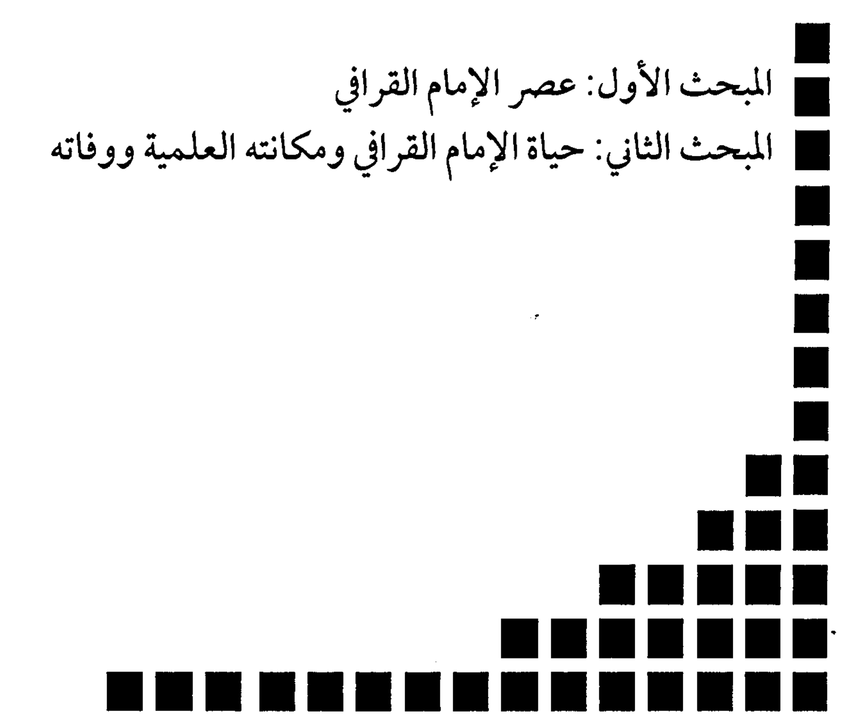
الفصل الأول

التعريف بالإمام القرافي

وفيه تمهيد ومبحثان

المبحث الأول: عصر الإمام القرافي

المبحث الثاني: حياة الإمام القرافي ومكانته العلمية ووفاته



تمهيد:

ترتاح النفوس كثيرًا إلى إقامة الحق والعدل، وانتشار الخير بين الناس، وائتلاف القلوب، واتحاد الصفوف في الأمم والمجتمعات، وبخاصة أمة الإسلام، لكن أنىَّ لنا بذلك وسنة الله التي لا تتبدل، ولا تتحول وقوع الاختلاف بين بني البشر، ودفع الناس بعضهم بعضًا، وتاريخ البشرية شاهد على أن الصراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، قديم منذ أن خلق الله السماوات والأرض، وسيظل ما بقي الليل والنهار؛ وذلك لأن الحق لا يظهر إلا بمعاداة الباطل له، وتلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

فمن أعظم مظاهر ظهور الحق والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣][١].

ويقول الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيبُ عَرْفِ العود[٢]

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٩) تحقيق: الأستاذ/ سيد عمران، ط/ دار الحديث - القاهرة- ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

(٢) البيتان لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة ٢٣١هـ، ديوان أبي تمام بشرح محمد محي الدين عبد الحميد، (ص٢٤٤)، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، ط/ الأولى، ١٤٨٧هـ-١٩٦٧م.

والقارئ لكتاب الله تعالى، يجد جدالاً لأهل الباطل عن باطلهم، ودفاعًا لأهل الحق عن دعوتهم، يجد ذلك عند أهل الباطل في قول الله تعالى: ﴿ وَجَـٰدَلُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [غافر: ٥]، ويجد دفاع أهل الحق في حجاج نوح لقومه، وحجاج إبراهيم، وسائر الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وفرقٌ بين تمويه أهل الباطل، ودفاع أهل الحق؛ لأن أهل الباطل إذا طعنوا في الحق، ودافعوا عن باطلهم جعل الله ذلك في نحورهم، فبان الباطل برد أهل الحق، وعليه أثواب رفضه، وظهر الحق، ومعه أسباب قبوله.

«فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر، ظهرت له البراهين وقوي به اليقين، وأشرق نوره في صدور العالمين، والباطل إذا جادل عنه المجادل، ورام أن يقيم عوده المائل، أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل، فيدمغه فإذا هو زاهق»[1].

والصراع بين الحق والباطل منذ بدء الخليقة إلى الآن يأخذ صورتين:

الصورة الأولى: الصراع الذي يعتمد على القوة والعدد والعتاد.

الصورة الثانية: الصراع الذي يعتمد على دفع الحجة بمثلها، وتفنيد الشبهة بما يطفئ نارها، ويقضي عليها، وهو ما يسمي بالصراع الفكري[2].

وديننا الإسلامي الحنيف يحتاج لأن يدافع عنه، على أساس من الأمرين، كيف وقد أمر الله بالأمرين، فقال عن الدفاع بالقوة: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال عن الدفاع

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٢١).

(٢) يراجع: بين الإسلام والمسيحية لأبي عُبيدة الخزرجي، ت. د/ محمد شامة (مقدمة المحقق) (ص٥) مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ الثانية، بدون تاريخ.

بالحجة: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

يقول فخر الدين الرازي: «ليس المراد الجدال في فروع الشرع.. إنما هو الجدال في التوحيد، والنبوة، وهو مأمور به، ونحن مأمورون باتباعه لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فوجب كوننا مأمورين بالجدال عن الدين»[١]، وحاجة الدين إلى الدفاع عنه بالحجج، وإقامة البراهين أولى من حاجته إلى الدفاع عنه باليد؛ لأن النكاية في العدو بالبرهان واللسان، أوقع من نكاية السيف والسنان، وقد كان النبي ﷺ ينصب لحسان بن ثابت ؓ منبرًا في مسجده يجاهد المشركين بلسانه جهاد هجو.. وأين منفعة الهجو من منفعة إقامة الحجج والبراهين على صحة الإسلام، وإبطال حجج الكفار والمشركين وأهل الكتاب؟[٢].

ولأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق، ودحض حجة الباطل، وإظهار الحق، وإبطال الباطل من حقوق الله تعالى علينا؛ لأننا بذلك وإن لم نرد صاحب الباطل إلى الحق، فإنا قد كشفنا شره وعداوته للناس، وهذا يكفي لأن يشعر المرء أنه قد أدى ما عليه تجاه دينه[٣].

---

(١) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب: لفخر الدين الرازي، (٢/ ٨٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ.

(٢) يراجع: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي المحدث، المتوفى ٦٥٦هـ (ص٤٦)، ت د/ أحمد حجازي السقا - دار التراث العربي، القاهرة، بدون تاريخ، الجواب الصحيح: (١/ ٧٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٢٨٥، ٢٨٦)، ت د/ محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط/ الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، (٤/ ١٢٧٦)، ت علي محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، ط/ الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

والدفاع عن الدين لابد أن يكون على أساس من العلم والبصيرة؛ لأن الذي لا يعرف كيف يقرر الحجة، ويفند الشبهة، إذا تصدى لذلك، كان ضره أقرب من نفعه، وكان كالذي يصلي وهو نائم، فلعله يذهب يدعو لنفسه، فيدعو عليها، كذلك هذا، لعله يذهب يقرر حجة فيجعلها شبهة، ولعله يذهب يفند شبهة، فيجعلها حجة للخصم لا عليه، يقول الإمام ابن تيمية في هذا المقام:

«كيف وقد جعل الله من يقضي بين الناس في الأموال والأعراض والدماء في النار، إذا قضى بغير علم؟ فكيف بمن يحكم في الملل، والأديان، وأصول الإيمان ... بغير علم؟»[1].

ولا يفوتني أن أضع بين يدي القارئ ما قاله الإمام ابن حزم في هذا الأمر، يبين أن الدفاع عن الدين واجب باللسان، كما هو واجب بالسنان، وأن دفاع اللسان أبقى، وأنه لا يكون إلا عن علم، وذلك قوله: «يقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] فالله قد أوجب الجدال في هذه الآية، وعلم فيها جميع آداب الجدال كلها من الرفق والبيان... وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٦٨] ففي هذه الآية بيان أنه لا يقبل قول أحد إلا بحجة ... وأن من لم يأت على قوله بحجة، فهو مبطل بنص حكم الله تعالى، وأنه مفتر على الله وكاذب عليه بنص الآية.. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة،

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح (١/ ٢٧).

وقد يهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تغلب أبدًا، فهي أدعى إلى الحق، وأنصر للدين من السلاح الشاكي.. والسيف مرة لنا، ومرة علينا، وليس كذلك البرهان، بل هو لنا أبدًا، ودامغ لقول مخالفينا، ومزهق له أبدًا.. وقد قتل أنبياء كثيرون، وما غلبت حجتهم قط»[١].

فالدماعُ عن الدين بإقامة الحجج إذن وظيفة العلماء العدول، فهم الهداة إلى الله، والدعاة إلى كلمته، والقوامون على دينه، والزائدون عن حرماته، الواقفون على مفترق الطريق، يرشدون الحيارى، ويبصرونهم أعلام الطريق[٢].

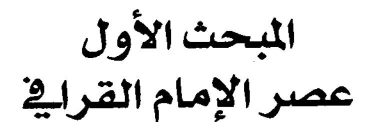
ولقد أحس علماء الإسلام بالعبء الملقى عليهم، فقاموا به خير قيام، ومن هؤلاء شيخنا القرافي صاحب الدراسة، وليس هو أول من نزل جلبة السبق، بل سبقه غيره، ولحقه آخرون، وتلك سنة الله أن يبقى في كل عصر من يدافع عن هذا الدين.

وإذا كنا نريد أن نعرف جهود الإمام القرافي في الدفاع عن العقيدة، فلزامًا علينا أن نعرف شيئًا عن حالة عصره الذي كان يعيش فيه، وعلى الخصوص حالته الدينية التي ظهر فيها العداء الديني، السائد بين أهل هذا العصر كما سنرى، وذلك لبيان تأثر الإمام القرافي بأحوال عصره من عدمه، وهل قام بما يجب عليه تجاه عقيدته أو لا. وذلك في الصفحات التالية.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي: (١/ ٢٢-٢٩)، دار الحديث، ط/ أولى، ١٤٠٤هـ.

(٢) دراسات إسلامية، د/ محمد عبد الله دراز (ص١٢)، ت/ أحمد مصطفى فضلة، دار القلم للنشر والتوزيع، بالقاهرة، ط/ الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.



المبحث الأول
عصر الإمام القرافي

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الحياة السياسية في عصر القرافي

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية في عصر القرافي

المطلب الثالث: الحياة العلمية في عصر القرافي

المطلب الرابع: الحياة الدينية في عصر القرافي

المطلب الأول
الحياة السياسية في عصر القرافي

عاش الإمام القرافي -رحمه الله تعالى- في الفترة ما بين ٦٢٦هـ إلى ٦٨٢هـ، وفي هذه الفترة شهدت مصر زوال دولة، وتأسيس أخرى، فالدولة الزائلة هي دولة بني أيوب، والتي خلفتها هي دولة المماليك البخرية.

وقد عاش الإمام القرافي في أواخر دولة الأيوبيين، وأوائل عصر المماليك، وبهذا يصح لنا القول: إن القرافي من مخضرمي الدولتين، وتمتاز هذه الحقبة التي عاشها القرافي بعدم الاستقرار السياسي في الجانب الداخلي؛ والخارجي على حد سواء، فهي تعد أسوأ فترة مرت على المسلمين منذ قيام دولتهم الأولى، أيام النبي ﷺ، ولا بد لفهم حالة عصر الإمام السياسية، أن نلقي ضوءًا على حالة البلاد الداخلية، والخارجية.

أما من الناحية الداخلية:

فقد عاش الإمام القرافي كما ذكرت في أواخر دولة بني أيوب، وأوائل دولة المماليك البحرية، وهذا يحتم علينا أن نذكر حالة الدولتين السياسية بشيء من الإيجاز.

أولاً: دولة بني أيوب:

تأسست دولة بني أيوب على يد الناصر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي، وذلك عقب استيلاء الفرنج على مصر، وكتابة الخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين على مصر - إلى نور الدين زنكي - حاكم الشام وقتها مستغيثًا به من الفرنج، بعد أن عاثوا في الأرض فسادًا، وأحرقوا البلاد، وظلموا العباد، فما كان من نور الدين إلا أن أرسل قائدًا من قواده، وهو

أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين - وجعل في جيشه صلاح الدين - الذي خرج مكرهًا - لنجدة البلاد، ودخل جَيش أسد الدين مصر، وفر الفرنج من أمامه، ثم قلده الخليفة العاضد وزارة بلاده، ولكنه لم يكد يهنأ بها حتى وافاه أجله بعد شهرين من توليته الوزارة، وذلك يوم السبت الثاني عشر من جمادى الآخرة من سنة ٥٦٤هـ[١].

فاستوزر العاضد بعده صلاح الدين، ولَقَّبَهُ الملك الناصر، وما لبث أن مات الخليفة العاضد سنة ٥٦٧هـ، فاستتب الأمر لصلاح الدين في حكم مصر.

وقد سار صلاح الدين في الناس سيرة حسنة، فأسقط المكوس[٢] التي كانت مفروضة زمن الفاطميين، وأحسن إلى الناس، وأسقط المذهب الشيعي، ونشر المذهب السني، وأخذ في تقوية بلاده، فأمر ببناء الأسوار، وتقوية الأساطيل، وفرض نفوذه على البلاد.

وما لبث الملك العادل نور الدين زنكي أن مات، تاركًا ولدًا صغيرًا، وهو الملك الصالح إسماعيل، ولم يكُ صالحًا لحكم البلاد، نظرًا لصغر سنه، مما أطمع فيه الفرنج، وأثار عليه القواد، فاضطر صلاح الدين إلى الخروج إلى بلاد الشام إخمادًا لنار الفتنة، وردًا للفرنج عن بلاد الشام؛ فخرج إليها واستولى عليها مدينة مدينة، ثم أرسل أخاه توران شاه إلى اليمن؛ للقضاء على رجل ادعى النبوة

---

(١) يراجع: البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٧٥)، وما بعدها ت د/ أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة ط/ الخامسة ١٤١٨هـ. تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٤٤٤) وما بعدها ت/ محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة دار السعادة، مصر، ط/ أولى، ١٤٧١هـ.

(٢) المكوس: جمع مكس، وهو الضريبة التي تؤخذ من بائع السلع، ويقال لجامع هذه الضريبة ماكس أو عَشَّار. يراجع: لسان العرب لابن منظور (٦/ ٢٠١-٢٠٢)، مادة مكس، دار صادر بيروت، ط/ الأولى، بدون تاريخ.

هناك، فسار إليه وقتله، واستولى على بلاد اليمن.

وبذا اتسعت دولة صلاح الدين واستقرت له الأمور الداخلية، فما كان عليه إلا أن يتجه إلى أعدائه الخارجيين قبل أن يبادؤه وقد فعل[١].

فأعد جيوشه، للغارة على بلاد الفرج التي على الشاطئ، وكانوا قد استولوا عليها من المسلمين، واستمرت الحروب بينه، وبينهم سجالاً من سنة ٥٧٠هـ إلى سنة ٥٨٣هـ، وفي هذه السنة كانت الوقعة الفاصلة بينه، وبينهم وهي وقعة حطين[٢]، يوم السبت الرابع عشر من ربيع الآخر، وفيها أوقع صلاح الدين بالفرج شر هزيمة، مما اضطرهم إلى الهروب إلى القدس فسار إليهم يستولي على مدنهم؛ مدينة مدينة، حتى التقى بهم في القدس في رجب من تلك السنة، واسترد مدينة القدس منهم في ليلة الإسراء والمعراج، بعد أن ظلت في أيديهم ما يزيد عن تسعين سنة[٣].

وبعد أن استقرت له الأمور داخليًا وخارجيًا، انتقل إلى ربه بعد صلاة الصبح يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر، سنة ٥٨٩هـ[٤].

وتولي بعده أولاده، وجرت بينهم حروب وعداوات، مما أضعف مملكة أبيهم، وأطمع فيها أعداءها، إلى أن تولي أخوه الملك العادل على مصر عام ست وتسعين

---

(١) يراجع البداية والنهاية: (١٢/ ٢٨٤-٢٩٩). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي: (٦/ ١٢-٢٤) المؤسسة المصرية للطباعة والنشر بدون تاريخ.

(٢) حطين: بلدة على تل بين طبرية، وعكا، بينها وبين طبرية نحو فرسخين، بالقرب منها بلدة يقال لها: خيار بها قبر النبي شعيب عليه السلام، يراجع معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٢/ ٢٧٤)، دار الفكر- بيروت- بدون تاريخ.

(٣) يراجع: النجوم الزاهرة (٦/ ٢٧-٣٧)، تاريخ الخلفاء (ص٤٥٣).

(٤) النجوم الزاهرة: (٦/ ٥٢).

وخمسمائة، فسار في البلاد سيرة أخيه صلاح الدين، واتسعت مملكته وقويت، ولكن بعد موته وزع البلاد على أبنائه، فأعطى لمعظم عيسى دمشق، وأعطى الأشرف موسى الشرق، وأعطى الملك الكامل محمد مصر، وبعد موته، تنازع أولاده ودارت بينهم خصومات، كما دارت بين أبناء عمهم من قبل، واستمر الأمر في عداء وشقاق بين ملوك بني أيوب؛ إلى أن ضعفت دولتهم، وسقطت بقتل آخر ملوكهم توران شاه ابن نجم الدين أيوب، وذلك في سنة ٦٤٨هـ[١].

ثانيًا: دولة المماليك البحرية:

في سنة ٦٤٧هـ استولى الفرنج على دمياط[٢]، والسلطان الملك الصالح نجم الدين ملك مصر مريض، فمات ليلة النصف من شعبان في تلك السنة، وأُخْفِي خَبَرُ موته، وأرسل إلى ابنه توران شاه، وكان خارج البلاد، فقدم وولي إمرة الجيش، وهزم الفرنج، واستقر له الملك، ولكنه أساء إلى مماليك أبيه، فدبروا قتله فمات مقتولاً في المحرم سنة ٦٤٨هـ.

وتولت بعده زوج أبيه، شجرة الدر، ولكن لم يُعْجِبِ الناسَ ذلك، فعزلت وتولي مكانها أحد مماليك، نجم الدين أيوب المعز أيبك وبذا تأسست دولة المماليك والتي امتاز عهدها بأن ملوكها ساروا على سيرة الأيوبيين، وأخذوا بسياستهم التي قوامها الجهاد، وقد بقيت دولة المماليك (البحرية والشراكسة) في الحكم قرابة القرنين من الزمان، حتى انتهى حكمها باستيلاء الأتراك العثمانيين على السلطة سنة ٩٢٢هـ[٣].

---

(١) يراجع: البداية والنهاية (١٣/ ٢٩) وما بعدها.

(٢) دمياط مدينة قديمة من مدن مصر تقع بين النيل والبحر الأبيض المتوسط، ويعرف فرع النيل الذي يمر بها بفرع دمياط ، يراجع معجم البلدان: (٢/ ٤٧٢).

(٣) يراجع النجوم الزاهرة: (٦/ ٣٧٢-٣٧٥)، (٧/ ٤٨)، تاريخ الخلفاء: (٤٦٥، ٤٦٦)، =

فما سبق يدل على أن عصر الإمام القرافي، كان غير مستقر سياسيًا من الناحية الداخلية سواء، كان في مصر أو في غيرها.

وأما من الناحية الخارجية:

فقد حدث في العالم الإسلامي في الفترة التي عاش فيها الإمام القرافي حدثان عظيمان، كان لهما أبلغ الأثر في توجيه الحياة السياسية في هذا العصر، وكان لهما أبلغ الأثر في نفوس الناس، لاسيما العلماء منهم، وهذان الحدثان هما:

- ظهور التتار وإسقاطهم الخلافة وزحفهم جهة مصر.
- ظهور الصليبيين ومداهمتهم مصر والشام.

أولاً: ظهور التتار:

كان ظهور التتار عام ٦١٧هـ على يد جنكيز خان، الذي كان يطمع أن يكون سلطانًا على الأرض كلها، وقد استطاع جنكيز خان أن يقود القبائل المغولية من أطراف الصين، ثم يغير على بلاد تركستان[(١)] ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر[(٢)] وخراسان[(٣)] ويستولي على كل هذه البلاد في أقل من سنة، ثم تجاوز هذه

=

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٤/ ١٠٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(١) اسم جامع لجميع بلاد الترك: معجم البلدان: (٢/ ٣٢).

(٢) هو نهر سيحون -بفتح أوله وسكون ثانيه- نهر كبير مشهور على حدود بلاد الترك، بعد سمرقند، يجمد في الشتاء، إذا أطلق ما وراء النهر كان هو المقصود. يراجع معجم البلدان: (٢/ ٢٩٤).

(٣) بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق قصبة جوين، وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند صخارستان، وسجستان، وهذه البلاد على حدودها وليست منها، من بلادها: نيسابور، سرخس. يراجع: معجم البلدان: (٢/ ٣٥٠).

البلاد إلى الري[١] وحدود العراق[٢].

وما لبث أن مات جنكيز خان، فتولى بعده حفيده هولاكو بن تولي خان، وكان ذا همة عالية في الفتوحات، فاتسعت ممالكه، وكثرت جيوشه من المغول والتتر، وكان الخليفة في بغداد يومئذ المستعصم بالله، وكان وزيره ابن العلقمي ممالئًا للتتار، يكاتبهم -خفية- أن يسيروا إلى بغداد، وكان يطمع أن يكون خليفة علويًا، بعد إسقاط الخلافة العباسية، وقد مناه التتار بذلك.

فركب هولاكو في جيوشه قاصدًا بغداد، واستولى عليها، وقتل الخليفة المستعصم، بعدما أعطاه الأمان، واستمر القتل والنهب في بغداد قرابة الأربعين يومًا، ولم ينج من أهلها إلا من اختفى في نهر أو قناة، وكان قتل الخليفة سنة ٦٥٦هـ.

وبعد خراب بغداد توجه جيش التتار إلى الشام، فاستولى عليها كلها، وبعد ذلك لم يبق أمامه سوى مصر، وكان ملكها يومئذ سيف الدين قطز، فكتب إليه هولاكو: «أن لا قبل لكم بنا، فما عليكم إلا الاستسلام»، لكن سيف الدين قطز لم يجبن أمام تلك التهديدات، فأعد جيوشه، والتقى والتتار في عين جالوت[٣] وأوقع بهم شر هزيمة، وانتصر المسلمون بفضل الله، وقتلوا من التتار مقتلة عظيمة، وولى التتار الأدبار، وذلك في ٦٥٨هـ[٤].

---

(١) الري: قرية قريبة من خراسان، وهي منسوبة إلى جبل الري، يراجع: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله البكري الأندلسي: (٢/ ٦٩٠)، ت/ مصطفى السقا، دار الكتب، ط/ الثالثة، ١٤٠٣هـ.

(٢) يراجع: النجوم الزاهرة (٦/ ٢٤٨-٢٥٢).

(٣) بلدة صغيرة بين بيسان وطرابلس من أعمال فلسطين ينظر: معجم البلدان: (٤/ ١٧٧).

(٤) يراجع: النجوم الزاهرة (٧/ ٤٧-٥٥)، تاريخ الخلفاء (ص٤٧٠) وما بعدها، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للشيخ محمد الخضري: (٢/ ٥٤٢-٥٥٩) المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ت.

وحتى يعلم القارئ مدى خطورة التتار، أذكر ما جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي حيث يقول:

«حادثة التتار من الحوادث العظيمة، والمصائب الكبرى، التي عقمت الدهور عن مثلها، وعمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال القائل: إن العالم منذ خلقه الله إلى الآن لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقًا»[(١)].

ولقد من الله تعالى على ملك التتار أبي سعيد بن خربندار بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان بالدخول في الإسلام، وتبعه عدد كثير من التتار، فأعز الله به أهل السنة في زمانه، ولم تقم للتتار من بعده قائمة[(٢)].

ثانيًا: الصليبيون:

كان ظهور الصليبيين واعتداؤهم على بلاد المسلمين -لا سيما الشام ومصر- قبل ظهور التتار بكثير، وقد سبق فيما تقدم أن سبب قدوم صلاح الدين إلى مصر عام ٥٦٤هـ، هو استيلاء الصليبين على مصر وكان ذلك قبل ظهور التتار على بلاد المسلمين، ولا سيما بغداد بحوالي قرن من الزمان، وقد استمرت غارات الصليبيين على مصر، والشام قرابة قرنين من الزمان، إلى أن طردوا من مصر بعد هزيمتهم أمام توران شاه بن نجم الدين أيوب عند دمياط، سنة ٦٤٨هـ، وطردوا من الشام على يد الملك الأشرف خليل بن المنصور بن قلاوون حاكم مصر سنة ٦٩٠هـ، وبطردهم استولى المسلمون على عكا، وجميع السواحل التي كانت بأيديهم من مدد متطاولة ولم يبق لهم فيها حجر واحد، ولله الحمد والمنة[(٣)].

---

(١) تاريخ الخلفاء: (ص٤٧٠).

(٢) ينظر البداية والنهاية: (١٤/ ٨٩).

(٣) يراجع: تاريخ الخلفاء: (ص٤٦٥).

وبعد:

فقد استبان أن الفترة التي عاشها الإمام القرافي -رحمه الله تعالى- لم تكن الحياة السياسية مستقرة فيها، لا في الداخل ولا في الخارج.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو: هل تأثر الإمام القرافي بتلك الحالة؟ وهل أثر فيها؟

والجواب:

إن الإمام رحمه الله تعالى لا بد أن يكون كغيره، تأثر بالهوان الذي كان عم البلاد، ولا سيما حادث سقوط بغداد، ولا بد أن يكون قد تجرع مراره محاربة الصليبيين للمسلمين، واستيلائهم على بلادهم ولكن الله أقر عينه بنصرة دينه، وهزيمة التتار، وطرد الصليبيين.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لما استولت جيوش التتار والصليبيين على البلاد، فر كثير من العلماء إلى مصر طلبًا للأمان، وخوفًا من ضياع ما عندهم من علم، أمثال: العز بن عبد السلام، وابن الحاجب، والخُسْرَوشاهي وغيرهم، فكان هذا سببًا في تلقي القرافي العلم على علماء لم يرحل إليهم بل ساقهم الله إلى بلاده، فكان لذلك أثره في شخصية الإمام القرافي العلمية على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

هذا عن تأثره، وأما عن تأثيره، فالإمام القرافي، وإن لم ينل شرف الدفاع عن الدين بالسيف، فقد ناله بما كان يفعله من تصديه للطاعنين في الإسلام، ففي هذه الفترة كانت شوكة اليهود والنصارى قوية، وكانوا يطعنون في الإسلام بكتاباتهم، ليصرفوا الناس عنه، فما كان من القرافي إلا أن تصدى للرد على كتابات هؤلاء وخير دليل على ذلك ما تركه الإمام من كتب تحمل الرد عليهم

والتي منها:

الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة لليهود والنصارى، وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية. وغيرها مما تناثر في طوايا كتبه ومؤلفاته الأصولية والتي عنى فيها ببعض ما يتعلق بأهل الشرائع الأخرى التي كان لها وجود في المجتمع الإسلامي، وسنطلع على إشارة لذلك في المبحث التالي عند الحديث عن عصر الإمام في جانبه الاجتماعية في السطور القادمة...



المطلب الثاني
الحياة الاجتماعية في عصر القرافي

المطالع لأحوال المجتمع في عصر الإمام القرافي، يستلفت نظره مظهران بارزان يكادان يكونان متلازمين، وقد ظهر أثرهما في الإمام القرافي.

المظهر الأول: أنه كان يعيش فيه كثير من الأجناس، المتباينة في العقائد، والعادات والتقاليد، فقد كان يضم المجتمع الإسلامي آنذاك أمما من الأتراك، والمصريين، والشاميين، والعراقيين، واليهود والنصارى وغيرهم.

ويرجع السبب في ذلك، ولا سيما في مصر إلى ما ذكره المقريزي في كتابه: «المواعظ والاعتبار» حيث يقول:

«وأما سكان أهل مصر، فأخلاط من الناس مختلفو الأصناف والأجناس، من قبط، وروم، وعرب، وحبشان، وغير ذلك من الأصناف.. والسبب في ذلك: تداول المالكين لها، والمتغلبين عليها»(١).

المظهر الثاني: أنه كان هناك كثير من الاضطرابات، نتيجة للخلافات المذهبية، والمعتقدات الدينية، ويرجع ذلك إلى كثرة العصبيات الناتجة عن اختلاف الأجناس، بالإضافة إلى وجود عدد من الفرق الإسلامية التي انتشر أمرها، وزاد خطرها، وسيأتي مزيد بيان لذلك عند الحديث عن حالة المجتمع الدينية إن شاء الله تعالى.

وأي مجتمع، لا بد أن يكون فيه طبقات من الناس؛ إذ جرت سنة الله أن

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط) للمقريزي: (١/ ١٤٦)، ت د/ محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة ط/ الأولى: ١٩٨٨م.

يجعل الناس متفاوتين في القوة، والضعف، والعلم، والجهل، والحذاقة، والبلاهة، والشهرة، والخمول، لأنه لو سوى بينهم في كل هذه الأحوال، لأفضى ذلك إلى خراب العالم، وفساد نظام الدنيا(١).

وإذا كان المجتمع الذي عاش فيه الإمام القرافي مكونًا من طبقات، فلا بد أن يكون لكل طبقة ما يميزها من الوظائف والأوصاف، وهذا ما ندع السطور الآتية تحدثنا عنه:

أولاً: طبقة الحكام ومن يعاونهم:

تتكون هذه الطبقة من الخليفة، أو السلطان، وحاشيته التي منها الوزراء، والأمراء، وكبار القادة والموظفين، والقضاة، ورجال الحسبة، والشرطة، ومن في مستواهم، وأصحاب هذه الطبقة في أي عصر من العصور لهم النفوذ، والغنى، والترف؛ بسبب الرواتب العالية التي تكفل لهم من بيت مال المسلمين. فعاشوا عيشة هنيئة، وانغمسوا في اللهو، والترف والمجون(٢).

وبخاصة في عصر المماليك، إذ ازدهرت التجارة بمصر، وزادت ثروة البلاد، لما اعتني السلاطين بالزراعة، والتجارة، فانغمسوا في الترف والبذخ، وأكثروا القيان، والعبيد، فكان الواحد منهم يملك المئات من الإماء والموالي.

والذي يدل على ذلك: أنه لما طلب الظاهر بيبرس من الإمام النووي أن يفتي بجواز أخذ مال الرعية للاستعانة به على قتال التتار، فامتنع معللاً بقوله:

---

(١) يراجع: التفسير الكبير (٢٧/ ١٨٦).

(٢) يراجع: تاريخ الإسلام السياسي، د/ حسن إبراهيم (٤/ ٦٢٥)، دار النهضة المصرية، القاهرة ط/ السابعة ١٩٦٥م.

سمعت أن عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة[١] من ذهب، وعندك مائة جارية، لكل جارية حقو[٢] من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت مماليكك بالصوف بدلاً من الحوائص، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي، أفتيت بأخذ المال من الرعية[٣].

ثانيًا: طبقة العلماء ورجال الدين:

وهؤلاء كانوا فريقين: فريق آثر الآخرة وما عند الله، فأخذ يصدع بالحق، وينصح الحكام، ويحذرهم مغبة التلاعب، ومجانبة الشرع الحنيف، ويبين لهم ما ينبغي أن يسيروا عليه، ومن أمثال هؤلاء العز بن عبد السلام، والنووي، وغيرهما، فقد كانوا حربًا على الباطل، وأهله، وما فتئوا أن يبينوا للناس ما وقع فيه الحكام من أخطاء كبيرة، الأمر الذي أقلق الحكام، وزلزل أقدامهم حتى قال الظاهر بيبرس لبعض خواصه لما رأى جنازة العز بن عبد السلام لم يستقر ملكي إلا الساعة؛ لأنه لو أمر الناس فيما أراد لبادروا إلى امتثال أمره[٤].

وأما الفريق الآخر: فقد غلب عليهم الطمع في الدنيا، وحب الجاه، والمكانة عند السلطان، فأخذوا يتوددون إليهم، ويوافقونهم في الحق والباطل، وكانوا يجرون الفتوى حسب أهواء الولاة، ولذا لم يكن لهم وزن عند الناس، ولا مكانة

---

(١) الحياصة: سير طويل يكون في الحزام. لسان العرب (٧/ ٢٠) مادة: (حوص).

(٢) الحقو: بالفتح موضع الإزار، ثم توسعوا فيه حتى سموا الإزار الذي يشد على العورة حقوًا، التعريفات للجرجاني (ص٢٨٩). ت/ إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي - بيروت ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٣) يراجع: حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (٢/ ٩٤). مطبعة الموسوعات باب الخلق، مصر لصاحبها إسماعيل حافظ.

(٤) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ١٠٩). ت د/ عبد الحافظ خان، العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٧هـ.

في قلوب العامة[١].

ثالثًا: العامة:

وهؤلاء هم الذين يمثلون السواد الأعظم من المجتمع، وتتكون هذه الطبقة من التجار، والصناع، والزراع، والعمال، وأصحاب الحرف، وغير ذلك.

وكانت حياتهم أقرب إلى الفقر، وكثيرًا ما كانوا يعانون من المظالم، والمكوس التي كانت تفرض عليهم، وتثقل كاهلهم.

رابعًا أهل الذمة:

وهم اليهود والنصارى، الذين فضل كثير منهم العيش في ظل الدولة الإسلامية؛ أملاً في الخلاص من اضطهاد الدولة الرومانية، وهذه الطبقة شاركت المسلمين في دفع عجلة الحياة وتقدم البلاد، فشاركت في الصناعة، والزراعة، وكان لهم دور مهم في التجارة، مما حقق لهم أرباحًا طائلة[٢].

ولا ريب أن الإمام القرافي رحمه الله تعالى كان قد تأثر بتلك الحياة، وأثر فيها.

أما عن تأثره بها: فهو وإن كان من طبقة العلماء، إلا أنه كان يعاني حياة الفقر كعامة الناس، ويدل على هذا، أنه كان كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين:

عتبت على الدنيا لتقديم جاهل وتأخير ذي علم فقالت خذا لغددا
بنو الجهل أبنائي وكل فضيلة فأبناؤها أبناء ضرتي الآخرة[٣]!

(١) ينظر: حسن المحاضرة (٢/ ٩٤).

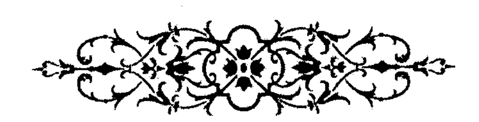
(٢) يراجع تاريخ الإسلام السياسي (٤/ ٦٢٧).

(٣) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (ص٦٦) العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

وأما عن تأثيره:

فلا ريب أنه كان من الفريق الأول من العلماء الذين آثروا الآخرة على الدنيا، ولم لا! وشيخه العز بن عبد السلام؛ فقد أخذ عنه أكثر علومه.

وقد وقف الإمام القرافي مدافعًا عن الدين ضد ما يثيره أعداؤه من الطبقات غير المسلمة، فقارعهم بالحجج القوية، وألزمهم بالبراهين القاطعة، وكان يقوم كل معوج يوجه ضد الإسلام، كما سنقف عليه عند ولوج قضايا ومسائل هذا البحث، حتى ليجعلنا ذلك نتساءل أكان الجو العلمي في عصره مساعدًا أما معاندًا، وهذا يسلمنا إلى البحث الثاني...



المطلب الثالث
الحياة العلمية في عصر القرافي

من يُمن الطالع أن الحياة العلمية في عصر القرافي لم تكن كسابقتيها، بل كانت أحسن حالاً فيها في الرواج والازدهار، رغم ما تعرض له المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت من نكبات الصليبيين، وغارات التتار، وما كان يموج به من اضطرابات وخلافات.

وهذا الازدهار لم يكن في مصر وحدها، بل كان في العالم الإسلامي أجمع، لكن نالت مصر منه الحظ الأوفى، والنصيب الأكبر.

وللحديث عن الحياة العلمية في هذا العصر، لا بد أن نلقي الضوء على حالتي العصرين الأيوبي والمملوكي العلمية، ثم عن أهم دور العلم آنذاك.

أما عن حالة العصرين العلمية:

ففي عصر الأيوبيين: كان الاهتمام بالعلم واضحًا، والحياة العلمية بدأت في النمو والازدهار، فقد خلف الأيوبيون الفاطميين في حكم مصر، وبلاد الساحل، والفاطميون لم تكن الحياة العلمية مزدهرة زمانهم إلا ما يتصل بالمذهب الشيعي، فلم يكونوا يهتمون بالعلم والعلماء إلا ما يتصل بمذهبهم.

فلما انقرضت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين، أبطل مذهب الشيعة، وأقام المذهب السني، ولا سيما المذهب المالكي والشافعي، وأغلق الجامع الأزهر الذي كان يدرس فيه المذهب الشيعي[1].

واقتدى صلاح الدين بالملك العادل نور الدين محمود زنكي، فإنه بنى بديار

---

(١) يراجع: الروضتين في أخبار الدولتين، لأبي شامة المقدسي (٢/ ٦٩)، ت إبراهيم الزيبق، الرسالة -بيروت- ط/ أولى، ١٩٩٧م، البداية والنهاية (١٢/ ٢٨٤).

دمشق وحلب، وأعمالهما عدة مدارس للشافعية، والحنفية، فبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمصر.. ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة، ومصر أولاده وأمراؤه، ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم[(١)].

والذي حرك صلاح الدين إلى اهتمامه، بالعلم، والعلماء أنه بالإضافة إلى قصده وجه الله تعالى، كان يحب العلم وله فيه باع، قال ابن كثير عنه.

«وصلاح الدين لديه من الفضائل، والفوائد، والفرائد في اللغة والأدب، وأيام الناس حتى قيل: إنه كان يحفظ الحماسة بتمامها، وكان يفهم ما يقال لديه من البحث، والمناظرة، ويشارك في ذلك مشاركة قوية حسنة.. وكان يحب سماع القرآن والحديث والعلم، ويواظب على سماع الحديث حتى بين صفوف القتال، وكان يفتخر بذلك، ويقول: هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثًا»[(٢)].

ولم يكن هذا دأب صلاح الدين وحده، بل هو دأب سائر ملوك دولة بني أيوب التي ولد فيها الإمام القرافي.

فهذا صاحب مصر وقت ولادة الإمام القرافي -الملك الكامل محمد، قد كان صحيح الإسلام، معظمًا للسنة، وأهلها محبًا لمجالسة العلماء ... يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من العلماء الفضلاء، يشاركهم ويباحثهم، ويسألهم عن المواضع المشكلة من كل فن، وهو معهم كواحد منهم، وبنى بالقاهرة دار للحديث، ورتب لها وقفًا جيدًا[(٣)].

فهذه حال صلاح الدين مؤسس الدولة، والملك الكامل واسطة عقدها،

---

(١) المواعظ والاعتبار (٣/ ٤٣٧).

(٢) يراجع: البداية والنهاية: (١٣/ ٦، ٧).

(٣) يراجع: البداية والنهاية: (١٣/ ١٧١)، شذرات الذهب: (٣/ ١٠٧٣).

وأما عن أخر ملوكهم[1] وهو الملك الصالح نجم الدين أيوب، فيقول عنه ابن كثير: (وفي سنة ٦٣٩هـ شرع الصالح أيوب في بناء المدارس بمصر)[2].

ولم يكن هذا حال ملوك مصر وحدهم، بل شاركهم في ذلك ملوك الشام من بني أيوب، فهذا المعظم عيسى كان عالمًا فاضلاً في الفقه.. وكان يحفظ مفصل الزمخشري، وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة يشمل أكثر معاجم اللغة، وأمر أن يرتب له المسند[3]، وقد كان ابنه[4] عالمًا بعلوم الأوائل وكان تلميذًا للخُسْرَوْشاهي شيخ القرافي.

ودولة كهذه، يهتم ملوكها بالعلم، يشاركون فيه أهله، لا بد أن يكون تجارة العلم فيها رائجة، ولاسيما أن الناس على دين ملوكهم.

وفي عصر المماليك: والذي قضى فيه الإمام القرافي ما يقرب أو يزيد عن ثلاثة عقود ونصف من الزمان، فقد كانت الحياة العلمية في مصر في هذه الفترة أحسن بكثير منها أيام الأيوبيين، وذلك للأسباب الآتية:

١- عناية سلاطين المماليك، بالعلم والعلماء أكثر من سابقيهم بسبب أنهم نشأوا في دولة عربية، لا يعرفون لهم تاريخًا، يتعصبون له، وكانوا يحكمون شعوبًا تتعصب للإسلام فتقربوا إلى هذه الشعوب، بالعناية بعلوم الإسلام، وبالعطف

---

(١) اعتبرته آخر ملوكهم، وإن كان ملك بعده ابنه توران شاه؛ لأنه يعتبر آخر الخلفاء الفعليين؛ لأن توران شاه لم يملك بعده كثيرًا ولم تكن له إصلاحات.

(٢) البداية والنهاية: (١٣/ ١٧١).

(٣) البداية والنهاية: (٣/ ١٤١).

(٤) هو الملك الناصر داود بن المعظم عيسى المتوفى ٦٥٥هـ، يراجع: البداية والنهاية (١٣/ ٢٢٤).

على العلماء، والتشجيع على التأليف[١].

٢- هجرة العلماء إلى مصر، بعد سقوط بغداد وبلاد الشام في أيدي التتار؛ طلبًا للأمان، وحفاظًا على ما لديهم من علوم.

٣- شعور العلماء في هذا العصر بمدى المسئولية الملقاة عليهم في إعادة ما فقده المسلمون من تراث بعد كارثة بغداد، فأقبلوا على التأليف، والتدريس، مما كان له بالغ الأثر في الحياة العلمية.

والذي يدلنا على أن الحياة العلمية في هذا العصر كانت ثرية هو أن المماليك أنشأوا نحوًا من أربعين مدرسة، إضافة إلى ما كان أنشأه الأيوبيون، وأوقفوا عليها الأوقاف[٢].

وأما عن أهم دور العلم فهي:

أولاً: المساجد:

١- **مسجد عمرو بن العاص**: ويقال له المسجد العتيق، وهو أول مسجد أسس بديار مصر، بناه عمرو بن العاص في سنة ٢٦هـ، وقد جعلت فيه بعد ذلك زوايا لتدريس الفقه منها: زاوية يقال لها: الشافعية، وزاوية يقال لها المجدية، والزاوية الصاحبية وغيرها.

وكان بمسجد عمرو قبل سنة ٧٤٩هـ بضعًا وأربعين حلقه؛ لإقراء العلم،

---

(١) الأدب العربي وتاريخه (ص١٥٥-١٥٦)، د/ علي محمد حسن العماري، د/ محمد محمد خليفة، مطابع المعاهد الأزهرية، ١٤٢٥هـ.

(٢) الأدب العربي وتاريخه: (١٥٣-١٥٦).

لا تكاد تبرح منه[١].

٢- **الجامع الأزهر**: أنشأه جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي عام ٣٥٩هـ، وكمل بناؤه ٣٦١هـ، وكان السلاطين يهتمون به أيما اهتمام، فأقاموا به مقاصير[٢]؛ لتدريس العلم، وجعلوا له أوقافًا، وقد ظل الجامع الأزهر -منذ فتحه الظاهر بيبرس- بعد أن أغلقه صلاح الدين؛ لتدريس المذهب السني، معقلاً للعلم، وملجأ لطلابه، يؤدى رسالته في نشر العلوم الشرعية، والعربية[٣] إلى الآن.

هذا بالإضافة إلى غيرهما من المساجد التي كان لها دور هام في الحياة العلمية، مثل جامع المدرسة الصالحية، وجامع مدرسة الظاهر برقوق، وجامع المدرسة الحجازية، وغير ذلك.

ثانيًا: المدارس:

كثرت المدارس في عصر الإمام القرافي، مما كان له الأثر البالغ على الحياة العلمية في هذا العصر، ومن هذه المدارس:

١- **المدرسة الناصرية**: بناها السلطان صلاح الدين، بجوار مسجد عمرو بن العاص، في المحرم ٥٦٦هـ وجعلها مدرسة للشافعية، وهي أول مدرسة

---

(١) يراجع: المواعظ والاعتبار (٣/ ١٤٤، ١٦٩، ١٧٠)، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون د/ سعاد ماهر محمد: (١/ ٦١) وما بعدها، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بدون تاريخ.

(٢) المقاصير، جمع مقصورة، والمقصورة هي مقام الإمام أي المحراب، لسان العرب: (٥/ ١٠٠) مادة قصر.

(٣) يراجع المواعظ والاعتبار (٣/ ٢١٣) وما بعدها، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١/ ١٩٤).

بنيت بديار مصر[١].

٢- **المدرسة القمحية**: بجوار مسجد عمرو بن العاص، كانت دارًا يباع فيها الغزل، فهدمها صلاح الدين، وأنشأ موضعها مدرسة للمالكية في سنة ٥٦٦هـ، ورتب فيها أربعة من المدرسين، وهذه المدرسة كانت أجل مدرسة للفقهاء المالكية، وكان لها ضيعة بالفيوم يتحصل للفقهاء منها قمح يفرق بينهم، ولذا عرفت بالمدرسة القمحية[٢].

٣- **المدرسة القطبية**: أنشأها أحد أمراء صلاح الدين، قطب الدين خسرو بن تليل بن شجاع[٣]، بالقاهرة سنة ٥٧٠هـ، وجعلها مدرسة للشافعية[٤].

٤- **المدرسة الفاضلية**: بناها القاضي الفاضل[٥] بجوار داره سنة ٥٨٠هـ وجعلها للشافعية، والمالكية، وجعل فيها قاعدة للإقرار، ووقف عليها جملة

---

(١) المواعظ والاعتبار: (٣/ ٣٣٩).

(٢) المواعظ والاعتبار: (٣/ ٤٣٩).

(٣) هو قطب الدين خسرو بن تليل بن شجاع أبن أخي أبي الهيجاء الهذباني صاحب إربل، كان من كبار قادة نور الدين محمود الملقب العادل، وكان في جيش أسد الدين شيركوه، ولما مات طلب الوزارة في مصر لنفسه، وما نالها، ثم صار من أكبر قواد صلاح الدين توفي بعد سنة ٥٧٠هـ، يراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٧/ ١٥٣)، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط/ الأولى، ١٩٩٤م، النجوم الزاهرة: (٦/ ١٦).

(٤) المواعظ والاعتبار: (٣/ ٤٤٣).

(٥) أبو المجد عبد الرحيم بن علي بن الحسن البيساني، ولد بعسقلان سنة ٥٠٢هـ، ثم انتقل إلى مصر، كان من وزراء صلاح الدين ومقربيه، وكاتب ديوان الإنشاء في دولته، وكان صلاح الدين يقول: ظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل، توفي بمدرسته بالقاهرة في ربيع الآخر ٥٩٦هـ، يراجع البداية والنهاية (١٣/ ٣١) وما بعدها، الأعلام (٣/ ٣٤٦).

عظيمة من الكتب في سائر العلوم، وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها[١].

٥- **المدرسة السيفية**: بناها سيف الدين عبد الله بن علي بن شكران سيف الإسلام طغتكين بن أيوب -أخو صلاح الدين- بالقاهرة قبل سنة ٥٩٣هـ[٢].

٦- **المدرسة الفخرية**: أسسها بالقاهرة الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومي أستاذ الملك الكامل محمد، وكان الفراغ منها سنة ٦٢٢هـ[٣].

٧- **المدرسة الفائزية**: أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن حبيب الفائزي[٤]، سنة ٦٣٦هـ، وجعلها للشافعية[٥].

ولم يكن الأمر مقصورًا على المساجد والمدارس في نشر العلم، بل كانت هناك خزانات الكتب، والمكتبات الزاخرة بأمهات الكتب في شتى العلوم والفنون، سواء كانت ملحقة بالمدارس أو مستقلة، كما كان هناك خارج مصر مراكز للعلم، ومدارس في بقية أنحاء العالم الإسلامي، تؤدي دورها في نشرها

---

(١) المواعظ والاعتبار: (٣/ ٤٤٤).

(٢) المواعظ والاعتبار: (٣/ ٤٤٩).

(٣) المواعظ والاعتبار: (٣/ ٤٤٨).

(٤) هبة الله بن صاعد شرف الدين الفائزي، كان نصرانيًا ثم أسلم، وخدم الملك الفائز إبراهيم بن أبي بكر، ونسب إليه، وخدم بعده الملك الكامل، ثم المالك الصالح، واستوزره المعز أيبك، وبعده تقلد الوزارة أيامًا لابنه المنصور، ثم قبض عليه، ومات في السجن مخنوقًا سنة ٦٥٥هـ، يراجع: البداية والنهاية: (١٣/ ٢٣٢)، الأعلام: (٨/ ٧٢-٧٣).

(٥) المواعظ والاعتبار: (٣/ ٤٤٢).

الثقافة الإسلامية ففي المغرب الإسلامي حلقات في قرطبة[١] وغرناطة[٢] والقيروان[٣] وفي المشرق نهضة في تبريز[٤] وشيراز[٥]، وطوس[٦]، بالإضافة إلى ما كانت تقوم به مدارس دمشق وبغداد[٧].

ولقد أثمرت دور العلم ثمارها، فأخرجت لنا علماء برزوا في هذا العصر، وصارت بمصنفاتهم الركبان أمثال: ابن الحاجب، وابن عبد السلام، والقرافي، وابن بنت الأعز، وابن الشاط وغيرهم ممن سيأتي ترجمتهم في شيوخ الشيخ وتلاميذه.

وكل ما سبق يدفع ما ذهب إليه صاحب كتاب الفتح المبين في طبقات الأصوليين[٨] من أن هذا العصر هو أحد عصور الانحطاط العلمي، والجمود الفكري، مستدلاً بأن جهود العلماء في هذا العصر لا تعدو العكوف على ما تركه

---

(١) أعظم مدينة ببلاد الأندلس في وسط البلاد ليس لها في المغرب شبيه. معجم البلدان (٤/ ٣٢٤).

(٢) غرناطة: بفتح أوله وسكونه ثانيه، معناها: رمانة باللسان الأعجمي، سميت بذلك لحسنها، وهي أقدم مدينة بكورة البيرة من أعمال الأندلس، يشقها نهر القلزم، يراجع: معجم البلدان (٤/ ١٩٥).

(٣) القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، بناها الصحابي الجليل عقبة بن عامر سنة ٥٥هـ، معجم البلدان: (٤/ ٤٢٠).

(٤) تبريز: مدينة من أشهر مدن أذربيجان، يراجع معجم البلدان: (٢/ ١٣).

(٥) شيراز: بلد عظيم من بلاد فارس، بينها وبين نيسابور ١٢٠ فرسخًا، معجم البلدان: (٣/ ٣٨٠).

(٦) طوس: مدينة بخراسان، بينهما وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، بها قبر علي بن موسى الرضا، وهارون الرشيد، يراجع معجم البلدان: (٤/ ٤٩).

(٧) يراجع: حسن المحاضرة: (٢/ ٢٦٥).

(٨) هو: الشيخ عبد الله مصطفى المراغي -شقيق شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي- في (٢/ ٤٤) الناشر محمد أمين، بيروت، ط/ الثانية، ١٣٩٤هـ.

الأوائل من تراث؛ لمحاولة فهمه، أو اختصاره، أو شرحه، أو جعل الحواشي عليه.

والصواب: أن ما استدل به لا يصلح أن يكون دليلاً لما ذهب إليه للآتي:

١- أن ما فعلوه ليس نقصًا، ولا عيبًا في حقهم، بل يدل على تمكنهم ومقدرتهم العلمية الفائقة التي استطاعوا بها أن يحفظوا لنا مصنفات السابقين مما اعتراها من نكبات المغول، وما تعرضت له تلك المصنفات من حرق أو غرق.

٢- أن العلماء في هذا العصر لم يكونوا يقتصرون على هذا النوع من المؤلفات، بل كانوا أرباب مؤلفات مستقلة، ليست اختصارًا ولا شرحًا، تعد فريدة في بابها من حيث الابتكار، والتجديد والتي من بينها المعاجم اللغوية، مثل تهذيب الأسماء واللغات للنووي، كما ظهرت في هذا العصر الموسوعات العلمية مثل: نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري في ثلاثين مجلد[1].

وأخيرًا: ما هو دور القرافي في هذه الحياة العلمية؟ والجواب: لقد تأثر القرافي بهذه الحياة العلمية، وأثر فيها.

أما عن تأثره: فقد أتيح له أن يتلقى العلم عن علماء كبار أجلاء، كانوا قد وجدوا في مصر في عصره، سواء نشأوا في مصر أصلاً، أو نزحوا إليها بعد غارات التتار من بغداد والشام.

وهذا كفل للقرافي أن يأخذ كل علومه التي تعلمها في مصر، وأغناه عن الترحال إلى خارج مصر كما فعل غيره من العلماء.

وأما عن تأثيره: فيمكن الإشارة إليه في النقاط الآتية:

---

(١) يراجع: العقد المنظوم في الخصوص والعموم للقرافي (رسالة دكتوراة منشورة) (١/ ٢٢-٢٣)، للباحث: أحمد الختم عبد الله، دار الكتبي، القاهرة، ط/ أولى، ١٤٢٠هـ.

١- ما وليه القرافي من تدريس بعدد من مدارس العلم في هذا العصر، فكان يدرس بجامع عمرو، وبمدرسة طيبرس[١]، ومات وهو مدرس بالمدرسة الصالحية[٢].

٢- تخرج عليه تلاميذ، كان لهم دور بارز في العلم ونشره، ولا زالت آثارهم شاهدة عليهم، أمثال ابن الشاط، وابن بنت الأعز، والبَقُّوري، وغيرهم، مما سيأتي إن شاء الله في تلاميذ الشيخ.

٣- ما تركه لنا من مؤلفات علمية، جاوزت الثلاثين، منها ما لم يسبق إليه، ككتاب العقد المنظوم في الخصوص والعموم، ومنها ما هو موسوعة علمية كبيرة، ككتاب الذخيرة في الفقه المالكي.

وعلى حد تعبير صاحب الديباج: وقد صارت مصنفاته مسير الشمس، ورزق فيها الحظ السامي عن اللمس، وانعقد على كمالها الإجماع وتشنفت[٣] بسماعها الأسماع[٤]. وسيظهر لنا جزء من ذلك عند التعرف على حياته وسيرته العلمية، وعرض حاله على العقيدة من جهود.

---

(١) أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش، بجواز الجامع الأزهر، وجعلها مسجدًا لله تعالى زيادة في الجامع الأزهر، وقرر بها دروسًا للفقهاء الشافعية، المواعظ والاعتبار (٣/ ٤٨٨)، ولا زالت هذه المدرسة إلى الآن، وهي في مدخل الجامع الأزهر، من جهة الباب المطل على ميدان الأزهر.

(٢) يراجع: الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي: (٦/ ٢٣٣)، دار صادر، بيروت، ١٣٩٢هـ.

(٣) يقال: شنف الآذان بكلامه، أمتعها به، المعجم الوسيط (١/ ٤٩٨) ط/ مجمع اللغة العربية سنة ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

(٤) الديباج المذهب (ص٦٤).

المطلب الرابع
الحياة الدينية في عصر القرافي

العصر الذي كان يعيش فيه الإمام القرافي كان فيه اتباع الديانات الثلاث: الإسلام، اليهودية، والنصرانية.

ولا بد لنعلم مدى الدور الذي قام به القرافي في الدفاع عن العقيدة، أن نعلم الحالة الدينية عند اتباع كل ملة من الملل الثلاث، ونظرة كل ملة إلى غيرها.

أولاً: عند المسلمين:

١- ما تعرض له المسلمون -آنذاك- من تدهور في الحياة السياسية، والاجتماعية، وما لاقوه من غارات الصليبين، والتتار ينبئ بأن بعدًا، كان بين المسلمين ودينهم، ويدلنا على هذا، أن الشيخ العز بن عبد السلام دخل يوم عيد على الملك الصالح أيوب فقال: يا أيوب ما حجتك إذا قال لك الله: ألم أبوئ لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟ ... الحانة الفلانية يباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، فقال: يا سيدي هذا ما عملته أنا، وإنما هو موجود من أيام أبي، فقال: أنت من الذين يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة؛ ثم أمر السلطان بإبطال ذلك[١].

لكن المسلمون، وإن بعدوا شيئًا، فسرعان ما كانوا يرجعون إلى المسار الصحيح، ولا سيما إذا نزل بهم خطب، أو قادح، حتى يفرج الله عنهم ما هم فيه[٢].

---

(١) يراجع: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٢١١، ٢١٢)، ت: د/ عبد الفتاح محمد الحلو، ود/ محمود الطناحي دار هجر للطباعة، الجيزة، ط/ الثانية، ١٩٩٢م.
(٢) يراجع: البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٤).

٢- كان للمعتزلة والباطنية في هذا العصر صولة وقوة أما المعتزلة: فقد وصل بهم الحال أنهم في عصر العزيز ابن صلاح الدين الأيوبي صاحب مصر، كانوا معلميه وعشراءه وخلطاءه، الأمر الذي سول لهم أن يأمروه بأن يخرج علماء أهل السنة -وعلى الأخص- الحنابلة خارج بلاده، وأن يكتب لإخوته بذلك، ولقد هم وما فعل؛ لأن أجله وافاه قبل ذلك[١].

وأما الباطنية، فقد كان نفوذهم قويًا، ففي مصر وغيرها مكثت دولتهم ما يزيد عن مائتي عام، وهذا يعني أنه وإن انقضت دولتهم، فإن فكرهم كان كامنًا في عقول الناس.

وليس خافيًا ما فعله ابن العلقمي من إسقاط الخلافة ببغداد، وما كان يرغب فيه من جعلها شيعية باطنية، ولنفوذ الباطنية أثره في كثرة الصراعات والخلافات بينهم وبين أهل السنة -في ذلك الوقت- مما كان سببًا في إحداث القلاقل[٢].

وأما اليهود والنصارى:

فقد كان تعصبهم لدينهم قويًا وكانت شوكتهم قوية، وذلك للآتي:

١- أنهم كانوا كثرة بالبلاد الإسلامية، وعلى الأخص في بلاد الشام[٣].

٢- لما استولى التتار على البلاد، وأعملوا فيها السيف، ازداد نفوذ اليهود والنصارى؛ لأنهم كان بينهم وبين هولاكو فرمان أمان، ولذا لما دخل التتار بغداد لم ينج من سيفهم إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا، وفي دمشق عظم التتار

---

(١) يراجع: البداية والنهاية (١٣/ ٢٤).
(٢) يراجع: المرجع السابق (١٣/ ٢٦).
(٣) السابق: (١٢/ ٢٨٨).

دين النصارى، فصالت لهم صولة وجولة[١].

٣- ما كان فيه المسلمون من شغل بما يصيب البلاد من حين لآخر، مع ما يقرره الإسلام من رعاية لأمن هؤلاء والاعتبار بهم. فازداد نفوذهم، مما كان له بالغ الأثر على المسلمين، فلم ينظر اليهود والنصارى إلى الإسلام نظرة الإسلام إليهم، بل بادءوه العداء كلما واتتهم الفرصة.

ففي سنة ٥٧٣هـ حضر قوم من مسلمي المدائن[٢] إلى بغداد، وشكوا من يهودها، وقالوا: لنا مسجد نؤذن فيه، ونصلي، وهو مجاور لكنيستهم، فقال اليهود: قد آذيتمونا بكثرة الأذان .. فاختصموا، وكانت فتنة استظهر فيها اليهود[٣].

وفي دمشق سنة ٦٥٨هـ لما استولى التتار على المدينة، عظم التتار النصارى فدخلوا دمشق، ومعهم صليب منصوب، يحملونه على رءوس الناس، وهم ينادون قائلين: ظهر الدين الصحيح دين المسيح، ويذمون دين الإسلام، وأهله، ومعهم أوان فيها خمر، لا يمرون عند باب مسجد إلا رشوا عنده خمرًا.. ووقف

---

(١) السابق: (١٣/ ٢٨٨، ٢٤٨).

(٢) المدائن: هي سبع مدن، وقيل: خمسة، بناها ملوك فارس على حافتي نهر دجلة بالعراق الشرقية والغربية. سميت بذلك؛ لأن كل واحد منهم كان إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها، وسماها باسم يخصها، وأول مدينة بنيت في عهد أنوشروان بن قياذ من ملوك فارس، يراجع: معجم البلدان: (٥/ ٧٤، ٧٥)، الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد عبد العظيم الحمبري (ص٥٢٦) ت/ د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر، بيروت، ط/ الثانية، ١٩٨٠م.

(٣) يراجع الكامل في التاريخ، لابن الأثير، (١٠/ ٨٩)، ت: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الثانية، ١٤١٥هـ.

خطيبهم فمدح دين النصارى وذم دين الإسلام وأهله[١].

ولم يقف كيد اليهود والنصارى بالإسلام وأهله عند هذا، بل تجاوزوا ذلك إلى كتابة الطعون ضد الإسلام، ففي مصر زمن الإمام القرافي كتب بعض النصارى رسالة يستدل فيها من القرآن على صحة دين النصارى، ويطعن في نبوة محمد ﷺ[٢]، ويبدو أن صولة اليهود والنصارى لم تكن قوية في المشرق الإسلامي فقط، بل كانت قوية أيضًا في المغرب فإذا ولينا وجوهنا شطر الأندلس وجدنا أهل الكتاب هناك يكيلون للإسلام والمسلمين، بما يكيل به أهل الكتاب في بلاد المشرق الإسلامي.

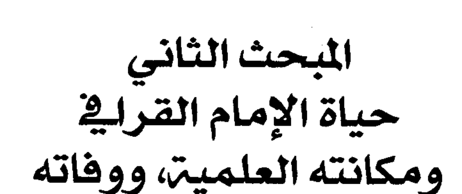
ففي عصر الإمام القرطبي المحدث (ت ٦٥٦هـ) كتب النصارى هناك رسالة يطعنون فيها على الإسلام وينالون فيها من المسلمين[٣] ومجتمع هذا حاله، من ضعف صلة المسلمين بدينهم، وتناحر بين فرقهم، وقوة صولة أهل الكتاب، واتحاد كلمتهم على طمس معالم الإسلام، يحتم على علماء الأمة وقتها، أن يتنبهوا لما يراد بهم فيتصدوا له، وقد فعلوا، والإمام القرافي نموذج من النماذج التي دافعت عن دينها في تلك الآونة.



(١) يراجع: البداية والنهاية (٢٤٨).

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة، للقرافي (ص٣) دار الكتب العلمية -بيروت- ط/ أولى، ١٤٠٦هـ.

(٣) يراجع: الإعلام بما دين النصارى من الفساد والأوهام: (١/ ٤٣).



المبحث الثاني
حياة الإمام القرافي ومكانته العلمية، ووفاته

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه وشهرته، نسبته، مولده ونشأته

المطلب الثاني: شيوخه - تلاميذه - مهامه العملية

المطلب الثالث: مؤلفاته. ثناء العلماء عليه، اهتمامه بالدفاع عن العقيدة، وفاته

المطلب الأول
اسمه ونسبه - كنيته ولقبه - شهرته
نسبته - مولده ونشأته

اسمه ونسبه[(١)]:

أحمد بن العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين[(٢)] الصِّنهاجي، البهفشيمي، البوشي، البهنسي، الصعيدي، المالكي، المصري، الإمام العلامة، وحيد عصره، وفريد دهره، أحد الأعلام المشهورين والأئمة المذكورين، الإمام الحافظ شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، البارع في الفقه

---

(١) يراجع: سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٧/ ٢٩٢)، الوافي بالوفيات: (٦/ ٢٣٣)، الديباج المذهب: (٦٢، ٦٣)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي: (١/ ٢٣٢، ٣٣٣) ت د/ محمد محمد أمين، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، ط/ الهيئة المصرية العامة، بدون تاريخ. الروض المعطار في خبر الأقطار: (ص٤٦٠)، حسن المحاضرة: (١/ ١٤٢)، درة الحجال في أسماء الرجال لأبي العباس المكناس: (١/ ٨)، ت/ محمد الأحمدي، دار التراث - القاهرة، ط/ الأولى، ١٣٩٠هـ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة: (١/ ١١، ٢١، ٧٧)، دار الكتب العلمية، بيروت. الكنى والألقاب للقمي: (٣/ ٥٩)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/ الثانية ١٤٠٣هـ، شجرة النور الزكية لمحمد محمد مخلوف، (ص١٨٨) دار الفكر، بيروت، الفتح المبين في طبقات الأصوليين: (٢/ ٨٦، ٨٧)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي: (١/ ١٢٧، ١٣٥، ١٦١)، ت/ محمد شرف الدين، رفعت الكليسي، دار صادر، بيروت، هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي (١/ ٩٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، معجم المطبوعات ليوسف سركيس: (٢/ ١٥٥١)، مطبعة سركيس - مصر، الأعلام: (١/ ٩٤) وما بعدها، معجم المؤلفين (١/ ١٥٨).

(٢) بياء مثناة من تحت مفتوحة ولام مشددة مكسورة، وياء ساكنة من تحت ونون ساكنة، والديباج المذهب: (ص٦٦). ولعل هذا الاسم مغربي؛ لأن القرافي مغربي الأصل، فلعله جد للقرافي.

والأصول، والعلوم العقلية، وعلم الكلام، والنحو، وغيره من العلوم.

كنيته ولقبه:

يكنى بأبي العباس، ويلقب بشهاب الدين، وقد أجمعت كتب التراجم التي ترجمت للشيخ على ذلك[١].

أما كنيته بأبي العباس: فلم تذكر كتب التراجم لها سببًا: إذ لم تذكر شيئًا عن حياته، وهل له أولاد أو لا، فلعله كنى بذلك لوجود ولد له، كان يسمى بذلك، أو بناء على ما كان معتادًا من أنه كان يكنى الشخص بأبي فلان قبل زواجه تيمنًا بهذا، أو هي عادة المشارقة من أن الكنى تواكب الأسماء سواء أكان ولا بهذا الاسم أو لا[٢].

وأما لقبه بشهاب الدين:

فلم تذكر كتب التراجم لذلك سببًا، وإن اتفقت على تلقيبه بذلك فلعله كمواكبة الكنى للأسماء.

شهرته:

اشتهر بالقرافي حتى صارت الشهرة علمًا عليه، وكل من ترجم له ذكره بهذه الشهرة، وقد اختلفت كلمة المترجمين له في سبب شهرته بالقرافي، فقال بعضهم: لما أراد الكاتب أن يكتب اسمه في الدرس، وكان القرافي حينئذ غائبًا، فلم يعرف اسمه وكان إذا جاء للدرس، يقبل من جهة القرافة[٣] فقالوا: اكتبوه القرافي،

---

(١) الديباج المذهب: (٦٢، ٦٣)، المنهل الصافي: (١/ ٢٣٢، ٢٣٣) الكنى والألقاب (٣/ ٥٩) وغيرها.

(٢) ينظر: العقد المنظوم في الخصوص والعموم [رسالة دكتوراة] (١/ ٣٠).

(٣) القرافة بالفسطاط من مصر، كانت لبنى غصن بن سيف بن المعافر من المغرب، نزلوها، فعرفت بهم، وهي مقبرة أهل مصر، يراجع: معجم البلدان: (٤/ ٢١٧)، الروض =

فكتب القرافي فلزمته هذه النسبة[١].

وقال بعضهم اشتهر بالقرافي؛ لأنه عند تفريق الجامكية[٢] بمدرسة الصاحب بن شكر سئل عنه، فقيل: هو بالقرافة، أو توجه إلى القرافة فقيل: اكتبوه القرافي، فلزمه ذلك.

وأصحاب هذا الرأي ينفون كون القرافي سكن بالقرافة، فيقولون: نسب إلى القرافة، ولم يسكنها[٣].

والصواب: ما ذكره القرافي نفسه عندما تكلم عن صيغ العموم المستفادة من النقل العرفي، دون الوضع اللغوي، كأسماء القبائل التي كانت أسماءً لأشخاص معينين من الآدميين كالقرافة.

فقال: هي اسم لجده القبيلة المسماة بالقرافة، نزلت هذه القبيلة بصقع من أصقاع مصر لما اختطها عمرو بن العاص، ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم، فعرف ذلك الصقع بالقرافة ... واشتهاري بالقرافي ليس لأجل أني من سلالة هذه القبيلة،

=

المعطار في خبر الأقطار (ص٤٦٠)، لب الألباب في تحرير الأنساب، للسيوطي (ص٢٥٠) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(١) الديباج المذهب (٦٦)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٧٨).

(٢) الجامكية: هي العطايا التي كانت تمنحها الدولة لطلاب العلم، والفقهاء، وكانت أحيانًا تفرق بين الفقراء والعامة، يراجع: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للجبرتي (١/ ٤٩٧)، (٢/ ٤٦٢)، دار الجيل، بيروت.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٩٢)، الوافي بالوفيات: (٦/ ٢٣٣)، المنهل الصافي (١/ ٢٣٣).

بل للسكن بالبقعة الخاصة مدة يسيره، فاتفق اشتهاري بذلك[١].

وليس خافيًا أن ما ذكره القرافي من كونه اشتهر بذلك لسكناه البقعة المعروفة بالقرافة، فيه شيء يعتمد عليه أصحاب الرأي الأول، كما أن فيه إبطالاً لما ذهب إليه أصحاب الرأي الثاني من أن القرافي لم يسكن القرافة.

نسبته:

ذكر المترجمون للقرافي نسبًا مختلفة، ومعرفة نسبة الإنسان تزيد في المعرفة به، ولذلك يلزم أن تذكر هذه النسب بشيء من الإيجاز.

١- **الصُّنْهاجي**: نسبة إلى صنهاجة قبيلة مشهورة بالمغرب[٢]، وصفها ابن خلدون بأن أهلها في شظف من العيش، يفقدون الحبوب والآدم جملة، وأقواتهم الألبان واللحوم.. هم أحسن حالاً من أهل التلول المنغمسين في العيش، ألوانهم أصفى، وأبدانهم أنقى، وأخلاقهم أبعد من الانحراف، وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات[٣].

وقد ذكر الإمام القرافي أنه من صنهاجة الكائنة بقطر مراكش[٤] بأرض

---

(١) العقد المنظوم، للقرافي (٣١٧-٣١٩)، ت/ الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٢) يراجع: الأنساب للسمعاني (٣/ ٥٦٠)، ت/ عبد الله عمرو البارودي، مركز الخدمات الثقافية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٣) يراجع مقدمة ابن خلدون (ص١٢٠)، ت د/ حامد طاهر، دار الفجر، القاهرة، ط/ أولى، ١٤٢٥هـ.

(٤) مُرَّاكُش: من أعظم مدن المغرب الأقصى بناها يوسف بن تاشفين الملقب بأمير المؤمنين في حدود سنة ٤٧٠هـ سميت بذلك؛ لأنها بنيت في موضع مخافة يقطع فيه اللصوص على القوافل، فكانت القوافل إذا انتهت إلى هذا الموضع قالوا: مراكش: أي أسرع المشي بالبربرية، يراجع: معجم البلدان (٤/ ٨١) الروض المعطار في خبر الأقطار (ص٥٤٠، ٥٤١).

المغرب ونسبة القرافي إلى صنهاجة، إنما هي باعتبار أصوله، وأجداده، لأن القرافي مولود بمصر يقول القرافي: «وإنما أنا من صنهاجة الكائنة في قطر مراكش بأرض المغرب، ونشأتي، ومولدي بمصر»[١].

٢- **البهفَشِيمي**: نسبة إلى قرية من قرى صعيد مصر الأسفل تعرف ببهفشيم[٢].

٣- **البوشي**: نسبة إلى مدينة بوش بصعيد مصر، والتي تنتمي إليها قرية بهفشيم، والذي نسبه إليها هو الذهبي في سير أعلام النبلاء[٣].

٤- **البَهْنسي**: نسبة إلى البهنسا، مدينة بمصر من الصعيد الأدنى، غربي النيل[٤] ولعلها اسم للإقليم الذي يضم قرية بهفشيم، ومدينة بوش.

٥- **الصعيدي**: والنسبة إليه واضحة، لأن إقليم البهنسا، وقرية بهفشيم،

---

(١) العقد المنظوم (٣١٩).

(٢) الوافي بالوفيات: (٦/ ٢٣٣)، المنهل الصافي (١/ ٢٣٣).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٢٩٢).

(٤) معجم البلدان: (١/ ٥١٦)، وهي بلدة تقع بين بحر يوسف وصحراء ليبيا، وهي تابعة لمركز بني مزار بمحافظة المنيا بجمهورية مصر العربية اليوم، وكانت قديمًا ذات شهرة ذائعة، وكانت من أعظم المدن حتى يقال: إن المسيح عليه السلام وأمه أقاما بالقرب منها سبع سنوات خلال إقامتهما بمصر، ويقال: إنه كان بها قبل الإسلام مائتان وستون كنيسة .. اشتهرت بصناعة النسيج منذ العصور الوسطى يقول الإدريسي: وبهذه المدينة كانت ينسج للخاصة الستور المعروقة بالبهنسية، والمقاطع الكبار، والثياب المتخيرة، وبها طرز للعامة، اهـ وقد اضمحلت تدريجيًا بسبب طغيان رمال الصحراء، وهي الآن قرية صغيرة، ولكنها تحتفظ بالقداسة في نفوس الجماهير؛ لما شاع من أن بها كثيرًا من شهداء المسلمين.

ينظر: مجلة الهدى الإسلامي الصادرة عن الهيئة العامة للأوقاف الليبية (ص٤٨) تحت عنوان: علماء معلمون «القرافي» العدد الثالث عشر رمضان ١٣٩٣هـ أكتوبر ١٩٧٣م.

ومدينة بوش بصعيد مصر، وقد نسبه إلى هذه النسبة الذهبي في سير أعلام النبلاء[١].

وقد ذهب بعض الباحثين[٢] إلى أن النسبة إلى بهفشيم، نسبة مغربية وليست مصرية، مستندًا إلى ما جاء في الديباج المذهب[٣]، والفتح المبين[٤]، وهدية العارفين[٥] من أن النسبة إلى بهفشيم لعلها مغربية.

ولكن ما ذهب إليه جانب الصواب للآتي:

١- أني لم أجد بطنًا من بطون صنهاجة بالمغرب، تسمى ببهفشيم حتى يصح القول بأنها قبيلة من قبائل هؤلاء القوم.

٢- أن ما ذكره أصحاب التراجم من نسبته إلى بهفشيم، وبوش، والبهنسا والصعيد، كل ذلك يؤيد أن هذه النسبة مصرية أصيلة؛ لوجود كل هذه الأماكن بمصر مع عدم وجودها بالمغرب.

٦-٧- المصري، المالكي:

أما المصري: فباعتبار مولده بمصر، وقد صرح هو بذلك فقال: ومولدي ونشأتي بمصر[٦].

وأما المالكي: فنسبة إلى مذهبه، الذي كان يتمذهب به، وهو المذهب

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٩٢).
(٢) الباحث محمد أمان في رسالته: الإمام شهاب الدين القرافي وأثره في أصول الفقه (١/ ٣٠) رسالة ماجستير بكلية الدراسات الإسلامية بالقاهرة، تحت رقم (٨٠١).
(٣) الديباج المذهب (٦٧).
(٤) الفتح المبين (٢/ ٨٦، ٨٧).
(٥) هدية العارفين (١/ ٩٩).
(٦) العقد المنظوم: (٣١٩)، وينظر: كشف الظنون (٢/ ١١٥٣)، الأعلام (١/ ٩٥).

المالكي، وقد أتقنه الإمام القرافي، حتى انتهت إليه رئاسة المالكية في عصره[(١)].

مولده ونشأته:

ولد الإمام القرافي بالبهنسا بمصر عام ٦٢٦هـ[(٢)] ونشأ نشأة علمية، فحفظ القرآن في صغره في بلدته الأولى بهفشيم ويدل على ذلك ما ذكره الصفدي إذ يقول:

وحكى لي بعضهم: أنه رأى له مصنفًا كاملاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨] صنفه بعنوان: (وما جعلناهم بشرًا لا يأكلون الطعام)، فلما قيل له عن ذلك بعد أن خرج عن بلده، اعتذر بأن الفقيه لقنه كذلك في الصغر[(٣)].

وبعد حفظه للقرآن الكريم ببلدته رحل عنها إلى القاهرة، وبها التقى بجمع كبير من العلماء أفاد منهم كثيرًا، والتحق بمدرسة الصاحب بن شكر، وصار أحد تلاميذها الذين تجرى عليهم الجيرايات فيها[(٤)] وكان القرافي ذا همة عالية في طلب العلوم، لم تكن عند غيره من أبناء عصره فجد في طلب العلوم، حتى بلغ الغاية القصوى، ويدلك على علو همته في التحصيل، ما قيل عنه: إنه حصل أحد عشر علمًا في ثمانية أشهر، أو ثمانية علوم في أحد عشر شهرًا[(٥)].

واستمر القرافي على هذا المنوال، حتى فاق الأقران، وأشير إليه بالبنان.

---

(١) يراجع: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٩٢)، الديباج المذهب (ص٦٢)، الكنى والألقاب: (٣/ ٥٩)، الفتح المبين (٢/ ٨٦).
(٢) العقد المنظوم: (ص٣١٩) الفتح المبين (٢/ ٨٦).
(٣) يراجع: الوافي بالوفيات: (٦/ ٢٣٦).
(٤) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٣٣)، المنهل الصافي (١/ ٢٣٣).
(٥) الديباج المذهب: (٦٢، ٦٣).

المطلب الثاني
شيوخه، تلاميذه، مهامه العلمية

أولاً: شيوخه:

أخذ الإمام القرافي علومه عن كثير من العلماء الذين كانت تزخر بهم مصر في وقته، وتعددت علومه التي حصلها؛ نظرًا لاختلاف مشاربه.

ولقد برع في علوم النقل، والعقل؛ بسبب أنه أخذ عن أكبر علماء عصره، وسنقتصر في ذكر شيوخه على ما ذكره القرافي نفسه، وبعض ما ذكرته كتب التراجم التي ترجمت له، وسنبدأ بأكثر الشيوخ تأثيرًا في الشيخ، ثم من يليه في ذلك بدون مراعاة عام الوفاة.

١ - العز بن عبد السلام(١):

هو أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، الدمشقي، المصري، الشافعي، وحيد عصره، الملقب بسلطان العلماء.

ولد بدمشق عام ٥٧٧هـ، ونشأ بها، وأخذ الفقه عن فخر الدين بن عساكر، حتى برع فيه على مذهب الشافعي، وأخذ الأصول عن الآمدي.

جمع بين فنون العلم: التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعربية، واختلاف أقوال الناس، ومآخذهم حتى قيل: إنه بلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد.

ولي خطابة مسجد دمشق، ففرح الناس به فرحًا كثيرًا؛ لأنه لم يصعد منبره

---

(١) يراجع في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧٠١٤)، طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٠٩-٢٤٨)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٦٤)، طبقات الشافعية (٢/ ١٠٩-١١١)، حسن المحاضرة (١/ ١٤١، ١٤٢).

أعلم منه، وكان آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، يغلظ على الملوك فمن دونهم.

أقام بدمشق، وعندما أعطى ملكها «الملك الصالح إسماعيل» قلعه الشقيف[(١)] وصَفَد[(٢)] للفرنج، وتعاون معهم، نال منه الشيخ على المنبر، ولم يَدْعُ له، فغضب منه الملك وعزله وسجنه، ثم أطلقه فتوجه إلى مصر فتلقاه صاحبها: الملك الصالح أيوب، وأكرمه، وفوض إليه قضاء مصر مع خطابة جامع عمرو، وأقام بمصر عشرين سنة، انتفع به الناس الخواص والعوام، ولما قدم مصر بالغ الحافظ المنذري في تعظيمه، وامتنع عن الإفتاء لأجله، وقال: كنا نفتي قبل حضوره، أما بعد حضوره، فالفتيا متعينة فيه.

وقد حكى عنه: أنه أفتى بشيء مرة، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنادى في مصر والقاهرة، أنه من أفتاه العز بن عبد السلام بكذا فلا يعمل به؛ فإنه أخطأ.

له مصنفات كثيرة ماتعة منها: القواعد الكبرى، والقواعد الصغرى، شرح أسماء الله الحسنى، وله كتاب في التصوف، أخذ التصوف عن أبي الحسن الشاذلي، وكان يعظمه، ولبس خرقة التصوف عن الشهاب السهرودي فضلاً عن تفسيره النافع الماتع، لازمه القرافي بعد قدومه مصر، وأخذ عنه أكثر علومه[(٣)] وانتفع به كثيرًا، وذكره في معظم كتبه، وأثنى عليه كثيرًا.

ومن ذلك قوله: «ولقد حضرت يومًا عند الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان من أعيان العلماء، وأولى الجد في الدين، والقيام بمصالح المسلمين، خاصة

---

(١) الشقيف: قلعة حصينة جدًا في كهف من جبل، قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل. وتسمى شقيف أرنون، يراجع: معجم البلدان (٣/ ٣٥٦).

(٢) صَفَد: مدينة في جبال لبنان المطلة على حمص بالشام. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٤١٢).

(٣) الديباج المذهب (٦٣)، حسن المحاضرة (١/ ١٤٢)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٦)، معجم المطبوعات (٢/ ١٥٠٢).

وعامة، والثبات على الكتاب والسنة، غير مكترث بالملوك فضلاً عن غيرهم، لا تأخذه في الله لومة لائم، فقدمت إليه فتيا فيها: ما يقول السادة أئمة الدين -وفقهم الله- في القيام الذي أحدثه أهل زماننا مع أنه لم يكن في السلف، هل يجوز أو لا يجوز أو يحرم؟ فكتب إليه في الفتيا: قال رسول الله ﷺ: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[١] وترك القيام في هذا الوقت يفضي إلى المقاطعة، والمدابرة»[٢].

هذا، ولم يخل مصنف للقرافي على ما قرأت من كتبه، إلا وذكر فيه العز بن عبد السلام مع الثناء عليه، ولقد حاز أكثر الذكر من شيوخ القرافي في كتبه[٣] مما يدل على أنه أكثر الشيوخ نفعًا له، وتأثيرًا فيه.

مات العز بن عبد السلام في عاشر جمادى الأولى سنة ٦٦٠هـ وشهد جنازته الخاص والعام، ودفن بالقرافة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأدب، باب: ما ينهى عنه من التحاسد والتدابر، حديث رقم (٥٧١٨) صحيح البخاري: (٥/ ٢٢٥٣)، ت د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٧هـ.

وأخرجه مسلم في صحيحه: ك البر والصلة، باب: تحريم التحاسد والتباغض. رقم (٢٥٥٩). صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٣)، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ، عن أنس.

(٢) الفروق للقرافي (٤/ ١٣٨٩)، ت د/ محمد أحمد سراج، د/ علي جمعة محمد، دار السلام، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ.

(٣) ينظر: الفروق (١/ ١٧٤، ١٨٩، ٢١٢، ١٩٣، ٢٧٤)، ذكره في الفروق قريبًا من عشرين مرة، نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي ت/ عبد القادر عطا، العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٢١هـ. (١/ ٢٩٩، ٣٥١) ذكره فيه حوالي خمس عشرة مرة، وهكذا في كل كتبه يذكره ويصرح بالسماع، والأخذ عنه.

٢- جمال الدين ابن الحاجب(١):

أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، الكردي، الإسنائي -المولد- المالكي، الشيخ العالم العلامة، المقرئ، الأصولي، الفقيه، جمال الأئمة والملة والدين.

ولد سنة ٥٧٠هـ بإسنا بصعيد مصر، وكان أبوه حاجبًا للأمير عز الدين موسك الصلاحي، ومن ثم عرف بابن الحاجب، اشتغل بالقرآن في صغره بالقاهرة، ثم بالفقه المالكي، ثم بالعربية، والقراءات، وبرع في علومها، وأتقنها غاية الإتقان، وأخذ عن الشاطبي، وبهاء الدين بن عساكر، وأبي الحسن الأبياري، وعليه اعتماده.

كان من أذكياء العلماء، رأسًا في العربية، وعلم النظر، استوطن مصر، ثم استوطن الشام، ودرس بجامع دمشق، ثم رحل إلى مصر مع العز بن عبد السلام وتصدر بها، ثم رحل إلى الإسكندرية وأقام بها، وكان ثقة حجة، عفيفًا منصفًا، محبًا للعلم وأهله، ناشرًا له، صبورًا على البلوى، محتملاً للأذى. صنف التصانيف المفيدة منها: كتاب الجامع بين الأمهات في الفقه، وقد مدح العلماء هذا الكتاب وعظموه حتى قيل عنه: ليس للشافعية مثل مختصر ابن الحاجب للمالكية، وله الكافية في النحو، والشافية في الصرف، وشرحهما وله مختصر في أصول الفقه، وغيرها. وكل تصانيفه في غاية الحسن والإفادة، وله شعر حسن، منه:

---

(١) ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٦٤، ٢٦٦)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٠) الديباج المذهب (١/ ١٨٩، ١٩١)، ذيل التقيد، لأبي الطيب القاسمي (٢/ ١٧١)، ت: كمال الحوت، العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤١٠هـ.

وكان ظني بأن الشيب يرشدني إذا أتى فإذا غيٌّ به كثرا

ولست أقنط من عفو الكريم وإن أسرفت فيها وكم عفى وكم سترا؟!

إن خص عفو إلهي المحسنين فمن يرجو المسيء ومن يدعو إذا عثرا؟!

أخذ عنه القرافي لما قدم مصر(١)، وكان يذكره كثيرًا في كتبه، ويثني عليه، ومن ذلك لما تكلم عن اعتراض الشرط في الشرط، ذكر بيتين.

ما يقول الفقيه - أيده الله ولا زال عنده إحسان

في فتى علق الطلاق بشهر قبل ما قبل قبله رمضان؟

ثم قال: وقد وقع هذا البيت الأخير لشيخنا الإمام الصدر، العالم، جمال الفضلاء، ورئيس زمانه في العلوم وسيد وقته في التحصيل والفهوم، جمال الدين، الشيخ أبي عمرو بأرض الشام، وافتى فيه، وتفنن وأبدع فيه، ونوع رحمه الله، وقدَّس روحه الكريمة(٢).

توفي ابن الحاجب بالإسكندرية، ضحى يوم الخميس، السادس والعشرين من شوال سنة ٦٤٦هـ، وقبره خارج باب البحر.

٣- شمس الدين الخُسْرَوْشاهي(٣):

عبد الحميد بن عيسى بن عمويه بن يوسف، شمس الدين، أبو محمد، الخسروشاهي، العلامة الفقيه الأصولي المتكلم ولد بخُسْرَوشاه(٤) سنة ٥٨٠هـ

---

(١) شجرة النور الزكية (١٨٨)، الفتح المبين (٢/ ٨٦).

(٢) الفروق: (١/ ١٥٤، ١٥٥)، ويراجع: نفائس الأصول: (١/ ٣٠) (٢/ ٤٤٢، ٤٦٠).

(٣) ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ١٦١، ١٦٢)، البداية والنهاية (١٣/ ٢١٠)، طبقات الشافعية (٢/ ١٠٨)، النجوم الزاهرة (٧/ ٣٢)، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٥).

(٤) بلدة صغيرة بينها وبين تبريز ستة فراسخ، تابعة لمرو. يراجع: معجم البلدان (٢/ ٢٧١)، طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٦١).

سمع الحديث من المؤيد الطوسي، وقرأ على فخر الدين الرازي، وأخذ عنه أكثر علومه، وكان يعظم الإمام فخر الدين، يحكي عنه أنه ورد عليه -وهو في دمشق- أعجمي، ومعه كتاب عليه خط الإمام الرازي، فأخذ يقبله، ويضعه على رأسه، ويقول: هذا خط الإمام! كان بارعًا في الفقه والأصول والمعقولات. وكان شيخًا مهيبًا، فاضلاً متواضعًا، حسن الظاهر كيسًا، لم ينقل عنه أنه آذى أحدًا، فإن قدر على نفعه، وإلا سكت.

له مختصر المهذب في الفقه، ومختصر الشفا لابن سينا، وتتمة الآيات البينات.

قدم مصر، فأفاد منه أهلها، وأخذ عنه القرافي علم المعقولات وصرح بالأخذ عنه، وبالسماع منه.

ومن ذلك قوله عند التفرقة بين علم الجنس، وعلم الشخص، واسم الجنس، وعلم الجنس: «هو من نفائس المباحث ومشكلات المطالب، وكان الخسروشاهي لما ورد البلاد يقرره وكان يقول: ما في البلاد المصرية من يعرفه، والظاهر صدقه؛ فإني لم أر أحدًا يحققه إلا هو»[1].

هذا: ولم يشر أحد ممن ترجم للقرافي أنه أخذ عن الخسروشاهي، ولكني بقراءة كتبه وجدته صرح بالأخذ عنه، والسماع منه، بل يذكر أنه قرأ عليه المحصول لفخر الدين الرازي، وأخذ عنه الكثير من المسائل الفقهية، والأصولية[2]. مات شمس الدين في شوال ٦٥٢هـ بدمشق، ودفن بسفح قاسيون.

---

(١) ينظر: شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول، للقرافي (ص٣١) ت/ محمد عبد الرحمن الشاغول، المكتبة الأزهرية -مصر، ٢٠٠٥م، العقد المنظوم (١٠٧).

(٢) يراجع: نفائس الأصول: (١/ ٢٠، وينظر: (١/ ٢٦٥، ٣٥٣) (٢/ ٢٧٠، ٢٧٤، ٣٢٢)، (٣/ ٢٣١، ٢٩٨، ٢٩٩)، العقد المنظوم (١٠٧، ١٣٠).

٤- الحافظ المنذري[(١)]:

أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد، زكي الدين، المنذري، الدمشقي الأصل، المصري المولد، والدار، والوفاة، الإمام العلامة الحافظ المحقق، شيخ الإسلام.

ولد سنة ٥٨١هـ بمصر، ونشأ بها، وسمع الكثير من أبي عبد الله بن محمد الأرتاحي، ومن علي بن المفضل الحافظ، وبه تخرج، انقطع عاكفًا على العلم عشرين سنة، وكان عديم النظير في علم الحديث، على اختلاف متونه، ديِّنًا حجة، ورعًا متحريًا. له مصنفات كثيرة منها: مختصر صحيح مسلم، ومختصر سنن أبي داود، والتكملة لوفيات النقلة، وغيرها.

ولم يذكره أحد في شيوخ القرافي، لكن القرافي صرح بالأخذ منه، والتلقي عنه، وذلك قوله في ذكر رأي المالكية في الست من شوال وأنهم يقولون: «إن تأخيرها عن رمضان أفضل؛ لئلا يتطاول الزمان، فتلحق برمضان عند الجهال»، «قال لي: الشيخ زكي الدين عبد العظيم المحدث ﷺ إن الذي خشي منه مالك رضي الله عنه قد وقع بالعجم»[(٢)] توفي في رابع ذي الحجة سنة ٦٥٦هـ

٥- شرف الدين الكركي[(٣)]:

أبو محمد محمد بن عمران بن موسى بن عبد العزيز بن حزم الشريف

---

(١) يراجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٧١٩)، العبر في خبر من غبر للذهبي (٥/ ٢٣٢)، ت/ د. صلاح المنجد، ط/ الكويت، الثانية ١٩٨٤م، البداية والنهاية (١٣/ ٢٤٠) النجوم الزاهرة: (٧/ ٦٣)، الأعلام (٤/ ٣٠)، معجم المؤلفين: (٥/ ٢٦٤).

(٢) الفروق: (٢/ ٦٣٧)، وينظر: (٣/ ٧٨٨).

(٣) ترجمته في: الديباج المذهب (ص٢٣٢).

الحسيني، المعروف بالشريف الكركي، والملقب بشرف الدين. الإمام العلامة، المتفنن ذو العلوم، شيخ الشافعية، والمالكية بالديار المصرية والشامية في وقته. يقال عنه: إنه أتقن ثلاثين فنًا من العلوم، وقال عنه شهاب الدين القرافي: إنه تفرد بمعرفة ثلاثين علمًا، وشارك الناس في علومهم.

ولد بمدينة فاس من بلاد المغرب، ولازم العز بن عبد السلام، وأخذ عنه المذهب الشافعي، وتفقه على الإمام أبي محمد صالح المالكي، فقيه المغرب في وقته، اشتغل عليه القرافي، ولازمه(١)، توفي بمصر سنة ٦٨٨هـ.

٦- شمس الدين الإدريسي(٢):

محمد إبراهيم بن عبد الله بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، الإدريسي، الحنبلي، قاضي القضاة وشيخ الشيوخ، يكنى أبا بكر، ويلقب بشمس الدين، ولد يوم السبت رابع عشر صفر ٦٠٣هـ بدمشق.

وسمع من طبرزد، وأخذ عن القاسم بن الحرستاني، وغيرهما، ثم رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، وسمع بها من جماعة، وتزوج بها، وولد له.

ثم انتقل إلى مصر، وسكنها إلى أن مات بها، وعظم شأنه، وصار شيخ المذهب الحنبلي علمًا، وصلاحًا، ورياسة، وديانة، وانتفع به الناس وولى القضاة مدة، ثم عزل، وأقام بمنزله يقرئ العلم، ويدرس ويفتي قال عنه الذهبي:

«صار شيخ الإقليم في الأيام الظاهرية، وكان إمامًا محققًا، كثير الفضائل،

---

(١) الديباج المذهب (٦٣، ٢٣٢)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٦).

(٢) يراجع ترجمته في: البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٩)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لبرهان الدين بن مفلح (٢/ ٣٣٤، ٣٣٥)، ت/ عبد الرحمن بن سليمان بن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ أولى ١٩٩٠م. شذرات الذهب (٣/ ٣٥٤).

صالحًا، خيرًا، حسن البشر، مليح الشكل، كثير النفع والمحاسن سمع منه خلق كثيرون».

أخذ عنه القرافي لما نزل مصر، وسمع منه مصنفه: كتاب وصول ثواب القرآن[1]، توفي الإدريسي يوم السبت، ثاني عشر المحرم سنة ست وسبعين وستمائة من الهجرة بالقاهرة، ودفن بالقرافة، وكانت جنازته حافلة.

(١) الديباج المذهب (٦٣) الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٦).

ثانيًا: تلاميذه:

وإذا كان القرافي -رحمه الله- قد تلقى على هؤلاء الشيوخ، وتتلمذ عليهم، وتأثر بهم، فإن له تلاميذ أخذوا العلم على يديه، وتأثروا به، وهؤلاء لا يحصون كثرة[١] منهم:

١- أبو القاسم ابن الشاط[٢]:

قاسم بن عبد الله بن محمد، الأنصاري، السبتي، الملقب بسراج الدين، والمكنى بأبي القاسم، والمعروف بابن الشاط المالكي.

ولد بسبتة[٣] سنة ٦٤٣هـ ونشأ بها، وقرأ على ابن أبي الدنيا، وأبي بكر بن فارس، وغيرهما، ثم رحل إلى مصر، وأخذ عن القرافي وغيره من أهلها، ثم عاد إلى سبتة، فاقرأ بها الأصول، والفرائض، وعنه أخذ معظم أهل الأندلس.

وكان نسيج وحده في أصالة النظر، ونفوذ الفكر، وجودة القريحة، وتسديد الفهم، والاقتصار على الآداب السنية، والتحلي بالوقار، والسكينة، من مصنفاته: غنية الرائض في علم الفرائض، وإدرار الشروق على أنواء البروق للقرافي، والإشراف على أعلى الشرف في التعريف برجال البخاري من طريق الشريف بن أبي علي بن أبي علي الشريف، وغيرها.

توفي بسبتة سنة ٧٢٣هـ.

---

(١) الفتح المبين في طبقات الأصوليين: (٢/ ٨٦).

(٢) يراجع ترجمته في: الديباج المذهب (٢٢٥)، هدية العارفين (١/ ٨٢٩، ٨٣٠)، الأعلام (٥/ ١٧٧)، معجم المؤلفين (٨/ ١٠٥).

(٣) مدينة مشهورة ببلاد المغرب العربي، تقابل جزيرة الأندلس، سميت بذلك؛ لأن سكانها كانوا من اليهود الملتزمين بالسبت، يراجع: معجم البلدان (٣/ ١٨٢، ١٨٣).

٢- قاضي القضاة ابن بنت الأعز[(١)]:

عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر، قاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي القضاة تاج الدين، الشافعي، المصري، المعروف بابن بنت الأعز، وسمي بذلك على تسمية جده لأمه.

ولد في شهر رمضان سنة ٦٣٩هـ، وسمع الحديث من الرشيد العطار، والحافظ المنذري، وقرأ الأصول على الشهاب القرافي، ووضع القرافي كتاب التعليقات على المنتخب لفخر الدين الرازي؛ لأجله[(٢)] وجمع له بين القضاء والوزارة، وولي خطابة الجامع الأزهر، وتدريس الشافعية بالمشهد الحسيني بالقاهرة.

وسار في وزارته أحسن سيرة، ثم عزل وحبس، ثم أطلق سراحه، وأقام بالقرافة مدة، ثم حج، فعاد من حجه ليلي الوزارة مرة أخرى وكان فقيهًا، نحويًا، دينًا، مناظرًا، شاعرًا، محسنًا، مفصحًا، مفوهًا، وافر العقل، وكامل السؤدد، عالي الهمة، عزيز النفس. وهو القائل:

ومن رام في الدنيا حياة خلية ... من الهم والأكدار رام محالاً

وهاتيك دعوى قد تركت دليلها ... على كل أبناء الزمان محالا!

توفي ابن بنت الأعز بالقاهرة، سادس عشر جمادي الأولى، سنة ٦٩٥هـ.

---

(١) يراجع ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى، (٨/ ١٧٢، ١٧٥)، البداية والنهاية (١٤/ ٣٨٦)، طبقات الشافعية (٢/ ١٧٦، ١٧٩) النجوم الزاهرة (٨/ ٨٢-٨٣)، الأعلام (٣/ ٣١٥).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٧٢).

٣- شهاب الدين ابن جبارة[١]:

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد المولى بن جبارة، شهاب الدين، المرداوي، المقرئ، الأصولي، الفقيه، النحوي، المفسر، ولد بمردا -من أعمال نابلس بفلسطين-[٢] سنة ٦٤٨هـ، ثم ارتحل إلى مصر، فقرأ بها القرآن على الشيخ حسن الراشدي، وصحبه إلى أن مات، وقرأ الأصول على الشهاب القرافي، والعربية على بهاء الدين بن النحاس، ثم قدم دمشق، ثم أقام بحلب، ثم بالقدس.

وكان صالحًا متعففًا، خشن العيش، جم الفضائل، له مصنفات منها: شرح الشاطبية في القراءات، فتح القدير في التفسير، وغيرها.

توفي يوم الأحد رابع عشر رجب سنة ٧٢٨هـ بالقدس.

٤- ابن راشد البكري[٣]:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكري، القفصي، المالكي، كان فقيهًا فاضلاً، محصلاً، إمامًا متفننًا في العلوم، مجيدًا في العربية، له باع في تعبير الرؤيا.

ولد بقفصة -من بلاد المغرب- وتعلم بها، ثم رحل إلى تونس فأقام بها زمانًا ملازمًا للاشتغال بالعلم، ثم رحل إلى المشرق، فرحل إلى الإسكندرية، وأخذ عمن فيها، ثم إلى مصر فتفقه على الشهاب القرافي، ولازمه، وانتفع به، وأجازه بالإمامة في أصول الفقه، وأخذ عن ابن دقيق العيد ثم حج في سنة ٦٨٠هـ.

---

(١) يراجع ترجمته في: البداية والنهاية (١٤/ ١٥٥)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١/ ١٧٧، ١٧٨)، كشف الظنون: (٢/ ١١٥٩)، هدية العارفين: (١/ ١٠٧)، الأعلام (٧/ ٢٠٢)، معجم المؤلفين (٢/ ١٢٥، ١٢٦).

(٢) يراجع: معجم البلدان: (٥/ ١٠٤).

(٣) يراجع ترجمته في: الديباج المذهب (٣٤٤، ٣٣٦)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٢/ ١٣٤، ١٣٥)، الأعلام (٦/ ٢٣٤)، معجم المؤلفين (١٠/ ٢١٣، ٢١٤).

ثم رجع إلى المغرب، فتولى قضاء قفصة، ثم عزل، ثم رحل إلى تونس فأقام بها إلى وفاته.

له تصانيف منها: الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب، لب اللباب في فروع المالكية، المرتبة العليا في تعبير الرؤيا، وغيرها، توفي بتونس سنة ٧٣٦هـ.

٥- أبو عبد الله البقوري[1]:

محمد بن إبراهيم البقوري، الأندلسي، المالكي، ولد ببلدة بقُّورة -بلدة بالأندلس- ونشأ بها.

قدم إلى مصر -وهو في طريقه إلى الحج- ومعه مصحف حمل بعير، بعثه ملك المغرب؛ ليوقفه بمكة -فالتقى بشهاب الدين القرافي، وأخذ عنه الأصول، ثم ذهب إلى الحج، وعاد بعد حجه إلى مراكش، وأقام بها إلى أن مات.

له مصنفات منها: ترتيب الفروق للقرافي واختصارها، وحاشية على تنقيح الفصول للقرافي، كتاب إكمال الإكمال للقاضي عياض على صحيح مسلم، توفي بمراكش عام ٧٠٧هـ.

وهؤلاء التلاميذ الذين أخذوا عن الشهاب القرافي، وغيرهم كثير، إنما التقى بهم القرافي أثناء مهامه العلمية التي قام بها، ولذلك كان علينا أن نذكر شيئًا عن تلك المهام.

---

(١) يراجع ترجمته في: الديباج المذهب (٣٢٢، ٢٢٣)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني: (٢/ ٥٢)، ت د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، هدية العارفين: (٢/ ١٤١)، الأعلام: (٥/ ٢٩٧)، معجم المؤلفين: (٨/ ٢١٦).

ثالثًا: مهامُّه العلمية:

لقد قام القرافي بمهام علمية عديدة، كلها تدور حول تدريس العلم، وتعليمه ومن هذه المهام:

أنه ولي التدريس بالمدرسة الصالحية[1] بعد وفاة شرف الدين السبكي، ثم أخذت منه، فوليها قاضي القضاة نفيس الدين، ثم أعيدت إلى القرافي، ومات وهو مدرسها[2]، ودرس بمدرسة طيبرس ودرس بجامع عمرو بن العاص.

ومن خلال تدريسه بهذه المدارس، وبجامع عمرو، أخذ عنه طلاب كثيرون، وتخرج على يديه ما لا يحصى من الطلبة من سائر أقطار الأرض، واكتسب القرافي شهرة، وذاعت مصنفاته على أيدي تلامذته من البقاع المختلفة، وفي الصفحات التالية نتحدث عن تكلم المصنفات والمؤلفات التي خطها الإمام القرافي.



---

(١) بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب، ابتدأ في بناءها عام ٦٤٠ من الهجرة، ورتب فيها دروسًا على المذاهب الأربعة، جعل لكل مذهب فقيهًا، وهو أول من عمل بديار مصر دروسًا للمذاهب الأربعة في مكان واحد، يراجع: المواعظ والاعتبار (٣/ ٣٣٣).

(٢) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٣٣)، الديباج المذهب (٦٣).

المطلب الثالث
مؤلفاته - ثناء العلماء عليه
اهتمامه بالدفاع عن العقيدة - وفاته

مؤلفاته العلمية:

كان الإمام القرافي -رحمه الله تعالى- موسوعة علمية كبيرة، له باع في علوم كثيرة، فهو متكلم مناظر، أصولي بصير فقيه بارع، مفسر متين، لغوي متقن ضليع، بل جاوز هذه العلوم إلى معرفته بصناعة التماثيل والآلات المتحركة[1].

وعالم هذا حاله لا بد وأن تكثر وتتنوع مصنفاته -وقد كثرت- وقاربت الثلاثين مصنفًا، منها ما هو موسوعة علمية كالذخيرة، ومنها ما لم يسبق إليه كالعقد المنظوم، والفروق، وغيرهما.

وقد تحلت مصنفاته كلها بالابتكار، والتميز لغة، وأسلوبًا، وبحثًا، وتنقيبًا، وجمعًا، وتنسيقًا، حتى ألزمت البعيد والقريب بالإذعان لإمامته.

ولو لم يكن له من التآليف سوى كتابه «الفروق» لكفى دليلاً على علو كعبه في العلم، فهو كتاب نسيج وحده، جاء فيه بالعجب العجاب، ولم يأت أحد بعده بمثله وجميع مصنفاته فيها النفائس والدرر وهذا هو سر شهرة مصنفاته، وكثرة إقبال أهل العلم عليها، مما جعل ابن فرحون يقول عنها:

«سارت مصنفاته مسير الشمس، ورزق فيها الحظ السامي عن اللمس، مباحثه كالرياض المونقة، تتنزه فيها الأسماع دون الأبصار، ويجني الفكر ما بها من أزهار، وثمار، كم حرر مناط الإشكال؟ وفاق أضرابه النظراء والأشكال؟

---

(١) ينظر: نفائس الأصول: (١/ ١٩٢).

ألف كتبًا مفيدة، انعقد على كمالها الإجماع، وتشنفت بسماعها الأسماع[(١)].
فمصنفاته تشهد له بالبراعة، والفضل وتدل على رسوخ في العلم والتحقيق»[(٢)].

ولقد آثرت أن أقسم مصنفاته، حسب فنون العلم، مقدمًا في ذلك الأهم فالمهم، وأذكر عند ذكر كل كتاب هل هو مطبوع، أو مخطوط.

مصنفاته في العقيدة وأصول الدين:

ألف الإمام القرافي في هذا المجال أربعة كتب، كما أشارت إلى ذلك كتب التراجم إحساسًا منه بالأمانة الملقاة على عاتقه من ترسيخ أصول العقيدة، والدفاع عنها، وهذه الكتب هي:

١- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى:

هذا الكتاب نسبته إليه كتب التراجم[(٣)]، وقد ذكره القرافي في ثنايا كتبه مما يدل على صحة نسبة الكتاب إليه.

يقول القرافي في كتابه شرح تنقيح الفصول عند رده على اليهود في إنكار النسخ:

«وخامسها: -أي خامس الأمور التي تدل على وجود النسخ في شريعة اليهود- تحريم السبت، فإنه لم يزل العمل مباحًا إلى زمن موسى عليه السلام، وهو عين النسخ، وقد ذكرت صورًا كثيرة غير هذه في شرح المحصول، وفي

(١) الديباج المذهب (٦٤).
(٢) ينظر: شجرة النور الزكية: (١٨٨)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين: (٢/ ٨٦).
(٣) الديباج المذهب (٦٤)، الكنى والألقاب (٣/ ٥٩)، كشف الظنون (١/ ١١)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، شجرة النور الزكية (١٨٨)، الفتح المبين (٢/ ٨٧)، الأعلام (١/ ٩٥)، معجم المطبوعات (٢/ ١٥٠٢).

كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى»[١].

وقد كتبه القرافي -كما ذكر في مقدمته- ردًا على ما كتبه بعض النصارى ضد الإسلام، مستدلاً بما في القرآن على صحة ما هم عليه[٢].

وبالاطلاع على فهرس مخطوطات الجامعة الأردنية الموجود بدار الكتب المصرية وجدت كتابًا بعنوان: مرآة السعود في الرد على النصارى واليهود منسوبًا للإمام شهاب الدين القرافي أول الكتاب قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي: «الحمد لله العظيم من غير عدد، الباقي من غير مدد» وآخره،: فلله الحمد والمنة.. فنسأله سبحانه أن ثبتنا، والحمد لله رب العالمين، وكان الفراغ من كتابتها نهار يوم السبت، السادس عشر من ربيع الأول من شهور سنة ١٢٣٩هـ[٣].

ولعل هذا الكتاب هو الأجوبة الفاخرة، والذي يؤيد ذلك اتفاق بداية هذا الكتاب مع بداية الأجوبة الفاخرة؛ لأن أوله: الحمد لله العظيم من غير عدد، الباقي من غير مدد[٤].

وأما ما جاء في آخر الكتاب، فلعله من فعل أحد ناسخي الكتاب، واحتمال كون هذا الكتاب كتابًا آخر للقرافي بعيد، لأن القرافي لم يشر إليه في شيء من كتبه التي تحت يدي، والتي قرأتها أكثر من مرة، كما أنه لم يذكر أحد ممن ترجم للقرافي أن له كتابًا يحمل هذا العنوان. والكتاب له نسخ خطية كثيرة منها:

---

(١) شرح تنقيح الفصول: (ص٢٨٣).
(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص٣).
(٣) فهرس مخطوطات الجامعة الأردنية الموجود بدار الكتب المصرية (١/ ١٠٧، ١٠٨).
(٤) الأجوبة الفاخرة: (ص٣).

١- في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد نسخة كتبت سنة ١٤٠٣هـ ضمن مجموع رقم (٤/ ٦٧٩٨-٦٧٩٩ مجاميع).

٢- في دار الكتب القطرية نسخة كتبت سنة ١٣١١هـ برقم (١ فقه مالكي).

٣- في مكتبة جامعة الرياض، نسخة كتبت سنة ١١٦٤هـ برقم (١٢٦٨).

٤- في استانبول نسخ: في مكتبة رئيس الكتاب نسخة برقم (٥٨٦/ ٦)، وفي مكتبة أسعد أفندي نسخة برقم (٢١٦)، في مكتبة شهيد علي باشا نسخة برقم (٧٧١)، وغيرها[١].

والكتاب مطبوع عدة طبعات ومنشور في كثير من دار للنشر، نذكر من طبعاته:

١- طبع بمطبعة الموسوعات العلمية بمصر سنة ١٣٢٢هـ، على هامش كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق» لعبد الرحمن باجه جي زاده، وبذيل الهامش بعد الأجوبة، كتاب هداية الحيارى من اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية.

٢- طبع على هامش «الفارق» بمطابع البيان التجارية بدولة الإمارات العربية سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣- طبعته مكتبة وهبة بمصر، بتحقيق الدكتور بكر زكي عوض، عام ١٤٠٧هـ.

٤- طبعته دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ أولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

---

(١) ينظر: الاستغناء في أحكام الاستثناء، للقرافي، بتحقيق د/ طه محسن، (ص٢٤، ٢٥)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

والكتاب طبعته دور كثيرة غير هذه، وحقق عدة مرات، وسوف نتناول ما أورده أهل الكتاب -في هذا الكتاب- إن شاء الله تعالى- وما أجاب به الإمام القرافي في جهود الإمام إن شاء الله تعالى.

٢- أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية:

نسبته إلى القرافي بعض كتب التراجم[(١)] ولم يشر إليه القرافي في كتبه -التي تحت يدي- والتي قرأتها بدقة أكثر من مرة.

ووجود مثل هذا الكتاب منسوبًا إلى القرافي، كما هو موجود في بعض المصادر، يؤكد ما أسلفناه سابقًا من أن صولة اليهود والنصارى كانت حادة ضد الإسلام وأهله، إذ لم يكتف القرافي، بتفنيد شبههم في الكتاب الأول «الأجوبة الفاخرة»، فكتب ما يدل على وحدانية الله، وإبطال التثليث الذي يعتقده النصارى.

ولم أعثر على الكتاب لا مخطوطًا ولا مطبوعًا بعد الاطلاع على فهارس مكتبات مصر، ومكتبات العالم الموجودة بدار الكتب المصرية.

٣- شرح الأربعين لفخر الدين الرازي:

نسبته إليه كتب التراجم[(٢)] وقد ذكره القرافي في أكثر من موضع في كتبه، وعول عليه، فتراه يقول في كتاب الفروق عند حديثه عن قياس الغائب على الشاهد، بعد أن أورد سؤالاً لبعض الفضلاء ينكر فيه قياس الغائب على الشاهد.

---

(١) هدية العارفين: (١/ ٩٩).

(٢) الديباج المذهب (٦٥)، شجرة النور الزكية (١٨٩)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٧)، هدية العارفين (١/ ٩٩).

«فهذا وجه الجمع بين قياس الغائب على الشاهد، وبين نفى المشابهة، وبسط هذا في كتب أصول الدين، وقد بسطته في شرح الأربعين، وأوردت هذا السؤال وأجبت عنه هنالك مبسوطًا»[(١)].

ولم أقف على هذا الكتاب، لا مخطوطًا ولا مطبوعًا.

٤- الانقاد في الاعتقاد:

صرحت بعض كتب التراجم بنسبة هذا الكتاب إلى القرافي[(٢)]، وقد ذكره القرافي في بعض كتبه.

فقال في كتاب الاستغناء في أحكام الاستثناء عند الكلام على قول الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الآية [الأنبياء: ٢٢] تحت عنوان: أسئلة شديدة، وأجوبة سديدة، بعد أن ذكر أسئلة وأجاب عنها قال: «وذلك مبسوط في موضعه، وقد أوضحته غاية الإيضاح في كتاب الانقاد في الاعتقاد»[(٣)].

ولم أقف عليه لا مخطوطًا ولا مطبوعًا، وذلك بعد الاطلاع على فهارس مكتبات مصر، والكثير من فهارس مكتبات العالم.

مصنفاته في أصول الفقه:

أكثر القرافي الكتابة في أصول الفقه، إذ هو ذو صلة بتقرير القواعد الكلامية

---

(١) الفروق: (٣/ ٧٤٠). وقد ذكر شرح الأربعين في الأجوبة الفاخرة (ص٣٩)، وفي نفائس الأصول في شرح المحصول (٣/ ٥٠١)، الاستغناء في أحكام الاستثناء (ص٢٧٧)، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢) الديباج المذهب (٦٥)، شجرة النور الزكية (١٨٩)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، (٢/ ٨٧)، كشف الظنون (١/ ١٣٥)، هدية العارفين (١/ ٩٩).

(٣) الاستغناء في أحكام الاستثناء (ص٢٧٢)، وذكره أيضًا في (ص٢٧٧).

العقدية من جانب، والجانب الآخر أنه عمدة تقوم عليه أحكام الشريعة الإسلامية، فلا انفصال في حقيقة الأمر بين العقيدة والشريعة، وهما جناحا ذلك الدين القيم (دين الإسلام)، وهذه هي مصنفاته في أصول الفقه:

١- الاحتمالات المرجوحة:

نسبه إلى الإمام القرافي بعض كتب التراجم[١] ولم يشر إليه القرافي في أي من كتبه التي وقفت عليها، لكن بعضًا من الباحثين يذكرونه في مصنفاته الأصولية[٢] وهذا الكتاب لم أقف عليه لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

٢- تنقيح الفصول في اختصار المحصول في علم الأصول للرازي:

نسبته إلى القرافي كتب التراجم[٣]، وأشار إليه القرافي في مواضع من كتبه[٤]، والكتاب له نسخ خطية منها:

١- نسختان في المكتبة الأزهرية تحت رقم (١٣٤، ١٨٩٢) أصول فقه.

٢- في مكتبة فيض الله باستانبول نسخة ضمن مجموع رقمه (٢١٥٠).

---

(١) الديباج المذهب (٦٥)، هدية العارفين (١/ ٩٩).

(٢) مثل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيقه للإحكام في الفرق بين الفتاوى والأحكام للقرافي (ص٢٧)، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط/ الثانية، ١٤١٦هـ، والباحث: أحمد الختم في رسالته الدكتوراة (العقد المنظم «تحقيق») (١/ ٢٥٣).

(٣) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٣٣)، الديباج المذهب (٢٦٤)، المنهل الصافي (١/ ٢٣٤)، الروض المعطار في خبر الأقطار (٤٦١)، حسن المحاضرة (١/ ١٤٢)، كشف الظنون (١/ ٤٩٩)، شجرة النور الزكية (١٨٨)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٧)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، معجم المطبوعات (٢/ ١٥٠٢).

(٤) نفائس الأصول (١/ ١٢٨)، العقد المنظوم (٤٧٦)، الأمنية في إدراك النية للقرافي (ص٣٣)، العلمية، ط/ أولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٣- في المكتبة الوطنية بمدريد بأسبانيا، نسخة ضمن مجموع رقمه (٢/١١٥٣).

٤- في المكتبة القادرية ببغداد نسخة ضمن مجموع رقمه (١٤٩٨)[١].

والكتاب له نسخ كثيرة مطبوعة نذكر منها:

١- طبعته المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هـ.

٢- نشرته مكتبة الكليات الأزهرية بمصر، بتحقيق طه عبد الرءوف سعد، سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٣- طبعته المكتبة الأزهرية بمصر عام ٢٠٠٥م.

٣- شرح تنقيح الفصُول في اختصار المحصول:

نسبته إلى القرافي كتب التراجم التي ذكرت تنقيح الفصول، وذكره القرافي في كتاب «العقد المنظوم في الخصوص والعموم»[٢]. وقد ذكر في مقدمة الكتاب سبب تأليفه فقال: «أما بعد: فإن كتاب: تنقيح الفصول في اختصار المحصول، كان الله يسره عليّ ليكون أول مقدمة كتاب الذخيرة في الفقه، ثم رأيت جماعة كثيرة رغبوا في إفراده عنها، واشتغلوا به، فلما رأيت كثرة المشتغلين به، رأيت أن أضع له شرحًا، يكون عونًا لهم على فهمه، وتحصيله، وأبين فيه مقاصد لا تكاد تعلم إلا من جهتي؛ لأني لم أنقلها من غيري، وفيها غموض، وأوشح ذلك إن شاء الله تعالى بقواعد جليلة، وفوائد جميلة؛ ابتغاء لثواب الله عز وجل ووجهه

---

(١) ينظر: الاستغناء في أحكام الاستثناء، بتحقيق د/ طه محسن، (ص٢٩-٣٠).
(٢) العقد المنظوم: (٤٧١).

الكريم»[١].

والكتاب مطبوع، نفس الطبعات السابقة التي طبع بها تنقيح الفصول.

٤- شرح المنتخب:

نسبته إلى القرافي بعض كتب التراجم بعنوان: «التعليقات على المنتخب»[٢] لكن ذكره القرافي بعنوان شرح المنتخب[٣]، فيكون هو المعول عليه في التسمية.

وهذا الكتاب وضعه القرافي؛ لأجل تلميذه ابن بنت الأعز «قاضي القضاة» كما ورد في طبقات الشافعية الكبرى[٤] والصغرى[٥]. هذا: والكتاب لم أعثر عليه لا مخطوطًا ولا مطبوعًا.

٥- العقد المنظوم في الخصوص والعموم:

نسبته إلى القرافي بعض كتب التراجم[٦]، ولم يذكره القرافي في أي من كتبه التي وقفت عليها، ولعل السبب في ذلك، أنه آخر مؤلفاته.

وقد ذكر القرافي في مقدمته لهذا الكتاب ما يفيد أن الكتاب هو أول كتاب في بابه إذ كل من سبق القرافي كان يتكلم عن الخصوص والعموم في ثنايا الكتب، أما هو فقد جمع كل ما يتصل بهذا الفصل، وقسمه على خمسة وعشرين بابًا[٧].

---

(١) شرح تنقيح الفصول: (ص٤).
(٢) الوافي بالوفيات: (٦/ ٢٣٣)، الديباج المذهب: (٦٤)، شجرة النور الزكية (١٨٨).
(٣) نفائس الأصول: (٢/ ٤٢٧).
(٤) طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ١٨٢).
(٥) طبقات الشافعية: (٢/ ١٧٧).
(٦) كشف الظنون: (٢/ ١١٥٣)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، شجرة النور الزكية (١٨٨)، المعجم البين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٧).
(٧) يراجع: العقد المنظوم (ص٦٣).

والكتاب مطبوع، طبعته دار الكتب العلمية، بتحقيق الشيخ: علي محمد معوض، ط/ أولى، عام ١٤٢١هـ، كما أنه حقق في رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى[(١)].

٦- العموم ورفعه:

ذكره صاحب الديباج المذهب[(٢)] ولم يذكره غيره ممن ترجم للقرافي ولم يشر إليه القرافي في كتبه التي تحت يدي، ولم أجده لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا، ولعله هو العقد المنظوم في الخصوص والعموم.

٧- نفائس الأصول في شرح المحصول للرازي:

نسبته إلى القرافي كتب التراجم[(٣)]، وذكره القرافي في كتبه بعنوان: «شرح المحصول[(٤)] وذلك على سبيل الشهرة، والاختصار».

وقد ذكر الإمام القرافي في مقدمته أنه لما رأى كتاب المحصول للإمام فخر الدين الرازي -قدس الله روحه- جمع فيه قواعد الأوائل، ومستحسنات الأواخر، بأحسن العبارات، وألطف الإشارات، وقد عظم نفع الناس به، فاستخار الله تعالى في أن يضع له شرحًا، وجمع له نحو ثلاثين مصنفًا في أصول

---

(١) حققه الباحث: أحمد الختم عبد الله، وطبعته دار الكتبي، بالمعادي، مصر، ط/ أولى، سنة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٢) الديباج: (٦٥).

(٣) الوافي بالوفيات: (٦/ ٢٣٣)، الديباج المذهب (٦٤)، درة الحجال: (١/ ٨، ٩)، حسن المحاضرة: (١/ ١٤٢)، كشف الظنون: (٢/ ١٦١٥)، هدية العارفين: (١/ ٩٩)، الفتح المبين: (٢/ ٨٧)، معجم المؤلفين: (١/ ١٥٨).

(٤) شرح تنقيح الفصول: (٢٦، ٤٤، ٢٧١، ١٢٥)، العقد المنظوم (٤٩، ٩٢، ١٠٣، ٤٧٦).

الفقه. وسماه نفائس الأصول في شرح المحصول[١]. والكتاب له نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية، إحداهما تحت رقم (٤٧٢) أصول فقه، والأخرى تحت رقم (٧٥٢) أصول فقه، كما أن له نسخة مخطوطة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق ضمن مجموعة محمد بدر الحسيني[٢].

والكتاب مطبوع بطبعات عديدة: منها:

طبعة دار الكتب العلمية، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط/ أولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، وطبعته مكتبة نزار مصطفى الباز، بالسعودية، ط/ أولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. بتحقيق كل من: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض.

٨- لوامع الفروق في الأصول:

لم تذكره كتب التراجم التي ترجمت للقرافي، ولم يذكره القرافي في كتبه التي تحت يدي.

ولكن ذكره محقق كتاب «العقد المنظوم» وذكر أنه له نسخة خطية في مكتبة فاس بالمغرب[٣].

مصنفاته في الفقه وقواعده:

قد كثرت مؤلفات القرافي في الفقه، بين مطول ومختصر، وقد أثرى المكتبة العلمية بكتب كثيرة كانت مفخرة لطلاب العلم، ومنهلاً عذبًا لهم، في زمانه، وبعد موته إلى الآن، وهذه الكتب منها ما هو موجود ومنها ما هو مفقود، وإليك بيانها.

---

(١) نفائس الأصول: (١/ ١٤، ١٦).

(٢) الاستغناء بتحقيق د/ طه محسن: (ص٣٢).

(٣) العقد المنظوم: (١/ ٦٠).

١- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام:

نسبته إليه بعض كتب التراجم[١]، وذكره القرافي في مواضع من كتبه[٢] وقد ذكر القرافي في مقدمته أنه مع تطاول الأيام جرت مباحث بينه وبين الفضلاء، في الفرق بين الفتيا والحكم، وبين تصرفات الأئمة، وتصرفات الحكام، وهل حكم الحاكم نفساني، أو لساني: وهل هو إخبار أو إنشاء؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تتعلق بهذا الموضوع - الفتوى والحكم- فأراد القرافي أن يجمع في ذلك كتابًا يجيب فيه عن الأسئلة الواردة في هذا الموضوع، وعدتها أربعون سؤالاً، فسماه: كتاب الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام[٣]. والكتاب له نسخ خطية كثيرة منها:

١- مخطوطتان في مكتبة الأزهر إحداهما برقم (١٧٦٦ عروسي عمومية ٤٢٢٩٨)، والثانية برقم (٨٠١ عمومية ١٢٦٠١) فقه السادة المالكية.

٢- مخطوطة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، بالمدينة المنورة تحت رقم (٣ فتاوى).

٣- مخطوطة في المكتبة الأحمدية في حلب، ضمن مجموع رقمه (٣٠٦)[٤].

والكتاب مطبوع طبعات كثيرة منها:

١- طبع بمطبعة الأنوار بالقاهرة سنة ١٣٥٧هـ، وقام بتحقيقه القاضي

(١) الديباج المذهب: (٦٤)، كشف الظنون: (١/ ٢١)، هدية العارفين: (١/ ٩٩)، شجرة النور الزكية (١٨٨)، الأعلام (١/ ٩٥).
(٢) نفائس الأصول (٤/ ٥٩٠)، الفروق (١/ ٧٢، ١٣٥).
(٣) يراجع الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام للقرافي (ص١٤، ١٥) ت/ محمود عرنوس، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، بدون تاريخ.
(٤) الاستغناء، بتحقيق د/ طه محسن: (ص٢٥).

الشيخ: محمد عرنوس رحمه الله.

٢- وفي سنة ١٣٨٧هـ، طبع بمكتب المطبوعات الإسلامية بحلب «سوريا» بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غده رحمه الله تعالى.

ثم طبع مرة ثانية بتحقيق الشيخ أبو غده أيضًا، بمكتب المطبوعات الإسلامية سنة ١٤١٦هـ.

٣- طبعته المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة بتحقيق القاضي: محمود عرنوس -رحمه الله- بدون تاريخ.

٤- طبع بالمركز الثقافي للنشر والتوزيع بالقاهرة، بتحقيق الشيخ أبو بكر عبد الرازق، بدون تاريخ للطبع.

٢- الأمنية في إدراك النية:

نسبته إلى القرافي بعض كتب التراجم[(١)]، وذكره القرافي في مواضع من كنسبة[(٢)]، ذكر القرافي في مقدمته أنه فرق فيه بين نوى، وأراد، واختار، وعزم، وشاء، واشتهى، وقضى، وقدر، هل هي متباينة أو مترادفة، ولم قال ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات»**[(٣)]، ولم يقل الأفعال: وأنه فرق فيه بين: فعل، وعمل، ووضع، وأثر، وبرأ،

(١) الديباج المذهب (٦٤)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (١/ ١٢٧) شجرة النور الزكية (١٨٨). الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٧).

(٢) نفائس الأصول: (٢/ ٣٧٠) (٤/ ٣٥٢) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام: (ص٣٢)، شرح تنقيح الفصول: (ص٦٩)، الفروق: (١/ ١٦٩، ٢٥٤، ٢٩٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث رقم (١)، صحيح البخاري: (١/ ٣) وأخرجه مسلم في صحيحه: ك: الإمارة، باب قوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنية» حديث رقم: (١٩٠٧)، صحيح مسلم (٣/ ١٥١٥). عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وخلق، وأوجد، واخترع، وابتدع، وأنشأ، وهل هي مترادفة أو متباينة[١].

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب لنيل الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤١٠هـ بكلية الشريعة الدكتور: مساعد بن قاسم الفاتح.

كما حققه بجامعة الزيتونة بكلية الشريعة وأصول الدين بتونس عام ١٤٠٢هـ للحصول على درجة الدكتوراة الدكتور: محمد ياسين يونس[٢].

وقد ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيقه لكتاب: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام أن للكتاب عدة نسخ خطيه منها: نسخة في المكتبة الأحمدية بحلب ضمن مجموعة تحت رقم (٣٠٦)، وله نسخة في الخزانة العامة بالرباط بالمغرب تحت رقم (١٣٣٨) مكتوبة بخط مغربي، وأخرى في مجموع كتب تحت (٢٦٥٧)، ونسخة برقم (٤٧٤٥)[٣]. «والكتاب مطبوع، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ أولى سنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م».

٣- أنوار البروق في أنواء الفروق:

نسبته إلى القرافي كتب التراجم[٤]: وهو كتاب ماتع، وبحر ذاخر، ليس بالقواعد الفقهية فحسب، بل بعلوم شتى، لا غنى لطالب علم عنه، ولقد قرأته

---

(١) يراجع: الأمنية في إدراك النية: (ص٣، ٤).

(٢) العقد المنظوم في الخصوص والعموم «رسالة دكتوراة» ت/ أحمد الختم عبد الله (١/ ٥٥) هامش (٢).

(٣) هامش الإحكام (ص٧٤).

(٤) الديباج الذهب (٦٤)، المنهل الصافي (١/ ٢٣٤)، درة الحجال (١، ٨، ٩٩، كشف الظنون (١/ ١٨٦)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، شجرة النور الزكية (١٨٨)، الأعلام (١/ ٩٥)، معجم المؤلفين (١/ ١٥٨)، معجم المطبوعات (٢/ ١٥٠٢).

أكثر من مرة، وكلما قرأت فيه ازددت إليه حبًا، قال عنه صاحب الوافي بالوفيات: «وهو كتاب جيد، كثير الفوائد، وبه انتفعت، فإن فيه غرائب، وفوائد من علوم غير واحدة»[١].

وقال عنه صاحب شجرة النور الزكية: «... لم يسبق إلى مثله، ولا أتى أحد بعده بشبهه»[٢].

يقول القرافي في مقدمته: «وعوائد الفضلاء، وضع كتب الفروق بين الفروع، وهذا في الفروق بين القواعد وتلخيصها، فله من الشرف على تلك الكتب شرف الأصول على الفروع، وسمتيه لذلك «أنوار البروق في أنواء الفروق»، ولك أن تسميه كتاب «الأنوار والأنواء» أو كتاب «الأنوار والقواعد السنية في الأسرار الفقهية» كل ذلك لك، وجمعت فيه من القواعد خمسمائة وثمانية وأربعين قاعدة، أوضحت كل قاعدة بما يناسبها من الفروع، حتى يزداد انشراح القلب لغيرها[٣].

والكتاب له نسخ خطية كثيرة منها:

نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٩٤٣) فقه شافعي، ونسخة تحت رقم (٢٣٩) أصول تيمور»، ونسخة تحت رقم (٥٨٩) أصول فقه، ونسخة أخرى تحت رقم (٣٢٦٠٣ب) عربي، ونسخة أخرى تحت رقم (٢٢٨) أصول تيمور.

ونسخة أخرى في معهد المخطوطات تحت رقم (١٣٥٦) أيا صوفيا،

---

(١) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٣٣).
(٢) شجرة النور الزكية (١٨٨).
(٣) الفروق (١/ ٧٢).

والمجلد الأول و المجلد الثاني تحت رقم (١٠٠١) أيا صوفيا[١].

والكتاب مطبوع طبعات عديدة منها:

١- طبعة دار إحياء الكتب العربية، مصر، سنة ١٣٤٤هـ.

٢- طبعة عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٣- طبعة دار السلام، مصر، بتحقيق ا. د/ محمد أحمد سراج، ا. د/ علي جمعة محمد، مفتى الديار المصرية، ط/ أولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

وهناك طبعات أخرى غير هذه.

٤- **البيان في تعليق الأيمان**: نسبته إلى القرافي كتب التراجم[٢]، ولم أعثر على تصريح به أو إشارة في كتب القرافي التي تحت يدي. ولم أقف عليه لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

٥- **الذخيرة**: ذكره الإمام القرافي في مواضع من كتبه[٣]، ونسبته إليه كتب التراجم[٤]، وهذا الكتاب يعتبر من أهم كتب المالكية، بل هو معدود من الموسوعات العلمية في الفقه المالكي، إذ جمع فيه مؤلفه من كتب الأمهات في

---

(١) فهرس معهد المخطوطات الموجود بدار الكتب (ص٢٤٨). ولمعرفة المزيد من النسخ الخطية ينظر: الاسغناء، ت/ د. طه محسن: (ص٢٧، ٢٨).

(٢) الديباج المذهب (٦٥)، إيضاح المكنون (١/ ٢٠٦)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٧).

(٣) الأمنية في إدراك النية (١١، ٣٢، ٣٥، ٤٤)، شرح تنقيح الفصول (٧٥)، الفروق (١/ ٧١).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٩٢)، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٣٤)، الديباج المذهب (٦٤)، المنهل الصافي (١/ ٢٣٤)، شجرة النور الزكية (١٨٨)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٧)، الأعلام (١/ ٩٥)، معجم المؤلفين (١/ ١٥٨).

المذهب، وغير المذهب ما يقرب من أربعين شرحًا، قال في مقدمته: إنه رأى الناس تعتمد -في فقه المالكية- على خمسة كتب[(١)]، فرأى أن يجمع بينها في كتاب واحد معللاً بـ«أن الفقه وإن جل، إذا كان مفترقًا تبددت حكمته، وقلت طلاوته، وإذا رتبت الأحكام مخرجة على قواعد الشرع، مبنية على مآخذها، نهضت الهمم حينئذٍ لاقتباسها»[(٢)]، ثم يقول بعد ذلك: «وقد جمعت له من تصانيف المذهب نحوًا من أربعين تصنيفًا، ما بين شرح، وكتاب مستقل، وسميته الذخيرة، وهو ذخيرة إن شاء الله للمعاد... وهو ذخيرة لطلبة العلم في تحصيل مطالبهم، وتقريب مقاصدهم»[(٣)].

والكتاب له نسخة خطية بمعهد المخطوطات تحت رقم (٣٤ فقه مالك)[(٤)].

وقد طبع الجزء الأول منه في عام ١٣٨١هـ، طبعته كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة، وقد حققه كلٌّ من: الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، والشيخ عبد السميع أحمد إمام رحمهما الله تعالى، وتبنت الكلية تحقيقه بعد ذلك، وغيرها من الجامعات الإسلامية[(٥)].

وقد تم طبع الكتاب كاملاً في ١٩٩٤م بدار المغرب الإسلامي، بيروت لأول مرة.

---

(١) هي: المدونة، لسُحنون المتوفى ٢٤٠هـ، والجواهر السمينة في مذهب عالم المدينة، لابن شاش المتوفى ٦١٠هـ، والتلقين، للقاضي عبد الوهاب، والتفريع لابن الجلاب، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني.

(٢) الذخيرة للقرافي (١/ ٣٦)، ت/ د. محمد حجي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط/ أولى ١٩٩٤م.

(٣) المرجع السابق نفس الجزء (ص٣٩، ٤٠).

(٤) فهرس معهد المخطوطات (ص٢٧٩).

(٥) العقد المنظوم، (رسالة دكتوراة)، لأحمد الختم عبد الله، (١/ ٥٨، ٥٩).

٦- **شرح تهذيب المدونة**[١]: ذكرته كتب التراجم منسوبًا إلى القرافي[٢] ولم يذكره القرافي في أيٍّ من كتبه التي وقفت عليها، ولم أقف عليه لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

٧- **شرح الجلاب**[٣]: نسبته إلى القرافي بعض كتب التراجم[٤]، ولم أقف عليه لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

٨- **المعين على كتاب التلقين**[٥]: لم يشر القرافي إلى هذا الكتاب في شيء من الكتب التي تحت يدي، ولم تذكره كتب التراجم التي ترجمت للقرافي، لكن محقق كتاب، العقد المتطوم في الخصوص والعموم للقرافي ذكر أنه من كتب القرافي، وأن له نسخة خطية في مكتبة برامبو بالهند، ونسخة في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (١١٢٥) فقه مالك[٦].

---

(١) كتاب تهذيب المدونة: هو لخلف بن أبي القاسم الأزدي المعروف بالبراذعي من علماء القيروان، ينظر: الأعلام (٢/ ٣١١)، معجم المؤلفين (٤/ ١٠٦)، تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (٣/ ٢٩٠)، ترجمة د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط/ الرابعة.

(٢) الديباج المذهب (٦٤)، شجرة النور الزكية (١٨٨)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٧)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، معجم المؤلفين (١/ ١٥٨).

(٣) كتاب الجلاب يسمى بالتفريع في الفروع الفقهية، وهو لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الجلاب المالكي، ينظر: معجم المؤلفين (٨/ ٩٧)، تاريخ الأدب العربي (٣/ ٢٨٥).

(٤) الديباج المذهب (٦٤) هدية العارفين (١/ ٩٩)، شجرة النور الزكية (١٨٨).

(٥) يبدو من عنوان الكتاب أنه شرح على كتاب التقلين في فروع المالكية للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي، الإمام شهاب الدين القرافي وأثره في أصول الفقه (١/ ١٣٦).

(٦) العقد المنظوم، (رسالة دكتوراة) (١/ ٦٠).

٩- المنجيات والموبقات في الأدعية، وما يجوز منها، وما يكره وما يحرم: نسبته إلى القرافي بعض المصادر التي ترجمت له[١] وذكره القرافي في ثنايا بعض كتبه[٢] وذكر الدكتور طه محسن أن له نسخة خطية في المكتبة البلدية بالإسكندرية تحت رقم (١٦) فقه مالكي[٣].

١٠- اليواقيت في أحكام المواقيت: ذكرته منسوبًا إلى القرافي بعض كتب التراجم[٤]، وذكره القرافي في كتابه المسمى بالفروق[٥]، والكتاب له نسخ خطية كثيرة منها:

١- نسخة في الخزانة الملكية بالرباط، بالمغرب، تحت رقم (٣٩٠٦)، ونسخة أخرى تحت ر قم (١٦٠) ك[٦].

٢- ونسخة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (٣٧١١٨).

٣- ونسخة في الكتبة الوطنية بتونس، تحت رقم (٤١٢٦ م)[٧].

مصنفاته في اللغة:

ترك القرافي في اللغة مصنفات ثلاثة، تدل على درايته ونبوغه في هذا

(١) الديباج المذهب (٦٥)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، شجرة النور الزكية (١٨٩)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٨٧).

(٢) الفروق (١/ ٢٧٣).

(٣) الاستغناء بتحقيق د/ طه محسن: (ص٣١).

(٤) الديباج المذهب (٦٥)، إيضاح المكنون (٢/ ٧٣٢)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، إلفتح المبين (٢/ ٨٧)، الأعلام (١/ ٩٥).

(٥) الفروق (٣/ ٢٩٢).

(٦) الأعلام (١/ ٩٥).

(٧) الاستغناء في الاستثناء، ت/ د. طه محسن (ص٣٢).

المجال، وهي:

١- **الخصائص في قواعد اللغة العربية**: نسبته إلى القرافي بعض كتب التراجم[١]، ولم يشر إليه القرافي في أي من كتبه التي وقفت عليها.

والكتاب له نسخة خطية في الجزائر تحت رقم (١٠٠/ ١) ضمن مخطوطات الجزائر[٢]، كما طبعته وزارة الثقافة والإعلام في بغداد[٣].

٢- **الاستغناء في أحكام الاستثناء**: نسبته إلى القرافي بعض كتب التراجم[٤]، وذكره القرافي في مواضع من كتبه[٥] وذكر في مقدمته: «أن الله ألهمه في الكتاب العزيز، والسنة النبوية، وأسمعه من أفواه العلماء، استثناءات غامضة، يرى أنها في حاجة إلى أن يضمها كتاب قال: «وهذبت ذلك في أحد وخمسين بابًا وأربعمائة مسألة»[٦].

والكتاب نشر لأول مرة ببغداد سنة ١٤٠٢هـ، بتحقيق د/ طه محسن[٧]، ثم طبعته دار الكتب العلمية بيروت، بتحقيق الشيخ/ محمد عبد القادر عطا، سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٤م.

٣- **القواعد الثلاثون في علم العربية**: لم تذكره كتب التراجم، ولم يشر إليه

---

(١) حسن المحاضرة (١/ ١٤٢)، الفتح المبين (٢/ ٨٧)، الأعلام (١/ ٩٥).
(٢) الاستغناء بتحقيق د. طه محسن: (ص٣٠).
(٣) العقد المنظوم (رسالة دكتوراة) (١/ ٥٨)، هامش (٢).
(٤) الديباج المذهب (٦٤)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، شجرة النور الزكية (١٨٨)، الفتح المبين (٢/ ٨٧).
(٥) شرح تنقيح الفصول (٢٥١، ٢٥٨)، العقد المنظوم في الخصوص والعموم (٥٤٥).
(٦) يراجع: الاستغناء في أحكام الاستثناء (ص١٠، ١١).
(٧) العقد المنظوم، (رسالة دكتوراة) (١/ ٥٤) هامش (٦).

القرافي في أي من كتبه التي تحت يدي، ولكن ذكر الدكتور طه محسن في تحقيقه لكتاب الاستغناء أنه من كتب القرافي، وذكر أن له نسخة خطية في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (١٠١٣/ ٥)[1]. وتبعه الباحث أحمد عبد الله الختم في تحقيقه لكتاب العقد المنظوم[2].

مصنفات أخرى للقرافي:

للإمام القرافي مصنفات أخرى غير التي سبقت، وهي:

١- الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نُباتة:

ذكره منسوبًا إلى القرافي صاحب الديباج المذهب، وصاحب هدية العارفين[3]، وقد ذكر القرافي في كتابه الفروق ما يمكن أن يكون دليلاً على أن له أجوبة على خطب ابن نباتة.

وذلك في المسألة الثانية من الفرق الثاني، وهي مسألة: الفرق بين وعد الله تعالى ووعيده.

يقول القرافي: «وقع لابن نباتة في خطبه «الحمد لله الذي إذا وعد وفى، وإذا أوعد تجاوز وعفا» وحسَّن ذلك عنده ما جرت به العوائد من التمدح بالوفاء في الوعد، والعفو في الوعيد» اهـ.

ثم ذكر إنكار العلماء على ابن نباتة وأجاب عنه[4]. ولم أعثر على هذا الكتاب لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

---

(١) الاستغناء: (ص٣١).
(٢) العقد المنظوم، (رسالة دكتوراة منشورة)، (١/ ٥٨) هامش (٦).
(٣) الديباج المذهب (٦٥)، هدية العارفين (١/ ٩٩).
(٤) الفروق (١/ ١٤٣، ١٤٤).

٢- الاستبصار فيما تدركه الأبصار: وهو كتاب يصف العين من الناحية التشريحية، ومن الناحية الوظيفية، ولقد اطلعت عليه، وقرأته مرتين بدار الكتب المصرية، وهو كتاب ماتع.

ذكرته منسوبًا إلى القرافي بعض كتب التراجم[١]، وذكره القرافي في كتابه المسمى بنفائس الأصول في شرح المحصول[٢].

والكتاب له نسخ خطية عديدة منها:

١- نسخة خطية بمكتبة أسعد أفندي باسطنبول تحت رقم (١٢٧٠)[٣].

٢- ونسخة في دار الكتب المصرية ميكروفيلم (٣٠٩٨٢).

٣- ونسخة في دار الكتب المصرية ميكروفيلم (٥٢٩٢٥).

٤- ونسخة في مكتبة الأسكوريال تحت رقم (٧٠٧/ ٩).

٥- ونسخة في مكتبة الخزانة الخديوية تحت رقم (٢٢)[٤].

٣- البارز للكفاح في الميدان:

ذكرته بعض كتب التراجم[٥]، ولم يشر إليه القرافي في أي من كتبه التي تحت يدي، ولم أقف عليه لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

---

(١) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٣٤)، الديباج المذهب (٦٥)، المنهل الصافي (١٠/ ٢٣٤)، كشف الظنون (١/ ٧٧)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، الفتح المبين (٢/ ٨٧).

(٢) نفائس الأصول (٣/ ٥٠٢).

(٣) ذكر ذلك الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيقه لكتاب: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام للقرافي (ص٢٨) هامش (١).

(٤) الاستغناء بتحقيق/ د. طه محسن: (ص٢٦).

(٥) الديباج المذهب (٦٥)، إيضاح المكنون (١/ ١٦١)، هدية العارفين (١/ ٩٩).

٤- ذكر صلاح الدين الصفدي أن له مصنفًا في تفسير قول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨][١].

وهذا يدل على أنه كان للقرافي -رحمه الله- باع في تفسير كتاب الله تعالى، ولقد ضمن كتابه «الاستغناء في أحكام الاستثناء» كثيرًا من التفسير، إذ إنه حصر فيه الاستثناءات في القرآن الكريم، ثم تكلم عن كل آية مبينًا معانيها، والاستثناء فيها، وآراء العلماء في ذلك.

هذا: ولم يشر إلى هذا التصنيف غير الصفدي، ولم أعثر عليه لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

٥- المناظر في الرياضيات:

ذكره صاحب هدية العارفين في مصنفات القرافي[٢]، ولم يُشر إليه القرافي في شيء من كتبه التي تحت يدي. ولم أقف عليه لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

٦- كتاب عارض به إمام الحرمين الجويني:

لم يشر إلى هذا الكتاب أحد ممن ترجم للقرافي. وهذا الكتاب ذكر منسوبًا إلى القرافي في ترجمة القرافي الملحقة بكتاب الفروق، طبعة عالم الكتب، بيروت[٣].

ذكر المترجم أن للقرافي كتابًا عارض به إمام الحرمين الجويني في كتابه المسمى: ببغية الخلق في اختيار الأحق. بين فيه الجويني أن أحق الأئمة بالتقليد هو الإمام الشافعي، وألف القرافي كتابًا بيّن فيه أن الأحق بأن يقلد هو الإمام

---

(١) الوافي بالوفيات: (٦/ ٢٣٤).

(٢) هدية العارفين: (١/ ٩٩).

(٣) الفروق (٤/ ٣٠٥)، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

مالك بن أنس.

ولم أقف على هذا الكتاب لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

ولعل الكتب التي لم نقف عليها للقرافي حبيسة مكتبة من مكتبات العالم ولم ندر بها، أو هي ضاعت مع التراث الذي فقده المسلمون في تلك الآونة.

ثناء العلماء على القرافي:

تبوأ القرافي مكانة علمية رفيعة، مكنته أن يضاهي علماء عصره الكبار، وأن يترك تلاميذ حملوا ألوية العلم بعده، وأن يترك مصنفات كثيرة حملت اسمه، ونهل منها طلاب العلم في كل زمان، وعلَّ منها العلماء في كل مكان، كل ذلك أطلق ألسنة من عاصر القرافي -من أهل العلم والفضل- بالثناء عليه، ومن أتى بعده، وهذه هي أقوال وشهادات كبار العلماء للقرافي.

١- لما مات القرافي: قال ابن دقيق العيد: «مات من يرجع إليه في الأصول».

٢- وقال تقي الدين ابن شكر: «أجمع الشافعية والمالكية على أن أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي بمصر، وناصر الدين بن المنير بالإسكندرية، وتقي الدين بن دقيق العيد بالقاهرة المعزية، وكلهم مالكية خلا تقي الدين، فإنه جمع بين المذهبين»[1].

٣- وقال عنه تلميذه ابن راشد البكري: «أدركت بتونس أجلَّة من النبلاء، وصدورًا من النجاة والأدباء، فأخذت عنهم، ثم رحلت إلى الأسكندرية فلقيت بها صدورًا أكابر وبحورًا زواخر، ثم رحلت إلى القاهرة إلى شيخ المالكية في

(١) الديباج المذهب (٦٥)، حسن المحاضرة (١/ ١٤١)، الفتح المبين (٢/ ٨٦)، معجم المطبوعات (٢/ ١٥٠١).

وقته، فقيد الأشكال والأقران، نسيج وحده ذي اتلعقل الوافي، والذهن الصافي، الشهاب القرافي، كان مبرزًا على النظار محررًا قصب السبق، جامعًا للفنون، معتكفًا على التعليم على الدوام، فأحلني محلَّ السواد من العين، والروح من الجسد»[١].

٤- وقال عنه صاحب الديباج المذهب: «الإمام العلامة، وحيد دهره، وفريد الآلالف، أحد الأعلام المشهورين، فهو الإمام الحافظ، والبحر اللافظ المفوه... جمع فأوعى، وفاق أقرانه جنسًا ونوعًا كان أحسن من ألقى الدرس وحلي من بديع كلامه نحور الطروس، إن عرضت حادثة، فبحسن توضيحه تزول[٢].

٥- وقال عنه الذهبي: «كان بصيرًا بالفقه، عارفًا بالتفسير، حاد القريحة وقورًا متنبهًا»[٣].

٦- وقال عنه القمي: «انتهت إليه رياسة المالكية في زمانه»[٤].

٧- وقال عنه الشيخ محمد حسنين مخلوف: «الإمام العلامة، الحافظ الفهامة، وحيد دهره، وفريد عصره، المؤلف المتقن، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ»[٥].

ولعلو مكانة القرافي وعظم منزلته عده السيوطي في طبقة من كان بمصر من

---

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد باب التُّنبكتي (ص٣٩٣)، مكتبة الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط/ الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) الديباج المذهب (ص٦٢، ٦٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٩٢).

(٤) الكنى والألقاب (٣/ ٥٩).

(٥) شجرة النور الزكية (١٨٨).

المجتهدين، ولم يذكره فيمن نسب إلى المذاهب ممن كان بمصر[١]، وهذا ملحظ حسن من السيوطي، وإشارة منه إلى مكانة القرافي، رحم الله الجميع.

اهتمام القرافي بالدفاع عن العقيدة:

كان الإمام القرافي مع اهتمامه بالتدريس والتصنيف -رحمه الله تعالى- مشغولاً بالدفاع عن العقيدة، والذي يدل على ذلك:

١- قوله في مقدمة كتابه «الاستبصار فيما تدركه الأبصار» وهو كتاب وضعه في وصف العين وصفًا تشريحيًّا، وبيان كيفية الرؤية، واختلاف الرؤى بين أنه تعلم علم الطب وغيره من العلوم الإنسانية؛ لأنه يرى في نفسه أن الله أقامه؛ لإقامة الحجة على دينه، وإبطال شبه المبطلين، فكان لابد من معرفة هذه العلوم حتى لا يجد أحد لتعجيزه سبيلاً فتسلم الأمة من وصمة التنقيص، وذلك قوله: «ويتعين على كل من امتاز في العلم باعه، وعظم به نفعه وانتفاعه، وكان ممن أقامه الله لسان الحجة على خلقه، والمناظرة عن دينه، بإزهاق باطله، وإبراز حقه، أن يستكثر من الاطلاع على الأسرار الربانية، وما أودعه الله في المخلوقات الجسمانية، والروحانية، حتى لا يجد أهل العناد لتعجيزه سبيلاً، ولا لهبته تخجيلاً، فتسلم الأمة المحمدية من وصمة التنقيص»[٢].

٢- ما كان يجري بينه وبين اليهود من مناظرات:

ومن ذلك قوله: «ناظرت بعض اليهود، فقال: كيف تدعون أن شرعنا غير متواتر بسبب بختنصر، والمنقول عندنا أن جمعًا منهم نحو الأربعين سلموا منه،

---

(١) يراجع: حسن المحاضرة (١/ ١٤٢).

(٢) الاستبصار فيما تدركه الأبصار، لوحة (٢٢).

وخرجوا إلى بعض الأقطار، ومثلهم يمكن أن يحصل به عدد التواتر»[١]، ثم أجاب القرافي على هذا السؤال.

٣- ما كان يجري بينه وبين النصارى من مناظرات، ومن ذلك قوله: «ولقد اجتمع بي بعض أعيانهم المبرز في حلبة سباقهم؛ ليتحدث في أمر دين النصرانية، فقلت بحضرة جماعة من العدول: أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينهم، بل أطالبهم كلهم بأن يصوروا دينهم تصويرًا يقبله العقل، فإذا صوروه اكتفيت منهم بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته، فحاول هو في نفسه تصوير دينهم فعجز عنه... إلخ»[٢].

وما سبق من كونه كتب كتابين في الرد على اليهود والنصارى، يؤكد اهتمامه بالدفاع عن العقيدة الإسلامية.

وفاته:

وبعد حياة مليئة بالجهد الدائم، والعمل المتواصل في تحصيل العلم، وتعليمه لأهله، توفي الإمام القرافي -رحمه الله تعالى.

وقد اختلف المترجمون له في سنة وفاته، بعد اتفاقهم على مكان وفاته وموضع دفنه، فقد مات بِدَيْرِ الطين[٣]، ودفن بالقرافة.

---

(١) نفائس الأصول (٣/ ٢٤١، ٢٤٢).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٨، ٩).

(٣) تسمى الآن بدار السلام، وتقع جنوب مصر القديمة على شاطئ النيل، في طريق حلوان.

يراجع: مجلة الهدى النبوي (مقال عن القرافي تحت عنوان: علماء ومعلمون) (ص٤٩).

فمن قائل: إن القرافي توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٨٢هـ[1]، ومن قائل إنه مات في جمادى الأولى سنة٦٨٤هـ[2]، وثالث اختلف قوله، فتارة يقول بالرأي الأول، وأخرى يقول بالرأي الثاني[3].

وما أراه راجحًا:

هو الرأي الأول، وهو أنه توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٨٢هـ، وذلك للآتي:

١- أن أصحاب هذا الرأي وإن كانوا قلة، إلا أنهم حصروا زمن موته بأنه مات بعد صدر الدين بن بنت الأعز، ونفيس الدين بن شكر، وهذان توفيا سنة ٦٨٠هـ، وقبل وفاة ناصر الدين بن المنير، وهو توفي سنة ٦٨٣هـ.

٢- أن صاحب هذا القول هو صلاح الدين الصفدي، وصلاح الدين الصفدي توفي سنة ٧٦٤هـ، وهذا يعني أنه عاصر تلاميذ القرافي، أو من أخذ عنهم، فعلم منهم زمن وفاته، فلقرب زمنه كان أدرى، وإذا كانت معرفة جهود المرء يوضحها التعريف به، فإن الحديث عن عقيدته، وآرائه يزيد في المعرفة به، ولذلك رأيت أن أذكر توضيحًا لعقيدة الإمام القرافي، وشيئًا من آرائه الكلامية، وهذا في الفصل التالي. والله أعلم

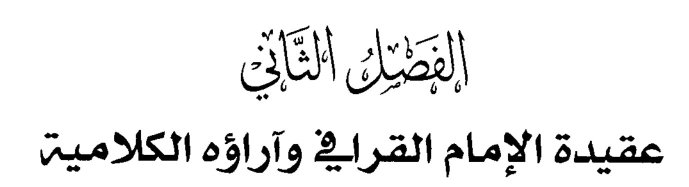
---

(١) يراجع: الوافي بالوفيات (٦/ ٢٣٤)، والمنهل الصافي (١/ ٢٣٤)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٩٢).

(٢) وهؤلاء هم الأكثرون. يراجع: الديباج المذهب (٦٦)، الكنى والألقاب (٣/ ٥٩)، حسن المحاضرة (١/ ١٤٢)، درة الحجال (١/ ٨، ٩)، إيضاح المكنون (١/ ١٢٧)، هدية العارفين (١/ ٩٩)، شجرة النور الزكية (١٨١)، الفتح المبين (٢/ ٨٧)، الأعلام (١/ ٩٥)، معجم المؤلفين (١/ ١٥٨)، معجم المطبوعات (٢/ ١٥٠١).

(٣) هو حاجي خليفة في كشف الظنون، ذكر سنة وفاته (٦٨٤هـ) في (١/ ١١، ٢١)، (٤٩٩)، (٢/ ١١٥٣، ١٦١٥)، وذكر سنة وفاته ٦٨٢هـ، في (١/ ٧٧، ١٨٦، ٨٢٥).

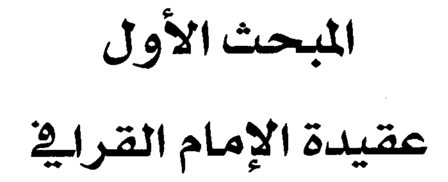




وفيه مبحثان

المبحث الأول: عقيدة الإمام القرافي.

المبحث الثاني: آراء الإمام القرافي الكلامية.



المبحث الأول

عقيدة الإمام القرافي

عقيدة الإمام القرافي[(١)]

كان الإمام القرافي -رحمه الله تعالى- أشعري العقيدة، والعقيدة الأشعرية هي المنسوبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، الصحابي الجليل ﷺ المولود سنة ستين ومائتين من الهجرة والمتوفى سنة ٣٢٤هـ، والعقيدة الأشعرية تضم في كل عصر الأفاضل من العلماء، والأماثل من الفقهاء، وذوي الرأي، والمشورة من بداية مؤسسها إلى وقتنا هذا، أمثال: أبي المعالي الجويني، والرازي، والعز بن عبد السلام، وابن الحاجب، وابن الحُصَيْرِي، وغيرهم كثير ممن لا يحصون كثرة، ومنهم شيخنا القرافي -رحمه الله-.

ذكر السبكي عن سلطان العلماء -العز بن عبد السلام- أنه قال: «إن عقيدة الأشعري اجتمع عليها الشافعية، والمالكية، وفضلاء الحنابلة»، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب، وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري[(٢)].

وذكر أيضًا عن الحافظ ابن عساكر قوله: «هل من الفقهاء الحنفية، والمالكية، والشافعية إلا موافق للأشعري؟ ومنسوب إليه؟ وراض بحميد سعيه في دين الله

---

(١) ألف الإمام القرافي في العقيدة كتابين -كما سبق- وهما: كتاب شرح الأربعين في أصول الدين للرازي، وكتاب الإنقاد في الاعتقاد، وهذان الكتابان لم أعثر عليهما، لا في المخطوطات، ولا في المطبوعات، فكان لزامًا -عند الحديث عن عقيدة القرافي، وآراءه الكلامية- أن أرجع إلى ما هو موجود من كتب للقرافي اليوم، لعل فيها إشارة، أو تصريحًا إلى عقيدته، ولعل منثورًا في ثناياها بعض من آراءه الكلامية، وقد فعلت، فإن وفقني الله تعالى، فتلك نعمة منه سبحانه وتعالى تحتاج إلى شكر، وإن كانت الأخرى، فحسبي أني اجتهدت، وأني أخطئ وأصيب. والله أعلم

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٦٥).

تعالى؟ ومثنٍ بكثرة العلم عليه؟»[١].

تصريح القرافي بأشعريته:

صرح الإمام القرافي بأشعريته في أكثر من موضع من كتبه، ونصر المذهب الأشعري في مواضع كثيرة، ويدل على أنه أشعري العقيدة، ما يلي:

١- لما تكلم في قول الرازي -رحمه الله تعالى-: «الأمر: طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلاء، ومن الناس من لم يعتبر هذا القيد الأخير».

قال القرافي -رحمه الله-: قوله: «ومن الناس من لم يعتبر هذا القيد الأخير: عدم اعتباره هو مذهب جمهور أصحابنا الأشعريين... إلخ»[٢].

٢- وقال في قول الشافعي رضي الله عنه : «لو وجدت المتكلمين لضربتهم بالحديد» قال لي بعض الشافعية: «وهو متعين فيهم يومئذٍ»؛ -أي: في المشغلين بأصول الدين- وهذا يدل على أن مذهب الشافعي تحريم الاشتغال بأصول الدين، قلت له: كذلك فإن المتكلمين اليوم في عرفنا إنما هو الأشعري وأصحابه، ولم يدركوا الشافعي ولا تلك الطبقة الأولى، إنما كان في زمان الشافعي عمرو بن عبيد وغيره من المعتزلة المبتدعة أهل الضلالة، ولو وجدناهم نحن ضربناهم بالسيف فضلاً عن الحديد، فكلامه ذم لأولئك، لا لأصحابنا، وأما أصحابنا القائمون بحجة الله، والناصرون لدين الله، فينبغي أن يعظموا ولا يهتضموا؛ لأنهم القائمون بفرض كفاية عن الأمة[٣].

وقال في كتابه نفائس الأصول: «لأنا أيها الأشاعرة نجوز تكليف ما لا

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤٧٣، ٧٤٧).

(٢) نفائس الأصول (٢/ ٧٧).

(٣) الذخيرة (٣/ ٢٤٣، ٢٤٤)، وينظر: نفائس الأصول (٤/ ٣٧٧).

يطاق»[١].

وقال في كتابه شرح تنقيح الفصول: «لم يقل بالكلام النفسي إلا نحن»[٢]، ومعلوم أن الأشاعرة هم الذين يقولون بالكلام النفسي.

ويقول في كونه ﷺ متعبدًا بشرع من قبله أو لا: «واحتج القائلون بأنه عليه الصلاة والسلام تناولته رسالة من قبله، فيكون متعبدًا بها، بأنه عليه الصلاة والسلام كان يأكل اللحم، ويركب البهمية، ويطوف بالبيت، وهذه أمور لا بد له فيها من مستند، ولا مستند إلا الشرائع المتقدمة، خصوصًا على قول الأشاعرة: إن العقل لا يفيد الأحكام وإنما تفيدها الشرائع.

الجواب: أن هذه الأفعال وإن قلنا: لا تث ـ إلا بالشرع، فإنها يستصحب فيها براءة الذمة من التبعات، فإن الإنسان ولد بريئًا من جميع الحقوق، فهو يستصحب هذه الحالة حتى يدل دليل على شغل الذمة بحق، فهذا يكفي في مباشرته عليه السلام، لهذه الأفعال[٣].

بالإضافة أننا نجد الإمام القرافي كثيرًا يذكر القول، ويعقبه بقوله: «كما يقول أهل الحق أو عندنا نحن أهل الحق»، وأهل الحق اصطلاح يطلقه الأشاعرة على أنفسهم، وهو واضح عند إمام الحرمين في الإرشاد، والإيجي في المواقف، والسعد في شرح المقاصد، ولما كانت عقيدة المرء لا تتضح إلا بذكر آرائه وكلامه، فلا بد من ذكر شيء من آراء القرافي الكلامية؛ ليتضح لنا هل التزم القرافي بمذهبه العقدي، أو أنه خالفه في بعض المسائل.

---

(١) نفائس الأصول (١/ ٤١٩).
(٢) شرح تنقيح الفصول (ص١٣٦).
(٣) شرح تنقيح الأصول (ص٢٧٥).



المبحث الثاني

آراء الإمام القرافي في الكلامية

وفيه مطالب

المطلب الأول: الإيمان

المطلب الثاني: أسماء الله تعالى

المطلب الثالث: صفات الله تعالى

المطلب الرابع: أفعال الله تعالى

المطلب الخامس: رؤية الله تعالى

المطلب السادس: النبوات

المطلب السابع: القرآن الكريم



المطلب الأول
الإيمان

١ - حقيقة الإيمان:

يذهب جمهور الأشاعرة إلى أن حقيقة الإيمان هي: التصديق بالله تعالى وصفاته، وما جاءت به أنبياءه ورسالاته، ويكفي التصديق إجمالاً فيما علم إجمالاً، ويشترط التفصيل فيما علم تفصيلاً.

ويذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فحسب، حتى أن مضمر الكفر إذا أظهر الإيمان مؤمن حقا عندهم، غير أنه يستوجب الخلود في النيران، ومضمر الإيمان بدون إظهاره باللسان ليس بمؤمن عندهم غير أنه يستوجب الخلود في الجنة!

وذهبت الخوارج، والمعتزلة إلى أن الإيمان هو الطاعات فقط، مع خلاف بينهم في جعل النوافل من الإيمان أو لا.

وذهب أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- إلى أن الإيمان هو التصديق مع الإقرار باللسان ومذهب أصحاب الحديث أن الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان[1].

---

(١) يراجع: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري (١/ ٣١٤، ٣١٥)، ت/ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الثانية ٢٠٠٥م، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني (ص٣٣٣)، وما بعدها، ت/ أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ، المحصّل لفخر الدين الرازي (ص٥٦٧) وما بعدها، ت. د/ حسن أتاي، مكتبة/ دار التراث، مصر، ط/ الأولى ١٤١١هـ، شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني (٣/ ٤١٩) وما بعدها، ت/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى ١٤٢٢هـ.

رأي الإمام القرافي في حقيقة الإيمان:

يرى الإمام القرافي أن الإيمان حقيقته: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وهو في هذا موافق لأصحاب الحديث، وذلك قوله في بيان عقيدته في آخر كتابه الذخيرة: «فيتعين على كل مكلف عند أول بلوغه أن يعلم ... أن الإيمان اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح»[(١)].

ويؤكد الإمام القرافي على اشتراط الإقرار باللسان في صحة الإيمان لمن كان قادرًا على النطق، ومن لم ينطق بلسانه مع القدرة على النطق بالشهادتين، فهو كافر مخلد في النار عند الإمام القرافي، ويستدل على اشتراط الإقرار بدليلين:

الدليل الأول: القاعدة الشرعية التي تقول: إن الشيء إذا عرف شرفه، كثرت شروطه، وقبل أن يطبق الإمام القرافي هذه القاعدة على المسألة التي هي موضع الاستدلال، يوضح القاعدة بأمثلة فيقول: فمثلاً النكاح أشرف من البيع، ولذلك اشترط فيه الصداق، والولي، والبينة، ويجوز البيع بدون ذلك.

والنقدان لما شرفا بأنهما رءوس الأموال، وقيم المتلفات، كثرت الشروط، في معاوضتهما، من التناجز، وعدم التفاضل، بخلاف الحديد، وغيره من المعادن.

يقول القرافي: وكذلك الإيمان لما شرف بما يترتب عليه من آثار في الدنيا من إجراء الأحكام الظاهرة كحرمة الدماء والدم وغيرهما -والآخرة: من النعيم الأبدي، والثواب السرمدي- كان لا يكتفي فيه بمجرد التصديق، بل لا بد فيه من الإقرار باللسان.

الدليل الثاني: استدل بقول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ

---

(١) الذخيرة (١٣/ ٢٣١، ٢٣٢).

أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ [الفتح: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴾ [الحديد: ٧].

وجه الاستدلال بالآيتين عند الإمام القرافي: أن الفعل (آمن) تعدى بالباء في الآيتين، وفي غيرهما من الآيات التي فيها الأمر بالإيمان أو الإخبار عنه، مع أن الفعل يتعدى بنفسه، فلا يحتاج إلى الباء، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش: ٤]، ولكن لما كان الإقرار باللسان شرطًا في الإيمان، ضمن الفعل معنى أقرَّ، فتعدى بالباء؛ لأجل التضمين.

يقول الإمام القرافي: «فحصل بذلك القطع بأن الإقرار باللسان لا بد منه في الإيمان الشرعي، هذا مع القدرة، أما مع العجز، فالجمهور على عدم اشتراطه عملاً بالعجز»(١).

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي -رحمه الله تعالى- خالف الأشاعرة في حقيقة الإيمان، فالإيمان عندهم: تصديق القلب، والإقرار باللسان ليس شرطًا في الإيمان، وإنما هو شرط لإجراء الأحكام الظاهرة، وعند الإمام القرافي الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ومن لم يقر بلسانه مع القدرة، فهو كافر مخلد في النار.

٢- زيادة الإيمان ونقصانه:

اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه: فذهب بعض الأشاعرة إلى أن الإيمان لا يوصف بزيادة ولا نقصان؛ لأنه عبارة عن التصديق، والتصديق لا يقبل التفاوت، فلا يفضل تصديق تصديقًا، كما لا يفضل علم علمًا، وهو مذهب

---

(١) يراجع: الاستغناء في الاستثناء (ص١٦٥، ١٦٦)، نفائس الأصول في شرح المحصول (١/ ٣٩٧، ٣٩٨).

أبي حنيفة وأكثر أصحابه.

وعند السلف والمعتزلة: أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وحاصل المسألة: أن من فسر الإيمان بالتصديق مع الإقرار أو بدونه قال بعدم الزيادة والنقصان، ومن اشترط العمل في الإيمان قال: إن الإيمان يزيد وينقص[(١)].

على أن كثيرًا الأشاعرة من قال: إن الإيمان يزيد وينقص، مثل حجة الإسلام، الإمام الغزالي[(٢)]، ومثل عضد الدين الإيجي[(٣)]، ومثل الإمام القرافي.

رأي الإمام القرافي في زيادة الإيمان ونقصانه:

يرى الإمام القرافي أن الإيمان يزيد وينقص، حتى على تفسير الأشاعرة له بالتصديق، وذلك قوله: «الجمهور على أن الإيمان إنما يوصف بالزيادة والنقصان إذا فسر بعمل الجوارح، أما اعتقاد القلب وتصديقه فلا، والحق: أن الجميع قابل للزيادة والنقصان، فأمَّا الأعمال: فظاهر.

وأما ما في القلب: فباعتبار زمانه، ومكانه، ومتعلقه، أما زمانه فلأنه - التصديق- عرض لا يبقى زمانين[(٤)]، فإذا طال زمانه، وعدم طريان الغفلة عليه،

---

(١) يراجع: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٣٥، ٣٣٦)، المحصل (ص٥٧٠، ٥٧١)، شرح المقاصد (٣/ ٤٤٦) وما بعدها.

(٢) ينظر: قواعد العقائد، للغزالي (ص٧٧) وما بعدها، مكتبة الإيمان، العجوزة، مصر، بدون تاريخ.

(٣) شرح المواقف، للشريف الجرجاني (٣/ ٥٤٢) وما بعدها، ت. د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، ط/ الأولى ١٩٩٧م.

(٤) القول بأن العرض لا يبقى زمانين هو مذهب الأشعري ومن جاء بعده من محققي الأشاعرة، ينظر: شرح المواقف (١/ ٤٩٨).

فقد زاد، وإلا نقص.

وأما مكانه: فلأن النفس ذات جَواهر، يمكن أن يقوم بجوهرين إيمانان، وبثلاثة، فيزيد وينقص، ويكون الجميع متعلقًا بشيء واحد، فإن اجتماع الأمثال في التعلق دون المحل ليس محالاً.

وأما متعلقه: فإن الإنسان بعد إيمانه المعتبر، إذا تجدد له العلم بآية أو خبر أو صفة من صفات الله تعالى تجدد له بها إيمان»[١].

فالإمام القرافي يرى أن الإيمان يزيد وينقص موافقًا في ذلك السلف وكثيرًا من الأشاعرة، ومخالفًا في ذلك بعض الأشاعرة.

٣- أول الواجبات على المكلف:

اختلف العلماء في أول الواجبات على المكلف: فذهب الإمام أبو الحسن الأشعري إلى أن أول ما يجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ، أو الحلم شرعًا هو معرفة الله تعالى؛ إذ هي أصل المعارف، والعقائد الدينية، وعليها يتفرع كل واجب من الواجبات الشرعية.

وذهب القاضي أبو بكر الباقلاني، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وأكثر المعتزلة إلى أن أول الواجبات على المكلف هو النظر المؤدي إلى العلم بالله تعالى، وذهب إمام الحرمين وابن فُوْرَك إلى أن أول الواجبات هو القصد إلى النظر.

والخلاف لفظي؛ لأنه إن أريد أول الواجبات المقصودة وبالذات فلا شك أنه المعرفة عند من يجعلها مقدورة، والنظر عند من لا يجعلها مقدورة، وإن كان المراد به أول الواجبات كيف كان، فلا شك أنه القصد[٢].

---

(١) الذخيرة (١٣/ ٢٤٢).

(٢) يراجع: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني (ص٢٢)، ت/ الإمام =

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن أول الواجبات هو المعرفة، والعلم بالله تعالى، وذلك قوله: «فيتعين على كل مكلف عند أول بلوغه، أن يعلم أن لجميع الموجودات من الممكنات خالقًا، ومدبرًا، هو واجب الوجود أزلي أبدي، حي بحياة، قادر بقدرة، مريد بإرادة، عالم بعلم، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وأن صفاته تعالى واجبة الوجود، أزلية أبدية، عامة التعلق، له أن يفعل الأصلح لعباده، وله ألا يفعل ذلك ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وأنه واحد في ذاته لا نظير له ولا شريك، ولا يستحق العبادة غيره سبحانه، وأن جميع رسله -صلوات الله عليهم- صادقون فيما جاءوا به، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن ما جاء به حق، وما أخبر به صدق، من عذاب القبر وأحواله، والقيامة وأحوالها، والصراط والميزان، وجميع المغيبات عباد، كالملائكة والجان وغيرهم، وأن الجنة حق، والنار حق، مخلوقتان، وأنه لا يخلد أحد من أهل القبلة في النار بكبيرة، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الإيمان اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، وأن كلام الله تعالى قائم بذاته، محفوظ في الصدور، ومقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، وأن الله تعالى يراه المؤمنون يوم القيامة ويكلمهم»(١)، فالإمام القرافي في ذلك موافق لمذهب أبي الحسن الأشعري.

=

محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث بدون تاريخ. شرح الأصول الخمسة للقاضي/ عبد الجبار (ص٣٩)، ت/ عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ الثالثة ١٤١٦هـ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة (ص٢٥)، المحصل (ص١٣٦)، شرح المواقف (١/ ١٦٥)، وما بعدها، شرح المقاصد (١/ ١٢١) وما بعدها.

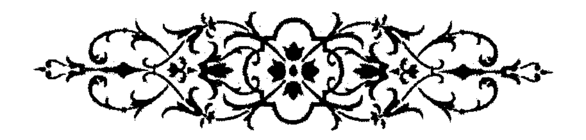
(١) الذخيرة (١٣/ ٢٣١، ٢٣٢).

المطلب الثاني
أسماء الله تعالى

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: أقسام أسماء الله تعالى

المسلك الثاني: هل أسماء الله تعالى توقيفية أو لا؟



المسلك الأول
أقسام أسماء الله تعالى

يقسم الأشاعرة أسماء الله تعالى إلى عدة أقسام:

القسم الأول: ما يدل على ذات الله تعالى، كقولنا: الله.

القسم الثاني: ما يدل على الصفات القديمة، كقولنا: العليم، الحكيم.

القسم الثالث: ما يدل على الأفعال، كقولنا: الخالق، المحيي، المميت.

القسم الرابع: ما يدل على السلب والنفي، كقولنا: القدوس، فإنه يدل على سلب النقائص عن الله تعالى.

يقول إمام الحرمين: «ثم جميع أسماء الرب سبحانه وتعالى تنقسم إلى ما يدل على الذات، أو ما يدل على الصفات القديمة، وإلى ما يدل على الأفعال، أو يدل على النفي فيما تقدس الباري سبحانه عنه»(١).

وقد أشار الإيجي وسعد الدين التفتازاني(٢) إلى قسم آخر من أسماء الله تعالى، وهو ما كان صفة قديمة تدل على ذات الله تعالى مع نسبة وإضافة، وهذا القسم مَثَّل له الإيجي باسم (الماجد) بمعنى المعالي.

وبهذا تكون أقسام أسماء الله تعالى خمسة أقسام يمكن إرجاعها إلى قسمين:

١- ما كان اسمًا لذات الله تعالى.

٢- ما كان صفة له سبحانه وتعالى، وهذا القسم الثاني ينقسم إلى: ما كان صفة ذات، وإلى ما كان صفة فعل، وما كان صفة ذات، ينقسم إلى ما دل على

---

(١) الإرشاد (ص١٣٨).

(٢) ينظر: شرح المواقف (٣/ ٣٠٥)، شرح المقاصد (٣/ ٢٥٩).

السلب والنفي، وإلى ما دل على النسبة والإضافة[١].

أقسام أسماء الله تعالى عند الإمام القرافي:

قسم الإمام القرافي أسماء الله تعالى إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: أن يدل الاسم على مجرد الذات، مثل (الله) يقول الإمام القرافي: «وهي -أسماء الله تعالى- إما لمجرد الذات، كقولنا: الله، فإنه اسم للذات على الصحيح»[٢].

القسم الثاني: أن يدل الاسم على الذات مع مفهوم زائد وجودي قائم بذات الله تعالى، مثل: اسم العليم، فإنه يدل على الذات، مع العلم القائم بذاته تعالى.

القسم الثالث: أن يدل الاسم على الذات مع مفهوم زائد وجودي، منفصل عن الذات، مثل: (الخالق)، فإنه اسم للذات مع اعتبار الخلق، وهو مفهوم وجودي منفصل عن الذات.

يقول الإمام القرافي: «وقد يكون الاسم موضوعًا للذات مع مفهوم زائد وجودي قائم بذات الله تعالى نحو قولنا: عليم، فإنه اسم للذات مع العلم القائم بذاته تعالى، أو وجودي منفصل عن الذات، نحو (خالق)، فإنه اسم للذات مع اعتبار الخلق في التسمية، وهو مفهوم وجودي منفصل عن الذات»[٣].

القسم الرابع: أن يدل الاسم على الذات مع دلالته على سلب معنى، مثل:

---

(١) يراجع: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني (ص٢٦١، ٢٦٢)، ت/ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط/ الأولى ١٩٨٧م. شرح المواقف (٣/ ٣٠٥).

(٢) الفروق (٣/ ٤٨٦).

(٣) الفروق (٣/ ٧٨٦).

قدوس.

القسم الخامس: أن يدل الاسم على الذات مع نسبة وإضافة، مثل: الباقي.

وهذان القسمان ذكرهما القرافي في قوله: «أو موضوعًا للذات مع مفهوم عدمي، نحو: قدوس، فإنه اسم للذات، مع القدس الذي هو التطهير عن النقائص، أو يكون موضوعًا للذات مع نسبة وإضافة، كالباقي، فإنه اسم للذات مع وصف البقاء، وهو نسبة بين الموجود والأزمنة، فإن البقاء استمرار الوجود في الأزمنة»[١].

وبالتأمل والنظر يمكن إرجاع هذه الأقسام الخمسة التي ذكرها الإمام القرافي إلى أقسام الأسماء عند الأشاعرة، فالمضمون واحد بين التقسيمين، وما كان من اختلاف فهو اختلاف عبارة.



(١) الفروق (٣/ ٧٨٦، ٧٨٧).

المسلك الثاني
هل أسماء الله تعالى توقيفية أو لا؟

لا خلاف بين العلماء في جواز إطلاق الأسماء والصفات على الله تعالى، إذا ورد بذلك إذن من الشرع.

كما أنه لا خلاف بينهم في أنه لا يجوز إطلاق اسم، أو وصف على الله تعالى ورد الشرع بالمنع منه.

وإنما اختلفوا فيما لم يرد به إذن ولا منع، وكان الله سبحانه وتعالى موصوفًا بمعناه، ولم يكن إطلاقه عليه مما يستحيل في حقه تعالى، مثل: السيد، الجواد، ونحو ذلك.

فذهب جمهور الأشاعرة إلى المنع من إطلاق اسم لم يرد في إطلاقه إذن ولا منع، معللين بأن أسماء الله تعالى لا بد فيها من التوقيف، وذلك احترازًا عما يوهم نقصًا في حق الله تعالى؛ لعظم الخطر في ذلك.

وذهبت المعتزلة والكرَّامية إلى أنه إذا دل العقل على اتصافه تعالى بصفة جاز أن يطلق عليه اسم يدل على اتصافه بها، سواء ورد بذلك الإطلاق إذن شرعي أو لم يرد.

وذهب الباقلاني إلى ما هو قريب من رأي المعتزلة، فقال: كل لفظ دل على معنى ثابت لله تعالى، جاز إطلاقه عليه بلا توقيف، إذا لم يكن موهمًا لما لا يليق بكبريائه تعالى(١).

وتوقف إمام الحرمين في ذلك فقال: «وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه

---

(١) يراجع: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للرازي (ص٣٦) وما بعدها، ت/ طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ط/ ١٣٩٦.

بتحليل ولا تحريم، فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد السمع، ولو قضينا بتحليل أو تحريم من غير شرع لكنا مثبتين حكمًا دون السمع»[١].

وفرق الإمام الغزالي بين الأسماء والصفات، فالأسماء يتوقف الإطلاق فيها على إذن الشرع، والصفات لا يتوقف فيها على إذن الشرع، بل الصادق منها مباح دون الكاذب، وذلك قوله: «والمختار عندنا أن نفصل ونقول: كل ما يرجع إلى الاسم فذلك موقوف على الإذن، وما يرجع إلى الوصف فذلك لا يقف على الإذن، بل الصادق منه مباح دون الكاذب»[٢].

رأي الإمام القرافي في المسألة:

يقسم الإمام القرافي أسماء الله تعالى بحسب ما يجوز إطلاقه على الله تعالى، وما لا يجوز أربعة أقسام:

القسم الأول: ما ورد به السمع من أسماء الله تعالى، ولا يوهم نقصًا، مثل: العليم، السميع، هذا يجوز إطلاقه على الله تعالى مطلقًا.

القسم الثاني: ما ورد به السمع، ويوهم نقصًا، مثل: ماكر، ومستهزئ، فالمكر والاستهزاء في عادات الناس سوء خلق، وهذا القسم يرى الإمام القرافي فيه أن يُقتصر على موارد السمع، ولا يذكر شيء من هذه الأسماء في غير موضعه من آيات التلاوة.

القسم الثالث: ما لم يرد به السمع، وهو يوهم نقصًا في حق الله تعالى، مثل: متواضع، وعلامة، فالمتواضع يوهم الذلة، والعلامة يوهم التأنيث، وهذا القسم

---

(١) الإرشاد (ص١٣١، ١٣٧).

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي (ص١٧٣) وما بعدها، ت/ بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر/ الجفان والجابي، قبرص، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

يرى الإمام القرافي فيه أنه لا يجوز إطلاق شيء منه على الله تعالى ألبتة.

القسم الرابع: وهو محل النزاع -ما لم يرد به السمع ولا يوهم نقصًا- مثل: السيد، والجواد، والسخي، وهذا القسم ذكر الإمام القرافي فيه رأي أبي الحسن الأشعري، ورأي القاضي أبي بكر الباقلاني، واختار مذهب الأشعري من أنه لا يصح إطلاق اسم على الله تعالى لم يرد به الشرع، يقول الإمام القرافي في ترجيحه رأي الأشعري: «فإن مخاطبة أدنى الملوك تفتقر إلى معرفة ما أذنوا فيه من تسميتهم ومعاملتهم، حتى يعلم إذنهم في ذلك، فالله تعالى أولى بذلك، ولأنها قاعدة الأدب، والأدب مع الله تعالى متعين، لا سيما في مخاطباته، بل ليس لأحد أن يوقع في صلاة من الصلوات، ولا عبادة من العبادات، إلا ما علم إذن الله تعالى فيه، فمخاطبة الله تعالى وتسميته أولى بذلك»[1].

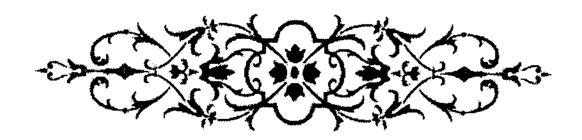
وكل هذه الأقسام ذكرها القرافي في قوله: «ثم هي -أسماء الله تعالى- تنقسم بحسب ما يجوز إطلاقه، وبحسب ما لا يجوز إطلاقه، إلى أربعة أقسام: ما ورد السمع به ولا يوهم نقصًا نحو العليم، فيجوز إطلاقه إجماعًا في مورد النص وفي غيره، وما لم يرد السمع به وهو يوهم نقصًا فيمتنع إطلاقه إجماعًا، نحو متواضع، ودار، وعلاَّمة، فإن التواضع يوم الذلة والمهانة، والدراية لا تكون إلا بعد تقدم شك، والعلاَّمة من كثرت معلوماته، والله تعالى كذلك، غير أن تاء التأنيث توهم تأنيث المسمى، والتأنيث نقص، فلا يجوز إطلاق شيء من هذه الألفاظ ونحوها ألبتة، ما ورد السمع به وهو يوهم نقصًا، فيقتصر به على محله، نحو ماكر، ومستهزئ، فإن المكر والاستهزاء في مجرى العادة سوء الخلق، وقد ورد السمع به في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾

(١) الفروق (٣/ ٧٨٨).

[البقرة: ١٥]، فيقتصر بمثل هذه الألفاظ على موارد السمع، ولا يذكر في غير هذه التلاوة، فلا نقول: اللهم امكر بفلان، ولا مكر الله به، وما لم يرد السمع به وهو غير موهم، فلا يجوز إطلاقه عند الشيخ أبي الحسن الأشعري، ويجوز إطلاقه عند القاضي أبي بكر الباقلاني، نحو قولنا: (يا سيدنا)، هل يجوز أن ينادي الله تعالى بهذا الاسم، أو لا؟ قولان:

ومدرك الخلاف: هل يلاحظ انتفاء المانع وهو الإيهام، ولم يوجد فيجوز، أو نقول: الأصل في أسماء الله تعالى المنع، إلا ما ورد السمع به، ولم يرد السمع فيمتنع، وهو الصحيح عند العلماء»[1].

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي موافق لجمهور الأشاعرة في الأقسام الأربعة، أما فيما ورد به السمع ولم يوهم نقصًا، وما لم يرد به السمع وهو يوهم نقصًا، وما لم يرد به السمع ولا يوهم نقصًا فظاهر، وأما فيما ورد به السمع وهو يوهم نقصًا فهو أيضًا موافق لجمهور الأشاعرة فيه؛ لأن هذا القسم راجع إلى ما ورد فيه إذن من الشرع، والله أعلم.



---

(١) الفروق (٣/ ٧٨٧، ٧٨٨)، ويراجع: نفائس الأصول (١/ ٥٠٦)، الأمنية في إدراك النية (ص١١، ٩، ٨).

المطلب الثالث
صفات الله تعالى

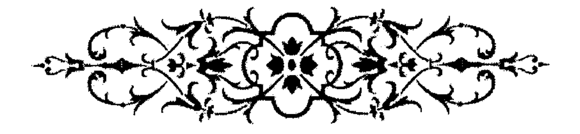
وفيه مسالك أربعة

المسلك الأول: أقسام صفات الله تعالى

المسلك الثاني: أحكام الصفات

المسلك الثالث: منهج الإمام القرافي في إثبات الصفات

المسلك الرابع: النصوص الموهمة للتشبيه



المسلك الأول
أقسام الصفات

يقسم الأشاعرة صفات الله تعالى إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صفات ذاتية، ويقصدون بها الألفاظ الدالة على الذات، مثل: كون الباري موجودًا وقديمًا.

القسم الثاني: صفات معنوية، والمراد بها الألفاظ الدالة على معانٍ قائمة بذات الله تعالى، وهي الصفات السبعة الزائدة على الذات، القائمة بها، وهي: صفة العلم، والحياة، والكلام، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر.

القسم الثالث: صفات فعلية، وهي التي تدل على أمور خارجة عن ذاته تعالى، تتصل بأفعاله وتصرفاته، وعلاقته بمخلوقاته، أو بعبارة فخر الدين الرازي: «الألفاظ الدالة على صدور أثر من الآثار عن قدرة الله تعالى ككونه تعالى خالقًا رازقًا»(١)، وذكر الإمام الرازي أن الأشاعرة ربما جعلوا الصفات الدالة على السلوب -الصفات السلبية- من الصفات الذاتية، والصفات السلبية هي التي معناها: سلب النقص عن الله تعالى، مثل: القدوس، والغني، والواحد(٢).

وإذا لاحظنا ما ذكره الرازي عن الأشاعرة تكون أقسام الصفات عند الأشاعرة أربعة:

---

(١) لوامع البينات شرح أسماء الله والصفات (ص٤٣، ٤٤)، وينظر: الإرشاد (ص٥١)، الآمدي وآراؤه الكلامية، د/حسن الشافعي (ص٢١٠)، دار السلام، القاهرة، ط/الأولى ١٩٩٨م.

(٢) يراجع: لوامع البينات (ص٤٣). وإن كان الأولى أن نقول الصفات التنزيهية بدلاً من الصفات السلبية.

صفات ذاتية، صفات سلبية، صفات معنوية، صفات، فعلية.

أقسام الصفات عند الإمام القرافي:

يقسم الإمام القرافي صفات الله تعالى إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: الصفات المعنوية، ويعرفها القرافي بأنها: صفات ثبوتية قائمة بذاته تعالى، وهي سبعة: العلم، والإرادة، والقدرة، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر، يقول الإمام القرافي: «صفات الله تعالى خمسة أقسام: معنوية، وذاتية، وسلبية، وفعلية، وما يشمل الجميع، فأما القسم الأول: وهو الصفات المعنوية فهي: صفة العلم، والكلام القديم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والحياة»(١).

ويقول في الأجوبة الفاخرة: «فإن صفات الله تعالى، منها: ثبوتية قائمة بذاته تعالى، وهي سبعة... إلخ»(٢).

القسم الثاني: الصفات السلبية، ويعرفها القرافي بأنها: نسبة بين الله تعالى وأمور مستحيلة عليه، وهذه الصفات مثل قولنا: إن الله تعالى ليس بجسم ولا بجوهر ولا بعرض، ويرى الإمام القرافي أن السلب في حق الله تعالى سلبان: سلب نقيصة، ويمثل له بسلب الجهة والجسمية، وسلب المشارك في الكمال، ويمثل له الإمام القرافي بسلب الشريك، يقول الإمام القرافي: «من صفات الله تعالى: الصفات السلبية، وهي كقولنا: إن الله تعالى ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، ولا في حيز، ولا في جهة، ولا يشبه شيئًا من خلقه في ذاته، ولا في صفة من صفاته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]،

---

(١) الفروق (٣/ ٧٦٤) (٢/ ٦٦٠).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٣٥).

وهذه الصفات هي نسبة بين الله تعالى وأمور مستحيلة عليه سبحانه وتعالى... والسلب في حق الله تعالى سلبان: سلب نقيصة، نحو سلب الجهة والجسمية وغيرها، وسلب المشارك في الكمال، وهو سلب الشريك، وهو الوحدانية»(١).

القسم الثالث: الصفات الذاتية، ويعرفها الإمام القرافي بأنها التي ليس معناها موجودًا قائمًا بالذات، ولا هو سلب نقيصة، وبمثل لها بكونه تعالى أزليًّا، أبديًّا، واجب الوجود. يقول الإمام القرافي:

«من الصفات الصفات الذاتية، وهي كونه أزليًا، أبديًا، واجب الوجود، فهذه الصفات ليست معانيها موجودة قائمة بالذات، ولا هي سلب نقيصة كقولنا: ليس بجسم، بل صفات ذات واجب الوجود بمعنى أنها أحكام لتلك الذات... ولما لم تكن صفة معنوية زائدة على الذات سماها العلماء صفات ذاتية، فهذا هو تحقيقها»(٢).

القسم الرابع: الصفات الفعلية، ويعرفها الإمام القرافي بأنها الصفات الخارجة عن ذاته تعالى، والتي يستحيل قيامها به، والتي هي صادرة عن قدرة الله تعالى، ويمثل لها بصفات الخلق، والرزق، والعطاء، والإحسان، يقول: الإمام القرافي: «من صفات الله تعالى: الصفات الفعلية كقوله: وخلق الله، ورزق الله، وعطاء الله، وإحسان الله، ونحو ذلك مما يصدر عن قدرة الله تعالى»(٣).

ويقول: «ومنها -أي: صفات الله تعالى- فعلية خارجة عن ذاته تعالى، يستحيل قيامها به نحو: الرزق، والهبات، والخلق، والإحسان، فتسميته الرازق،

---

(١) الفروق (٣/ ٧٧٣، ٧٧٤)، وينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٣٥).
(٢) الفروق (٣/ ٧٧١)، وينظر: نفائس الأصول (٤/ ٦٣٨، ٦٣٩).
(٣) الفروق (٣/ ٧٧٤).

الوهاب، الخالق، المحسن، باعتبار أفعاله، لا باعتبار صفة قديمة قائمة بذاته تعالى»[١].

القسم الخامس: الصفات التي تشمل الأقسام الأربعة، ويمثل لها القرافي بعزة الله تعالى، وجلاله، وعظمته وكبريائه، ويوضح القرافي كيف أنها تشمل الأقسام الأربعة فيقول: «فإنك تقول: جل بكذا، أو جل عن كذا، فتندرج في الأولى: الصفات الثبوتية كلها قديمة، أو حادثة -الفعلية- فكما جل الله بعلمه تعالى وصفاته السبعة القديمة... جل أيضًا ببدائع مصنوعاته وغرائب مخترعاته، ويندرج في الثاني: جميع السلوب للنقائص، فيصدق أن الله تعالى جل عن الشريك، وعن الحيز والجهة وغير ذلك مما يستحيل عليه تعالى، ولما كان لفظ الجلالة والعظمة يحتمل جل بكذا، وجل عن كذا، وعظم بكذا، وعظم عن كذا؛ اندرج الجميع في اللفظ عند الإطلاق، فكانت هذه الصفات شاملة لجميع الصفات الثبوتية، والسلبية، والقديمة، والمحدثة»[٢].

تعقيب:

الإمام القرافي تبع في تقسيم الصفات، الأشاعرة في الأقسام الأربعة الأُوَل، وذكر قسمًا خامسًا يشمل جميع الصفات، وفي الحقيقة هذا القسم وإن كان قسمًا مستقلاً، إلا أنه لا يخرج في مضمونه عن أقسام الصفات الأربعة عند الأشاعرة، كما أن الإمام القرافي قد سبقه إلى هذا القسم فخر الدين الرازي -رحمه الله تعالى- فيقول: «وأما الصفة الحقيقية مع الإضافية والسلب فكقولنا: الملك؛ فإنه عبارة عن الوجود الذي يفتقر إليه غيره، وهو يستغني عن غيره، فالوجود صفة

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٣٥).

(٢) الفروق (٣/ ٧٨١، ٧٨٢).

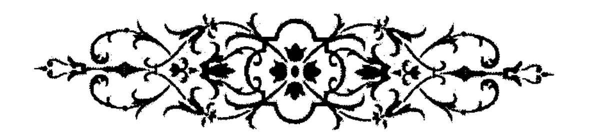
حقيقية، وافتقار غيره إليه إضافية، واستغناؤه عن غيره سلب»[١].

كما أن الإمام القرافي يفهم من كلامه عن الصفات الفعلية، أنه يرى أنها حادثة، وليست صفة قديمة.

والحق أن في المسألة مذهبين:

فقال قوم: صفات الأفعال تصدق على الله في الأزل، إذ لو لم تصدق عليه لكان اتصافه بها موجبًا للتغيير.

وقال قوم: صفات الأفعال ليست أزلية، إذ لا خلق في الأزل، ولا رزق، ولا عطاء، والحقيقة أنه لا خلاف حقيقي في المسألة، وكلا الرأيين صواب، فمن قال: إن هذه الصفات أزلية يقصد وجودها بالقوة، ومن قال: إنها حادثة يقصد وجودها بالفعل، يقول الإمام الغزالي بعد أن بيَّن وجهة نظر كل فريق، وأن من قال بالأزلية، فيقصد الوجود بالقوة، ومن قال بالحدوث يقصد الوجود بالفعل: «فقد ظهر أن من قال: إنه لا يصدق في الأزل هذا الاسم فهذا محق، وأراد به المعنى الثاني، ومن قال يصدق في الأزل فهو محق، وأراد به المعنى الأول، وإذا كشف الغطاء على هذا الوجه ارتفع الخلاف»[٢].



(١) لوامع البينات (ص٤١، ٤٢).
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص٨٣)، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ط/ ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.

المسلك الثاني
أحكام الصفات

قيام الصفات بذاته تعالى:

مذهب الأشاعرة أن الصفات المعنوية السبعة قائمة بذاته تعالى، ولا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته، سواء كان في محل أو لم يكن في محل[1].

وذهب المعتزلة إلى أن إرادة الله تعالى لا تقوم بذاته؛ لأنها حادثة، ولا تقوم بمحل آخر؛ لئلا يلزم أن يكون ذلك المحل هو المريد ، بل هي عندهم موجودة لا في محل.

كما ذهبوا إلى أن كلام الله تعالى لا يقوم بذاته؛ لأنه حادث، ولكن يقوم بجمادٍ ولا يكون هو المتكلم به، بل المتكلم به هو الله تعالى. وأما باقي الصفات، فيقولون: الله تعالى حي، عالم، قادر... إلخ لذاته، بمعنى أنه لا توجد صفات من هذه الأسماء حتى تقوم به، أو بغيره[2].

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن الصفات المعنوية السبعة قائمة بذاته تعالى -كما هو مذهب الأشاعرة- وذلك قوله: «قيام المعاني بمحالها يوجب أحكامها لمحالها،

---

(١) يراجع التبصير في الدين، للإسفراييني (ص١٦٥)، ت/ كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط/الأولى، ١٩٨٣م، الاقتصاد في الاعتقاد (ص٨٢، ٨٣)، شرح المواقف (١/ ٣٦٤).

(٢) يراجع: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص١٨٢) وما بعدها، و(ص٥٣٩)، المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار (ص١٥٥)، ت/ عمر السيد عزمي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، بدون تاريخ، الإرشاد (ص٧٩، ١١٢).

واستحقاق ألفاظ تلك الأحكام، فقيام العلم بالمحل يوجب له حكمًا، وهو كونه عالمًا، واستحقاق لفظ هذا الحكم وهو لفظ عالم، والسواد إذا قام بمحل أوجب لمحله حكمًا، وهو كونه أسود، واستحقاق لفظ دال على هذا الحكم، وهو لفظ أسود، ولا يقال لغيره الذي لم يقم به السواد أسود، والمعتزلة وافقوا في مثل هذا، وخالفوا في كلام الله تعالى، فقالوا: إنه مخلوق في الشجرة لموسى -عليه السلام-، فسمعه منها، فهو قائم بها، ولم يشتق لها منه شيء، فلم يقل: وكلمت الشجرة موسى، بل حصل الاشتقاق لله تعالى، ولم يقم بذاته شيء، وكذلك اشتقوا لله تعالى عالمًا، ومريدًا وغير ذلك، ولم يقولوا: قام العلم به، بل قالوا: لم تقم به صفة ألبتة، وهذا خالفوا فيه أهل الحق، فإن أهل الحق يقولون: الكلام والصفات المشتقة من هذه الألفاظ السابقة قائمة بذاته تعالى»[(١)].

ومن خلال كلام الإمام القرافي السابق يدرك أن الإمام القرافي من القائلين بالأحوال، والأحوال جمع حال، والحال صفة لموجود لا توصف بالوجود ولا بالعدم، والقائلون بالأحوال يقسمونها إلى قسمين:

الأول: ما يثبت للذوات معللاً، وهو كل حكم ثابت للذات عن معنى قائم بها، ويقول مثبتو الأحوال: كل معنى قام بمحل فهو عندنا يوجب له حالاً، وهذا الكلام واضح في قول القرافي السابق.

والثاني: ما يثبت للذوات غير معلل، ويعرفون هذا القسم بأنه: كل صفة إثبات لذات من غير علة زائدة على الذات، ويمثلون لذلك بكون الموجود عرضًا، لونا»[(٢)].

---

(١) يراجع: شرح تنقيح الفصول (ص٤٥)، نفائس الأصول (١/ ٣٣٩).

(٢) يراجع: الإرشاد (ص٩٢) وما بعدها، غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص٢٧) وما =

وأكثر المتكلمين على نفي الأحوال، ولم يثبتها من الأشاعرة غير إمام الحرمين، والقاضي أبي بكر الباقلاني، والمعتزلة يثبتون الأحوال، وكذلك الكرامية[١].

تعلق الصفات

الصفات المتعلقة: هي صفات المعاني -والتي يسميها القرافي الصفات المعنوية (الثبوتية)- كما سبق، والتعلق هو: طلب الصفة أمرًا زائدًا على الذات يصلح لها، وصفات المعاني تنقسم من حيث التعلق وعدمه إلى قسمين:

القسم الأول: ما هو متعلق من هذه الصفات، وضابطه، ما يقتضي أمرًا زائدًا على القيام بمحله، كالقدرة فإنها تقتضي مقدورًا يتأتى بها إيجاده، وإعدامه، وكالإرادة فإنها تقتضي مرادًا يخصص بها، والمتعلق من صفات المعاني جميع الصفات إلا صفة الحياة.

والقسم الثاني: ما هو غير متعلق من هذه الصفات، وضابطه ما لا يقتضي أمرًا زائدًا على القيام بمحله، وهذا النوع ينحصر في صفة الحياة، فليست الحياة من الصفات المتعلقة؛ لأنها صفة مصححة للإدراك؛ أي: مصححة لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك، ولا تقتضي أمرًا زائدًا على قيامها بمحلها[٢].

=

بعدها، ت/ حسن محمود عبد اللطيف، طبعة المجلس لأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩١هـ.

(١) يراجع: تمهيد الأوائل (ص٢٣٠)، شرح الأصول الخمسة (ص١٧٤)، الإرشاد (ص٩٢)، غاية المرام في علم الكلام (ص٢٧) وما بعدها، المواقف (١/ ٢٨٣) وما بعدها.

(٢) يراجع: حاشية الدسوقي على أم البراهين، للشيخ محمد الدسوقي (ص٩٧- ١١٧)، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، بدون تاريخ، حاشية محمد الأمير على شرح عبد السلام بن إبراهيم المالكي لجوهرة التوحيد، للإمام اللقاني (ص٩٣) وما بعدها، شركة =

وتعلقات هذه الصفات كالآتي:

القدرة لها تعلقان: تعلق صلوحي قديم، وهو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال، وتعلق تنجيزي حادث، وهو الإيجاد والإعدام بها بالفعل، وللإرادة تعلقان: تعلق صلوحي قديم، وهو صلاحيتها في الأزل لتخصيص الممكن بالوجود، أو بالعدم، وبالغنى، أو بالفقر وهكذا، وتعلق تنجيزي قديم وهو تخصيص الله أزلاً الممكن ببعض ما يجوز عليه من الممكنات، وزاد البعض تعلقًا ثالثًا وهو تعلقها بالممكن حين وجوده بالفعل، فيكون تعلقًا تنجيزيًا حادثًا، وهذا القسم رده البيجوري بقوله: «والحق أن هذا ليس بتعلق وإنما هو إظهار للتعلق»[1]، وللعلم تعلق واحد (تنجيزي قديم)، وهو العلم في الأزل بالواجبات، والممكنات، والمستحيلات.

والكلام إن كان خبرًا، أو استخبارًا، أو وعدًا، أو وعيدًا، فله تعلق واحد فقط، وهو تنجيزي قديم فهو يدل أزلاً على أن ذاته وصفاته واجبة، وعلى أن الشريك والصاحبة والولد أمور مستحيلة، وأن ولد زيد وعلمه ورزقه أمور جائزة، ويدل أزلاً على أن من أطاعه فله الجنة، ومن عصاه فله النار، وهكذا، وأما إن كان الكلام أمرًا أو نهيًا، فله تعلقان: صلوحي قديم؛ أي: صلاحيته للأمر والنهي قبل وجود المأمور والمنهي، وتنجيزي حادث بعد الأمر والنهي.

وللسمع والبصر ثلاثة تعلقات: تعلق تنجيزي قديم، وهو التعلق بذات الله

=

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/الأخيرة.١٩٤٨م، شرح البيجوري على الجوهرة (ص٩٢) وما بعدها، طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(١) شرح البيجوري على الجوهرة (ص٩٥).

تعالى وصفاته، وصلوحي قديم وهو التعلق بنا قبل وجودنا، وتنجيزي حادث، وهو التعلق بنا بعد وجودنا[١].

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن الصفات المتعلقة، لكل صفة خاصية لا توجد لغيرها، فالإرادة والقدرة لا يتعلقان إلا بالممكن، ولكن القدرة توجد، والإرادة تخصص، والعلم يتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات، والسمع يتعلق بالكلام النفسي، والصوت اللساني -أي: يتعلق بالواجب والممكن- والبصر يتعلق بالموجود دون المعدوم، والكلام، يرى الإمام القرافي أنه أقسام، منه الأمر والنهي، والخبر والاستخبار، والوعد والوعيد، يقول الإمام القرافي: «وكل صفة من صفات الله تعالى لها خاصية لا توجد لغيرها ، فالقدرة توجد، والإرادة تخصص الممكن بأزمانه وأحواله، والعلم يكشف الواجبات والممكنات والمستحيلات على ما هي عليه، والسمع إدراك يختص بالكلام النفسي، والصوت اللساني، والبصر إدراك خاص يختص بالموجود دون المعدوم، والكلام النفسي منه الأمر والنهي، والخبر والاستخبار دون التأثير»[٢].

وأما بالنسبة لتعلق هذه الصفات فيرى الإمام القرافي أن صفة الحياة لا تعلق لها، وهو لم يصرح بذلك، ولكنه مفهوم من كلامه؛ حيث إنه ذكر الصفات المتعلقة، ولم يذكر فيها صفة الحياة، كما أنه يقسم الصفات من ناحية التعلق إلى قسمين:

---

(١) يراجع: حاشية الدسوقي (ص٩٧) وما بعدها، حاشية محمد الأمير (ص٩٣) وما بعدها، شرح البيجوري (ص٩٢) وما بعدها.

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٣٥).

القسم الأول: ما له تعلق واحد، وهو تعلق تنجيزي قديم.

وهو الصفات المتعلقة إلا صفة القدرة.

والقسم الثاني: ما له تعلقان، وهو صفة القدرة، لها تعلق صلوحي قديم، وتنجيزي حادث، يقول الإمام القرافي: «بل الصفات المتعلقة قسمان: منها ما لا يوجد غير متعلق بالفعل كالعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والأمر، والخبر، والطلب، والاستخبار، ونحو ذلك من أنواع الكلام، أما القدرة فلها تعلقان: تعلق صلاحية، وتعلق بالفعل، فكل صحيح المزاج، كامل القدرة، يجد في نفسه صلاحية القيام، وإن لم يوجد القيام، وكذلك قدرة الله تعالى في الأزل موجودة، والعالم غير موجود، ولها صلاحية التعلق فيها لا يزال، ولما أوجد الله تعالى العالم تعلقت به بالفعل، وأما علمه تعالى وجميع الصفات المتقدمة، فكانت متعلقة بالفعل في الأزل»[1].

ومن خلال ما سبق يدرك:

أن الإمام القرافي وافق الأشاعرة في أن صفة الحياة لا تعلق بها، وأن للقدرة تعلقين، وأن للعلم تعلقًا واحدًا فقط، وأن للكلام إن لم يكن أمرًا أو نهيًا تعلقًا واحدًا فقط وهو التنجيزي القديم، وخالفهم فيما عدا ذلك من التعلقات، وهذا لا يقدح في أشعرية الإمام القرافي، فهو وإن كان أشعريًا فلا يمنعه ذلك أن يضيف، أو يرفض ما يقرره الأشاعرة، ما لم يكن من أصول الاعتقاد، ومعرفة التعلقات ليست أمرًا واجبًا على المكلف، عليه قبوله، ولا يسعه خلافه.

---

(١) نفائس الأصول (٢/ ٣٢٥، ٣٢٦).

عموم إرادة الله تعالى

عقيدة أهل السنة أن إرادة الله تعالى عامة التعلق، فالله يريد الخير والشر، ولا يقع في ملكه إلا ما أراد، يقول الإمام الجويني: «الحوادث كلها تقع مرادة لله تعالى نفعها، وضرها، خيرها، وشرها»(١).

ويرى المعتزلة أن الله تعالى لا تتعلق إرادته إلا بالخير، والشر غير مراد لله تعالى عندهم، والخير عندهم واجب ومندوب ليس غير، أما المباح والمكروه، والحرام، فلا تتعلق به إرادة الله تعالى(٢).

رأي الإمام القرافي:

يعرف الإمام القرافي الإرادة بأنها الصفة المخصصة لأحد طرفي الممكن بما هو جائز عليه من وجود، أو عدم، أو هيئة، أو حالة دون حالة، أو زمان دون زمان، وجميع ما يمكن أن يتصف الممكن به بدلاً عن خلافه، أو ضده، أو نقيضه، أو مثله.

ويفرق الإمام القرافي بين الإرادة القديمة والإرادة الحادثة، بأن الحادثة لا يجب لها حصول مرادها، وفي حق الله تعالى يجب لها ذلك، والحادثة عرض

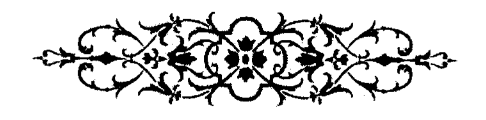
---

(١) لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة للجويني (ص١١٠)، ت. د/ فوقية حسين محمود، عالم الكتب، بيروت، ط/ الثانية ١٩٨٧، وينظر: نهاية الأقدام في علم الكلام، للشهرستاني (ص٢٤٨) وما بعدها، ت/ الفرجيوم، مكتبة زهران بالأزهر، بدون تاريخ، المحصل (ص٤٧٢، ٤٧٣)، طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، للبيضاوي (ص٣٠٦، ٣٠٧)، ت. د/ محمد ربيع جوهري، (رسالة دكتوراة منشورة) دار الاعتصام، مصر، ط/ الأولى ١٤١٨هـ.

(٢) يراجع: شرح الأصول الخمسة (ص٤٥٧)، المحيط بالتكليف (ص٢٨٣) وما بعدها، الاتجاه العقلي في مشكلة المعرفة عند المعتزلة، مهدي حسن أبو سعدة (ص٢٥٩)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

مخلوق، ومصرف بالقدرة الإلهية، والمشيئة الربانية، وفي حق الله تعالى، معنى ليس بعرض، واجبة الوجود، متعلقة لذاتها، ازلية أبدية، واجبة النفوذ فيما تعلقت به(١).

ويرى الإمام القرافي -كما هو مذهب الأشاعرة- أن إرادة الله تعالى عامة التعلق، تتعلق بالخير كما تتعلق بالشر، فنسبة الأمرين إلى جلاله تعالى نسبة واحدة، غير أن الله تعالى تتعلق إرادته بالخير ويأمر به، وتتعلق بالشر لئلا يقع في كونه ما لا يريد، ولا يشرعه لعباده دينًا كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ ﴾ [الزمر: ٧](٢).



(١) الأمنية في إدراك النية (ص٨).

(٢) يراجع: الفروق (٣/ ٧٧٧) (٤/ ١٤٢٤)، الاستغناء (ص٢٧٢).

المسلك الثالث
منهج الإمام القرافي في إثبات الصفات

قياس الغائب على الشاهد طريق لإثبات الصفات:

أكثر المتكلمين على اعتبار قياس الغائب على الشاهد طريقًا لإثبات صفات الله تعالى[١].

لكنَّ نفرًا من المتكلمين يرفضون اعتبار هذا القياس، ويرونه طريقًا ضعيفًا، ومن هؤلاء: الشهرستاني، وسيف الدين الآمدي، وعضد الدين الإيجي[٢].

رأي الإمام القرافي: يرى الإمام القرافي اعتبار قياس الغائب على الشاهد طريقًا لإثبات الصفات كما هو رأي أكثر المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، ويرى الإمام القرافي أنه لا بد في قياس الغائب على الشاهد من جامع مشترك، وإلا لا يصح القياس، وهذا الجامع عند الإمام القرافي موجود بين صفات الباري وصفاتنا، ومن ثم صح الاعتماد على هذا الطريق، يقول الإمام القرافي:

«مفهوم الوجود مشترك بين الواجب والممكن، وكذلك مفهوم العلم من حيث هو علم وقعت الشركة فيه بين الواجب والممكن، وكذلك مفهوم الحياة، والسمع، والبصر، والإرادة، والكلام النفساني، وأنواعه من الطلب في الأمر، والنهي، وغير ذلك من أنواع الكلام النفساني، ولولا الشركة في أصول هذه المفهومات لتعذر علينا قياس الغائب على الشاهد؛ فإن القياس بغير مشترك

---

(١) يراجع: الغنية في أصول الدين (ص٩٠)، التوحيد لأبي منصور الماتريدي (ص٤٥، ٤٦)، ت. د/ فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، تمهيد الأوائل (ص٢٢٧) وما بعدها، شرح الأصول الخمسة (ص١٥١، ١٥٢).

(٢) يراجع: نهاية الأقدام (١٦٨) وما بعدها، غاية المرام (٤٥) وما بعدها، شرح المواقف (١/ ١٨٩) وما بعدها.

متعذر، وقياس المباين على مباينة لا يصح»[١].

والأولى أن لا يقاس الغائب على الشاهد، وألا يعتمد هذا طريقًا لإثبات صفات الباري سبحانه وتعالى، بل يكفي لإثبات الصفة ورود نص من كتاب أو سنة، يقول الشهرستاني: «إذا قام دليل في الغائب على أنه عالم بعلم، قادر بقدرة، فذلك الدليل مستقل بنفسه، غير محتاج إلى ملاحظة جانب الشاهد»[٢].

إثبات صفة الوحدانية عند الإمام القرافي:

يعتبر المتكلمون أقوى الدلائل العقلية لإثبات صفة الوحدانية لله تعالى هو ما يسمى دليل التمانع، يقول فخر الدين الرازي في حكاية دلائل المتكلمين على أن الله واحد: «اعلم أنهم ذكروا أنواعًا من الدلائل أقواها دليل التمانع»[٣].

ودليل التمانع مضمونه: أنه لو وجد إلهان، وأراد أحدهما تحريك جسم، والآخر تسكينه في وقت واحد، لم يخل الحال من أحد ثلاثة أمور: إما أن تنفذ إرادتهما، فيؤدي إلى اجتماع الحركة والسكون في وقت واحد في محل واحد، وهذا بين الاستحالة لما فيه من اجتماع الضدين، وإما ألا تنفذ إرادتهما، فيؤدي إلى عجز وقصور في إلهية كل منهما، وخلو المحل عن الضدين، وذلك أيضًا بين الاستحالة، وإما أن تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر، فيلزم عجز من لم ينفذ مراده، وذلك ينافي الإلهية، ويلزم عجز الذي نفذ مراده؛ لأنه مماثل للعاجز، وإذا كان كل منهما عاجزًا لم يوجد العالم، لكن العالم موجود بالمشاهدة، فبطل وجود إلهين، وهذا الدليل إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

---

(١) الفروق (٣/ ٧٣٩).

(٢) نهاية الأقدام (ص١٨٦).

(٣) المطالب العالية من العلم الإلهي، لفخر الدين الرازي (٢/ ١٣٥)، ت. د/ أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

[الأنبياء: ٢٢]؛ أي: لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم توجدا، لكن عدم وجودهما باطل؛ لمشاهدة وجودهما، فبطل ما أدى إليه، وهو وجود جنس الآلهة غير الله، وثبت أن الله واحد[١].

- طريق إثبات الوحدانية عند الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن أقوى الأدلة العقلية لإثبات صفة الوحدانية هو برهان التمانع، غير أنه لا يرتضي طريقة المتكلمين في إجراء هذا البرهان، والسبب أنهم يفترضون وجود إلهين، مع أن وجود الإلهين محال، وهذا الفرض جائز، فيلزم أن يكون المحال جائزًا، وذلك قوله: «وأما ما يتعلق بالمتكلمين وقولهم في برهان التمانع: إنه لو فرض إلهان، فأراد أحدهما تحريك زيد، والآخر تسكينه، إلى آخر التقرير، فلست أرضاه؛ لأن المحال لا يتبين بتقدير جائز، فيلزم أن يكون المحال جائزًا وهو محال»، والطريق الذي يرتضيه الإمام القرافي يتضح في قوله: «وإنما الطريق في إثبات الوحدانية ببرهان التمانع أن نقول: المؤثر يجب أن يكون واحدًا وهو الله تعالى... فإذا تقررت هذه القاعدة، وأن الله تعالى قدرته عامة التعلق، وإرادته وعلمه، فلو فرض له مثل -تعالى الله عن ذلك لكان هو أيضًا-؛ أعني: ذلك المثل، عام القدرة، والإرادة، وأنه يجب لذاته ألا يصدر شيء إلا عن قدرته، كما وجب ذلك لله تعالى، فحينئذ يجب تعلق قدرة كل واحد منهما بكل جزء من أجزاء العالم، وكل واحد منهما مؤثر تام القدرة، يجب صدور أثره

---

(١) يراجع: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، للأشعري (ص٢٠، ٢١)، ت. د/ حمودة غرابة، مطبعة مصر ١٩٥٥م، الإرشاد (ص٧٠، ٧١)، نهاية الأقدام (ص٩١، ٩٢)، معالم أصول الدين، للرازي (ص٧٤، ٧٥)، ت/ طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ، شرح المقاصد (٣/ ٢٤، ٢٥)، تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص٦٨، ٦٩).

بقدرته، ممتنع الصدور عند قدرة غيره، فيمتنع بكل واحد منهما عن الآخر، فيصدر بهما، ولا يصدر بها، ويصير كل واحدٍ من أجزاء العالم ملزومًا للجمع بين النقيضين، فيكون محالاً، فيبطل جميع أجزاء العالم، ويستحيل، وهو معنى قول الله تعالى: ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾، فهذا هو التقرير الصحيح في برهان التمانع، وأما ما يقع في أكثر الكتب الكلامية فلا يصح أصلاً»[١].

أي: أن الإمام القرافي يريد أن يكون صوغ الدليل هكذا:

لو فرض وجود إلهين، كل منهما عام القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، وهذا محال، فإما أن ينفذ مرادهما معًا في حالة عدم الاتفاق، أو لا ينفذ مرادهما، أو ينفذ مراد أحدهما إلى آخر الدليل.

فالفارق بين دليل القرافي، ودليل المتكلمين، هو في جواز الفرض، أو استحالته، فعند القرافي محال، وعند المتكلمين جائز.

لكن هذا ليس مسلمًا للإمام القرافي، فالمتكلمون لما فرضوا وجود إلهين اشترطوا في كل منهما ما اشترطه الإمام القرافي.

يقول الشهرستاني: «وهذه المسألة -إثبات الوحدانية- مقصورة على استحالة وجود الإلهين، يثبت لكل واحد منهما من خصائص الإلهية ما يثبت للثاني»[٢].

ويقول السعد: «إنه لو وجد إلهان بصفة الإلهية»[٣].

ومن هنا يتضح: أن السبب الذي لم يرتضِ لأجله الإمام القرافي طريقة المتكلمين وهو فرض ما هو جائز ليس مسلمًا له؛ لأن المتكلمين يشترطون ما

---

(١) الاستغناء في الاستثناء (ص٢٧٢).

(٢) نهاية الأقدام (ص٩١).

(٣) شرح المقاصد (٣/ ٢٤).

اشترطه القرافي في الدليل، وهو إبطال المحال بالتعليق على محال، فضلاً عن أنه يلمس تقارب، أو اتحاد بين دليل القرافي، وغيره من المتكلمين، مما يجعلنا نقول: إن الخلاف بين القرافي وغيره إنما هو خلاف عبارات.



المسلك الرابع
النصوص الموهمة للتشبيه

وردت نصوص في القرآن والسنة ظاهرها يوهم مشابهة الله تعالى بخلقه، كوصف الله تعالى بالرحمة، وبالغضب، والضحك، وأن له يدًا، ووجهًا، وجنبًا، وغير ذلك مما يوهم ظاهره مشابهة الله تعالى لخلقه.

والعلماء -عدا المجسمة والمشبهة- مختلفون في هذه النصوص بعد اتفاقهم على تنزيه الله تعالى عما يشابه خلقه على مذهبين:

فمذهب السلف: تفويض المراد من هذه النصوص إلى الله تعالى، وعدم جواز الخوض في تفسيرها.

ومذهب الخلف: تأويل هذه النصوص عن ظاهرها الموهم للتشبيه، وحملها على معنى يليق بالله تعالى[١].

رأي الإمام القرافي:

يذكر الإمام القرافي الرأيين في المسألة -أعني: رأي السلف، ورأي الخلف- ويبين وجهة نظر أصحاب كل رأى، وذلك قوله: «جميع النصوص الواردة في الجوارح كالوجه، والجنب، والقدم، قيل: يتوقف عن تأويلها، ويعتقد أن ظاهرها غير مراد، ويحكى أنه مذهب السلف، فإنه تهجم على جهة الله تعالى بالظن والتخمين، وقيل: يجب تأويلها؛ لقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

---

(١) يراجع: أساس التقديس للرازي (ص٢٣٦) وما بعدها، ت. د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط/ ١٤٠٦هـ، أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي (ص١٠٩) وما بعدها، مطبعة الدولة، استانبول، ط/الأولى ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، شرح المقاصد (٣/ ١٢٨، ١٢٩)، شرح البيجوري على الجوهرة (ص١٠٣) وما بعدها.

ٱلۡقُرۡءَانَۚ ﴾ [النساء: ٨٢]، وغير ذلك من النصوص الدالة على النظر والاعتبار»[١].

ويختار الإمام القرافي القول بالتأويل، فيقول: «وإذا قلنا بالتأويل... فعلى أي شيء تؤول؟ فقيل: على صفات مجهولة غير الصفات السبعة... وقيل: بل على الصفات السبعة ونحوها مما يناسب كل آية، فاليد للقدرة، والعين للعلم، والقدم ونحوه للقدرة، والوجه للذات، والجنب للطاعة؛ لأن هذه المحامل هي المناسبة في المجازات لهذه الحقائق، ومتى تعذر حمل اللفظ على حقيقته، تعين صرفه لأقرب المجازات إليه لغة»[٢].

ويختار الإمام القرافي التأويل إلى الصفات السبعة، وذلك واضح في قوله: «وردت نصوص بإفراد اليد، وتثنيتها، وجمعها ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ [يس: ٧١]، مع أن المتجوز إليه واحد في نفسه، وهو القدرة، وسببه: أن القدرة لها متعلق، فإن عبر عن القدرة باعتبار ذاتها أفردت، أو باعتبار متعلقاتها جمعت، أو باعتبار أن تعلقاتها قسمان، ثنيت»[٣].

فهذا الكلام يؤكد أن الإمام القرافي يختار التأويل إلى الصفات السبعة، ويقول في قول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر: ٢٢] «فعبر تعالى عن أمره الوارد من قبله باللفظ الخاص بالربوبية على وجه المجاز من باب إطلاق لفظ السبب على المسبب، ولفظ المؤثر على الأثر»[٤].

---

(١) الذخيرة (١٣/ ٢٣٥، ٢٣٦).
(٢) الذخيرة (١٣/ ٢٣٥، ٢٣٦).
(٣) الذخيرة (١٣/ ٢٣٦).
(٤) الفروق (٤/ ١٣٨٣).

ويقول في قول النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل**»[١] «أي: تنزل رحمة ربنا، فسماها باسمه تعالى لكونها من قبله ومن أثره»[٢].

ويقول أيضًا: «هناك ألفاظ اختلف في مدلولها هل هو قديم أو محدث؟»، وهذه الألفاظ هي: غضب الله تعالى، ورحمته، ورضاه، ومحبته، ومقته ونحو ذلك من هذه الألفاظ التي حقائقها لا تتصور إلا في البشر، والأمزجة، والمخلوقات»، ثم يذكر الإمام القرافي رأيين للأشاعرة في تأويل هذه الألفاظ، رأي أبي الحسن الأشعري، وهو أن المراد بهذه الألفاظ إرادة الإحسان لمن وصف بذلك من الخلق في صفة الرحمة ونحوها، وإرادة العقوبة لمن وصف بذلك من الخلق في لفظ الغضب ونحوه.

ورأي أبي بكر الباقلاني، وهو: أن المراد بذلك أن الله تعالى يعاملهم معاملة الراحم والغضبان فيكون المراد في ألفاظ الرحمة: الإحسان نفسه، وألفاظ الغضب: العقاب نفسه.

ثم يرجح مذهب أبي الحسن الأشعري بقوله: «ومذهب الشيخ أقرب من مذهب القاضي، وسبب ذلك أن الرحمة التي وضع اللفظ بإزائها وهي حقيقة فيها رقة الطبع، وإذا رق طبعك على إنسان؛ فإن هذه الرقة في القلب يلزمها أمران:

(١) أخرجه البخاري، ك: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، حديث رقم (١١٤٥)، صحيح البخاري (١/ ٣٨٤)، وأخرجه مسلم، ك: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل، حديث رقم (٧٥٨) صحيح مسلم (١/ ٥٠٧) عن أبي هريرة.

(٢) الفروق (٤/ ١٣٨٣).

أحدهما: إرادة الإحسان إليه.

والثاني: الإحسان نفسه.

فهما لازمان للرقة التي هي حقيقة اللفظ، والتعبير بلفظ الملزوم عن اللازم مجاز عرفي شائع غير أن إرادة الإحسان إلزام للرقة، فإن كل من رحمته وأحسنت إليه فقد أردت الإحسان إليه، وقد تريد الإحسان وتقصر قدرتك عن الإحسان إليه، فالإرادة أكثر لزومًا للرقة، وإذا قويت العلاقة كان مجازها أرجح، فمجاز الشيخ أرجح؛ لأنه الإرادة»[1].



(١) الفروق (٣/ ٧٧٧، ٧٧٨).

المطلب الرابع
أفعال الله تعالى

وفيه مسلكان

المسلك الأول: هل يجب على الله تعالى مراعاة المصالح؟

المسلك الثاني: أفعال العباد



المسلك الأول
هل يجب على الله تعالى مراعاة المصالح؟

مذهب أهل السنة: أن الله تعالى لا يجب عليه شيء ألبتة؛ لأنه لا حكم عليه سبحانه، فهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

وذهبت المعتزلة إلى أن الله تعالى يجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده، فلو وجد فعلان؛ أحدهما: فاسد، والآخر: صالح، وجب على الله تعالى أن يفعل لعباده الصالح، ولو وجد فعلان أحدهما صالح، والآخر أصلح، وجب على الله تعالى أن يفعل الأصح لعباده[١].

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن الله -تعالى- لا يجب عليه شيء، ولا يجب عليه فعل الصالح للعباد، وإن كانت الشرائع كلها مصالح للعباد، فإن ذلك منه سبحانه وتعالى بمحض فضله، لا واجبًا عليه تعالى.

يقول الإمام القرافي:

«قالت المعتزلة: إن الله تعالى يجب عليه مراعاة المصالح على سبيل الوجوب العقلي، ويستحيل عليه خلاف ذلك، وعند أهل الحق: له أن يفعل في ملكه ما يشاء، ويحكم ما يريد، فمراعاة المصالح على سبيل التفضُّل»، وهذا لا يتنافى مع القول بأن الله تعالى اعتنى بخلقه، وراعى مصالحهم، فإن الشرائع كلها مصالح للعباد.

---

(١) يراجع: المحيط بالتكليف (ص٢٤٣)، الإرشاد (ص٢٤٧) وما بعدها، نهاية الأقدام (ص٣٩٧) وما بعدها، المطالب العالية (٣/ ٣٠٥) وما بعدها، المحصل (ص٤٨١)، طوالع الأنوار (ص٣٠٩).

ويستدل الإمام القرافي على أن الشرائع كلها مصالح بقوله:

«لو كان ملك عادته ألا يخلع الأخضر إلا على الفقهاء، فإذا خلع الأخضر على من لا نعرفه حكمنا أنه فقيه؛ طردًا لقاعدة ذلك الملك.

وكذلك الشرائع لما استقرأناها وجدناها مصالح، فلا يأمر الله تعالى إلا بخير ولا ينهى إلا عن ضرر».

ويدفع القرافي -رحمه الله- إيهام وجوب مراعاة المصالح على الله بقوله: «وذلك على سبيل التفضُّل»[1].



(١) ينظر: شرح تنقيح الفصول (ص٦٨).

المسلك الثاني
أفعال العباد

اتفقت كلمة العلماء على أن الله خالق أفعال العباد الاضطرارية، ولكن اختلفت في الأفعال الاختيارية.

فمذهب أهل الحق أنه لا فرق بين فعل اختياري واضطراري، بل الكل واقع بقدرة الله تعالى، فالله هو خالق الإنسان وما عمل، وقالوا: ما يدل من آيات وأحاديث على نسبة الفعل إلى العبد إنما هو باعتبار أن الفعل من كسبه، فالفعل مخلوق لله، مكسوب للعبد، بمعنى أن للعبد قدرة على الكسب، وعلى الفعل، ولا ينافي هذا كون الله تعالى هو خالق الفعل ابتداءً.

ومذهب الجبرية: أن العبد مجبر في أفعاله كلها، لا حرية له ولا إرادة[١].

ومذهب المعتزلة: أن العبد هو خالق أفعاله الاختيارية، وأن هذه الأفعال لا تتعلق بها قدرة الله تعالى[٢].

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أنه ليس شيء في العالم إلا واقع بقدرة الله تعالى، فقدرته تعالى يقع بها كل ممكن، ويستدل على ذلك بقوله: «إن علة صحة التأثير هي الإمكان، فصحة تأثير قدرة الله تعالى في أي شيء من أجزاء العالم إنما لكونه ممكنًا، فإذا كانت جميع الممكنات مشتركة الإمكان، والاشتراك في العلة يوجب

---

(١) يراجع: اللمع (ص٦٩) وما بعدها، أصول الدين (ص١٣٣، ١٣٤)، المطالب العالية (٩/ ٩) وما بعدها، معالم أصول الدين (ص٧٨) وما بعدها، شرح المقاصد (٣/ ٦٤) وما بعدها.

(٢) يراجع: شرح الأصول الخمسة (ص٣٢٣) وما بعدها، المحيط بالتكليف (ص٣٤٠) وما بعدها.

الاشتراك في المعلول، فجميع الممكنات مشتركة في صحة تأثير قدرة الله فيها، ونسبتها إلى جميع الممكنات نسبة واحدة، فلو وقع بعضها بقدرة الله تعالى، وبعضها بقدرة غيره، لزم الترجيح من غير مرجح؛ إذ كل الممكنات مشتركة الإمكان، فيتعين وقوع كل ما وقع بقدرة الله تعالى»(١).

ولذلك يرى أن العبد مجبر ومقهور من حيث تعلق الصفات الربانية بفعله، وأما من حيث نفس العبد وذات الفعل، فالعبد مخير؛ لأن الفعل من كسبه، وهذا هو مذهب الأشاعرة، ويتضح هذا من قوله: «ومذهبنا: كون العبد مقهورًا من حيث تعلق الصفات الربانية بفعل العبد، لا من جهة نفسه، ولا من جهة ذات الفعل».

ثم يقول بعد أن ذكر مذهب الجبرية وأنه القائل: «إن حركات الحيوانات وتحركات الأشجار، لا اختيار فيها ولا كسب عادي: وهذا هو مذهب الجبرية، ونحن لا نقول به، بل نقول: تعلق الصفات الربانية بفعل العبد منها ما هو تابع لكونه يفعل أو يترك، وهو العلم والخبر، ومنها ما هو متبوع وهو الإرادة، وعلى كل تقدير الفعل في مجرى العادات مكتسب»(٢).

ويقول في قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد: ٢٧]، «فرهبانية: منصوب بجعلنا عملاً بظاهر العطف، وقال جماعة من المعتزلة: لا يجوز نصبه بجعلنا؛ لأن الله تعالى وصف الرهبانية بأنهم ابتدعوها، وما ابتدعوه هم، لا يمكن أن يكون مجعولاً لله تعالى، بل عندهم منصوب بفعل مضمر تقديره: ابتدعوا رهبانية

(١) الاستغناء في الاستثناء (ص٢٧٧).
(٢) نفائس الأصول (٢/ ٣٢١).

ابتدعوها... وهذا على قاعدتهم الفاسدة: أن العبد يخلق أفعاله، وأن ما تعلق به قدرة الله تعالى، لا يمكن أن تتعلق به قدرة العبد، وما تعلق به قدرة العبد، لا يمكن أن تتعلق به قدرة الله تعالى، وأما أهل الحق فيقولون: إن الفعل كله لله لا خالق غيره، فما فعله العبد، وما لم يفعله كله مخلوق لله تعالى، فجاز النصب بجعلنا المنسوب إلى الله تعالى، وإن نسب ابتداعها إليهم»[1]؛ أي: فعلى مفهوم الكسب، كما ذكر قبل ذلك.



(١) الاستغناء في الاستثناء (ص٥١٥).

المطلب الخامس
رؤية الله تعالى

رؤية الله تعالى في الدنيا:

اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في وقوع الرؤية من النبي ﷺ لله تعالى في الدنيا، فذهبت أم المؤمنين عائشة، وعبد الله بن مسعود إلى نفيها يقظة، وذهب ابن عباس، وجماعة من الصحابة إلى القول بوقوعها ليلة الإسراء والمعراج بعيني رأسه ﷺ، وهو مذهب أبي الحسن الأشعري، ومعظم أتباعه[١].

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن رؤية الله تعالى واقعة في الدنيا، رآه سيدنا محمد ﷺ بعيني رأسه كما هو مذهب جمهور الأشاعرة، وذلك قوله في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] «المراد بالرؤيا هنا: رؤية الإسراء، واختلف العلماء فيها، فقيل: هي رؤيا عين ويقظة، وعليه الجمهور، وقالت عائشة -رضي الله عنها-: هي رؤيا منام، وظاهر الآية يعضد رأي الجمهور؛ لأنها وصفت بأنها فتنة، والمنام لا فتنة فيه، فلو قال رسول الله ﷺ: رأيت في المنام أني صعدت إلى السماء؛ لما صعب ذلك على نفوس الناس، فإن كل أحد يتوقع له مثل ذلك في منامه، ولا يصح وصفها بالفتنة إلا إذا كانت رؤيا يقظة»[٢].

---

(١) يراجع: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة (٢/ ٥٦٣) وما بعدها، ت. د/عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشيد، الرياض، ط/الخامسة ١٩٩٤م، الإنصاف (ص١٧٦)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني: ت/ الشيخ عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط/الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢) الاستغناء في الاستثناء (ص٥٠٢).

رؤية الله منامًا:

لا خلاف بين العلماء في جواز رؤية الله منامًا، يقول الإمام ابن حجر: «جوَّز أهل التعبير رؤية الباري ﷻ في المنام مطلقًا»(١).

والإمام القرافي يرى أن الله تعالى يصح أن يرى في المنام، وجعل لذلك أحوالاً:

١- أن يرى الباري سبحانه وتعالى في النوم على النحو الذي دل عليه المعقول، والمنقول، من صفات الكمال، ونعوت الجلال له، والسلامة من الصفات الدالة على الحدوث من الجسمية والتحيز، والجهة، فهذه الرؤيا صحيحة وجائزة، ويفرق القرافي في هذه الحال بين أمرين:

الأمر الأول: إما أن يكون الرائي من غير أهل الرؤيا، كأن يكون عاصيًا أو من المقصرين، فهذا إن ادعى الرؤيا يُكَذَّبُ.

والأمر الثاني: أن يكون الرائي من الأولياء المتقين، فهذا لا يكذب، ونسلم له حاله، ويكون ذلك دالاً على ولايته.

٢- أن يرى الباري تعالى في صورة مستحيلة عليه عز وجل، كمن يراه في صورة رجل، أو غير ذلك من الأجسام المستحيلة على الله تعالى، ويفهم الرائي أن هذا الجسم من إنسان وغيره خلق من خلق الله تعالى، وأمر وارد من قبله تعالى، يقتضي حالة من هذا الرائي، ويتقاضاها منه، أو يأمره بخير، أو ينهاه عن شر، ويقول له أنا الله، لا إله إلا أنا، فاعبدني، وامتثل أمري، ونحو ذلك.

يقول القرافي: فهذه الحالة أيضًا صحيحة جائزة، ويكون إطلاق لفظ الله

(١) فتح الباري: (١٢/ ٤٦٨).

تعالى على الجسم من قبيل المجاز، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢].

٣- أن يرى الباري سبحانه وتعالى في صورة حسنة من الجسمية، ويعتقد الرائي أنها الله تعالى حقيقة، ولا يخطر ببال النائم معنى المجاز ألبتة.

يقول القرافي: فهذه الرؤيا يحتمل أن تكون صحيحة، ويكون المراد بها المجاز، والرائي جهل المجاز، فكان الغلط منه، لا من الرؤيا، ويحتمل أن تكون هذه الرؤيا كذبًا، يقول القرافي في هذا اللون من الرؤيا: فهذه الرؤيا موضع التثبت والخوف من الغلط، وإذا استيقظ هذا الرائي وجب عليه أن يجزم بأن الذي رآه ليس ربه على الحقيقة، بل أحد الأمرين: المجاز أو الكذب، وينظر ماذا يقتضيه الحال منهما فيعتقده.

فإن أشكل عليه الأمر أعرض عن الرؤيا بالكلية، حتى يتضح له الصواب، فإذا اعتقد أنها حق، وأن الذي رآه هو ربه فهو كافر(١).

رؤية الله تعالى في الآخرة:

مذهب الأشاعرة وغيرهم من أهل الحق: أن الله تعالى تصح رؤيته في الآخرة، بمعنى أنه ينكشف لعباده المؤمنين في الآخرة كما ينكشف البدر المرئي، ولكن من غير شرائط الرؤية المعروفة في الدنيا؛ أي: بدون حصول مواجهة، ولا اتصال شعاع من العين، ولا ارتسام صورة، وغير ذلك فرؤيته في الآخرة تكون مع تنزيهه عن المكان، والجهة، والمقابلة وغيرها.

ومذهب المعتزلة ومن وافقهم من الخوارج والنجارية والجهمية والروافض

---

(١) يراجع: الفروق (٤/ ١٣٨١ - ١٣٨٤).

إنكار رؤية الباري سبحانه وتعالى وعدم جوازها بوجه.

ومذهب الكرامية والمشبهة: جواز رؤيته تعالى، ولكن بالشرائط المعروفة في الدنيا؛ أي: في جهة، وبمقابلة، واتصال شعاع، وفي مكان، والسبب أنه عندهم جسم، تعالى الله عن ذلك[١].

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن رؤية الله تعالى ليست كالرؤية التي في الدنيا، بل هي عبارة عن خلق علم عند الرائي، به يعلم أن المرئي هو الله سبحانه وتعالى، وذلك قوله: «قال أهل الحق: رؤية الله تعالى عبارة عن خلق علم به تعالى، هو أخص من مطلق العلم، نسبته إلى الله، كنسبة إدراك الحس إلى الحسيات»[٢].

ويقول في رؤية الآخرة: «فنحن نجوزها، ونجزم بوقوعها في الآخرة للمؤمنين»[٣]، ويقول أيضًا: «فيتعين على كل مكلف عند أول بلوغه، أن يعلم أن لجميع الموجودات من الممكنات خالقًا... وأن الله يراه المؤمنون يوم القيامة ويكلمهم»[٤].

---

(١) يراجع: التبصير في الدين (ص١٠١) وما بعدها، شرح الأصول الخمسة (ص٢٣٢) وما بعدها، المحيط بالتكليف (ص٢٠٨) وما بعدها، الفرق بين الفرق، لأبي منصور البغدادي (ص١٨٣) ت/ محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، بدون تاريخ، الإرشاد (١٥٧) وما بعدها، معالم أصول الدين (٦٧) وما بعدها، طوالع الأنوار (ص٢٩٥، ٢٩٦)، شرح المقاصد (٣/ ١٣٤) وما بعدها.

(٢) ينظر: نفائس الأصول (٣/ ٤٨٤).

(٣) ينظر: الفروق (٤/ ١٣٨١، ١٣٨٢).

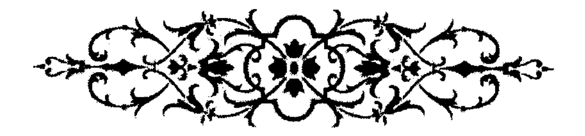
(٤) الذخيرة (١٣/ ٢٣١، ٢٣٢).

المطلب السادس
النبوات

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: الفرق بين النبي والرسول

المسلك الثاني: طرق إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ



المسلك الأول
الفرق بين النبي والرسول

اختلف العلماء في الفرق بين النبي والرسول على أقوال عدة، يمكن إجمالها في الآتي:

١- يذهب المعتزلة إلى أنه لا فرق بين النبي والرسول، ويعرفون النبي بأنه المبعوث من جهة الله تعالى دون غيره، يقول القاضي عبد الجبار: «اعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي»[(١)]، وهذا ما مال إليه السعد في المقاصد فقال: «النبي: إنسان بعثه الله؛ لتبليغ ما أوحي إليه، وكذا الرسول»[(٢)]، وهو مذهب الفلاسفة، فالنبي عندهم، أو الرسول، من اجتمع فيه ثلاث خواص تميزه عن غيره:

أحدها: أن يكون له اطلاع على المغيبات الكائنة، والماضية، والآتية.

وثانيها: أن تظهر منه الأفعال الخارقة للعادة.

وثالثها: أن يرى الملائكة مصورة بصورة محسوسة، ويسمع كلامهم وحيًا من الله إليه[(٣)].

٢- ويذهب بعض المعتزلة إلى أن الرسول هو صاحب الوحي بواسطة الملك، والنبي هو المخبر عن الله تعالى بكتاب، أو إلهام، أو تنبيه في المنام[(٤)].

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٥٦٧).

(٢) شرح المقاصد (٣/ ٢٦٨).

(٣) شرح المواقف (٣/ ٣٣٢) إطلالة على دلائل النبوة والرسالة لدى المتكلمين، لأستاذنا الدكتور/ عبد الحميد عز العرب (ص١٠) وما بعدها، بدون طبعة، ولا تاريخ.

(٤) شرح المقاصد (٣/ ٢٦٨، ٢٦٩)، حاشية محمد بن محمد الأمير (ص١١).

٣- ويذهب البعض إلى أن الرسول من له شريعة وكتاب، والنبي من ليس كذلك.

٤- ويذهب البعض إلى أن الرسول من له كتاب، أو نسخ لبعض أحكام الشريعة السابقة، والنبي قد يخلو من ذلك، كيوشع بن نون عليه السلام[١].

٥- وقيل: الرسول من خص بأحكام وخص بتبليغها، والنبي من خص بأحكام ولم يؤمر بتبليغها[٢].

الفرق بين النبي والرسول عند الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن النبي يفارق الرسول، في أن النبي يوحى إليه بشرع يختص به، والرسول يوحى إليه بشرع يتعداه إلى غيره.

يقول الإمام القرافي: «إنما النبوة... أن يوحي الله تعالى لبعض خلقه بحكم الشيء يختص به، كما أوحى الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق: ١، ٢]، فهذا تكليف يختص به في هذا الوقت... فهذه نبوة، وليست رسالة، فلما أنزل الله تعالى عليه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدثر: ١، ٢] كان هذا رسالة؛ لأنه تكليف يتعلق بغير الموحى إليه... ولذلك قال العلماء: كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً؛ لأن كل رسول كلف تكليفًا خاصًّا به، وهو تبليغ ما أوحي إليه، فظهر الفرق بين النبوة والرسالة»[٣].

ولذلك لما كانت النبوة قاصرة على النبي، والرسالة متعدية لهداية الأمة، كانت الرسالة أشرف من النبوة، يقول القرافي في الفرق الثالث عشر بعد المائة في

---

(١) شرح المقاصد (٣/ ٢٦٨).

(٢) حاشية محمد بن محمد الأمير (ص١١).

(٣) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام (ص٤٧، ٤٨).

كتاب الفروق، وهو الفرق بين قاعدة التفضيل بين المعلومات يقول: «وهي عشرون قاعدة: ... القاعدة السادسة، التفضيل بالثمرة والجدوى... وجاء من هذا الوجه تفضيل الرسالة على النبوة، فإن الرسالة مثمرة الهداية للأمة المرسل إليها، والنبوة قاصرة على النبي، فنسبتها إلى النبوة، كنسبة العالم إلى العابد»[١].

فالفرق بين النبي والرسول عند الإمام القرافي محصور في البلاغ، فمن أمر بالبلاغ فهو رسول، ومن لم يؤمر فهو نبي.

لكن هذا الفرق فيه نظر؛ لأن الرسول ﷺ قال: **«عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»**[٢]، فهذا يدل على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ كالرسل، وأنهم متفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

وأيضًا: نص الله تعالى على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢]، فإذا كان الفارق هو البلاغ، فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

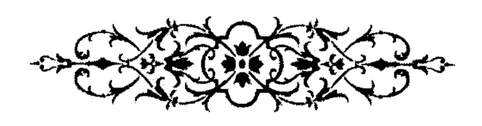
وأيضًا: لو أن النبي هو من أوحي إليه إليه بوحي ولم يؤمر بتبليغه، لكان هذا كتمانًا للوحي، والله تعالى لم ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته، بل الفارق بين النبي والرسول -والله أعلم- أن الرسول: من له شريعة أو نسخ لبعض أحكام الشريعة السابقة، والنبي: من يأتي

---

(١) الفروق (٢/ ٦٦٧، ٦٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، حديث رقم (٦٥٤١) (٥/ ٢٣٩٥)، والإمام مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، حديث رقم (٢٢٠) (١/ ١٩٧)، عن ابن عباس.

مقررًا لشريعة من قبله، ويؤيد هذا تعدد أنبياء بني إسرائيل وكثرتهم، إذا كلما اندثرت شريعة موسى أو كادت، بعث الله نبيًّا يجدد أمرها ويحيي تعاليمها[١].



(١) يراجع: أصول الدين (ص٥٤)، إطلالة على عقيدة النبوة والرسالة لدى المتكلمين (ص١٦)، الرسل والرسالات، د/ عمر سليمان الأشقر (ص١٤/ ١٥)، دار النفائس، الكويت، ط/ الرابعة ١٤١٠هـ.

المسلك الثاني
طرق إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ

ذكر الإمام القرافي طرقًا أربعة: يستدل بها على إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ:

الطريق الأول: إتيانه ﷺ بالمعجزة، وقبل أن نذكر استدلال الإمام القرافي بهذا الطريق على إثبات نبوة خير الخلق ﷺ، نذكر تعريفه للمعجزة، وغيرها، مما قد يتوهم أنه من الخوارق مثل السحر، والطلسمات، ثم نذكر تفريق الإمام القرافي بين المعجزة، وهذه الأمور:

تعريف المعجزة:

يعرف الإمام القرافي المعجزة بأنها، أمر خارق للعادة يقترن به التحدي[1]، ويقول في كتابه الفروق: «فنحن نريد بالمعجزة: ما خلقه الله تعالى في العالم من الخوارق عند تحدي الأنبياء عليهم السلام»[2].

تعريف السحر:

يعرف الإمام القرافي السحر بقوله: «السحر جنس لثلاثة أنواع:

النوع الأول: السيمياء، وهي عبارة عما يركب من خواص أرضية كدهن خاص، أو مائعات خاصة، أو كلمات خاصة، توجب تخيلات خاصة، وإدراك الحواس الخمسة، أو بعضها لحقائق خاصة من المأكولات، والمشمومات، والمبصرات، والملموسات، والمسموعات، وقد يكون لذلك وجود حقيقي بخلق الله تعالى تلك الأعيان عند تلك المحاولات، وقد لا يكون له حقيقة، بل تخييل صرف.

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٣).
(٢) الفروق (٤/ ١٣٠٤).

والنوع الثاني: الهيمياء، وهي تمتاز عن السيمياء بأنها يحدث فيها ما يحدث في السيمياء، إلا أن هذه الآثار ناتجة عن الاتصالات الفلكية وغيرها من أحوال الأفلاك.

والنوع الثالث: بعض خواص الحقائق من الحيوانات وغيرها، كما تؤخذ سبع من الحجارة فيرجم بها نوع من الكلاب، شأنه إذا رمى بحجر عضه، وبعض الكلاب لا يعضه، فالنوع الأول: إذا رمي بهذه السبعة من الأحجار فيعضها كلها، بعد ذلك تطرح السبعة أحجار في الماء، من شرب منه ظهرت فيه آثار عجيبة»[1] .

تعريف الطلسمات:

يعرف القرافي الطلسمات بأنها: نفس أسماء خاصة، لها تعلق بالأفلاك والكواكب... في أجسام من المعادن وغيرها، تحدث لها آثارًا خاصة ربطت بها في مجاري العادات، فلا بد في الطلسم من هذه الثلاثة.

الأسماء الخاصة:

- التعلق ببعض أجزاء الفلك بالنسبة لهذه الأسماء.

- جعل هذه الأسماء في جسم من الأجسام، ولا بد مع ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الأعمال، فليس كل النفوس مجبولةً على ذلك[2].

الفرق بين المعجزة وهذه الأمور عند الإمام القرافي:

يفرق الإمام القرافي بين المعجزة وغيرها من الأمور التي قد يتوهم أنها

---

(١) الفروق (٤/ ١٢٨٨، ١٢٨٩).

(٢) يراجع: الفروق (٤/ ١٢٩٢).

خارقة للعادة بثلاثة أمور:

١- أن السحر وما يجري مجراه ليس فيه شيء خارق للعادة، بل هو عادة جرت من الله تعالى بترتيب مسببات السحر وغيره على أسباب، غير أن تلك الأسباب لم تحصل لكثير من الناس، بل للقليل منهم، فهي أمور غريبة قليلة الوقوع، وإذا وجدت أسبابها وجدت على العادة فيها.

أما المعجزات: فليس لها في العادة سبب أصلاً، فلا يجعل الله في العادة ما يفلق البحر، أو يُسَيّر الجبال في الهواء، بل هي أمور خارقة للعادة.

٢- أن السحر وما يجري مجراه يختص بمن عُمِل له، حتى أن أهل هذه الحرف إذا استدعاهم الملوك والأكابر؛ ليبينوا لهم هذه الأمور على سبيل التَّفَرُّجِ، يطلبون منهم أن تكتب أسماء كل من يحضر ذلك المجلس، فإن حضر غيرهم لا يرى شيئًا مما رآه الذين سموا أولاً.

بخلاف المعجزة فإنها لجميع من حضر وقتها، ومن لم يحضر، يقول القرافي: «وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٨]؛ أي: لكل ناظر ينظر إليها على الإطلاق.

٣- يفرق القرافي بين المعجزة وغيرها بقرائن الأحوال، وذلك قوله: «الظاهر من قرائن الأحوال المفيدة للعلم القطعي الضروري، المحتفة بالأنبياء عليهم السلام، والمفقودة في حق غيرهم، من حسن النشأة والخَلق والخُلق وغيرها، وكذلك أصحاب الأنبياء، تراهم في غاية العلم، والنور، والرقة، والتقوى، والديانة... فمن وقف على هذه القرائن وعرفها من صاحبها، جزم بصدقه فيما يدعيه جزمًا قاطعًا، وجزم بأن هذه الدعوى حق... فما من نبي إلا له من القرائن الحالية، والمقالية، العجائب والغرائب التي تجعل من رأى شيئًا يظهر

على يديه يجزم بأنه معجزة له.

وأما الساحر فعلى العكس من ذلك كله، لا تجده في موضع إلا ممقوتًا حقيرًا بين الناس، وأصحابه وأتباعه، عديمو الطلاوة، لا بهجة عليهم، والنفوس تنفر منهم، ولا فيهم من نوافل الخير، والسعادة أثر»[(١)].

استدلال القرافي بالمعجزة على نبوة سيدنا محمد ﷺ:

يتضح استدلال القرافي بالمعجزة على نبوة سيدنا محمد ﷺ في رده على اليهود المنكرين لنبوة خير الخلق ﷺ، وذلك قوله: «يقول اليهود: حقيقة المعجزة لا تختلف، وهي فعل خارق للعادة يقترن به التحدي، وهذا قد وجد في حقه ﷺ، كما وجد في حق موسى عليه السلام، فإن كانت المعجزة لا تفيد النبوة يلزمهم ألا يعتقدوا نبوة موسى عليه السلام، وإن أفادت النبوة، يلزمهم اعتقاد نبوة محمد ﷺ.

وإنما قلنا: إن محمدًا ﷺ جاء بالمعجزة؛ لأنه جاء بالقرآن في زمن الفصحاء البلغاء، وسأل من جميعهم أن يأتوا بمثله، فأعجزهم، فسألهم سورة منه، فعجزوا، فنادى بينهم على رءوس الأشهاد بقوله تعالى: ﴿ لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فما اقتصر على تعجيزهم حتى أضاف إليهم غيرهم، وهم الجن، ومع ذلك التوبيخ الذي يأباه ذوو المروءات، ويثير الحمِيَّات، لاسيما عند العرب العرباء، ذوي النفوس والكبرياء، ومع ذلك أظهروا له العجز، وآثروا العدول إلى القتال، وسلب النفوس والأموال، ومثل

---

(١) الفروق (٤/ ١٣٠٣- ١٣٠٥).

هذا لا يفعله الجمع العظيم من العقلاء إلا للمبالغة في العجز»[١].

الطريق الثاني: الاستدلال على نبوة المصطفى ﷺ بأحواله ﷺ:

يستدل الإمام القرافي على نبوته ﷺ بأحواله ﷺ فيقول: «على أنه كان أصدق الناس، وأكرمهم، وأشجعهم، وأكثرهم أمانة، ووقارًا، وإعراضًا عن الدنيا، وترغيبًا في الآخرة، لم يختلف في هذه الصفات اثنان، ممن خالطه من المسلمين، والكفار، وهذه صفات لا تجتمع إلا لنبي»[٢].

الطريق الثالث: الاستدلال بأحوال أصحابه ﷺ:

يستدل الإمام القرافي بحال الصحابة، وما كان لهم من كرامات على صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ، إذ لو كان كاذبًا لما تحققت كرامة لواحد من أصحابه، وذلك قوله: «وكفى بعمر وشيعته دليلاً على صحة نبوته ﷺ؛ فإن أتباع المبطلين لا تكون لهم الكرامات، ولا تخرق لهم العادات، وعمر ﷺ ينادي سارية من المدينة، وسارية في أرض فاريين[٣]: يا سارية: الجبلَ، فيسمعه سارية من هناك[٤]،

---

(١) الأجوبة الفاخرة (١٤٣).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٤).

(٣) لم أقف على معنى فاريين، ولكن كتب المعاجم ذكرت أن المدينة التي فتحها سارية بن زنيم الذي قال له عمر هذه المقولة: هي مدينة فسًا -بالتشديد- بكورة دار ابجرد، ببلاد فارس. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٣٣٠)، الروض المعطار (ص٤٤٤)، وعليها تكون الكلمة فارس، ولكن أصابها التحريف، والله أعلم.

(٤) أخرج هذه الوقعة البيهقي في دلائل النبوة من طريق نافع عن ابن عمر، ك: جماع أبواب إخبار النبي ﷺ، باب: ما جاء في إخبار النبي ﷺ بمحدثين كانوا في الأمم، وأنه إن يكن في أمته منهم أحد، فعمر بن الخطاب ﷺ، حديث رقم (٢٦٥٥)، دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٣٦٩، ٣٧٠) ت/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م..

والكرامة للاثنين في السماع، والإسماع[١]، حتى قال بعض الأصوليين: لو لم يكن لرسول الله ﷺ إلا أصحابه، لكفوه في إثبات نبوته»[٢].

الطريق الرابع: الاستدلال ببشارات الأنبياء السابقين بنبوته ﷺ.

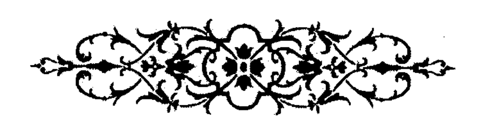
استدل الإمام القرافي على نبوة سيدنا محمد ﷺ بما ذكرته الأنبياء السابقة من الإخبار عنه ﷺ، وعن أمته، وسنذكر إن شاء الله تعالى هذه البشارات بشيء من الدراسة في الفصل الأخير من البحث إن شاء الله تعالى.

هذا ما ذكره القرافي من طرق دالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ، والحقيقة: أن الطريق الأول: الإتيان بالمعجزة -هو العمدة في إثبات النبوة، وإلزام الحجة على المجادل والمعاند، وما عداه من طرق إنما يذكر تقوية، وتتميمًا، ولذلك نرى علماء الأشاعرة متفاوتين فيما عدا الطريق الأول، فالرازي يذكره، ويستدل بأحواله ﷺ، وبشارات الأنبياء السابقين بنبوته ﷺ، ولا يرى طرقًا أخرى تدل على نبوته ﷺ[٣]، والسعد يذكر -إضافة إلى الإتيان بالمعجزة- ما كان عليه ﷺ من كمالات علمية ونفسية، ومحاسن في النفس والبدن، وما اشتملت عليه شريعته من دقائق الحكمة في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والآداب وغيرها، وما كان منه ﷺ من تصديه لمجتمع الكفر والإلحاد حتى انتشر دينه، وظهر، وأنه ﷺ ظهر في وقت احتياج الناس إلى من يهديهم إلى الطريق المستقيم، وما كان من بشارات من الأنبياء المتقدمين بنبوته ﷺ[٤] والقرافي يذكر المعجزة، وثلاثة طرق أخرى،

---

(١) الأجوبة الفاخرة (١٤٥).
(٢) الفروق (٤/ ١٣٠٥).
(٣) يراجع: المحصل: (ص٤٩٠) وما بعدها.
(٤) يراجع: شرح المقاصد: (٣/ ٢٨٦-٣٠٢).

فعلماء الأشاعرة متفقون فيما بينهم على أن طريق الإتيان بالمعجزة هو العمدة في الاستدلال على نبوته ﷺ، ومتفاوتون فيما عداه، والله أعلم.



المطلب السابع
القرآن الكريم

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: وجوه إعجاز القرآن الكريم

المسلك الثاني: هل في القرآن لفظ غير عربي؟



المسلك الأول
وجوه إعجاز القرآن الكريم

الآراء في المسألة:

مذهب الأشاعرة أن جملة وجوه إعجاز القرآن الكريم ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.

الوجه الثاني: ما في القرآن من قصص الأولين وسير الماضين، مع أنه أتى به نبي أمي لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، ولم يكن يعرف شيئًا من كتب المتقدمين، وأقاصيصهم، وأنبائهم، وسيرهم، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه.

الوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعْلَمُ عجز الناس عنه(١).

وذهب النظام وكثير من المعتزلة والمرتضى من الشيعة إلى أن إعجاز القرآن بالصرفة، وهي أن الله تعالى صرف همم المتحدين عن معارضته مع قدرتهم عليها، وذلك إما بسلب قدرتهم، أو بسلب دواعيهم، أو بسلب العلوم التي لا بد منها في الإتيان بمثل القرآن، بمعنى: أنها لم تكن حاصلة لهم، أو بمعنى: أنها كانت حاصلة، فأزالها الله(٢).

---

(١) يراجع: إعجاز القرآن للباقلاني (ص٣٣) وما بعدها، ت/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/ الخامسة، تمهيد الأوائل (١٧٧) وما بعدها، أصول الدين (ص١٨٣) وما بعدها، الإرشاد ٠ص٢٩٢) وما بعدها.

(٢) شرح المقاصد (٣/ ٢٨٩)، ويراجع: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، د/ منير سلطان (ص٢٠١) وما بعدها، الناشر: منشأة المعارف بالأسكندرية، ط/ ١٩٧٧م.

وذكر عن النظام أنه قال: إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة... وإنما وجه الإعجاز ما فيه من الإخبار عن الغيوب(١).

ويرى القاضي عبد الجبار، أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم، هو التحدي مع عدم المعارضة(٢). وقيل في أوجه الإعجاز غير ذلك(٣).

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن وجوه إعجاز القرآن الكريم متعددة، يذكرها في أربعة أوجه:

الوجه الأول: أنه معجز بوصفه ونظمه، فهو في أعلى درجات البلاغة، وأسمى منازل الفصاحة، فضلاً عن تراكيبه البديعة التي لم يألفها العرب من قبل.

الوجه الثاني: إخباره عن المغيبات المستقبلة، كما حصل في غزوة بدر من هزيمة الكفار أمام الرسول ﷺ، وقد نزل قول الله تعالى قبل الغزوة: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ [الروم: ٢، ٣]... وكان الأمر كذلك، وقوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

الوجه الثالث: إخباره عن أحوال القرون الماضية، مع أنه ﷺ لم يقرأ كتابًا، ولم يخالط، ولم يرحل إلا إلى الشام مرتين في المتجر مع قومه، ولم يلتمس هذا قط

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق (ص١٢٩).
(٢) شرح الأصول الخمسة (ص٥٨٦).
(٣) يراجع: شرح المقاصد (٣/ ٢٩٠).

من أهل القصص، ولا من غيرهم.

الوجه الرابع: القرآن لا يمل مع تطاول الأزمان، مع أننا نجد أحسن قصيدة غَرّا، أو رسالة بديعة حسنًا، يستحليها السمع ثم يملها، ويسأمها، وللقرآن الكريم ستمائة سنة، يتلى، ولا يزيده تطاول الأيام إلا جِدَّة.

ثم قال القرافي بعد أن عدد هذه الوجوه: «فهذه وجوه إعجاز القرآن الكريم»(١).

ومن خلال ما سبق يظهر: أن الإمام القرافي وافق الأشاعرة في كون القرآن الكريم معجزًا لفصاحته وبلاغته وحسن نظمه وتركيبه، مع الإخبار عن المغيبات، ماضية كانت أو مستقلة.

غير أن الإمام القرافي زاد كون القرآن الكريم يحسن بكثرة الترداد، ولا يمل مع تطاول الأزمان، وعلى العموم فجمهور الأشاعرة متفقون على الأوجه السابقة، ومتفاوتون فيما عدا ذلك، فبعضهم يرى أن من أوجه الإعجاز، اشتماله على دقائق العلوم، ومكارم الأخلاق(٢)، والبعض يرى أن من وجوه إعجازه أنه لا يُمل ولا يمج من الأسماع، كما يرى القرافي،

والله أعلم.



(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٤٥، ١٤٤).
(٢) الإرشاد (٢٩٢) وما بعدها.

المسلك الثاني
هل في القرآن الكريم لفظ غير عربي؟

يرى الإمام القرافي أن في القرآن الكريم ما هو غير عربي، وأن هذا لا يتعارض مع وصف القرآن الكريم بأنه عربي؛ لأن المقصود من هذا الوصف أنه عربي باعتبار التراكيب والنظم لا باعتبار جميع المفردات، وذلك قوله: «الكلمات الأعجمية في القرآن كثيرة جدًّا... فقد قال النحاة: أسماء الملائكة كلها أعجمية، إلا أربعة: منكر، ونكير، ومالك، ورضوان، وأسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربعة: شعيب، وصالح، وهود، ورسول الله -صلى الله عليهم أجمعين.

فعلى هذا كل نبي أو ملك ذكر في القرآن اسمه، فهو أعجمي، وكذلك ما ذكر غير هؤلاء نحو: فرعون، وهامان، وقارون، وآزر، وهو كثير في القرآن الكريم. وورد هذه الكلمات في القرآن الكريم لا يعارض قوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف: ٢].

فالقرآن عربي باعتبار تراكيبه ونظمه، لا باعتبار جميع مفرداته»(١).

والذي تؤيده ظواهر الآيات أن القرآن كله عربي بتراكيبه، ونظمه، ومفرداته؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]، ولقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤]، أما ورود هذه الكلمات وغيرها في القرآن الكريم فهو من باب توافق اللغات ليس غير.

يقول ابن جرير الطبري في الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم: «ولم تستنكر أن من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة

---

(١) ينظر: نفائس الأصول (١/ ٤٤٧).

الألسن»[(١)].

ويقول في قول من قال: في القرآن الكريم من كل لسان[(٢)]: «عندنا بمعنى - والله أعلم- أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب وغيرها من الأمم التي تنطق به... وذلك أنه غير جائز أن يتوهم على ذي فطرة صحيحة، مقر بكتاب الله، ممن قرأ القرآن وعرف حدوده، أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي، وبعضه قبطي لا عربي، وبعضه رومي لا عربي، وبعضه حبشي لا عربي، بعدما أخبر الله -تعالى ذكره- أنه جعله قرآنًا عربيًا»[(٣)].

ويقول الإمام فخر الدين الرازي: «ذهب قوم إلى أنه قد حصل في القرآن من سائر اللغات كقوله: (إستبرق) [الكهف: ٣١]، و(سجيل) [هود: ٨٢]، فإنهما فارسيان، وقوله: (مشكاة) [النور: ٣٥]، فإنها من لغة الحبشة، وقوله: (قسطاس) [الإسراء: ٣٥]، فإنهما من لغة الروم، والذي يدل على فساد هذا المذهب، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤][(٤)]، وكون القرآن الكريم اشتمل على ألفاظٍ عربية موجودة في لغات أخرى، وهو الذي مال إليه

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (١/ ١٥)، ت/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ.

(٢) هو أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي تابعي جليل من أصحاب عبد الله بن مسعود ﷺ، توفي ٦٣هـ، جامع البيات في تأويل القرآن (١/ ١٨)، مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان (١٦٨) ت/ فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٩٥٩م.

(٣) جامع البيان (١/ ١٨).

(٤) التفسير الكبير (٢٧/ ٨٣).

السعد في شرح المقاصد[١]، والله أعلم.

وبعد:

فقد ظهر من خلال ما سبق أن الإمام القرافي أشعري العقيدة بمعنى أنه يتبع في أكثر أقواله وآرائه المذهب الأشعري، لا أن كل آرائه تابعة للمذهب الأشعري، بل إنه يخالف مذهبه أحيانًا كما في مسألة حقيقة الإيمان، وزيادته ونقصانه، وذلك إذا كان معه دليل يستند عليه فيما ذهب إليه، والله أعلم.

(١) شرح المقاصد (٣/ ٢٩٣).



موقف الإمام القرافي من أهل الكتاب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مداخل.

المبحث الثاني: جهود الإمام القرافي في الرد على اليهود.

المبحث الثالث: جهود الإمام القرافي في الرد على النصارى.

المبحث الأول
مداخل

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهل الكتاب مفهوم وتحديد.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في مناقشة أهل الكتاب.

المطلب الثالث: طريقة أهل الكتاب في الطعن على الإسلام «دين- كتاب- رسول».

المطلب الرابع: منهج الإمام القرافي في مناقشة أهل الكتاب.

المطلب الخامس: القرافي بين التأثير والتأثر.

المطلب الأول
أهل الكتاب مفهوم وتحديد

جمهور العلماء على أن المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، ليس غير، وأنه إذا أطلق لفظ أهل الكتاب انصرف إليهم، فهو كالعلم بالغلبة عليهم.

يقول الإمام الرازي: في تفسير قول الله تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عمران: ١١٣]، في المراد بأهل الكتاب قولان:

القول الأول -وعليه الجمهور-: «أن المراد بأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام»[(١)].

وذكر الإمام الشافعي: أن المراد بأهل الكتاب هم بنو إسرائيل الذين أنزلت عليهم التوراة والإنجيل[(٢)].

ويذهب الأحناف إلى غير ذلك؛ إذ يرون أن كل أمة تؤمن بنبي من الأنبياء، وبكتاب من الكتب الإلهية تعد من أهل الكتاب، وليس كونها من اليهود والنصارى شرطًا في ذلك، فلو كانت أمة من الأمم تؤمن بصحف إبراهيم -عليه السلام- أو الزبور؛ لكانت هذه الطائفة من أهل الكتاب[(٣)].

يقول الإمام الزيلعي: «واعلم أن من اعتقد دينًا سماويًا، وله كتاب منزل كصحف إبراهيم، وشيث وزبور داود، فهو من أهل الكتاب»[(٤)].

---

(١) التفسير الكبير (٨/ ١٦٤).

(٢) ينظر: الأم، للشافعي (٥/ ٨)، دار الفكر. بيروت. بدون تاريخ.

(٣) الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، د. ماجد عبد السلام (ص٢٨)، ط/ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٤) حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، لابن عابدين (٣/ ٥٠)، دار الفكر، بيروت، ط/ ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م.

وهذا الرأي مال إليه الشهرستاني، إذ اعتبر أن المجوس من أهل الكتاب؛ لأن صحف إبراهيم كانت منزلة عليهم، ثم رفعت لأحداث أحدثها المجوس، ولهذا يجوز عقد العهد، والذمام معهم(١).

وهذا هو الرأي الثاني الذي ذكره الإمام الرازي في المراد بأهل الكتاب(٢).

لكن الراجح: أن المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥، ١٥٦].

يقول ابن قدامة: «فأهل الكتاب: اليهود والنصارى، ومن دان دينهم... ومن عدا هؤلاء من الكفار فليس من أهل الكتاب، بدليل قول الله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ [الأنعام: ١٥٦]»(٣).

ولذلك: إذا أطلق هذا اللفظ في القرآن الكريم لم يرد به إلا اليهود والنصارى.

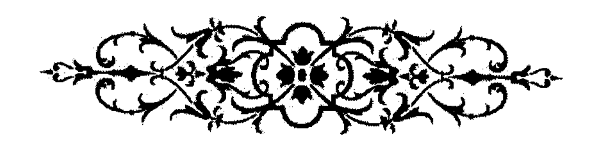
---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٠٨)، شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط/ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

(٢) التفسير الكبير (٨/ ١٦٤).

(٣) المغني، لأبي عبد الله محمد بن قدامة (١٠/ ٥٥٨)، دار الفكر. بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٥ هـ.

يقول الشهرستاني: «أهل الكتاب: الخارجون عن الملة الحنيفية، والشريعة الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وهم قد انقسموا إلى قسمين: من له كتاب محقق، مثل: التوراة، والإنجيل، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب، وإلى من له شبهة كتاب مثل: المجوس والمانوية»[١].



(١) الملل والنحل: (١/ ٢٠٨).

المطلب الثاني
منهج القرآن الكريم في مناقشة أهل الكتاب

احتوى القرآن الكريم أفضل الأساليب، وأحكم المناهج، وأقوى الحجج في جداله مع أهل الكتاب، وما ذلك إلا لأنه «اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة، وتقسيم، وتحذير، يبني من كليات المعلومات العقلية والسمعية، إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق المتكلمين»(١).

والقرآن الكريم في حواره مع أهل الكتاب دار في محورين:

الأول: أنه بين أهداف حواره معهم.

والثاني: أنه انتهج مناهج اعتمدها في حواره معهم.

أولاً: أهداف محاورة القرآن الكريم لأهل الكتاب:

١- الحوار معهم لأجل دعوتهم إلى الإسلام بإقامة الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقد أرسل الرسول ﷺ الكتب إلى ملوك أهل الأرض -ومنهم أهل الكتاب تلبية لأمر الله تعالى- يدعوهم إلى الإسلام(٢).

٢- الحوار معهم لبيان ما هم عليه من الباطل، سواء بإثبات تحريفهم

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ص٤٨٩)، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.

(٢) الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة د. خالد عبد الله القاسم، دار/ المسلم، الرياض. ط/ الأولى، ١٤١٤هـ.

لكتبهم، أو انحرافهم عن مناهج الأنبياء، أو إشراكهم بالله تعالى؛ وذلك لإقامة الحجة عليهم، ولإظهار باطلهم للمؤمنين؛ ليحذروا منه ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وإذا تبين باطلهم قامت الحجة عليهم، وكان دافعًا لهم للتوجه إلى الإسلام[١]، والآيات القرآنية المبينة لانحراف أهل الكتاب كثيرة، وسيرد كثير منها في مناهج محاورة القرآن الكريم لهم.

٣- الحوار معهم للرد على شبهاتهم، وطعنهم في الإسلام؛ ليظهر الحق، ويدحض الباطل، وقد اهتم القرآن الكريم بهذا الهدف فذكر شبهات الكفار من أهل الكتاب، ورد عليها بأوضح برهان، وهذا من الحكم في نزول القرآن الكريم مفرقًا، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير: «﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ بحجة أو شبهة يلتمسون بها عيب القرآن والرسول، ولا بقول يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين، وأوضح، وأفصح من مقالتهم»[٢].

ولا يخفى أن في الرد على الشبه دفعًا للطاعنين، وبيانًا للحائرين.

ومن الأمور التي أورد أهل الكتاب حولها شبهًا، وأجاب القرآن الكريم عنها: طعنهم في نبوة سيدنا محمد ﷺ، ودعواهم أن إبراهيم -عليه السلام- كان

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) يراجع: تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٣/ ٣٢٧، ٣٢٨)، دار/ مصر، بدون تاريخ.

يهوديًا، أو نصرانيًا، وغير ذلك مما سيأتي له مزيد بيان -إن شاء الله تعالى- في ذكر مناهج القرآن الكريم في مناقشتهم.

ثانيًا: مناهج القرآن الكريم في محاورة أهل الكتاب:

انتهج القرآن الكريم مناهج متعددة، وأساليب متنوعة في محاورته لأهل الكتاب؛ وذلك من أجل إقناعهم وإقامة الحجة عليهم، ومن هذه المناهج:

أ- القصص القرآني:

من الأساليب التي اتخذها القرآن الكريم طريقًا لإقناع أهل الكتاب: القصص؛ إذ قد يساق الدليل في قصة، ويأخذ صورته من واقع الحياة في حوادثها، فتصغى إليه الآذان، وتميل إليه النفوس، وترتاح إليه الأفئدة، وتتأثر بما فيه من عظات وعبر، وقد يكون موضوع القصة رجلاً مقدمًا عند أهل الكتاب، يدَّعون محاكاته في دينه، واتباعه في ملته، فيجيء برهان الله على لسانه، فيكون ذلك أكثر اجتذابًا لأفهامهم، وأقوى تأثيرًا في قلوبهم(١).

ومجيء الدليل ضمن خبر لرجل يعترف المجادل بفضله، يعطي الدليل قوة فوق قوته الذاتية؛ إذ تكون الحجة قد أقيمت عليه من جهتين: من جهة الدليل نفسه، ومن جهة أن الذي قاله رجل مقدم في نظره، يدعي أنه من أتباعه، فيلزم بقوله ويؤخذ برأيه(٢).

ونذكر مثالاً لهذا المنهج، وهو قول الله تعالى في حواره مع أهل الكتاب: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

---

(١) يراجع: تاريخ الجدل، للشيخ/ محمد أبو زهرة (ص٦٥)، دار/ الفكر العربي، بدون تاريخ، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٨٨).

(٢) تاريخ الجدل (ص٦٦).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٢٢- ١٣٤].

وقد ذكر الإمام الرازي سبب ذكر قصة إبراهيم وفائدتها في محاورة أهل الكتاب فقال: «والحكمة فيه: أن إبراهيم -عليه السلام- شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركون معترفون بفضله، متشرفون بأنهم من أولاده، وساكني حرمه، وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضًا مقرين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم -عليه السلام- أمورًا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ والاعتراف بدينه، والانقياد بشرعه، وبيانه من وجوه:

١- منها: أنه تعالى أمره ببعض التكاليف، فلما وفى بها وخرج عن عهدتها نال النبوة والإمامة، وفي هذا تنبيه لليهود والنصارى، والمشركين على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد، والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

٢- ومنها: أن الحج من خصائص دين محمد ﷺ، فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك.

٣- ومنها: أن القبلة لما حولت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود والنصارى، فبين الله سبحانه وتعالى أن هذا البيت قبلة إبراهيم الذي يعترفون بتعظيمه، ووجوب الانقياد به، فكان ذلك مما يوجب زوال الغضب عن قلوبهم»[(١)].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (٤/ ٣١).

وفي القصة أيضًا:

أن إبراهيم -عليه السلام- دعا بخروج النبي ﷺ ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾، ثم قال بعدها: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٢٩، ١٣٠]، فلا حجة لهم بترك متابعته.

وأيضًا: أن إبراهيم الذي يستشرفون بالنسبة إليه كان على الإسلام والتوحيد، كما كانت وصيته لأبنائه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وهكذا كان للقصة دورها البالغ في محاورة أهل الكتاب، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل: ٧٦][١].

ب- الأقيسة:

استخدم القرآن الكريم في محاورته لأهل الكتاب أنواعًا من الأقيسة؛ وذلك لما للقياس من أثر في إقامة الحجج على الخصوم، ومن هذه الأقيسة:

١- الأقيسة الإضمارية:

وهي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف، والحذف طريقة القرآن الكريم[٢]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

---

(١) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٨٩)، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، د/ محمد سيد طنطاوي (ص١١٨)، دار الشروق، مصر، ط/ الثانية، ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٣٨)، ت/ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ الحادية عشرة، ١٤١٨هـ.

ذكر الله تعالى هذه الآية دليلاً على إبطال بنوة عيسى -عليه السلام- كما تزعم النصارى، ولم يذكر في هذا الدليل سوى مقدمة واحدة، وهي مماثلة عيسى لآدم، وكان سياق الدليل هكذا:

آدم خلق من غير أبٍ كعيسى، فلو كان عيسى ابنًا بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكن آدم ليس ابنًا باعترافكم، فعيسى ليس ابنًا أيضًا[١].

٢- قياس الأولى:

وهو أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل، والآية السابقة أشارت إلى هذا النوع من القياس، وتقديرها: أنهم إذا اتخذوا عيسى إلهًا؛ لأنه خلق من غير أبٍ، فآدم أولى؛ لأنه خلق من غير أبٍ ولا أمٍّ.

يقول سيد قطب: «إن ولادة عيسى -عليه السلام- حقًّا عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر. لكن آية غرابة فيها حين تقاس إلى خلق آدم أبي البشر، وأهل الكتاب الذين كانوا يناظرون في عيسى، ويجادلون بسبب مولده من غير أبٍ، كانوا يقرون بنشأة آدم من تراب، وأن النفخة من روح الله هي التي جعلت منه هذا الكائن الإنساني، دون أن ينسجوا حوله الأساطير التي نسجوها حول عيسى، ودون أن يقولوا: إن له طبيعة لاهوتية كعيسى مع أن آدم أولى[٢].

٣- قياس الشبه:

استخدمه القرآن الكريم في بيان مشابهة أهل الكتاب للمشركين عبدة

---

(١) يراجع: تاريخ الجدل (ص٦٤، ٦٥)، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٩٠).

(٢) يراجع: في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ٤٠٤)، دار الشروق، بيروت، ط/ ١٣٩٣، ١٩٧٣م.

الأوثان، مع علمهم بفساد طريقة المشركين، وقد ذكر الله مشابهتهم لهم في نسبة الولد إلى الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]، كما ذكر مشابهتهم لهم في كفرهم بمحمد ﷺ وحقدهم عليه في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥][(١)].

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: «ويجمع القرآن بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر، وكلاهما كافر بالرسالة الأخيرة، فهما على قدم سواء من هذه الناحية، وكلاهما يضمر للمؤمنين الحقد والضغن ولا يود لهم الخير»[(٢)].

جـ- التحدي والمباهلة:

إذا ظهر الحق واستبان، فإن التحدي والمباهلة من الأساليب النافعة في إظهار الحق، وإبطال الباطل.

وقد سلك القرآن هذا المنهج مع أهل الكتاب، ففي مَقام التحدي يقول لهم: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

«والنبي ﷺ كان يقرأ هذه الآية على أصناف الخلائق أميهم وكتابيهم، وعربهم وعجمهم، ويقول: لن تستطيعوا ذلك، ولن تفعلوه أبدًا، فيعدلون معه

---

(١) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٩١).
(٢) في ظلال القرآن (١/ ١٠١).

إلى الحرب والرضا بالقتل»[١].

وفي مقام المباهلة -وهي نوع من التحدي- يقول الله تعالى في حواره مع أهل الكتاب: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]، وهذه المباهلة كانت بين النبي ﷺ ونصارى نجران[٢]، والمباهلة مشروعة إلى يوم القيامة.

يقول ابن القيم: «إن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد، أن ندعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ﷺ، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك»[٣].

د- إثبات أن دعواهم خالية من الحجة والبرهان:

وذلك لأن كثيرًا من دعاوى أهل الكتاب تنقصها الحجة، ويعوزها الدليل والبرهان، فيطالبهم الله سبحانه بتقديم الأدلة على دعواهم، وهم لا يملكون إقامة حجة، ولا تقديم أدلة، بل دعاويهم تعتمد على الخرص والتخمين، فتهوى أمام المطالبة بالدليل.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (٤/ ٩٤٥، ٩٤٦)، ت/ هشام عبد العزيز عطاء، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط/ الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) يراجع: استخراج الجدال من القرآن الكريم، لابن الحنبلي (ص٦١)، ت/ محمد صبحي حسن، مؤسسة الريان، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٣هـ، تاريخ الجدل (ص٥٤).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٢/ ٥٦١)، ت/ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

لما ادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، ذكر الله تعالى أن هذا لا يعدو أن يكون أمنية، ثم طالبهم بالدليل فقال: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١].

ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠].

يقول ابن القيم: «فهذه مطالبة لهم بتصحيح دعواهم، وترديد هذه المطالبة بين أمرين لابد من واحد منهما، وقد تعين بطلان أحدهما، فلزم ثبوت الآخر، فإن قولهم: «لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة» خبر عن غيب لا يعلم إلا بالوحي، فإما أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كذبًا، وإما أن يكون مستندًا إلى وحي من الله تعالى وعهد عهده إلى المخبر، وهذا إن كان موجودًا فليأتوا بدليل يصدقه... وإلا فهو منتفٍ، فتعين أن يكون خبرًا كاذبًا، قائله كاذب على الله تعالى»[٢].

هـ- الاستدلال بنصوص كتبهم وبما يسلمون به:

احتج القرآن الكريم على أهل الكتاب بما يسلمون به من حقائق موجودة في كتبهم، وذلك تحقيقًا في إقامة الحق عليهم.

ومن ذلك أنه رغبهم في الإيمان بمحمد ﷺ، وأخبر عن وجود ذلك في كتبهم، فقال مادحًا من آمن منهم: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا

---

(١) يراجع: أدب الحوار في الإسلام، د/ سيد طنطاوي (ص١٨١، ١٨٢)، دار نهضة مصر، ط/ ١٩٩٧م.

(٢) بدائع الفوائد (٤/ ٩٥٢).

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ...﴾ الآية. [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧][1].

وأيضًا:

احتج عليهم بذلك في بعض المسائل الفرعية، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

فإسرائيل -يعقوب عليه السلام- أخذه وجعُ العرقِ، فنذر لئن شفاه الله تعالى ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه على نفسه، وكان أحب ذلك إليه لحومَ الإبل وألبانها، فشفي، فوفى بنذره، وادعت اليهود أن ذلك كان حرامًا على نوح حتى انتهى الأمر إليهم، فبين الله تعالى بطلان دعواهم وأمرهم بأن يأتوا بالتوراة فيتلوها، فلم يجسروا على الإتيان بها[2].

و- الاستدلال بلازم كلامهم:

ذكر الإمام الرازي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، أن في الآية استدلالاً بلازم كلامهم، وذلك أنهم تواصوا باليهودية والنصرانية، وهذا معناه ترك النظر والأخذ بالتقليد، فأجابهم الله تعالى بأنه إذا كان لا بد من

---

(١) يراجع: استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص٥٨)، بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص٨٧).

(٢) يراجع: استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص٦٣)، الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص٧٩، ٨٠).

التقليد، فتقليد إبراهيم -عليه السلام- أولى؛ لأنهم متفقون على تعظيمه، ومختلفون في اعتبار أي الديانتين اليهودية والنصرانية، وذلك قوله: «اعلم أن الله تعالى لما بين الدلائل التي تقدمت في صحة دين الإسلام، حكى بعدها أنواعًا من شبه المخالفين الطاعنين في الإسلام.

الشبهة الأولى: حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ ولم يذكروا في تقرير ذلك شبهة، بل أصروا على التقليد، فأجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه:

الأول: ذكر جوابًا إلزاميًّا، وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ﴾، وتقرير الجواب:

أنه إن كان طريق الدين التقليد، فالأولى في ذلك اتباع ملة إبراهيم -عليه السلام-؛ لأن هؤلاء المختلفين قد اتفقوا على صحة دين إبراهيم، والأخذ بالمتفق أولى من الأخذ بالمختلف إن كان المعول في الدين على التقليد، فكأنه سبحانه وتعالى قال: إن كان المعول في الدين على الاستدلال والنظر، فقد قدمنا الدلائل، وإن كان المعول على التقليد، فالرجوع إلى دين إبراهيم -عليه السلام- وترك اليهودية والنصرانية أولى»(١).

وكثير -غير هذا- من ادعاءات أهل الكتاب يلزم منها أمور لا يقرونها، وقد حاجهم القرآن الكريم بذلك.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير، أنه لما نزلت ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: «**إن الله فرض على الناس حج البيت**

(١) التفسير الكبير (٤/ ٧٣)، وينظر: الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص٢٣، ٢٠٤).

من استطاع إليه سبيلاً» فقالوا: لم يكتب علينا الحج، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧][(١)].

ز- إثبات تحريفهم لكتبهم:

يحاج القرآن الكريم أهل الكتاب مبينًا لهم التحريف الذي لحق بكتبهم؛ بسبب تقولهم على الله تعالى، ابتغاء لنيل ثمن قليل، فيقول: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ ...﴾ [النساء: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ...﴾ [المائدة: ١٣][(٢)]، وإذا خاطبهم القرآن بأنهم حرفوا ولم يعترضوا، فقد قامت عليهم الحجة، وثبت بذلك صحة الدعوى.

حـ- إثبات تناقضهم:

لما آمن أهل الكتاب كل بنبيه، رد عليهم القرآن الكريم بأن الإيمان بنبي دون غيره وقوع في التناقض، وأنه لا استقامة لمنهجهم إلا بالإيمان بمحمد ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٦).

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص٤٧٤- ٤٧٥)، تاريخ الجدل (ص٤٩)، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص٢٠٦).

أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: «اعلم أنه لما تكلم على طريقة المنافقين، عاد يتكلم على مذاهب اليهود والنصارى، ومناقضاتهم، وذكر هنا من هذا الجنس أنواعًا:

النوع الأول من أباطيلهم: إيمانهم ببعض الأنبياء دون البعض... وإنهم إنما كانوا كافرين حقًّا لوجهين:

الأول: أن الدليل الذي يدل على نبوة البعض ليس إلا المعجز، وإن كان دليلاً على النبوة لزم القطع بأنه حيث حصل حصلت النبوة، فإن جوزنا في بعض المواضع حصول المعجز بدون الصدق، تعذر الاستدلال به على الصدق، وحينئذٍ يلزم الكفر بجميع الأنبياء، فثبت أن من لم يقبل نبوة أحد منهم لزمه الكفر بجميعهم»[(١)].

ويقول أيضًا: «إن الطريق إلى معرفة نبوة الأنبياء ظهور المعجز عليهم، ولما ظهر المعجز على يد محمد ﷺ وجب الاعتراف بنبوته والإيمان برسالته، فإن تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب المناقضة في الدليل... واليهود والنصارى لما اعترفوا بنبوة بعض من ظهر المعجز عليه، وأنكروا نبوة محمد ﷺ مع قيام المعجز على يده، فحينئذ يلزمهم المناقضة»[(٢)].

ط- إظهار سوابقهم مع أنبيائهم:

كان أهل الكتاب يرفضون رسالة محمد ﷺ؛ وخشية أن يؤثر موقفهم هذا

(١) التفسير الكبير (١١/ ٧٣، ٧٤).
(٢) التفسير الكبير (٤/ ٧٥).

على البعض، بوصفهم أهل كتاب سابق، يطيل القرآن في بيان مخالفتهم لرسلهم، وتعنتهم، وعنادهم؛ وذلك ليظهر للرأي العام أن هؤلاء الرافضين لرسالة محمد ﷺ كانوا كذلك مع من سبقه من الرسل، فلا يضر رفضهم، ولا يدل على صحة ما عندهم[1].

يقول الإمام الرازي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]: في الآية إزالة شبهة من يقول: إن نبوة محمد ﷺ لو صحت لكان أولى الناس بالإيمان به أهل الكتاب؛ لما أنهم عرفوا خبره؛ وذلك لأنه تعالى بين أن أسلافهم مع مشاهدتهم الآيات الباهرة على نبوة موسى - عليه السلام- كانوا يرتدون في كل وقت ويتحكمون عليه ويخالفونه، فلا يتعجب من مخالفتهم لمحمد ﷺ»[2].

والآيات التي بين القرآن الكريم فيها سوابق أهل الكتاب مع رسلهم كثيرة، منها: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١].

وأيضًا: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

ي- التسليم:

وهو أن يفرض المحال، ثم يسلم وقوع ذلك تسليمًا جدليًّا، ويدل على عدم

---

(١) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٩٨).
(٢) ينظر: التفسير الكبير (٣/ ٧٨).

فائدة ذلك على تقدير وقوعه لما يلزم عنه من محالٍ لم يقع.

وذلك كقوله تعالى في الرد على اتخاذ الله تعالى ولدًا، ووجود إله غيره يشاركه في الإلهية: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

والمعنى: ليس مع الله إله، ولو سلم أن معه إلهًا لزم من ذلك التسليم ذهابُ كل إله بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم، ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض وجود إلهين فصاعدًا محال، لما يلزم عنه من المحال(١).

ويبين الإمام القرطبي هذا المنهج في الآية كدليل على نفي الولد فيقول: «والتقرير ما اتخذ الله ولدًا -كما زعمتم- ولا كان معه فيما خلق إله، وإلا لانفرد كل إلهٍ بخلقه، ولحصلت المغالبة كالعادة بين الملوك، وهذا الذي يدل على نفي الشريك، يدل على نفي الولد أيضًا؛ لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك»(٢).

ك- الوعظ والتذكير:

إن أهل الكتاب لا تنقصهم الحقائق، كما لا يخفى عليهم الهدى، وإنما ينقصهم الإيمان، لذا نجد القرآن الكريم يعظهم ويذكرهم ليردهم إلى الحق، ولكي لا يبقى لهم حجة أو عذر. فتارة يذكرهم بنعم الله تعالى عليهم، التي من الواجب أن تقابل بالشكر والإيمان، لا بالكفر والجحود، فيسرد النعم التي أنعم

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (ص٤٩٢).

(٢) يراجع: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٣).

الله بها على بني إسرائيل ابتداء بتفضيلهم على العالمين، ومرورًا بإنجائهم من آل فرعون، وإغراق فرعون، وعفو الله عنهم بعد اتخاذهم العجل، وإحيائهم بعد موتهم، وتظليل الله عليهم الغمام، وإنزال المن والسلوى، وتفجير الأرض اثنتي عشرة عينًا، إلى غير ذلك من النعم[(١)].

فمن تذكيرهم بالنعم: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٢].

ومن تذكيرهم بعاقبة كفرهم وعصيانهم قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥، ٦٦].

والقرآن في وعظه أهل الكتاب، تارة يستعمل أسلوب الترهيب؛ ليصرفهم عن الكفر والفسوق والعصيان، وتارة يستعمل أسلوب الترغيب؛ ليحملهم على الطاعة والصلاح[(٢)].

ل- الاستفهام الإنكاري:

وقد ورد هذا كثيرًا في القرآن الكريم في سياق محاورة أهل الكتاب، وهو أن ينكر عليهم أفعالهم المنكرة عن طريق الاستفهام، فلا يملكون جوابًا؛ لما تحويه هذه الأفعال من فساد يعرف بداهة بالفطرة، ولما تحويه من تناقض ومخالفة لما في كتبهم.

ومن هذه الاستفهامات قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ

(١) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٩٢).
(٢) يراجع: بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص١١٠).

بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٠، ٧١].

وأيضًا قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١].

وللاستفهام في الآية دوره الفعال في إيقاع الحرج بأهل الكتاب؛ وذلك لأن الذي يدعي إيثار شريعة والتمسك بها، ومدافعة غيرها يلزمه نصرة من يقوم عليها، ويدعو إلى سبيلها، فإن وقع خلاف ذلك منه فانقض على دعاتها، وبطش بهم، واستباح قتلهم، وسفك دماءهم، فهو إذًا عدو مجاهر، وخصم لا يهادن؛ لأنه أجنبي عن هذه الدعوى، فلا ينبغي له أن يدعي الانتساب إليها والسكون إلى حمايتها[1].

هذا، ولم يجنح القرآن الكريم في محاوراته لأهل الكتاب إلى استخدام لفظ يشعر بسوء أدب، بل استخدم الأسلوب الأمثل، والألفاظ التي حفظت لهم قدرهم.

فتراه دائمًا يناديهم: بـ«يا أهل الكتاب» «يا أيها الذين أوتوا الكتاب» «يا بني إسرائيل»، ولم يستخدم القرآن الكريم معهم لفظًا نابيًا، أو أسلوبًا جافيًا، بل رغبهم، وتودد إليهم، وهو في ذلك يعلمنا أنه إن دعت الحاجة إلى الحوار مع أهل الكتاب، فلا بد من التأسي بالقرآن الكريم في أسلوبه، والسير على منهجه.

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن ما سلكه القرآن الكريم في مجادلة أهل

---

(١) يراجع: على هامش الحوار بين القرآن واليهود، حسني يوسف الأطير (ص٨٥)، دار الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. وأيضًا: تاريخ الجدل (ص٧٠)، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٨٥).

الكتاب فيه الإلزام المفحم، والحجة الناطقة، إذ أدحض حججهم، وأرشدهم المحجة، ووضع لهم الأعلام؛ ليسيروا على الجادة، ولا يحيدوا عنها.

وإذا كان هذا منهج القرآن الكريم في مناقشة أهل الكتاب، فما طريقة أهل الكتاب في طعنهم على الإسلام؟ وما منهج الإمام القرافي في مناقشة أهل الكتاب؟ هذا ما ندع المباحث القادمة تجيب عنه.



المطلب الثالث
طريقة أهل الكتاب في الطعن على الإسلام
«دين- كتاب- رسول»

كان لجو التسامح الديني الذي عاشه اليهود والنصارى في ظل الإسلام أثر بالغ في أن يعبروا عن عقائدهم، وأن يحتجوا لها. ولما كان أهل الكتاب يسوؤهم انتقال النبوة لأبناء إسماعيل -عليه السلام-؛ مخافة أن يخضعوا لأحكامهم، أو ألا يكون لهم فضل في دولتهم، اتفقت كلمتهم على الكيد للإسلام وأهله.

وليس من المبالغة القول: إن أهل الكتاب لم يتركوا وسيلة من شأنها تعطيل سير الإسلام، إلا ولجوها، ولم تلح لهم بادرة يستطيعون من خلالها الطعن في الإسلام ونبيه ﷺ وكتابه، إلا استغلوها لصالحهم.

ويمكن تحديد مواطن الطعن إجمالاً في الآتي:

- **محاولة إثبات أن دينهم هو الدين الصحيح وما عداه باطل.**

- **الطعن في نبوة سيدنا محمد ﷺ.**

- **الطعن في شخص النبي ﷺ.**

- **الطعن في القرآن الكريم.**

- **الطعن في دين الإسلام.**

ويسلك أهل الكتاب في طعنهم على الإسلام طريقتين، لا ثالث لهما:

١- **خلط الحق بالباطل حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر.**

٢- **جحد الحق وإخفاؤه حتى لا يظهر.**

وقد استعمل أهل الكتاب الطريقتين لصرف الناس عن الإسلام، فقد كان

بعضهم يؤول نصوص كتبهم الدالة على صدق النبي ﷺ تأويلاً فاسدًا يخلط فيه بين الحق، والباطل؛ ليوهموا الناس أنه ليس هو النبي المنتظر، وكان بعضهم يلقي حول الحق شبهًا؛ ليوقع ضعاف الإيمان في حيرة وتردد، وكان بعضهم يخفي أو يحذف النصوص الدالة على صدق النبي ﷺ، أو التي لا توافق أهواءهم[1].

يقول الإمام الرازي: «اعلم أن الساعي في إخفاء الحق لا سبيل له إلى ذلك إلا من وجهين:

إما بإلقاء الشُّبه التي تدل على الباطل.

وإما بإخفاء الدليل الذي يدل على الحق.

وقول الله تعالى: ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [آل عمران: ٧١] إشارة إلى المقام الأول، وقوله تعالى: ﴿ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١] إشارة إلى المقام الثاني»[2].

وفي سبيل أن يحقق أهل الكتاب ما يريدون أن يصلوا إليه من طعن في دين الله تعالى وصرف الناس عنه، انتهجوا مناهج عدة، منها:

أ- الاعتماد على الكتب المحرفة لديهم:

يقول الإمام نجم الدين الطوفي في كتابه «الانتصارات الإسلامية» -وقد ألفه في الرد على بعض النصارى في زمانه-: «إن هذا النصراني رأيته يعتمد في طعنه على الإسلام على التوراة المحرفة، والأناجيل التي بأيدي اليهود والنصارى، وعلى كتب الأنبياء الأوائل كنبوءة إشعياء، وإرمياء، ودانيال،

(١) أدب الحوار في الإسلام (ص١٩١).
(٢) التفسير الكبير (٨/ ٨٢).

والأنبياء الاثنى عشر، ومزامير داود، وغيرها»[١].

وقد حرف أهل الكتاب من كتبهم اسم محمد ﷺ، ودلائل نبوته؛ وذلك لئلا يكون له حجة عليهم من كتابهم، وحرفوا مع ذلك أشياء مما جاء به محمد ﷺ عن وصفه الذي في التوراة؛ ليصير ذلك شبهة لهم في تكذيبه؛ ليقولوا ما نصنع به؟ لو وافق ما عندنا أو ذكر فيه آمنا به[٢].

يقول العلامة سيد قطب: «لقد بلغ من التوائهم، وسوء أدبهم مع الله عز وجل أن يحرفوا الكلم عن المقصود... وذلك لكي ينفوا ما فيها من دلائل على الرسالة الأخيرة، ومن أحكام وتشريعات يصدقها الكتاب الأخير، وتدل وحدتها في الكتابين على المصدر الواحد»[٣].

وأهل الكتاب في تحريهم تعسفوا تعسفًا ممقوتًا، إذ غاب عنهم سياق العبارات الذي يربط النصوص بما قبلها وما بعدها، وكان ذلك في صالح المسلمين من ناحيتين:

- إثبات التحريف على أهل الكتاب، وإلا لو كان الكتاب منزلاً من عند الله تعالى، لجاء على نسق واحد مترابط العبارات والتراكيب.

- أنهم -وإن حذفوا أو بدلوا ما يدل على صحة الدين الإسلامي- فقد بقي السياق شاهدًا على صحته.

ومن أمثلة اعتمادهم على كتبهم المحرفة في طعنهم في النبي ﷺ قول بعض

---

(١) ينظر: الانتصارات الإسلامية، لنجم الدين الطوفي (ص٣٨)، ت/ د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكلية الأزهرية، بدون تاريخ.
(٢) يراجع الانتصارات الإسلامية (ص٩٢).
(٣) في ظلال القرآن (٢/ ٦٧٥).

أهل الكتاب بعد ذكر وصية عيسى -عليه السلام-: «احذروا أنبياء الكذب الذين يأتونكم بلباس الحملان -يعني: سمة الأبرار-، وزي العباد، باطنهم ذئاب خاطفة»[1].

«وقد رأينا نفاذ الأمر فيمن ادعى النبوة، فأظهر سمة الحملان، ثم عمل عمل الذئاب، فأمر بخلاف هذه الوصايا من العداوة للناس عامة، والتحريض على قتل من خالفه، والأمر بالقصاص والانتقام، ثم الأمر بالإكثار من النساء... ثم ما وصف الله به من الجور والفساد والظلم؛ إذ زعم أنه تعالى يهدي بعضًا ويضل بعضًا»[2].

وأيضًا من أمثلة اعتمادهم على كتبهم المحرفة حمل البشارة بالنبي الخاتم ﷺ على عيسى -عليه السلام- ومن ذلك ما جاء في سفر أعمال الرسل: «والآن أيها الإخوة... توبوا إلى الله، وارجعوا لكي تمحى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب، ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم من قبل ... فإن موسى قال للآباء: إن نبيًا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لهذا النبي تباد من الشعب، وجميع الأنبياء أيضًا من صموئيل، فما بعده، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام»[3].

وسيأتي الرد على ما ذكروه إن شاء الله تعالى في الفصل الأخير من البحث.

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح السابع، الفقرات (١٥- ١٧).

(٢) ينظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٤/ ٤٤٨)، الانتصارات الإسلامية (ص٤٦).

(٣) سفر أعمال الرسل، الإصحاح (١٦)، الفقرات (١٨- ٢٥).

ب- محاولة ليّ النصوص القرآنية وحملها على غير محملها إثباتًا أو طعنًا:

يحاول أهل الكتاب في إثبات عقائدهم، والطعن في ديننا حمل النصوص القرآنية على غير محملها الصحيح؛ وذلك ظنًّا منهم أن كتابنا ككتبهم، وهم في ذلك كانوا هزءة للهازئين، وسخرة للساخرين؛ إذ إنهم ينهجون نهجًا آخر يطعنون فيه في القرآن الكريم، وأنه لا يصلح أن يكون كتابًا من رب العالمين، أو ما دروا أنهم بذلك ناقضوا أنفسهم بأنفسهم؟!

ومن أمثلة استخدام أهل الكتاب هذا المنهج في مقام تأييد عقائدهم قول بعضهم:

يقول الله تعالى في سورة «الأنعام»: ﴿... لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ...﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ يعني: كلمات الله وهي التوراة والإنجيل، وفي سورة «الحجر»: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والذكر هنا -كما يقول-: التوراة والإنجيل، ويشهد لذلك قوله تعالى في سورة «الأنبياء»: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وقد رد عليهم الطوفي البغدادي «بأنه فسر كلمات الله بالتوراة والإنجيل ليثبت؛ علينا بكتابنا أنها حجة لازمة لنا، وهيهات فدون المراد موانع، والذي يدل على أنه ليس المراد بكلمات الله تعالى هنا التوراة والإنجيل هو أن هذه الآية في سورة «الأنعام»، وسورة «الأنعام» كلها جدال، ومناظرة لعباد الأوثان الذين ينكرون البعث، ولا تعرض فيها لأهل الكتاب، إلا بطريق الاستشهاد بهم، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ...﴾ [الأنعام: ٢٠]، وليس الذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، هو التوراة والإنجيل بإجماع مفسري القرآن الكريم، بل هو القرآن الكريم، وأما اعتماده على: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧] فلا

حجة له فيه؛ لأن قبل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢]، والذكر هنا يعني القرآن الكريم بلا خلاف، فالذكر المراد هنا أيضًا هو القرآن بدليل المذكور أولاً»[1].

ومن أمثلة استخدام هذا المنهج في مقام الطعن قولهم:

القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح، فلا يكون من عند الله، وبيان اشتماله على ذلك ما ينقله المسلمون عنه من قول الله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ...﴾ [التحريم: ١٢].

ومريم ليست ابنة عمران؛ لأن عمران أبو موسى -عليه السلام-، وبين موسى ومريم -رضي الله عنها- نحو ستمائة سنة، فأين عمران من مريم حتى يكون أباها؟[2].

وسيأتي الجواب عن هذه الشبهة عند ذكر شبهات النصارى على القرآن الكريم إن شاء الله تعالى.

د- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

إن كثيرًا من الأحاديث الموضوعة، والإسرائيليات، والأباطيل كانت ولا تزال مثار شُبهٍ، وتشكيك وطعون، وتجنيات على الإسلام، والقرآن، والنبي صلوات الله وسلامه عليه.

وقد حمل كبر هذا الإثم -قديمًا وحديثًا- أهل الكتاب، فقد وجدوا في هذه الإسرائيليات والمختلقات ما يشبع هواهم، ويرضي تعصبهم الممقوت، ويشفي

---

(١) يراجع: الانتصارات الإسلامية (ص٦٧- ٧١).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٦١- ٦٢).

نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام ونبيه وكتابه[1].

يقول القاضي عياض نقلاً عن القاضي بكر بن العلاء المالكي: «لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده»[2].

ويقول بعد ذكر حديث -الغرانيق الذي سيأتي كمثال للاعتماد على ما هو موضوع-: «ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض المحدثين؛ ليلبس به على ضعفاء المسلمين»[3].

ومن أمثلة اعتمادهم على ما هو موضوع:

ما ذكروا من أن النبي ﷺ كان يتمنى أن يتبعه قومه، ولكثرة تمنيه ذلك ألقى الشيطان على لسانه في سورة «النجم» حين قال: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٠]: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا بخير، فلانوا له، وكفوا عن أذاه وأذى أصحابه... ولما علم النبي ﷺ أن ما قاله من مدح الأصنام من إلقاء الشيطان اغتم لذلك، فأنزل الله سبحانه تسلية له: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [الحج: ٥٢].

---

(١) يراجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد أبو شهبة (ص٥)، مكتبة السنة، بدون تاريخ.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/ ١١٧)، ط/ أبو حازم عز الدين بمكة المكرمة، بدون تاريخ.

(٣) الشفا (٢/ ١٢٠).

ثم قالوا: تضمنت هذه القصة باطلين:

١- الافتراء على الرسل في وصفهم بهذه المثلية من أن الشيطان تلبَّس عليهم في وحي الله سبحانه وتعالى بما يقع به الغواية والإضلال للناس.

٢- إخباره بأن للأصنام شفاعة، ومدحها بذلك، وهذا لا يصح من نبي يدعو إلى التوحيد، ونبذ الشرك، فلا يكون نبيًّا[1].

---

(١) يراجع: الانتصارات الإسلامية (ص١٣١) وما بعدها. يقول ابن حجر في رد هذا الحديث: «قال البزار: وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس. ثم قال ابن حجر: والكلبي متروك ولا يعتمد، ثم ذكر الروايات والطرق لهذا الحديث، وقال: ومعناهم كلهم في ذلك واحد، وكلها سوى طريق سعيد بن جبير؛ إما ضعيف، وإما منقطع، لكن ابن حجر اعتبر كثرة الطرق في هذا الحديث دليلاً على أن للقصة أصلاً، ولذلك لجأ إلى حملها على معنى لا يتنافى مع عصمة الرسول ﷺ وهو أنه لجأ إلى تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وذكر مسالك في التأويل منها: أن ذلك جرى على لسانه ﷺ حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، ومنها: أنه لعله قالها توبيخًا للكفار، ومنها: أنه ﷺ كان يرتل القرآن، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكيًا نغمته، بحيث سمعها من دنا إليه فظنها من قوله ﷺ. قال ابن حجر: «وهذا أحسن الوجوه» [فتح الباري (٨/ ٥٤١)].
والبدر العيني قال في هذا الحديث: «وهذا الحديث الذي ذكر فيه، أكثر طرقه منقطعة، ولم يوجد لها إسناد صحيح، ولا متصل إلا من ثلاث طرق، ثم قال بعد أن ذكرها: وجميع هذه الأسانيد لا يحتج بشيء منها» [عمدة القاري لبدر الدين العيني (٩/ ١٠٠)]، إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها/ محمد منير أغا الدمشقي، مصر، بدون تاريخ.
ويقول الإمام الرازي بعد أن ذكر هذه القصة سببًا لنزول الآية: «هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين، أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، ثم ذكر ما يفندها من القرآن والسنة والمعقول» [يراجع التفسير الكبير (٢٣/ ٤٤)].
ويقول القاضي عياض في هذا الحديث: «ويكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به المفسرون والمؤرخون =

ومن أمثلة اعتمادهم على ما هو ضعيف أو موضوع في عصرنا: ما قاله زكريا بطرس[١] من أن صاحب كتاب المصاحف[٢] ذكر في كتابه: «أن الحجاج بن يوسف قد غير في حروف المصحف عشر كلمات، وإذا غير في القرآن دل على وقوع التحريف فيه»[٣].

هـ- الاعتماد على مسلمات المسلمين:

إن أهل الكتاب في إيرادهم الشبه يستخدمون مسلمات المسلمين، ويبنون عليها شبههم الباطلة، ومن ذلك ما ذكره القرطبي المحدث (ت ٦٥٦هـ) عن

=

المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم» [الشفا (٢/ ١١٧/ ١١٨)].

(١) زكريا بطرس: مصري، تخرج في كلية الآداب، جامعة الأسكندرية ١٩٥٧م، وعين كاهنًا بدرجة قس على كنيسة مار جرجس بمحافظة المنوفية، ثم ترقى إلى درجة قمص، وعمل في معظم الكنائس المصرية، ثم انتقل إلى استراليا، ثم إلى بريطانيا، حيث كنيسة السيدة العذراء ببرايتون بالمملكة المتحدة، ثم قدم استقالته في ٧/ ١٢/ ٢٠٠٠م، وقبلت في ١١/ ١/ ٢٠٠٣م، وهو يبث سمومه ضد الإسلام عبر قنوات التليفزيون، وعبر شبكة الاتصالات العامة «الإنترنت»، نقلاً من مقدمة كتاب «المخرس في الرد على القس المفلس زكريا بطرس» لمفتاح محمد فاضل، المقدمة [ح- خ- د] مركز التنوير الإسلامي، مصر، ط/ الأولى ١٤٢٧هـ.

(٢) صاحب كتاب «المصاحف» هو أبو بكر بن أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ).

(٣) يراجع: «المخرس في الرد على المفلس زكريا بطرس» (ص٢٠).

وهذه رواية ضعيف جدًا أو موضوعة؛ لأن فيها عباد بن صهيب، وهو متروك الحديث، قال علي بن المديني: ذهب حديثه، وقال البخاري والنسائي وغيرهما: متروك، وقال ابن حبان: كان قدريًا داعية، ومع ذلك يروى أشياء إذا سمعها المبتدئ في هذه الصناعة شهد لها بالوضع، وقال الذهبي: أحد المتروكين. [لسان الميزان لابن حجر (٣/ ٣٣) مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٦هـ]، وينظر في الحكم عليه أيضًا: [الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (٦/ ٨١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ الأولى، ١٢٧١هـ.

بعض النصارى في عصره، أورد شبهة قال فيها: «الآن وجب عليَّ أن أسألك في أمر التثليث عن خلق الله تعالى لجميع ما خلق، إن كان خلقهم بقدرة وعلم وإرادة؟ أم خلقهم بغير هذا؟

فإذا اضطرتك المسألة إلى القول بها؛ فإني سائلك: إن كانت اسمًا لذاته أو اسمًا لأفعاله؟ فإن قلت: هي أسماء لذاته؛ فقد نفقت وجعلتها أسماء للذات، ووقعت فيما أنكرت من الجسم، وإن قلت: هي من أسماء أفعاله التي منها سمي قادرًا عالمًا مريدًا، فهو التثليث الذي أمرنا بالقول به. اهـ»[1].

ومن ذلك أيضًا ما روي عن يوحنا الدمشقي[2] الذي حاول أن يطعن في كل شيء في الإسلام تقريبًا، يقول: «إذا سألك المسلم: ماذا تقول في المسيح؟ فقل له: إنه كلمة الله، ثم ليسأل النصرانيُّ المسلمَ: بم سمي المسيح في القرآن؟ وليسكت ولا يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم قائلاً: «كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه»، فإن أجاب بذلك، فاسأله: هل كلمة الله وروحه مخلوقة؟ فإن قال: مخلوقة، فيرد عليه بأن الله كان إِذَنْ، ولم تكن كلمة الله، ولا روح، قال يوحنا: إذا قلت ذلك، فسيفحم المسلم»[3].

و- إظهار موافقتهم للمسلمين، فإذا رضي المسلمون بهذه الموافقة وعلمها الناس اتخذها أهل الكتاب مطعنًا على المسلمين.

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (١/ ٥٨).

(٢) يوحنا سرجيوس منصور، ولد في سنة ٧٧٦م بدمشق، ورسم كاهنًا في سنة ٨٤٨م وتوفي في سنة ٨٨٠م وكان له من العمر ما يزيد عن مائة سنة. يراجع: الكنز الثمين في أخبار القديسين لمكسيموس مظلوم: (١/ ٢٥٦-٢٥٨) مطبعة المرسلين اليسوعيين، بيروت، ط/ ١٨٦٣م.

(٣) الجدل الإسلامي لأهل الكتاب وأثره الحضاري، د. خالد السيوطي (ص٩/ ١٠). مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

ولعل في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢] ملمحًا إلى هذا.

يقول الإمام الرازي: «إن اليهود والنصارى استخرجوا حيلة في تشكيك ضعفة المسلمين في صحة الإسلام، وهو أن يظهروا تصديق ما ينزل على محمد ﷺ من الشرائع في بعض الأوقات، ثم يظهروا تكذيبه، فإن الناس متى شاهدوا هذا التكذيب قالوا: هذا التكذيب بعد الموافقة، إنما هو لأجل أنهم أهل كتاب، وقد تفكروا في أمره، واستقصوا في البحث عن دلائل نبوته، فَلاحَ لهم بعد التأمل التام والبحث الوافي أنه كذاب، فيصير هذا الطريق شبهة لضعفة المسلمين في صحة نبوته»[١].

ولعل هذا ما عناه بعضهم في قوله: «أجمع المسلمون معنا على صحة شريعة موسى -عليه السلام- وأنه الصادق البر، وقد قال: تمسكوا بالسبت ما دامت السماوات والأرض[٢]، فلا يكون بعده رسالة أخرى، فتبطل رسالة عيسى -عليه السلام-»[٣].

فلو سلم المسلمون بهذه المقدمة ونتيجتها لقام عليهم نفس الدليل في إبطال شريعة محمد ﷺ والتمسك بشريعة موسى -عليه السلام-، وأنت ترى كيف يجذبون المسلمين إلى صفهم -كما في قوله: أجمع المسلمون- وما ذلك إلا ليغيروا عليهم بنفس ما سلموا به.

---

(١) التفسير الكبير (٨/ ٨٣).

(٢) سفر الخروج: الإصحاح: (٣١) الفقرتان: (١٦، ١٧).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص٧٠).

ز- تقرير ما يريدون أن يصلوا إليه وجحد ما سواه.

ومن ذلك ما روي أن أبا الهذيل العلاف (ت ٢٢٥هـ) ناظر في حداثته يهوديًّا كان ينتهز فرصة إيمان المسلمين بنبوة موسى -عليه السلام-، ويتوقف عند ذلك الحد، معتبرًا أن هذا اعتراف من المسلمين باليهودية دون أن يتطرق لنبوة سيدنا محمد ﷺ؛ لأن اعترافه بهذه النبوة سليزمه الاعتراف بالإسلام.

وهاك نص المناظرة: «قدم البصرة يهودي، فناظر بها ناسًا، فقطعهم، فتقدم إليه شاب من المسلمين قال: فوجدت سبيله في المناظرة: أن يقرر المناظرين على نبوة موسى -عليه السلام-، فإذا أقروا، جحد نبوة محمد ﷺ، ويقول: نحن على ما اتفقنا عليه، إلى أن نتفق على غيره.

قال: فدنوت منه، فقلت: ما تقول؟

فقال: أخبرني، أليس موسى نبيًّا؟

فقلت: إن الذي سألتني عنه ينقسم إلى قسمين: أحدهما: أني أقر بنبوة موسى الذي أخبر بنبوة محمد ﷺ وأمر باتباعه وبشر به، فإن سألتني عنه؛ فإني أقر به.

وإن سألتني عن موسى آخر لا يقر بنبوة محمد ﷺ ولا بشر به فلست أعرفه ولا أقر به، فانقطع اليهودي»[1].

ومن الأمثلة على هذا أيضًا:

ما استدل به القس زكريا بطرس على عقيدته التثليث من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ

(١) الجدل الإسلامي لأهل الكتاب (ص٢٦) نقلاً عن عيون المناظرات للسكوني (ص٢٢٠).

عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النساء: ١٧١].

يقول: رسول الله؛ أي: الله الموجود بذاته = الأب.

وكلمته؛ أي: ابن الله، والله ناطق بها = الابن.

وروح منه؛ أي: روح الله = الروح القدس[1].

فهو أخذ من الآية ما يناسب هواه وجحد ما سواه، وإلا فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ يبطل ما قرر.

ح- الهزء والسخرية:

من مسالك أهل الكتاب لكيد الدعوة الإسلامية، اتباعهم طريقة الاستهزاء بالإسلام والتهكم بشعائره وعباداته، وقد فضح القرآن الكريم مسلكهم هذا، ونهى المؤمنين عن موالاتهم ومصافاتهم، يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨][2].

يقول عبد الرحمن حَبنَّكَة -رحمه الله-: «والهزء والسخرية في الحقيقة أسلوب من أساليب تغطية النقص، ومظهر من مظاهر التنفيس عن الحقد الدفين،

---

(١) المخرس (ص١٠٤).

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص٢٤٠) وما بعدها.

والحسد الذي تتلظى نيرانه في القلوب، وتعبير عن الرغبة في الانتقام، والفتك متى تهيأ الظرف الملائم»(١).

ومن أمثلة ذلك: استهزاء اليهود بأن الله تعالى طلب منهم قرضًا لفقره:

أخرج الإمام ابن جرير الطبري «عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: دخل أبو بكر ﷺ بيت المدراس، فوجد يهودًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص اليهودي، كان من أحبارهم وعلمائهم، فقال أبو بكر: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم. فقال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله تعالى من حاجة، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما تضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان غنيًّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم»(٢).

وأيضًا:

لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه، وضرب به مثلاً؛ ضحك يهود وقالوا: لو كان هذا كلامًا لله لما ذكر فيه الذباب والعنكبوت(٣).

والله أعلم



---

(١) مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبَنَّكة (ص٩٣)، دار القلم، بيروت، ط/ السادسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن (٧/ ٤٤١).

(٣) تفسير النسفي، لابن البركات النسفي (١/ ٣٥)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

المطلب الرابع
منهج الإمام القرافي في مناقشة أهل الكتاب

اختلفت مناقشة الإمام القرافي لليهود -من ناحية عدد القضايا المناقشة عنها بالنسبة للنصارى، فالإمام القرافي مع اليهود لم يتعرض لقضايا كثيرة- كما سيظهر من خلال البحث، ولكن مع النصارى أتى على جل ما يخصهم من كتب، وعقائد، وشعائر، وشبهات، وغير ذلك.

ولعل السبب في ذلك: أن صولة النصارى كانت في تلك الآونة أَحَدَّ وأعنف من صولة اليهود، والذي يؤكد ذلك ما كان من كتابات لهم آنذاك يطعنون بها على الإسلام والمسلمين، وما صنيع الإمام القرطبي المحدث في كتابه «الإعلام»، والإمام القرافي في كتابه «الأجوبة الفاخرة» إلا ردًّا عن كتابات لهم.

ولكن إن اختلفت المناقشة من حيث عدد القضايا، فقد اتفقت في المنهج، فالإمام القرافي في مناقشة اليهود والنصارى يسير على منهج واحد يمكن إجماله في النقاط الآتية:

١ - المطالبة بالدليل:

يطالب الإمام القرافي أهل الكتاب في أحايين كثيرة بالإتيان بدليل يثبت خلاف ما يقوله، أو يؤكد صحة ما يعتقدونه.

ومن ذلك قوله بعد أن ذكر أن التوراة كان مختصًّا بها هارون -عليه السلام- وأبناؤه من بعده، وأن بني إسرائيل لم يعلمهم موسى -عليه السلام- من التوراة إلا نصف سورة، وأن الهارونيين لم يكونوا يعتقدون حفظ التوراة واجبًا عليهم يقول: «فإن كابروا في ذلك نطالبهم بنقل خلافه من التوراة فلا يجدونه»[1].

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٧٨، ٧٩).

ومن ذلك قوله لما تكلم عن معمودية النصارى: «فلم قلتم: إنه إذا عمد يحيى والحواريون نعمد نحن؟ فلعله مخصوص بهم، فما الدليل على أن ما فعلوه كان شرعًا عامًّا؟»[١].

ويقول في بيان انقطاع سند الأناجيل: «أما أنتم فليس في أناجيلكم رواية العدل عن العدل إلى مؤلف أناجيلكم، ولا صرح مؤلفو أناجيلكم بكلمة واحدة يقول فيها متى أو غيره: قال لي المسيح: إن الله أنزل عليه كذا... وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بيننا وبينكم إن كنتم صادقين»[٢]، ولا شك أن الإنسان إذا طولب بدليل يثبت صحة ما يعتقد، أو يبطل ما هو خلافه فعجز كان هذا تسليمًا بإقامة الحجة عليه.

٢- الأقيسة:

يستخدم الإمام القرافي في مناقشة أهل الكتاب الأقيسة لما لها من أثر بالغ في النفوس.

ومن ذلك قوله في قياس الأولى: «في التوراة أن الله تعالى قد أبدل ذبح ولد إبراهيم بالكبش[٣]، وذلك أشد أنواع النسخ؛ لأنه نسخ قبل فعل شيء من نوع المأمور أو أفراده، وإذا شهدت التوراة بأشد أنواع النسخ، فجواز غيره بطريق الأولى»[٤].

ومن ذلك قوله: «والنصارى واليهود إنما يعتمدون على التوراة والإنجيل،

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٥).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٩٨)، وينظر: (ص٣١، ٤٢).

(٣) سفر التكوين: الإصحاح: (٢٢) الفقرات: (١٣، ١٤).

(٤) الأجوبة الفاخرة (ص٦٠).

ولا يوجد يهودي ولا نصراني على وجه الأرض يروي التوراة عدلاً عن عدلٍ إلى موسى أو عيسى -عليهما السلام-، وإذا تعذرت عليهم رواية العدل عن العدل، فأولى أن يتعذر التواتر»[١].

ويقول مستدلاً على جواز النسخ بدليل عقلي في صورة قياس حملي: «النسخ على وفق رعاية المصالح، ورعاية المصالح جائزة على الله تعالى ... فيكون النسخ جائزًا...»[٢].

٣- التسليم:

في أحايين كثيرة يسلم الإمام القرافي لأهل الكتاب بالأمر، ثم يبين أن هذا التسليم لا ينفعهم، بل الحجة قائمة عليهم.

ومن ذلك قوله: «سلمنا أن الإماتة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما عيسى -عليه السلام-، لكن قد شهد الإنجيل أن الحواريين كانوا يفعلون ذلك... فإن كان هذا يدل على الربوبية والإلهية، فليكن الحواريون كلهم... آلهة مساويين للمسيح -عليه السلام- في الإلهية، وجميع ما نسب إليه، ولما لم يقل بذلك أحد، دل على بطلان ما اعتمدوا عليه في إلهية عيسى -عليه السلام-»[٣].

ومن ذلك قوله: «سلمنا أنه -الإنجيل- من قوله -عليه السلام- فيحتمل أن يكون من كلام الإنجيل ومن غيره، فلا يوثق بحرف واحدٍ عندكم أنه من الإنجيل المنزل»[٤].

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٥٣).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٦١)
(٣) الأجوبة الفاخرة (ص ٦٥).
(٤) الأجوبة الفاخرة (ص ٩٨)، وينظر (ص٥٣).

٤- فرض الأسئلة التي يمكن أن يعترض بها أهل الكتاب والإجابة عليها:

ومن ذلك قوله: «فإن قالوا: فقد كان النبيون -صلوات الله عليهم- يحكمون بها -بالتوراة- إلى زمن المسيح -عليه السلام-، وهم معصومون عن الباطل، وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون، فإنهم وافقونا على حكم النبيين لقول القرآن: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾[المائدة: ٤٤].

قلنا: الجواب من وجهين: ... إلخ[1].

ومن ذلك أيضًا قوله: «فإن قلت: إذا كان المسموع هو الكلام النفسي فلأي شيء قال الله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]... قلت: هذا سؤال قوي، وجوابه شريف، وهو ... إلخ»[2].

٥- المقارنة بين أهل الكتاب والمسلمين:

يقارن الإمام القرافي في بعض الاستدلالات أو الردود على أهل الكتاب بين ما هم عليه، وما عليه المسلمون، وهذا المقارنة تؤكد صحة دين الإسلام، كما أنها تجعل المسلم يزداد إيمانًا، وقد تجعل الكافر يقف مع نفسه عندما تعرض له الصورتان، فلعله يرجع عن تقليد أعمى، أو تعصب بغيض، ومن ذلك لما تكلم عن الخلاص عند النصارى، وأنهم يقولون: إن عيسى -عليه السلام- نزل ليخلص البشر من شرك الخطيئة، وأنه في سبيل ذلك قبض عليه، وذاق الذل والهوان، ولم يجد له ناصرًا، ومات مصلوبًا مسمرة رجلاه ويداه، ومع ذلك هو إله عندهم، يقول القرافي: «فأين هذا من قول المسلمين -الذين يجلون الله عن

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٨٦).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٩٣)

الاتصاف بصفات الأجسام، ويحيلون على جنابه الكريم، أن تناله الآفات والآلام- بعث عيسى نبيًّا مكرمًا، ورفعه إليه مجيدًا معظمًا، لم يهنه بأيدي الأعداء، ولا سلط عليه أسباب البلاء!»[١].

ومن ذلك قوله بعد أن بين أن دين النصارى يأمرهم بالمسالمة وعدم القتال، وأنهم يخالفون ذلك بالقتل والإفساد مع أن دينهم لا يأمرهم بذلك، ومع ذلك يعيبون على المسلمين الجهاد مع أنه مأمور به في القرآن الكريم، يقول القرافي: «وأما نحن وكتابنا، فنحن أولياء الله تعالى وأنصاره، وهم كفرته وأعداؤه، وكتابنا أوجب علينا القتال، ونص على أنه من أعظم القربات»[٢].

٦- الإمام القرافي في رده على اليهود والنصارى يعتمد -في المقام الأول- على الكتب المقدسة عندهم.

٧- الإمام القرافي في ذكره الأدلة من كتب أهل الكتاب أحيانًا يذكر نص الدليل -وذلك في الغالب- إذ كان الدليل مختصرًا، وأحيانًا يذكر الدليل بالمعنى، وذلك إذا كان ذكره يحتاج إلى نصوص طويلة.

٨- كما أنه في أحايين كثيرة يحدد موضع الدليل، فمثلاً يقول: «في السفر الأول من التوراة كذا، في إنجيل متى كذا، وفي أحايين أخرى لا يحدد موضع الشاهد، فيقول مثلاً: في التوراة كذا، في الإنجيل كذا».

٩- يذكر الإمام القرافي الشبهة ويفندها، ثم يذكر أدلة أخرى تبطل الشبهة، فتكون الأدلة كالوابل بعد الطل، أقوى في الإقناع، وألزم في الاقتناع.

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ١٠٤).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٨٨، ٨٩)، وينظر: (ص ٧٦) وما بعدها (ص ١٥٥)

١٠ - توظيف اللغة في المناقشة:

يوظف الإمام القرافي اللغة العربية في مناقشة أهل الكتاب، وذلك عندما يكون سبب اللبس على أهل الكتاب راجعًا إلى أمر نحوي أو لغوي جهلوه، أو يكون النصارى قد اقتصروا على معنى واحد من عدة معان تحتملها اللفظة محل الدليل أو نحو ذلك.

ومن ذلك قوله في الجواب عن استدلال أهل الكتاب بأن المراد من قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ [البقرة: ٢] هو الإنجيل: «اعتمادًا على أن «ذلك» للبعيد: «وأما الإشارة بذلك التي اغتربها السائل، فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال: ذا للقريب، وذلك للمتوسط، وذلك للبعيد، لكن البعد والقرب يكونان تارة بالزمان، وتارة بالمكان، وتارة بالشرف، وتارة بالاستحالة»[(١)]، ثم طبق هذه الأوجه الأربعة على القرآن الكريم.

ومن ذلك قوله ردًا على استدلال النصارى بما في القرآن الكريم من وصف عيسى -عليه السلام- بكونه روحًا وكلمة، على صحة قولهم بأن عيسى روح الله وكلمته اللذان هما طرفان في التثليث «الأب، الابن، الروح القدس»: «الروح: اسم للريح الذي بين الخافقين... واسم لجبريل -عليه السلام-، وهو المسمى بروح القدس، والروح: اسم للنفس المقومة للجسم الحيواني، والكلمة: اسم للفظة المفيدة من الأصوات، واسم للخبر من الكلام النفساني... وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات... وإذا كانت الروح والكلمة لهما معانٍ عديدة، فعلى أيها يحمل هذا اللفظ؟ وحمل النصراني اللفظ على

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ٢٠).

معتقده تحكم بمجرد الهوى»[١].

١١- الاستدلال بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن ذلك قوله ردًا على ما جاء في التوراة من أن سليمان بن داود -عليهما السلام- ختم عمره بالكفر «كذبوا، قاتلهم الله، أنى يؤفكون، وصدق الله العظيم وكتابه الكريم: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]»[٢].

ومن ذلك قوله: «بل عظم القسيسون أنفسهم حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء، فحكموا في الشرائع وليس ذلك للأنبياء، وقالوا للعوام: إن غفران أحدنا لكم غفران الله، وحرمانه حرمان الله، وإن أعطينا القربان قبله الله، وإن لم نعطه لم يقبله الله... فعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين، بل الحق ما قاله رب العالمين: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]»[٣].

ومن ذلك قوله في رد ما جاء في توراة اليهود من أن إبراهيم -عليه السلام- عندما حضرته الوفاة ورث ماله ولده إسحاق وحرم سائر أولاده، «فكيف يجعل إبراهيم -عليه السلام- وهو خليل الرحمن هذا المؤلم خاتمة عمله عند حضور أجله، وأنت تعلم أيها المسلم المصدق بالرسالة المحمدية قوله -عليه السلام-: **«نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة»**[٤]، فيجزم بكذب ما حكاه

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص ١٤)، وينظر أيضًا: (ص ٣١).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص ٨٧، ٨٨).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص ١٥٧).

(٤) أخرجه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب، ك: الجهاد والسير، باب: حكم الفي، حديث رقم (١٧٥٧)، (٣/ ١٣٧٥).

اليهود»[١].

وإذا كان للإمام القرافي منهجه في الرد، فهل هو متأثر في ردوده بأحد سبق، أو هو أصيل في ذلك؟ وهل أثر في أحدٍ جاء بعده أو لا؟ هذا ما ندع السطور القادمة تجيب عنه.

والله أعلم



(١) الأجوبة الفاخرة (ص ١٥٠).

المطلب الخامس
القرافي بين التأثير والتأثر

أولاً: تأثر القرافي بمن سبقه:

لم يشر الإمام القرافي في رده على اليهود والنصارى -ولو مرة واحدة- إلى أنه أخذ من غيره، ولكن خلال البحث تبين لي أنه يأخذ من السابقين قبله، فهو يأخذ من السموأل، كما أنه يأخذ من أبي عبيدة الخزرجي، ويأخذ من القرطبي، وأكثر أخذه من أبي البقاء الجعفري، ومن قارن كتاب الأجوبة الفاخرة للقرافي، وكتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لأبي البقاء الجعفري، تبين له ذلك.

فمن أمثلة أخذ القرافي من السموأل:

١- يقول السموأل في إثبات تحريف التوراة: «علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى ألبتة؛ لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يثبتها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوي... ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها ها أزينو... ولم يكن حفظ التوراة فرضًا ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة»[(١)].

ويقول القرافي: «إن أحبار اليهود يعلمون علمًا يقينًا أن هذه التوراة ليست المنزلة على بني إسرائيل بعينها؛ بسبب أن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل، ومنعها منهم، وخص بها... أولاد ليوي.. ولم يبذل موسى عليه السلام لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها هاأزينو... ثم إن الهارونيين الذين خصوا

---

(١) بذل المجهود في إفحام اليهود، للسموأل بن يحيى المغربي (ص١٣٥) وما بعدها، ت/ د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط/ الثالثة، ١٩٩٠م.

بالتوراة لم يكونوا يعتقدون أن حفظها واجب ولا سنة»[١].

٢- يقول السموأل في رده على اليهود في إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام: «أليس في التوراة التي في أيديكم... (لا يزال الملك من آل يهوذا، والراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح)[٢]، ولا يقدرون على جحده، أفما علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة، وملك إلى ظهور المسيح عليه السلام، ثم انفض ملككم؟ فإن لم يكن لكم اليوم ملك، فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل»[٣].

ويقول القرافي: «إن نص التوراة يقتضي نبوته عليه السلام، وهو أن فيها.. لا يزال الملك من آل يهوذا، والراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح وكذلك كان، ما زالت لهم ملوك ودول إلى زمن المسيح عليه السلام، ثم صاروا ذمية محقورة، ورعية مأسورة، وهذا شيء لا ينكرونه، وهو دليل قاطع على نبوته عليه السلام»[٤].

ومن أمثلة أخذه من أبي عبيدة الخزرجي:

١- يقول أبو عبيدة الخزرجي في بيان أن التوراة -الموجودة في وقته- أصابها التبديل والتحريف: «واليهود تقر أن السبعين كاهنًا، اجتمعوا على اتفاق من جميعهم في تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة، وذلك بعد المسيح... ومن رضي تحريف موضع في كتاب الله، فلا يؤمن منه تحريف الكثير»[٥].

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٧٨).
(٢) لم أجد هذا النص في التوراة التي تحت يدي بنسختيها البابلية والسامرية، ولم أجده أيضًا في قاموس الكتاب المقدس.
(٣) بذل المجهود: (ص١٠٢).
(٤) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).
(٥) بين الإسلام والمسيحية (ص٢٩٠).

ويقول القرافي: «إن اليهود تعترف بأن سبعين كاهنًا، اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة بعد المسيح عليه السلام... ومن اجترأ على تبديل حرف من كتب الله تعالى، وتحريفه، لا يوثق به فيما يدعي أنه كتاب الله تعالى؛ إذ لعله مما حرفه»[(١)].

٢- يقول الخزرجي: «وكذلك يقرون أن السامرية -وهي فرقة منهم- حرفت التوراة تحريفًا بينًا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به؟»[(٢)].

ويقول القرافي: «طائفة من اليهود يقال لهم: السامرية، اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفًا شديدًا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به؟»[(٣)].

ومن أمثلة أخذه عن القرطبي:

١- يقول أبو العباس القرطبي مصورًا مذهب النصارى في تركهم الختان: «وقد وجدت في كتبهم الفقهية: أنهم قالوا في تأويل حكم الختان قولاً أتوا فيه على التوراة بالباطل والبهتان، قالوا: إنما عنى بالختان: نقاوة القلوب، وصفاء النية، وذهاب الغلوفة... ولذلك علمنا أن الله استقذر غلوفة القلب، وليس غلوفة اللحم، فما على الإنسان أن يختن لحمه، إذ لا منفعة له في ذلك، فمن شاء اختتن، ومن شاء ترك، والأحسن: أن تترك الأجساد تامة غير ناقصة كما خلقنا

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٨٦).

(٢) بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٩٠).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص٨٦) ويقارن: بين الإسلام والمسيحية: (ص١٩١، ١٩٩)، الأجوبة الفاخرة: (ص٢٧، ٥٤).

الله عز وجل»[١].

ويقول القرافي: «وقد وقع في كتبهم الفقهية تأويل للختان، التزموا فيه على التوراة بالباطل والبهتان، فقالوا: المراد بالختان في التوراة نقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب...، وأما غلوفة اللحم، فلا مضرة فيها، بل الأحسن ترك الأجسام، كما خلقها الله تعالى»[٢].

٢- يقول الإمام القرطبي في رده على النصارى قولهم: إن الختان لا فائدة فيه: «إنهم سفهوا أحكام الله ورسل الله، حيث قالوا: لا منفعة في ذلك، مع أن الله قد حكم به، وشرعه، وبلّغ ذلك أنبياؤه ورسله»[٣].

ويقول القرافي: «إنهم سفهوا أحكام الله ورسل الله، حيث قالوا: لا منفعة في ذلك، مع أن الله قد حكم به، وبلغته رسوله وعملوا به»[٤].

٣- يقول القرطبي: «اعلم أن هؤلاء القوم وضعوا لأنفسهم قوانين.. من غير أن يشهد بصحة تلك القوانين شاهد من توراة، ولا من إنجيل، فمن خالفها عندهم سموه خارجيًا تارة، وكافرًا أخرى، والخروج عن تلك الذنوب هو الذنب عندهم، ثم تلك الذنوب منقسمة إلى ما يغفرونه، وإلى ما لا يغفرونه»[٥].

ويقول القرافي: «وضعت النصارى لأنفسهم قوانين من غير دليل من التوراة والإنجيل، ومن خالفها سموه خارجًا تارة، وكافرًا أخرى، والخروج عن

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام: (ص٤٢٠).
(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٤).
(٣) الإعلام: (ص٤٢١).
(٤) الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٥).
(٥) الإعلام: (ص٤٠٥).

قوانينهم ذنوب، وتنقسم إلى ما لا يغفرونه، وإلى ما يستقلون بغفرانه»[(١)].

ومن أمثلة أخذه عن أبي البقاء الجعفري:

١- يقول أبو البقاء الجعفري: «فقد قال النبي إشعياء في نبوته: يا معشر العطاش الجياع توجهوا إلى الماء المورود، ومن ليس له فضة فليذهب يمتار ويستقي ويأكل ويتزود من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن»[(٢)] قلت: وذلك موافق لقول الله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥][(٣)].

ويقول القرافي: «في نبوة إشعياء عليه السلام: يا معاشر العطاشى الجياع، توجهوا إلى الماء المورود، ومن ليس له فضة فليذهب يستقي، ويأكل، ويتزود من الخمر واللبن، موافقة لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥]»[(٤)].

٢- يقول الجعفري: «ذكر يوحنا -الذي هو أصغر الأربعة سنًا- (أن أول آية أظهرها المسيح تحويل الماء خمرًا)[(٥)] ولم يذكر أصحابه الثلاثة ذلك، وإن

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص١٥٥-١٥٦).

(٢) سفر إشعياء: الإصحاح (٥٥) الفقرة (١).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، لأبي البقاء الجعفري: (١/ ٢١٥) رسالة دكتوراة منشورة، دراسة وتحقيق، د/ محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٩هـ.

(٤) الأجوبة الفاخرة: (ص٧٦).

(٥) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢) الفقرات: (١-١١).

أغفلوا مثل هذه الآية مع شهرتها دل ذلك على غفلة عظيمة وقلة اعتناء بأمر الدين، وإذا كانت لم تصح عندهم، فتحرجوا من تسطيرها، فيكف ثبتت من الإنجيل بقول واحد، وشرط ثبوت كلام الله التواتر؟»[١].

ويقول القرافي: «قال يوحنا -وهو أصغر الأربعة- إن أول آية أظهرها المسيح عليه السلام تحويل الماء خمرًا، ولم يذكرها الثلاثة، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين، وإن كانت لم تصح عندهم، فكيف ينقل الدين عن شخص واحد، وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر؟»[٢].

لكن الإمام القرافي وإن أخذ عمن سبقه، فإنه في أحايين كثيرة، لم يكن يأخذ بدون أن يضيف فائدة، أو زيادة لم يذكرها من أخذ عنه الإمام القرافي، تلك الزيادة التي تحفظ للقرافي شخصيته، وتثبت أنه لم يكن كحاطب ليل، في أخذه من غيره، كما أن القرافي في نقله عن غيره يبسط ما يحتاج إلى بسط، ويوضح ما فيه غموض ومن أمثلة ذلك:

١- ذكر الإمام القرطبي للختان فوائد أربعة:

- أنه عبادة في بدن الإنسان، إذا فعلها أثيب، وإن تركها عوقب.

- أن تركه لا يمكن معه المبالغة في النظافة.

- أنه ألذ عند الجماع، وأسرع لمجيء شهوة الوقاع.

- أن خروج الماء الدافق مع الختان يكون أشد، مما يجعله يصل إلى محل

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٣، ٢٤)، ويقارن: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٢٠، ١٢٢، ١٣٢، ٤٨٦-٤٩٢، ٢/ ٦٥٢)، بالأجوبة الفاخرة: (ص٦٥، ٦٦، ٦٧، ١٠٩، ١١٠، ١٦٣) ويراعى ترتيب الصفحات في الكتابين.

التخليق، فيحصل الولد، بخلاف لو كان غير مختون[(١)].

وهذه الأوجه الأربعة ذكرها الإمام القرافي بعبارة فيها إفصاح وبيان عما ذكره القرطبي، وزاد للختان فائدة أخرى لم يذكرها القرطبي وهي:

أن أوامر الله تعالى وطاعته خلع إحسان، وأياد امتنان، وكلها تذهب بالفراغ من ملابستها، ولا يبقى لها أثر في الوجود إلا الختان، فإنه يبقى مخلدًا في الجسد إلى الممات، يقول القرافي: «وهذه خصيصة عظيمة دالة ما بقي الإنسان على توجه الأمر الرباني عليه، وأنه حاز شرف الإنابة، والطاعة لديه... إلخ»[(٢)].

٢- يقول أبو البقاء الجعفري: «ذكر متى (أن يوسف خطيب مريم كان أبوه يسمى يعقوب بن ماتان)[(٣)] وذكر لوقا غير ذلك فقال: (أقام يسوع ثلاثين سنة وهو يظن أنه ابن يوسف بن هالي)[(٤)] يقول أبو البقاء: وهذا تناقض عجيب»[(٥)].

ويقول القرافي بعد أن ذكر قول متى، وقول لوقا: «وهو تكاذب» ثم أضاف: ثم إن قضية عيسى عليه السلام في كونه ولد من غير أب كانت في غاية الشهرة عند بني إسرائيل، حتى آذوا مريم عليها السلام إيذاءًا عظيمًا، برميها بالزنا ووصلت القضية إلى أقطار الأرض، فكيف يخفى على عيسى عليه السلام ذلك ثلاثين سنة؟[(٦)].

وإضافات القرافي كثيرة غير هذين الموضعين، سيأتي لها مزيد بيان في ثنايا

---

(١) يراجع: الإعلام (ص٤٢١).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٥).

(٣) إنجيل متى: الإصحاح (١) الفقرة: (١٦).

(٤) إنجيل لوقا: الإصحاح (٣) الفقرة (٢٣).

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٩٣).

(٦) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٤).

الحديث عن جهود الشيخ.

ولا يمنع أخذ القرافي عن غيره، أن تكون له جهود لم يسبق إليها، ستتضح من خلال البحث إن شاء الله تعالى.

ثانيًا: تأثير القرافي فيمن بعده:

تأثر القرافي من اللاحقين عدد لا بأس به من عمد علماء الأديان، ومن هؤلاء ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والألوسي بن الألوسي المفسر، والباجي زاده -رحم الله الجميع- وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين: فمنهم من يصرح بالأخذ عن القرافي، وهو الألوسي والباجي زاده، ومنهم من لا يصرح مثل ابن تيمية وابن القيم.

ومن أمثلة أخذ ابن تيمية عنه:

يقول الإمام القرافي: «قال إشعياء: قيل لي: قم ناظرًا، فانظر ماذا ترى، فقلت: أرى راكبين مقبلين: أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: تسقط بابل وأصنامها للمنحر[1] -يقول:- فراكب الحمار المسيح عليه السلام، وراكب الجمل محمد عليه السلام، فشهرته بركوب الجمل أكثر من شهرة المسيح عليه السلام بركوب الحمار، ومحمد عليه السلام أسقط أصنام بابل، وغيرها»[2].

ويقول ابن تيمية بعد ذكر بشارة إشعياء: «فراكب الحمار هو المسيح، وراكب الجمل هو محمد ﷺ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار،

---

(١) سفر إشعياء: الإصحاح (٢٠) الفقرات (٦-١٠).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص١٧٢).

وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل»[١].

ومن أمثلة أخذ ابن القيم عنه:

١- يقول القرافي في بيان أثر استيلاء الأمم على بني إسرائيل في ضياع التوراة: «وما زالت الأمم التي استولت عليهم كالشدابين[٢] والبابليين[٣] والفرس، واليونان، والنصارى، يقصدونهم أشد قصد، ويطلبون استئصالهم، وخراب بلادهم وحرق كتبهم، حتى جاء الإسلام»[٤].

ويقول ابن القيم: «... ولكثرة الأمم التي استولت عليهم من الكلدانيين والبابليين، والفرس، واليونان، والنصارى... وما من هذه الأمم إلا من طلب استئصالهم، وبالغ في إحراق بلادهم وكتبهم...»[٥].

٢- يقول الإمام القرافي في رده على النصارى دعوى صلب المسيح عليه السلام: «من المدبر للسموات والأرض بالبسط والقبض، والرفع والخفض؟ وهل دنفت الكلمة بدفنه وقتلت بقتله، أم خذلته وهربت مع التلاميذ؟ فإن دفنت فإن القبر الذي وسع الكلمة لقبر عظيم، وإن أسلمته وذهبت، فكيف

---

(١) الجواب الصحيح: (٣/ ٢٦١).

(٢) لم أصل إلى معرفتهم في كتب البلدان والأنساب، ولعلهم الكلدانيون، بدليل عبارة ابن القيم؛ لأنه ذكر نفس كلام الإمام القرافي، وذكر مكان الشدابين، الكلدانيين، والكلدانيون: هم الذين سكنوا بابل في الزمن الأول. معجم البلدان (١/ ٣٠٩).

(٣) البابليون: سكان أهل بابل، وبابل مدينة بالعراق، تضم مدنا عدة، منها الكوفة، كان عرضها اثنى عشر، فرسخًا، وطولها مثل ذلك، لم تزل عامرة حتى خربها الإسكندر: يراجع معجم ما استعجم (١/ ٢١٨)، معجم البلدان (١/ ٣٠٩، ٣١٠).

(٤) الأجوبة الفاخرة: (ص٧٩).

(٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم: (٦٦٩)، ت/ محمد عبد القادر عطا، مكتبة التقوى، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج؟»[١].

ويقول ابن القيم: «من كان يدبر أمر السموات والأرض؟ ... ويا عجبًا: هل دفنت الكلمة معه، بعد أن قتلت وصلبت؟ أم فارقته، وخذلته أحوج ما كان إلى نصرها؟ ... وكيف يصح مفارقتها له بعد أن اتحدت به، ومازجت لحمه ودمه؟ ... ويا عجبًا أي قبر يسع إله السموات والأرض؟»[٢].

ومن أمثلة أخذ الألوسي عنه:

قوله في بيان ما فعله بولس في النصرانية: «فاسمع شرح حاله مما قاله العلامة القرافي في الأجوبة الفاخرة بما لفظه...»[٣].

ويقول في الرد على إنكار النصارى للختان: «قال القرافي... فانظر كذبهم على الله تعالى»[٤] وتصريح الباجي زاده بالأخذ عن القرافي كثير في الجواب الفسيح.

ومن أمثلة أخذ الباجي زاده عن القرافي:

١- قال القرافي في بيان تناقض الأناجيل: «قال لوقا: (قال جبريل الملك لمريم بناصرة: إنك ستلدين ولدًا اسمه يسوع، يجلسه الرب على كرسي أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب)[٥] يقول القرافي: وكذبه يوحنا وغيره، فقال: بل حمل

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٨، ١٠٩).

(٢) إغاثة اللهفان: (ص٦١٨، ٦١٩)، ويقارن: الأجوبة الفاخرة: (ص٧١)، وإغاثة اللهفان: (ص٦٥٨).

(٣) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، للألوسي: (٢/ ٣٣١) وما بعدها، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار البيان العربي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٤) الجواب الفسيح: (٢/ ٣٣٥)، وينظر: (٢/ ٧٤٨-٧٥٤، ١/ ٥٨٧).

(٥) إنجيل لوقا: الإصحاح (١) الفقرات: (٣١-٣٤).

يسوع -هذا الذي وعده الله بالملك- إلى القائد بيلاطس[١]، وقد ألبسه شهرة الثياب، وتوجه بتاج من الشوك، وصفعوه، وسخروا منه، وفاوضه بيلاطس طويلاً، فلم يتكلم[٢] يقول القرافي وهو تناقض فاحش: أحدهما يجعل يسوع عليه السلام ملكًا عظيمًا لبني إسرائيل، والآخر يصفه بهذه الذلة والمهانة...»[٣].

يقول الباجي زاده بعد أن ذكر ما ذكره لوقا ويوحنا بعبارة قريبة جدًا من عبارة القرافي: «وهذا لا شك فيه تناقض فاحش، فإن إنجيلاً يجعله ملكًا عظيمًا لبني إسرائيل، وآخر يصفه بهذه الذلة والمهانة...»[٤].

٢- قال القرافي: «قال لوقا: (لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود، ظهر له ملك من السماء ليقويه، وكان يصلي متواترًا، وصار عرقه كعبيط الدم)[٥] يقول القرافي: ولم يذكر ذلك متى، ولا مرقس، ولا يوحنا، وإذا تركوا ذلك، لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه الفرائض والأحكام، وإن كان الترك صحيحًا، فتكون الزيادة كذبًا في النسخ الأخرى»[٦].

ويقول الباجي زاده بعد أن ذكر قول لوقا: «ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس

---

(١) سادس والٍ على اليهودية من قبل طيباروس قيصر، وهو القائد الروماني الذي تمت عملية الصلب في وقته، تولى ست سنين قبل حادثة الصلب، وأربعًا بعدها، يراجع: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، د/ وليم إدي، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ط/ ١٩٧٣م.

(٢) إنجيل يوحنا: الإصحاح (١٩) الفقرات: (١-١٠).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٣).

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق، للباجي زاده: (ص١٣) تصحيح ومراجعة: عبد المنعم فرج درويش، مطابع البيان التجارية، دبي، ط/ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٥) إنجيل لوقا: الإصحاح (٢٢) الفقرات (٤٣-٤٥).

(٦) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٣).

ولا يوحنا، فإذا تركوا ذلك لا يؤمن أن يتركوا ما هو الأهم من ذكر الأحكام، وإن كان الترك صحيحًا فتكون الزيادة كذبًا محضًا»(١).

ويقول الباجي زاده معقبًا على قول بعض النصارى في زمانه: إن المسلمين لم يأت أحد منهم ببرهان يبطل حجية الأناجيل، ويمنع التمسك بها: «أيظن أن الناس عميان؟ أو اعتراهم داء النسيان من كتب الردود كابن تيمية، والقرافي ...؟»(٢).

ولا شك أن كلامه هذا فيه إشارة إلى أنه رجع إلى القرافي وأخذ عنه: وإذا أضيفت الإشارة إلى النقلين السابقين انتقل الحال من الإشارة إلى التصريح.

وبعد،،،

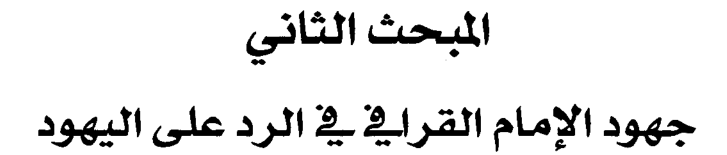
فقد استبان مما سبق أن الإمام القرافي رحمه الله تعالى، تأثر بمن سبقه من العلماء، وأثر فيمن جاء بعده، وتلك سنة الله أن المرء يتأثر، ويؤثر، وما ذكر من أمثلة تبين تأثر القرافي وتأثيره، إنما قصد به الإشارة، وليس الاستقصاء، وأما الاستقصاء لهذه الجزئية فهو منثور بين ثنايا بقية البحث، وندع الصفحات القادمة تخبرنا عن ذلك شيئًا فشيئًا.

والله المستعان

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق: (ص١٣)، ويقارن الأجوبة الفاخرة: (ص٢٤، ٥٤) بالفارق بين المخلوق والخالق: (ص١٤، ٢٨٧).

(٢) ذيل الفارق للباجي زاده: (ص٢٩) مطبوع نفس طبعة الفارق السابقة.



المبحث الثاني

جهود الإمام القرافي في الرد على اليهود

وفيه مطالب:

المطلب الأول: اليهود وتسمياتهم.

المطلب الثاني: التوراة وبيان الإمام القرافي ما فيها من تحريف.

المطلب الثالث: موقف اليهود من النسخ ورد القرافي عليهم.

المطلب الرابع: إنكار اليهود نبوة عيسى -عليه السلام- ورد القرافي عليهم.

المطلب الخامس: النعيم الأخروي عند اليهود، وموقف القرافي منه.

المطلب الأول
اليهود وتسمياتهم

اليهود هم قوم موسى -عليه السلام-، وكتابهم التوراة، ولغتهم -الأصل- العبرية.

وقد اختلف في سبب تسميتهم بهذا الاسم:

فقيل: سموا بذلك لقول موسى -عليه السلام-: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فسموا بذلك؛ لأنهم رجعوا عن عبادة العجل إلى عبادة الله تعالى[١]، والدلالة اللغوية للاسم تؤيد هذا الرأي.

فقد جاء في «لسان العرب»: «الهَوْد: التوبة، هاد، يهود، هودًا، وتهود: تاب إلى الحق، فهو هائد، وفي التنزيل: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾؛ أي: رجعنا إليك... وسميت اليهود يهودًا اشتقاقًا من هادوا، أي: تابوا»[٢].

وفي «القاموس المحيط»: «الهَوْد: التوبة، والرجوع إلى الحق، وبالضم -الهُود-: اليهود، وهَوَّده: حوله إلى ملة يهود، وتهود: صار يهوديًّا»[٣].

وقيل: سموا بذلك؛ لأنهم يتهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة[٤].

وقيل: سموا بذلك؛ نسبة إلى يهوذا، أكبر ولد يعقوب -عليه السلام-، وإنما قالته العرب بالدال للتعريب؛ لأنهم إذا نقلوا أسماء من العجمية إلى العربية

---

(١) يراجع: الملل والنحل (١/ ٢١٠)، تاريخ الملل والنحل، لأمين الخولي (٢/ ١٦٦). ط/ مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.

(٢) لسان العرب (٣/ ٤٥٩)، مادة: هود.

(٣) القاموس المحيط (٤٢٠) مادة: هود.

(٤) ينظر: تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٦٦)، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة (ص١٢، ١٣).

يغيرون بعض حروفها.

يقول البيروني: «وإنما سمي هؤلاء اليهود؛ نسبة إلى يهوذا -أحد الأسباط-، فإن الملك استقر في ذريته، وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة، كما يوجد مثل ذلك في كلام العرب»[١].

هذا، وأكثر ما ترد هذه التسمية في القرآن الكريم في معرض اللوم، والنقد لليهود.

ومن تسمياتهم: العبريون أو العبرانيون (Hebrews).

وقد اختلف في سبب تسميتهم بالعبرانيين، فذهب البعض إلى أنهم سموا بذلك نسبة إلى (عابر) الجد الخامس لإبراهيم -عليه السلام-، فقد جاء في سفر التكوين في نسب إبراهيم عليه السلام: «إبرام بن تارح بن ناحور بن سَروج بن رَعُوَة بن فالج بن عابر»[٢].

وذهب البعض إلى أنهم سموا بذلك نسبة إلى إبراهيم -عليه السلام- الذي كان يسمى عبريًّا أو عبرانيًّا؛ لأنه عبر نهر الفرات، أو نهر الأردن من (أور) بالعراق -موطنه الأصلي- إلى الأرض المقدسة.

ومن تسمية إبراهيم -عليه السلام- بالعبراني ما جاء في سفر التكوين:

---

(١) تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٦٧)، ويراجع أيضًا: اليهود واليهودية، د. السيد أحمد فرج (ص١٩)، دار الوفاء، المنصورة، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح (١١)، الفقرات (١٥- ٢٧).

يراجع: اليهودية د/ أحمد شلبي (ص٢٦)، مكتبة النهضة المصرية، ط/ الثانية ١٩٦٧م، تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٦٨).

«فأتى من نجاد وأخبر إبرام العبراني»[١].

ويذهب إسرائيل ولفنسون[٢] إلى أن هذه التسمية: نشأت عن لون الحياة الأولى لهذا الشعب؛ وذلك لأن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بحثًا عن الماء والرعي، وكلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي: عبر، بمعنى قطع مرحلة من الطريق، أو عبر الوادي، أو النهر من عَبْره إلى عبْره، أو عبر السبيل؛ أي: شقها، وكل هذه المعاني موجودة في الفعل سواء في العربية أو العبرية.

فالكلمة -عنده- في مجملها تدل على التجول أو التنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي؛ أي: ساكن الصحراء أو البادية، وقد كان الكنعانيون[٣] والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين؛ لعلاقتهم بالصحراء، وليميزوهم عن أهل

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح (١٤)، الفقرة (١٢).

(٢) مستشرق ألماني يلقب بأبي ذؤيب، درس اللغة السامية بدار العلوم، ثم بالجامعة المصرية، له تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، تاريخ اللغات السامية، موسى ميمون حياته ومصنفاته، يراجع: المستشرقون، لنجيب العقيقي (٢/ ٤٦٠)، دار المعارف، ط/ الرابعة.

(٣) الكنعانيون: ينسبون إلى كنعان بن نوح، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية، وكنعان مكان بأرض الشام، وكلمة كنعان تعني الأرض المنخفضة، وقد استخدم اسم كنعان في أول الأمر، للدلالة على غربي فلسطين، ثم أصبح اللفظ علمًا على ما هو متعارف عليه جغرافيًّا بأرض فلسطين. وتطلق الأدبيات الدينية اليهودية على كنعان اسم... إرتس يسرائيل؛ أي: أرض إسرائيل. يراجع: معجم البلدان (٤/ ٣٨٣)، موسوعة اليهود واليهودية د/ عبد الوهاب المسيري (٤/ ١١٥، ١١٦)، دار الشروق، القاهرة، ط/ أولى، ١٩٩٩م.

العمران[١].

وقريب من هذا الرأي رأى من قال: إنهم سموا بذلك نسبة إلى عبور إبراهيم الدائم؛ أي: ترحاله المستمر من مكان إلى مكان[٢].

ولأجل هذا المعنى -حياة البدو والترحال- يطلق عليهم البعض اسم الخابيرو (Chabiru)؛ أي: القبائل من البدو، وقد ذكرت هذه الكلمة في النقوش المصرية في القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر قبل الميلاد، لتعني العابر، والمتجول والبدوي.

وقد اعتمد أصحاب هذا الرأي على التشابه الصوتي بين الكلمتين (عبيرو) العبرانية، و(خابيرو)، وعلى اتفاق التقاليد الواردة في أسفار موسى الخمسة على الخبيريين[٣].

ويذهب البعض إلى أن اسم العبري أو العبراني ليس خاصًّا باليهود وحدهم، وإنما هو يضم كل القبائل السامية التي كانت منتشرة في سوريا وكنعان وبلاد الرافدين[٤]، وإنما سمي اليهود بذلك من باب إطلاق العام على الخاص[٥].

وأرى أن هذه التسمية وإن اختلف في تعليلها إلا أن مضمونها واحد، وهو إطلاقها على نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليه السلام-، وهذه

---

(١) اليهودية (ص٣٦)، تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٦٦)، اليهود واليهودية (ص١٠).

(٢) اليهود واليهودية (ص١٠).

(٣) يراجع: موسوعة اليهود واليهودية (٤/ ١١٣، ١١٤).

(٤) بلاد الرافدين: بلاد العراق، سميت بذلك لوجود رافدين بها، وهما دجلة والفرات. يراجع: معجم البلدان (٣/ ٢٧٣).

(٥) يراجع: موسوعة اليهود واليهودية (٤/ ١١٢).

التعليلات يصح اعتبارها جميعًا، فلا مانع من أن يسموا عبرانيين نسبة إلى إبراهيم -عليه السلام- الذي عبر النهر، وتجول في البلاد هو وذريته من بعده، الذين هم من نسل عابر، جد إبراهيم عليه السلام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن اسم عبري أو عبراني لم يرد في القرآن الكريم، ولكن ورد في السنة النبوية مرادًا به لغة اليهود العبرية، أو لغة الإنجيل العبرية، ومن ذلك ما روي عن عائشة -رضي الله عنها-: «... **فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني...**»[1].

وجاء عن أبي هريرة ﷺ قال: «كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ...»[2].

ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدينة والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري، وأصبحوا يؤثرون كلمة بني إسرائيل[3].

ومن أسمائهم: بنو إسرائيل:

سموا بذلك نسبة إلى أبيهم إسرائيل يعقوب بن إسحاق -عليهما السلام- وكلمة إسرائيل مكونة من مقطعين (إسرا) و(ئيل)، ومعنى (إيل) عند جميع

---

(١) أخرجه البخاري، ك: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي لرسول الله ﷺ؟، حديث رقم (٣)، صحيح البخاري (ج١/ ٣)، وأخرجه مسلم، ك: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، حديث رقم (٢٥٢)، صحيح مسلم (ج١/ ١٣٩)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التفسير، باب: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»، حديث رقم (٤٢١٥)، صحيح البخاري (٤/ ١٦٣٠) عن أبي هريرة.

(٣) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة (ص١٤).

العلماء «الله» أما «إسرا»، فقيل: معناها: عبد، ويكون معنى الكلمة: عبد الله، وقيل معناها: القوي بالله، والقادر بالله، وقيل معناه: المجاهد مع الله، وهذا ما يعنيه اليهود بهذه التسمية (المجاهد مع الله).

ويعتمدون في تأييد زعمهم هذا على قصة توهموها وكتبوها في توراتهم المحرفة، وهي ما جاء في سفر التكوين: «فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس، وقدرت»[1].

والسبب في أنهم يفضلون التسمية ببني إسرائيل عن العبرانيين ما يلي:

١ - أن بني إسرائيل اسم تحضري، بخلاف العبرانيين، فإنه صفة من العبور والترحل الدائم، وعدم الاستقرار، وهذه صفة البداوة.

٢- وصفهم بالعبرانيين يشعرهم بالدونية والعبودية التاريخية للمصريين.

٣- أنه اسم ديني في معتقدهم؛ لأن «إيل» معناه «الله»، فهم -بزعمهم- بوصف أنفسهم بالإسرائيليين ينسبون إليه.

ويتصل بهذا العامل عامل عنصري؛ إذ إن بني إسرائيل هم السلالة الوحيدة الشريفة في يهود، ومن ثم رغبوا في انتساب الأشتات التي تجمع منها اليهود إليها[2].

---

(١) تكوين، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (٢٤- ٢٩).

(٢) يراجع: اليهود واليهودية (ص١٥).

ومن صفاتهم: المغضوب عليهم: وهذه التسمية لصقت بهم منذ جاء الرسول ﷺ بالشريعة الخاتمة.



المطلب الثاني
التوراة وبيان الإمام القرافي في ما فيها من تحريف

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: التوراة.

المسلك الثاني: موقف الإمام القرافي من التوراة المحرفة.



المسلك الأول
التوراة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: التوراة وأسفارها.

الفرع الثاني: نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام.



الفرع الأول
التوراة وأسفارها

تمهيد: الكتاب المقدس وأقسامه:

الكتاب المقدس يشمل التوراة والأناجيل ورسائل الرسل، وتسمى التوراة -أسفار موسى الخمسة وغيرها- كتب العهد القديم، وتسمى الأناجيل ورسائل الرسل كتب العهد الجديد.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «اعلم أنهم يقسمون كتب العهد العتيق والجديد إلى قسمين: قسم منها يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى -عليه السلام-، وقسم منها يدَّعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى -عليه السلام-، فمجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق، ومن القسم الثاني يسمى بالعهد الجديد ومجموع العهدين يسمى (بييل)، وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب»[(١)].

ومصطلح العهد القديم (Old testament)، وضعه أولاً بولس الرسول، فهو مصطلح مسيحي، يستخدمه المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدس، بينما يستخدمون مصطلح العهد الجديد (New testament) للإشارة إلى الأسفار التي تضمنتها الأناجيل الأربعة، وإلى أعمال الرسل ورسائلهم، أما اليهود أنفسهم فيستخدمون عبارة (سيفرها قودش) أو (كتبي هاقودش)؛ أي: الكتب المقدسة، ويستخدمون أحيانًا تعبير (كتوفيم)؛ أي: الكتب، وأحيانًا يطلقون عليه الكتاب العبري (The hebrewbible)، أو الكتاب (The

---

(١) إظهار الحق، لرحمة الله الهندي (١/ ٥٥)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٦هـ، ويراجع: محاضرات في النصرانية، للشيخ/ محمد أبو زهرة (ص٣٧)، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

bible)، وأحيانًا أخرى يستخدمون لفظ (المقرا)؛ أي: المقروء، كما يعبرون اختصارًا عن العهد القديم، وأقسامه بالتناخ، وهي تسمية عبرية تعني التوراة والأنبياء والمكتوبات، وهي تتكون من الحروف الأولى لهذه الأسماء الثلاثة في اللغة العبرية[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن التسمية بالعهد القديم غير مقبولة عند اليهود؛ لأن فيها إشارة إلى أن العهد المعطى لبني إسرائيل عهد قديم، حَلَّ محله عهد جديد معطى للأمة المسيحية[٢].



(١) يراجع: تاريخ الملل والنحل (٢/ ١٤٢)، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، د. محمد خليفة حسن (ص٩)، ط/ ١٤٨٧هـ، موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٨٤).

(٢) مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم (ص٩).

التوراة

التوراة (Torah) كلمة من أصل عبري مشتقة من فعل (توريه) بمعنى: يعلم أو يوجه، وهي كلمة عبرية تعني الشريعة، أو التعاليم التي أوحى الله بها إلى موسى -عليه السلام-، فهي في أصل إطلاقها لا تطلق إلا على أسفار موسى الخمسة «التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية».

وهي في العبرية تسمى التوراة، وفي اليونانية تسمى البنتاتيك (Pentateuch)؛ أي: المؤلف المكون من خمسة أجزاء، وأحيانًا يطلق عليها: اسم الناموس؛ أي: القانون[1].

لكن اتسع معناها ليشمل مجموع كتب العهد القديم، يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «التوراة لفظ عبراني، بمعنى التعليم والشريعة، وقد يطلق ذلك اللفظ على مجموع كتب العهد العتيق مجازًا»[2].

أسفار التوراة:

التوراة بمعناها المجازي (العهد القديم) تشمل تسعة وثلاثين سفرًا، نذكرها لاحتياج دراستنا إلى معرفتها، وهي:

١- سفر التكوين، ويسمى سفر الخليقة.

٢- سفر الخروج.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، لمجموعة من الأساتذة واللاهوتيين (ص٩٧٨)، من منشورات مكتبة البعل، بيروت، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، ط/ السادسة، ١٩٨١م، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي (ص٢٩)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط/ الأولى ١٩٩٦م.

(٢) إظهار الحق (١/ ٥٥).

٣- سفر اللاويين، ويسمى سفر الأحبار.

٤- سفر العدد.

٥- سفر التثنية أو الاستثناء.

٦- كتاب يوشع بن نون.

٧- كتاب القضاة.

٨- كتاب راعوث.

٩- سفر صموئيل الأول.

١٠- سفر صموئيل الثاني.

١١- سفر الملوك الأول.

١٢- سفر الملوك الثاني.

١٣- السفر الأول من أخبار الأيام.

١٤- السفر الثاني من أخبار الأيام.

١٥- السفر الأول لعزرا.

١٦- السفر الثاني لعزرا، ويسمى سفر نحميا.

١٧- سفر إستير.

١٨- كتاب أيوب.

١٩- زبور داود.

٢٠- أمثال سليمان.

٢١- كتاب الجامعة.

٢٢- كتاب نشيد الإنشاد.

٢٣- كتاب إشعياء.

٢٤- كتاب إرميا.

٢٥- مراثي إرميا.

٢٦- كتاب حزقيال.

٢٧- كتاب دانيال.

٢٨- كتاب هوشع.

٢٩- كتاب يوئيل.

٣٠- كتاب عاموص.

٣١- كتاب عوبديا.

٣٢- كتاب يونان.

٣٣- كتاب ميخا.

٣٤- كتاب ناحوم.

٣٥- كتاب حبقوق.

٣٦- كتاب صفنيا.

٣٧- كتاب حجيّ.

٣٨- كتاب زكريا.

٣٩- كتاب ميلاخيا[١].

وهذه الأسفار التسعة والثلاثون، هي ما يسمى بالتوراة العبرية، لكن هناك توراة بأيدي السامرة[٢] تختلف عن هذه التوراة، فهم لا يسلمون من هذه

---

(١) الكتاب المقدس (ص١)، دار الكتاب المقدس بإشراف المركز العالمي للكتاب المقدس في جبل الزيتون، القدس.

(٢) السامرة: فرقة من اليهود يقولون: إن مدينة القدس هي نابلس، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى -عليه السلام- وبعد يوشع بن نون، ولا يقرون بالبعث ألبتة، وهم بالشام لا يستحلون الخروج منها. يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ٩٨، ٩٩)، دار الندورة الجديدة، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ، لسان العرب (٤/ ٣٧٦).

الأسفار إلا سبعة كتب فقط، الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى -عليه السلام-، وكتاب يوشع بن نون، وكتاب القضاة[١].

وتخالف نسخة توراتهم توراة اليهود، ويزعمون أن توراتهم هي المنزلة، ويقطعون بأن التي بأيدي اليهود العبرانيين محرفة ومبدلة، وسائر اليهود يقولون: إن التوراة التي بأيدي السامرة محرفة ومبدلة[٢].

ومما يتصل بموضوعنا -الأسفار المقدسة- نظرة النصارى والمسلمين إلى هذه الأسفار.

أما عند النصارى:

فيختلف ترتيب العهد القديم عند الكاثوليك عنه عند البروتستانت، فالكاثوليك يعترفون بهذه الأسفار ويزيدون عليها أسفار «طوبيا، الحكمة لسليمان، سفر المكابين الأول، سفر المكابين الثاني، يهوديت، الكهنوت، سفر الحكمة ليشوع بن سراخ، باروخ)، ويعتبرونها من التوراة المقدسة.

وأما البروتستانت فإنهم لا يعتبرون تلك الأسفار الزائدة مقدسة، فهي في نظرهم لا تمت إلى العهد القديم بصلة، وهم بذلك يوافقون العبرانيين[٣].

وأما عندنا نحن المسلمين:

فلا نشك في أن التوراة بمعناها القرآني قد أنزلت على موسى -عليه السلام- كما لا نشك في أنه بلغها، وعلمها بني إسرائيل.

---

(١) هذا ما ذكره رحمة الله الهندي، في إظهار الحق: (١/ ٥٦) ولكن بمراجعة التوراة السامرية وجدتها تحتوي على أسفار موسى الخمسة فقط.

(٢) يراجع: إظهار الحق (١/ ٥٦).

(٣) يراجع: اليهودية (ص ٢١٥، ٢٢٩، ٢٣٠)، موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٨٥) (٩٠، ٩١).

والإسلام يعترف بالتوراة التي أنزلها الله على موسى، ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم، فسفر يشوع، وسفر القضاة والملوك، وغيرها ليست من الكتب المقدسة في نظر الإسلام[١].

فنحن -المسلمين- لا نؤمن بكتاب ولا رسول إلا ما أخبرنا به رسولنا ﷺ، ولا يعني ردنا لهذه الاسفار ألا أننا لا نجرؤ على الإيمان بكتاب لم يصدقه نص من كتاب ربنا أو سنة رسولنا، يقول ابن حزم: «كما أننا لا نقطع بصحة نبوة شموال وحقاي وحبقوق وسائر الأنبياء الذين عندهم، ولكن نقول: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، فلا ندخل في أنبياء الله تعالى من ليس فيهم بأخبار اليهود والنصارى الكاذبة... فنحن نؤمن بالأنبياء جملة، ولا نسمي منهم إلا من يسمي محمد ﷺ فقط»، وقد فصل جميع الأنبياء الذين لم ينص عليهم بعد موسى -عليه السلام[٢].

موضوعات الأسفار المقدسة:

تضم الأسفار المقدسة موضوعات كثيرة، ومتعددة، تتفاوت في الحجم والأسلبو والأسفار المقدسة تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

١- التوراة أو أسفار موسى الخمسة.

٢- أسفار الأنبياء.

٣- المكتوبات[٣].

---

(١) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٢٠٣) وما بعدها. اليهودية (ص٢٣٢)، اليهود واليهودية (ص٧٥).

(٢) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٢٠٣)، ويراجع: اليهودية (ص٢٣٢).

(٣) يراجع: اليهودية (ص٢١٤، ٢١٥)، موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٨٤، ٨٥).

موضوعات الأسفار الخمسة:

١- سفر التكوين (Gonesis):

وهذا يسمى في العبرية (بريشيت) بمعنى: البدء، وهي أول كلمة ترد في السفر، سمي بسفر التكوين لاشتماله على قصة خلق العالم وخلق الإنسان الأول، بالإضافة إلى أنه يشتمل على قصة الخطيئة التي ارتكبها آدم -عليه السلام-، ثم حياة أولاده من بعده -إسحاق ويعقوب- وأولاد يعقوب، وخاصة يوسف -عليه السلام-، وبموت يوسف ينتهي هذا السفر.

٢- سفر الخروج (Exodus):

يسمى في العبرية شيموت؛ أي: الأسماء، إشارة إلى أول كلمة وردت فيه، ويسمى باليونانية واللاتينية (Exodus)، وسمي سفر الخروج؛ لتناوله خروج بني إسرائيل من مصر.

وفيه أيضًا بالإضافة إلى ذلك قصة بني إسرائيل بعد يوسف -عليه السلام-، وما عانوه من الفراعنة، وظهور موسى -عليه السلام-، وفيه أيضًا الوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى، وفيه كثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية.

٣- سفر اللاويين (Levticus):

يسمى في العبرية «فايقرا»؛ أي: دعا أو نادى، وهي الكلمة التي يبدأ بها السفر، وكان في الماضي يعرف باسم «توراة كوهانيم»؛ أي: شريعة الكهنة، وفي اليونانية واللاتينية يسمى (Levticus)؛ أي: لاويين نسبة إلى أسرة لاوي بن يعقوب -عليه السلام.

وهو يحتوي على كثير من التشريعات والوصايا والأحكام، مثل: كفارات الذنوب، والأطعمة المحرمة، والأنكحة المحرمة، والطقوس، والأعياد،

والنذور، والطهارة وغيرها[١].

٤- سفر العدد (Numbers):

يسمى بالعبرية «بميدبار»؛ أي: في البرية؛ إشارة إلى أول كلمة في السفر، وفي اليونانية واللاتينية (Numbers) سمي بهذا الاسم؛ لأنه يشمل في معظمه إحصاء قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم، وكثير مما يمكن إحصاؤه من شئونهم.

ويشمل بالإضافة إلى ذلك أحكامًا تتعلق بعدد من العبادات والمعاملات، كما أن فيه كثيرًا من التنظيمات والتعاليم الكهنوتية والاجتماعية والمدنية.

٥- سفر التثنية (Deuteronomy):

يسمى في العبرية «هد بريم»؛ أي: هذا هو الكلام؛ إشارة إلى أول كلمة في السفر، وفي اليونانية واللاتينية (Deuteronomy).

فيه تشريعات لم تذكر في الأسفار السابقة، وفيه نبوءات عن النبي ﷺ. وفيه تعرض الوصايا العشر عرضًا جيدًا، كما يتكلم عن الأطعمة الحلال والحرام، وعن نظام القضاء والملك عند بني إسرائيل، كما يتكلم عن انتخاب يشوع بن نون خلفًا لموسى -عليه السلام-، وينتهي بخبر وفاة موسى -عليه السلام[٢].

---

(١) يراجع: اليهودية (ص٢١٧- ٢١٩)، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم (ص١٧، ١٨)، موسوعة اليهود واليهودية (ص٩١، ٩٢)، نقد التوراة، لأحمد حجازي السقا، (ص٢٥) وما بعدها، مكتبة الكليات الأزهرية، ط/ ١٩٧٦م.

(٢) يراجع: موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٩١، ٩٢) نقد التوراة (ص٣٧- ٣٩)، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم (ص١٧/ ١٨).

موضوعات أسفار الأنبياء:

القسم الثاني من العهد القديم: هو أسفار الأنبياء، وهو قسمان: **الأول:** الأنبياء الأُوَلُ: وهذا القسم يحتوي على تاريخ اليهود بعد موسى إلى أسر بابل، ويضم أسفار «يشوع -يوشع بن نون-، القضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني».

والثاني: الأنبياء المتأخرون: ويشمل الأسفار الآتية: «إشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل صَفَنيا، حجَّى، زكريا، مِلاخي». وتحتوي هذه الأسفار على وصايا مختلف الأنبياء الذين يحويهم العهد القديم، باستثناء كبار الأنبياء المشار إلى تعاليمهم في كتب أخرى[1].

موضوعات المكتوبات:

القسم الثالث من أسفار العهد القديم هو ما يسمى بالمكتوبات، ويشتمل على أسفار «المزامير، أيوب، الأمثال، راعوث، نشيد الإنشاد، الجامعة، المراثي، استير، دانيال، أخبار الأيام الأول والثاني».

وتحتوي هذه الأسفار على مجموعة أناشيد ومواعظ معظمها ديني، مؤلفة تأليفًا شعريًّا في أساليب بليغة، وتحتل المزامير المقام الأول في هذه الأسفار؛ حيث إنها الصرح الشامخ في الشعر العبري، وتحتوي على المدائح والتأملات والتضرعات.

أما سفر الأمثال: فيحتوي على أقوال سيدنا سليمان، وحكماء آخرين في بلاطه.

---

(١) يراجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص٣٨)، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د. محمد علي البار (ص١٦١)، دار/ القلم، دمشق، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

وسفر الجامعة: يحتوي حديثه على السعادة الدنيوية، والحكمة[١].

وسفر استير: أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بني إسرائيل.

وأخبار الأيام الأول والثاني: يحويان محتويات لا تختلف كثيرًا عما ورد في أسفار موسى الخمسة، ففيها حديث عن ولادة آدم وأولاده، وفيها إحصاء لبني إسرائيل حتى عهد داود وسليمان، وفيها حديث عن ملوك بني إسرائيل بعد الانقسام حتى السبي.

وأما سفرا عزرا ونحميا: فهما أقدم الأسفار التي تتحدث عن اليهود في المنفى، وبالجملة فهما سلسلة متكاملة مستقلة شمل تاريخ العالم من آدم إلى عزرا[٢].

وأما سفر دانيال: فهو يتكلم عن سبي نبوخذنصر[٣] لبني إسرائيل، وما جرى لهم في فترة سبيهم[٤].



(١) يراجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص٣٩، ٤٠).

(٢) يراجع: اليهودية من (ص٢٢٢ إلى ص٢٢٤).

(٣) هو المعروف ببختنصر، الذي كان حاكمًا لبلاد بابل من قبل ملك فارس، وسار بأمره إلى الشام فصالح ملكها، وترك عنده رهائن، ولكن أهل الشام ثاروا على ملكهم واتهموه بممالأة بختنصر وقتلوا الرهائن فلما علم بختنصر بذلك عاد إليهم فأخرب بيت المقدس وديار الشام وأجلى اليهود وفعل بهم الأفاعيل، يراجع: إعجام الأعلام، لمحمود مصطفى، دار الكتبة العلمية، بيروت، ط/ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٤) يراجع: اليهودية: (ص١٧٠).

الفرع الثاني
نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام

يعتقد اليهود والنصارى أن التوراة الموجودة بأيديهم هي الموحى بها إلى موسى، وأنه كتبها بيده.

فقد جاء في التلمود(١) أن موسى -عليه السلام- كتب التوراة -أسفار موسى الخمسة- والجزء الخاص عن بلعام، وسفر أيوب(٢).

ويذكر بعض الباحثين(٣) عن النصارى قولهم: إن أول أمر لكتابة الوحي صدر لموسى النبي عقب انتشار الوثنية في العالم، فكان ذلك قبل المسيح بنحو ١٥٠٠ عام، وقد تلقى الوحي بكتابته وسط وعور سيناء.

يقول موريس بوكاي(٤): «ظلت اليهودية والمسيحية تعتبران أن موسى -

---

(١) بجانب أسفار التوراة (٣٩ سفرًا) روايات شفوية تفسيرية للتوراة، هذه الروايات تناقلها الحاخامات، ورجال الدين من جيل إلى جيل، وهذه الروايابت هي التي تعرف بالتلمود، وبعد موت المسيح بمائة وخمسين سنة جمعت هذه الروايات الشفوية في كتاب سمي بالمِشنا (الشريعة) خوفًا من الضياع، ثم زيدت إضافات وحواشي على المشنا سميت باسم (الجمارا)، فالتلمود اجتهاد بشري يتكون من (المشنا والجمارا) في مقابل الوحي الإلهي، (التوراة).
يراجع: اليهودية (ص٢٤٩، ٢٥٠)، موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٨٣)، الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد عبد الله الشرقاوي (ص١٣)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ ١٤٤٢هـ.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ١٠١).

(٣) هو الدكتور يحيى محمد علي ربيع في كتابه «الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف» (ص٧١)، دار/ الوفاء، المنصورة، مصر، ط/ الأولى، ١٤١٥هـ. ١٩٩٤م.

(٤) مستشرق فرنسي، ولد بفرنسا ونشأ بها، وتعلم الطب، ومارس الجراحة حتى سن التقاعد، تعلم في الخمسين من عمره اللغة العربية؛ للاطلاع على ما في القرآن الكريم من آيات العلم والخلق، توفي سنة ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م. له: «ما أصل الإنسان؟»، =

عليه السلام- نفسه هو كاتب التوراة... أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تمامًا»[١].

لكن ما ذهب إليه اليهود والنصارى لم يسلمه المسلمون، وعدد كثير من علماء اليهود والنصارى.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «فلا نعتقد بمجرد استناد كتاب من الكتب إلى نبي، أو حواري أنه إلهامي، أو واجب التسليم، كذلك لا نعتقد بمجرد ادعائهم، بل نحتاج إلى دليل... وتفحصنا في كتب الإسناد لهم، فما رأينا فيها شيئًا غير الظن والتخمين... فلا سند لهذه التوراة المنسوبة إلى موسى، فلا تكون من تصنيفاته»[٢].

وإذا انتقلنا إلى الباحثين من غير المسلمين وجدنا ألفريد مارتن يتشكك في نسبة التوراة إلى موسى، ويرى أن هذا الأمر ليس موضع تحقيق بالنسبة للمسيحي المؤمن بالكتاب المقدس[٣].

ويقول داكتْر سكندر كيرس الذي هو من الفضلاء المعتمدين في دراسة الكتاب المقدس: «ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزمًا:

الأول: أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى.

=

«أجوبة العلم» وغير ذلك. يراجع: إتمام الأعلام «ذيل لكتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي»، د/ نزار أباظة، محمد رياض المالح (ص٤٤٦)، دار/ صادر، بيروت، ط/ ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م.

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص٢٩، ٣٠).

(٢) إظهار الحق (١/ ٦٢).

(٣) يراجع: الكتاب المقدسة بين الصحة والتحريف (ص٦٨).

والثاني: أنها كتبت في كنعان أو في أورشليم، يعني ما كتبت في عهد موسى، الذي كان فيه بنو إسرائيل في الصحاري.

والثالث: لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود ولا بعد زمان حزقيال، بل أَنْسِبُ تأليفه إلى زمان سليمان -عليه السلام-؛ يعني: قبل ألف سنة من ميلاد المسيح. فالحاصل: أن تأليفها بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى»[١].

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية تحت اسم (توراة) أن العلم العصري، ولا سيما النقد (الألماني) قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة، والتاريخ، وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى[٢].

ويقول ول ديورانت[٣] عن التوراة الحالية: «إنها اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق. م»[٤]؛ أي: بعد موسى عليه السلام بزمن بعيد.

لكن: هذه دعوى لا تقبل إلا بدليل، ولذا لا بد من ذكر أدلة تؤيد ما رفضه المسلمون وغيرهم، وإلا عاد الرفض على ما قالوا.

الأدلة على أن اليهود بدلوا التوراة وغيروها:

١- جاء في سفر التثنية: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مواب

---

(١) ينظر: إظهار الحق (١/ ٦٠).

(٢) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (ص١٠٠).

(٣) فيلسوف أمريكي، ولد في نورث أدمز بولاية ماساشوستس بأمريكا، نال جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٦٨م، توفي يوم السبت ٧/ ١١/ ١٩٨١م. له: دروس التاريخ، قصة الفلسفة، مناهج الفلاسفة وغيرها. يراجع: أعلام أجانب، د. محمد خير رمضان يوسف (ص١٢٥، ١٢٦)، دار/ ابن حزم، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٦هـ.

(٤) قصة الحضارة: ول يورانت (٢/ ٣٦٨)، ترجمة/ محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض مواب مقابل بيت فَغُور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم»[١].

يقول ابن حزم (ت ٤٥٦هـ): «هذا آخر توراتهم، وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام، ودليل قاطع، وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة، وأنها تاريخ مؤلف، كتبه لهم من تخرص بجهله، أو تعمد بفكره، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى في حياته، وقوله: «لم يعرف إنسان قبره إلى اليوم» بيان لما ذكرناه كافٍ، وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويل الأبد»[٢].

ويذكر الأب ديفو (Devoux) مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس، وكان قد كتب مقدمة عامة لأسفار موسى الخمسة، قدم بها لسفر التكوين سنة ١٩٩٢م. ذكر فيها أنه في القرن السادس عشر، أشار كارلتشاد (Carlstadt) إلى استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات[٣].

٢- جاء في سفر التكوين: «وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك... فأخذ أبرام ساري امرأته، ولوطًا ابن أخيه، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا، والنفوس التي امتلكا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان... وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض»[٤].

وجاء في نفس السفر: «وكان الكنعانيون والفرِّزيون حينئذٍ ساكنين في

(١) سفر التثنية، الإصحاح (٣٤)، الفقرة (٦).
(٢) الفصل في الملل والنحل (١/ ١٨٦).
(٣) يراجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص٣٠، ٣١).
(٤) سفر التكوين، الإصحاح (١٢)، الفقرات (١، ٥، ٦).

الأرض»[١].

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «فالجملتان المذكورتان تدلان على أن الآيتين المذكورتين ليستا من كلام موسى -عليه السلام-، ومفسروهم يعترفون بأن هذه الجملة «والكنعانيون حينئذٍ في الأرض» وكذا الجمل الأخرى في مواضع شتى ملحقة لأجل الربط... في وقت جمع الكتب المقدسة»[٢].

والسبب في أنها ليست من كلام موسى -عليه السلام-: أن هذه النصوص تدل على أن الكاتب كتبها بعد استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان، وبنو إسرائيل لم يستولوا عليها في زمن موسى، وإنما في زمن طالوت وداود -عليه السلام-؛ أي: بعد موسى[٣].

وهذه الآيات استلفتت نظر ابن عزرا النصراني (Jbnezra) أحد كبار علماء النصارى في حوالي سنة ١١٦٧م. مما جعله ينادي بأن واضع هذه النصوص ليس موسى، بل هو شخص آخر، فتراه يقول: «كان الكاتب يتحدث بعد ترك الكنعانيين للأرض، الأمر الذي لم يكن تحقق في أيام موسى؛ لأن موسى لم يدخل في أرض كنعان أبدًا»[٤].

٣- جاء في سفر الخروج: «وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة، حتى جاءوا إلى أرض عامرة، أكلوا المن، حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان»[٥].

فهذا يدل على أن المن قد منع عنهم بعد أن نعموا به أربعين سنة، والمن لم

(١) سفر التكوين، الإصحاح (١٣)، الفقرة (٨).
(٢) ينظر: إظهار الحق (١/ ٢٥٢).
(٣) يراجع: نقد التوراة (ص٦١)، اليهود واليهودية (ص٧٦).
(٤) اليهود واليهودية (ص٧٤).
(٥) سفر الخروج، الإصحاح (١٦)، الفقرة (٣٥).

يمنع عن بني إسرائيل طوال سني موسى عليه السلام، ولم يمنع إلا في عهد يشوع[١].

ويدل على ذلك ما جاء في سفر يشوع: «فحلّ بنو إسرائيل في الجلجال، وعملوا الفصح في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء في عربات أريحا، وأكلوا من غلة الأرض في الغد بعد الفصح فطيرًا وفريكًا في نفس ذلك اليوم، وانقطع المن في الأرض عند أكلهم من غلة الأرض»[٢].

لذلك قال آدم كلارك في هذا الموضع: «ظن بعض الناس أن سفر الخروج كتب بعدما أمسك الله المن من بني إسرائيل»، ويدفع هذا الظن بقوله: «لكنه يمكن أن يكون عزرا ألحق هذه الألفاظ».

ويعلق الشيخ رحمة الله الهندي على كلامه قائلاً: «ظن الناس صحيح، واحتمال المفسر المجرد عن الدليل في مثل هذه المواضع لا يقبل، والصحيح أن الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى ليست من تصنيفه»[٣].

٤- جاء في سفر اللاويين: «ودعا الرب موسى، وكلمه من خيمة الاجتماع»[٤]، وأيضًا جاء فيه: «وكلم الرب موسى قائلاً»[٥]، وأيضًا جاء فيه: «هذه هي الوصايا التي أوصى الرب بها موسى إلى بني إسرائيل في جبل سيناء»[٦].

---

(١) يراجع: إظهار الحق (١٠/ ٢٥٠).

(٢) يشوع، الإصحاح (٥)، الفقرات (١٠- ١٢) (ص٢٤٢).

(٣) إظهار الحق (١/ ٢٥٠).

(٤) اللاويين: الإصحاح: (١)، الفقرة: (١).

(٥) اللاويين: الإصحاح: (٦)، الفقرة: (١).

(٦) اللاويين: الإصحاح: (٢٧)، الفقرة: (٣٤).

يقول الشيخ رحمة الله الهندي معلقًا على هذه المواضع: «إن كاتب التوراة ليس هو موسى... ولو كانت التوراة من تصنيفاته لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ولا أقل من أن يعبر في موضع واحد؛ لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار»(١).

وهذا القدر كافٍ لإثبات أن كاتب التوراة ليس موسى -عليه السلام-، لكن هذا الإثبات يفرض علينا سؤالين:

أحدهما: إذا لم يكن موسى عليه السلام هو الكاتب، فمن؟

والثاني: لم نسبت التوراة إلى موسى -عليه السلام- ما دام لم يكتبها؟

كاتب التوراة الحالية:

اختلفت كلمة علماء الأديان من المسلمين، وناقدي التوراة من غير المسلمين في تحديد: من كتب التوراة؟

فيذهب البعض إلى أن كاتب التوراة أشخاص عبرانيون، لم يذكروا أسماءهم، ولم تعرف أسماؤهم(٢).

وهذا الرأي -في نظري- غير مقبول؛ لأنه لو كتبها أشخاص غير معروفين، فمن بلغها بني إسرائيل ونشرها فيهم؟ ولا سيما أن التوراة كانت أحرقت، أحرقها بختنصر في أثناء غزوه لهم، وأيضًا يضعف هذا الرأي ما سنذكره من شبه إجماع على أن الكاتب هو عزرا.

ويذهب آخرون إلى أن كاتب التوراة هو يرميا، وهذا الرأي علق عليه

---

(١) إظهار الحق (١/ ٦٤).

(٢) يراجع: الكتب المقدسة بين الصحة التحريف (ص١٠٠)، اليهود واليهودية (ص٦٩).

صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق بقوله: «ولا دليل عليه»[1]، ويذهب البعض إلى أن كاتب التوراة هو حلقيا[2].

لكن ما أجمع عليه علماء مقارنة الأديان من المسلمين، وناقدو التوراة من غير المسلمين، وأيدته الأدلة أن كاتب التوراة هو عزرا الوراق[3]، كتبها في فترة

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، للعلامة/ عبد الرحمن الباجه جي زاده (ص١٠)، مطالع البيان التجارية، ط/ ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.

(٢) قصة الحضارة (٢/ ٣٥٦) وما بعدها.

(٣) يذهب البعض إلى أن عزرا هو عزير الوارد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وممن ذهب إلى هذا: الإمام الجويني في «شفاء الغليل»، والباجي زاده في كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق»، ورحمة الله الهندي وغيرهم.
والصحيح: أنه ليس هو المذكور في القرآن الكريم، بل هو أحد كهان بني إسرائيل، حرف التوراة، وكتبها من تأليفه ومحفوظاته، أما عزير الوارد في القرآن الكريم، وأنه هو الذي مرَّ على القرية الخاوية على عروشها، فليس هو عزرا الوراق؛ لأن عزرا الوراق تحريفه للتوراة يدل على عدم مكانته، وأنه لم يكن من الصالحين، أما عزير الوارد في آية «البقرة» -كما هو رأي معظم المفسرين- ذكره في الآية يدل على كرامته على الله تعالى، إذ ما في الآية -إحياؤه بعد مائة عام من الموت- يدل على الولاية إن لم يكن نبيًّا.
يقول السموأل بن يحيى المغربي :«وعزرا ليس هو العزير كما يظن؛ لأن العزير هو تعريب لعازار، أما عزرا فإنه إذا عرب، لم يتغير حاله؛ لأنه اسم خفيف الحركات والحروف، ولأن عزرا عندهم ليس بنبي، وإنما يسمونه عزرا هوفير وتفسيره: الناسخ». بذل المجهود في إفحام اليهود، للسموأل (ص١٥٢).
ويذهب ابن القيم إلى أن الأمر لا يعدو كونه مشاركة في الاسم فيقول: «ويظن بعض الناس أنه: ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ...﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ويقول: إنه نبي، ولا دليل على هاتين المقدمتين، ويجب التثبت في ذلك نفيًا وإثباتًا، فإن كان هذا نبيًّا واسمه عزير؛ فقد وافق صاحب التوراة في الاسم» [هداية الحيارى (ص١٤٣)]. وعزرا هذا كان موظفًا في بلاط الإمبراطور ارتحتشاد -ملك الفرس- ومستشارًا له في شئون الطائفة اليهودية، تمكن لثقة الإمبراطور به من أن ينال عفو =

السبي البابلي أو بعده بقليل، وأعانه على ذلك الكهنة.

يقول الإمام ابن حزم الظاهري: «ونحن نصف -إن شاء الله- حال التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم... إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق بإجماع من كتبتهم واتفاق من علمائهم»[1].

ويقول محددًا وقت كتابتها: «وقد كانت كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس، وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ويصلحها لهم إلا بعد نحو أربعين عامًا من رجوعهم إلى البيت، بعد السبعين عامًا التي كانوا فيها خالين ولم يكن فيهم نبي»[2].

ويقول السموأل -بعد أن ذكر أن بختنصر قتل الهارونيين الذين كانوا يعرفون التوراة-: «فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيدهم الآن»[3].

وما ذهب إليه علماء المسلمين أكده علماء اليهود والنصارى، فنجد سبنيوزا اليهودي[4] يؤكد أن سفر التثنية ليس من كتابة موسى، بل هو من كتابة عزرا،

=

الإمبراطور عن اليهود، وسماحه لهم بالعودة إلى القدس، وإقامة حكم ذاتي لهم في فلسطين، وكانت عودته باليهود حوالي سنة ٤٥٨ قبل الميلاد، قاموس الكتاب المقدس: (ص٦٢١).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٨٧).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٩٧).

(٣) بذل المجهود في إفحام اليهود (ص١٣٩).

(٤) فيلسوف عقلي ذو منزع صوفي، ولد بأمستردام بهولندا في سنة ١٦٣٢م، من أسرة يهودية وأصل برتغالي، وتعلم العبرية، ودرس اللاتينية والهندية، اشتغل بالفلسفة وخصوصًا

=

ويسوق الأدلة على ذلك[١].

ويحدد (ويلز)[٢] فترة وضع التوراة الحالية، وأنها وضعت بعد ضياع فيقول: «إن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل، وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد... والحقيقة المحددة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس هي: أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجًا، وعادوا منا ممدنين... ذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة، وليس هناك ما يدل على تعودهم على قراءة كتاب، وعادوا إلى وطنهم ومعهم شطر أكبر من مادة العهد القديم...»[٣].

وأما فرويد اليهودي: فيرى أن التحريف والتشويه قد أصاب التوراة، وبصفة خاصة أسفار موسى الخمسة، ويستقر على أن واضع التوراة هو عزرا ونحميا في القرن الخامس قبل الميلاد، لكن هناك نسخة وضعت قبل توراة عزرا، وضعها في زمن داود -عليه السلام- الكاهن إبجاتار (Ebjatar)[٤].

وكون عزرا هو كاتب التوراة، أيده علماء اللغات، إذ يقولون: «إن الخط العبري المستعمل عند اليهود في عصرنا الحاضر، كان ابتداء استعماله من عصر عزرا الكاتب -ويطلقون على هذا الخط اسم الأشوري أو المربع-، أما الخط

=

فلسفة ديكارت، توفي في فبراير ١٦٧٧م، له: مبادئ فلسفة ديكارت، رسالة إصلاح العقل، وغير ذلك.

يراجع: موسوعة تراث الإنسانية، بقلم/ مجموعة من الأدباء والكتاب والعلماء (٢/ ٩٣٣) وما بعدها، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

(١) يراجع: رسالة في اللاهوت والسياسة، لسبنيوزا (ص٢٧٨)، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي، دار وهدان للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ.

(٢) مستشرق إنكليزي، من آثاره: في مصر المعاصرة، وغير ذلك. المستشرقون (٢/ ٧٤).

(٣) اليهودية (ص٢٣٨، ٢٣٩) نقلاً عن كتاب Out line of History (Wells).

(٤) يراجع: اليهود واليهودية (ص٧٦).

العبري القديم فإنه كان بخلاف هذا»[١].

ولكن:

إذا كان عزرا هو كاتب التوراة، فلم نسبت لموسى -عليه السلام؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: ذكر في سبب نسبة التوراة إلى موسى -عليه السلام- ما يلي:

١- نسبت التوراة إلى موسى؛ لأنها اهتمت به كثيرًا، وتحدثت عنه طويلاً، ولكن هذا السبب غير مقبول؛ لأن هذا لا يعني أنه هو الذي كتبها، فكونها اهتمت به وتحدثت عنه ليس غريبًا، بل قد يكون هذا سببًا في عدم كتابته لها؛ لأن حياة العظماء وسيرتهم يهتم بها غيرهم، لا هم، ولهذا كانت تفاصيل حياة سيدنا محمد ﷺ الواردة في كتب السير من كتابات أتباعه، ولا يمكن لواحد من المسلمين أن يدعي أن كتب السير وحي سماوي[٢].

٢- نسبت التوراة إلى موسى اعتمادًا على نصوص في التوراة أشارت إلى أن موسى كان كاتبًا، وأنه كتب التوراة، مثل ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني: «كما هو مكتوب في شريعة موسى»[٣].

وما جاء في سفر الخروج: «فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكارًا في الكتاب»[٤].

---

(١) نقد التوراة (ص٧٦).

(٢) يراجع: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (ص٨٢)، اليهودية (ص٢٣٦).

(٣) الإصحاح (٢٣)، الفقرة (١٨).

(٤) الإصحاح (١٧)، الفقرة (١٤).

وما جاء في سفر التثنية: «... كمل موسى كتابة هذه التوراة في كتاب»[١].

وأرى أن هذا هو السبب الوجيه في نسبة التوراة إلى موسى، ولكن هذا السبب -إن سلمنا به- عاد بالبطلان على ما قررناه من أن موسى -عليه السلام- ليس هو كاتب التوراة.

وفي دفع هذه النصوص طريقان:

الطريق الأول: لا نسلم أن هذه النصوص من أصل التوراة، بل هي مقحمة في أصل التوراة؛ لأنه لما زاد كاتبو التوراة عليها نصوصًا، احترسوا من التصريح بها؛ خوفًا على أنفسهم من العوام، ولذلك نسبوها إلى موسى -عليه السلام-، فكانوا يقولون: كما هو مكتوب في شريعة موسى؛ لأن موسى هو أول مشرع عن الله لبني إسرائيل، وكل بني إسرائيل يعظمونه، ولا سبيل إلى إنكار هذه الدعوى؛ لأنه قد اعترف مفسرو الكتاب المقدس بأن هناك نصوصًا أقحمها كاتبو التوراة -كما سبق- فإذا اعترف في موطن انسحب الاعتراف إلى غيره، ولا فرق[٢].

الطريق الثاني: سلمنا بأن هذه النصوص من التوراة، ولكن لا نسلم أن هذه التوراة هي التي كتبها موسى؛ لأن التوراة التي كتبها موسى كانت صغيرة جدًّا، بحيث يمكن كتابتها على حجارة المذبح الذي بناه يشوع.

كما ورد في سفر يشوع: «حينئذٍ بني يشوع مذبحًا للرب إله إسرائيل... مذبح حجارة صحيحة لم يرفع أحد عليها حديدًا... وكتب هناك على هذه

(١) الإصحاح (٣١)، الفقرة (٢٤).

(٢) يراجع: نقد التوراة (ص٨٣).

الحجارة نسخة توراة موسى»[١].

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «فعلم أن حجم التوراة لو كتبت على حجارة المذبح لكان المذبح يسع ذلك، فلو كانت التوراة عبارة عن هذه الكتب الخمسة لما أمكن ذلك»[٢].

وأيضًا: أن موسى -عليه السلام- كتب التوراة وكتب منها ثلاث عشرة نسخة، أعطى لكل سبط من بني إسرائيل نسخة، ووضع نسخة بجانب التابوت، ثم إن هذه النسخ جميعها ضاعت وأحرقت فترة السبي البابلي لبني إسرائيل؛ حيث دمرت بيوتهم، وأحرق هيكلهم، وقتل عدد كبير منهم، هذا فضلاً عن أن تعرضهم للسبي كان أكثر من مرة، فكل هذا إذا وضع بجانب أنهم لم يكونوا يحفظون التوراة، دل على أن التوراة التي كتبها موسى تلفت وضاعت[٣]. والله أعلم.



(١) الإصحاح الثامن، الفقرات (٣٠- ٣٣).
(٢) إظهار الحق (١/ ٦٦).
(٣) يراجع: نقد التوراة (ص٨٦- ٨٩).

المسلك الثاني
موقف الإمام القرافي من التوراة المحرفة

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: إثبات ضياع التوراة.

الفرع الثاني: إثبات أن التوراة محرفة.

الفرع الثالث: بيان ما في التوراة مما ينافي جلال الربوبية.

الفرع الرابع: بيان ما في التوراة مما ينافي عصمة الأنبياء -عليهم السلام.

الفرع الخامس: بيان ما في التوراة من وصف الملائكة بما لا يليق.



الفرع الأول
إثبات ضياع التوراة

يقول الإمام القرافي: «إن أحبار اليهود يعلمون علمًا يقينيًّا أن هذه التوراة ليست هي المنزلة على بني إسرائيل بعينها».

ثم يذكر الأدلة على ذلك:

الدليل الأول: يتخذ الإمام القرافي -من قصر موسى عليه السلام- التوراة على بني هارون وحدهم، ثم قتل بختنصر للهارونيين بكثرة دليلاً على أن التوراة المنزلة قد ضاعت.

وذلك قوله: «والسبب: أن موسى -عليه السلام- صان التوراة عن بني إسرائيل، ومنعها منهم، وخص بها الهارونيين أولاد ليوي، وذلك قول التوراة: «ويحنتوب موشى آت هنورا هزوت ونبيناه ال كهوا هكوا هنيم بني ليوي»[1]، وتفسيره: وكتب موسى هذه التوراة وأعطاها لأمة بني إسرائيل، وكان بنو هارون الأئمة وقضاة اليهود وحكامهم[2].

ولم يبذل موسى لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها: (ها ازينو) وذلك

---

(١) في الترجمة الحالية للتوراة: «فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدًا عليكم»، سفر التثنية ، الإصحاح (٣١)، الفقرة (٢٤- ٢٧)، وفي سفر الخروج: كيفية تقديم موسى -عليه السلام- لبني هارون على غيرهم من بني إسرائيل، الإصحاح (٤٠)، الفقرة (١٢- ١٥)، والإصحاح الثامن عشر من سفر العدد، يتحدث عن اختصاص بني هارون بتقديم الكهنوت، وحراسة جمع أقداسِ بني إسرائيل على طول الدهر.

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٧٨).

قول التوراة: «ويحتوب موشى آت مشيرا هزوت ويلميداه لبني إسرائيل»[١]، وتفسيره: وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل.

وهذا دليل على أن موسى لم يعطِ بني إسرائيل إلا هذه السورة؛ ولم يكن بنو إسرائيل يعلمون من بقية التوراة شيئًا، ثم إن الهارونيين الذين خصوا بالتوراة -أولاد ليوي- لم يكونوا يعتقدون أن حفظها واجب ولا سنة، بل كان الحفظ منهم لبعضها يقع بطريق الاتفاق، وعلى سبيل الفضيلة، كما يحفظ المسلمون التواريخ وغيرها، ليكون لهم فضيلة بين الناس، لا أنهم مأمورون بها شرعًا.

ثم يطالبهم القرافي بدليل من التوراة إن خالفوا في ذلك فيقول: «فإن كابروا في ذلك نطالبهم بنقل خلافه من التوراة فلا يجدونه».

ثم يقول: «ثم قتل بختنصر الهارونيين على دم يحيى بن زكريا، وكان أصل هذا أن يحيى بن زكريا -صلوات الله عليهما- أنكر على ملك بني إسرائيل في زمانه زواجه لابنة امرأته فضرب عنقه[٢]، ودفن، فبقي كلما ردم فار الدم، حتى

---

(١) في سفر التثنية قال موسى لبني إسرائيل: «اجمعوا لي كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض... فأتى موسى ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب». الإصحاح (٣١)، الفقرة (٣٨)، والإصحاح (٣٢)، الفقرة: (١- ٤٤).

(٢) في إنجيل متى أن الملك القاتل ليحيى (يوحنا المعمدان)، هو: هيرودس، والسبب أن يوحنا كان ينكر عليه زواجه من زوجة أخيه هيروديا، وفي مولد هيردوس رقصت ابنة هيروديا بين يدي هيرودس، فسُرَّ بذلك، وأعجبته حتى أقسم أنها مهما طلبت أعطاها، فطلبت بإيعاز من أمها رأس يوحنا على طبق، فوفى لها بما طلبت. متى، الإصحاح (١٤)، الفقرات (١- ١٢)، العهد الجديد، دار الكتاب المقدس، بدون تاريخ.

ولا يتعارض هذا مع ما ذكره القرافي؛ لاحتمال أنه كان يريد الزواج من زوجة أخيه، وتزوجها، ثم أعجبته ربيبته، فأراد أن يتزوجها أ وأنكر عليه يحيى -عليه السلام- في المرتين.

قدم بختنصر، فقال: ما هذا الدم؟ فقيل له: إنه يفور كلما ردم، فقال: إنه يقول: خذوا بثأري، فقتل من بني إسرائيل عليه سبعين ألفًا، فسكن الدم[١].

الدليل الثاني:

يتخذ الإمام القرافي من كثرة تعرض بني إسرائيل للغزو دليلاً على أن كتابًا لم يحفظه أحد، ولم يتعهد الله بحفظه، قد ضاع، وذلك قوله: «وما زالت الأمم التي استوالت عليهم كالشدابين[٢]، والبابلين[٣]، والفرس، واليونان[٤]، والنصارى،

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٧٩)، وينظر أيضًا: بذل المجهود في إفحام اليهود (ص١٤٤)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (ص٦٦٩).
وذكر الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) أن بختنصر قتل سبعين ألفًا من بني إسرائيل من سن واحدة على دم يحيى بن زكريا، ثم إنه أمر جنوده أن يجمعوا له كل بني إسرائيل، فاختار منهم مائة وعشرين ألف صبي، فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه في غزو بني إسرائيل، ثم جعل الباقي من بني إسرائيل ثلاثة أقسام: فقسمًا أقرَّ بالشام، وقسمًا سبي، وقسمًا قتل. يراجع: تاريخ الطبري (١/ ٥٤٧) وما بعدها، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط/ الرابعة، بدون تاريخ.

(٢) الشدابون لم أصل إلى معرفتهم في كتب البلدان، ولعلهم الكلدانيون، والذي جعلني أقول هذا: أن ابن القيم في إغاثة اللهفان (ص٦٩٩)، ذكر نفس عبارة القرافي، وذكر بدل الشدابين، الكلدانيين، والكلدانيون، هم الذين سكنوا بابل في الزمن الأول. [معجم البلدان (١/ ٣٠٩)].

(٣) البابليون: سكان أهل بابل، وبابل مدينة بالعراق، تضم مدنًا عدة، منها: الكوفة، كان عرضها اثنى عشر فرسًا، وطولها مثل ذلك، لم تزل عامرة حتى خربها الأسكندر. يراجع: معجم ما استعجم (١/ ٢١٨)، معجم البلدان (١/ ٣٠٩، ٣١٠).

(٤) بلد كبير بأرض الروم، يبعد عن مدينة برذعة وبيلقان القريبتين من أذربيجان بسبعة فراسخ، منشأ الحكماء، من عجائبها أن من حفظ شيئًا في تلك الأرض لا ينساه، ولهذا لم يوجد في أرض من الحكماء أمثال من وجدوا بها إلا نادرًا. يراجع: معجم البلدان (٥/ ٤٥٣)، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص٥٦٩)، دار/ صادر، بيروت، بدون تاريخ.

يقصدونهم أشد القصد، ويطلبون خراب بلادهم، وحرق كتبهم، حتى جاء الإسلام»[١].

وهذا المعنى سبق القرافي إليه السموأل، فتراه يبين أثر استيلاء الأمم على بني إسرائيل بقوله: «إن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها، وأخذ بلادها انطمست حقائق سالف أخبارها، واندرس قديم آثارها، وتعذر الوقوف عليها؛ لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة بتتابع الغارات، والمصادمات، وخراب البلاد، وإحراق بعضها، فلا تزال هذه الفنون متتابعة إلى أن تستحيل علومها جهلاً، وكلما كانت الأمم أقدم، واختلفت عليها الدول المناوئة لها بالإذلال، والإيذاء، كان حظها من اندراس آثارها أكثر، وهذه الطائفة بلا شك أعظم الطوائف حظًّا مما ذكرناه؛ لأنها من أقدم الأمم عهدًا، ولكثرة الأمم التي استولت عليها»[٢].

الدليل الثالث:

يتخذ القرافي من طغيان ملوكهم وعبادتهم الأوثان وهجرهم هم ورعاياهم أحكام التوراة، دليلاً آخر على أن التوراة التي أنزلت على موسى قد ضاعت، وذلك قوله: «وأشد من ذلك ملوكهم الطغاة العصاة الذين عبدوا الأصنام وتركوا أحكام التوراة، وشرعها الدهر الطويل»[٣].

ويقول ابن حزم في هجر بني إسرائيل لأحكام التوراة، وإعلانهم عبادة الأصنام، وأثر ذلك على شرعهم: «فاعلموا أنه كان لليهود... سبع ردات فارقوا

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٧٩).

(٢) بذل المجهود في إفحام اليهود (ص١٤٣، ١٤٤)، وينظر أيضًا: إغاثة اللهفان (ص٦٦٩).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص٧٩).

فيها الإيمان، وأعلنوا بعبادة الأصنام، فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام، والثانية ثمانية عشر عامًا، والثالثة عشرين عامًا، والرابعة سبعة أعوام، والخامسة ثلاثة أعوام، وربما أكثر، والسادسة ثمانية عشر عامًا، والسابعة أربعين عامًا، فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر، ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقداره ثلاثة أيام في مثلها فقط، وليس على دينهم، واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم؟»[١].

ويقول ابن القيم معلقًا -بعد أن ذكر حالهم وحال ملوكهم-: «فإذا كان هذا تواتر الآفات على دينهم من قبل ملوكهم، ومن قبل أنفسهم، فما الظن بالآفات التي نالتهم من غير ملوكهم، وقتل أئمتهم، وإحراق كتبهم، ومنعهم من القيام بدينهم؟»[٢].

الدليل الرابع:

يتخذ الإمام القرافي من قتل بختنصر للهارونيين وتعرض بني إسرائيل للغزو، وأمر ملوكهم لهم بعبادة الأوثان، وإهمال أحكام التوراة؛ دليلاً على انقطاع السند، وإذا انقطع السند فكيف يوثق بأن التوراة من عند الله تعالى؟ وذلك قوله: «ثم إنهم مع هذا الأصل الواهي الذي لا يوثق فيه بشيء ليس على وجه الأرض منهم بشر يروي التوراة عدلاً عن عدل، وإذا تعذر عليهم رواية العدل، عن العدل فأولى أن يتعذر التواتر»[٣].

ثم يعقب بعد أن ذكر هذه الأدلة فيقول: «فظهر بهذا التقرير أن التوراة التي

---

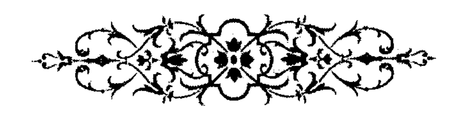
(١) الفصل بين الملل والأهواء والنحل (١/ ١٨٩، ١٩٠).

(٢) إغاثة اللهفان (ص٦٧٠).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص٥٣، ص٨٠).

بأيديهم لا يقطع ولا يظن أن شيئًا منها من عند الله تعالى، بل هي تلفيقات مجهولات، وتواريخ موضوعات، وضعها لهم عزرا؛ لأنه لما رأى القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وعدم كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي كان يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة، وذلك بعد سبعين سنة بعد بختنصر... فبعد هذه السنين الطويلة لقنهم عزرا هذه التوراة من فصول جمعها، لا يدري هل أصاب أو أخطأ؟ ... ومثل هذا لا يجوز الاعتماد عليه حتى نقطع بكونه من عند الله تعالى(١).

والله أعلم



(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٧٩، ٨٠، ص١٤٩).

الفرع الثاني
إثبات أن التوراة محرفة

قبل ذكر ما أثبت به القرافي تحريف التوراة، أذكر تعريف التحريف، وأنواعه، وموقف علماء المسلمين من تحريف التوراة، ورأي الإمام القرافي في ذلك.

تعريف التحريف:

التحريف: هو التغيير، والتبديل، والإمالة، جاء في «لسان العرب»: حَرف عن الشيء يحْرِف حرفًا، وانحرف، وتَحَرَّف عدل ومال... وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره[١].

وذكر الإمام الرازي: «أن التحريف: إمالة الشيء عن حقه، يقال: قلم محرف، إذا كان رأسه مائلاً غير مستقيم»[٢].

وجاء في «التوقيف على مهمات التعاريف»: «أن تحريف الكلام جعله على حرف من الاحتمال، بحيث يمكن حمله على الوجهين»[٣].

أنواع التحريف:

ذكر الإمام الرازي أن التحريف نوعان:

- تحريف في اللفظ.

- تحريف في المعنى.

(١) لسان العرب (٩/ ٤١)، وينظر أيضًا: القاموس المحيط (١٠٣٣)، مادة: حرف.
(٢) التفسير الكبير (٣/ ١٢٣).
(٣) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص١٦٣)، ت/ د. محمد رضوان الداية، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ.

ثم قال: وحمل التحريف على تغيير اللفظ أولى من حمله على تغيير المعنى؛ لأن كلام الله تعالى إذا كان باقيًا على جهته، وغيروا تأويله، فإنما يكونون مغيرين لمعناه، لا لنفس الكلام المسموع، فإن أمكن أن يحمل على ذلك... فهو أولى، وإلا يمكن ذلك فيجب أن يحمل على تغيير تأويله[(١)].

موقف علماء المسلمين من تحريف التوراة:

يقول ابن القيم: «اختلفت أقوال الناس في التوراة التي بأيديهم هل مبدلة؟ أو التبديل والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل على ثلاثة أقوال طرفين وواسطة: فأفرطت طائفة، وزعمت أنها كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة... وغلا بعضهم، فجوز الاستجمار بها من البول، وقابلهم طائفة أخرى من أهل الحديث، والفقه والكلام، فقالوا: بل التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل، وتوسطت طائفة ثالثة وقالوا: قد زيد فيها، وغُيِّر ألفاظ يسيرة، لكن أكثرها باق على ما أنزل الله... وممن اختار هذا القول شيخنا ابن تيمية»[(٢)].

رأي الإمام القرافي:

يرى الإمام القرافي أن التوراة ليست جميعها محرفة ولا مبدلة، بل دخلها التحريف والتبديل، ومن ذلك قوله بعد أن ذكر ما في التوراة من أن الله تعالى ندم على خلق آدم، وندم على الطوفان: «وذلك أبلغ دليل على اشتمال توراتهم على الكذب»[(٣)].

---

(١) التفسير الكبير (٣/ ١٢٣)، وينظر: إظهار الحق (١/ ٢٢٣)، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، للألوسي بن الألوسي المفسر (٢/ ٥٩٥)، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار/ البيان العربي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ. ١٩٨٧م.

(٢) إغاثة اللهفان (ص٦٦١-٦٦٣).

(٣) الأجوبة الفاخرة (٨٢).

ويقول أيضًا في نقده ما جاء في التوراة من أن الله تعالى نزل من السماء ليمنع نمرودًا من بناء صرح -كما سيأتي- «وهذا كفر... يقضي على توراتهم بالبعد عن الهداية واشتمالها على الضلالة»[١].

ويقول بعد أن ذكر ما في التوراة مما ينافي عصمة الأنبياء: «وإذا أمعنت النظر جزمت بأن هذه الفواحش مفتعلات، وأن التوراة امتلأت تبديلات وتغييرات»[٢].

ويرى الإمام القرافي أن التوراة إذا دخلها التبديل والتحريف يجب اجتناب الجميع؛ لعدم تميز ما هو محرف من غيره، وذلك قوله: «ويجب اجتناب الجميع... وهو محرم العمل به، كما إذا اختلطت الميتة بالمذكاة، فإنه يحرم الجميع»[٣].

أدلة الإمام القرافي على أن التوراة محرفة

الدليل الأول:

يتخذ الإمام القرافي من اعتراف اليهود بأن مترجمي التوراة غيروا فيها دليلاً على التحريف فيقول:

«اليهود تعترف بأن سبعين كاهنًا اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة بعد المسيح -عليه السلام- في زمن القياصرة»[٤]، ثم يعقب قائلاً: «ومن

(١) الأجوبة الفاخرة (٨٨).
(٢) الأجوبة الفاخرة (١٤٩)
(٣) الأجوبة الفاخرة (٨٥)
(٤) ذكر ابن خلدون في تاريخه: أن بطليموس بن الأسكندر المقدوني، أمر من اليهود اثنين وسبعين بأن يترجموا له التوراة، وكتب الأنبياء من العبرانية إلى اليونانية (٢/ ١٩١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ الرابعة، بدون تاريخ، وفي موسوعة اليهود
=

اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله تعالى وتحريفه لا يوثق به فيما يدعي أنه كلام الله؛ إذ لعله مما حرفه».

ثم يعقب على هذا الاعتراف: «فإذا كان هذا ثناءهم الجميل، فعلى من يحصل التعويل؟ بل يجزم الطفل بوقوع التغيير والتبديل»[١].

الدليل الثاني:

يتخذ الإمام القرافي من رمي اليهود بعضهم بعضًا بالتحريف، وعود النصارى على اليهود بنفس الأمر دليلاً على أن التوراة حرفت، وهذا قوله:

«طائفة من اليهود يقال لهم السامرية، اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفًا شديدًا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف. وكذلك النصارى أيضًا يدعون على اليهود أنهم حرفوا في التوراة التواريخ، ونقصوا من تاريخ آدم عليه السلام ألفًا ونحو المائتين سنة، حتى تنازعوا في زمن ظهور المسيح -عليه السلام». ثم يعقب قائلاً: «وهذه أمور لا يدعى معها الجزم بعدم التحريف إلا معاند متعسف»[٢].

=

واليهودية أن هذه الترجمة كانت في الفترة ما بين (٢٢٨- ٢٤٧ ق. م) وهي أقدم ترجمة للعهد القديم على الإطلاق أثناء تلك الترجمة (٥/ ٩٠)، وينظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية، للبيروني (ص٣٠) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٧٦). ويراجع: بين الإسلام والمسيحية (ص٢٩٠)، الإعلام (ص١٩٠)، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى (ص١٣٩).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٨٦). ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١١٧)، بين الإسلام والمسيحية (ص٢٩٠، ٢٩١)، الانتصارات الإسلامية (ص٩٢)، هداية الحيارى (ص١٣٩).

وقد ذكر هذا الأمر وتوسع فيه كل من الإمامين: رحمة الله الهندي، في إظهار الحق
=

وقد ذكر الإمام القرطبي المحدث هذا الدليل بمعنى قريب مما ذكره القرافي، وزاد فيه مخاطبًا النصارى: «إن أنكرتم أن يكون شيء من التوراة قد حرف، فلأي شيء قلتم: إن اليهود حرفوا التوراة في نسب آدم ونقصوا منه؟ وإذا جاز ذلك في نسب آدم، جاز في غيره، وهذا بين»[(١)].

اعتراض وجوابه:

بعد أن ذكر الإمام القرافي الدليل السابق عقَّبه باعتراض مضمونه:

كيف يدعي المسلمون تحريف التوراة، وقد كان الأنبياء يحكمون بها إلى زمن عيسى -عليه السلام- مما يدل على صحتها؟

وأجاب عن هذا الاعتراض بالآتي:

١- لعل الأنبياء -عليهم السلام- كان يوحى إليهم بالصحيح منها.

٢- كل شيء حكموا به فهو صحيح، لكن الذي حكموا به غير معين، فيسقط الاستدلال بالجميع، ولا يفيدكم حكمه شيئًا.

٣- التغيير لم يتعين له زمان، فلعله كله وقع بعد النبيين -عليهم السلام-[(٢)].

=

(١/ ٢٢٥)، والألوسي البغدادي، في الجواب الفسيح (١/ ٤٣).

(١) الإعلام (ص١٩٣).

(٢) ما ذكره القرافي في الجواب الثالث يتعارض مع ما ذكره قبل ذلك من أن الذي قام بالتحريف عزرا بعد السبي البابلي بسبعين سنة، ولعله اعتمد فيه على أبي عبيدة الخزرجي أو ذكره من حفظه له، لكن أبا عبيدة لم يقع في التضارب الذي وقع فيه القرافي؛ لأنه لم يحدد فترة التحريف كما ذكر القرافي. يراجع: بين الإسلام والمسيحية (ص٢٩١).

وقد ذكر الإمام القرطبي هذا الاعتراض، وأجاب عنه بما هو قريب من جواب القرافي، وزاد فيه: «لو سلمنا أن الأنبياء كانوا يحكمون بها فنقول: كل شيء حكم به الأنبياء من التوراة فليس بمحرف، وأما ما لم يحكموا به منها فعله الذي حرف.

فإن قيل: فيلزم منه أن يقر الأنبياء على الخطأ، ويتحدثون بالكذب، فإنهم كانوا يتحدثون بها.

قلنا: ليس بكاذب من حكى شيئًا يعتقد صحته، لا يتعلق به حكم الله تعالى، وإنما الكاذب الذي يخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه العلم بذلك... وهذا إنما يجوز في حكاية الأخبار التي لا يتعلق بها حكم، وأما ما تعلق به حكم فلا يجوز؛ إذ الأنبياء معصومون فيما يبلغونه من الأحكام عن الله تعالى»[1].

هذا: ولم يشر إلى هذا الاعتراض من السابقين غير أبي العباس القرطبي ولم يذكره من اللاحقين للقرافي أحد -فيما اطلعت عليه.

الدليل الثالث:

يقول الإمام القرافي: «في آخر السفر الخامس من التوراة أن موسى -عليه السلام- توفي في أرض مواب، ودفن في الوادي في أرض مواب، بإزاء بيت فغورا، ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم، وكان قد أتى على موسى إذ توفي مائة وعشرون سنة، ولم يضعف بصره، ولم يتشنج وجهه، وبكى بنو إسرائيل موسى -عليه السلام- ثلاثين يومًا في غريب مواب، فلما تمت أيام حزنهم على موسى امتلأ يوشع بن نون من روح الحكمة؛ لأن موسى كان قد وضع يده على

---

(١) ينظر: الإعلام (ص١٩٢).

رأسه في حياته، وكان بنو إسرائيل يطيعونه كما أخبر الربُّ موسى»[١].

يقول القرافي بعد أن ذكر هذا الدليل: «هذا تاريخ حدث بعد موسى -عليه السلام- بالضرورة، فهو من غير المنزل قطعًا، بل هو كلام القائل: «ولم يعرف إنسان موضع القبر إلى اليوم». ثم يقول: «وإذا زيد فيها مثل هذا أمكن أن يقال: إن ما فيها من حكايات ركيكة زيدت بالأهوية والأغراض، وليست منزلة من عند الله، ولذا يسقط الاحتجاج بجميع التوراة؛ لأن باب الزيادة والنقصان قد انفتح، فلا يوثق بشيء بعد ذلك.

ويوظف القرافي الفقه في رده هنا مؤكدًا أنه إذا اختلطت التوراة بغيرها وجب ترك الجميع كالميتة إذا اختلطت بالمذكاة، فإنه يحرم أكل الجميع، فيقول: «ويجب اجتناب الجميع خشية أن يكون زيد، وهو محرم العمل به، كما إذا اختلطت الميتة بالمذكاة فإنه يحرم الجميع».

ثم يقول: «والذي يغلب على الظن أن السفر الأول الذي هو سفر البدء والانتساب، زيد بجملته وهم لا يشعرون»[٢].

وقد ذكر هذا الدليل القرطبي المحدث (ت ٦٥٦هـ)، وعلق عليه بنحو ما علق عليه القرافي، وأضاف:

«فهم بين أمرين: إما أن يقولوا: إن هذا الكلام هو مما كتبه الله لموسى، وأخبر به موسى، أو يقولوا: إنه ليس مما أخبر الله به موسى، ولم يخبر به موسى، فإن قالوا الأول كذبهم مساق الكلام، فإن المفهوم منه على القطع أنه كتب بعد وفاة موسى بزمان، وإن قالوا بالقول الآخر، قيل لهم: فلأي شيء خلطتم كلام

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح (٣٤)، الفقرات (٦- ١٠).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٨٥).

الله بغيره؟»[١].

وأورد هذا الدليل أيضًا أبو الوليد الباجي، وعقب بأن موت موسى بأرض مواب مشكل؛ لأن التوراة إنها أنزلت على موسى، وبلغها إيانا، وبعد أن مات فمن أبلغنا هذا الكلام عن الله؟[٢]

الدليل الرابع:

يتخذ الإمام القرافي من تعبير التوراة عن موسى بضمير الغائب بكثرة دليلاً على التحريف، فيقول: «إنه قد تكرر في التوراة، وكلم الرب موسى وقال له: اقبض حسان بني إسرائيل»[٣]، «وكلم الرب موسى، وقال له: كلم بني إسرائيل»[٤].

ثم يقول: هذا العبارة يقطع العاقل بأنها ليست من كلام الله تعالى، ولا من كلام موسى، بل حكايات من قول الغير لمعنى ما وقع، ولعل هذا الحاكي أخل باللفظ والمعنى، أو بالمعنى وحده، ولم يثبت عندنا عدالته، ولا معرفته، ولعله عدو للدين قصد الإفساد والتبديل والتغيير، فيحصل القطع بأن هذه التوراة لا

---

(١) الإعلام: (ص١٨٨، ١٨٩).

(٢) يراجع: على التوراة، لأبي الوليد الباجي (ص١٤٨)، ت د. أحمد حجازي السقا، دار/ الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م. ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٨٦)، ذكره مختصرًا، وأشار إلى ذلك أيضًا رحمة الله الهندي، يراجع: مختصر إظهار الحق، للهندي (ص٤٥)، ت/ محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٥هـ.

(٣) في سفر العدد «اقبض حساب بني جرشون»، سفر العدد، الإصحاح (٤)، الفقرة (٢١).

(٤) سفر الخروج، الإصحاح (١٤)، الفقرة (١)، والإصحاح (٣١) الفقرة (١٢)، وسفر اللاويين، الإصحاح (٧)، الفقرة (٢٨)، وقد وردت هذه العبارة في التوراة مرات كثيرة جدًا.

يجوز الاعتماد عليها، وأنها مغيرة قطعًا[١].

وقد أورد رحمة الله الهندي تعليقًا جميلاً في هذا المقام فقال: «لو كانت التوراة من تصنيفات موسى، لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ولا أقل من أن يعبر في موضع من المواضع؛ لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار»[٢].

الدليل الخامس:

يستدل الإمام القرافي على تحريف التوراة بما في التوراة من التناقض والتكاذب، ويذكر أمثلة على ذلك:

المثال الأول:

يقول القرافي: «في التوراة: في نسخة فيها: أن آدم -عليه السلام- عاش مائة وثلاثين سنة، ثم ولد على شبهه ولد سماه شيثًا[٣]، وفي نسخة أخرى: لم يرزق شيثًا إلا بعد مائة وخمسين سنة[٤]، وعاش بعد ولادته ثمانمائة سنة[٥]، فكان جميع عمره تسعمائة وثلاثين سنة[٦]، وفي نسخة: ألف وثلاثون سنة»[٧].

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٨٥، ٨٦).

(٢) ينظر: إظهار الحق (١/ ٦٤). وذكر هذا الدليل وعلق عليه بمعنى قريب مما ذكره القرافي الإمام القرطبي، يراجع: الإعلام (ص١٨٩).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح (٥)، الفقرة (٣).

(٤) لم أجد هذا النص في التوراة البابلية والسامرية، ولعله في نسخة اطلع عليها الإمام القرافي.

(٥) تكوين، الإصحاح (٥)، الفقرة (٣).

(٦) تكوين، الإصحاح (٥)، الفقرة (٣).

(٧) لم أجد هذا النص في التوراة الحالية، ولعله في نسخة اطلع عليها القرافي في زمانه. وعلى ما ذكره القرافي عن النسخة الثانية يكون جميع عمر آدم تسعمائة وخمسين سنة، لا ألفًا وثلاثين؛ لأن النسخة الثانية لم تزد إلا عشرين سنة.

ثم عاش شيث مائة وخمس سنين، وولد آنوش، وعاش بعدما ولد آنوش ثمانمائة سنة وسبع سنين، فكانت كل أيام شيث تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة[١]، وفي نسخة أخرى تسعمائة سنة وسبع سنين[٢].

ثم يعلق القرافي بقوله:

واستمر هذا التناقض والتكاذب في مشاهير أولاد آدم -عليه السلام-، ولا تكاد نسخة توافق الأخرى، وإذا كان هذا تحريفهم وتبديلهم فيما لا غرض لهم فيه من أعمار الأنبياء -عليهم السلام-، فكيف يكون حالتهم فيما يتعلق لهم به غرض؟[٣]

وذكر هذا التناقض أبو الوليد الباجي، وبين أنه في نسخة عمر شيث قبل ولادة آنوش مائة وخمسين سنة، وأنه عاش بعده ثمانمائة وسبع سنين.

وفي نسخة أخرى: أنه عاش قبل ولادة آنوش مائتين وخمس سنين، وعاش بعد ولادته تسعمائة وسبع سنين، ثم يتعجب قائلاً: «كيف يحسن أن يقال: فكان جميع عمر شيث تسعمائة واثنتي عشرة سنة، مع أنه على النسخة الأولى تسعمائة وسبع وخمسون سنة، وعلى النسخة الثانية ألف ومائة واثنتا عشرة سنة»[٤].

المثال الثاني:

يقول الإمام القرافي: «في التوراة: أن الله تعالى قال لآدم: إنكما في اليوم الذي

---

(١) تكوين، الإصحاح (٥)، الفقرات (٦-٨).
وما أثبته هو الصواب، لكن ما ذكره القرافي أنه عاش مائة وخمسين سنة، ثم عاش بعد ولادة آنوش تسعمائة واثنتي عشرة سنة، فهو خطأ، ولعل هذا من فعل النساخ.

(٢) لم أصل إلى هذا النص، ولعله في نسخة أخرى، اطلع عليها القرافي في زمانه.

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٨٤).

(٤) يراجع: على التوراة (ص٣٨، ٣٩).

تأكلان فيه من الشجرة التي نهيتكما عنها تموتان موتًا[١]»، وفيها أيضًا: «أنهما عاشا بعد ذلك، ورزقا بعد دهر طويل»[٢]، ثم يقول: «وهذا تناقض فاحش، دل على تبديل التوراة وتغييرها»[٣].

المثال الثالث:

يقول الإمام القرافي: «في التوراة: أن الله تعالى قال لإبراهيم -عليه السلام-: إن ذريتك ستستعبد بمصر أربعمائة سنة»[٤]، وقال مؤرخوهم: «لم يمكثوا إلا مائتين وثلاثين سنة».

يقول القرافي: «وهذا تناقض فاحش»، ثم يصل إلى النتيجة بقوله: «فهم وكتبهم الكاذبون»[٥].

ولم يذكر هذا التكاذب قبل القرافي ولا بعده إلا ابن حزم -على ما أعلم-، وعلق عليه بأن هذه سوأة عظيمة، وعار على اليهود؛ لأن بدء تعذيبهم كان بعد موت يوسف -عليه السلام- بلا شك، إلى أن خرج بهم موسى -عليه السلام، وهم لم يدخلوا مصر إلا في وزارة يوسف مع يعقوب -عليه السلام-:

يقول: وهذه المدة لم تبلغ أربعمائة سنة؛ لأنه ذكر في كتبهم أن قاهات بن لاوي بن يعقوب والد عمران أبي موسى كان ممن ولد بالشام، ودخل مع جده يعقوب إلى مصر، وذكر فيها أيضًا أن جميع عمر قاهات مائة وثلاث وثلاثون

---

(١) تكوين، الإصحاح (٢)، الفقرات: (١٦- ١٨).
(٢) في سفر التكوين، الإصحاح الرابع: أن آدم ولد له قابيل وهابيل، وفي الإصحاح الخامس: أن آدم عاش تسعمائة وثلاثين سنة.
(٣) الأجوبة الفاخرة (ص١٤١)، وينظر: إظهار الحق (١/ ١٣٢).
(٤) تكوين، الإصحاح (١٥)، الفقرة (١٣).
(٥) الأجوبة الفاخرة (ص٨٤).

سنة، وأن جميع عمر عمران مائة وسبع وثلاثون سنة.

يقول: فهبك أن قاهات كان إذا دخلها عمره أقل من شهر، وأن عمران ولد له سنة موته، وأن موسى -عليه السلام- ولد لعمران سنة موته، فالمجموع من هذا كله ثلاثمائة سنة وخمسون سنة، فكيف الأربعمائة سنة؟

ثم ذكر أن كتب اليهود تقول: إن عمر قاهات لما دخل مصر كان ثلاث سنين، ولما ولد له عمران كان ستين سنة، وإن عمر عمران لما ولد له موسى كان ثمانين سنة. ثم يقول: وبإسقاط هذه السنين يكون بقاء بني إسرائيل بمصر منذ دخلوها إلى الخروج منها مائتي سنة وسبع عشرة سنة، فكيف الأربعمائة سنة؟ ثم يسقط ابن حزم من هذه المدة مائتي وسبع عشرة سنة مدة حكم يوسف منذ دخول أبيه وإخوته إلى موته، ثم فترة وجود إخوة يوسف بمصر؛ لأنه -كما يقول-: لم ينل بني إسرائيل تعذيب في هذه الفترة، لتصبح مدة بقاء بني إسرائيل بمصر مائة وثلاثًا وعشرين سنة.

ثم ذكر لهذه المدة تقليبات أخرى بين فيها أنها قد تصل إلى تسع وثلاثين ومائتي سنة، وقد تصل إلى أربعمائة وأربع وعشرين سنة لو حسبت المدة من وقت قول هذا الكلام لإبراهيم -عليه السلام- قبل ولادة إسماعيل إلى وقت خروجهم. ثم يقول: فلا منجا من الكذب إما بالزيادة أو النقصان[1].

والله أعلم

(١) ملخصًا من الفصل (١/ ١٢٥- ١٢٨).

الفرع الثالث
بيان ما في التوراة مما ينافي جلال الألوهية

الله تعالى موصوف بكل كمال، منزه عن كل نقص، وإن اشتمال كتاب على شيء واحد يلزم عنه وصف الله تعالى بالنقص؛ لهو أكبر دليل على أن هذا الكتاب ما نزل من عند الله تعالى، فكيف لو تعددت الأشياء؟

ولما كثر في التوراة ما ينافي كمال الله تعالى اتخذ الإمام ذلك ركيزة ارتكز عليها في نقد التوراة.

وفي الحقيقة: هذا المسلك والذي يليه يعتبران دليلين آخرين -زيادة على ما سبق- على أن التوراة محرفة، وأنها لا يعتمد عليها، والآن مع جهود الشيخ في بيان أن التوراة تشتمل على ما ينافي جلال الألوهية.

وصف الله تعالى بعدم العلم:

١- في التوراة: «أن الله تعالى قال لإبراهيم -عليه السلام-: لقد وصل إلى إثم سدوم وعامور، فقلت: أنزل الآن، فأنظر هل منعوا وأثموا كما بلغني، وإلا عرفت ذلك»[(١)]. يقول القرافي:

«وفي هذا الكلام نسبة الباري تعالى إلى عدم العلم بالمغيِّبات، ونسبة الملائكة إلى عدم الصدق، وأنهم متهمون عند الله تعالى، وهذا الكلام في غاية البعد عن جلال الربوبية، والملائكة الكرام، فيقطع العاقل بكذبه»[(٢)].

٢- في التوراة: «أن الله تعالى حين أراد قتل فرعون وجنوده، قال لموسى -عليه السلام-: قل لبني إسرائيل: يذبحون جملاً، ويضمخون من دمه على

(١) سفر التكوين، الإصحاح (١٨)، الفقرات (٢٠- ٢٢).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٨١)، وينظر: على التوراة (ص٧٣).

أبواب دورهم، حتى إذا جزت الليلة في أرض مصر، ورأيت الدم عرفت أبوابكم من أبواب المصريين؛ لئلا أهلككم معهم»[١]. يقول القرافي:

«نسبوا إلى الله تعالى أنه لا يعلم إلا ما يراه بأمارة، ولا يتحقق شيئًا إلا بإشارة، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، بل هو أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء»[٢].

الله تعالى في التوراة يعتريه التعب والنصب والحزن -تعالى الله عن ذلك-:

١- في التوراة: «أن الله تعالى لما خلق الخلق في ستة أيام استراح في اليوم السابع»[٣]. يقول القرافي معلقًا:

«اعتقدوا؛ لغلط أفهامهم أن الله تعالى يعتريه التعب والنصب، حتى نقل عن بعضهم في غير التوراة أنه -تعالى- في اليوم السابع استلقى على ظهره واضعًا إحدى رجليه على الأخرى». ثم بين ما في هذا من جهالات بقوله:

«في هذا جهالات منها: التجسيم، ومنها: ضعف القدرة لطرآن التعب والنصب، ومنها: أنه يلزمهم أنه يكون إلههم حادثًا، فإن محل الحوادث يجب أن يكون حادثًا، والتعب والنصب حوادث»[٤].

---

(١) في سفر الخروج: أن موسى -عليه السلام- دعا شيوخ بني إسرائيل، وأمرهم أن يذبحوا غنمًا، ويلطخون من دمها عتب الأبواب والقوائم، وأمرهم ألا يخرج أحد من بيته حتى الصبح؛ لأن الرب يجتاز الليلة ليضرب المصريين، فإذا وجد الدم على العتبة والقائمتين لا يهلك هذا البيت. يراجع: سفر الخروج، الإصحاح (١٢)، الفقرات (٢١- ٢٤).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص١٥١)، وينظر: على التوراة (ص٩٢).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح (٢)، الفقرات (١- ٣)، وأيضًا: سفر الخروج، الإصحاح (٢)، الفقرة (١١).

(٤) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٨).

ويقول أبو الوليد الباجي معلقًا على هذا الأمر: «الاستراحة إنما تطلق على من يناله التعب، فأما من أفعاله بالأمر التكويني يقول للشيء: كن فيكون، فذلك في حقه ممتنع»(١).

ويقول ابن القيم في الرد على هذا النص: «أنزل الله على رسوله ﷺ تكذيبهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨](٢).

مقارنة

يقارن الإمام القرافي بين ما يعتقده اليهود من طرآن التعب على الله تعالى، وبين ما يعتقده المسلمون في ذلك فيقول: «فأين هذا من قول المسلمين: إن خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقه لأقل جزء من جناح بعوضة، وإن إيجاده بأن يقول للشيء: كن فيكون؟

وأين هذا من اعتقاد المسلمين أن صُنْعَهُ للأشياء من غير معالجة ومخالطة لها؟ فهذا هو التوحيد والتمجيد اللائق بجلالة الربوبية، وتعظيم الله تعالى، أما قول اليهود فتأنف منه دبغة الجلود»(٣).

٢- في التوراة: «أن الله تعالى لما رأى معاصي بني آدم قد كثرت على الأرض، قال: لقد ندمت إذ خلقت آدم، فأرسل الطوفان فأباد ما على الأرض من الحيوان، وأنه لما فعل ذلك ندم أيضًا، وقال: لا أعود أفعل ذلك»(٤).

---

(١) على التوراة (ص٢٧، ٢٨).

(٢) هداية الحيارى (ص١٤٠، ١٤١). وينظر: الانتصارات الإسلامية، (ص١٦٢).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٨).

(٤) سفر التكوين، الإصحاح (٦)، الفقرات (٥-٨، ١٧)، والإصحاح (٩)، الفقرة (٢١).

يقول الإمام القرافي:

«وهذا كلام يقتضي أن الله تعالى لا يعلم ما سيكون، وأنه تعالى تعتريه صفات البشر من الندم والبداء والأسف»، ويتعجب القرافي من إنكارهم النسخ لما فيه من البداء، مع أنهم يدينون به، فيقول: «ومن العجب: أنهم ينكرون النسخ؛ لئلا يلزم البداء، وهم يعتقدون البداء والندم، فما أدري أي الأمرين أعجب؟ ثم في هذا الكلام الندم، والندم على الندم، وهذا لو فعله والي ضيعة لاستحق العزل، فكيف يليق نسبته إلى رب الأرباب سبحانه وتعالى؟ وذلك أبلغ دليل على اشتمال توراتهم على الكذب»[١].

ويقول الإمام القرطبي في هذه الجزئية: «هذا في حق الله تعالى محال؛ إذ الندم إنما يلحق من لا يعلم مصير المندوم عليه وحاله، واعتقاد هذا كفر في حق الله تعالى؛ إذ ينبئ على أن الله تعالى جاهل، وأنه متغير -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا»، والإمام القرطبي هنا يشير إشارة جميلة، وهي أنه لو يمكن حمل هذا الكلام على معنى آخر حتى لا يوقع في هذا الكفر لصار إليه، لكن العبارة لا تحتمل إلا هذا الوجه، فيقول: «ولفظ الندم هنا نص لا يقبل التأويل، فهو كاذب وباطل قطعًا»[٢].

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٨٢).

(٢) الإعلام (ص١٩٤). وما ذكره الإمام القرطبي أمر مهم تنبغي مراعاته في مجال المناظرة عمومًا، ولاسيما في مناقشة أهل الكتاب، وهو أنه متى أمكن حمل أدلتهم على وجه مقبول حملت على ذلك، وليس القرطبي وحده الذي أشار إلى هذا المبدأ، فقد سبقه ابن حزم حيث يقول: «وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا، أننا لم نخرج من الكتب المذكورة شيئًا يمكن أن يخرج على وجهٍ ما، فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له... وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه، ولا وجه أصلاً إلا الدعاوي الكاذبة التي لا دليل عليها أصلاً، لا محتملاً ولا خفيًّا». ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ١١٧).

=

وصف الله تعالى بالجسمية في التوراة:

١- في التوراة: «أن روح الله تعالى قبل خلقه كانت ترفرف على الماء»[(١)].

يقول القرافي: «هذا كلام باطل من جهة أن قبل الخلق لم يكن ثم مياه، وكلامهم يقتضي قدم المياه، فلا تكون مخلوقة، وهو خلاف إجماعهم، وخلاف المعقول والمنقول، ثم لو سلمنا قدم المياه، فكلامهم أن لله تعالى روحًا، وهذا معناه أن هذه الروح جسم؛ لأن الرفرفة إنما تكون في الأجسام، والجسمية محال عليه تعالى بأدلة العقول، ولموافقتهم على ذلك. ثم يقتضي قولهم هذا: أن روح الله تعالى تفارقه ويبقى بلا روح ميتًا، وهذا محال آخر، فاشتمل قولهم هذا على أنواع من المحال»[(٢)].

يقول الطوفي البغدادي (ت ٧١٦هـ): معلقًا على هذا النص، مبينًا ما فيه من

=

ويراجع: في المسألة التي ذكرها القرافي، بذل المجهود في إفحام اليهود، للسموأل (ص١٣٤)، بين الإسلام والمسيحية، (ص١٠٣)، على التوراة، (ص٤٣، ٤٤)، هداية الحيارى (ص١٤٠، ١٤١، ١٤٨).

(١) تكوين، الإصحاح (١)، الفقرة (٢). ويذهب البعض إلى أن أصل النص «ريح الله»، وإنما حرف النصارى ذلك ليثبتوا قدم روح القدس، يقول د. أحمد حجازي السقا: «ولما كانوا -النصارى- يؤمنون بالتوراة التي هي كتاب العقيدة والشريعة لبني إسرائيل، والمسيح لم ينسخها، ترجموا أول سفر التكوين هكذا «... روح الله ...» وغرضهم من هذه الترجمة إثبات عقيدتهم في روح الله الذي هو روح القدس عندهم، وغرضهم هذا ما كنا لنعرفه لو لم نقرأ ترجمة اليهود نفسها التي تترجم «وريح الله» بدل «وروح الله». التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري/ أبو الحسن إسحاق الصوري، ت د. أحمد حجازي السقا، مقدمة المحقق (ص١٣)، دار الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٣٩٨هـ. والذي يؤكد ما قاله أن في التوراة السامرية: «ورياح الله هابة على وجه الماء» سفر التكوين: الإصحاح (١)، الفقرة (٢).

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص١٤٧).

التجسيم: «الروح جسم -وهو محال على الله تعالى-، والحجج على جسميتها كثيرة، لكن نكتفي منها بحجة طبيعية ذكرها الأطباء، وهي اضطراب الصدر وحركته لها عند النزع»[١].

٢- في التوراة: «أن نمرود لما بنى الصرح وشيّده، نزل الباري تعالى إلى الأرض حتى هدمه، وحال بين نمرود، وبين ما أراد من ذلك»[٢]. يقول القرافي: «وهذا تجسيم وتعجيز وتسوية ومقاربة بين الله تعالى ونمرود، فإن هذا إنما يكون بين الإنسانين المتقاربين، أما الملك العظيم مع من هو دونه، فإنه لا يتحرك بنفسه له، بل يبعث بعض أعوانه، وهاهنا جعلوا الله تعالى لا يبعد هذا الصرح إلا بأن يأتي بنفسه، وهذا كفر لم تصل إليه النصارى، وسخف كثير يقضي على توراتهم بالبعد عن الهداية، واشتمالها على الضلالة»[٣].

٣- في التوراة: «أن الله تعالى نزل إلى الجنة ومشى فيها حين كلم آدم -عليه السلام-»[٤]، وفيها: «أنه نزل إلى الأرض حين أنقذ بني إسرائيل من سحرة فرعون»[٥]، «ونزل إلى الأرض عندما كلم موسى من شجرة العليق»[٦]، «ونزل إلى الأرض عندما كلم إبراهيم وبشره بالولد»[٧]. «ونزل إلى الأرض ومنع

(١) ينظر: الانتصارات الإسلامية (ص١٦١).

(٢) ليس في التوراة الحالية أن الله تعالى نزل ومنع نمرودًا من بناء الصرح، ولكن فيها أن الله تعالى نزل من السماء ومنع بني آدم من بناء مدينة أرادوا بناءها بعد الطوفان. تكوين، الإصحاح (١١)، الفقرات (١-٩).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٩).

(٤) تكوين، الإصحاح (٣)، الفقرة (٨).

(٥) خروج، الإصحاح (١٤)، الفقرات (٢٤- ٢٧).

(٦) خروج، الإصحاح (٣)، الفقرات (٣- ٦).

(٧) تكوين، الإصحاح (١٧)، الفقرات (١- ٤).

نمرود وقومه من بناء الصرح».

لم يعلق القرافي على هذه الأمور؛ لوضوحها، ولكن بيَّن الحامل لهم على اعتقاد مثل هذه الأمور، وهو أنهم يسمعون أن الله تعالى كلم هؤلاء الأنبياء -عليهم السلام-، فاعتقدوا أن هذا يكون منه بالحركات والتنقل في الجهات، فأثبتوا ذلك في توراتهم. ثم يقول: «وهذا -ما في النصوص- يقتضي أن كتبهم ملفقة على حسب أهوائهم، لا على حسب ما أنزل الله إليهم»[١].

وصف الله تعالى بالعجز والاحتياج في التوراة:

في التوراة: «أن الله تعالى حين أكمل خلق العالم قال: تعالوا نخلق بشرًا يشبهنا، فخلق آدم»[٢].

يقول القرافي: «اعتقد كثير من اليهود لهذه المقالة التجسيم، وقالوا: إن الله تعالى في صورة آدم -عليه السلام- وإنه شيخ أبيض اللحية والرأس، جالس على كرسي، والملائكة قيام بين يديه، والكتب تقرأ بحضرته». ثم يقول: «فانظر إلى هذه العبارة الركيكة، وهذه العقول السخيفة، جعلوا لله تعالى شركاء في الخلق، لا شريكًا واحدًا، وأنه لا يستقل بخلق آدم بدليل قوله: (تعالوا) وهي صيغة جمع. فيلزمهم: أن هؤلاء كل منهم إله، لا مزية لله تعالى عليهم، بل الجميع يتساعدون في الخلق، ثم يلزم: أنه لا يصلح واحد منهم للربوبية لعجزه عن الاستقلال، ثم يفاضل القرافي بين قول اليهود هذا وقول النصارى بالتثليث، يقول: «وهذا شر من قول النصارى بكثير، فإن النصارى جعلوا كل واحدٍ

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص١٥١).
(٢) تكوين، الإصحاح (١)، الفقرة (٢٦).

مستقلاً، فأمكن أن يكون إلهًا[١]، وأما على قول اليهود في هذه المقالة فلا»[٢].

وذكر الإمام ابن حزم هذا النص، وقال معلقًا عليه: «لو لم يقل: إلا كصورتنا لكان له وجه حسن، ومعنى صحيح، وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق... لكن قوله: «كشبهنا» منع التأويلات وسد المخارج، وقطع السبل، وأوجب شبه آدم لله تعالى... وهذا يعلم بطلانُهُ ببديهة العقل؛ إذ الشبه والمثل معناهما واحد، وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبه»[٣].

وأورده أبو الوليد الباجي وعلق بقوله: «كيف يحسن أن يقال: كصورتنا وشبهنا، مع أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الصورة، بل هو خالق الصور كلها، والخالق مغاير للمخلوق ومستغنٍ عنه؟»[٤].

الله تعالى في التوراة تحويه الأماكن والقباب:

١- في التوراة: «أن هارون -عليه السلام- وأخته مريم وقعا في موسى وحسداه وآذياه، فنزل الله إلى قبة الزُّمان، ودعا هارون -عليه السلام- ومريم، وتوعدهما، وبرَّص مريم، فصارت برصاء من ساعتها»[٥].

يقول القرافي: «نسبوا إلى الله تعالى الحلول في قبة الزمَّان، بقصد الانتصار،

---

(١) في كلام القرافي هذا نظر؛ لأن الاستقلالية وحدها لا تكفي لإثبات الألوهية، بل لا بد من صفات أخرى مثل سعة العلم، وعموم القدرة، ونفاذ الإرادة، وغير ذلك من الصفات الثابتة للباري تعالى، واثنان من ثلاثة النصارى لا يتحقق فيهما صفات الباري تعالى، ومن ثمّ لا يمكن بحال أن يكون واحد منهما إلهًا، فضلاً عن كليهما.

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٧، ١٤٨).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١١٧، ١١٨).

(٤) على التوراة (ص٢٥). ويراجع: الانتصارات الإسلامية (ص١٦١).

(٥) سفر العدد، الإصحاح (١٢)، الفقرات (١- ١١).

وأنه لا يحكم على أحد حتى يحضره، ولذلك استحضرهما بين يديه، وهذا من قبيح كذب اليهود على الله، وعلى رسله»[١].

ويعلق أبو الوليد الباجي على هذا النص، بأن النزول محال على الله تعالى؛ لأنه من صفات الأجسام، وذلك قوله: «والله تعالى منزه عن النزول وعن الحلول وعن الغمام، وعن القيام على باب القبة فإن هذه من صفات الأجسام»[٢].

٢- في التوراة: «أن الله تعالى أمرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم، وأنه اقترح عليهم صفتها فبنوا له ذلك[٣]؛ لأن موسى -عليه السلام- قال: يا رب، إن هذه الأمة القاسية لا تمضي إلى الشام حتى تمضي معها كما وعدتها، فقال الله تعالى: اعملوا لي قبة، فعملها موسى وسماها قبة العهد، ونزل الله في عرشه، ونزل معهم داخل القبة ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم»[٤].

يقول الإمام القرافي: «انظر لجرأة هذه الطائفة على الله تعالى، لم يقدروه حق قدره، ولم يعاملوه بما يليق بجلاله، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون»[٥]. ثم يقول:

«ويحكى عنهم أيضًا أنهم قالوا: إن الله تعالى أبى مرة من السير معهم، وقال:

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص١٥١).

(٢) ينظر: على التوراة (ص١١٤، ١١٥).

(٣) سفر الخروج، الإصحاح (٢٥، ٢٦، ٢٧، والإصحاح ٣٥)، الفقرات (٤- ... إلخ). ويمكن القول: بأنه من الإصحاح الخامس والعشرين إلى آخر السفر يتحدث عن تلك الخيمة، وكيفية بنائها.

(٤) سفر الخروج، الإصحاح (٤٠)، الفقرة (٣١).

(٥) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٢).

اظعنوا أنتم فإني لا أظعن، بل أبعث معكم من يغفر لكم ذنوبكم»[١].

يقول الإمام القرافي: «فانظر إلى استخفافهم بالله تعالى إلى هذه الغاية، تحويه القباب، ويسير مع الركاب، وهذه غاية الإسهاب في السباب، فيما لا يليق برب الأرباب، بل هو تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، لا تحويه الجهات، ولا يوصف بالحركات والسكنات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات»[٢].

وذكر أبو الوليد الباجي أمر هذه القبة، وأطال في وصف بنائها، ثم علق بأن هذه المطالب إنما يطلبها من شغلته زخارف الدنيا، ليس رب الأرباب تعالى، وذلك قوله: «... إلى غير ذلك من التطويلات في السرف، والاشتغال بزخارف الدنيا الفاتنة الشاغلة عن الله تعالى»[٣].

والله أعلم



(١) سفر الخروج، الإصحاح (٣٣)، الفقرات (١ - ٣).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٢).
(٣) على التوراة (ص٩٨). وينظر: الإعلام (ص١٩٥).

الفرع الرابع
بيان ما في التوراة مما ينافي عصمة الأنبياء عليهم السلام

لكن قبل أن نذكر ما أورده القرافي من التوراة مما ينافي عصمة الأنبياء نعرف العصمة فنقول:

العصمة في اللغة: المنع والحفظ.

جاء في «لسان العرب»: «عصَمه يعصِمه عصْمًا، منعه ووقاه، وفي التنزيل: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هود: ٤٣]؛ أي: لا معصوم إلا المرحوم، واعتصم فلان بالله: إذا امتنع به... والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فانعصم»[١].

وجاء في «مقاييس اللغة»: «العين والصاد والميم: أصل واحد يدل على إمساك ومنع، والعصمة: أن يعصم الله عبده عن سوءٍ يقع فيه»[٢].

والعصمة في اصطلاح المتكلمين:

صفة توجب امتناع عصيان موصوفها، بأن يحفظ الله ظواهر الأنبياء وبواطنهم من الوقوع في المكروهات والمحرمات، صغائر كانت أو كبائر، قبل النبوة أو بعدها، عمدًا كانت أو سهوًا[٣]، على تفصيل في ذلك مذكور في كتب المتكلمين، لن نذكره خوفًا من الإطالة»[٤].

---

(١) لسان العرب (١٢/ ٤٠٣)، مادة: عصم.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٣/ ٣٣١، ٣٣٢)، مادة: عصم. ت/ عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/ الثانية، ١٣٩٠هـ. ١٩٧٠م.

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي على أم البراهين (ص١٧٣).

(٤) يراجع: عصمة الأنبياء، للرازي (ص٢- ٤)، تعليق/ محمد منير الدمشقي، سنة =

والعصمة في حق الأنبياء عند المتكلمين -وخصوصًا الأشاعرة- بمعنى: الأمانة، وهي من الصفات الواجبة للأنبياء -عليه السلام. ويؤيد هذا ما جاء في حاشية الدسوقي بعد تعريف صفة الأمانة الواجبة للرسل «والمتكلمون يعبرون بالعصمة»(١)، وإذا كان الأمر كما ذكر في تعريف العصمة، فالأنبياء مبرءون عن كل صغيرة وكبيرة قبل النبوة وبعدها، وعن كل ما يخل بحكمة بعثتهم، وإذا صدر منهم ما يخل بعصمتهم، فإنه يجب صرفه عن ظاهره إن أمكن، وإلا فمحمول على ترك الأولى»(٢).

وبعد تعريف العصمة نبين ما ذكره القرافي مما في التوراة مناقضًا لعصمة الأنبياء.

نوح -عليه السلام- يعاقب من لم يجنِ:

١- في التوراة: «أن نوحًا -عليه السلام- نام في خيمته، فكشف الريح عورته، فضحك منه ابنه حام، فدعا عليه وعلى عقبه»(٣).

يقول القرافي في نقده لهذا الكلام: «فأين هذا الخلق الذميم، والطبع السقيم،

=

١٣٥٥هـ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين (ص٥٢٠) وما بعدها. ويراجع: شرح المقاصد، (٣/ ٣٠٩) وما بعدها، وشرح السعد على العقائد النسفية (ص١٣٦، ١٣٧)، مطبعة/ دار الكتب العربية الكبرى، لمصطفى البابلي الحلبي وأخويه: بكري وعيسى، مصر، بدون تاريخ.

(١) حاشية الدسوقي على أم البراهين (ص١٧٨).

(٢) ينظر: شرح السعد على العقائد النسفية (ص١٣٧)، حاشية البيجوري على متن السنوسية (ص٤٧)، المطبعة المليجية، مصر، ط/ الأولى، ١٣٣٢هـ.

(٣) سفر التكوين، الإصحاح (٩)، الفقرات (٢١- ٢٦)، وكان الدعاء عليه بأن يكون هو ونسله عبيدًا لبني سام ويافث أخويه.

والعقوبة العظيمة على من جنى ومن لم يجن -على جناية صغيرة- من خلق العقلاء، فضلاً عن الأنبياء؟ وهل هذا إلا من ترهات العوام، وخرافات العجائز، اتخذته اليهود قرآنًا يقرأ، وجعلوه مما أنزل من عند الله؟ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وجلت رسله ورسائله عن هذا الافتراء»[(١)].

وقد تناول ابن حزم خبر دعاء نوح على ابنه حام، ونقده مبينًا أن فيه تناقضًا مع ما جاءه في التوراة من أن الكنعانيين -بني حام- ملكوا الأرض، ولم يكونوا عبيدًا لإخوانهم، وهذا تكذيب لما أخبر به نوح -عليه السلام-، وذلك قوله: «إن نوحًا -عليه السلام- لما بلغه ما فعل ابنه حام أبو كنعان قال: ملعون أبو كنعان عبد العبيد، يكون لإخوته مستعبدًا... يقول: ثم نسى المحرِّف نفسه، أو تعاظم استخفافًا بهم، فلم يطل، لكنه بعد ذلك قال: إذ ذكر أولاد حام «... وكوش نمرود الذي ابتدأ يكون جبّارًا في الأرض... وكان أول مملكته بابل»[(٢)]، ثم يقول: فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح في خبره، وهو بإقرارهم نبي معظم جدًّا»[(٣)].

وإذا كان ابن حزم بين ما فيه من تناقض، فأبو الوليد الباجي بين تناقضًا آخر بين نسخ التوراة، فنسخه تقول: «فنظر عورة أبيه»[(٤)]، وثانية تقول: «عريه»[(٥)]، ونسخة تقول: «يخدم أولاد سام»[(٦)]، وأخرى تقول: «يكون

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٨٢).
(٢) تكوين، الإصحاح (١٠)، الفقرات (٦- ١١).
(٣) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٢٣).
(٤) سفر التكوين: الإصحاح (٩)، الفقرة (٢٢).
(٥) في التوراة السامرية [سوءة أبيه] سفر التكوين: الإصحاح: (٩) الفقرة: (٢٢).
(٦) في السامرية، سفر التكوين: الإصحاح (٩) الفقرة (٧).

عبدًا لجميع إخوته»[(١)(٢)].

إبراهيم -عليه السلام- يحرم أولاده من الميراث

في التوراة: أن إبراهيم -عليه السلام- لما حضرته الوفاة ورث ماله إسحاق وحرم باقي أولاده»[(٣)].

يقول القرافي: «إن حال القدوم على الله تعالى يكون إبراهيم -عليه السلام- في غاية الأدب مع ربه، وحسن المعاملة لخلقه، لاسيما أولاده الذين أوجب الله عليه برهم، وحرم أذية قلوبهم، فكيف يجعل إبراهيم -عليه السلام وهو خليل الرحمن- هذا المؤلم خاتمة عمله عند حضور أجله؟

ثم يستدل بما جاء عن الرسول ﷺ على كذب اليهود، وذلك قوله: «وأنت تعلم أيها المسلم المصدق بالرسالة المحمدية قوله -عليه السلام-: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**»[(٤)]، فنجزم بكذب اليهود»[(٥)].

لوط -عليه السلام- يزني بابنتيه ويتباطأ عن امتثال أمر الله تعالى

١- في التوراة: «لما أهلك الله أمة لوط -عليه السلام- ونجا بابنتيه فقط، توهمت ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه نسلاً، فقالت الكبرى للصغرى: إنا أبانا لشيخ، ولم يبقَ في الأرض من يأتينا كسبيل البشر، هلمي نسقي أبانا خمرًا ونضاجعه؛ لنستبقي من أبينا نسلاً، ففعلتا، فولدت إحداهما

(١) يراجع: على التوراة (ص٥٧)، وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص٣١٠).
(٢) الفقرة: سفر التكوين: الإصحاح (٩) الفقرة (٢٥).
(٣) تكوين، الإصحاح (٢٥)، الفقرات (٥- ٧).
(٤) أخرجه الإمام مسلم، ك: الجهاد والسير، باب: حكم الفيء، حديث رقم (١٧٥٧)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٧٦).
(٥) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٩).

موابًا بمعنى: أنه من الأب، والثانية سمت ولدها عمون بمعنى: أنه من قبيلتها»[(١)].

يعلق القرافي على هذا الكلام مبينًا أنه منافٍ لما دلت عليه الأدلة من عصمة الأنبياء، وذلك قوله: «فما أجرأهم على أعراض الأنبياء، بل على دمائهم، مع أن العاقل يقطع بأن شرب لوط -عليه السلام- الخمر، وزناه بابنتيه كذب؛ لقيام الأدلة على عصمة الأنبياء -عليه السلام-[(٢)]، وأن الله شرفهم نسبًا وخلقًا وسيرة وسريرة، بحيث لا يوجد في نسب نبي ولا شيء من أحواله ما يكون سببًا للطعن عليه، وهو مقتضى الحكمة، وإلا لما صلح جعله رسولاً عن الله تعالى، ولما حصلت حكمة الرسالة بسبب نفور الخلق منه، واهتضامهم لجهته، بل أقل الملوك لا يعتمد مثل هذا، فكيف برب الأرباب؟

ثم يستبعد حصول التحبيل من شيخ كبير، ويحكم لذلك على التوراة بأنها مشتملة على الكذب فيقول: «تأمل كيف إذا سكر الشيخ الكبير يتأتى منه نكاح

---

(١) تكوين، الإصحاح (١٩)، الفقرات (٣٠- ٣٨).

(٢) ذكر الإمام الرازي في كتابه «عصمة الأنبياء» خمسة عشر دليلاً على وجوب العصمة لهم- عليهم السلام-، منها:

١- لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم؛ لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن زجر الأنبياء -عليهم السلام- غير جائز؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، فكان صدور الذنب عنهم ممتنعًا.

٢- لو صدرت المعصية عن الأنبياء -عليهم السلام- لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله -جهنم-؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤]، ولكانوا ملعونين؛ لقوله تعالى: ﴿ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وبإجماع الأمة هذا باطل، فكان صدور المعصية عنهم باطلاً. وغير ذلك من الأدلة. عصمة الأنبياء (ص٦) وما بعدها.

امرأتين وتحبيلها معًا في الليلة الواحدة؟ فهذه القصة غارقة في البهتان، قاضية على التوراة بأنها مشتملة على الإفك والعدوان».

وأيضًا: استدل الإمام القرافي على بطلان هذه القصة بأن فيها نسبة داود -عليه السلام- إلى أنه ابن زنا، وذلك قوله: «وأيضًا في هذه القصة نسبة داود -عليه السلام- إلى كونه ابن زنا؛ لأنه عندهم ابن بشاي بن عابد، وأم عابد يقال لها: روث الموابية -من بني مواب- فداود عندهم من هذه الذرية، لعنهم الله»(١).

وقد تناول هذه القصة بالنقد السموأل، وبين ما فيها من نسبة داود، والمسيح الذي ينتظره اليهود إلى الزنا، فقال: «وإذا كانت روث من ولد مواب، وهي جدة داود -عليه السلام- وجدة مسيحهم المنتظر، فقد جعلوهما جميعًا من نسل الأصل الذي يطعنون فيه»(٢).

ويقول أبو البقاء الجعفري، في نقده لهذه القصة: «أبعْد الله اليهود، كيف يحسن أن الله يبتلي من اصطفاه وارتضاه لرسالته بهذه الكبيرة؟ وكيف يحميه بالأمس، ويهتك ستره اليوم؟»(٣).

ويقول أبو الباجي في نقده لهذه القصة: «إن هذا لا يظن بلوط -عليه

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٨٠، ٨١). وقد بين الإمام القرافي سبب وضع هذه القصة في التوراة، وأنه يكمن في العداوة القائمة بين بني إسرائيل، وبين بني عمون وبني مواب، والتي سببها أن موسى-عليه السلام- كان قد وضع الأمانة في الهارونيين وبني إسرائيل، ثم استولى الداوديون عليهم، وهم من بني مواب، فلما كان الكاتب لهذه التوراة هارونيًّا لفق هذا المحال ليكون عارًا كبيرًا في بني عمون وبني مواب. يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٨١).

(٢) بذل المجهود (ص١٤٩).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، (٢/ ٥٦٦).

السلام- يسكر بحيث يغيب عقله إلى هذا الحد، ولا أن يزني بابنتيه، ويحبلهما بولد زنا، بل لو وقع هذا لبعض آحاد الناس لما وسعته الأرض خزيًا وهمًّا، بل لو فعله غلامه لما أمكنه أن يراه بعد ذلك فضلاً عن أن يقيم عذره بعدم علمه»[١].

٢- في التوراة: «أن لوطًا -عليه السلام- لما أمره الله تعالى بالخروج من القرية الظالمة لم يسارع، وتباطأ عن الامتثال، حتى بقيت الملائكة تدفعه في ظهره دفعًا عنيفًا حتى أخرجوه كرهًا»[٢].

يقول القرافي: «إن خواص المؤمنين لا يشكون في أوامر الله تعالى، لاسيما مع وجود الملائكة المشاهدين بالحس، فكيف بحال الأنبياء حينئذٍ؟ كلا والله، بل بواطنهم مملوءة إجلالاً وتعظيمًا، وهم المخصوصون بدوام المراقبة لله تعالى انقيادًا، وتسليمًا، وما هي بأول جرأة لليهود على الأنبياء -عليهم السلام[٣].

يعقوب عليه السلام يجمع بين الأختين ويحتال على أبيه:

١- في التوراة: جمع إسرائيل -عليه السلام- بين أختين في عصمته، وهما إليا وراحيل، ابنتا لابان[٤].

يتعجب الإمام القرافي من جمع يعقوب -عليه السلام- بين أختين، وهو حرام بنص التوراة[٥].

---

(١) على التوراة (ص٧٤). ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٣٣)، الإعلام (١٩٦).

(٢) تكوين، الإصحاح (١٩)، الفقرات (١٥- ١٧).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص١٤٩). وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٥٩).

(٤) تكوين، الإصحاح (٢٩)، الفقرات (٢١- ٣٠).

(٥) في سفر اللاويين، الإصحاح الثامن عشر: «ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معًا في حياتها»، الفقرة (١٨).

ثم يبحث لهذا الفعل عن محمل يحمل عليه، فلعله قد نسخ بحكم آخر، لكن القرافي لا يقبل هذا الفرض، وذلك قوله: «وهم لا يعترفون بالنسخ»، ثم يحكم على ذلك بأنه من الكذب على يعقوب -عليه السلام-؛ إذ إنه نبي مكرم معصوم من الوطء الحرام[١].

وابن حزم في نقده لهذه القصة يحصر الفروض في فرضين:

١- إما أن يكون يعقوب -عليه السلام- أبقى أخت زوجته التي لم يتزوجها أسبوعًا ثم دخلت عليه زوجته، وهذا ما يؤيده نص التوراة الحالية، وهذا الفرض لا يقبله ابن حزم؛ لأن ما فيه هو عين الزنا، والله تعالى أعاذ أنبياءه من هذه السوأة.

٢- وإما أن يقولوا: لا بد أنه تزوجها لما علم أنها ليست زوجته، يقول ابن حزم، وهذا هو عين النسخ الذي ينكره اليهود؛ لأن نكاح الأختين حرام بنص توراتكم[٢].

ويقول أبو الوليد الباجي في نقده لهذه القصة: «مثل هذا لا يقدم عليه العقلاء، ولا من له دين ومروءة، فإنه يوقعه في المسبة والعار؛ لأن الأب يكون قد أعطى بنته غير المزوجة لمن ينكحها زنى مع منعه الزوج من زوجته التي يستحقها، والزوج يكون قد أخذ غير زوجته ينكحها زنى بغير تزويج، واتفق أرباب الشرائع أجمع على اشتراط التزويج في النكاح»[٣].

٢- في التوراة: «أن يعقوب -عليه السلام- احتال على أبيه إسحاق حتى

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٨٠).

(٢) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤٠، ١٤١).

(٣) على التوراة (ص٨٠).

أخذ دعوته المستجابة التي كان إسحاق يريدها للعيص؛ لأنه كان يحبه أكثر، فيعقوب -عليه السلام- لبس حلة أخيه العيص، وجعل في ذراعه وعنقه جلد ماعز، فتمت مكيدته على أبيه ودعا له، وإن إسحاق -عليه السلام- لما اطلع على الحال تعجب، وقال: ليت شعري، من هذا الذي ذهب يدعوني؟»[١].

يقول الإمام القرافي: «جعلوا يعقوب -عليه السلام- كذب قولاً وفعلاً، ودلس وعق أباه وأخاه»، ثم يتعجب الإمام القرافي؛ إذ كيف يقبل دعاء لغير المدعُوِّ له، وذلك قوله: «ثم العجب، كيف يعتقدون صحة هذا، مع أنه إذا سلم لهم مثل هذا، فما دعاء إسحاق -عليه السلام- إلا للعيص؛ لأنه هو الذي اعتقده إسحاق -عليه السلام-، وأراده حال الدعاء، فهذه الحيلة لا تفيد شيئًا، وكيف يدعو إسحاق -عليه السلام- للعيص، فينصرف ليعقوب من غير قصده؟».

ثم يقول بعد ذلك: «فجمعت اليهود في هذا النقل بين سوء الأدب في حق الأنبياء -عليهم السلام- وبين الجهل بالحقائق»[٢].

وابن حزم في تناوله لهذه القصة بيّن أن فيها خرافات وأكذوبات، منها: أن هذا مخالف لما جاء في تاريخ بني إسرائيل، وأنهم ما نالتهم بركة، بل كانوا على مر العصور خدامًا للأمم، وذلك قوله: «وفي هذا الفصل فضائح وأكذوبات، منها: إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه، وأعطى نعمته على طريقة الغش والخديعة، وحاشا لله من هذا».

ومنها: بطلان بركة إسحاق، إذ قال له: «تخدمك الأمم وتخضع لك

---

(١) تكوين، الإصحاح (٢٧)، الفقرات (٥- ٣٤).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٠).

الشعوب»[١]، «والله ما خدمت الأمم قط يعقوب ولا بنيه بعده، ولا خضعت لهم الشعوب... بل بنو إسرائيل خدموا الأمم في كل بلدة، وفي كل أمة، وهم خضعوا للشعوب قديمًا وحديثًا في أيام دولتهم وبعدها»[٢].

ويقول أبو الوليد الباجي في نقده لهذه القصة: «هذا الأمر لا ينطلي على عاقل، فكيف يشتبه على إسحاق أحد بنيه بالآخر؟ وأما لبس يعقوب خلقة عيسو[٣]، وربط جلود المعز على يديه وعنقه، فهب أن هذا يخفى عليه لعمائه، ولكنه لا يخفى عليه صوته أصلاً، وهذا أمر معلوم بضرورة العقل، وأيضًا: فالصلاح وولاية الله والنبوة لا تنال بالمجال[٤]، وأيضًا، فمن له من الرتبة أن يظهر له الرب ويكلمه[٥]، ويستجيب دعاءه، يخفى عليه هذا الأمر الظاهر؟»[٦].

(١) في التوراة: «قال الله تعالى لإسحاق: فأكون معك... وأباركك... وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض»، تكوين، الإصحاح (٢٦)، الفقرات (٣- ٥).

(٢) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٣٨).

(٣) في نسخة التوراة البابلية كما ذكر الباجي، وليس كما ذكر القرافي من أنه اسمه العيص، وفي السامرية اسمه: العيس. الإصحاح (٢٧)، الفقرة (١)، وهو قريب مما ذكره القرافي.

(٤) لم أصل إلى معنى هذه الكلمة في كتب اللغة، ولعل الكلمة بالمحال، وهو صدور الاحتيال من الأنبياء، والله أعلم.

(٥) في الإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين: «فظهر الرب له -إسحاق- وقال: لا تنزل إلى أرض مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك» الفقرة (٢).

(٦) على التوراة (ص٧٩). ويراجع: الإعلام (ص١٩٦)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦١).

روبيل -عليه السلام- يزني بسرية أبيه

في التوراة: «أن روبيل بكر يعقوب -عليه السلام- زنى بِسُرِّية[1] أبيه وافترشها، فلما حضرت يعقوب الوفاة قرعه وعيره بين إخوته، وقال له: بخست فراشي وامتهَنْته، لست أعطيك السهم الزائد[2]، وكان من سنة إبراهيم -عليه السلام- توريث البكر سهمين، وغيره سهمًا[3].

يقول الإمام القرافي: «فأي حكمة في ذكر هذه القبائح في التوراة، يعير بها سبط عظيم، ومآثر الآباء مفاخر الأبناء؟»، ثم بين أن هذا مناقض لما ورد في التوراة من أن إبراهيم -عليه السلام- أعطى ماله لإسحاق، وحرم إسماعيل، وذلك قوله: «ثم فيه من التناقض أن في التوراة أن إبراهيم -عليه السلام- ورث ماله ولده إسحاق وحرم إسماعيل»[4]، وهي غفلة عظيمة من اليهود وجهالة بكتب الله تعالى، وما دخلها من التبديل والتغيير»، ثم ينفي صدق القصة؛ لما جاء عن رسول الله ﷺ من أن الأنبياء لا يورثون، وذلك قوله: «وأنتم معاشر المسلمين تعلمون أن سيد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب -صلوات الله عليهم-، قال: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**»، فأخبر عن جميع الأنبياء -عليهم السلام- أنهم لا يورثون، وهؤلاء يخبرون في توراتهم أنهم يورثون، فيكون خبر المعصوم مقدمًا على خبرهم وبكون إخبارًا عن تبديل هذا

---

(١) السُّرِّية: بضم السين المشددة، وكسر الراء المشددة: الجارية المتخذة للملك والجماع، سمت بذلك؛ نسبة إلى السر، وهو الجماع، وضمة السين للفرق بين الحرة والأمة، وقيل سميت بذلك؛ لأنها موضع سرور الرجل. [لسان العرب (٤/ ٣٥٦)، القاموس المحيط (ص٥١٨)] مادة (سرر).

(٢) تكوين، الإصحاح (٢٩)، الفقرات (٣- ٥).

(٣) سفر التثنية، الإصحاح (٢١)، الفقرات (١٥- ١٨).

(٤) تكوين، الإصحاح (٢٥)، الفقرات (٥- ٧).

الموضع»[١].

وقد ذكر هذه القصة أبو الوليد الباجي، وقال: «... أين هذا مما وعد الله تعالى يعقوب أن يباركه ويبارك زرعه، ويكون معه باطنًا وظاهرًا؟[٢]، ومما وعد أباه[٣] وجده؟[٤]»[٥].

يهوذا بن يعقوب يزني بكنته ثامور

في التوراة: «أن يهوذا بن يعقوب -عليه السلام- زنى بكنته[٦] ثامور، ووهبها على ذلك خاتمه وعصاه، وأنها حملت منه، وصار شهرة في بني إسرائيل»[٧].

يقول الإمام القرافي: «مع أن يهوذا كان حظيًا عند أبيه دعا له بتخليد الملك

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٨٣).

(٢) في سفر التكوين، في الإصحاح الثامن والعشرين: «أن يعقوب -عليه السلام- رأى الله في المنام، وقال له: أنا الرب، إله إبراهيم أبيك، وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض... ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض، وها أنا معك وأحفظك حيث تذهب»، الفقرات (١٢- ١٦).

(٣) مباركة إسحاق في الإصحاح السادس والعشرين، من سفر التكوين، الفقرات (٢- ٧).

(٤) مباركة إبراهيم -عليه السلام- في الإصحاح السابع عشر، من سفر التكوين، الفقرات (١- ١٠).

(٥) على التوراة (ص٨٤). ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤٣)، بين الإسلام والنصرانية (ص٢٩٣، ٢٩٤)، الإعلام (ص١٩٧)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦٧).

(٦) الكنة -بالفتح-: امرأة الابن، وامرأة الأخ، والجمع: كنائن. يراجع: لسان العرب (١٣/ ٣٦٠)، مادة: كنن.

(٧) تكوين، الإصحاح (٣٨)، الفقرات (١٠- ٢٧).

والنبوة في عقبه[(١)]، فلا نبوة يهوذا صانوها عما تليق بأدنى السفلة من الفاحشة، وسوء السمعة، ولا دعاء يعقوب -عليه السلام- صانوه من عدم الإجابة، بل أعقبوه بالعار والفضيحة، وذلك كله ينافيه ما للأنبياء من العصمة»[(٢)].

وقد تناول هذه القصة بالنقد السموأل، واستدل بما جاء فيها على وقوع النسخ الذي ينكره اليهود، وذلك قوله: «في هذه الحكاية دقيقة ملزمة للنسخ، وهي أن يهوذا لما أخبر بأن كَنته قد علقت من الزنى أمر بإحراقها[(٣)]، وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان كانت مقتضية إحراق الزواني، وأن التوراة أتت بنسخ ذلك، وأوجبت الرجم عليهن[(٤)]»[(٥)].

الأسباط -عليهم السلام- يقتلون المؤمنين بغير ذنب:

في التوراة: «أن دينة ابنة يعقوب -عليه السلام- خرجت فرآها سجم بن حمور، رئيس القرية فافترسها، وأنزل العار بيعقوب -عليه السلام- فتنصل حمور إلى يعقوب -عليه السلام- وآمن والتزم الأحكام هو وأهل القرية، وأن بني يعقوب[(٦)] قالوا لأهل القرية: إن أحييتم سنتنا وديننا، فاختتنوا؛ لنصير شعبًا

---

(١) تكوين، الإصحاح (٤٩)، الفقرة (٨).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٨٣).

(٣) تكوين: الإصحاح: (٣٨)، الفقرة: (٢٤).

(٤) سفر التثنية، الإصحاح (٢٢)، الفقرات (٢٢- ٢٥).

(٥) بذل المجهود (ص١٥٤، ١٥٥). ويراجع: الفصل (١/ ١٤٥)، بين الإسلام والمسيحية (ص١٩٥)، الإعلام (ص١٩٧)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦٧)، الانتصارات الإسلامية (ص١٣٩)، هداية الحيارى (ص١٤٠)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (ص٦٥٦).

(٦) في التوراة التي تحت يدي ليس جميع أبناء يعقوب هم الذين قتلوا أهل القرية، بل اثنان منهم وهما: «شمعون ولاوى» ، تكوين، الإصحاح (٣٤)، الفقرة (٢٥).

واحدًا، فلما اختتن كل أهل القرية دخلوا عليهم بالسلاح، وهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم فقتلوهم أجمعين، وأخذوا أموالهم وحريمهم، ولما علم يعقوب بذلك هرب ليلاً على جمل وترك البلاد»[١].

يقول الإمام القرافي: «حكموا على الأنبياء أولاد يعقوب -عليهم السلام- بأنهم قتلوا المؤمنين، ومن لم يؤذهم بسبب من الأسباب، وانتهبوا الأموال والحريم بعد صدور الإسلام منهم، والإنابة إلى الله تعالى، المقتضين لحسن المعاملة، وبسط الإحسان»[٢].

ويقول أبو عبيدة الخزرجي في نقده لهذه القصة: «فما الفائدة في نزول هذا الحديث البشع من السماء على موسى بطور سيناء بعد زهاء أربعمائة سنة؟ يقرءوه الكهان في المعابد على أنه كلام منزل على موسى؟ وإنا لنرى دينة وإخوتها الأسباط وأباها يعقوب أكرم على الله تعالى من أن يجري هذا عليهم، وهم أهل البيت الذين نزل كتاب الله تعالى بتطهيرهم، فقال سبحانه: ﴿... رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]»[٣].

ويضيف أبو الوليد الباجي: «أن هذا لا يكاد العقل يقبله أن يقدر اثنان على قتل أهل مدينة»[٤].

هارون -عليه السلام- يأمر بعبادة العجل:

في التوراة: «أن الذي أمر اليهود بعبادة العجل واتخاذه هو هارون عليه

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح (٣٥) الفقرة: (٥).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٨٣، ٨٤).
(٣) بين الإسلام والنصرانية (ص٢٩٧).
(٤) على التوراة (ص٧٣). ويراجع: الفصل (١/ ١٤٣)، الإعلام (ص١٩٨)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦٨)، الانتصارات الإسلامية (ص١٣٩).

السلام»[١].

يقول القرافي: «مع أن موسى -عليه السلام- استخلفه للإصلاح[٢]، فأمر بالكفر الصراح، وكذبهم دانيال في نبوته، فقال: إن الذي صنع العجل منحا السامري، وكان آباؤه يعبدون البقر[٣]، فاستتابه موسى ونفاه إلى الشام... وهذا موافق للقرآن الكريم»[٤].

داود -عليه السلام- يزني بزوجة أوريا

في التوراة: «أن داود -عليه السلام- اطلع من قصره فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل في دارها، فعشقها، وبعث إليها فحبسها أيامًا حتى حملت، ثم ردها، وكان زوجها يسمى أوريا غائبًا في العسكر، ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت إلى داود -عليه السلام- فبعث داود إلى قائده على العسكر يأمره أن يبعث إليه بأوريا، فجاءه فصنع له طعامًا وخمرًا حتى سكر، وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها، فينسب الحمل إليه، ففهم أوريا ذلك، فتجانب ولم يمش إلى أهله، فلما يئس داود -عليه السلام- منه رده إلى العسكر، وكتب إلى القائد أن يصدر به

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (١ - ٥).

(٢) لم يأت في التوراة ما يدل على أن موسى -عليه السلام- استخلف هارون، وأمره بالإصلاح، بل جاء «وهو ذا هارون وحور معكم، فمن كان صاحب دعوى فليتقدم إليهما»، خروج، الإصحاح (٢٤)، الفقرة (١٤)، لكن القرآن الكريم صرح بذلك، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

(٣) لم أجد ذلك في سفر دانيال، وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد أن السامري هو صانع العجل، ومن ذلك: قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [طه: ٨٧، ٨٨].

(٤) الأجوبة الفاخرة (ص١٥١).

القتال، مستقتلاً له، فقتل أوريا، وقتل معه من المؤمنين سبعة آلاف، ففزع القائد من داود -عليه السلام- لقتل العدد العظيم، فأرسل إلى داود، وقال للرسول: إذا أنت أخبرت داود بقتل السبعة آلاف، ورأيته قد غضب، فقل له سريعًا: إن أوريا قد قتل فيهم، ففعل الرسول، وسكن داود -عليه السلام- بعد الغضب، وسر بموت أوريا، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين»[١].

يقول الإمام القرافي في نقده لهذه القصة مبينًا أن كتابًا اشتمل على هذا لا يكون منزلاً من عند الله تعالى: «فانظر هذه الفواحش العديدة المنكرة، والصفات المستقذرة، هل تليق بأولى الديانات؟ فكيف بمعدن النبوات؟ وهل يحسن ذكرها من ذوي المروءات؟ فكيف يوحى بها إله الأرض والسماوات؟ ... ولو لم يكن في التوراة إلا هذا الموضع لقطع العاقل بتبديلها وتحريفها، وأنها لفقت بالأهواء والأغراض»[٢].

سليمان -عليه السلام- يختم عمره بعبادة الأصنام

في التوراة: «أن سليمان بن داود -عليهما السلام- ختم عمره بعبادة الأصنام»[٣].

يقول الإمام القرافي: «كذبوا. قاتلهم الله، أنى يؤفكون، وصدق الله العظيم، وكتابه الكريم: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ

---

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح (١١)، الفقرات (٨- ٢٦).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٨٧). ويراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٤٧)، بذل المجهود (ص١٤٧)، بين الإسلام والمسيحية (ص٣١٣)، الإعلام (ص١٩٩). وقد استوفى هذه القصة وأجاب عنها جوابًا شافيًا الإمام الرازي في كتابه «عصمة الأنبياء» من (ص٦٣ إلى ص٧٢)، فلتراجع.

(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح (١١)، الفقرات (١- ١١).

سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢]، فلعنة الله، ولعنة الملائكة عليهم، وعلى من يصدقهم إلى يوم الدين»[١].

تعقيب عام للقرافي:

عد أن ذكر الإمام القرافي ما سبق من أخبار مخالفة لما هو ثابت للأنبياء من عصمة، عقب أن ما سبق يناقضه ما جاء من أخبار في التوراة فيها الثناء على هؤلاء الرسل، وذلك قوله: «ثم هذه الحكايات القبيحة، والأكاذيب الشنيعة تبطل بأن التوراة فيها من الثناء العظيم على هؤلاء الرسل الكرام، ثناء يتعذر معه مقاربة هذه الأمور، فضلاً عن ملابستها، وإذا أمعنت النظر بين الفصلين جزمت بأن هذه الفواحش مفتعلات، وأن التوراة امتلأت تبديلات وتغيرات»[٢].

هذا: ولم يسلك هذا المسلك من السابقين واللاحقين غير الإمام القرطبي المحدث ، وما أجمله القرافي هنا فصل فيه القرطبي هناك، وذلك قوله: «من ذلك ما حكى فيها من مدح لوط على لسان إبراهيم، وشهادته له بالبر، وذلك أن الله لما أراد أن يهلك سدوم وعمورا -وهما مسكن لوط- قال إبراهيم -عليه السلام: يا رب، أتهلك الأبرار مع الفجار؟»[٣]؛ يعني بالأبرار: لوطًا وبنتيه، فسماهم أبرارًا، وشهد لهم بذلك بين يدي الله تعالى... وكذلك ما كتبوا فيها من الحكايات التي ذكرناها في ذرية إسحاق يعارضه ما حكوا فيها عن الله تعالى أنه قال لإبراهيم: «لأباركك بركة تامة، ولأكثر من نسلك، ويتبارك بنسلك جميع الشعوب؛ لأنك أطعتني»[٤]، وكذلك قال الله لإسحاق بعد موت إبراهيم: «أنا

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٨٨).

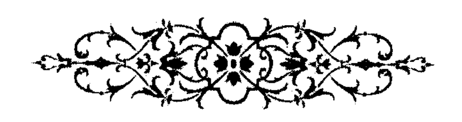
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٨٨).

(٣) تكوين، الإصحاح (١٨)، الفقرة (٢٣).

(٤) تكوين، الإصحاح (٢٢)، الفقرات (١٧- ١٩).

معك أكون، وأباركك؛ لأني أعطيك، ونسلك جميع هذه الممتلكات، ويتبارك بنسلك جميع الشعوب»[١]، وكذلك قال إسحاق ليعقوب: «تعبدك الأمم، وتسجد لك الشعوب، كن رئيسًا لإخوتك، تسجد لك بنو أمك، فباركوك مباركون، ولاعنوك ملعونون»[٢]، ثم قال: «إذا أمعنت النظر، واشتد منك العبر، علمت أن هذه الحكايات بواطل، وأن ملحقها في التوراة وناسبها إلى الله متزندق جاهل»[٣].

والله أعلم



(١) تكوين، الإصحاح (٢٦)، الفقرات (٢- ٥).
(٢) تكوين، الإصحاح (٢٧)، الفقرة (٢٩).
(٣) الإعلام (ص٢٠١، ٢٠٢).

الفرع الخامس
بيان ما في التوراة من وصف الملائكة بما لا يليق

الملائكة خلق كريم على الله تعالى، شعارهم الخشية، وديدنهم الامتثال لأمر الله تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]، أجسامهم نور، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون، ولا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة. وإن كتابًا يصف ملائكة الله تعالى بما لا يليق، يجعل المسلم يرتاب منه، ومن نسبته إلى الله تعالى، وهذا ما فعله الإمام القرافي تجاه التوراة في وصفها الملائكة بما لا يليق، إذ وجد فيها أمورًا لا تليق بحال الملائكة الكرام، ومن هذه الأمور:

يعقوب -عليه السلام- يتصارع مع المَلك ويغلبه

في التوراة: «أن يعقوب -عليه السلام- عند منصرفه طالبًا بلاده تصارع مع المَلك فغلبه يعقوب -عليه السلام-، وتألم ورك يعقوب، وصار المَلك في يده مقهورًا، حتى قال له: دعني وأبارك لك، فترك اليهود: أكل عرق الفخذ لذلك»(١).

يقول الإمام القرافي: «جعلوا الملائكة والأنبياء -عليهم السلام- مثل الصبيان يتصارعون، وأنهم في هيئة من يفزع قلبه وقالبه، وأعرض عن مراقبة مولاه، واشتغل بهواه»(٢).

وابن حزم في نقده لهذا الكلام يؤكد أن المصارع مع يعقوب -عليه السلام- هو الله تعالى مستدلاً بدلالة السياق، وذلك قوله: «هؤلاء وصفوا الله تعالى بفعل

---

(١) تكوين، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (٢٤- ٣٢).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٢).

أهل البطالة، ثم لم يكتفوا أن وصفوه بعجزه عن أن يصارع يعقوب عليه السلام، ويرفض ابن حزم قول من يقول: إن المصارع ملك من الملائكة بدليل قوله يعقوب -عليه السلام-: «كنت قويًا على الله، فكيف على الناس»، وقوله: «رأيت الله مواجهة وسلمت نفسي»[١]، ثم قال ابن حزم: «وعلى فرض كونه ملكًا -كما يدعون- لكان من الخطأ تصارع ملك ونبي لغير معنى، فهذه صفة المتَّحِدَين في العنصر، لا صفة الملائكة والأنبياء»[٢].

واختار الباجي أيضًا استدلالاً بالسياق أن المصارع هو الله تعالى، وقال في نقده له: إن فيه نسبة عدم العلم إلى الله تعالى؛ لأنه سأله عن اسمه، وفيه: أن الله تعالى يتعامل بالعوض؛ لأنه لم يباركه إلا إذا أطلقه[٣].

الملائكة تأكل اللحم والفطير:

في التوراة: «أن إبراهيم -عليه السلام- لما مرت به الملائكة لهلاك سدوم وعامور -مدائن قوم لوط عليه السلام- أضافهم وأطعمهم خبزًا ولحمًا، وسقاهم سمنًا ولبنًا[٤]، ولما أتوا عند لوط -عليه السلام- عشاهم فطيرًا[٥].

يقول الإمام في نقده لهذا الكلام مخاطبًا اليهود:

كيف تقولون: إن الملائكة أكلت عند إبراهيم ولوط -عليهما السلام-

---

(١) تكوين، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (٢٨، ٣٠).
(٢) يراجع: الفصل، (١/ ١٤١، ١٤٢).
(٣) يراجع: على التوراة (ص٨٢، ٨٣). ويراجع: بين الإسلام والنصرانية (ص٣٠٦)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٢٦٩)، هداية الحيارى (ص١٤٠)، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح (١/ ١٧٥).
(٤) تكوين، الإصحاح (١٨)، الفقرات (١ - ٩).
(٥) تكوين، الإصحاح (١٩)، الفقرة (٣).

وتنكرون النعيم الجسماني في الجنة قائلين: إنه لا طعام في الجنة، ولا شراب ولا نكاح؟[١] بل حال أهل الجنة، كحال الملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

ثم يقسِّم القرافي المسألة إلى أمرين ويسبرهما فيقول: «فإن كان هذا صحيحًا، فإنكارهم على المسلمين باطل، وإن كان باطلاً فتكون التوراة مشتملة على الباطل، فهي مشتملة على الباطل على كل تقدير»، ثم يقول: «مع أنا نقطع بأن الملائكة -صلوات الله عليهم- لم يأكلوا عندهما شيئًا لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ [هود: ٧٠]، فإن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، بل أجسام روحانية، غذاؤهم روحاني لا يعرفه اليهود»[٢].

والله أعلم



(١) يراجع: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، لابن كمونه اليهودي (ص٢٧)، دار الأنصار، القاهرة، بدون تاريخ.

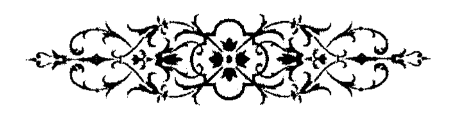
(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٨٢، ص١٤٩).

المطلب الثالث
موقف اليهود من النسخ ورد القرافي عليهم

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: تعريف النسخ وبيان حكمته.

المسلك الثاني: شبه اليهود على النسخ ورد القرافي عليها.



المسلك الأول
تعريف النسخ وبيان حكمته

أولاً: تعريف النسخ:

النسخ لغة: الإبطال والتغيير والإزالة.

جاء في «لسان العرب»: «النسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، وفي التنزيل: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ونسخ الشيء بالشيء ينسخه، وانتسخه: أزاله به، والشيء ينسخ الشيء نسخًا؛ أي: يزيله، ويكون مكانه، والعرب تقول: نسخت الشمس الظل، وانتسخته: أزالته»[١].

وفي القاموس المحيط: «نسخ الآية بالآية: إزالة حكمها، ونَسَخَهُ: غَيَّرَهُ، ونسخت الريح آثار الديار: غيرتها»[٢].

والنسخ شرعًا: أن يرد دليل شرعي متراخيًا عن دليل شرعي مقتضيًا خلاف حكمه[٣]، وليس معنى النسخ أن الله أمر أو نهى أولاً، وما كان يعلم عاقبته، ثم بدا له، فنسخ الحكم الأول؛ لئلا يلزم الجهل، بل معناه: أن الله تعالى كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقيًا على المكلفين إلى الوقت الفلاني، ثم ينسخ، فلما جاء

---

(١) لسان العرب (٣/ ٦١)، مادة (نسخ).
(٢) تاج العروس (١٨٥٦)، مادة (نسخ).
(٣) يراجع: اللمع في أصول الفقه، لأبي إسحاق الشيرازي (ص٢٩)، دار/ الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ. الإحكام في الأصول الأحكام، لسيف الدين الآمدي (٣/ ١٠٤، ١٠٥)، ت/ عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ. الغنية في أصول الدين (ص١٥٥).

الوقت كان حكم آخر، ظهر منه الزيادة أو النقصان، أو الرفع مطلقًا[(١)].

ولا يشترط أن يُعلم الله عباده بوقت النسخ قبل وقوعه، يقول ابن حزم: «ليس معنى النسخ إلا أن يأمر الله عز وجل أن يُعْمَل عملٌ ما مدة، ثم ينهى عنه بعد انقضاء تلك المدة، ولا فرق في شيء من العقول بين أن يعرف الله عباده، ويخبرهم بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به، ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك، وبين أن لا يعرفهم به؛ إذ ليس عليه شرط بأن يعرف عباده بما يريد أن يأمرهم قبل أن يأتي الوقت الذي يريد إلزامهم فيه الشريعة»[(٢)].

والنسخ لا يطرأ على القصص ولا على الأمور القطعية العقلية، مثل: أن صانع العالم موجود، ولا على الأمور الحسية، مثل: ضوء النهار، وظلمة الليل، ولا على الأدعية، ولا على الأحكام التي تكون واجبة نظرًا إلى ذاتها، مثل «آمنوا، ولا تشركوا»، ولا على الأحكام المؤبدة، مثل قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ [النور: ٤]، ولا على الأحكام المؤقتة، ولما يأتي وقتها كقوله تعالى: ﴿... فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩]، بل يكون في الأحكام العملية التي تحتمل الوجود، والعدم، وغير المؤبدة، ولا المؤقتة[(٣)].

ثانيًا: الحكمة من النسخ:

إن معرفة الحكمة تريح النفس، وتزيل اللبس وتعصم من الوسوسة والدس، ولذا يجدر بنا أن نذكر حكمة الله تعالى في النسخ، فنقول: إن لله حكمًا

---

(١) يراجع: إظهار الحق (١/ ٣٤٥)، الجواب الفسيح (٢/ ٤١٩).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٠١).

(٣) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٣)، إظهار الحق (١/ ٣٤٥)، الجواب الفسيح (٢/ ٤١٩)، غاية الوصول إلى دقائق علم الأصول، د. جلال الدين عبد الرحمن (ص٣٨)، دار الصفوة، ذيل الفارق بين المخلوق والخالق (ص٤٨).

كثيرة في النسخ، منها:

١- أن الأعمال البدنية إذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة، وظُنَّ أنها مطلوبة لذاتها، فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده، بخلاف ما إذا تغيرت تلك الطرق، وعلم أن المقصود من الأعمال إنما هو دعاية أحوال القلب والروح في المعرفة والمحبة، فإن الأوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر إلى تطهير السرائر(١).

٢- أن الخلق طبعوا على الملالة من الشيء، فُوضِعَ في كل عصر شريعة جديدة؛ لينشطوا في أدائها(٢).

ومن الحكم في نسخ ديننا الحنيف لسائر الأديان قبله:

١- إظهار شرف نبينا ﷺ؛ فإنه نسخ بشريعته شرائعهم، وشريعته لا ناسخ لها؛ لأنه نبي الساعة(٣).

٢- نسخ ديننا لسائر الأديان قبله راجع أيضًا إلى أن تشريعه أكمل تشريع يفي بحاجات البشرية في مرحلتها التي انتهت إليها بعد أن بلغت أشدها واستوت.

وبيان ذلك:

أن النوع الإنساني تقلب كما يتقلب الطفل في أدوار مختلفة، ولكل دور من هذه الأدوار حال تناسبه، غير الحال التي تناسب دورًا غيره، فالبشر أول عهدهم بالوجود كانوا كالوليد في أول عهده بالوجود سذاجة وبساطة وضعفًا وجهالة،

(١) يراجع: المطالب العالية من العلم الإلهي، (١/ ١٢٤).
(٢) غاية الوصول إلى دقائق علم الأصول (ص٢٢).
(٣) الجواب الفسيح: (٢/ ٤١٧).

ثم أخذوا يتحولون من هذا العهد رويدًا رويدًا، ومرت عليهم أعراض متباينة من ضآلة العقل، وعماية الجهل، وطيش الشباب، وغشم القوة على تفاوت في ذلك بينهم، اقتضى وجود شرائع مختلفة لهم، حتى إذا بلغ العالم أوان نضجه واستوائه وربطت مدنيته بين أقطاره وشعوبه جاء هذا الدين الحنيف ختامًا للأديان، ومتممًا للشرائع، وجامعًا لعناصر الحيوية ومصالح البشرية، ومرونة القواعد بين مطالب الروح والجسد، وآخى بين العلم والدين، ونظم علاقة الإنسان بالله، وبالعالم كله... مما جعله بحق دينًا عامًّا خالدًا إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها»[1].

والله أعلم



---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٢/ ١٩٤، ١٩٥)، دار/ إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

المسلك الثاني
شبه اليهود على النسخ ورد القرافي عليها

النسخ عند اليهود:

يتفق اليهود فيما بينهم على شيء واحد، وهو أن الشريعة الإسلامية لم تنسخ شريعتهم، ولكنهم يفترقون فيما عدا هذه الجزئية ثلاث فرق، لكل منها موقفها الخاص من النسخ.

فالشمعونية[١] تقرر أن النسخ لا يجوز عقلاً، ولم يقع سمعًا، وهؤلاء هم الذين يربطون بين النسخ والبداء، ويرفضون النسخ لما يتوهمون فيه من البداء، وهم الذين يقولون: إن النسخ فيه قلب للحقائق -كما سيأتي-.

والعنانية[٢] ترى أنه لا بأس بالنسخ في حكم العقل، لكنه لم يقع.

والعيسوية[٣] تذهب إلى أن النسخ جائز في حكم العقل، وأنه قد وقع فعلاً، لكنها تمنع أن تكون شريعة محمد ﷺ ناسخة لشريعة موسى -عليه السلام-؛ لأن

---

(١) نسبة إلى شمعون الصديق الذي كان واليًا على القدس عند قدوم الإسكندر إليها. المواعظ والاعتبار: (٣/ ٧٣٣).

(٢) نسبة إلى رجل يقال له: عنان بن داود، وهذه الفرقة تخالف اليهود في السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد، ويذبحون الحيوان على القفا، ويصدقون عيسى في مواعظه وإشاراته، إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته. يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٩٩)، الملل والنحل (١ / ٢١٥).

(٣) نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، الذي كان في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية، فاتبعه بشر كثير من اليهود، كان يزعم أنه نبي، وأنه رسول المسيح المنتظر، وأن الله كلمه، وكلفه أن يخلص اليهود من أيدي الأمم، وكان يحرم الذبائح كلها، وينهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق. يراجع: الفصل (١/ ٩٩)، الملل والنحل (١/ ٢١٥) وما بعدها.

رسالة محمد ﷺ كانت خاصة بالعرب، ولم تكن لجميع الناس»[١].

ومن خلال ما سبق يظهر أن اليهود لم يتفقوا فيما بينهم على الربط بين النسخ والبداء، وأن ما درج عليه المؤلفون في هذه القضية فيه نظر؛ لأنه كما يظهر من الكلام السابق أن العنانية تجيزه عقلاً، والعيسوية لا ينكرون وقوعه، ولو أن بين النسخ والبداء عند اليهود جميعًا تلازمًا، لما أجاز فرقتان من فرقهم صحته عقلاً، ولما قالت العيسوية بوقوعه[٢].

وبعد بيان موقف اليهود من النسخ نذكر شبههم التي ذكرها القرافي عنهم أولاً، ثم جواب القرافي عنها:

أولاً: شبه اليهود:

الشبهة الأولى: قالوا: إن المسلمين يدعون أن الشريعة المحمدية نسخت كثيرًا من أحكام التوراة، كتحريم الشحوم[٣]، ولحوم الإبل[٤]، وصيد

---

(١) يراجع: النسخ في القرآن الكريم «رسالة دكتوراة منشورة» د. مصطفى زيد (١/ ٢٧) وما بعدها، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٣٨٣هـ. ١٩٦٣م. نظرية النسخ في الشرائع السماوية، د. شعبان محمد إسماعيل (ص٢٧) وما بعدها، دار/ السلام، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢) ينظر: نظرية النسخ (ص٢٨).

(٣) ورد تحريم الشحوم في الإصحاح الثالث من سفر اللاويين «فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم، لا تأكلوا شيئًا من الشحم، ولا من الدم» الفقرة (١٧).
وفي القرآن الكريم: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(٤) في سفر التثنية، الإصحاح الرابع عشر: «وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفا، وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر، ومما يشق الظلف المنقسم، الجمل والأرنب والوبر... فهي نجسة لكم» الفقرة (٧).
وفي القرآن الكريم: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ...﴾ ذكر ابن كثير في

السبت[١]، ومخالطة الحائض[٢]، وتحريم اليسير من الخمر[٣] ونحو ذلك،

=

«تفسيره» (ج٢/ ص١٨٨): أن كل ذي ظفر -كما قاله ابن عباس-: هو الإبل والنعام.
وقد جاء نسخ تحريم الشحوم والإبل في شريعتنا في قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: «واعلم أن هذه السورة مكية بيَّن الله فيها أنه لا محرم إلا هذه الأربعة، ثم أكد ذلك في سورة النحل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [النحل: ١١٥]، وكلمة «إنما» تفيد الحصر، فقد حصلت لنا آيتان مكيتان يدلان على حصر المحرمات في هذه الأربعة، وبين في سورة البقرة، وهي مدنية أنه لا محرم إلا هذه الأربعة، فقال: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣]» [التفسير الكبير (١٣/ ١٧٩، ١٨٠)].

(١) جاء تحريم السبت في التوراة في سفر الخروج، الإصحاح (١٦)، الفقرات (٢٢- ٢٩)، والإصحاح (٣٥)، الفقرات (١- ٣)، وفي سفر اللاويين، الإصحاح (١٦)، الفقرة (٢١)، والإصحاح (٢٣)، الفقرة (٣).
وقد ذكر القرآن الكريم تعديهم في السبت، مما يدل على أنه كان محرمًا عليهم، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

(٢) في التوراة: «أن الحائض نجسة سبعة أيام، وكل من مسها يكون نجسًا، وكل ما تضطجع عليه يكون نجسًا، وكذلك كل من مس فراشها، أو مس متاعًا تجلس عليه» سفر اللاويين، الإصحاح (١٥)، الفقرات (١٩- ٢٤).
وقد جاء في شريعتنا: أن كل شيء يباح من الحائض إلا الجماع، قال ﷺ: **«اصنعوا كل شيء إلا النكاح»** [رواه مسلم، ك: الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها، حديث رقم (٣٠٢)، ورواه الإمام أحمد، حديث رقم (١٢٣٧٦)، (٣/ ١٣٢)، عن أنس].
وعن أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه فوق الإزار وهن حيض» [رواه مسلم، ك: الحيض، باب: مباشرة الحائض فوق الإزار، حديث رقم (٢٩٤)].

(٣) تعارضت نصوص كتب اليهود في تحريم الخمر وتحليلها، فتارة تخبر بأن الخمر مباركة،
=

والنسخ محال؛ لأنه يقتضي تجويز البداء[1]، أو الندم على الله تعالى، وهو محال فالنسخ محال، فتكون شريعة التوراة مستمرة إلى قيام الساعة، والشريعة المدعية للنسخ باطلة، وهو المطلوب[2].

الشبهة الثانية: قالوا: النهي يعتمد المفاسد الخالصة أو الراجحة، فلو جاز نسخه بعد ذلك؛ لزم تجويز أمر الله وإذنه في فعل المفاسد الخالصة أو الراجحة، وذلك على الله تعالى محال، بناء على التحسين والتقبيح؛ لأن الفعل إن كان مصلحة في نفسه وجب ألا يحرم، وإن كان مفسدة وجب ألا يؤمر به، فالقول

=

كما جاء في سفر التثنية: «ويبارك ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، وقمحك وخمرك وزيتك» [الإصحاح (٧)، الفقرة (١٣)، وتارة يأمر الأنبياء بشربها، ويشربونها الناس، كما فعل داود مع بني إسرائيل. يراجع: سفر صموئيل الثاني، الإصحاح (٦)، الفقرة (١٨).

وتارة ثالثة تأمر بعدم شربها، وأن شاربها مستحق العقاب، فقد جاء «من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل، وخمرًا ومسكرًا لا تشرب» سفر القضاة، الإصحاح (١٣)، الفقرة (١٤)، وجاء أيضًا: «لمن الويل؟ لمن الشقاوة؟ ... للذين يدمنون الخمر» سفر الأمثال، الإصحاح (٢٣)، الفقرة (٢٩).

وقد جاء التصريح بالتحريم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

(١) البداء في اللغة: الظهور، تقول: بدا الشيء يبدو بدوًا، وبداء: ظهر، وبدا له في الأمر: نشأ له فيه رأي آخر [لسان العرب (١٤/ ٦٥)، تاج العروس (٨٢٨٦/ ٨٢٨٧) مادة: (بدا).

وفي الاصطلاح: استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم، كأن يستصوب المرء رأيًا، ثم ينشأ له رأي جديد لم يكن معلومًا له. يراجع: الناسخ والمنسوخ، لقتادة بن دعامة السدوسي (ص٦٣)، ت/ د. حاتم صالح الضامن، الرسالة، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٩هـ، التعريفات، (ص٦٢).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٥٩).

بالنسخ يؤدي إلى انقلاب الحقائق، بأن يصير الحسن قبيحًا، والقبيح حسنًا، وقلب الحقائق محال، فالنسخ محال[(١)].

الشبهة الثالثة: تمسكوا بنصوص من التوراة تفيد دوام شريعة موسى -عليه السلام- من هذه النصوص: «تمسكوا بالسبت أبدًا»[(٢)]، «تمسكوا بالسبت ما دامت السماوات والأرض»[(٣)]، وقالوا: هذه نصوص متواترة، والتواتر حجة، فتكون شريعة السبت باقية، والقول بنسخها باطل[(٤)].

ثانيًا: رد الإمام القرافي على تلك الشبه:

سلك الإمام القرافي في رده على ما ذكر اليهود من شبه -تعللوا بها في إنكارهم النسخ طريقين-: فطريق فنَّد فيه شبههم وأبطلها، وطريق ذكر فيه الأدلة على جواز النسخ ووقوعه.

الطريق الأول: تفنيد الإمام القرافي للشبه:

١- الرد على الشبهة الأولى:

١- أجاب الإمام القرافي عن الشبهة الأولى التي مبناها أن النسخ محال لما فيه من الندم والبداء، بأن البداء والندم يقومان على الجهل، والجهل محال عليه تعالى، وذلك قوله: «النسخ ليس فيه بداء ولا ندم؛ لأن الندم والبداء أن يظهر ما لم يكن ظاهرًا قبل ذلك، كما يبدو للإنسان في سفره أو يندم عليه إذا ظهر له أن الإقامة هي المصلحة، وقبل ذلك كان جاهلاً لمصلحة الإقامة، والله سبحانه

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٥٩)، شرح تنقيح الفصول (ص٢٨١).

(٢) سفر الخروج، الإصحاح (٣١)، الفقرات (١٦، ١٧).

(٣) لم أجد هذا النص في التوراة التي تحت يدي، ولعله في نسخة اطلع عليها القرافي، وليست موجودة اليوم.

(٤) شرح تنقيح الفصول (ص٢٨٣).

وتعالى بكل شيء عليم».

ثم يتخيل الإمام القرافي أن التباس النسخ بالبداء لعله من عدم فهم معنى النسخ، فيبين الإمام القرافي معناه، وأنه مفارق للبداء، فيقول: «لكن معنى النسخ: أن الله سبحانه وتعالى علم في الأزل أن تحريم الشحوم مثلاً مصلحة للمكلفين في الآن الفلاني، ومفسدة للمكلفين في الزمن الفلاني، ويعلم في الأزل أنه تعالى يشرعه في وقت المصلحة، وينسخه في وقت المفسدة، فالحكم الناسخ والحكم المنسوخ كلاهما معلوم لله تعالى أزلاً وأبدًا، ولم يتجدد في العلم ما لم يكن معلومًا حتى يلزم البداء، بل الأحكام تابعة لمصالح الأوقات واختلاف الأمم، وليس في هذا شيء من المحال[1].

٢- ويدفع القرافي أيضًا نفي اليهود للنسخ لما فيه من الندم والبداء بأن ما أنكروا لأجله النسخ موجود في توراتهم فيقول: «في التوراة ما هو أشد من الندم والبداء، ففيها مرض ملك اليهود حزقيال، فأوحى الله تعالى إلى إشعياء -عليه السلام-: قل لحزقيال يوصي فإنه يموت من علته هذه، فأخبره، فبكى حزقيال، وتضرع، فأوحى الله تعالى إلى إشعياء أنه يقوم من علته، وينزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام، وقد زيد في عمره خمس عشرة سنة»[2].

ثم يعقب قائلاً: «فمستندهم في إحالة النسخ على البداء يبطل بمثل هذا إلزامًا لهم»[3].

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٥٩).

(٢) سفر الملوك الثاني، الإصحاح (٢٠)، الفقرات (١- ٦)، سفر إشعياء، الإصحاح (٣٨)، الفقرات (١-٦).

(٣) نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩). وينظر أيضًا: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٥٠)، إظهار الحق (١/ ٣٦٤).

ويعالج ابن حزم هذه القضية -إنكارهم النسخ لما فيه من البداء- بأن ما أنكروا لأجله النسخ هم يعتقدونه لوجوده في توراتهم، فيقول: «في توراتهم البداء الذي هو أشد من النسخ؛ وذلك لأن فيها أن الله قال لموسى -عليه السلام-: سأهلك هذه الأمة، وأقدمك على أمة أخرى عظيمة، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى في أن لا يفعل، حتى أجابه، وأمسك عنهم(١)، وهذا هو البداء بعينه»(٢).

والسموأل يلزمهم من توراتهم إما أن يقولوا بالنسخ الذي يرفضونه، أو يقبلوا البداء الذي يحيلونه، فيقول لهم: «أليس عندكم أن الله تعالى اختار من بني إسرائيل الأبكار ليكونوا خواصَّ في الخدمة للأقداس؟»(٣)، ثم يجيب عنهم بقوله: «فيقولون: بلى»، فنقول لهم: «أليس عندكم أن موسى -عليه السلام- لما نزل من الجبل وبيده الألواح، ووجد القوم عاكفين على العجل، وقف بطرف العسكر ونادى: من كان لله فليحضرني، فانضم إليه بنو ليوي، ولم ينضم إليه البكور»(٤)؟

على أن مناداته، وإن كان لفظها يقتضي العموم لم يكن أشار بها إلا إلى البكور؛ إذ هم خاصة الله يومئذٍ دون أولاد ليوي، فلما خذله البكور، ونصره أولاد ليوي، قال الله لموسى: «قد أخذت الليويين عوضًا عن كل بكر في بني إسرائيل»(٥).

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (٩- ١٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ١٠١).

(٣) سفر الخروج، الإصحاح (١٣)، الفقرة (١).

(٤) سفر الخروج، الإصحاح (٣٢)، الفقرات (١٩- ٢٧).

(٥) الإشارة إلى ذلك في سفر التثنية، الإصحاح (١٠)، الفقرة (٨).

ثم يقول: «وهم لا يقدرون على إنكار ذلك، وهذا يلزمهم منه القول بالبداء أو النسخ»[١].

والألوسي يدفع شبهة البداء بأن هذا بيِّن البطلان؛ لأن النسخ تابع للمصالح، وهي راجعة لأحوال المكلفين وأزمانهم، وذلك لا يستلزم البداء، بل ولا يقتضي أن الله تعالى ظهر له شيء بعد أن لم يكن[٢].

٢- الرد على الشبهة الثانية:

يجيب الإمام القرافي على شبهة اليهود الثانية، التي مفادها أن النسخ محال؛ لأنه يؤدي إلى انقلاب الحقائق طردًا لقاعدة التحسين والتقبيح العقليين بقوله: «إنا نمنع قاعدة الحسن والقبح»، ثم يسلم بتلك القاعدة، وينفي استلزام النسخ لقلب الحقائق؛ لأن النسخ تابع للمصلحة، وهي متغيرة بحسب الأزمنة والأشخاص، وذلك قوله: «أو نسلمها ونقول: لم لا يجوز أن يكون الفعل مفسدة في وقت، مصلحة في وقت آخر، وذلك معلوم بالعوائد، بل اليوم الواحد يكون الفعل فيه حسنًا في أوله، قبيحًا في آخره، كما نقول في الأكل والشرب ولبس الفراء وشرب الماء البارد وغيره، ويحسن جميع ذلك ويقبح باعتبار وقتين من الشتاء والصيف، والحر والبرد، والصوم والفطر، والشبع والجوع، والصحة والسقم»[٣].

ويقول ابن حزم في دحض نفيهم النسخ لما فيه من قلب الحقائق:

«من تدبر أفعال الله كلها وجميع أحكامه وآثاره في هذا العالم تيقن بطلان

---

(١) ينظر: بذل المجهود (ص٩٩- ١٠٢).

(٢) يراجع: الجواب الفسيح (٢/ ٤١٧، ٤١٨).

(٣) شرح تنقيح الفصول (ص٢٨١).

قولهم هذا؛ لأن الله تعالى يحيي ثم يميت، ثم يحيي، وينقل الدولة من قوم أعزة إلى قوم أذلة، ويمنح من يشاء ما شاء من الأخلاق الحسنة والقبيحة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ثم نقول لهم: ما تقولون فيمن كان قِبَلكم من الأمم المقبول دخولها فيكم إذا غزوكم؟ أليس دماؤهم لكم حلالاً، وقتلهم حقًّا وفرضًا وطاعة؟ ولا بد من نعم، فنقول لهم: فإن دخلوا في شريعتكم أليس قد حرمت دماؤهم، وصار عندكم قتلهم حرامًا وباطلاً ومعصية، بعد أن كان فرضًا وحقًّا وطاعة؟ ولا بد من نعم، ثم إن عَدَوْا في السبت وعملوا أليس قد عاد قتلهم فرضًا بعد أن كان حرامًا؟[(١)]، فلا بد من نعم، فهذا إقرار منهم ببطلان قولهم، وإثبات منهم لما أنكروه من أن الحق يعود باطلاً، والأمر يعود نهيًا، وأن الطاعة تعود معصية[(٢)].

٣- الرد على الشبهة الثالثة:

يجيب الإمام القرافي على ما تمسك به اليهود من أن شريعة التوراة أبدية تمسكًا بما نقلوه من التوراة.

بأن هذا النقل غير صحيح، ولا يصح الاعتماد عليه؛ لانقطاع عدد اليهود[(٣)]، وبالتالي انقطع التواتر وعلى فرض صحته، فليس المراد من لفظ التأبيد

---

(١) جاء في سفر الخروج، الإصحاح (٣١)، الفقرات (١٢- ١٥)، الأمر بتعظيم السبت، وأن من دنسه يقتل، ومن عمل فيه عملاً يقتل.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٠٠).

(٣) يقول الإمام القرافي: «وربما خطر بالبال: كيف يعدم اليهود مع تفرقهم في أقطار الأرض؟ فإن العادة تحيل ذلك. ويجيب بقوله: إن اليهود من وقت خروجهم من مصر مع موسى -عليه السلام- وغرق فرعون لم يسكنوا إلا في موضع واحد في التيه، ثم انتقلوا بجملتهم للبيت المقدس، فوجدهم بختنصر هناك بجملتهم، وبقي بعده جماعة يسيرة خرجوا مع دانيال النبي إلى مصر، فأخذهم بختنصر من مصر، وقتلهم، وخرب =

المعنى الظاهر منه، بل المراد به المدة الطويلة.

ثم يسوق نصوصًا من التوراة ورد فيها لفظ التأبيد، ولم يحمله اليهود على ظاهره، ولا يمكن حمله على ظاهره، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من التسوية بين المتماثلين.

ومن هذه النصوص:

١- جاء في التوراة أن العبد يستخدم ست سنين، ثم يعتق في السابعة، فإن أبى العتق، فلتثقب أذنه، ويستخدم أبدًا[١]. يقول القرافي: «مع تعذر الاستخدام أبدًا، بل المقصود بالأبدية فترة العمر فقط».

٢- وجاء فيها: أن البقرة التي أمروا بذبحها تكون لهم سنّة أبدًا[٢]، يقول الإمام القرافي: «ومعلوم أن ذلك ينقطع بخراب العالم، وقيام الساعة».

٣- وجاء فيها: قربوا إليَّ كل يوم خروفين، خروفًا غدوة، وخروفًا عشية قربانًا دائمًا لأحقابكم[٣]. يقول القرافي: «وهم لا يفعلون ذلك»[٤].

ويذهب أبو البقاء الجعفري: إلى أن النص الذي تمسك به اليهود إنما هو من وضعهم، لما أُلْزِموا بما في التوراة والنبوات من الأحكام التي نسخت، ويذهب أيضًا إلى أنه ليس معناه ما قصدوه من التأييد الذي لا ينقطع؛ إذ يحتمل أن يكون

=

إقليم مصر... ثم يقول: واليهود تسلم ذلك، ولا تنازع فيه، أعني: عدم التفرق واجتماعهم أبدًا في مكانٍ واحد» [نفائس الأصول (٣/ ٢٤١، ٢٤٢)].

(١) سفر التثنية، الإصحاح (١٥)، الفقرات (١٢- ١٨).

(٢) سفر العدد، الإصحاح (١٩)، الفقرة (١٠).

(٣) سفر العدد، الإصحاح (٢٨)، الفقرات (١- ٥).

(٤) يراجع: شرح تنقيح الفصول (ص٢٨٣).

في الكلام حذفٌ، والتقدير: تمسكوا بالسبت أبدًا ما لم يأتكم نبي يأمركم بحله، ثم يقول: والدليل على هذا الاحتمال أنه لو قرن بآخر الكلام وسيق معه لم يتناقض ولم ينب عنه، وإذا كان الكلام يقبله حملناه عليه؛ إذ نبوة عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام- لا سبيل إلى ردها.

ويذهب أيضًا: إلى أن لفظ التأبيد ليس على ظاهره، بل هو لدهر مخصوص، وزمان مؤقت بدليل قول الله لنوح: «لا تسكن روحي في البشر إلى الدهر»[1]، ثم ملئ صانع قبة الرُّمان[2] من روح الله تعالى[3]، فواضح أن لفظة الدهر لا تقتضي التأبيد.

ثم يكثر الأدلة من التوراة على أن اللفظة لا تفيد التأييد، ثم يعقب قائلاً: «وإذا قد ثبت بهذه النصوص أن لفظ الدهر لا يقتضي التأبيد... فكذلك لفظ الدهر في تحريم السبت»[4].

الطريق الثاني: أدلة القرافي على جواز النسخ ووقوعه:

الدليل العقلي: يستدل الإمام القرافي على جواز النسخ من ناحية المعقول بأن فيه مراعاة المصالح، ومراعاة المصالح جائزة... على الله تعالى، وهذا يدل على أن النسخ جائز، وهذا قوله: «النسخ على وفق رعاية المصالح، ورعاية المصالح

---

(١) في سفر التكوين: «فقال الرب لنوح: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد» الإصحاح (٦)، الفقرة (٣).

(٢) صانع قبة الرمان هو بصلئيل بن أوري بن حورا من سبط يهوذا. ينظر: سفر الخروج، الإصحاح (٣١)، الفقرة (١).

(٣) سفر الخروج، الإصحاح (٣١)، الفقرات (١ - ٤).

(٤) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٥٠ - ٥٥٣). وينظر: الجواب الفسيح (٢/ ٤١٨).

جائزة على الله تعالى، فالنسخ جائز».

بيان أن النسخ على وفق رعاية المصالح:

أن الأمم مختلفون في القوة والضعف، واليسار والإعسار، ولين القلوب وغلظها، وإقبالها وعتبها، بل الإنسان الواحد تختلف أحواله في الأزمنة المختلفة، فإذا شرع الله حكمًا لمعنى، ثم تغير ذلك المعنى، فمقتضى رعاية المصالح، نسخ ذلك الحكم إلى ضده، أو نقيضه، كما وجب الذبح على إبراهيم لإسحاق -عليهما السلام-[(١)] ليظهر الإنابة والتسليم لقضاء الله تعالى من الاثنين، فلما ظهر ذلك وحصلت مصلحة الابتلاء، فرعاية المصالح تقضتي نسخ وجوب الذبح،

---

(١) يذهب القرافي هنا، وفي مواضع كثيرة من كتبه.
يراجع: نفائس الأصول (١/ ٥٥٠)، (٢/ ٣٨٢)، ٣/ ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٤)، إلى أن الذبيح هو إسحاق، وهذا مروي عن عمر، وعلي، والعباس بن عبد المطلب، وابن مسعود من الصحابة، وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل من التابعين.
والمشهور: أن الذبيح هو إسماعيل -عليه السلام-، وهذا قول ابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسين، والشعبي، ومجاهد، والكلبي، وغيرهم، وهو الراجح.
يقول ابن كثير: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق -عليه السلام-... وليس ذلك في كتاب ولا سنة، ولا أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلمًا من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل -عليه السلام-؛ فإنه ذكر البشارة بغلام حليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١]؛ أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فلا يجوز بعد ذلك أن يؤمر بذبحه وهو صغير. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/ ١٤)، وتراجع المسألة مستوفاة في مفاتيح الغيب (٢٦/ ١٣٣-١٣٥)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ١٩٠)، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣هـ.

فيكون النسخ على وفق رعاية المصالح.

وأما أنه إذا كان على وفق رعاية المصالح يكون جائزًا؛ فلأن رعاية المصالح جائزة على الله تعالى، إذ لا يجب على الله تعالى شيء، وما عُلِّق على جائز فهو جائز، فيكون النسخ جائزًا»[١].

وقد سلك هذا المسلك صاحب «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل»، وبيَّن أننا نتعامل في أحوالنا بمبدأ رعاية المصالح، فقد نأمر بالأمر في وقت لمصلحة، ثم ننهى عنه في وقت آخر لمصلحة أخرى، وذلك مع جهلنا بالعواقب، فما الذي يحيل ذلك من العالم بعواقب الأمور الذي لا يخفى عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؟ وذلك قوله: «فاعلموا أن السيد قد يأمر عبده في وقت بفعل، وينهاه عنه في وقت آخر، لعلمه بمصلحته في إيقاع الفعل، وتركه في الوقتين جميعًا، وكذلك الوالد قد يأمر ولده في أول نشوئه بتحصيل الفضائل، فإذا بلغ مبلغ الرجال أمره بالكسب، ونهاه عما كان يأمره به أولاً؛ لعلمه بمصلحته في الحالين... فما المانع أن يتعبد الله عباده في وقتٍ ثم يأمرهم في وقت آخر بترك تلك التكاليف، واستعمال غيرها؛ لعلمه بكونها مصلحة لهم في ذلك الوقت، والشرائع مصالح العباد، والله تعالى هو العالم بمصلحة عباده على اختلاف أحوالهم وأوقاتهم»[٢]، وابن القيم يحصر الكلام مع اليهود في احتمالين:

فإما أن يقولوا: إن الأحكام مبنية على مراعاة المصالح، وعليه يلزمهم النسخ؛ لأن المصالح تختلف من وقت لآخر، ومن شخص دون غيره، وإما أن لا يعترفوا بذلك، ويلزمهم النسخ بقوله: «فالأمر حينئذٍ أظهر؛ فإنه سبحانه يحلل

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٦١).

(٢) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٢، ٥٤٣).

ما يشاء، والتحليل والتحريم يقع لمجرد مشيئته لا يسأل عما يفعل»[(١)].

أدلة وقوع النسخ:

يقيم الإمام القرافي الحجة على اليهود في إنكارهم النسخ بوقوعه في توراتهم، وهذا في الحقيقة من أقوى الأدلة التي لا يستطيع اليهود دفعها، ومن الأدلة التي ذكرها الإمام ما يلي:

١- في التوراة: «أن آدم -عليه السلام- شرع الله له تزويج الأخ من أخته التي ليست توأمته»[(٢)]، مع الاتفاق على تحريم ذلك بعد آدم -عليه السلام-[(٣)]. يقول الإمام القرافي: «وهذا هو حقيقة النسخ، وقد اعترفوا به فلا يكون محالاً على الله تعالى»[(٤)].

يقول الألوسي في هذه الجزئية: «فلو لم يكن هذا النكاح جائزًا في شريعة آدم وإبراهيم -عليهما السلام- يلزم أن يكون الناس كلهم أولاد زنا، والناكحون

---

(١) يراجع: إغاثة اللهفان (ص٦٤١).
ويراجع: إظهار الحق (١/ ٣٦٦)، الجواب الفسيح (٢/ ٤١٨، ٤٢٠، ٤٣١).

(٢) لم أجد في التوراة تصريحًا ما، يدل على أن آدم -عليه السلام- كان يزوج الأخ من أخته التي ليست توأمته، لكن التصريح بزواج الأخ من الأخت وارد في سفر التكوين إذ ورد أن إبراهيم -عليه السلام- قال عن سارة زوجته: «وبالحقيقة أيضًا هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي» الإصحاح (٢٠)، الفقرة (١٢).

(٣) ورد تحريم الأخت في سفر اللاويين: «عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجها لا تكشف عورتها» الإصحاح (١٨)، الفقرة (٩)، وأيضًا في سفر اللاويين، الإصحاح العشرين، الفقرة (١٧)، وأيضًا في سفر التثنية، الإصحاح السابع والعشرين، الفقرة (٢٢).
وأما تحريم ذلك في شرعنا فقد جاء في قوله الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ ...﴾ [النساء: ٢٣].

(٤) الأجوبة الفاخرة (ص٦٠).

زانين، وواجبي القتل[١] وملعونين[٢]، فكيف يظن هذا في حق الأنبياء؟ فلابد من الاعتراف بأنه كان جائزًا، ثم نسخ[٣].

٢- في التوراة: «أن الله تعالى أبدل ذبح ولد إبراهيم -عليه السلام- بكبش»[٤].

يقول الإمام القرافي: «وذلك أشد أنواع النسخ؛ لأنه نسخ قبل فعل شيء من نوع المأمور به أو أفراده، وإذا شهدت التوراة بأشد أنواع النسخ، فغيره جائز بطريق الأولى»[٥].

٣- في التوراة: «قال الله لموسى -عليه السلام-: اخرج أنت وشعبك؛ لترثوا الأرض المقدسة التي وعدت بها أباكم إبراهيم أن أورّثها نسله[٦]، فلما صاروا إلى التيه، قال الله تعالى: «لا تدخلوها لأنكم عصيتموني»[٧]، يقول القرافي: وهذا هو عين النسخ[٨].

ويقول أبو البقاء الجعفري في هذه الجزئية: «فلم يدخلوها هم، ولا موسى ولا هارون، ولم يدخلها أحد ممن خرج من مصر سوى رجلين: يوشع بن نون،

---

(١) الأمر بقتل من تزوج أخته وارد في سفر اللاويين، الإصحاح (٢٠)، الفقرة (١٧).
(٢) لعن من يتزوج أخته وارد في سفر التثنية، الإصحاح (٢٧)، الفقرة (٢٢).
(٣) الجواب الفسيح، (٢/ ٤٢٢، ٤٢٣). تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٥، ٥٤٦).
(٤) سفر التكوين، الإصحاح (٢٢)، الفقرتان (١٣- ١٤).
(٥) الأجوبة الفاخرة (ص٦٠)، نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩). تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٦)، إظهار الحق (١/ ٣٦٠)، الجواب الفسيح (٢/ ٤١٨).
(٦) سفر الخروج، الإصحاح (٣٣)، الفقرات (١- ٢).
(٧) سفر العدد، الإصحاح (١٤)، الفقرة (٢٣).
(٨) الأجوبة الفاخرة (ص٦٠)، نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩).

وكالاب بن يوفينا، وهو نسخ لشرع موسى نفسه»[(١)].

٤- في التوراة: «لما نظر بنو الله بنات الناس حسانًا، ونكحوا منهم، قال الله تعالى: لا تسكن روحي بعدها في البشر، وإقامتهم مائة وعشرين سنة»[(٢)].

يقو القرافي: «فأخبرت التوراة أنه لا يعيش أحد أكثر من هذا، ثم أخبرت أن أرفخشد عاش بعدما ولد له شالح أربعمائة وثلاث سنين»[(٣)]. «وأرغو عاش مائتي سنة وخمسًا وسبعين سنة»[(٤)].

يقول الإمام القرافي: «وإذا صرحت توراة اليهود بمثل هذه الأمور لا يسمح كلامهم بعد ذلك في النسخ»[(٥)].

ويقول أبو البقاء الجعفري معلقًا على هذه النصوص: «وهذا أشد من البداء والندم؛ لأنه كذب في الأخبار، وإذا كان هذا جائزًا عندكم معشر اليهود، فكيف تمنعون النسخ، وتتعللون بأنه بداء على الله تعالى؟»[(٦)].

٥- يقول القرافي: «الختان كان في شرع إبراهيم -عليه السلام- جائزًا في الكبر[(٧)]، وقد أوجبه موسى -عليه السلام عندهم يوم ولادة الطفل»[(٨)].

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٧).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح (٦)، الفقرات (١- ٤).

(٣) في سفر التكوين، الإصحاح (١١)، الفقرة (١٣).

(٤) في التوراة أنه عاش مائتين وسبعين سنة، تكوين، الإصحاح (١١)، الفقرة (٢١).

(٥) الأجوبة الفاخرة (ص٦١)، نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩).

(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٩).

(٧) اختتن إبراهيم -عليه السلام- كما جاء في التوراة وهو ابن تسع وتسعين سنة. [سفر التكوين، الإصحاح (١٧)، الفقرة (٢٤)، وختن معه جماعة أيضًا كما جاء في نفس الإصحاح.

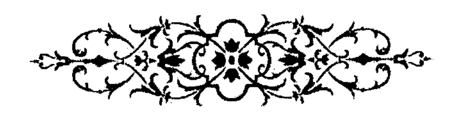
(٨) الذي في التوراة الحالية: أن موسى -عليه السلام- قال له الرب: «... وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته»، لاويين، الإصحاح (١٢)، الفقرة (٣).

٦- يقول الإمام القرافي: «الجمع ببين الأختين كان مباحًا في شريعة يعقوب -عليه السلام-[١]، وحرم ذلك في شريعة من بعده[٢]. ثم يعقب تعقيبًا عامًّا على كل ما سبق فيقول:

«وإذا صرحت توراة اليهود بمثل هذه الأمور، فلا يسمع كلامهم بعد ذلك في النسخ؛ لأنه إذا كان النسخ واقعًا عندهم انقطع العذر، ولم يبق إلا العناد»[٣].

هذا: وقد رتب اليهود على إنكارهم النسخ إنكار نبوة عيسى -عليه السلام-، وأوردوا على ذلك كلامًا مغلوطًا، فنده الإمام القرافي، وهذا بيانه في المبحث التالي -إن شاء الله تعالى-.

والله أعلم



(١) سفر التكوين، الإصحاح (٢٩)، الفقرات (٢١- ٣١).
(٢) سفر التكوين، الإصحاح (١٨)، الفقرة (١٨).
(٣) نفائس الأصول (٣/ ٢٣٩)، وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٤٦).
يراجع: في إنكار اليهود للنسخ، بالإضافة إلى ما سبق، بين الإسلام والمسيحية (٣٢٣- ٣٢٦)، ويراجع: في إنكار النصارى النسخ: إظهار الحق (١/ ٣٥٣- ٣٦٧)، الجواب الفسيح (٢/ ٤٢٤- ٤٣١).

المطلب الرابع
إنكار اليهود نبوة عيسى عليه السلام
ورد القرافي عليهم

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: إنكار اليهود نبوة عيسى عليه السلام (الأسباب والنتائج).

المسلك الثاني: شبه اليهود، ورد القرافي عليها.



المسلك الأول
إنكار اليهود نبوة عيسى عليه السلام
(الأسباب - النتائج)

١- يعتقد اليهود أنهم شعب مختار، وأن وعدًا كان لهم من الله تعالى باصطفائهم على سائر الناس، وتمسكوا في ذلك بنصوص من توراتهم منها: «أنتم تكونون لي مملكة كهنة، وأمة مقدسة»[1].

ومنها: «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»[2].

ومنها: «مباركا تكون فوق جميع الشعوب»[3].

وبالغ اليهود فيما يمكن أن يسمى أرستقراطية دينية، حتى إنهم ليعتقدون أن الفرق بين اليهودي وغيره كالفرق بين الإنسان والحيوان.

وكان اليهود ينتظرون مسيحا ملكا فاتحا من نسل داود عليه السلام يعيد مجد إسرائيل[4] ويجمع شتات اليهود بفلسطين[5] ويجعل أحكام التوراة نافذة المفعول.

وتهيأ الرأي العام اليهودي لهذا المسيح، وكان توقعه يتحدد كلما نزلت باليهود البلايا والمحن[6].

---

(١) سفر الخروج، الاصحاح (١٩)، الفقرة (٦).
(٢) سفر التثنية، الإصحاح (١٧)، الفقرة (٦).
(٣) سفر التثنية، الإصحاح (١٧)، الفقرة (١٤).
(٤) ينظر سفر إشعياء، الإصحاح (٩)، الفقرات (٦-٨).
(٥) يراجع سفر إشعياء، الإصحاح الحادي عشر.
(٦) يراجع محاضرات في النصرانية (ص٢٢)، اليهودية (ص٢١٨) النصرانية والإسلام، للمستشار: عزت الطهطاوي (ص٢٢٦) مطبعة التقدم مصر بدون تاريخ.

فلما جاء عيسى عليه السلام -لم يحفظ لليهود- ما كانوا يعتقدون من ضمانات بل أعلن -كما يقول ويلز- أنه ليس هناك شعب مختار كما زعموا، وأن الله تعالى ليس من المساومين، وأنه لا أحظياء في مملكة السماء، وأنه سبحانه وتعالى، لا يخص جنسًا برعاية، فهو كالشمس ترسل أشعتها للناس سواء بسواء[(١)] ولم يكتف عيسى عليه السلام بهذا، بل بين لهم مساوءهم، ووصفهم بشر الأوصاف وتوعدهم ومن ذلك قوله لهم: «فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم»[(٢)] وأيضا يقول لهم «يا أولاد الأفاعي: كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار»[(٣)] وأيضا «يقول لهم ويل لكم أيها الكتبة[(٤)] والفرِّيسيون[(٥)] المراءون. ويل لكم أيها القادة العميان، أيها الجهال العميان، أيها الفرِّيسي الأعمى، أيها الحيات»[(٦)] ويقول مخاطبًا أورشليم: «يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها»[(٧)].

---

(١) المسيحية، د/ أحمد شلبي: (ص٤٦-٤٧)، مكتبة النهضة المصرية، ط/ العاشرة، ١٩٩٣م.

(٢) متى: الإصحاح: (٥)، الفقرة: (١٢).

(٣) متى: الإصحاح: (١١)، الفقرة: (٣٤).

(٤) تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود اتخذوا كتابة الشريعة مهنة لهم، ويسمون بالحكماء، وبالسادة، وواحدهم لقبه أب، وهؤلاء عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسخوها، فاتخذوا الوعظ وظيفة أخرى لهم بجوار كتابة الشريعة، يراجع: اليهودية (ص٢٣٢)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص٥٦٨)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، بدون تاريخ.

(٥) فرقة يهودية يعتقدون أن التوراة خلقت منذ الأزل، ويسمون الأحبار أو الربانيين، لا يتزوجون ولكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق التبني، يراجع: اليهودية (ص٢٢٧، ٢٢٨)، الموسوعة الميسرة: (ص٥٦٨).

(٦) متى، الإصحاح (٢٣)، الفقرات (١٣-٣٦).

(٧) متى، الإصحاح (٢٣)، الفقرة (٣٧).

٢- من اليهود من علم الديانة رسومًا، وتقاليد يتجهون إلى الأشكال، والمظاهر منها، دون الاتجاه إلى لبها وغايتها، وحتى لقد كان منهم من حجم عن عمل الخير في يوم السبت زاعمًا أنه داخل في عموم النهي عن العمل فيه، فإذا جاء المسيح داعيًا إلى أن ينظروا إلى إصلاح القلب، بدل الأخذ بالمظاهر، والأشكال، فإنه لاشك يصدم هؤلاء فيما يألفون، وفيما وجدوا عليه سابقيهم(١).

٣- اليهود قوم عكفوا على المادة، واستغرقتهم، واستولت على أهوائهم ومشاعرهم، حتى لقد كانت نساكهم وسدنة الهياكل عندهم، -وقد فاتهم العمل على كسب المال من أبوابه الدنيوية يجمعونه- من نذور الهياكل، والقرابين التي يتقرب بها الناس، ويحرصون على ذلك أشد الحرص، وكانوا يأخذون القرابين من أشد الناس حاجة، وأفقرهم، فلما جاء المسيح ندد بذلك(٢).

٤- عدلت شريعة عيسى عليه السلام بعض أحكام التوراة -كما قال تعالى: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٠]، وكما قال هو عن نفسه «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل»(٣)- التي يعتقد اليهود كفر من يعملها، كقدسية السبت وتحريم العمل فيه(٤) وكالدعاء على أورشليم بالخراب(٥).

---

(١) محاضرات في النصرانية (ص٢٢) المسيحية (ص٤٦).
(٢) محاضرات في النصرانية (ص ٢٣).
(٣) متى، الإصحاح (٥)، الفقرات (١٧-١٨).
(٤) ينظر: متى، الإصحاح (١٢)، الفقرات (١-٩).
(٥) متى، الإصحاح (٢٣)، الفقرة (٣٧) وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ١٦٣)، هامش (٣).

كل هذه الأسباب أسفرت عن الآتي:

١- لما جاءهم عيسى عليه السلام -بما لا يطلبون وقفوا مجتمعين في وجه دعوته، ولم يؤمن به إلا نفر قليل منهم، وأثاروا الشبه ضد دعوته، فزعموا أنه ما جاء بمعجزات، وأن ما جاء به إنما هو من الشيطان ومنهم من وصفه بالسحر، ومنهم من زعم أن ما جاء به إنما كان بطريق المهالئة والاتفاق مع أتباعه، ومنهم من زعم أن ما جاء به إنما هو لدقة معرفته بالطب، حتى إنه يبرئ الأكمه والأبرص ويقيم الزمني.

ووصفوه أيضا بأنه ابن زنا، حملته أمه سفاحًا، وأنه مجنون مضلل، صلب ثم دفن في جهنم، وكانت روح الشيطان داخلة فيه، بل هو شيطان في نظر بعضهم[(١)].

وتوارث اليهود الحقد عليه جيلاً بعد جيل، فكلما انطفأت نار الشبه التي يثيرونها أو كادت، أوقدوا غيرها، وما حدث أيام الإمام القرافي، ما هي إلا نوبة، من نوبات اليهود ضد عيسى عليه السلام ودعوته.

٢- لم يكن رفض اليهود لعيسى لذاته، إنما كان لما جاء به من دعوة، ولذلك تعقبوه في زمنه وتعقبوا أتباعه من بعده.

ففي زمنه أخذوا يكيدون له، ويوسوسون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية، والخلافات المذهبية بين اليهود، بل تركوا هذه الأمور لهم يسوسونها فيما بينهم، واليهود

---

(١) يراجع: بذل المجهود (ص١٠٨)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٦٣)، إفلاس الكنيسة، د/ نوح الغزالي، (ص٧١، ٧٢)، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر، ط/ الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

يريدون أن يغروا الرومان بعيسى عليه السلام كيفما كان الثمن، فبثوا حوله العيون يرصدونه ويتسقطون قوله بشأن الحكومة، والحكام، عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها، وينقلونها للحاكم الروماني فلم يجدوا؛ لأن المسيح ما كان يدعو إلا إلى إصلاح الجانب النفسي والخلقي، ولم يكن قد اتجه إلى إصلاح الحكومة بعد.

ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام صلبًا(١).

ولم ينته كيدهم عند نهاية المسيح، بل تعقبوا كل من قام بدعوته بالقتل، والتشريد، والحبس، والجلد، حتى اضطر اتباع المسيح إلى الدعوة خارج بلاد اليهود، ولكن لم تنفع محاولاتهم، ولم تنقذهم من أذى يهود(٢)

وبعد، فما هي الشبه والمحاولات التي قام بها اليهود لتنفيذ مآربهم بشأن إنكار رسالة السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل السلام؟ ذلك ما يعرض له المطلب التالي في الصفحات القادمة...

والله أعلم



(١) محاضرات النصرانية (ص٢٣)، المسيحية (ص٤٧).

(٢) يراجع إفلاس الكنيسة (ص٥٦) وما بعدها.

المسلك الثاني
شبه اليهود ورد القرافي عليها

أولا: شبه اليهود:

الشبهة الأولى: يتخذ اليهود من مسلمات المسلمين سبيلاً للوصول إلى نفي نبوة عيسى عليه السلام فيقولون: أجمع المسلمون -معنا- على صحة شريعة موسى عليه السلام، وأنه الصادق البر وقد قال: (تمسكوا بالسبت ما دامت السماوات والأرض)[1] فلا يكون بعده رسالة أخرى، فتبطل رسالة عيسى عليه السلام[2].

الشبهة الثانية: علم اليهود أن طريق إثبات النبوة، هو الإتيان بالمعجزة، فاستخدموا ما علموا في نفي نبوة عيسى عليه السلام، إذ ذهبوا إلى أنه ما جاء بمعجزة، وإذا لم يأت بمعجزة لم تصح نبوته عليه السلام وذلك قولهم: رسالة عيسى عليه السلام إنما تثبت بالمعجزة، والمعجزة إنما تحصل لمن باشرها، حتى

---

(١) لم أجد هذا النص في التوراة الحالية، ولعله في نسخة اطلع عليها القرافي، وليست موجودة اليوم.

(٢) يلاحظ أن الشبهة لها جانبان فجانب يسلم به المسلمون وهو صحة رسالة موسى، وكونه صادقا برا، وجانب ليس موضع تسليم المسلمين، وهو النص المذكور، فالمسلمون تجاهه بين نافٍ ومثبت، ومن يثبته يحمله على غير ظاهره كما سبق في (ص٣٥٧)، ويلاحظ أيضا: ما يترتب على تسليم المسلمين بهذه الشبهة، وما يرمي إليه اليهود من قولهم أجمع المسلمون معنا، فلو سلم المسلمون بذلك لعادت الشبهة على رسالة نبينا محمد ﷺ بالإبطال.

ومما هو جدير بالذكر أن من اليهود من يعترف بنبوة عيسى عليه السلام وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل، وهؤلاء هم العيسوية من اليهود، أتباع أبي عيسى الأصفهاني. يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٢٩٩) الملل والنحل (١/ ٢١٥ -٢١٦).

نفرق بينها وبين السحر، والسيمياء[١] والشعبذة[٢] ونحن اليهود باشر أسلافنا أمر عيسى عليه السلام وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، وحققوا أمره فوجدوه يتعاطى نوعًا من السيمياء، فيظن الناس أنه أحيا الموتى، وليس كذلك وكذلك، جميع ما يعتقده المسلمون معجزة دالة على صدقه فينبغي تقليدنا؛ لأنا المباشرون لحقيقة ما جاء به، ونحن يستحيل تواطؤنا على الكذب فيكون خبرنا قاطعًا ضروريًا فمن ادعى خلاف ذلك، فدعواه باطلة بالضرورة[٣].

ثانيا: رد الإمام القرافي على هاتين الشبهتين:

الإمام القرافي في رده هنا، يفند الشبه، ثم يذكر أدلته على إثبات نبوة عيسى عليه السلام.

تفنيد الشبه:

لم يتناول الإمام القرافي الشبهة الأولى: بالرد أو التفنيد اعتمادا منه على أنه قد أبطل ما اعتمدت عليه من قبل [٤] وإذا بطل معتمد الشبهة، فالشبهة تبطل من باب الأولى. ولكنه تناول الشبهة الثانية فرد عليها وفندها، وهو في أثناء رده لاحظ أن الشبهة تعتمد على أصلين:

- دعوى أنه لا يقبل في المعجزة إلا قول من باشرها.

- دعوى اليهود نقلهم لما جاء به عيسى -من شعبذة في زعمهم- وهم عدد

---

(١) سبق التعريف بها (ص١٨١).
(٢) الشعبذة: هو الشعوذة والشعوذة: السرعة والخفة من كل أمر، والمقصود بها هنا خفة في اليد، وأخذٌ كالسحر يُرِى الشيءَ بغير ما عليه أصله في رأي العين. يراجع: لسان العرب: (٣/ ٤٩٥)، القاموس المحيط: (٤٢٧)، مادة (شعذ).
(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص٧٠)
(٤) ينظر: (ص٣٥٧).

يستحيل تواطؤهم على الكذب ولذلك قصد إلى إبطال هذين الأصلين، وذلك قوله: أما قولهم: «لا يعلم المعجزة إلا من باشرها» فممنوع، ثم يبين سبب المنع، وهو أنه لا تشترط المباشرة طريقًا للإقرار بالمعجزة دائمًا، وإلا لبقيت معجزة كل نبي قائمة حتى يراها الناس جيلا بعد جيل، بل يكفي للإيمان بها -بعد عصر النبوة- النقل الصحيح المتواتر، وذلك قوله: «بل إذا نقلت أحوال الشخص مع ما ظهر على يديه جزم العقل بنبوته»[(١)].

ثم يرد على الأمر الثاني مبينًا غلطهم في فهم التواتر، وأن ادعاء التواتر لا بد أن يكون في أمر محسوس، والنبوة والرسالة ليستا من الأمور المحسوسة حتى يدعي اليهود أنهم جيلاً بعد جيل عرفوا أمر عيسى عليه السلام، فينبغي تقليدهم فيما عرفوا فيقول: «وأما قولهم: إنهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب فيكون مخالفهم مخالفًا للضرورة، فليس بصحيح، بل هو غلط محض، وجهل صرف، فإن هذه المقدمة إنما تفيد في التواتر والتواتر إنما يفيد في الأمور الحسيات[(٢)] والرسالة والنبوة ليستا من الأمور الحسية، فلا عبرة بكثرة الناقلين فيها، كما لو أخبروا عن قدم العالم، فلا يفيد خبرهم علما»[(٣)].

وإذا اتجهنا نحو السابقين للإمام القرافي نجد السموأل ينفي اعتبار المشاهدة دليلا إلى تصديق النبوات، مقررًا أن المعتبر في ذلك هو التواتر، وأن التواتر بنبوة عيسى أقوى من التواتر بنبوة موسى عليه السلام فيقول: «هذا -مشاهدة

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).
(٢) للتواتر شروط ثلاثة: أن يبلغ رواته عددًا يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، وأن يروا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء، وأن يكون مستندهم الحس من سماع أو مشاهدة. يراجع: المنهل الروي، لابن جماعة (ص٣١) ت د. محي الدين عبد الرحمن - دار الفكر دمشق ط/ ١٤٠٦هـ.
(٣) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).

المعجزات - لعمري ليس طريقًا إلى تصديق النبوات؛ لأن هذا يلزم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام باقية من بعدهم؛ ليراها كل جيل فيؤمنوا بها، وليس ذلك بواجب، لأنه إذا اشتهر النبي في عصر وصحت نبوته في ذلك العصر بالمعجزات التي ظهرت منه لأهل عصره، ووصل خبره إلى أهل عصر، آخر، وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه لأن المتواترات والمشهورات مما يجب قبولها في العقل وموسى وعيسى صلوات الله عليهما في هذه الأمر متساويان، ولعل تواتر الشهادة بنبوة موسى أضعف من تواتر الشهادة بنبوة عيسى، لأن شهادة النصارى بنبوة موسى عليه السلام، ليست إلا بسبب أن كتابهم شهد له بذلك، فتصديقهم بنبوة موسى فرع عن تصديقهم بكتابهم»[١].

ويضيف ابن القيم سببًا آخر يعلل به كون تواتر الشهادات بنبوة عيسى أقوى من تواترها بنبوة موسى عليه السلام، وهو أن هذه الأمة -اليهود- قد مزقها الله تعالى كل مزق، وقطعها في الأرض، وسلبها ملكها وعزها، فلا عيش لهم إلا تحت قهر من سواهم من الأمم، بخلاف أمة عيسى عليه السلام، فإنها قد انتشرت في الأرض، وفيهم الملوك والممالك[٢].

من خلال ما سبق يتضح:

أن اليهود اعتمدوا في شبهتهم على أصلين «المباشرة، ادعاء التواتر» والإمام القرافي في رده لم يحم حول الشبهة كثيرًا، بل أبطل الأصلين، وإذا أبطل ما اعتمدت عليه الشبهة بطلت الشبهة.

وأما السموأل، وتبعه ابن القيم فلم يجيبا إلا على أصل واحد مما اعتمدت

---

(١) ينظر: بذل المجهود: (ص١٠٥-١٠٦).
(٢) ينظر: إغاثة اللهفان: (ص٦٦٠).

عليه الشبهة، مما يجعلنا نقرر: أن رد الإمام القرافي كان أكمل وأوجه، وإن كان في رد السموأل وابن القيم -على الجزء الأول من الشبهة- وضوح، وبيان أكثر مما عند القرافي.

وبعد أن فند الإمام القرافي شبهة اليهود، ذكر الأدلة على نبوة عيسى عليه السلام وهي:

١- **الدليل الأول**: إذا كان اليهود اعتمدوا في نفي نبوة عيسى عليه السلام على مسلمات المسلمين، فإن الإمام القرافي عاملهم بمثل فعلهم، فاعتمد في إثبات نبوة عيسى عليه السلام على ما يعتقده اليهود من أن المعجزة طريق لإثبات النبوة فاتخذ من إتيانه -عليه السلام- بأمور خارقة للعادة، دليلاً على نبوته عليه السلام ويسوق ذلك في صورة قياس حملي فيقول: «النبي من جاء بالمعجزة، وهو عليه السلام جاء بالمعجزة فيكون نبيًّا، أما النبي من هو كذلك فبالاتفاق؛ ولأنّا لا نعني بكونه نبيا غير هذا، وأما أنه عليه السلام جاء بالمعجزة فلأن إحياء الموتى من أعظم المعجزات»[1].

وابن حزم يتخذ من إتيان عيسى بالمعجزة دليلا على نبوته ويؤكد أنه إذا صدق موسى؛ لأنه جاء بالمعجزة، فليصدق عيسى؛ لأنه جاء بالمعجزة أيضا لئلا يلزم التفريق بين المتماثلين فيقول: بأي شيء علمتهم نبوة موسى عليه السلام ووجوب طاعته؟ فلا سبيل إلا أن يأتوا بشيء غير أعلامه وبراهينه الظاهرة فيقال لهم إذا وجب تصديق موسى واتباع أمره؛ لما ظهر من إحالة الطبائع، فلا فرق بينه، وبين من أتى بمعجزات غيرها، وبإحالة لطبائع أخر.

فبضرورة العقل يعلم كل ذي حس أن ما وجب لنوع فإنه واجب لإجزائه

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).

كلها، فإذا كانت إحالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه فوجوب تصديق موسى عليه السلام وعيسى واجب وجوبًا مستويًا ولا فرق بين شيء منه بالضرورة»[1].

ونفس الطريق ولجه السموأل فيقول مخاطبًا اليهود: «ما تقولون في نبوة عيسى ابن مريم؟ فيقولون: ولد يوسف النجار سفاحًا كان قِد عرف اسم الله الأعظم يسخر به الأشياء، فنقول لهم: أليس عندكم في أصح نقلكم أن موسى عليه السلام قد أطلعه على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفا وبه شق البحر، وعمل المعجزات؟[2] فلا يقدرون على إنكار ذلك، فإذا كان موسى عليه السلام، قد عمل المعجزات بأسماء الله، فلم صدقتم بنبوته وكذبتم بنبوة عيسى فيقولون: لأن الله تعالى علَّم موسى الأسماء، وعيسى لم يتعلمها من الوحي، ولكنه تعلمها من حيطان بيت المقدس، فنقول لهم: فإذا كان الأمر الذي يتوصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه من لا يختصه الله به ولا يريد تعليمه إياه فبأي شيء جاز تصديق موسى؟»[3]

وما أجمله السموأل هنا في سؤاله الأخير، فصله ابن القيم بقوله: «هذا يسد عليهم باب العلم بنبوة موسى عليه السلام؛ لأن كلا الرسولين اشتركا في المعجزات، والآيات الظاهرة، التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها فإذا كان أحدهما قد تعلمها بحيلة أو بعلم، فالآخر يمكن ذلك في حقه.... فتكذيب أحدهما،

---

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٠٢).

(٢) معجزة شق البحر وردت في سفر الخروج: الإصحاح: (١٤) الفقرات (٢١-٢٨) وعمل المعجزات، جاء في سفر الخروج: الإصحاح (٤)، الفقرة: (٣٠)، وأما اطلاع موسى عليه السلام على الاسم المركب فلم أجده في التوراة الحالية.

(٣) بذل المجهود في إفحام اليهود (ص١٠٣- ١٠٤).

وتصديق الآخر، تفريق بين المتماثلين وأيضا: فإنه لا دليل لهم على أن موسى تلقى تلك المعجزات عن الله تعالى إلا وهو يدل على أن عيسى تلقاها أيضا عن الله تعالى، فإن أمكن القدح في معجزات عيسى، أمكن القدح في معجزات موسى عليه السلام وإن كان ذلك باطلاً، فهذا أيضا باطل»[١].

ونخلص مما سبق:

أن ما ذكره الإمام القرافي من دليل على إثبات نبوة عيسى عليه السلام إنما هو دليل لإثبات النبوة عمومًا، وهو كاف وقوي في بابه، ولذلك استغنى الإمام القرافي عن إجراء الدليل على نبوة سيدنا محمد ﷺ بخلاف ما ذهب إليه ابن حزم، والسموأل، وابن القيم فإن ثلاثتهم حصروا الاستدلال بالمعجزة في دليلهم على عيسى وموسى عليهما السلام، ثم عقبوا بإجراء الدليل على نبوة محمد ﷺ و هذا يبين لنا أن الإمام القرافي أصاب الهدف من أخصر طريق.

الدليل الثاني:

يستدل الإمام القرافي -أيضا- على نبوة عيسى عليه السلام بأحواله وذلك قوله: «وأحوال المسيح في زهده، وصدقه، وإيثاره لآخرته وإعراضه عن الدنيا أمر معلوم من التواريخ القديمة، والرسائل المنزلة التي قامت المعجزة على تصديق رسلها[٢]، فيحصل القطع بنبوته عليه السلام وهو المطلوب»[١]

---

(١) إغاثة اللهفان (ص ٦٥٨).

(٢) يشير القرافي إلى إخبار النبي ﷺ عن زهد عيسى ابن مريم، فقد روى ابن سعد في طبقاته عن مالك بن دينار أن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى زهد عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر»، الطبقات الكبرى، لابن سعد: (٤/ ٢٢٨)، ت/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط/ الأولى، ١٩٦٨م، وقد جاء في زهده ما أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عن العلاء بن المسيب قال: «قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام: ما تأكل؟ قال: =

وهذه الدليل لم يذكره أحد غير القرافي من السابقين، أو اللاحقين فيما قرأت من كتب في هذا الفصل والله أعلم.

الدليل الثالث:

يلزم الإمام القرافي اليهود بنبوة عيسى عليه السلام بما يمكن أن نسميه عود الشبهة عليهم فما قالوه في نفي نبوة عيسى، يلزمهم في نبوة موسى عليه السلام وجميع رسلهم. فيقول: «وافقت اليهود على ظهور الخوارق على يده، وإنما قالوا هي من قبيل السيمياء وتارة يقولون: هو من قبيل الشياطين، وعلى كل تقدير جميع ما يقولون يلزمهم في قلب العصا ثعبانًا، واليد بيضاء، وفلق البحر، ونتق الجبل، وسائر معجزات رسلهم، ثم يقول: فما هو جوابهم عن معجزات رسلهم عليهم السلام هو جوابنا عن عيسى عليه السلام حرفا بحرف»[٢].

وقد سبق الإمام القرافي إلى هذا الدليل أبو البقاء الجعفري، فذكر وقعة أحيا عيسى فيها ابنة رجل ثم قال: فإن أنكر اليهود ذلك مع تواتره، انعكس عليهم في نبوة أنبيائهم، وإن زعموا أنه فعل ذلك تخييلاً قيل لهم: ولعل قلب العصا حيوانًا يسعى، كان أيضا تخييلاً وشعبذة[٣].

=

خبز الشعير، قالوا: وما تلبس؟ قال: الصوف، قالوا: وما تفترش؟ قال: الأرض» المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، ك: الفضائل، باب: ما ذكر فيما فضل به عيسى عليه السلام، حديث رقم (٣١٨٨١)، (١/ ٣٤٠)، ت/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٠٩هـ.

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٧٠-٧١).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٧٨).

وفي نظري:

أن هذه الدليل الذي ذكره القرافي وأبو البقاء الهاشمي يعتبر من أقوى الأدلة في إثبات نبوة عيسى عليه السلام؛ لأنه يقوم على عود الشبهة عليهم، وإذا عادت الشبهة على الخصم دل ذلك على أن سؤاله لا يصح أصلاً.

الدليل الرابع:

يستدل الإمام القرافي بدليل من التوراة على نبوة عيسى عليه السلام فيقول: «نص التوراة يقتضي نبوته صلوات الله عليه؛ لأن فيها لا يزال الملك في آل يهوذا، والراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح[١] ثم يقول: وكذلك كان، ما زالت لهم ملوك ودول إلى زمن عيسى عليه السلام فصاروا ذمية محقورة، ورعية مأسورة، وهذا شيء لا ينكرونه وهو دليل قاطع على نبوته عليه السلام.

ثم بيّن مكابرة اليهود بزعمهم أن مسيحهم لم يأتِ بعد، وهو آت في آخر الزمان. فقال: «وفي هذا المقام كابرت اليهود، واشتد عنادها، وقالت هو المسيح الدجال الذي يأتي في آخر الزمان، ويزعمون أنه ينصر دين موسى عليه السلام ويظهر الحق على يده، ثم يبين ما في ذلك من المكابرة فيقول: مع أن ملكهم قد ذهب من نحو ألف سنة إلى اليوم -على زمن القرافي- مع أن نص التوراة أنه يستمر حتى يأتي المسيح عليه السلام، وهو مكابرة ظاهرة»[٢].

والله أعلم

---

(١) لم أجد هذا النص في التوراة البابلية، ولا السامرية، ورجعت إلى قاموس الكتاب المقدس فلم أجده.

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٧١/ ٧٢)، وينظر: بذل المجهود (ص١٠٢) وما بعدها، الإعلام (ص١٨٠)، إغاثة اللهفان (ص٦٥٨) هداية الحياري: (ص١٤٣) وما بعدها.

المطلب الخامس
النعيم الأخروي عند اليهود
وموقف القرافي منه

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: اليوم الآخر عند اليهود.

المسلك الثاني: إنكار اليهود النعيم الجسماني في الجنة ورد القرافي عليهم.



المسلك الأول
اليوم الآخر عند اليهود

ليس لليوم الآخر وجود في توراة موسى -الأسفار الخمسة- فلم تشر التوراة إلى شيء يتصل بحياة بعد الموت، بل كل ما فيها من ثواب على الطاعة، وعقاب على المعصية، إنما هو عقوبة، أو ثواب دنيوي معجل، من نصرة على الأعداء وتكثير في الأولاد. وكثرة في نتاج الأرض، وغير ذلك، هذا في جانب الطاعة.

وفي جانب المعصية يكون الجزاء كثرة في الأمراض، وقلة في الأرزاق، وتسليط الأعداء عليهم، ونحو ذلك، أما أن تجد عقابًا أو ثوابًا أخرويًا، أو شيئًا يتصل بها بعد الموت فهذا غير موجود.

وقد لاحظ ذلك علماء المسلمين وغيرهم من علماء أهل الكتاب.

يقول ابن حزم: «ليس في توراتهم ذكر لمعاد أصلاً، ولا لجزاء بعد الموت»[(١)].

ويقول أبو عبيدة الخزرجي مخاطبًا النصارى: «أما التوراة التي بأيديكم، وأيدي اليهود إلى اليوم، فلا ذكر فيها للآخرة، ولا لبعث ولا لحشر الأجساد، ولا لشيء من أحوال القيامة»[(٢)].

ويقول ابن كمونة اليهودي: «إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحًا بالثواب والعقاب الأخرويين»[(٣)].

ويقول سبنيوزا -وهو يهودي-: «إن الشريعة لم تعد العبرانيين بشيء مقابل

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٢٠٧).
(٢) بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤٠).
(٣) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث (ص٤٠).

طاعتهم إلا باستمرار دولتهم، الذي يسعدون به، وبنعم الدنيا، وفي مقابل ذلك فإنها أنذرتهم بسقوط الدولة وبأفدح المصائب لو أنهم عصوا الميثاق ونقضوه»[١].

ويقول ول ديورانت: «على أن اليهود قلما يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا»[٢].

وقد لاحظ ذلك من اليهود المحدثين الدكتور شمعون مويال، فقال: «إن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلمود، فترى الثواب والعقاب ماديين، فهي تقول مثلاً: أكرم أباك وأمك، لأجل أن تطول أيامك على الأرض، وتقول بعد الأمر بالصيام في يوم الغفران: إن كل نفس لا تصوم في ذلك اليوم تقطع من وسط الشعب، أي أن الذي لا يصوم سيكون قصير العمر»[٣].

ونظرة في التوراة تؤكد لنا ما قاله هؤلاء: «فآدم وحواء يؤمران بعدم الأكل من الشجرة، وإلا يموتان موتًا[٤]، وقابيل قاتل أخيه لا تعود الأرض تعطيه قوتها عقابًا على جرمه[٥]، والله عز وجل يبارك نوحًا -عليه السلام- بعد الطوفان، ويعده بالإكثار والإثمار، وملء الأرض بالذرية[٦].

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة (ص١١٧).

(٢) قصة الحضارة: (٢/ ٣٤٥).

(٣) تاريخ الملل والنحل (ص١١٤)، نقلاً عن كتاب التلمود للدكتور/ شمعون، الذي كتبه بالعبرية، وترجمه إلى العربية.

(٤) تكوين، الإصحاح (٣)، الفقرة (٣).

(٥) تكوين، الإصحاح (٤)، الفقرتان (١١- ١٢).

(٦) تكوين، الإصحاح (٩)، الفقرات (١- ٤).

وجزاء إبراهيم -عليه السلام- على طاعته لله تعالى بذبح ولده: أن يباركه الله تعالى وأن يكثر نسله كالنجوم، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، و أن يرث نسله باب أعدائه(١).

وهكذا الحال كل نبي يعد قومه وعدًا دنيويًّا على الطاعة والامتثال، ووعيدًا معجلاً على العصيان وعدم الاستجابة، فإذا جاء موسى -عليه السلام كما في التوراة- قرر هذا المبدأ، أن الجزاء عقاب، وصورته: قحط، وهلاك، وذلة، وعار، واستعباد.

وأن الثواب: زيادة في غلة الأرض، وثمارها، ووفرة في نتاج البهائم، وزيادة في النسل، ونصرة على الأعداء(٢).

وهنا يدور في الذهن سؤالان: لم خَلَت التوراة -أسفار موسى الخمسة- من ذكر شيء يتصل باليوم الآخر؟ ولم كان الجزاء فيها ماديًّا دنيويًّا معجلاً؟

وللإجابة عن السؤال الأول تعددت التعليلات والمحاولات، نذكرها كالآتي:

١- يذهب بعض اليهود إلى أن خلو التوراة من هذا إنما هو أمر تعبدي لا يسأل عنه، بعد تقرير أن موسى ذاع عنه ذلك واشتهر، وذلك قول ابن كمونة: «وخلو التوراة من التصريح بذلك لا يضر، إذا كان قد أنزل على موسى -عليه السلام- وخاطب به بني إسرائيل واستفاض منهم، فإن قيل: فلم لم يكتبه في

(١) تكوين، الإصحاح (٣٢)، الفقرتان (١٦- ١٧).
(٢) يراجع: سفر الخروج، الإصحاح (٢٣)، الفقرات (٢٥- ٣٠)، سفر اللاويين، الإصحاح (٣٦)، الفقرات (٣- ١٨)، سفر التثنية، الإصحاح (٧)، الفقرات (١٣- ١٦)، والإصحاح (١١)، الفقرات (٨- ١٨)، وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص١٣٢)، هامش (٢).

التوراة؟ قيل: إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها، ولا السؤال عنها، بل ربما كان ذلك لحكمة لا نعلمها»[١].

لكن كلام ابن كمونة هذا لا يسلم له؛ لأن معرفة الحكمة وعدمها إنما هو في التكاليف، لا في العقائد، ففي الأمور التكليفية يصح أن يقال: إن الله أمر بكذا، لحكمة لا نعلمها، وأمر بكذا لحكمة، وهي كذا، وكذلك في النواهي، أما في العقائد فلا يصح ذلك فيها؛ لأن الناس تحركهم عقائدهم، فينبغي أن تكون واضحة صافية في الذهن والقلب، معلوم حكمها، فلا ينبغي لعاقل أن يقول مثلاً: كان الله واحدًا، سميعًا، بصيرًا؛ لحكمة لا نعلمها، ولا يصح أن يقال: أرسل الله الرسل لحكمة لا نعلمها، وكذا لا يصح القول: إنه لم يرد في كتاب سماوي عقيدة كذا لحكمة لا نعلمها، إنما ذلك في التكليفات، لا في العقائد. يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام: المشروعات ضربان: أحدهما: ما ظهر لنا أنه جالب لمصلحة، أو دارئ لمفسدة... ويعبر عنه بأنه معقول المعنى.

والضرب الثاني: ما لم يظهر لنا جلبه لمصلحة، أو درؤه لمفسدة، ويعبر عنه بالتعبد[٢]، فظهر أن ذلك لا يكون في العقائد.

٢- ويذهب بعض النصارى في تعليل ذلك إلى: أن موسى -عليه السلام- لم يخبر بذلك مخافة أن يكذبه بنو إسرائيل جملة واحدة فيرجموه؛ لأنهم كانوا يسيئون القول بكل ما يأتيهم به؛ عتوًّا منهم على الله تعالى[٣].

وهذا تعليل غير مقبول؛ لأن فيه أن موسى -عليه السلام- كتم وحي الله

---

(١) ينظر: تنقيح الأبحاث (ص٤٠).
(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام (١/ ص٢٢)، ت/ طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط/ ١٣٨٨هـ.
(٣) ينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤١).

تعالى خوفًا من بني إسرائيل، وهذا ينافي ما هو واجب للأنبياء -عليهم السلام- من صفة التبليغ، وكيف يخاف موسى -عليه السلام- وقد وعده الله تعالى بالأمن فقال: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، هذا فضلاً على أن القرآن الكريم أخبرنا أن موسى -عليه السلام- أعلمهم أن هناك يومًا آخر، قال تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ الآية. [الأعراف: ١٥٦].

ناهيك عن أن كلام ابن كمونة السابق يكذب هذا التعليل؛ إذ فيه أن موسى -عليه السلام- بلغ ذلك، واشتهر عنه، وابن كمونة يهودي، فكلامه مقدم على كلام غيره في هذا الأمر.

٣- ويذهب د/ محمد توفيق صدقي إلى: أن السبب في ذلك، وجود العبرانيين بين المصريين فترة طويلة، واقتباسهم منهم هذه العقيدة التي كانت عالقة بأذهان المصريين كثيرًا... فانتقلت منهم إلى بني إسرائيل، وأصبحت عندهم من الأمور التي لا يترددون في قبولها، ولذا لم يحتاجوا إلى التذكير بها، ويؤكد ذلك بقوله: ولا تنسَ أن بني إسرائيل كانوا من أشد الأمم ميلاً للتقليد، وخصوصًا للأمم الغالبة لهم»[1].

وهذا التعليل غير مقبول أيضًا؛ إذ يقوم على أن زيادة معرفة هذه العقيدة سبب عدم ذكرها، ولعل هذا مقتضٍ أكثر مما هو مانع، ولا سيما إذا لوحظ ما للعالم الأخروي والحياة فيه من رهبة قلبية في النفس يحتاج إليها من يروض ذوي الرقاب الصلبة أمثال هؤلاء، ومعرفتها الكثيرة، لا تقتضي عدم ذكرها؛ لأنهم

(١) ينظر: تاريخ الملل والنحل (ص١١٥)، نقلاً عن كتاب: نظرة في كتب العهد القديم وعقائد النصرانية، للدكتور/ محمد توفيق.

سيتساءلون حتمًا عن رأي دينهم الجديد، وبخاصة حين يرونه يقصر الجزاء على الدنيوي القريب المادي، وها هي ذي إلفتهم للوثنية المصرية قد سببت اتخاذهم العجل الذي حمل عليه موسى -عليه السلام- حملته، فكيف تسبب زيادة معرفتهم للبعث إهمال ذكره، وإغفاله التام؟[1].

٤- ويذكر د/ محمد توفيق تعليلاً آخر فيقول: أو كان السبب في قلة ذكر كتبهم لها: أن الناس كانوا في تلك الأزمنة قصيري الإدراك، بلداء الشعور، وخصوصًا اليهود ذوي الرقاب الصلبة[2]، فلهذا ما كانوا يتأثرون ولا تنفعل نفوسهم بالمواعيد الآجلة، انفعالها بالمواعيد العاجلة التي أكثرت كتبهم من ذكرها لغلظ قلوبهم وقساوتها.

وإذا علم ما لهذه العقيدة من أثر قوي على ذوي الرقاب الصلبة؛ إذ بها يُخَوَّفون وتحرك نفوسهم، ظهر ضعف هذا التعليل؛ إذ البلادة تحوج إلى ذكرها كثيرًا، لا إلى إهمالها تمامًا[3].

٥- ويذكر الشيخ أمين الخولي تعليلاً آخر فيقول: ولعل الأقرب أن يقال: إن التوراة التي بين أيدينا قد أهملت الثواب الأخروي، والبعث إهمالاً واضحًا؛ لاحتمال أن يكون قد سقط منها شيء كان فيه ذكر ذلك.

ثم يرفض هذا بقوله: وهذا مع جوازه فيه شيء من البعد؛ لأن الحديث عن العالم الثاني الذي اختصت الأديان بالتحدث عنه، مما يكثر دورانه في ثنايا

---

(١) تاريخ الملل والنحل (ص١١٦).

(٢) في سفر الخروج، الإصحاح (٣٢)، الفقرة (٩): «وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة».

(٣) يراجع: تاريخ الملل والنحل (ص١١٦، ١١٧).

النصوص الدينية فلا ترد فيه عبارة واحدة، أو عبارات قليلة تسقط كلها[١].

٦- وما ترتضيه النفس ويطمئن إليه القلب: أن خلو التوراة من ذلك إنما سببه أن هذه التوراة ليست توراة موسى -عليه السلام- التي جاء بها، بل هي توراة عزرا، كتبها بعد أمد طويل من مجيء موسى -عليه السلام- في عصر كان اليهود فيه أذلاء، مستعبدين، يتوقون إلى الحرية، ويحلمون بالثروة، فعبر الكاتب عن آمالهم وآلامهم، وخلطها بالأفكار، والقصص التي كانت تتناقلها الأفواه آنذاك، فجاءت على هذه الحال خالية من الإشارة إلى الدار الآخرة؛ لأن ظروفهم الاجتماعية والسياسية كانت قاسية عليهم، فلم يكونوا يفكرون إلا في الخلاص من المآسي المحدقة بهم[٢].

وفي التعليل الأخير إجابة عن السؤال الثاني: لم كان الجزاء ماديًا دنيويًا؟

هذا: ولم تبق كتب اليهود خالية من ذكر لعالم الغيب بعد موسى -عليه السلام-، بل نجد إشارات عن الجزاء عقابًا، وثوابًا، وعن الجنة والنار في الأسفار التي بعد موسى -عليه السلام-[٣]، ولعل أوضحها ما جاء في سفر دانيال: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي»[٤].

والسبب في ذكر ذلك: أنهم أخذوا ذلك عن الفرس بعد فترة السبي البابلي، يقول د/ أحمد شلبي: ومر الزمن واحتل الفرس بلاد بابل ودولتي اليهود، ووقع

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص١١٧، ١١٨).

(٢) يراجع: بين الإسلام والمسيحية، كلام المحقق (ص١٣٣، ١٣٤)، تاريخ الملل والنحل (ص١١٨).

(٣) ينظر: إشعياء، الإصحاح (٦٦)، الفقرة (١٦).

(٤) الإصحاح (١٢)، الفقرة (٢).

الأسر البابلي، ثم سمح ملك الفرس قورش[١] لليهود بالعودة إلى فلسطين، وإعادة بناء معبدهم، وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس واليهود داعية لأن يدرس اليهود الديانة الزرادشتية -ديانة الفرس-، ومن تعاليم هذه الديانة، اقتبس اليهود الاعتقاد في حياة أخرى بعد الموت، ولأول مرة عرفوا أن هناك جنة ونارًا، فنقلوا ذلك الاعتقاد في دينهم[٢].

ويقول د/ محمد شامة: «فإذا تصفحنا الأسفار التي عاش مؤلفوها بعد فترة الأسر، حيث اتصل اليهود بالإيرانيين اتباع زرادشت، نجد فيها إشارات إلى الحياة الأخرى بما فيها من ثواب وعقاب[٣].

وقريب من هذا ما ذكره ابن كمونة اليهودي من أن هذا إنما هو من وضع علمائهم، وذلك قوله بعد أن ذكر الثواب والعذاب الأخرويين: «ولم يبين شيء من ذلك في التوراة، ولكن أحبار الأمة وعلماءها ونقلة شرعهم نقلوه، وذكروا صفة الجنة وجهنم، ووصفوا النعيم والعذاب بأشد استقصاءٍ»[٤].

هذا: ويعقد الإمام القرافي مقارنة بين شرعنا في كثرة ذكره أحوال الآخرة، وبين شريعة بني إسرائيل في قلة ذكر أحوال الآخرة[٥].

---

(١) مؤسس الإمبراطورية الفارسية، ملك فارس من سنة ٥٥٠ ق.م، إلى عام وفاته سنة ٥٢٩ ق.م، ينظر: موسوعة المورد لمنير البعلبكي (ص٢٢)، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ الثالثة عشرة، ١٩٧٩م.

(٢) ينظر: اليهودية (ص٢٠٦).

(٣) بين الإسلام والمسيحية (ص١٣٤).

(٤) تنقيح الأبحاث (ص٢٦).

(٥) لا يقصد الإمام القرافي بشريعة بني إسرائيل التوراة؛ لأنه ليس في التوراة ذكر شيء عن أحوال اليوم الآخر، بل يقصد سائر أسفار العهد القديم، والعهد الجديد، كما هو مفهوم من كلامه في المقارنة.

فيقول: كثر التنبيه على أحوال الآخرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيء في القرآن أكثر من ذكر البعث، وبالغ فيه حتى أخبر وحلف سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧]، وخرَّج البهيقي مجلدًا كبيرًا فيما قال -عليه السلام- في أحوال البعث[١]، وسبب الإكثار عندنا من وجوه:

أحدها: أن بني إسرائيل كثيفو الطباع، والتخويف بالمؤلمات المستقبلات، والترغيب بالمثوبات المستقبلات، إنما يؤثر في وافر العقل كثير الحزم، متوفر اليقظة، وأما الكثيف الطبع فكالبهائم لا يؤثر في زجرها إلا المنخاس المباشر لجلدها، وأما ما يأتي في غد فلا يؤثر في استصلاحها.

ولما جعل الله تعالى هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وافرة الحلوم، كثيرة العلوم، كثيرة الخشية، مراعية للعاقبة، خصها الله تعالى بذكر الأهم من أمر المعاد، ليتوفر عملها لمعادها، ويكثر للقاء الله استعدادها، واقتصر في حق بني إسرائيل بوعدها بعمارة بلادها، وصلاح أجسادها، وتنمية أولادها.

وثانيها: أنهم كانوا عاتين متمردين، والمتمرد إنما يتحدث معه بالزواجر الحاضرة، والمؤلمات العاجلة، وهذه الأمة أشرق إيمانها في صدورها إشراق الشموس، وأتت داعي ربها حين ناداها لهداها ماشية على الرءوس، وقالوا له: اقترح ما شئت فإنا له باذلون، ولسنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون[٢]، فعوملت بالتصريح عن المعنى الصحيح، واطلعت على أسرار

---

(١) هذا المجلد بعنوان: البعث والنشور للبيهقي صاحب السنن، (ت ٤٥٨ هـ).

(٢) يشير إلى ما كان من المقداد بن الأسود في غزوة بدر، عندما استشار النبي ﷺ الصحابة في قتال المشركين، وخص الأنصار بقوله: «أشيروا عليَّ أيها الناس»، فقال المقداد بن الأسود: كأنك تعنينا يا رسول الله نحن الأنصار؟ والله لا نقول لك كما قالت بنو =

الغيب؛ لأنها لا يعتريها الريب، ولله در الشاعر حيث يقول:

والخـــل كالمـــاء يبـــدي لي سرائـــره   مـــع الـصفاء ويخفيهـا مـع الكـدر[١]

وثالثها: أن زمانهم كان أبعد عن القيامة من زماننا، ولم يكونوا يرد عليهم شيء من أشراط الساعة، ونحن قرب زماننا منها، ووردت آياتها علينا، وهو -عليه السلام- أول علامات الساعة[٢]، ثم وردت السنة بعلاماتها، ووقع كثير منها، ونحن نباشره كما قال -عليه السلام- «**تلد الأمة ربتها، وتعالي رعاء الشاء في البنيان**»[٣]، وتبييض القبور، وتشييد القصور، ولا يوقر الصغير[٤] الكبير، إلى

=

إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون... إلخ. يراجع: صحيح البخاري، ك: المغازي، باب: قول الله تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٩]، حديث رقم (٣٩٥٢) (٤/ ١٤٥٦) عن ابن مسعود ﷺ.

(١) البيت لأبي العلاء المعري، وليس في ديوانه، ولا في رسالة الغفران. ينظر: خزانة الأدب، لأبي بكر علي بن عبد الله الحموي (١/ ٤٥٩)، ت/ عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/ أولى، ١٩٨٧م.

(٢) أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» يشير بأصبعيه فيمدهما، ك: الرقائق، باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» حديث رقم: (٦١٣٨)، صحيح البخاري: (٥/ ٣٣٨٥)، وأخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، حديث رقم (٢٩٥٠)، صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٦٨) عن سليمان بن سعد الساعدي، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ، حديث رقم (٥٠)، بلفظ: «**أن تلد الأمة ربها... رعاة الإبل**» [صحيح البخاري (١/ ٢٧)]، وأخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب، ك: الإيمان، باب: الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (١)، باللفظ المذكور، صحيح مسلم (١/ ١٣١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرج الحاكم في المستدرك عن المنتصر بن [illegible] بن أبي ذر الغفاري عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة... ولا يوقر كبير، ولا

=

غير ذلك مما وردت السنة به، فكنا بالحديث في أمر الساعة، والإكثار منه أولى منهم.

ورابعها: أنه سبق في علم الله تعالى بعث محمد ﷺ، وأن يجعله أفضل الرسل وآخرهم، فأخر الله سبحانه وتعالى بسط ذلك ليخصه به، فيكون -عليه السلام- أكثر علمًا وإعلامًا وهداية وإفهامًا، فتكون أمته أكثر فضلاً على الأمم بالعلوم والمناقب، كما فضل مذهبها في شرعها على سائر المذاهب.

وخامسها: أن هذا النبي الكريم أوفر نصيبًا من نعيم الآخرة من سائر الأنبياء -عليه السلام-، وكذلك أمته أكثر اتساعًا في الآخرة في النعيم الجسماني والنفساني من سائر الأمم، وهم أكثر أهل النعيم عددًا كما قال -عليه السلام-: «**إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة**»[1]، فزادوا على سائر الأمم نعيمًا وعددًا، فكان تخصيصهم ببسط أمر المعاد أنسب من غيرهم، فلذلك لا نجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان، وأحوال الجنان والنيران، وما يتفق

=

يرحم صغير...»، قال الذهبي: فيه سيف بن مسكين وهو واهٍ، ك: معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: محنة أبي ذر ﷺ، حديث رقم (٥٤٦٥)، (٣/ ٣٨٦).

(١) أخرجه الحميدي في مسنده من طريق سفيان بن عيينة عن عمران بن الحصين، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا**»، قال سفيان: انتهى حفظي إلى النصف، ولا أعلم إلا أنه قال: «**إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة**». مسند الحميدي (٢/ ٣٦٧)، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، دار/ الكتب العلمية، بيروت.

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق موسى الجهني عن الشعبي، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «**فإن أمتي يوم القيامة ثلثا أهل الجنة، إن الناس يوم القيامة عشرون ومائة صفٍّ، وإن أمتي من ذلك ثمانون صفًّا**» المصنف في الأحاديث والآثار (٦/ ٣١٥)، ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبيه عن أبي هريرة، بلفظ: «**أنتم ثلثا أهل الجنة**»، قال أبو نعيم: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العربي، بيروت، ط/ الرابعة، ١٤٠٥هـ.

في المحشر من الوقائع، وما يكون في القبور قبل ذلك، عند أهل الكتاب، وما علم منه فإنه من خصائص هذه الأمة، ولله الحمد والمنة[١].

تعقيب: نذكر على كلام الإمام القرافي أمرين:

الأول: يلاحظ أن الإمام القرافي لم يشر إلى خلو التوراة من ذكر أحوال يوم القيامة، بل كل ما ذكره هو قلة ذكرها في كتب أهل الكتاب، وكان ينبغي على الإمام القرافي أن يبين موقف التوراة من ذلك؛ لأن خلو كتاب إلهي من ذكر أحوال الآخرة يلفت نظر آحاد الناس، فضلاً عن علمائهم ومقدميهم.

الثاني: أن الوجوه الأربعة -التي ذكرها القرافي- سبقه إليها القرطبي[٢]، ولكن ليس في معرض المقارنة كما فعل القرافي، بل في معرض الجواب عن خلو التوراة من ذكر ما يتصل بالدار الآخرة.

والقرطبي وإن نبه على خلو التوراة من ذكر ما يتصل باليوم الآخر، وذكر أوجهًا في سبب ذلك، إلا أن ما ذكره جاء مختصرًا، فصّله الإمام القرافي وزاد عليه.

وأيضًا: لم يقارن القرطبي بين شرعنا وبين شريعة بني إسرائيل كما فعل القرافي، تلك المقارنة التي أظهرت محاسن ديننا، ومكارم رسولنا، ومنزلة أمتنا.

وبعد: فقد بان أن ما ذكره القرافي أفصح وأشمل، وأن القرافي وإن تأثر بالقرطبي إلا أنه برزت شخصيته في حسن عرضه، وجميل إضافته.

والله أعلم

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٧٦) وما بعدها.

(٢) الإعلام (٤٣٦، ٤٣٧).

المسلك الثاني
إنكار اليهود للنعيم الجسماني في الجنة
ورد القرافي عليهم

يعتقد اليهود أن في الجنة نعيمًا، إلا أنه روحاني، لاحظ للأجساد فيه، وكذلك العقاب روحاني لاحظ للأجساد فيه.

يقول ابن كمونة: «ونبغ منهم من زعم أن العالم الآتي هو ما بعد الموت فقط، وأن الثواب الأبدي والعقاب إنما هو للأنفس المجردة بعد خراب أجسادها، وليسا بجسمانيين، بل هما روحانيان فحسب، والنصوص الكثيرة المنقولة عن علمائهم، وحملة شرعهم، ناطقة بالمجازاة بالثواب والعقاب بغير عود الأنفس إلى الأبدان، وهي غير محتملة للتأويل عند كل عاقل يتأملها جميعًا»(١).

شبهة اليهود:

تمسك اليهود في إنكارهم النعيم الجسماني بشبهة مؤداها: أن المآكل والمشارب والمناكح، وغير ذلك مما يتعلق بالأجسام ينافي التمام والكمال الموصوفة الجنة بهما، فضلاً عن أن هذه أمور من خصائص البهائم، وذلك قولهم: «لو ثبت الأكل والشرب والنكاح في الجنة، مع أنها دار الكرامة العظمى، والمنزلة العليا لكانت محل الحاجات، وإبداء العورات، ومصب القاذورات، وذلك ينافي كمالها ويحرم تمامها.

ولذلك يأنف كثير ممن له أنفة ومروءة وأبهة الرياسة من الأكل بمشهد الناس، فإن تحريك الأشداق واختلاف اللهوات، وطحن الأضراس، وارتجاج الرأس عورة ظاهرة، ومنقصة بادية، ولذلك يستعد لها الناس في المنازل

---

(١) تنقيح الأبحاث (ص٢٧).

والخلوات، ويأنفون من وقوعها في الطرقات».

ثم يخاطبنا اليهود بما نسلم به فيقولون: حتى جعل من جملة قواعد الشرع أن ذلك مخل بالمروءات، ومسقط للشهادات، فدل ذلك على أنه من أفحش العورات، وإذا كان هذا في الأكل والشرب فالنكاح أولى؛ لأن فيه انكشاف العورتين، وذهاب الحرمتين، وارتفاع الحيائين، مضافًا لصب القاذورات في الفروج، وما يحصل من الفضلات المستقذرة بسبب الخروج والولوج.

ثم يقولون: ويكفي في نقائص هذه الأمور، أنها من خصائص البهائم المبعدة لطور الإنسان عن طور الملائكة، والمدخلة في حيز البهيمية، فإن الملك عقل بلا شهوة، والبهائم شهوة بلا عقل، والإنسان عقل وشهوة، فلذلك توسط بين الفريقين، وباين بوصفه كلا الجهتين، فإذا ظهر ما في هذه الأمور من النقص وجب الجزم بعدمها من الجنة المقدسة المخصوصة بغاية النعمة، وتمام الكرامة[1].

جواب الإمام القرافي:

يجيب الإمام القرافي على ما ذكروه مبينًا أن ما يعتقده المسلمون من الجمع في الجنة بين النعيم الروحاني والجسماني، هو اللائق بالكرم الإلهي، والإحسان الرباني؛ لأن الاقتصار على النعيم الروحاني تقصير من قائله في سعة النعمة، وتمام الكرامة.

بل إن ما يعتقده المسلمون بجزم العقل الشريف بأن مثله لا تعرى عنه دار أريدت لغاية الإكرام، بل لو فرض عدم هذه الملاذ البديعة في الجنة، لقال العقل الوافر: لو كان فيها هذه الملاذ لكانت أتم وأكمل، فالجنة التي يعتقد المسلمون

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٧٢).

اشتمالها على النعيم الجسماني والروحاني أولى بقول الشاعر:

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا[1]

ثم سلك القرافي في رده مسلكين:

المسلك الأول: بين فيه أن سبب اللبس الذي أوقع اليهود فيما ذهبوا إليه، هو عدم فهمهم مقصود المسلمين من القول بالنعيم الجسماني، ولذلك حدد المراد باعتقاد المسلمين، وأنه ليس كما يعتقد اليهود مما يوهم النقص وينافي كمال الجنة وجمالها.

وذلك قوله: الملاذ الجسمانية في هذه الدار ترجع إلى واحدٍ من ثلاثة: فهي إما علوم خاصة حسية كإدراك الحلاوة، وأنواع الطعوم الملائمة، وإدارك الأرايج المناسبة لجوهر النفس البشرية، وإدراك الملامسة للأجسام الموافقة لجواهر الطباع، وإدارك المبصرات من الألوان والأضواء، وتفاصيل أنواع الحسن والجمال، وغيرها من المبصرات السارة للنفس، وكذلك القول في بقية الحواس.

وإما إدراك الأحوال النفسية كاستشعار النفس حصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغتذاء، والإرواء ونحو ذلك.

وإما أسباب عادية كالمباشرة لأنواع المآكل والمشارب والمناكح ونحو ذلك، ثم هذه المباشرة تقترن بها في العادة حاجات للمتناولات، وقاذورات تقترن بالمباشرات.

---

(١) البيت للحكم بن معمر المعروف بابن قنبر، قواعد الشعر، لثعلب (ص٧٥)، ت/ محمد عبد المنعم خفاجي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/ الأولى، ١٣٦٧هـ، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٤/ ١٦٤)، ت/ سمير جابر، دار/ الفكر، بيروت، ط/ الثانية.

فالمسلمون يثبتون اللذات وأسبابها مجردة عن القاذورات وأنواع الحاجات فيقولون: الأكل والشرب والنكاح في الجنة من غير ألم، وجوع، ولا عطش، ولا بصاق، ولا مخاط، ولا بول، ولا غائط، ولا ريح منتن، ولا حيض، ولا مني، ولا رطوبات مستقذرة، ولا إبداء عورة منقصة، ولا زوال أبهه معتبرة، ولا شيء مما يعاب بنوع نقيصة، بل يجد المؤمن غاية ما يكون من لذة الأكل بمباشرة أنفس المآكل من غير بصاق، ولا تلويث، ولا ألم جوع سابق، ولا شينٍ لاحق، وكذلك يحصل أعظم ما يكون من لذة الشراب عند مباشرة أشرف المشروبات من غير عطش، ولا حاجة سابقة، ولا تلويث لاحق، ولا شيء يعاب، وكذلك يحصل الجماع بمباشرة، أجمل الموطوءات من الحوريات والآدميات كل واحدة، منهن لو ظهرت لأهل الأرض لهاموا أجمعين بجمالها، وتحيرت عقولهم بجلالها، وبديع حسنها، وفايق محاسنها، ورائق تركيبها في جملتها وتفصيلها، مكسوة من الحلي والحلل ما أقله خير من ملك الدنيا وما فيها[1] قد نشأت في السعادة الأبدية، وهيئت للكرامة الإلهية، وأبدعت بمتسع شمول القدرة الربانية، ومع ذلك فقد تناسب خلْقها وخُلقها، وطبْعت على الميل من غير نفار، وعلى المحبة من غير ازورار[2]، ووصلت في محبة المؤمن وتعظيمه والأدب معه، وإظهار المسرة به،

---

(١) يشير إلى ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «... لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها -خمارها- على رأسها خير من الدنيا وما فيها» صحيح ابن حبان، ك: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: وصف الجنة وأهلها، حديث رقم (٧٣٩٨)، (١٦/ ٤١١).

(٢) الازورار: الميل والبعد والعدول عن الشيء، يقال: عنق أزور؛ أي: مائل، وركية زوراء غير مستقيمة الحفر، وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿ تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ [الكهف: ١٧]؛ أي: تميل، ويقال: أرض زوراء؛ أي: بعيدة، وقد ازورَّ عنه ازوراراً؛ أي: عدل عنه وانحرف. يراجع: لسان العرب (٤/ ٣٣٣)، القاموس المحيط (ص٥١٤).

والتشرف بقربه إلى أفضل الغايات، وتجاوزت في الحسن والإحسان إلى أقصى النهايات.

وللحسن والإحسان معنى ورونق إذا أمكن الإنسان بينهما الجمع. فنظرة إليها خير من جميع ممالك الأرض، وزورة[١] منها، وإليها تنسى مؤلمات يوم العرض، فيحصل من لذة جماع هذه ما هو لائق بهذا الطور العجيب، والرونق الغريب، من غير إنزال فضلات، ولا رطوبات مستقذرة، منزهة عن جميع الدناءات، بل كل حالة منها في غاية الرتب العليات، وكل جزء من أجزاء حسنها في غاية الشرف والجلالة، فلا عورة لها، ولا للمؤمن، ولا سوءة فيه؛ لأن العورة إنما تثبت في هذه الدار؛ لكونها مخرج النجاسات، والشعر والنتن والرطوبات، فإذا ذهبت هذه المعيبات المنقصات ذهبت بذهابها العورات، وبقيت المحال شريفة عليه لا ينسب إليها خصلة دنيئة[٢].

وإذا وجهنا وجوهنا شطر علماء الأديان السابقين للقرافي نجد الإمام القرطبي وقبله أبا عبيدة الخزرجي ذكرا دليلاً على أن النعيم الجسماني حاصل في الجنة، اعتمدا فيه على التسليم بقدرة الله تعالى، وبصدق الرسل، ومضمون هذا الدليل أن العقل السليم لا ينكر ذلك، بل يسلم به؛ لأنه ليس في ذلك إلا أن الذي خلقنا أول مرة، ومكننا أن نتنعم نعيمًا محسوسًا، ونتألم ألمًا محسوسًا، قادر على أن يعيدنا بعد أن يفنينا كما بدأنا.

فإن الإعادة إنما هي خلق ثانٍ، ومن قدر على الخلق الأول قدر على الخلق الثاني، وهذا معلوم بنفسه، فهو إذن فعل ممكن في نفسه، ليس من قبيل الممتنع،

---

(١) الزورة: النظرة: يقال: ناقة زروة: أي تنظر بمؤخر عينها، لشدتها وحدتها، لسان العرب (٤/ ٣٣٣)، مادة: (زور).

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٧٢- ٧٤).

والله تعالى قادر على كل ممكن فيجب وصفه بالقدرة على ذلك، فيبقى البعث وحشر الأجساد ممكنًا؛ لكونه من قدرة القادر.

إلى أن أخبرنا الذين قامت البراهين الضرورية على صدقهم، وهم الأنبياء، الذين أخبروا العالم بالبعث، وحشر الأجساد، وأحوال القيامة، فتحققنا من ذلك، فإذن لا شك في وقوع البعث، وفي التذاذ الأجسام التي ستحشر مع نفوسها، وذلك ما أخبر به الذي قامت البراهين الضرورية على صدقه، وأن الله تعالى بعثه نبيًّا من عنده، فتحققناه؛ لأنه قبل أن يخبرنا به الصادق كان ممكنًا عندنا، وعند غيرنا لما تقدم(١).

وإذا نظرنا في كتب اللاحقين للقرافي نجد الطوفي البغدادي يتخذ مما اعتمده اليهود دليلاً على النقص، وهو كون المناكح والمشارب والمآكل من خصائص البهائم، يتخذ من ذلك دليلاً على أن الملائم لبني آدم هو النعيم الجسماني والروحاني ليتواءم ذلك مع تركيبهم، وذلك قوله: «ومذهب المسلمين قاطبة: القول بالمعاد البدني، وإدراك اللذات الحسية والعقلية، ولذلك مناسبة حسنة، وهي: أن العالم على ثلاثة أضرب: عقل محض كالملائكة، وشهوة محضة كالبهائم، ومركب من الأمرين، وهما الثقلان، فالطرفان لا مشقة عليهم، أما الملائكة فلعدم الشهوة المعارضة لعقولهم، وأما البهائم فلعدم التكليف... فبنو آدم لما تعبدوا فيها بين العقل والشهوة، وجب بمقتضى هذه المناسبة أن يجمع لهم في الآخرة بين اللذتين العقلية بمقتضى العقل الذي عبدوا الله وعرفوه به، والحسية بمقتضى الشهوة التي صبروا على خلافها في طاعة الله سبحانه»(٢).

---

(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤١، ٣٤٢)، الإعلام، (ص٤٣٣).
(٢) ينظر: الانتصارات الإسلامية، (ص٢٠٤).

المسلك الثاني: الاستدلال على النعيم الجسماني بنصوص من التوراة:

يذكر الإمام القرافي أدلة من التوراة تدل على أن في الجنة نعيمًا جسمانيًّا، كما أن فيها نعيمًا روحانيًّا، وهي كالآتي:

١- في السفر الأول من التوراة: «أن الله غرس فردوسًا في جنة عدن، وأسكنه آدم، وغرس له من كل شجرة طيبة المأكل، شهية الطعم، وتقدم إليه: إني قد جعلت جملة شجر الجنة لك مأكلاً، سوى شجرة معرفة الخير والشر، ثم قال الله تعالى: لا يحسن أن يبقى آدم وحده، فألقى عليه سباتًا، ونزع ضلعًا من أضلاعه، ثم خلق له عوضه لحمًا، ثم خلق من ذلك الضلع حواء، فتزوجها آدم»(١). يقول القرافي: فنصت التوراة على أن المأكولات في الجنة(٢).

٢- يذكر القرافي نصًّا من التوراة ولم يعلق عليه، لوضوحه فيقول في السفر الأول: «كانت سدوم قبل أن يخسف بها تشبه فردوس الله تعالى»(٣)(٤).

لليهود أن يقولوا: الجنة التي كان فيها آدم وحواء، والتي كانت سدوم تشبهها إنما كانت بستانًا من بساتين الأرض؛ إذا لا ينكر تسمية الجنة بستانًا. وهذا ما ندع القرطبي وأبا البقاء الهاشمي يجيبا عنه، كل بطريقته:

أما القرطبي: فيجيب بأنه ليس هناك نص قاطع يدل على أن الجنة التي يرجع إليها الناس يوم الجزاء ليست هي التي أسكن الله فيها آدم، بل التوراة

---

(١) الإصحاح (٢)، الفقرات (١٥- ٢٤).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٧٥)، وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤٤)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢١٤).

(٣) تكوين، الإصحاح (١٣)، الفقرة (١٠).

(٤) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٧٥)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢١٤).

محتملة لذلك، وأما كتابنا فيدل على أنها هي[١].

وأحسن من هذا ما ذكره أبو البقاء الهاشمي إذ يقول: فإن قالت اليهود ما حكيته عن التوراة من الجنة محمول على بستان من بساتين الدنيا.

قلنا: يا إخوان القرود، ومشاركي ثمود، إنما قالت التوراة: إن الله أسكن آدم فردوسًا في جنة عدن... فالله يقول: إنه فردوس في الجنة، وأنتم تقولون: بل بستان في الدنيا؟! ألم تسمعوا إلى قوله في بقية الكلام: إن الله كلمهما وتهددهما، ثم صنع لهما سرابيلات من الجلود، وأرسلهما من جنة عدن إلى الأرض التي أخذ منها آدم؟[٢][٣].

٣- في السفر الأول من التوراة: «أما هابيل الشهيد، فإنه يجزي بدل الواحد سبعة»[٤].

يقول القرافي: وهو دليل على أن المكافأة من جنس العمل، وكان قد قرب من أبكار غنمه، فوعده الله تعالى الواحد بسبع[٥].

٤- يقول القرافي: «في نبوة إشعياء -عليه السلام-: يا معشر العطاش توجهوا إلى الماء المورود، ومن ليس له فضة فليذهب يستقي، ويأكل ويتزود من الخمر واللبن»[٦].

---

(١) الإعلام (ص٤٣٥).
(٢) تكوين، الإصحاح (٣)، الفقرات (١٧- ٢١).
(٣) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢١٦).
(٤) تكوين، الإصحاح (٤)، الفقرة (١٥).
(٥) الأجوبة الفاخرة (ص٧٦)، وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢١٤، ٢١٥).
(٦) إشعياء، الإصحاح (٥٥)، الفقرة (١، ١٢).

يقول القرافي: «وهذا موافق لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥]»[1].

تعقيب: يلاحظ أن الإمام القرافي في مسلكه الأول رأي أن اليهود وقعوا في ضلالهم، لقياسهم أحوال الجنة على ما يألفون في الدنيا، فبين لهم حقيقة الأمر، وأنه نعيم ليس كنعيمنا، وهذا مسلك حسن، لو سلم اليهود ببعث الأجساد، ولكن على ما يبدو لي أن اليهود لا يسلمون ببعث الأجساد -كما هو واضح من كلام ابن كمونة السابق-، ولذلك كان على الإمام القرافي أن يجعل جوابه ذا شقين يقيم الحجة على بعث الأجساد، وعلى النعيم الجسماني معًا، كما فعل أبو عبيدة الخزرجي والقرطبي -كما تقدم- وأيضًا الإمام القرافي في هذا المسلك، كان يحتاج إلى مثالٍ من الواقع؛ مخاطبة لليهود بما يألفون فمثلاً:

هناك أكل وشرب بدون حاجة، كأكل الشبعان، وشرب الريان، وهناك نكاح بدون ولادة، كنكاح العواقر، كل هذه الأمثلة، كانت تضيف إلى دليل القرافي قوة إلى قوته، وجمالاً إلى حسنه.

وأما في مسلكه الثاني: فقد أصاب الهدف من أخصر طريق، وربط في الدليل الرابع بين كتابهم وكتابنا، وتلك لفتة طيبة، تجعل المؤمن يزداد إيمانًا، وتجعل أهل الكتاب في غير ارتياب.

والله أعلم

---

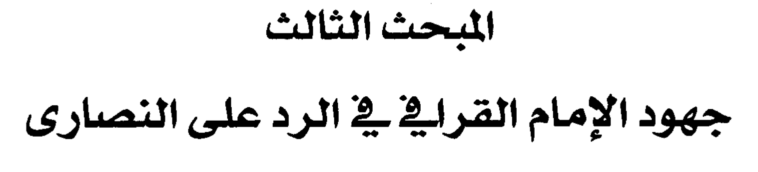
(١) الأجوبة الفاخرة (ص٧٦)، وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص٣٤٨)، الإعلام (ص٤٣٦).

«الإمام القرافي وجهوده في الدفاع عن العقيدة الإسلامية»

تأليف
مسعد عبد السلام عبد الخالق عبد السلام
المعيد بالكلية

رقم الإيداع
٢١٤٣٨/٢٠٠٨

المجلد الثاني



المبحث الثالث

جهود الإمام القرافي في الرد على النصارى

وفيه مطالب:

المطلب الأول: النصارى وأشهر فرقهم:

المطلب الثاني: بولس وتأثيره في النصرانية.

المطلب الثالث: أناجيل النصارى وموقف القرافي منها.

المطلب الرابع: عقائد النصارى وموقف القرافي منها.

المطلب الخامس: شعائر دين النصارى وموقف القرافي منها.

المطلب السادس: شبهات النصارى على الإسلام ورد القرافي عليها.

المطلب السابع: شبهات النصارى على القرآن ورد القرافي عليها.

المطلب الأول
النصارى وأشهر فرقهم

النصارى أمة عيسى ابن مريم، رسول الله وكلمته -عليه السلام-، المبعوث حقًّا بعد موسى -عليه السلام-، المبشر به في التوراة، سموا بذلك نسبة إلى قرية عيسى -عليه السلام- التي كان ينزلها، وهي المسماة ناصرة، وقيل: لتناصرهم فيما بينهم، وقيل: لقولهم: «نحن أنصار الله» جوابًا عن قول عيسى -عليه السلام-: «من أنصاري إلى الله؟»[1].

وعند التحقيق: نجد التعليل الأول والأخير، وإن كانا مشهورين، إلا أن قواعد اللغة تردهما؛ إذ النسبة إلى ناصرة، وأنصار ليست نصارى كما هو معلوم.

فلا يصح تعليلاً لتسميتهم هذه إلا كونهم كانوا يتناصرون فيما بينهم، ولذلك يقول الزمخشري: «النصارى: جمع نصران، يقال: رجل نصران، وامرأة نصرانة... والياء في نصراني للمبالغة، كالتي في أحمري، سمو بذلك: لأنهم نصروا المسيح»[2]. وأيما كان الأمر فقد صار الاسم علمًا عليهم لا ينصرف إلى غيرهم.

فرق النصارى:

النصارى فرق كثيرة، جاوزت السبعين -كما أخبر رسول الله ﷺ-، ولكن يمكن إرجاعها إلى فرق ثلاث، تشعب عنها كل ما سواها، وهذه الفرق في مجملها، استنكفت أن يكون المسيح عبدًا لله تعالى، مع أنه لم يستنكف من ذلك، ورغبت به عن عبودية الله، وهو لم يرغب عنها، وأما الفرق الثلاث التي ترجع

---

(١) يراجع: التفسير الكبير (٣/ ٩٧).

(٢) ينظر: تفسير الكشاف (١/ ١٣٧)، ت/ يوسف الحمادي، مكتبة/ مصر، بدون تاريخ.

إليها جميع فرق النصارى فهي:

١- فرقة المَلْكَانية:

سموا بذلك نسبة إلى دين الملك، فهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا، حاشا الحبشة والنوبة، ومذهب جميع نصارى أفريقية، وصقلية[١]، والأندلس، وجمهور الشام[٢]، ويذهب الشهرستاني إلى أنهم سموا بذلك نسبة إلى ملكا الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، ولذا كان معظم الروم على هذا المذهب[٣]، ويذكر الإمام القرافي رأيًا قريبًا من هذا، سيأتي بيانه -إن شاء الله- إلا أنه ينسبهم إلى رجل يسمى مَلْكُوتًا[٤].

والملكانية تعتقد أن الله عبارة عن ثلاثة أشياء: أب، وابن، وروح القدس، ويقصدون بالابن: أقنوم العلم، وبروح القدس: أقنوم الحياة، ويقولون: إن الكلمة «أقنوم العلم» اتحدت بجسم المسيح وتدرعت بناسوته، ولا يسمون العلم قبل اتحاده بالناسوت ابنًا، بل المسيح، مع ما تدرع به ابن[٥].

ويقولون: إن عيسى -عليه السلام- إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، ويقولون: إن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وإن الإله

---

(١) صِقِلِّية: جزيرة من جزائر المغرب، مقابلة لإفريقية، بينها وبين أقرب موضع من إفريقية مائة وأربعون ميلاً. يراجع: معجم البلدان: (٣/ ٤١٦) وما بعدها، وهي الآن تابعة لإيطاليا.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٨، ٤٩)، هداية الحيارى (ص٢١٣).

(٣) ينظر: الملل والأهواء والنحل (١/ ٢٢٢).

(٤) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص١٢٢).

(٥) ينظر: الفصل (١/ ٤٩)، الملل والنحل (١/ ٢٢٢).

لم ينله شيء من ذلك، ويعتقدون أن مريم ولدت الإنسان والإله معًا[(١)].

وإذا كان للمسيح طبيعتان: طبيعة بلاهوته، وأخرى بناسوته، فإن له مشيئتين: مشيئة اللاهوت، ومشيئة الناسوت[(٢)].

٢- فرقة النسطورية:

تنسب إلى نسطور الذي مكث بطريركا للقسطنطينية شهرين وأربع سنوات، وهذه الفرقة كانت غالبة على الموصل، والعراق، وفارس، وخراسان، ومنهم طائفة في الهند، وأخرى في بلاد العجم.

وكان نسطور يقول: إن مريم العذراء لم تلد إلهًا، بل ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني «الابن»، وليس ذلك الاتحاد بالمزج، وجعلهما شيئًا واحدًا، فهو ليس اتحادًا حقيقيًّا، بل اتحاد مجازي؛ لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة، فصار بمنزلة الابن[(٣)].

فالمسيح عند النسطوريين شخصان، وطبيعتان، إلا أن لهما مشيئة واحدة، فهو إله بجوهر اللاهوت، إنسان بجوهر الناسوت، والقتل والصلب عندهم وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تحله الآلام[(٤)].

ولما قال نسطور: إن مريم لم تلد إلهًا، وذاع ذلك عنه، كاتبه كيرلس بطريرك

---

(١) يراجع: هداية الحيارى (ص٢١٣، ٢١٤).

(٢) يراجع: الفصل (١/ ٤٥)، الملل والنحل (١/ ٢٢٤، ٢٢٥)، محاضرات في النصرانية (ص١٤٤، ١٤٦)، النصرانية والإسلام (ص١٤٤).

(٣) ينظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٥)، هداية الحيارى (ص٢١٤).

(٤) ينظر: الملل والنحل (١٠/ ٢٢٥)، هداية الحيارى (ص٢١٤).

الإسكندرية، ويوحنا بطريرك أنطاكية ليعدل عن رأيه، فلم يصغِ إليهما، ولم يجب طلبهما، فقرر لعنه وطرده، وإقالته من منصبه ونفيه، فصار إلى مصر، وأقام في إخميم[(١)] إلى أن مات بها[(٢)].

٣- اليعقوبية:

اتباع يعقوب البرادعي[(٣)]، الذي لقب بالبرادعي؛ لأنه لباسه كان من خرق برادع الدواب، يرقع بعضها بعضًا، ويلبسها، ونسبة المذهب إليه؛ لأنه كان من أنشط الدعاة إليه، لا لأنه مبتدعه ومنشئه؛ لأن هذا المذهب أسبق من يعقوب هذا، فأول من أعلنه بطريرك الأسكندرية في منتصف القرن الخامس[(٤)]، أما يعقوب هذا فقد وجد في القرن السادس الميلادي[(٥)].

وأصحاب هذا المذهب كانوا غالبين على أعمال مصر، وجميع بلاد النوبة، والحبشة، واعتقادهم: أن المسيح نفسه هو الله تعالى، وأن الله تعالى مات وصلب،

---

(١) إخميم -بكسر فسكون-: مدينة قديمة كبيرة بصعيد مصر في الجانب الشرقي من النيل، بها أسواق وحمامات ومساجد كثيرة، وبها عجائب من المباني والآثار، وإليها ينسب ذو النون المصري الزاهد المعروف المتوفى ٢٤٥هـ. يراجع: معجم البلدان (١/ ١٢٣، ١٢٤)، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ص١٥).

(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص١٤٤، ١٤٥)، النصرانية والإسلام (ص١٣٢).

(٣) ولد في أواخر القرن الخامس في بلدة تيلا على مسافة ٥٥ ميلاً من الرها بمقاطعة إيطاليا، ونشأ في بعض الأديرة قرب الرها، وعين أسقفًا على الرها في سنة ٥٤١هـ، وسافر إلى مصر مرتين، ومات بها سنة ٥٧٨م. ينظر: الكنيسة القبطية، للقس منسي يوحنا، (ص٢٧٣، ٢٧٤)، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤) الذي كان بطريركًا في هذه الفترة هو ديوسقورس، البطريرك الخامس والعشرين، والذي ارتقى الكرسي المرقسي في سنة ٤٤٤م، وتوفي في سنة ٤٥٧م، يراجع: تاريخ الكنيسة القبطية: (ص٢٤٥) وما بعدها.

(٥) هداية الحيارى (ص٢١٣)، محاضرات في النصرانية (ص١٤٦).

وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام، ورجع كما كان، وأنه تعالى هو الذي كان في بطن مريم، محمولاً به[١]، والمسيح عندهم مكون من طبيعتين: طبيعة الناسوت، وطبيعة اللاهوت، وهاتان الطبيعتان تركبتا فصارتا إنسانًا واحدًا وجوهرًا واحدًا وشخصًا واحدة، هذه الصفة الواحدة، وهذا الشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله، وإنسان كله.

ويقولون: الإنسان صار إلهًا، ولا يعكسون، فلا يقولون: إن الإله صار إنسانًا، ويزعمون أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والإدراع، والحلول كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوة[٢].

هذا: ويرجع الإمام القرافي أصل هذه الفرق الثلاث إلى ما كان من بولس اليهودي، الذي تزيا بزي النصارى وانتحل ملتهم، حتى صار مقدمًا عندهم، بعد عداء طال منه لهم، وأخذ يحلل ويحرم، وهم له مطيعون، حتى رأى رؤيا فخرج من صومعته ليقصها عليهم، فلما أخذوا مجالسهم، قال: ليخرج كل من في البيت إلا يعقوب، ونسطور، وملكوت، والمؤمن، ففعلوا ثم قال للأربعة: هل علمتم أن أحدًا من الإنس أبرأ الأكمه، والأبرص، وأحيا الموتى؟ قالوا: لا، قال: فإني أزعم أن الله تجلى لنا ثم احتجب، قال بعضهم: صدقت، هو الله نجم لنا، وقال بعضهم: لا، ولكنه ثلاثة، والد، وولد، وروح القدس، وقال بعضهم: إله وولده، فافترقوا على أربع فرق، فأما يعقوب فأخذ بقول بولس: إن الله هو المسيح، وبه أخذت شيعته، وهم اليعقوبية، وأما نسطور، فقال: المسيح ابن الله على جهة الرحمة، وبه أخذت شيعته النسطورية، وأما ملكوت: فقال: إن الله

(١) ينظر: الفصل، (١/ ٤٩).
(٢) ينظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٦)، هداية الحيارى (ص٢١٣).

تعالى ثلاثة، وبه أخذت شيعته، وهم الملكية، فقام المؤمن، وقال لهم: عليكم لعنة الله، والله ما حاول هذا إلا إفسادكم[١].

ويمكن لنا أن نستنبط مما ذكره القرافي أن عقيدة النصارى قبل هذا الاجتماع كانت على التوحيد، ويدلك على ذلك إنكار المؤمن على جميعهم، ودعواه عليهم باللعنة.

وكما أسلفنا من قبل أن هذه الفرق الثلاث فرق كبرى للنصرانية، تفرعت عنها فرق كثيرة، إلا أنها لم تستمر بعد تكوينها، فقد كان معظمها يقضي عليه في مهده.

والسبب: أنه قد تكرر في تاريخ المسيحية حدث عظيم لم يتخلف، هو التجاء الجانب القوي إلى أعنف وأقسى وسائل الاضطهادات، والتعذيب، والتنكيل، والحرق، والإفناء، يسلطها الجانب القوي على الجانب الضعيف.

والعجيب: أن المسيحيين: اضطهدوا من اليهود والرومان ونزلت بهم الويلات في القرون الثلاثة الأولى، فلما بدأ جانبهم يشتد، أنزلوا نفس الويلات بمخالفيهم من أبناء دينهم، ومن أتباع الأديان الأخرى، ومن هنا فنيت مذاهب مسيحية كثيرة، كان بعضها في وقت ما له الغلبة في العدد، ولكن تنقصه القوة والسلطان، وكان فناء هذه المذاهب؛ بسبب قسوة اليهود والرومان أحيانًا، وأحيانًا أخرى بسبب قسوة فرق مسيحية أخرى قويت، واشتدت بالأباطرة وذوي النفوذ[٢]، فلم يدم من فرق النصارى ويشتهر غير هذه الثلاث، ويدل على ما ذكرنا قول ابن خلدون: «ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك، وفيما

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص١٢٢، ١٢٣).

(٢) ينظر: المسيحية، (ص١٩٩)، النصرانية والإسلام (ص١٣٠).

يعتقدونه في المسيح، وصاروا طوائف وفرقًا، واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه، فاختلف الحال في العصور، في ظهور فرقة دون فرقة، إلى أن استقرت لهم ثلاث طوائف هي فرقهم، ولا يلتفتون إلى غيرها، وهم الملكية، واليعقوبية، والنسطورية»[1].

ولكن:

هذه الفرق الكبرى تعاقب عليها الليل والنهار، ونالها شيء من التغيير في الأسماء، إن لم يكن في المعتقد، وإن كانت معتقداتها نالها شيء من ذلك، كعادة دين النصارى، فظهرت حديثًا في أسماء أخرى، وإليك بيانها.

١ - الكاثوليك:

تسمى كنيستهم الكنيسة الكاثوليكية، أو الغربية، أو اللاتينية، أو البطرسية، أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية: أي العامة؛ لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها في زعم أصحابها وحدها هي التي تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية ولاتينية؛ لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين، الذين يقطنون بلاد إيطاليا وبلجيكا، وفرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، كما يوجد لها أتباع في أوروبا، وأمريكا الشمالية، والجنوبية، وأفريقيا، وآسيا.

وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية؛ لأن أتباعها يدَّعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم، وأن بابوات رومًا خلفاؤه، والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي، الذي يرأسه البابا، والكرادلة، وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة؛ إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية، هي في نظرهم إرادات إلهية؛ لأن

(١) مقدمة ابن خلدون (ص٢٩٣).

البابا خليفة بطرس تلميذ المسيح ووصية، فهو مثل الله، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة[(١)].

ومن مستحدثات الكنيسة الكاثوليكية:

١- أنها أحلت أكل الحيوان المخنوق، وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير تساهلاً منها؛ لتجذب إليها اللادينيين.

٢- القول بأن روح القدس نشأ عن الإله الأب، والابن معًا.

٣- المساواة الكاملة بين الإله الأب، والإله الابن.

٤- قالت: إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين.

٥- إصدار صكوك الغفران لمن تشاء من رعاياها[(٢)].

ونظرة في المعتقدات التي استحدثتها الكنيسة الكاثوليكية تجعلنا نقول مطمئنين -كما قال غيرنا-: إن اعتقاد النسطوريين قريب من اعتقادات الكاثوليك، ولذلك من بقي منهم الآن تابع لكنيسة روما، وإن كانت لهم تقاليدهم التي تخصهم[(٣)].

٢- الأرثوذكس:

تسمى كنيستهم الكنيسة الأرثوذكسية، أو الكنيسة الشرقية، أو اليونانية؛ لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين، ومن البلاد الشرقية كروسيا، والبلقان،

---

(١) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص٣٥)، المسيحية، (ص١٩٩، ٢٠٠)، النصرانية والإسلام (ص٩٣٠).

(٢) يراجع: محاضرات النصرانية (ص١٤٨، ١٤٩)، المسيحية، (ص٢٠٠، ٢٠١)، النصرانية والإسلام (ص١٣٠).

(٣) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص١٤٥)، النصرانية والإسلام (ص١٣٢).

واليونان.

ومقر هذه الكنيسة الأصلي مدينة القسطنطينية بعد انفصالها عن كنيسة روما سنة ١٠٥٤م، والكنيسة الأرثوذكسية تتبع نظام الإكليروس، الذي يبدأ من البطريك، ويليه في الرتبة المطارنة، ثم الأساقفة[1]، ثم القسس أصحاب الامتياز، ويسمون القمامصة ثم القسس العاديون، ويسمون القساوسة، وهؤلاء جميعًا أصحاب الرأي، والكلمة في كل ما يدور في الكنيسة[2].

والكنيسة الأرثوذكسية تخالف كل ما قالت به الكنيسة الكاثوليكية، مما أوقع الشقاق بينهما، وأوسع شقة الخلاف فهي:

١- لم تقبل أكل الدم المخنوق، ورفضت إباحة أكل دهن الخنزير للرهبان.

٢- أصرت على أن روح القدس نشأ عن الله: الأب فقط.

٣- لا تقول بالمساواة بين الإله الأب، والإله الابن، بل تقول بالأفضلية للإله الأب.

٤- المسيح عندهم ذو طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة[3].

والكنيسة المصرية تابعة للمذهب الأرثوذكسي، ورئيس هذه الكنيسة هو

---

(١) جمع أسقف، والأسقف كلمة عربية مترجمة عن اللفظ اليوناني ابسكويوس، والذي معناه: المشرف، والأسقف هو رئيس الكنيسة، ومديرها وراعيها ومعلمها. يراجع: قاموس الكتاب المقدس (ص٧٢)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل للمقص شنودة السرياني: (ص١٦٤)، لجنة أصدقاء الكلية الإكليريكية، مصر، ١٩٧١م.

(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص١٣٥)، المسيحية، (ص٢٠٠، ٢٠١)، النصرانية والإسلام (ص١٣٤).

(٣) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص١٤٨، ١٤٩)، المسيحية، (ص٢٥١، ٢٠١)، النصرانية والإسلام (ص١٣٤).

البطريرك القبطي المقيم بالقاهرة، ويدعى بابا الأسكندرية، ورئيس الأفريقيين المسيحيين، ويتبعه في رئاسته سكان الحبشة المسيحيون، فهم خاضعون لبطريريك الكنيسة القبطية، وهو يعين لهم أسقفًا يسوسهم.

وتعتقد الكنيسة المصرية أن الله ذات واحدة مثلثة: أقنوم الأب والابن، وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثاني تجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء، حتى صار واحدًا وِحْدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج، والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة[1].

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن اليعقوبيين تابعون للمذهب الأرثوذكسي والله أعلم.

٣- البروتستانت (الإصلاح الديني):

أرادت الكنيسة الكاثوليكية أن تجعل لنفسها سلطانًا على الناس حكامًا ومحكومين، وساسة ومسوسين؛ ففرضت آراءها على المسيحيين، وبالغت في ذلك إلى أن تجاوزت حد الغلو، ولم تسلك في سبيل ذلك الموعظة الحسنة، والدعوة الصالحة، والإرشاد القويم، ومخاطبة الأرواح والنفوس، وتمكينها من أن تتبعها وهي حرة مريدة مختارة، بل سلكت سبيل العنف، وركبت متن الشدة، فجعلت كل رأي في العلوم الكونية، أو الدينية يخالف رأيها كفرًا، لا تدعو معتنقيه للهداية، وترشده إلى الرشاد، كما يليق برجال الدين مع من يرونه ضالاً، بل تكفر لأوهى الأسباب، وتحرق أو تعذب من تراه كافرًا بلا رفق ولا هوادة.

وإن جهر رجل من رجال الدين بالدعوة إلى الإصلاح، داعيًا رجال

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص١٢٩، ١٣٠)، النصرانية والإسلام (ص١٣٤).

الكنيسة إلى أخذ الناس بالرفق، وحاثًا رجال الدين إلى الأخذ بهديه، كان عقابه الحرمان والقتل.

ولم ينجُ حتى الملوك من طغيانها، فقد كان لبابوات الكنيسة السلطان الذي لا يرد على كل ملك؛ لأنهم خلفاء لبطرس الرسول، وبطرس أقامه المسيح على الحواريين من بعده، فالبابا على هذا الأساس خليفة المسيح ينطق باسمه، ويتكلم بخلافته، وينفذ بسلطانه، ومن خرج عن طاعته، خرج عن طاعة المسيح وحارب دينه.

ولم يكن عقاب الكنيسة لمخالفيها مقصورًا على الأذى البدني، بل أرهقت المسيحيين بأوتاوات مالية يفرضونها، وضرائب كثيرة يأخذونها، وعلى ذلك صار المسيحيون قاطبة يئنون تحت نير ثقيل، سواء في ذلك من خالف، ومن وافق، فالمخالف بالعذاب يهرأ جسمه، والموافق بالمال يثقل كاهله، ولقد سعت الكنيسة في فرض سلطانها محتجزة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول وافق العقل أو خالفه، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولاً قالته، أو مبدأً دينيًّا أعلنته، أن يروض عقله على قبوله، فإن لم يستطع فعليه أن يشك في العقل، ولا يشك في قول البابا؛ لأن البابا خليفة لبطرس كما أسلفنا.

وإذا كان قول رجال الدين صادرًا عن الكنيسة، وليس لأحد أن يعترض، ولا أن يعاود الكلام، فإن لرجال الدين، وقد وكل حفظ الكتاب إليهم أن يشرعوا ما شاءوا، وأن يحذفوا ما أرادوا، وليس لأحد أن يعترض.

وبالفعل قام رجال الكنيسة بفرض اعتقادات على المسيحية لا يقبلها عقل سليم، ولا يستسيغها ذوق صحيح، كمسألة استحالة الخبز والخمر إلى دم المسيح ولحمه، ومسألة صكوك الغفران التي بالغ فيها بابوات، الكنيسة مما أنجم انتشار

الفساد.

كل ذلك آثار حفيظة المصلحين على مر العصور، فقاموا بدعوة إلى إصلاح الكنيسة وإصلاح حال رجالها الذين كانوا بعيدين عن محل القدوة، وكانوا موطن الشبهة في عصور الكنيسة الأخيرة الذين اندفع بعضهم في طلب الملاذ اندفاعًا، واتصل بعضهم بالنساء اتصال سفاح؛ لتحريمهم الزواج على أنفسهم، فقام هؤلاء المصلحون محاولين إصلاح الكنيسة، وتهذيب حال رجالها، لكن ما كانت تقوم دعوة حتى يقضى عليها في مهدها؛ نظرًا لسلطان الكنيسة، ومحاولة الملوك إرضاءها، وأيضًا فإنه كان في بعض الدعوات محاولات لإصلاح السياسة.

واستمر الحال حتى كان مارتن لوثر المولود بألمانيا سنة ١٤٨٢م، والمتوفى سنة ١٥٤٦م، الذي ثار على الكنيسة ورجالها، ولاقت دعوته قبولاً عند العامة، وبعض الحكام، فأسس المذهب البروتستاني الجديد، وسمي بذلك لاحتجاج أصحابه على الكنيسة؛ لأن بروتستنت (Protestant) كلمة إنجليزية معناها: احتجاج[(١)].

والبروتستانت تسمى كنيستهم الإنجيلية، وقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم له، ولا يختص بفهمه طائفة دون أخرى، فلكل قادر الحق في فهمه، وجميعهم متساوون ومسئولون أمام هذا الكتاب.

وبهذا الاتجاه عارضوا الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفًا على رجال الكنيسة والتي لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية، بل

---

(١) ملخصًا من محاضرات في النصرانية (ص١٥٣- ١٦٥).

تضيف إليه الأفهام، والتعاليم غير المكتوبة التي يتداولها البابوات الواحد عن الآخر[1].

وتتبع الكنيسة البروتستانية نظامًا تعاونيًّا، يتعاون فيه أعضاؤها على القيادة والوعظ مع عدم المساس بالاستقلال الذاتي لكل كنيسة، وينتشر أتباعها في ألمانيا وإنجلترا والدانمرك، وهولندا، وسويسرا، والنرويج، وأمريكا الشمالية.

ويمكن إجمال أهم مبادئهم في:

١- جعل الخضوع التام الواجب على المسيحي لنصوص الكتاب المقدس وحدها.

٢- ليس لكنائسهم من يترأس عليها رئاسة عامة، بل لكل كنيسة رئاسة خاصة بها، فالرئاسة الكنسية التي تستمد الخلافة من أحد الحواريين، أو من المسيح نفسه لا وجود لها عندهم.

٣- إبطال صكوك الغفران، فليس للكنيسة ولا رجالها سلطان في محو الذنب، أو ستره، أو تلقي الاعتراف بالذنوب ومسحها.

٤- ينكرون تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه.

٥- ينكرون مبدأ الرهبنة التي يأخذ رجال الدين أنفسهم بها.

٦- يمنعون اتخاذ الصور في الكنائس والسجود لها[2].

---

(١) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص١٦٨)، هامش (١)، المسيحية (ص٢٠٢)، النصرانية والإسلام (ص١٣٦، ١٣٧).

(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص١٦٨- ١٧٢)، المسيحية، (ص٢٠٢)، النصرانية والإسلام (ص١٣٦، ١٣٧).

ولكن: إذا قرر المصلحون أن يأخذوا مذهبهم الديني من الكتب الصحيحة، ورفضوا سلطان الكنيسة ورجالها وصولاً إلى الحق، فإن المنطق الذي يسيرون عليه كان يوجب عليهم أن يرفضوا أقوالاً كثيرة كألوهية المسيح، وألوهية الروح القدس، إذ كان عليهم أن يدرسوا قرارات مجامع كنائسهم -التي أضافوا فيها إلى المسيحية ما ليس منها-، فينظروا في سندها وقوته، فإن لم يروا السند قويًّا رفضوا ما جاء فيها، ولكنهم لم يسيروا في منطقهم إلى أقصى مداه، ورغم أنهم رفضوا أقوالاً ذكرناها، كان عليهم أن يرفضوا أمورًا عقدية كثيرة، إلا أنهم لم يتجهوا إلى لب العقيدة الذي هو الأولى بالبحث عن مدى صحته[١].

وذلك يجعلنا نقول:

إن البروتستانت لم يبطلوا أصلاً من الأصول المسيحية، بل إنهم فقط قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم، أو بمعنى آخر: كانت حركتهم حركة لإصلاح الكنيسة، لا إصلاحًا للمسيحية وإرجاعها إلى أصولها النقية، ولذلك بقيت موضوعات ضخمة لم يتطرق إليها الإصلاح، مثل: التثليث، وألوهية المسيح، وألوهية روح القدس، ومثل صلب المسيح؛ تكفيرًا عن خطيئة البشر، ومثل البحث عن إنجيل المسيح، بمعنى: الاقتصار على تعاليم المسيح الواردة عنه، واستبعاد ما سواها مما هو دخيل على المسيحية[٢].

والله أعلم

(١) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص١٧٢).

(٢) ينظر: النصرانية والإسلام (ص١٣٧، ١٣٨).

المطلب الثاني
بولس وتأثيره في النصرانية

يقول الإمام القرافي: «بولس إبليس على النصارى، أخرجهم من هذا الدين كما تخرج الشعرة من العجين، وأوقعهم في ظلمات الضلال، وأليم الوبال، بسبب أنه كان يهوديًّا، وكان شديد القتال والقتل للنصارى، فلم يُشْفَ بذلك قلبه، فأعمل الحيلة»(١).

ويقول: «وهذا الملعون -بولس- هو المفسد لدين النصارى بعد التوحيد، والمغير لمعالم شرائعهم، والحال لنظام أحكامهم... وهو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيث، ومع ذلك، فالنصارى له في غاية الإجلال، وعلى رأيه وأقواله في غاية الإقبال»(٢).

ويقول القس العراقي عبد الأحد داود: «إن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم بولس، فلا محل للحيرة إذا قلت: إن المؤسس الحقيقي للمسيحية الحاضرة هو بولس»(٣).

ويقول ويلز -وهو نصراني-: «كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة، وهو لم ير عيسى قط، ولا سمعه يبشر الناس»(٤).

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «وإن لبولس هذا لشأنًا في المسيحية، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحدٍ سواه، وقد تأثر المسيحيون، خطاه وتعرفوا أخباره وأقواله، ما دَوَّنه منها في رسائله، وما ألقاه في الجموع وتناقلوه، وإن لم

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص١٢٠).
(٢) المرجع السابق (ص١٢٤).
(٣) الإنجيل والصليب للقس عبد الأحد داود، (ص١٦٠)، طبع في القاهرة، ١٣٥١هـ.
(٤) ينظر: المسيحية، (ص٩٨)، النصرانية والإسلام (ص٢٦١).

يدونه هو، وتأثروا أعماله، فاحتذوا حذوه، وسلكوا مسلكه، واعتبروه القدوة الأولى»[١].

كل هذه الأقوال تلفت نظر الباحث في مقارنة الأديان إلى دراسة شخصية بولس، وما كان له من أثر في النصرانية؛ ليعلم حقًّا هل النصرانية الحالية منسوبة إلى عيسى أو إلى بولس؟

من هو بولس؟

بولس: هو شاول بن كيساي من سبط بنيامين، ولد في طرسوس، عاصمة ولاية كليكية (Cilicia) جنوبي آسيا الصغرى[٢]، وهي تابعة لسوريا الآن، نزح إليها والداه من جيشالا (Clshala) مقاطعة يهودية شمالي الجليل[٣]. وكانت ولادته عقب ولادة المسيح بخمس، أو ست سنوات، لأبويين يهوديين، وتسمى بالاسم العبراني شاول على اسم أول ملوك بني إسرائيل، الذي اشترك معه في النسب؛ إذ كلاهما من سبط بنيامين.

وأما تسميته بولس فهي تسمية رومانية، ولعل التسميتين عادة انتشرت وقتذاك، بمعنى أن يحمل الشخص اسمين: أحدهما عبراني، والآخر روماني، أو يوناني، مكث في طرسوس فترة، ثم أرسل إلى أورشليم ليتلقى تعليمه الديني

---

(١) محاضرات في النصرانية (ص٦٥).

(٢) من الناس من يقسم آسيا إلى قطعتين: آسيا الصغرى، وهي: العراق وفارس وخراسان. وآسيا العظمى، وهي: الهند والصين والترك. ينظر: معجم البلدان (١/ ٥٤).

(٣) جبل الجليل: جبل في ساحل الشام، ممتد إلى قرب حمص، وهو جبل يقبل من جهة الحجاز، وهو من أعمال صيدا وبيروت، وقرية الناصرة التي كان يسكنها عيسى -عليه السلام- من قرى هذا الجبل. يراجع: معجم البلدان (٢/ ١٥٧، ١٥٨)، المواعظ والاعتبار (١٠/ ٢٥٩).

على واحد من أكبر معلمي اليهود في عصره، يدعى غُمالائيل[١]، ومما ساعده على ذلك وجود أخت له متزوجة بأورشليم.

كما كان له إلمام كبير بالثقافة اليونانية ولغتها، وكان يجيد العبرية الفصحى، بالإضافة إلى الآرامية -العبرية الدارجة-، توفي بروما سنة ٦٧م، أو ٦٨م[٢].

عداؤه للمسيحية:

نشأ بولس نشأة يهودية، تربى فيها على كره أتباع المسيح، مما كان له أكبر الأثر بعد ذلك؛ إذ أذاق المسيحيين ألوان العذاب، وساعده على ذلك ما كان له من سلطان في بني إسرائيل، فقد كان من أتباع الملك، واتخذ بولس من عدائه للمسيحيين سبيلاً للتقرب إلى الساسة الذين كانوا يشجعون ذلك، ولم نقل ذلك افتراءً عليه، بل هذا ما جاء في كتب النصارى، وما حكاه هو عن نفسه.

ففي سفر الأعمال يقول عن نفسه: «وكنت غيورًا لله كما أنتم جميعًا اليوم، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت، ومقيدًا ومسلمًا إلى السجون، رجالاً ونساءً، كما يشهد لي أيضًا رئيس الكهنة، وجميع المشيخة»[٣].

ويقول في رسالته إلى أهل غلاطية: «فإنكم سمعتهم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي؛ إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات

---

(١) حاخام يهودي فرّيسي، كان معروفًا جدًا في القرن الأول الميلادي، وكان أول من طالب برفع القيود عن رسل المسيح، والكف عن اضطهادهم، مات في منتصف القرن الأول. يراجع: قاموس الكتاب المقدس: (ص٦٦٢).

(٢) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، (ص٣٢٧- ٣٣٨).

(٣) الإصحاح (٢٢)، الفقرات (٣- ٥).

آبائي»[١].

وجاء في سفر الأعمال أيضًا: «وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية، والسامرة، ما عدا الرسل، وحمل رجال أتقياء استفانوس[٢]، وعملوا عليه مناحة عظيمة، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجر رجالاً ونساءً، ويسلمهم إلى السجن»[٣].

وفي سفر الأعمال: «أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناسًا من الطريق رجالاً ونساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم»[٤].

ولكن:

ما قام به بولس ضد المسيحيين لم يشفِ قلبه، ولا سيما أنه وجد صدقًا في الإيمان من أتباع المسيح، يثبتون حتى القتل، ومع ذلك يزداد عددهم يومًا بعد يوم، وهذا يشكل خطرًا على أورشليم، فكان عليه أن يحتال للقضاء على هذا الخطر الزاحف على مملكة أورشليم، وقد فعل.

---

(١) الإصحاح (١)، الفقرتان (٣، ٤).

(٢) أول الشهداء عند النصارى، رسم شماسًا، ووشى به إلى المجمع اليهودي أنه يخالف تعاليم موسى، ويدعو إلى إبطالها، مما كان سببًا في رجمه بالحجارة من اليهود في أواخر السنة التي وقعت فيها حادثة الصلب. يراجع: مروج الأخبار في تراجم الأبرار، للأب بطرس مرماج اليسوعي: (٢/ ٨١٥-٨١٧)، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، ط/ الثانية، ١٨٨٠م.

(٣) الإصحاح (٨)، الفقرات (١ - ٣).

(٤) الإصحاح (٩)، الفقرات (١ - ٣).

حيلته للقضاء على النصرانية:

لقد دفعت عداوة المسيحيين بولس للتظاهر بالدخول في المسيحية؛ استمرارًا في حربهم بسلاح جديد، سلاح التهديم من الداخل، بإفساد معالمها، وطمس مظاهرها، فدخلها في الظاهر؛ ليأخذ من اعتناقه الظاهري لها سلاحًا يطعنها به.

وندع الإمام القرافي يذكر لنا كيف احتال حتى يدخل النصرانية، مقوضًا أركانها، والحقيقة أنه يذكر لنا ما يعد كالروايتين، في احتياله، نذكرهما، ثم نعقب عليهما.

الأولى:

يقول: «كان بولس شديد القتال والقتل للنصارى، فلم يشف بذلك قلبه، فأعمل الحيلة فحفظ الإنجيل، وعمد إلى راهب عظيم سأله خدمته، فأجيب، فأظهر الاجتهاد والنصيحة، والمبالغة في وجوه البر والإحسان إلى أن طال الزمن، فاستيقظ في بعض الليالي وصاح، وأظهر الهلع مما رأى في منامه، فسأله الراهب؟ فقال: رأيت المسيح -عليه السلام-، ونفث في فمي، وبارك عليَّ، وأنا أجد في نفسي كلامًا لا أدري ما هو منذ نفث، فذكر بعض ذلك الكلام، فوجدوه من الإنجيل، فاعتقدوا أن ذلك من عناية المسيح -عليه السلام- به، ومن عظيم بركته، فقال الراهب: أنا أحق بالخدمة، وأنت أحق بالتقدمة، فصُدِّر وتقدم، واشتهر إلى أن صارت ملوك النصارى تزوره يومًا في السنة، فلما تحقق تمكنه من قلوبهم، قال لهم في بعض زياراتهم له: إن المسيح قد أمرني أن أنزل غدًا من هذه القبلة، وأذبح نفسي في سفح هذا الجبل قربانًا للمسيح، فعظم ذلك عند الملوك؛ لفوات بركته، وألم مفارقته، وكيف يذبح نفسه بيده، فلما أصبح الصباح، ودخلوا للوداع، تقدم أكبر الملوك منزلة وأعلاهم رتبة لينفرد بتوديعه، فقال له بولس: إن عندي سرًّا أودعك إياه قبل الممات، فاعلم مقداره، وارفع مناره، فقال له: ما هو

أيها الأب القديس؟ قال: إن المسيح هو ابن الله تعالى، فقال له: ابن الله؟! فقال: ابن الله، ولولا ذلك لم يظهر عليه ما ظهر، فصمم الملك على ذلك، ولم يكن سمعه قبل ذلك اليوم.

ثم دخل الملك الأوسط فقال له: إن عندي سرًا عظيمًا، أوثرك به فاحفظه واعمل به، فقال له: وما هو؟ قال: مريم زوجة الله، فاعتقد الملك ذلك، ولم يكن سمعه قبل ذلك اليوم.

ثم دخل الملك الأصغر فهول عليه وأودعه أن الله ثالث ثلاثة، ثم خرج عند تعالى النهار، والعالم قيام في صعيد واحد، ينتظرون ماذا يكون من أمر بولس، فخرج من صومعته، وعليه ثياب القربان، ومعه سكين مرهفة، ونزل إلى سفح الجبل وذبح نفسه بيده، ثم ذهبوا إلى بلادهم، فأظهر الملك الأكبر معتقده الذي أسره إليه، وكذلك الملكان الآخران، فأنكر كل منهما على صاحبه مقالته، وقال: إن الراهب بولس لم يقل هذا، ولا جاءت به النبوات، ولا الكتب، فهذا كفر، فقاتل كل منهما الآخر ديانة وتقربًا، فصار بأسهم بينهم، والقتل فيهم بسيوفهم، وبسيوف اليهود، وذلك مراد بولس، فانظر ما أشد هذا الحقد، وما أبلغ هذا الكيد!

والثانية:

يقول القرافي: «وقال المؤرخون: إن عيسى -عليه السلام- لما دعا بني إسرائيل للإيمان، أجابه نفر يسير، ثم رفع، فاستحلى الناس كلامه حتى بلغ اتباعه سبعمائة رجل، فكانوا يجاهدون في بني إسرائيل، ويدعون للإيمان، فقام بولس، فهزمهم، وأخرجهم من الشام إلى الدروب، فأعجزوه، فقال: إن كلامهم يستحلى، وإن لم تقدموا على عدوكم وتردوهم، عن ملتهم، يتكثرون علينا، فتعاهدوني على كل شيء خيرًا أو شرًا ففعلوا، فخرج إليهم وقد لبس

لباسهم ليضلهم، فلما رآه النصارى، قالوا: الحمد لله الذي أمكن منك، فقال لهم: اجمعوا لي أكابركم، فإنه لم يبلغ مني حمقي أن آتيكم إلا ببرهان، فقال: أكابرهم مالك؟ قال: لقد لقيني المسيح عند منصرفي عنكم، فأخذ سمعي وبصري وعقلي، فلم أسمع، ولم أبصر، ولم أعقل، ثم كشف عني، فأعطيت الله عهدًا أن أدخل في أمركم، فأتيت لأقيم فيكم وأعلمكم التوراة وأحكامها فصدقوه[1]، وأمرهم أن يبنوا له بيتًا ويفرشوه رمادًا؛ ليعبد الله تعالى ففعلوا، وعلمهم ما شاء الله، ثم أغلق الباب فطافوا به، وقالوا: نخشى أن يكون رأى شيئًا يكرهه، ثم فتح بعد يوم فقالوا: رأيت ما تكرهه؟ قال: لا، ولكني رأيت رؤيا أعرضها عليكم... فإن كان صوابًا فخذوه، ثم قال: هل رأيتم سارحة[2] تسرح إلا من عند ربها، وتخرج إلا من حيث تؤمر به؟ قالوا: نعم، قال: فإني رأيت الصبح، والليل، والشمس، والقمر، والبروج، إنما تأتي من هاهنا -وأشار إلى المشرق-، ثم قال: وذلك أحق الوجوه أن يصلى إليه، فقالوا: صدقت، فردهم عن قبلتهم بيت المقدس إلى الشرق المحض، ثم أغلق الباب بعد ذلك يومين، ففزعوا أشد من الأول، فطافوا به، ففتح الباب، فقالوا: هل رأيت شيئًا تكرهه؟ قال: لا، ولكني رأيت رأيًا، قالوا: هات، قال: ألستم تزعمون أن الرجل إذا أهدى إلى الرجل الهدية، فردها شق عليه؟ قالوا: بلى، قال: فإن الله سخر لكم ما في الأرض جميعًا، وما في السماء، والله تعالى أحق أن لا يرد عليه، فما بال بعض الأشياء حلال، وبعضها حرام؟ ما بين البقة إلى الفيل حلال، قالوا: صدقت فاتبعوه في إباحة المحرمات، ثم أغلق بعد ذلك ثلاثًا، ففزعوا أشد من

---

(١) يراجع: ظهور عيسى، لبولس، وأخذه سمعه وبصره في سفر الأعمال، الإصحاح (٩)، الفقرات (٣- ٩).

(٢) السارحة: الماشية التي تسرح بالغداء إلى مراعيها. لسان العرب (٢/ ٤٧٨)، مادة (سرح).

الثانية، فلما فتح قال لهم: رأيت رأيًا، قالوا: هات، قال: ليخرج كل من في البيت إلا يعقوب ونسطور وملكوت والمؤمن، ففعلوا، فقال: هل علمتهم أحدًا من الإنس خلق من الطين خلقًا، فصار نفسًا؟ قالوا: لا، قال: وهل علمتم أحدًا من الإنس أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى؟ قالوا: لا، قال: فإني أقول: إن الله تجلى لنا ثم احتجب، فقال بعضهم: صدقت، وقال بعضهم: لكنه ثلاثة، والد، وولد، وروح القدس، وقال بعضهم: إله وولد، فافترقوا على أربع فرق:

فأما يعقوب: فأخذ بقول بولس: إن الله هو المسيح، وبه أخذت شيعته، وهم اليعقوبية.

وأما نسطور: فقال: المسيح ابن الله على جهة الرحمة، وبه أخذت شيعته النسطورية.

وأما ملكوت: فقال: إن الله ثالث ثلاثة، وبه أخذت شيعته وهم المكلية.

فقام المؤمن وقال لهم: عليكم لعنة الله، والله ما حاول هذا إلا إفسادكم، ونحن أصحاب المسيح قبله... فقال بولس للذين اتبعوه: قوموا بنا نقاتل هذا المؤمن ونقتله هو وأصحابه، وإلا أفسد عليكم دينكم، فخرج المؤمن إلى قومه وقال: ألستم تعلمون أن المسيح عبد الله ورسوله، وكذا قال لكم؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا الملعون أضل هؤلاء القوم، وركب بولس ومن معه أثرهم، فهزم المؤمن وأصحابه، وخرجوا إلى الشام فأسرتهم اليهود، فأخبروهم الخبر، وقالوا: إنما خرجنا إليكم لنأمن في بلادكم، وما لنا في الدنيا من حاجة، إنما نلتزم الكهوف والصوامع ونسيح في الأرض، فتركوهم، فهو قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ [الحديد: ٢٧]، وأدرك النبي ﷺ من أصحاب المؤمن ثلاثين راهبًا فاتبعوه، وماتوا على الإسلام، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤]؛ أي: بالحجة، وكانت هذه

الوقعة بعد المسيح بأربعين سنة»[١].

تعقيب:

١- قد يعجب الذين درسوا الديانات، وعرفوا أحوال رجالها وأدوارهم، فيقولون: كيف ينتقل رجل من كفر بديانة إلى اعتقاد شديد بها طفرة من غير سابق تمهيد؟ ولكن ذلك العجب يزول إن كان الانتقال مقصورًا على مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان، فإن لذلك نظائر وأشباهًا، بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق إلى الرسالة في الدين الذي كفر به، وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له نظير، وليس له مشابه، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسل قط، وهذه توراة اليهود وأسفار العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون كما رووها وكما قالوها، ليذكروا لنا رسولاً بعث من غير أن يكون في حياته الأولى استعدادًا لتلقي الوحي، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام، ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلب على رسالته، وأنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها، ولكن بولس أبا العجب، استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسه على المسحيين من بعده، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله، وآراءه وتعاليمه[٢].

٢- قد لا يسلم بالرواية الأولى لما فيها من غرابة؛ إذ كيف يقتل إنسان نفسه بيده مع ما عرف عنه من عبادة قبلا؟

ولكن هذا التعجب يزول، وتلك الغرابة تنتهي، إذا علم أن القائم بهذا الأمر يهودي يبغي الفساد والإفساد، وأما التعجب من قتل النفس، فلاشيء فيه، ولا سيما أن مثله كثير يقع في دنيا الناس، وكم من أناسٍ ماتوا في سبيل تحقيق

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص١٢٠- ١٢٣).

(٢) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص٦٩).

أهدافٍ لهم، وخصوصًا إذا كان الدافع وراء ذلك دينيًّا، وقد سبق إنكار اليهود لنبوة عيسى، وموقفهم من أتباعه. وأما الرواية الثانية: فلا يمكن إنكارها؛ ذلك لأن لها أصلا في كتب النصارى.

٣- يلاحظ في الصورتين قيامهما على الرؤيا، ففي الأولى رؤيا منامية، وفي الثانية رؤية علمية ومنامية أيضًا.

والحقيقة: أن معظم دين النصارى بعد عيسى -عليه السلام- يقوم على رؤى، وخيالات، وأوهام، فإذا رأى أحد مقدميهم رؤيا جعلوها وحيًا، وإذا ارتأى رأيًا جعلوه شرعًا، هذا في معظم شرائعهم.

يقول شارل جنير[1]: «وهكذا كان خيالهم بدافع التقوى، يزين الأحداث... واسترسلوا في سذاجتهم وبساطة مشاعرهم، فأصبحوا لا يفرقون بين الخيال والذكريات الحقيقية، ولقد خلطوا بينهما في تلك التعاليم التي نشروها من حولهم... وكان تحمسهم للعقيدة لا يدع لهم مجالاً لمقاومة ما توحي به الرؤى، والتهيؤات الفردية، فكل ما يمليه اتصال الواحد منهم اتصالاً خياليًا مباشرًا بالروح القدس يؤخذ قضية مسلمة، وفرضًا ضروريًا على الجميع أن يؤمنوا به»[2]، وهذا واضح فيما ذكره القرافي، فقد التفوا حول بولس لرؤيا رآها، وصار

---

(١) مسيحي كاثوليكي فرنسي، ولد بفرنسا، وتعلم بها، وتخصص في تاريخ الأديان على وجه العموم، وتاريخ المسيحية على وجه الخصوص، ترقى في المناصب الجامعية حتى صار أستاذًا ورئيسًا لقسم تاريخ الأديان بجامعة باريس، توفي بعد الحرب العالمية الثانية بزمن يسير، المسيحية ونشأتها وتطورها لشارل جنير، تقديم د. عبد الحليم محمود (ص٥، ٦)، دار المعارف، بدون تاريخ.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها: (ص٣٥)، دراسة تحليلية نقدية الإنجيل مرقس تاريخيًّا وموضوعيًّا، د. محمد عبد الحليم أبو السعد (ص٢٢٥)، «رسالة دكتوراة منشورة»، مطبعة الجبلاوي، شبرا، مصر، ط/ الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

مقدمًا عندهم، وتركوا تعاليم دينهم وارتضوا دينًا آخر، ووقع القتال بينهم لرؤيا أخبر بها شخص سبق عداؤه لهم.

٤- كما أنه يلاحظ أن الروايتين وإن اختلفتا في الأحداث، فقد اتفقتا في النتيجة، وهي إثارة الفرقة بين النصارى، وإبعادهم عن دينهم، وهذا مكمن الخداع؛ ذلك لأن بولس علم بدهائه أن قوة النصارى في اتحادهم، وأن سلطانهم في اعتصامهم بتعاليم دينهم، فحاك مكائده لإيقاع الفرقة بينهم، ودس دسائسه لإبعادهم عن دينهم، وقد حصل له مراده، ويمكن إجمال مفاسده في السطور الآتية.

مبتدعات بولس في النصرانية:

من خلال ما ذكره القرافي نذكر ما أحدثه بولس في النصرانية:

١- حول قبلتهم من بيت المقدس إلى المشرق.

٢- أباح لهم المحرمات، فما بين البقة إلى الفيل حلال.

٣- كان هو السبب في افتراق النصارى.

٤- قضى على التوحيد، وأقام مقامه ما يسمونه بالتثليث.

٥- كان هو السبب في اعتقاد بعضهم أن المسيح ابن الله، واعتقاد بعضهم أن الله هو المسيح ابن مريم.

٦- كان سببًا في ترك النصارى شريعة الختان[1].

ويمكن إضافة ما لم يذكره القرافي:

---

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح (٧)، الفقرات (١٨- ٢٠)، وينظر أيضًا: رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح (٣)، الفقرة (١).

٧- هو الذي أوصى بما يحدث في الكنائس اليوم من الأغاني والمزامير والتراتيل(١).

٨- أهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عن اليهود، وجعل عطلة الأسبوع يوم الأحد(٢).

٩- جعل المسيحية ليست دينًا لبني إسرائيل فقط، بل هي دين عالمي.

ولعل هذا المبدأ هو نقطة التحول في تاريخ هذه الديانة؛ لأن فتح باب هذه الديانة لجميع العناصر ألزم بولس أن يدخل على ديانته تعليمات أخرى تزيل الهوة بين ديانات بني إسرائيل، وأفكار الأمم المختلفة التي فتح لها باب المسيحية(٣).

١٠- أدخل فيها اعتقاد أن عيسى قام من الأموات، وعاد إلى السماوات ليجلس عن يمين أبيه كما كان من قبل ليحكم ويدين البشر(٤).

من خلال ما ذكرنا من ابتداعات بولس، يمكن القول: إنه هدم مسيحية عيسى -عليه السلام-، وأقام على أنقاضها مسيحيته، ولا نقول افتراءً عليه، بل هذا اعتراف الفاتيكان، واعتراف أحد قساوسة النصارى «عبد الأحد داود».

أما الفاتيكان فقد نشر كتابًا بعنوان «المسيحية عقيدة وعمل» جاء فيه: كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع.

---

(١) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح (٥)، الفقرة (١٩).
(٢) النصرانية والإسلام (ص٢٥٧- ٢٥٩).
(٣) ينظر: المسيحية (ص١٠٢، ١٠٣).
(٤) ينظر: المرجع السابق (ص١٠٣).

يقول دكتور/ أحمد شلبي: «وذلك أمر يستدعي الدهشة، فليس لإنسان أن يسمح لمؤمن أن يظل على ما كان عليه قبل الإيمان، ولكن بولس لم يكن يهتم بالمسيحية، وكان تشويهها وتدميرها هدفًا من أهدافه»[١].

وأما القس عبد الأحد داود فيقول عن بولس: «لا محل للحيرة إذا قلت: إن المؤسس الحقيقي للمسيحية الحاضرة هو بولس، فإن شاول الشاب الطرسوسي من سبط بنيامين، ومن مذهب الفرّيسيين، وتلميذ أحد علماء الدهر المدعو غمائيل، الذي كان يجتهد في محو اسم عيسى وأتباعه من الأرض»[٢].

وهنا يدور في الذهن أسئلة، كيف تنتشر مسيحية بولس مع وجود تلاميذ المسيح وأتباعه؟ فهلا اعترضوا؟ أو كتبوا ما يدفعون به تعاليم بولس؟

أسباب انتشار مسيحية بولس:

١- ما ذكره بولس عن نفسه في سبب تنصره من ظهور المسيح له، جعل النصارى يعتقدون أن المسيح فعل ذلك اهتمامًا به، وشخص اهتم به الرب -عندهم- لا بد من قبول كل ما يقول، ولم يكتفِ بولس بها زعم، بل إنه صرح عن نفسه بأن الإنجيل الذي يبشر به لم يأخذه عن بشر، بل أخذه عن المسيح مباشرة، وذلك قوله: «وأعرفكم أيها الإخوة: الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان؛ لأني لم أقبله من عند إنسان، ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح»[٣].

---

(١) المسيحية، (ص١١٤).

(٢) الإنجيل والصليب (ص١٦٠)، محاضرات في النصرانية (ص٦٩)، النصرانية والإسلام (ص٢٥٢).

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح (١)، الفقرة (١١، ١٢).

٢- كان بولس شديد التأثير في الناس، يستطيع أن يسيطر على أهوائهم، وأن ينتزع الثقة ممن يتحدث إليهم، حتى إنه استطاع أنه يقنع برنابًا بأن يصدقه في أنه رأى المسيح، كما استطاع أن يحتل مركز الصدارة بين التلاميذ، وأن يضعف ذواتهم بجانب شخصيته القوية(١).

٣- لكي يضمن بولس عدم اعتراض السلطات الرومانية على دعوته، لم يفته أن يوصي العبيد بخدمة أسيادهم بأمانة وإخلاص، مهما قسوا عليهم وعذبوهم وأعنتوهم، فتراه يقول في رسالته إلى أهل أفسس: «أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجد، بخوف، ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح»(٢).

ويقول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: «جميع الذين هو عبيد تحت نير، فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام؛ لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه»(٣)، ويقول في رسالته إلى تيطس: «والعبيد أن يخضعوا لسادتهم، ويرضوهم في كل شيء غير مناقضين، غير مختلسين، بل مقدمين كل أمانة صالحة»(٤).

ولذلك؛ فقد تركته السلطات الرومانية يبشر بدعوته التي لا حرج منها ولا خطر، ما دامت تقضي بمضاعفة العبيد لجهودهم في خدمة أسيادهم، وتقديم الرعاية لهم(٥).

٤- التعاليم التي دعا إليها بولس كانت منتشرة ومستساغة لدى معاصريه، فلم تكن هناك أية صعوبة في قبول، وتصديق الأساطير، مما سهل مهمته إلى حد

---

(١) ينظر: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص٢١٧)، النصرانية والإسلام (ص٢٤٧).
(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح (٦)، الفقرة (٥).
(٣) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس، الإصحاح (٦)، الفقرة (١).
(٤) رسالة بولس إلى تيطس، الإصحاح (٢)، الفقرتان (٩، ١٠).
(٥) النصرانية والإسلام (ص٢٥٠).

كبير؛ لأن فكرة المنقذين والآلهة المتجسدة كانت منتشرة عند الرومان، واليونان، والمصريين، والفرس، والهند، والصين، فنتج عن ذلك أن اتبع بولس أناس كثيرون، بسبب سهولة تقبل دعوته المشابهة لعقائدهم، وبهذا خدم بولس أطماعه التوسعية، وهكذا نجد بولس قد عرض المسيحية على أصحاب العقائد المختلفة بالصورة التي ترضي كلاً منهم، وترتب على ذلك أنهم دخلوا الديانة الجديدة بعقائدهم وأفكارهم القديمة(١).

٥- لم يتحرز بولس من استخدام كل الوسائل لكسب أكبر عدد من الأتباع، ولذلك كان يكشف لكل جماعة عن الوجه الذي يلائمها، وذلك قوله: «إذ كنت حرًّا من الجميع، استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس، كأني بلا ناموس لأربح الذين بلا ناموس، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قومًا»(٢)(٣).

٦- كان بولس نشيطًا دائم الحركة ذا قوى لا تكل، ونفس لا تمل، كما كان ألمعيًّا شديد الذكاء، بارع الحيلة، قوي الفكر، يدبر الأمور لما يريد بدهاء الألمعي،

---

(١) يراجع: المسيحية نشأتها وتطورها (ص٨٨) وما بعدها، مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين (ص١٥٥)، طبع/ الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية، الرياض، سنة ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م. أضرار تعليم التوراة والإنجيل، لتشارلز واطس (ص٩١، ٩٢)، ت/ محمد علي سلامة، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح (٩)، الفقرات (١٩- ٢٣).

(٣) ينظر: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص٢١٦)، مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص١٥٤، ١٥٥).

وذكاء الأروعي، يسدد السهام لغاياته ومآربه فيصيبها.

بكل هذه الأمور استطاع بولس أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين، فيعتنقوه دينًا، ويتخذوا قوله حجة، زاعمين أن له رسالة أرسل بها(١).

هل اعترض تلاميذ المسيح على بولس؟ أو كتبوا شيئًا يدفعون به تعاليمه؟

لقد تخوف حواريو المسيح -عليه السلام- من بولس، وتشككوا في أمره غير ناسين عداءه لهم من قبل، لكن برنابا -وقد خدعه بولس بدهائه- دافع عنه، وأحسن تقديمه إليهم حتى قبلوه(٢).

ولكن سرعان ما انفض أكثرهم عنه، لما علموا نواياه، وما يريد أن يبشر به، وذلك قول بولس إلى تلميذه تيموثاوس: «أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني»(٣).

والسبب في ذلك: أن تلاميذ المسيح -عليه السلام- كانوا بفلسطين من بلاد آسيا، وآسيا هي موطن الديانات، ومقر التوحيد، وكان التوحيد لا زال قائمًا، فلما ظهرت نوايا بولس، ثار عليه أتباع المسيح، مما اضطره إلى أن يخرج بدعوته إلى بلاد الغرب، ولم تلق دعوته قبولاً في بادئ الأمر في بلاد الشرق.

وقد ذكر بولس ذلك فقال -وهو ينقل ردود أفعال التلاميذ-: «فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا عليَّ بشيء، بالعكس إذ رأوا أني اؤتمنت على إنجيل الغرلة، كما بطرس على إنجيل الختان، أعطوني برنابا بيمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأما

---

(١) يراجع: المسيحية نشأتها وتطورها: (ص٩٠، ١١٠)، محاضرات في النصرانية (ص٦٨، ٦٩).
(٢) سفر أعمال الرسل، الإصحاح (٩)، الفقرات (٢٦- ٢٩).
(٣) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس، الإصحاح (١)، الفقرة (١٥).

هم للختان... وهذا عينه ما كنت اعتنيت أن أفعله»[(١)].

وعلى ما يبدو مما ذكره بولس في الكلام السابق من إرساله إلى الأمم، أن التلاميذ أرادوا إبعاد بولس عن اليهود الذين بعث إليهم المسيح، وأوصى تلاميذه مرة بعد مرة أن يقوموا بدعوتهم، وأما إرسال برنابا معه فيبدو أنه كان بقصد التوجيه والإصلاح لبولس، وهو يقوم بدعوة الوثنيين الغلف في الغرب[(٢)].

ولكن برنابا لما رأى فساد نواياه؛ تركه ولم يواصل معه رحلاته التبشيرية، وذلك ما جاء في سفر الأعمال: «قال بولس لبرنابا: لنرجع ولنفتقد إخواننا في كل مدينة نادينا فيها كلمة الرب كيف هم، فأشار برنابا أن يأخذ معهما أيضًا يوحنا الذي يدعى مرقس، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما - مرقس- ... لا يأخذانه معهما، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرص»[(٣)].

هذا: ويرفض المحققون اعتبار أخذ مرقس معهما وعدمه سببًا للافتراق، ويرون أن الأمر أكبر من ذلك فهو كما يقول برنابا يعود إلى ضلالات بولس التي ينشرها في تبشيره، وقد جاء في مقدمة إنجيل برنابا: «كانوا عديمي التقوى والإيمان، الذين ضلوا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح، ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح (٢)، الفقرات (٧- ١٠).
(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ د/ منقذ السقار (ص٤٢)، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط/ الأولى، ٢٠٠٦م.
(٣) الإصحاح (١٥)، الفقرات (٣٦- ٤٠).

السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي؛ لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما كتبته»[١].

ويستدل المحققون لرأيهم بأنه لا يعقل أن ينفصل الصديقان ويتشاجر بسبب اختلافهما فيمن يرافقهما، خاصة أن بولس رضي فيما بعد برفقة مرقس[٢]، ورغم تراجع بولس على عدم اصطحاب مرقس، فإنه لم يرد شيء يدل عن تحسن العلاقة بين بولس وبرنابا[٣].

ولم يكتفِ تلاميذ المسيح بمجرد التخلي عن بولس، بل لا بد أنهم أنكروا ما جاء به قولاً وكتابة، فلابد أنهم كتبوا ما يدفعون به تعاليم بولس، وهذا أمر لا يحتمل الشك، ولكن أين ما كتبوه؟ وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم عن آرائهم؟

والجواب:

أنه لا يوجد منه شيء الآن، فلا بد أن يكون قد ضاع، أو دمرته يد الطغيان، والغوغاء في العصور المظلمة، كما دمرت إنجيل عيسى، أو أن بعض ما كتبه هؤلاء ربما استطاع أن ينجو من التدمير، وأخفاه ذووه، وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى كان مجمع نيقية[٤]، حيث تقرر أن يختار الكتاب المقدس للمسيحيين،

---

(١) الفقرات (٢- ١٠)، ترجمة د. خليل سعادة، تقديم الشيخ/ محمد رشيد رضا، دار/ الفتح للإعلام العربي، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس، الإصحاح (٤)، الفقرة (١١).

(٣) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٤٤، ٤٥).

(٤) يسمى المجمع المسكوني الأول، ومعنى المسكوني: أي الذي شهده أساقفة، وقساوسة، وشمامسة الكنائس من سائر أنحاء المسكونة، وهذا المجمع عقد في مدينة نيقية -بآسيا =

فقدمه أصحابه للمجتمعين، ولكن القائلين بالتوحيد -وهم الأغلبية الساحقة بهذا المجمع- غلبوا على أمرهم، وانعقد المجمع بدونهم في أقلية تقول بألوهية المسيح، واتخذت قرارًا بذلك، وهؤلاء الذين قالوا بألوهية المسيح هم الذين اختاروا من بين الأناجيل والرسائل الموجودة ما لا يعارض هذا القرار، وقضوا على ما سواها بالفناء، ولم يظهر لنا من الثروة التي قضى عليها بالدمار إلا إنجيل برنابا، وقد كشف في القرن الثامن عشر، وقد ذكر برنابا أنه ألف إنجيله؛ ليرد على الضلالات التي يذيعها بعض الناس، ومنهم بولس -كما سبق- ومرت حقبة من الزمن انهزمت فيها مبادئ عيسى -عليه السلام-، وفنى حواريوه، وضاع التراث الفكري الذي خلفوه، أو اختفى، وتم النصر لأفكار بولس، وبخاصة عندما أيدت القوة الرومانية في مطلع القرن الرابع هذا الاتجاه، وحاربت سواه[1].

وبعد:

فقد استبان مما ذكرناه صحة ما قاله الإمام القرافي من أن بولس إبليس على النصارى، أخرجهم من دينهم كما تخرج الشعرة من العجين، كما أنه اتضح من الذي ذكرناه عن الإمام القرافي دقة الشيخ، وذكاؤه في تحديد محل الطعن، إذ إنه

=

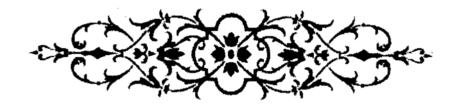
الصغرى- عام ٣٢٥م، بدعوة الإمبراطور قسطنطين الكبير، والسبب في انعقاده ما كان من القس آريوس الإسكندري الذي كان يدعو إلى عيسى عليه السلام ليس إلهًا، بل هو مخلوق مربوب.

وقد انتهى المجمع بحرمان آريوس ونفيه، وإحراق كتبه، والأمر بإعدام من يتستر عليها، وقرر في هذا المجمع قانون الإيمان المسيحي المسمى عندهم بالأمانة. يراجع: تاريخ الكنيسة القبطية: (ص١٩١)، تاريخ الأمة القبطية، إعداد لجنة التأليف القبطي: (ص١١٢، ٢١٣)، مطبعة التوفيق، مصر، ١٩٢٢م.

(١) ينظر: المسيحية، (ص١٠٩)، النصرانية والإسلام (ص٢٥٦، ٢٥٧).

بتناوله هذا الموضوع، شكك في جملة دين النصارى، وإذا حصل الشك في أصل دينهم؛ -لأنه ليس دين عيسى، بل هو دين بولس- فعلام يعول بعدها؟

والله أعلم



المطلب الثالث
أناجيل النصارى وموقف القرافي منها

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: الأناجيل وكاتبوها.

المسلك الثاني: موقف القرافي من أناجيل النصارى.



المسلك الأول
الأناجيل وكاتبوها

للأناجيل عند النصارى قدر عظيم ومكانة عالية، فمكانها عندهم، مكان القطب والعماد، فإذا كانت شخصية المسيح وما حاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فإن هذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية، من وقت الحمل إلى وقت صلبه في اعتقادهم، وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، فهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم والصلب والفداء؛ أي: أنها تشتمل على لب المسيحية في نظرهم بعد المسيح(١)، والأناجيل المعتبرة في النصرانية أربعة: «متى- مرقس- لوقا- يوحنا»، حتى إن لفظ الإنجيل عندهم يختص بكتب هؤلاء الأربعة، وقد يطلق مجازًا على مجموع كتب العهد الجديد(٢).

وقبل أن نتناول هذه الأناجيل الأربعة بشيء من الدراسة، نود أن نبين معنى كلمة إنجيل، وهل كانت للنصارى أناجيل غير هذه الأربعة، وهل إنجيل عيسى -عليه السلام- واحد من هؤلاء وأين هو.

معنى كلمة إنجيل:

كلمة إنجيل معربة عن أصل يوناني «أيفنجليون»، وهذا الأصل مركب من كلمتين «إيف» ومعناها: جيد، حسن، صلاح، صدق، و«انجليون» ومعناها: الإخبار بخبر من الأخبار، ويكون معنى اللفظتين معًا: الإخبار بالخبر الحق، أو السار، فكلمة: إنجيل تعني: البشارة، أو الخبر السار.

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص٣٧).

(٢) إظهار الحق (ص١/ ٥٦).

والسبب عند النصارى في إطلاق هذا الاسم عليه: أنه يعلن للملأ محبة الله المطلقة للخطاة.

يقول متى هنري في مقدمة تفسيره لإنجيل متى معللاً تسمية الإنجيل بهذا الاسم: «إن مجيء المسيح إلى العالم ليخلص الخطاة، هو بلا شك أفضل الأخبار التي أتت من السماء إلى الأرض»(١).

ويذكر بعض الباحثين: أن الكلمة مرت بأطوار دلالية حتى استقر إطلاقها على الكتب الأربعة عند النصارى، فيقول: «كلمة إنجيل كلمة يونانية معناها الحُلْوان، وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى، ثم أريد به البشرى عينها، أما المسيح فقد استعملها بمعنى بشرى الخلاص التي حملها إلى البشر، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه، وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم، نقول: إنجيل متى، إنجيل لوقا»(٢).

ويخص جون فنتون -عميد كلية اللاهوت بليتشفيد بانجلترا- كلمة إنجيل بالمادة التي تتحدث عن أقوال المسيح وأفعاله فقط، فيقول: «يبدو أن كلمة إنجيل تعني: ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال المسيح، وأفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة ألزم بها نفسه»(٣).

ويستنبط من تعريفه: أن الأناجيل ليست منزلة من عند الله تعالى، بل هي

---

(١) ينظر: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص٢٤٨- ٢٥٠)، تفسير العهد الجديد: (المقدمة) نشر دار الثقافة المسيحية، مصر، ٢٠٠٢م.

(٢) المسيحية، (ص١٧٢).

(٣) الجوانب الخفية من حياة المسيح، ناصر منشاوي (ص٤٦، ٤٧)، دار/ الهواري للتراث، مصر، ط/ ٣ ٢٠٠م.

مادة ألفها ورتبها مؤلف، وليست خاضعة لتبليغ جاء به رسول، بل هي تابعة لمعتقدات محددة ألزم الشخص بها نفسه، قد تكون خطأ، وقد تكون صوابًا.

ولم تكن الأناجيل أربعة فقط، بل كان هناك أناجيل كثيرة[١] بجانب هذه الأربعة، ولكن مصير هذه الأناجيل كلها قررهُ مجمع نيقية؛ أي: قرره أولئك الذين اتخذوا قرارًا بألوهية المسيح، ومن ثم ألغى هذا المجمع كل الأناجيل التي لا تتفق وقراره، والتي لا تلائم الاتجاه الذي ابتدعه بولس، فوافق هذا المجمع على الأسفار السبعة والعشرين، وكون منها ما أطلق عليه العهد الجديد، ورد المجمع كل ما سوى ذلك، وعده هراء بالغًا، وكفرًا وزيغًا يجب إفناؤه، ويعاقب من قال به، أو حمله[٢].

ولا نقول ذلك تقولاً على النصارى، بل هذا ما شهد به بعض قساوستهم الذي أسلم عبد الأحد داود إذ بين أن هذه الأناجيل الأربعة لم تكن معترفًا بها قبل القرن الرابع، وأنها اختيرت من بين ما يزيد عن أربعين إنجيلاً في قوله: «إن هذه السبعة والعشرين سفرًا أو الرسالة الموضوع من قبل ثمانية كتاب[٣] لم تدخل

---

(١) مثل: إنجيل يعقوب، وإنجيل بطرس، إنجيل العبرانيين، إنجيل توما، إنجيل المصريين، إنجيل نيقوديموس، فيلبس، إنجيل الرسل الاثنى عشر، إنجيل فيليب، إنجيل اندريا. وغيرها. يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق (ص١٤)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٢٩٨) وما بعدها. دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص٢٥٠) وما بعدها.

(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص٣٧)، المسيحية (ص١٧٤).

(٣) كتاب العهد الجديد ثمانية: فمتى ومرقس كل كتب إنجيله، ولوقا، كتب الإنجيل وسفر أعمال الرسل، ويوحنا كتب إنجيله وثلاث رسائل، وهو صاحب الرؤيا في العهد الجديد، وبولس له أربع عشرة رسالة، وبطرس له رسالتان، ويعقوب بن زبدي له رسالة واحدة، ويهوذا المدعي لبّاوس له رسالة واحدة، وهو غير يهوذا الإسخربوطي الذي شهد على المسيح وخانه.

في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية وحكمه سنة (٣٢٥م)، لذلك لم تكن هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة، وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور، ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفي مبعوث روحاني ومعهم عشرات الأناجيل، ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق، هناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلاً، وتم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى، وصودق عليها، وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بألوهية المسيح وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية، وتقرر إحراق ما سوى ذلك كله[1].

وإذا كانت أناجيل النصارى اليوم أربعة، فهل الإنجيل الذي جاء به عيسى -عليه السلام- واحد من هذه الأربعة أو غيرها؟ وإذا كان غيرها فأين هو؟

والجواب:

أنه يوجد في أناجيل النصارى عبارات تذكر كلمة إنجيل، أو بشارة -التي هي ترجمة لكلمة إنجيل باليونانية كما سبق- مضافة أحيانًا إلى المسيح على أنه ابن الله، وأحيانًا إلى الله، وأحيانًا إلى ملكوت، فنرى مثلاً في إنجيل متى: «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت»[2]، وبشارة الملكوت هي ترجمة كلمة إنجيل باليونانية، ونجد في إنجيل مرقس، «وبعدما

---

(١) الإنجيل والصليب (ص١٤).

(٢) الإصحاح (٤)، الفقرة (٢٣).

أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»[(١)]، وجاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: «أولاً: أشكر إلهي بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به في كل العالم، فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي»[(٢)].

وفي رسالته إلى أهل كورنثوس: «صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت للكل كلَّ شيء لأخلص على كل حال قومًا، وهذا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكًا فيه»[(٣)].

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «ففي هذا كله نجد كلمة إنجيل أو كلمة بشارة -وهي ترجمة كلمة إنجيل باليونانية- مضافة إلى ملكوت الله، كما في إنجيل متى ومرقس، وإنجيل الابن كما في رسالة بولس إلى أهل رومية، وكلمة إنجيل من غير إضافة كما في إنجيل مرقس ورسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى، ولا شك أن الإنجيل المذكور في كل هذا ليس واحدًا من هذه الأناجيل؛ لأنها لا تضاف إلا إلى أصحابها باتفاق النصارى، ولأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل كما في عبارة متى التي نقلناها، ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق، وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه، وهم بعد لا يزالون في دور العلم، ولأن هذا الإنجيل قد ذكر في هذه الأناجيل على أنه كان قائمًا على عهد عيسى، ولأنه ذكر من غير نسبة كما في إنجيل مرقس، ورسالة بولس إلى أهل كورنثوس، وليس واحد من هذه الأربعة تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه، ولأنه ذكر في رسالة إلى أهل رومية منسوبًا إلى المسيح الابن،

---

(١) الإصحاح (١)، الفقرتان (١٤، ١٥).

(٢) الإصحاح (١)، الفقرات (٨- ١٠).

(٣) الإصحاح (٩)، الفقرات (٢٢- ٢٥).

وليس واحد من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم، ولهذا كله نقول: ليس هذا الإنجيل واحداً منها، كما تقضي بذلك طبيعة السياق، وكما يقضي بذلك العقل، وإذا كان الأمر كذلك فهل لنا أن نفهم أن هناك إنجيلاً أصيلاً نزل على عيسى، وكرز به ووعظ على حد تعبيرهم، ويعتبر الأصل لهذه الديانة؟ ولقد يمهد لهذا الرأي ويرشح له أننا وجدنا من مؤرخي المسيحية الأحرار الذين لم يقيدهم في بحثهم إلا العلم والحقائق التاريخية من يصرحون بأنه كانت في القرن الأول رسالة تعتبر أصلاً لهذه الأناجيل فيما جاء به المسيح وخلاصة أحواله.

ثم ذكر قول أكهارن -أحد مؤرخي المسيحية-: «إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة، يجوز أن يقال: إنها الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم، ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة معقبًا: «إذن؛ فهؤلاء الأحرار يقرون أنه كان هناك إنجيل يعد من المسيحية بمنزلة القلب، ولكنه غير موجود»[1].

وندع صاحب كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق» يخبرنا أين ذهب إنجيل عيسى؟ بقوله: «ثم أقول: إن الاضطهادات التي جرت على الأمة النصرانية هي التي أنتجت ضياع الإنجيل الصحيح، وتركتهم في مشكل من تعدد الأناجيل، وتجدد الأباطيل، وقد ذكرها العلماء منكم الواقفون على علم التاريخ وقوفًا لا تنكرونه، -ثم عدد علماءهم الذين ذكروا ذلك، وقال- فإنهم صرحوا في كتبهم التي ألفوها بذلك، وأوضحوا فيها أحوال النصرانية وما جرى عليها من

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص٥١، ٥٢).

الفساد، وأن تلك الاضطهادات التي أوجبت ذلك الفساد بدأ ظهورها سنة ٦٤م. وتكرر وقوعها سنة ٦٥، ٩٥، ١٠٧، ١١٨، ٢١٢، ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٧٤، ٣٠٣ إلى سنة ٤٠٤م. حتى استقر الحال على هذه الأناجيل[1].

هذا: ولا يعتقد المسيحيون بالوحي الحرفي الذي يعتقده المسلمون في القرآن، فهم لا يقولون بأن الأناجيل نزلت على كاتبيها من الله أو الملائكة حرفًا حرفًا، وكلمة كلمة، بل يقولون: إن الله عز وجل إذا ما قصد بسمو لطفه، وحكمته أن يبلغ البشر شيئًا من أسراره حرك باطن كاتب يختاره، فيبعثه على كتابة السفر المقصود، ثم يمده بتأييده الخاص، ونعمته المختارة، ويلهمه اختبار الحوادث، والظروف والأعمال والأقوال التي شاء الله سبحانه رقمها لفائدة عباده، وكان له رقيبًا ومرشدًا، وعصمه من الخطأ في نقلها وتسطيرها، إفرادًا وإجمالاً بحيث إنه لا ينقل إلا ما ألهمه الله إياه، وهذا كافٍ -عندهم- لأن يُعْزى الكتاب إلى الله، فكاتبو الكتب عندهم معصومون في التبليغ إن كانوا أنبياء، والتحرير إن كانوا حواريين أو غيرهم، وإن ظهر لأحدٍ في موضع من المواضع في تحريرهم اختلاف أو محال عقلي، فذلك دليل نقصان علمه وفهمه[2].

وإذا كان لا بد من هذه التقدمة التي ذكرناها فلا بد أن نقف مع كل إنجيل نفصل القول فيه:

إنجيل متى: من هو متى؟

متى هو: أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر، كان من الجليل، ويدعى لاوى، ويسمى المسيحيون التلاميذ الاثنى عشر رسلاً، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق (ص١٥).

(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٧، ٨).

جباة الضرائب الذين كانوا يسمون في ذلك العهد عشارين، وكان العشارون جباة رسمين يعملون لحساب الرومان المستعمرين، ولذلك كانوا ممقوتين لدى الشعب، ومعتبرين خطاة في نظر عامة الناس، وخصوصًا اليهود الذين كانوا ينظرون للجباية نظرة ازدراء؛ لأنها تحمل صاحبها على الظلم، أو على الأقل تحمله على العنف، والعمل فيها معين للدولة الرومانية المغتصبة التي تحكم البلاد بغير رضا أهلها.

ولكن السيد المسيح اختاره تلميذًا من تلاميذه، كما جاء في إنجيله: «وفيما يسوع مجتاز من هناك، رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية، اسمه متى، فقال له: اتبعني، فقام واتبعه»[1].

رحل إلى الحبشة ومات به سنة ٧٠ م. على إثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة، وقيل: إنه طعن برمح في سنة ٦٢م. بالحبشة، بعد أن قضى بها ثلاثًا وعشرين سنة، داعيًا للمسيحية مبشرًا بها[2].

ولم يرد له ذكر في العهد الجديد سوى مرتين، أما المرة الأولى فعندما نادى عليه المسيح وهو في مكان عمله في الجباية -كما ذكرنا في اختيار المسيح له-، وأما المرة الثانية ففي سياق عد أسماء التلاميذ الاثنى عشر[3].

والجدير بالذكر أن مرقس ولوقا يذكران أن العشار الذي لقيه المسيح في محل الجباية هو لاوى بن حلفى[4]، ولم يذكرا اسم متى، وتزعم الكنيسة بلا دليل أن

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح (٩)، الفقرة (٩).

(٢) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٣٢٤)، محاضرات في النصرانية (ص٣١- ٤٠).

(٣) متى، الإصحاح (١٠)، الفقرة (٣)، إنجيل لوقا، الإصحاح (٦)، الفقرة (١٥).

(٤) مرقس، الإصحاح (٢)، الفقرتان (١٤، ١٥)، لوقا، الإصحاح (٥)، الفقرات (٢٧- ٢٩).

لاوى بن حلفى، هو اسم آخر لمتى العشار!

ولكن الأمر ليس كذلك، يقول جون فنتون مفسر إنجيل متى: «إنه لا يوجد دليل على أن متى هو اسم التنصير للاوى، ويرى أنه من المحتمل أنه كانت هناك بعض الصلات بين متى التلميذ والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة، أو معلمها الذي كان اسمه متى، ويحتمل أن المبشر كاتب الإنجيل قد اغتنم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الاثنى عشر «متى» الذي وقره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها»(١).

والحقيقة: أن كلام جون فنتون هذا وإن لم نأخذه مأخذ التسليم، فإنه يثير في النفس شكوكًا حول كاتب هذا الإنجيل.

من هو كاتب إنجيل متى؟

اشتهر أن متى الحواري تلميذ المسيح هو كاتب هذا الإنجيل، وتستدل الكنيسة على ذلك بأدلة أهمها:

١- الشواهد والبينات الواضحة من نهج الكتابة التي تدل على أن مؤلف هذا الإنجيل كان يهوديًا وتنصر، ومعلوم أن متى كذلك، جاء في مقدمة إنجيل متى في تفسير العهد الجديد: «ثم إن هذا الإنجيل مشحون بالأدلة على أن الذي كتبه كان مسيحيًا عبرانيًا، خبيرًا بكتب شعبه المقدسة، ومتعمقًا في معانيها»(٢).

٢- لا يعقل أن إنجيلاً خطيرًا كهذا -هو في مقدمة الأناجيل- ينسب إلى

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٥٠).

(٢) تفسير العهد الجديد: (مقدمة إنجيل متى) (ص١).

شخص مجهول والأحرى أن ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح.

٣- ذكر بابياس -من المؤرخي النصارى القدامى- أن متى قد جمع أقوال المسيح.

٤- من المسلم به أن الجابي عادة يحتفظ بالسجلات؛ لأن هذا من أهم واجباته لتقديم الحسابات، وكذلك فإن هذا الإنجيلي قد احتفظ بأقوال المسيح بكل دقة[١].

ونظرة فيما ذكروه: تبين أنه ليس هناك دليل حقيقي عندهم على صحة نسبة هذا الإنجيل إلى متى؛ إذ ليس بالضرورة أن يكتب الجابي معلوماته الدينية كما يكتب متعلقات عمله، كما أن كتابة متى لأقوال المسيح لا تفيد صحة نسبة الإنجيل المنسوب إليه اليوم[٢]، بل قامت الأدلة على أن الكاتب لهذا الإنجيل ليس من تلاميذ المسيح، ومن هذه الأدلة:

١- أن متى اعتمد في إنجيله على إنجيل مرقس، يقول فيلبس -وهو واحد من أكبر علماء المسيحية- في مقدمته لإنجيل متى: «إن القديس متى كان يقتبس من إنجيل القديس مرقس، وكان ينقحه محاولاً الوصول إلى تصور أحسن وأفضل لله»[٣].

وجاء في المدخل إلى الكتاب المقدس تحت عنوان متى كتبت بشارة متى؟ لابد أن تكون كتبت بعد أن كتب مرقس بشارته؛ حيث إن متى كان حسن

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص٨٣٢).

(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله (ص٥٠، ٥١).

(٣) مناظرتان في استكهولم بين الشيخ/ أحمد ديدات، وكبير قساوسة السويد/ استانلي شوبيرج (ص٦٦)، ترجمة/ علي الجوهري، دار/ الفضيلة، مصر، بدون تاريخ.

الإطلاع على بشارة مرقس[1].

ويضيف القس فهيم عزيز في «المدخل إلى الإنجيل» أن اعتماد متى على مرقس حقيقة معروفة لدى جميع الدارسين، فإذا كان متى التلميذ هو كاتب الإنجيل، فكيف ينقل عن مرقس الذي كان عمره عشر سنوات أيام دعوة المسيح؟ كيف لأحد التلاميذ الاثنى عشر أن ينقل عنه؟ هل ينقل الشاهد المعاين للأحداث عن الغائب الذي لم يشهدها؟

٢- أن إنجيل متى يذكر متى العشار مرتين -سبق ذكرها- ولم يشر من قريب أو بعيد إلى أنه الكاتب، وقد ذكر اسمه وسط قائمة التلاميذ الاثنى عشر، ولم يجعله أولاً ولا آخرًا، ثم لما تحدث عن اتباعه للمسيح استخدم صيغة الغائب، فقال: «وفيما يسوع مجتاز هناك رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له: اتبعني، فقام وتبعه»[2].

ولو كان متى هو الكاتب لقال: «قال لي» «تبعته» «رآني»، فدل ذلك على أن متى ليس هو كاتب الإنجيل.

التمعن في إنجيل متى يبين مدى الثقافة التوراتية الواسعة التي جعلت من متى أكثر الإنجيليين اهتمامًا بالنبوءات التوراتية عن المسيح، وهذا لا يتصور أن يصدر من عامل ضرائب، فهذا الكاتب ليس هو متى العشار. جاء في الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: «إنجيل متى به اقتباسات عديدة من العهد القديم،

---

(١) مدخل إلى الكتاب المقدس، لجون بالكين، بيتر كوتريل وغيرهما (ص٣٩٧)، ترجمة: نجيب إلياس، دار الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ.
(٢) إنجيل متى، الإصحاح (٩)، الفقرة (٩).

وليست أقل من خمسة وسبعين اقتباسًا»[١].

وما قامت عليه الأدلة يؤيده أقوال الكثيرين من علماء المسيحية، نذكر منها:

- يقول فاستس -من علماء النصارى في القرن الرابع-: «إن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه».

ويقول فيلبس في مقدمته لإنجيل متى: «نسب التراث القديم هذه البشارة إلى الحواري متى، ولكن معظم العلماء اليوم يرفضون هذا الرأي».

ويقول البروفسور هارنج: «إن إنجيل متى ليس من تأليف متى الحواري، بل هو لمؤلف مجهول أخفى شخصيته لغرض ما».

ويقول القس فهيم عزيز عن كاتب إنجيل متى: «لا نستطيع أن نعطيه اسمًا، قد يكون متى الرسول، وقد يكون غيره».

ويقول جون فنتون في تفسيره لإنجيل متى عن كاتب إنجيل متى: «إن ربط شخصيته كمؤلف بهذا التلميذ، إنما هو بالتأكيد محض خيال»[٢].

ويقول الكاهن جيمس كلسي: «إن التعاليم القديمة تعزو هذا الإنجيل إلى الحواري متى، هذا ما يقوله الناس، لكن العلماء في عصرنا الحاضر، يرفض معظمهم وجهة النظر هذه»[٣].

لذلك يمكن التساؤل: إذا لم ينسب هذا الكتاب إلى الحواري متى، فكيف

---

(١) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: د/ وليم إدري (مقدمة إنجيل متى)، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م.

(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٥١- ٥٣).

(٣) الإسلام والأديان، د. مصطفى حلمي (ص١٩٨)، دار/ الدعوة، الأسكندرية، ط/ أولى، ١٤١١هـ.

نقبله كلام الله؟».

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن كاتب إنجيل متى شخص مجهول، وإنما نسبه إلى متى ليلقى اهتمامًا وقبولاً عند النصارى، وقد كان.

متى وأين كتب إنجيل متى؟

اختلفت الأقوال وتضاربت في السنة التي كتب فيها إنجيل متى، حتى إنه كما يقول صاحب كتاب الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: «من العسير، إن لم يكن من المستحيل، تحديد سنة كتابة كل إنجيل على وجه التحديد، ومنها إنجيل متى».

ويمكن إجمال الأقوال في:

١- يرجح فنتون مفسر الإنجيل أنه كتب في حوالي الفترة ٨٥- ١٠٥م. وهو يقارب ما ذهب إليه البروفسور هارنج حين قال: «إن إنجيل متى كتب ما بين ٨٠- ١٠٠م»[(١)]، وقريب منهما ما ذكره صاحب كتاب الأناجيل دراسة مقارنة حيث قال: «تدل الأبحاث الكنائسية على أن الشخص الذي كتب إنجيل متى قد عاش في الجيل الثالث بعد رحيل المسيح؛ أي: في الفترة ما بين ٧٥- ١٠٠ بعد الميلاد[(٢)].

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٤٨).

(٢) الأناجيل دراسة مقارنة، للمهندس/ أحمد طاهر (ص٢٨)، دار المعارف، بدون تاريخ. وينظر: الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص٥٥)، المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص٤٠).

٢- يذكر ابن البطريق[١] أنه دون في عهد قلوديوس قيصر الرومان، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «وهذا الملك لم يكن هو الذي عاصر المسيح ... بل الذي عاصر المسيح وصلب -على زعمهم- في عهده: طيباريوس[٢]، وولي من بعده غابيوس، وملك أربع سنين وثلاثة أشهر، ثم جاء من بعده قلوديوس، وملك أربع عشرة سنة.

وعلى هذا: فيحتمل أن يكون تدوين هذا الإنجيل في آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح، ويحتمل أن يكون في أول أو أواخر العشرة الخامسة، أو أوائل العشرة السادسة.

٣- يقول جرجس زوين اللبناني: «إن متى كتب بشارته في أورشليم سنة ٣٩ للمسيح»[٣].

٤- ويذهب البعض إلى «أن متى كتب إنجيليه قبل مرقس ولوقا ويوحنا، ومرقس ولوقا كتبا إنجيلهما قبل خراب أورشليم، ولكن لا يمكن الجزم في أية سنة كتب كل منهم بعد صعود المسيح؛ لأنه ليس عندنا نص إلهي على ذلك»[٤].

---

(١) سعيد بن البطريق المولود بمصر سنة ٢٦٣هـ، والمتوفى سنة ٣٢٨هـ، كان طبيبًا، ومؤرخًا، وبطريركًا بالإسكندرية، له نظم الجواهر في التاريخ، الجدل بين المخالف والنصراني، يراجع: الأعلام (٣/ ٩٢).

(٢) الإمبراطور الروماني الثاني، ولد سنة ٤٢ ق.م، ومات مقتولاً سنة ٣٧ ق.م، وهو الذي وقعت أيامه حادثة الصلب. قاموس الكتاب المقدس (ص٥٨٤).

(٣) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص٤٠).

(٤) صاحب هذا الرأي هو وليم أدي، صاحب كتاب الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ومؤلفو كتاب المدخل إلى الكتاب المقدس. يراجع: الكنز الجليل: (١/ مقدمة إنجيل متى) مدخل إلى الكتاب المقدس: (ص٣٩٧).

٥- ويقول صاحب كتاب «ذخيرة الألباب في شرح الإنجيل»[١]: «إن القديس متى كتب إنجيله في السنة ٤١ للمسيح»[٢]، وهذا الرأي ذكره صاحب كتاب «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل»[٣]، والإمام القرافي[٤] إذ قال: «كتب بعد صعود المسيح إلى السماء بثمان سنين»، ومعلوم أن عيسى -عليه السلام- مكث في الأرض ثلاثًا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر[٥]، ويذكر ابن حزم أنه كتب بعد المسيح بتسع سنين؛ أي سنة ٤٢م[٦].

وبعد:

فقد ظهر تباين الآراء في تاريخ كتابة هذا الإنجيل، حتى إنه كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة: إن باب الاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده، ولا يمكن ترجيح رواية على أخرى، ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالاتباع[٧].

ولذلك يجعل هورن هذه الروايات المتضاربة في تحديد كتابة إنجيل متى ضعيفة واهية، ثم يسجل رأيه في زمن كتابة إنجيل متى مبينًا أنه لا يمكن الترجيح، فيقول: «ألف إنجيل متى سنة ٣٧، أو سنة ٣٨، أو سنة ٤١، أو سنة

---

(١) صاحب كتاب ذخيرة الألباب هو نعمة أبو بكر، أسقف لبنان، ولد في برمانا بلبنان سنة ١٨٥١م، وتوفي سنة ١٩٣١م، كان على علم بالعربية والفرنسية والإيطالية والسريانية واللاتينية، له كتب منها: قسطاس الأحكام في قوانين الكنيسة، المحاكمات الكنسية، وغيرها. يراجع: الأعلام (٨/ ٣٩).

(٢) محاضرات في النصرانية (ص٤١).

(٣) (١/ ١١١).

(٤) الأجوبة الفاخرة (ص٢١).

(٥) ينظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٠).

(٦) الفصل (٢/ ٢).

(٧) محاضرات في النصرانية (ص٤١).

٤٣، أو سنة ٤٨، أو سنة ٦١، أو سنة ٦٢، أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤ من الميلاد»(١).

وإذا كان لنا من قول، فإنا نقول: كتاب لم يعلم متبعوه تاريخ كتابته، كيف يعتقدونه إلهاميًّا سماويًّا؟!

مكان كتابته:

وأما مكان كتابته فقد اختلفت الآراء أيضًا في تحديده، فبينما يذهب الأكثرون إلى أنه كتب بأورشليم في بيت المقدس كتبه متى لليهود المتنصرين(٢)، يذهب البعض إلى أنه كتب بأنطاكية(٣) موطن متى الأصلي، ولكن أصحاب هذا الرأي يترددون قائلين: «ولما كان من الصعب ربط الإنجيل بمدينة محددة مثل أنطاكية فمن المناسب إذن القول: بأنه يأتي من مكان ما في المنطقة المحيطة بها، أو أي مكان ما يقع شمال فلسطين»(٤). أي: أن صاحب هذا القول لا يجزم تمامًا بتحديد مكان كتابته.

ويذهب عبد الله الترجمان -وهو قس نصراني أسلم- إلى أن متى كتب

---

(١) يراجع: إظهار الحق (١/ ٨٢، ٨٣).

(٢) يراجع: الفصل (٢/ ٢)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١١١)، الفارق بين المخلوق والخالق (ص٢٠)، محاضرات في النصرانية (ص٤٠، ٤١).

(٣) مدينة عظيمة بالشام على ساحل البحر، وكانت العرب تسمى كل شيء من قبل الشام أنطاكية، بناها بطليموس الثاني من الملوك اليونانيين، وهو الملك الثالث بعد الأسكندر الأكبر، ويقال: ليس في أرض الإسلام ولا في أرض الروم مثلها، وهي الآن تابعة لسوريا. يراجع: معجم البلدان (١/ ٢٦٧)، وآثار البلاد وأخبار العباد، (ص١٥٠، ١٥١)، الروض المعطار في خبر الأقطار، (ص٣٨) وما بعدها.

(٤) المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص٤٠)، الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص٤٥.

إنجيله في مدينة الأسكندرية[١].

اللغة التي كتب بها إنجيل متى:

والحال في لغة كتابة إنجيل متى، كالحال في تاريخ، ومكان كتابته؛ إذ الأقوال تتردد بين كونه كتب بالسريانية[٢] أو اليونانية[٣] أو العبرية، وهو قول الأكثرين[٤]، ويكفينا هنا أن نذكر قول الباجي زاده في هذه المسألة: «وقع اختلاف عظيم في الزمان المتأخر أن هذا الإنجيل كتب بأي لسان، لكن صرح كثير من القدماء أن متى كتب إنجيله باللسان العبراني الذي كان لأهل فلسطين، فليعد القول الذي اتفق عليه القدماء قولاً فصلاً في هذا القسم»[٥]. لكن لم يظهر إنجيل متى إلا باليونانية، فمن الذي ترجمه؟

والجواب:

أن مترجم إنجيل متى إلى اليونانية غير معروف، وكذا وقت ترجمته غير معروف.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «إن قدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتأخرين يقولون: إن إنجيل متى كان في اللسان العبراني، وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية، والموجود الآن ترجمته، ولا يوجد عندهم إسناد هذه

---

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لعبد الله الترجمان(ص٧٠)، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار الحرم للتراث، مصر، ط/ الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٢١).
(٣) ينظر: الأناجيل دراسة مقارنة (ص٢٨)، الجوانب الخفية (ص٥٥).
(٤) ينظر: الفصل (٢/ ٢)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١١١)، الفارق بين المخلوق والخالق (ص١٩، ٢٠)، مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص٤٠).
(٥) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٢٠).

الترجمة، حتى لم يعلم باليقين اسم المترجم أيضًا إلى هذا الحين، فضلاً عن علم أحوال المترجم، نعم يقولون رجمًا بالغيب، لعل فلانًا، أو فلانًا ترجمه، ولا يتم هذا على المخالف، ولا يثبت مثل هذا الظن استناد الكتاب إلى المصنف»[(١)].
ويقول جيروم[(٢)]: «الذي ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف» اهـ[(٣)].

ويقول القمص شنودة السرياني الذي كان أستاذًا في الكلية الإكليريكية المصرية في السبعينيات من القرن العشرين: «لكننا لا نعرف من نقل بشارة متى إلى اليونانية أو متى تم ذلك»[(٤)].

ويقول الباجي زاده: «إن إنجيل متى كان بالعبرانية، لا باليونانية، وإن نسخته الأصلية فقدت ثم ظهرت ترجمتها، ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل؟ ومن هو المترجم؟ وما هو حاله في القوة والضعف في الدين؟ وهل هو من المسيحيين، أو اليهود أو غيرهم؟ وإذا كان كذلك، فكيف يجزمون بهذا الإنجيل ويتخذونه دستورًا مقدسًا يرجعون إليه في عقائد الدين وأصوله؟ وكيف يجزمون أنه لمتى وهم لا يعلمون الذي ترجمه؟ ولا يدرون هل أدخل فيه من الضلالات ما لا يرضى به متى، ولا المسيح، ولم لا يجوز أن تكون النسخة العبرانية قد وقعت في يد أحد اليهود أو الدخلاء في المسيحية، فترجمها بما وافق غرضه، ولائم هواه ودس فيها من العقائد ما يغضب الجبار ويوجب الخلود في

---

(١) إظهار الحق (١/ ٧٩).
(٢) لاهوتي نصراني: من أكبر لاهوتيي الكنيسة في عصورها الأولى، ولد سنة ٣٤٧م، وتوفي سنة ٤٢٠م، موسوعة المورد: (ص٤٩).
(٣) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٤٩).
(٤) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٢٧٤).

النار؟ ... ولا عجب من ذلك، فإنه لا شك عدو يريد الفتك بعدوه، إنما العجب من أمة مثل النصرانية على كثرة عددها قبلت تلك الترجمة من مجهول الاسم، والحال، والدين!»[١].

ويزيدنا ارتيابًا في حال هذا المترجم قول نورتن الملقب بحامي الإنجيل -في حال هذا المترجم-: «إن مترجم متى كان حاطب ليل، ما كان يميز بين الرطب واليابس، فما كان في المتن من الصحيح والغلط ترجمه»[٢].

ولا شك أن جهل تاريخ التدوين وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية، وجهل المترجم وحاله من صلاح وغيره، وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها، والتي ترجم إليها، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي، ولئن تسامح الباحث في تاريخ التدوين وتاريخ الترجمة، وملابساتها ليمنعه العلم من الاسترسال في التسامح، حتى لا يرى أن السلسلة تكون كاملة، إذا لم يعرف الأصل الذي ترجم، إذ بمعرفة الأصل نعرف أكانت الترجمة طبق الأصل، أم فيها انحراف، ويعرف أيضًا: أفهم المترجم مرامي العبارات ومعانيها، سواء أكانت هذه المعاني تفهم بظاهر القول أم بإشارته، أم بلحن القول وتلويحاته، أم بروح المؤلف وغرضه، ولكن عز معرفة الأصل المترجم، وقد كان يتعزى عن ذلك لو عرف المترجم، وأنه ثبت ثقة، أمين في النقل، عالم لا يتزيد على العلماء، فقيه في المسيحية، حجة فيها، عارف للغتين، فاهم لهما، مجيد في التعبير لهما، فعندئذٍ كنا نقول: ثقة، روى عن ثقة بترجمته، وتسد الخلة بتلك الرواية، وترأب الثلمة بتلك النظرة، ولكن قد امتنع هذا أيضًا، فقال جمهرة

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٢١، ٢٢).

(٢) ينظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٤٩).

علمائهم: إن المترجم لم يعرف، فبقيت الثلمة من غير ما يرأبها[١].

إنجيل مرقس:

من هو مرقس؟

هو يوحنا الملقب بمرقس، كان يهوديًّا من سبط لاوى، ولد بأورشليم، ونشأ في أسرة متدينة، ولم يكن من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح، واختصهم بالزلفى إليه، لكن كان من أوائل الذين أجابوا دعوة عيسى -عليه السلام-، فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس -في اعتقاد النصارى- من بعد رفع عيسى، وألهموا التبشير بالمسيحية كما ألهموا مبادئها، وقد أجمعت الطوائف المسيحية على أن السيد المسيح -عليه السلام- كان يتردد على بيته، وأنه في هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه، وفي إحدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ، وكان بيته محل اجتماع التلاميذ بعد القيامة، وعلى هذا يَعُدُّ النصارى بيته أول كنسية مسيحية في العالم، اجتمع فيها المسيحيون في زمان لرسُل، ولازم مرقس خاله برنانا -وهو من الرسل- وبولس في رحلتهما إلى أنطاكية، وتبشيرهما بالمسيحية فيها، ثم تركهما بعد ذلك وعاد إلى أورشليم، ثم التقى مرة أخرى بخاله، واصطحبه إلى قبرص، ثم افترقا، فذهب إلى شمال أفريقية ودخل مصر في حوالي سنة ٦٠م. من جهة الأسكندرية، وأقام بها يدعو إلى المسيحية التي كانت أخبارها قد سبقته إليها، وقد وجد في مصر أرضًا خصبة لدعوته، فدخل فيها عدد كبير من المصريين، وكان يسافر من مصر أحيانًا إلى روما، وأحيانًا إلى شمال أفريقية، ولكن مصر كانت المستقر الآمن له.

ويذكر النصارى أنه بينما هو يحتفل برفع القرابين المقدسة يوم عيد الفصح،

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص٤٢).

واتفق ذلك مع عيد للوثنيين، فهجموا على الكنيسة التي كان النصارى قد أنشئوها عند البحر في المكان المعروف باسم دار البقر، وألقوا القبض على مرقس، وبدءوا يجرونه في طرقات المدينة، وهم يصيحون: «جروا التنين في دار البقر»[١]، وما زالوا على هذا النحو حتى تناثر لحمه، وسالت دماؤه، وفي المساء وضعوه في سجن مظلم، وفي منتصف تلك الليلة ظهر له المسيح، وقواه ووعده بإكليل الجهاد.

وفي اليوم التالي أعاد الوثنيون الكرة، حتى فاضت روحه في آخر برمودة سنة ٦٨م. وقيل: سنة ٥٢م[٢].

متى وأين كتب إنجيل مرقس؟

تاريخ كتابته:

اختلف في تحديد سنة كتابة إنجيل مرقس، فيذكر أرينيوس -أحد آباء الكنيسة الأولين- أن مرقس كتب البشارة التي تحمل اسمه، بعد أن نادى بطرس وبولس بالإنجيل في روما، وبعد أن توفيا، وإذا كان بطرس توفي بعد سنة ٦٤م. وبولس توفي سنة٦٨م. يكون هذا الإنجيل كتب ما بين ٦٥م إلى ٦٨م[٣].

ويتردد مفسر إنجيل مرقس دنيس أريك نينهام فيقول: «غالبًا ما يحدد في الجزء المبكر من الفترة ما بين ٦٥- ٧٥م. وغالبًا في عام ٦٥ أو ٦٦م. ويعتقد

---

(١) كانت دارًا للأبقار الموقوفة على السواقي السلطانية، وكان مقرها خارج القاهرة، وفي أيام الملك الناصر قلاوون جعلها دارًا واصطبلاً، وغرس بها عدة أشجار. يراجع: المواعظ والاعتبار (٢/ ٥١٢).

(٢) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٣٤١- ٣٤٣)، محاضرات في النصرانية (ص٤٢، ٤٣)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٥٦).

(٣) يراجع: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص٢٦٦).

كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح (١٢) قد سطر بعد عام ٧٠م».

ويرى القديس يوحنا ذهبي الفم[١] أنه كتب بعد سنة ٥٥م. أو حوالي سنة ٦١م[٢].

ويرى البعض أنه كتب بين عام ٣٩ إلى ٧٥م. بدون أن يحدد سنة كتابته، ويذهب سبنيوزا اليهودي إلى أن هذا الإنجيل كتب مرتين إحداهما، قبل عام ١٨٠م. والثانية بعده[٣].

ومن خلال الأقوال السابقة ندرك أنه لا يجزم أحد من النصارى بتحديد سنة كتابة إنجيل مرقس، وكل من يذكر قولاً يذكره مترددًا بدون تحديد، وهذا يوقعنا في حيرة من تحديد سنة كتابته، ولسنا أول من وقع فيها، فقد سبقنا إلى ذلك هورن أحد مقدمي النصارى، إذ يقول مترددًا حائرًا في تحديد سنة الكتابة: «وألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦، وما بعدها إلى سنة ٦٥، والأغلب أنه ألف سنة ستين، أو سنة ٦٣م»[٤].

مكان كتابته:

اختلف في تحديد مكان كتابة هذا الإنجيل، فيذهب الأكثرون إلى أنه كتب

---

(١) ولد في أنطاكية سنة ٣٤٤م لأبوين وثنيين، ورحل إلى مصر، وعاد إلى أنطاكية، عين شماسًا للكنيسة بأنطاكية، ثم كاهنًا لها سنة ٣٨٦م، وفي سنة ٣٩٦م اختير أسقفًا للقسطنطينية، توفي سنة ٤٠٧م، وإنما لقب بذهبي الفم لفصاحته وبلاغته. يراجع: مروج الأخبار في تراجم الأبرار (١/ ٨٣) وما بعدها، الكنز الثمين في أخبار القديسين لمكسيموس مظلوم (١/ ٣٦) وما بعدها، مطبعة المرسلين اليسوعيين، بيروت، ١٨٦٣م، تاريخ الأمة القبطية (ص٨٧).

(٢) ينظر: دراسة تحليلية نقدية، لإنجيل مرقس (ص٢٦٦).

(٣) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٥٥).

(٤) إظهار الحق (١/ ٨٣).

في روما، ويذهب البعض إلى أنه كتب في مصر، ويرى فريق ثالث أنه كتب بأنطاكية[1].

ولكن أكثر الآراء قبولاً: هو أنه كتب في روما، يقول نينهام عن مكان كتابته: «إن المأثورات المسيحية الأولى لا تسعفنا، فبينما يصمت كل من بابياس، وأرينيوس عن هذا، فإن كليمنت السكندري، وأوريجين يقولان: روما، بينما يقول كريسوستم بنفس الثقة: إنه من مصر، وفي غياب أي تحديد واضح تمدنا به المأثورات لمعرفة مكان الكتابة، فقد بحث العلماء داخل الإنجيل نفسه عما يمكن أن يمدنا به، وعلى هذا الأساس طرحت بعض الأماكن المقترحة مثل أنطاكية، لكن روما كانت هي أكثر الأماكن قبولاً»[2].

ولا ينسى أن من قال: إنه كتب في روما، قال: كتب باللاتينية لغة روما، ومن قال: كتب في مصر أو أنطاكية، قال: إنه كتب باللغة اليونانية[3].

كاتب إنجيل مرقس:

يقول يوسابيوس -أحد مؤرخي النصارى القدامى- بعد أن أشار إلى كرازة بطرس في روما، وأنه خلب بها عقول أهلها: «توسلوا بكل أنواع التوسلات إلى مرقس -أحد تابعي بطرس- والذي لا يزال إنجيله بين أيدينا؛ لكي يكتب لهم أثرًا مكتوبًا عن التعاليم التي سبق أن وصلتهم شفويًا، ولم يكفوا حتى تغلبوا على

---

(١) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٢٧٨)، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص٢٦٧)، الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص٥٣).

(٢) دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص٢٦٧)، المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص٣) نقلاً عن تفسير مرقس، لأنيس نينهام (ص٤٢).

(٣) يراجع: دراسة تحليلية نقدية (ص٢٩٧).

الرجل، وهكذا سنحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذي يحمل اسم مرقس»[(١)].

وقد تقدم قول أرينيوس أحد آباء الكنيسة: إن مرقس كتب البشارة التي تحمل اسمه بعد أن نادى بطرس وبولس بالإنجيل في روما وبعد أن توفيا.

فيستفاد مما ذكرنا أن كاتب الإنجيل هو مرقس.

وعلى العكس من هذا: يذكر ابن البطريق أنه في عصر تارون كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية، ونسبه إلى مرقس.

وفي الحقيقة أنه وإن كان في كلام ابن البطريق غرابة، إذ كيف يروي بطرس رئيس الحواريين عن مرقس أحد تلاميذه؟ لأنه إذا كان مرقس كتب إنجيله من خلاصة علمه بالمسيحية ورواه عنه أستاذه، فقد روى بطرس في حقيقة الأمر عن مرقس ما ألقاه عليه وعلمه، وإن ذلك لغريب، فإنه يخالف ما ذكره أرينيوس ويوسابيوس، إذ جعلا كاتب الإنجيل هو مرقس، وهو يجعله بطرس.

وإذا تعارضت الروايات فمن الصعب ترجيح إحداها على الآخرى، إذ ليس بين أيدينا ما نرجح به، وحينئذٍ يبقى السؤال قائمًا: من الكاتب إذن؟[(٢)].

إنجيل لوقا:

لوقا هو ثالث الإنجيليين، وكاتب سفر أعمال الرسل، ورفيق بولس في أسفاره وكرازته وأتعابه، ويذكر البعض أنه كان رومانيًّا من أبوين وثنيين، بينما يذكر البعض الآخر أنه كان أنطاكيًّا من أهل سوريا.

---

(١) ينظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٢٨٠).

(٢) يراجع: محاضرات في النصرانية (ص٤٣، ٤٤)، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص٢٦٣).

اهتدى للمسيحية على يد أحد التلاميذ الذين نزحوا من أورشليم في وقت مبكر حوالي سنة ٣٦م -عقب التشتت الذي حدث بعد مقتل استفانوس- إلى أنطاكية أو إلى روما، والبعض يرجح أنه آمن على يد بولس، وهذا هو رأي ترتليا نوس من القرن الثاني[١].

ويستفاد من ذلك أنه لم يكن تلميذًا للمسيح، ولم يره، وقد صرح بذلك في مقدمة إنجيله[٢].

ويذكر الكثيرون مستدلين بقولة بولس: «يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب»[٣]، أنه كان طبيبًا، ويستنبط القس إبراهيم سعيد من كون لوقا طبيبًا معاني كثيرة تسمو بإنجيله، فيقول: «وكان لوقا طبيبًا، وهذه المهنة لها قيمتها الخاصة؛ لأنها تلقي على حياة لوقا نورًا ساطعًا، فترينا إياه الرجل العلمي العملي المدقق المحقق الرقيق الأسلوب، الجميل الديباجة؛ لأن الرومان لم يسمحوا في وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب، إلا من جاز امتحانات عدة على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة»[٤].

وإذ يذكر البعض ذلك يذكر آخرون أنه لم يكن طبيبًا، بل كان مصورًا.

ومعظم ما جاء من معلومات عن لوقا إنما هو منتقى مما جرى بينه وبين بولس في سفر أعمال الرسل؛ لأنه ورد ذكره في هذا السفر أكثر من مرة، ولذا بعد وفاة بولس لم يعلم شيء عن حياة لوقا على وجه التحقيق، ولعل هذا دليل كبير

---

(١) يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٣٤٤)، محاضرات في النصرانية (ص٤٤).
(٢) الإصحاح (١)، الفقرات (١ - ٣).
(٣) رسالة بولس إلى أهل كولوسي، الإصحاح (٤)، الفقرة (١٤).
(٤) محاضرات في النصرانية (ص٤٤).

على ما اتصف به من اتضاع؛ لأنه على الرغم من أنه كتب الإنجيل الثالث، ووضع كتاب أعمال الرسل، إلا أنه أغضى عن ذكر نفسه وسكت عن أعماله، حتى لقد ترك شيئًا من الشك يحوم حول شخصه... وتذكر بعض التقاليد القديمة أن لوقا عمَّر حتى بلغ الرابعة والثمانين، وأنه مات مصلوبًا على شجرة زيتون في إيليا في بلاد اليونان[١].

ومن خلال ما سبق يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل، فمن قائل: إنه أنطاكي، ومن قال إنه روماني ولد بإيطاليا، ومن قائل: إنه كان طبيبًا، ومن قائل: إنه كان مصورًا.

وهذا الاختلاف هو الذي جعل الباجي زاده يقول عن كاتب إنجيل لوقا: «اختلفت النصرانية في لوقا اختلافًا كليًّا بحيث يمكننا أن نلحقه في الجهالة بمترجم إنجيل متى»[٢].

تاريخ كتابة إنجيل لوقا:

لا يختلف النصارى في أن إنجيل لوقا كتب باليونانية، ولكن يختلفون في تحديد سنة كتابته، يقول القمص شنودة السرياني: «ولا يعرف على وجه الدقة العام الذي كتب فيها لوقا إنجيله، لكن على أي حال، كتب قبل سنة ٧٠م»[٣].

وبينما يذكر شنودة أنه لا يستطيع تحديد سنة الكتابة، نجد الدكتور/

---

(١) الكنيسة المسيحية في عهد الرسل (ص٣٤٥)، ويراجع: الأناجيل دراسة مقارنة (ص٣٣) وما بعدها، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٥٨، ٥٩).

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣٢٥).

(٣) ينظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٣٤٥، ٣٤٦).

بوست[١]: يذكر أنه كتب مدة أسر بولس ما بين سنة ٥٨- ٦٠ من الميلاد، ومن هذا يفهم أنه كتب وبولس حي في الأسر، ولكن يذهب العلامة لادرن إلى أنه كتبه بعد موت بطرس وبولس، والواقع أن باب الاختلاف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل أوسع من ذلك[٢].

ويبين هورن مدى هذا الاختلاف بقوله: «وألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤»[٣].

مكان كتابته:

يذكر د/ بوست أنه كتب في قيصرية في فلسطين[٤]، ويذهب البعض أنه كتب في مكان ما من بلاد اليونان[٥]، ويتردد البعض الآخر أنه كتب إما في آسيا الصغرى أو اليونان[٦]، وفي واقع الأمر يبقى ما قاله شنودة السرياني حكمًا: «وأما مكان كتابته فغير معروف»[٧].

ولا نترك هذا الإنجيل حتى نقول: كتاب لم تعلم جنسية كاتبه، ولا مهنته، ولا تاريخ كتابته، ولا موطن الكتابة، أنى يجزم بأنه كتابه سماوي؟ فإن جهل هذه

---

(١) جورج إدوارد، أمريكي الأصل، ولد بنيويورك سنة ١٨٣٨م، وتعلم الطب في جامعتها، ودرس اللاهوت، ورحل إلى سورية سنة ١٢٨٠م، توفي في بيروت سنة ١٩٠٩م، له مصنفات منها: فهرس الكتاب المقدس، وغيره. يراجع: الأعلام (٢/ ١٤٤).

(٢) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣٢٥)، محاضرات في النصرانية (ص٤٥)، الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص٥٧، ٥٨).

(٣) إظهار الحق (١/ ٨٣).

(٤) محاضرات في النصرانية (ص٤٥).

(٥) الجوانب الخفية من حياة المسيح (ص٥٦).

(٦) الأناجيل دراسة مقارنة (ص٣٥).

(٧) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٢٥٨).

الأمور يترك في النفوس شكوكًا كثيرة.

إنجيل يوحنا: من هو يوحنا؟

يوحنا: هو يوحنا بن زبدي الصياد، شقيق يعقوب بن زبدي كبير الحواريين، ولد في بيت صيدا من الجليل، وتذهب أغلب الطوائف النصرانية إلى أنه أحد التلاميذ الاثنى عشر، وأنه هو محبوب عيسى -عليه السلام- حتى صاروا يدعونه يوحنا الحبيب.

ويبدو أنه تتلمذ بعض الوقت ليوحنا المعمدان -يحيى عليه السلام-، وكان يتردد عليه، دعاه عيسى -عليه السلام- للتلمذة مع أخيه يعقوب فتبعه، وكان عمره وقتذاك كما يذكر القديس جيروم خمسًا وعشرين سنة.

ويذكر النصارى أنه هو الوحيد من بين التلاميذ الذي انفرد بسيره بدون خوف وراء مخلصهم وقت أن قبض عليه رغم تخلي الجميع عنه، وهو الوحيد الذي رافق عيسى إلى الصلب كما يزعمون.

ويذكرون أيضًا أن عيسى -عليه السلام- أوصى إليه بوالدته مريم، وذلك حين حضره اليهود وأيقن بالموت -على زعمهم- وقال له: يا يوحنا، الله الله في والدتي، فإنها أمك، وقال لأمه: الله الله في يوحنا، فإنه ابنك، وأوصاها به، وعاش يوحنا مبشرًا بالمسيحية في أورشليم والمناطق القريبة منها، ثم غادرها إلى آسيا الصغرى، وأقام في مدينة أفسس[1]، داعيًا إلى النصرانية، وبسبب نشاطه

(١) أفسس أو أفسوس: مدينة دون خليج القسطنطينية من جهة بلاد الأرمن، كانت مطلة على البحر الرومي، فبُعد البحر عنها ويقال: إنها مدينة أصحاب الكهف. يراجع: معجم البلدان (١/ ٢٣١)، آثار البلاد وأخبار العباد (ص٤٩٨) وما بعدها، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص٤٩).

الكرازي -التبشيري- قبض عليه في حكم الإمبراطور دومتيان، وأرسل مقيدًا إلى روما، وهناك ألقي في مرجل زيت مغلي، فلم يؤثر عليه، مما أثار ثائرة الإمبراطور فأمر بنفيه إلى جزيرة بطمس[١]، فمكث فيها حتى أفرج عنه بعد موت دوميتيان وعاد إلى أفسس.

ويقول النصارى: إنه بعد ما دون إنجيله والرؤيا -رؤيا يوحنا اللاهوتي- وثلاث رسائل تحمل اسمه، توفي شيخًا هرمًا سنة ١٠٠م[٢].

السبب في كتابة إنجيل يوحنا:

يذكر علماء النصارى أن يوحنا كتب إنجيله، ليقرر لاهوت المسيح، بناء على طلب أساقفة زمانه الذين كانوا يخالفون من يعلم الناس أن المسيح لا يعدو أن يكون بشرًا، ولما لم يكن في أناجيل النصارى ما يدل على أن في المسيح لاهوتًا، طلبوا من يوحنا أن يكتب بشارة بخصوص لاهوت المسيح يحاربون بها البدع، أو الهرطقات -في نظرهم- التي تدعو إلى التوحيد.

يقول جرجس زوين اللبناني: «إن شير بنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يُعلِّمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانًا، وأنه لم يكن قبل أمه مريم، فلذلك في سنة ٩٦م. اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب

---

(١) تسمى الآن بطمو، وهي على بعد ثلاثين ميلاً، جنوب ساموس على شاطئ آسيا الصغرى الجنوب الغربي وكان من عادة الدولة الرومانية أن تنفي إليها المذنبين والمجرمين. قاموس الكتاب المقدس: (ص١٨٠).

(٢) يراجع: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (ص٧٢)، الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣٤٠، ٣٤١)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٣٠٤)، محاضرات في النصرانية (ص٤٦)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٦١).

بنوع خصوص لاهوت المسيح، فلم يسعه أن ينكر إجابة طلبهم».

ويقول يوسف الدبس الخوري[1] في مقدمة تفسيره لإنجيل يوحنا: «إن يوحنا صنف إنجيليه في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب: أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجليهم».

يقول الباجي زاده بعد أن ذكر هذين النقلين: «فهذا دليل على أن الطبقة الأولى إلى نهاية القرن الأول كانت تنكر لاهوت المسيح، كما أن الأناجيل الثلاثة لم تذكر شيئًا من لاهوته، وهو أول دين النصرانية وأساس عقيدتها، فحيث أهملوا هذا الأمر المهم، فقد سقطت أناجيلهم وعدالتهم، وأصبح خبرهم لا يعول عليه، وحيث إن إنجيل يوحنا كتب بالالتماس، فلا يصح أن يقال: إنه من الإلهام، فظهر أن البعض من أساقفة الطبقة الثانية ابتدعوا هذا الضلال الأسود، وأرادوا إطفاء نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وعار على المسيحي أن يدعي إلهامية كتاب صنف بالالتماس، وكيف يعتقد بلاهوت المسيح الذي أهملته الأناجيل، وزاده يوحنا إجابة لطلبهم والتماسهم؟ فخالف به الطبقة الأولى الذين هم أعلم بحقيقة المسيح وأدرى بأخباره وأحواله... نشكر الله تعالى أن نجانا من زمن يكون المصلوب المهان فيه إلهًا بالتماس!»[2].

---

(١) يوسف بن إلياس بن يوحنا: قس لبناني، ولد في كفر زينة من أعمال طرابلس، سنة ١٨٣٣م، توفي بلبنان سنة ١٩٠٧م، درس في مدرسة مار يوحنا، واختير رئيسًا لأساقفة بيروت، له مصنفات منها: تاريخ سورية، سفر الأخيار في سفر الأخبار، وغيرهما. يراجع: الأعلام (٨/ ٢١٩)، معجم المؤلفين (١٣/ ٢٧٧، ٢٧٨).

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣٤١، ٣٤٢)، ويراجع في ذلك: الكنيسة المسيحية =

ويقول الشيخ/ محمد أبو زهرة بعد أن ذكر كلام جرجس زوين، ويوسف الخوري وغيرهما: «من هذه النقول يستفاد أن كتَّاب النصارى مجمعون، أو يكادون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها؛ لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة يعلنها، وهنا لا يسع القارئ لتلك النقول إلا أن يستنبط أمرين:

أحدهما: صريح، وهو أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، أو هي كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل، وهذه حقيقة يجب تسجيلها، وهي أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح.

وثانيها: أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها -أي: بدعًا من عند أنفسهم-، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم، ويدفعوا هرطقتهم في زعمهم لم يجدوا مناصًا من أن يلتمسوا دليلاً ناطقًا يثبت ذلك، فاتجهوا إلى يوحنا، فكتب -كما يقولون- إنجيله الذي يشتمل على الحجة والبرهان للقضية، وهذا ينبئ عن أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص في الكتب عليه، وإلا ما اضطروا إلى إنجيل جديد طلبوه، افتقدوه، فلما لم يجدوه طلبوا من يوحنا أن يكتبه[1].

ويمكن أن يضاف إلى هذين أمر ثالث: هو الاعتقاد باستحالة أن تهمل الأناجيل الثلاثة الأولى أساسًا هو في الحقيقة أهم أسس الدين المسيحي، وهو

=

(ص٢٨٧)، هل العهد الجديد كلمة الله (ص٦١، ٦٢)، أضرار تعليم الكتاب المقدس (ص٨٧) وما بعدها.

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص٤٩، ٥٠).

ألوهية المسيح، فلو أن لهذه الألوهية أصلاً في الديانة المسيحية لما كان من الممكن أن تهملها هذه الأناجيل الثلاثة[1].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الإنجيل الرابع كتب استرضاءً لطائفة خاصة، تقول بألوهية المسيح، وتدعو إليها، وليس إلهاميًّا كما يقول النصارى.

نسبة الإنجيل إلى يوحنا:

يعتقد جمهور علماء النصارى أن كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا الحواري الحبيب، ولكن بجوار هؤلاء علماء من النصارى كثيرون ينكرون أن يكون هذا الإنجيل من تأليف يوحنا، فمن ذلك:

يقول المحقق برطشندر: «إن هذا الإنجيل كله، وكذا رسائل يوحنا ليست من تصينفه، بل صنفها أحد في ابتداء القرن الثاني، ونسبه إلى يوحنا ليعتبره الناس».

وتقول دائرة المعارف البريطانية التي هي زبدة أفكار خمسمائة عالم نصراني اجتمعوا على تأليفها تحت عنوان أناجيل: «أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية، ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة حواريين لبعضهما، وهما القديسان يوحنا ومتى، ولقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصًّا مع أن صاحبه غير يوحنا يقينًا، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني

(١) المسيحية (ص١٧٧).

بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخبطهم على غير هدى»[١].

ولا نترك ما جاء في دائرة المعارف حتى نسجل تعجبنا -كما تعجبوا هم-، إذ كيف يكون هذا الإنجيل الذي طغى عليه الجانب الفلسفي -وهذا واضح من بداية الإنجيل- من نتاج رجل صياد غير متعلم؟ فقد جاء في سفر أعمال الرسل: «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا، فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع»[٢].

حقًّا إن هذا لعجيب!!

وتقول دائرة المعارف الفرنسية: «ينسب إلى يوحنا هذا الإنجيل، وثلاثة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة، ويقول القس الهندي بركة الله في كتابه «لواء الصليب وتزوير الحقائق»: «الحق أن العلماء باتوا لا يعترفون دونما بحث وتمحيص بالنظرية القائلة بأن مؤلف الإنجيل الرابع كان القديس يوحنا بن زبدي الرسول، ونرى النقاد بصورة عامة على خلاف هذه النظرية»[٣].

ويستدل الشيخ/ رحمة الله الهندي على أن الكاتب لإنجيل يوحنا ليس هو يوحنا الحواري بما جاء فيه: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق»[٤]، يقول الشيخ: «فقال الكاتب في حق يوحنا هذه الألفاظ: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وشهادته حق» بضمائر الغائب، وقال في حق

---

(١) ينظر: الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣٤٢، ٣٤٣).
(٢) الإصحاح (٤)، الفقرة (١٣).
(٣) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٦٤).
(٤) الإصحاح (٢١)، الفقرة (٢٤).

نفسه: «نعلم على صيغة المتكلم، علم أن كاتبه غير يوحنا»[١].

ويذكر دليلاً آخر على ذلك، وهو: أنه لما أنكر على هذا الإنجيل في القرن الثاني بأنه ليس من تصنيف يوحنا، وكان في هذا الوقت أرينيوس الذي هو تلميذ بوليكارب[٢] الذي هو تلميذ يوحنا الحواري موجودًا فما قال في مقابلة المنكرين: إني سمعت من بوليكارب أن هذا الإنجيل من تصنيف يوحنا الحواري، فلو كان هذا الإنجيل من تصنيفه لعلم بوليكارب، وأخبر أرينيوس، ويبعد كل البعد أن يسمع أرينيوس من بوليكارب الأشياء الخفية مرارًا، ولا يسمع هذا الأمر العظيم الشأن مرة، وأبعد منه احتمال أنه سمع لكنه نسي؛ لأنه كان يعتبر الرواية اللسانية اعتبارًا عظيمًا ويحفظها حفظًا جيدًا... فقد قال في حق الروايات اللسانية: «سمعت هذه الأقوال بفضل الله بالإمعان التام وكتبتها في صدري لا على الورق، وعادتي من قديم الأيام أني أقرؤها دائمًا»، يقول الشيخ رحمة الله الهندي: ويستبعد أيضًا أنه كان حافظًا، لكنه ما نقل في مقابلة الخصم»[٣].

ولو صح ما ذكره بعض المؤرخين -ومنهم: تشالز الفريد، وروبرت إيزلز، وغيرهما- من أن يوحنا مات مشنوقًا سنة ٤٤م. على يد غريباس الأول؛ لكان دليلاً قويًا على أن الكاتب ليس هو الحواري يوحنا؛ إذ إن هذا الإنجيل كتب في

(١) إظهار الحق (١/ ٨٠، ٨١).

(٢) ولد سنة ٦٩م، وتتلمذ على يوحنا الإنجيلي، ورسمه كاهنًا على مدينة أزمير بآسيا الصغرى، أنهى حياته شهيدًا في عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس، وذلك سنة ١٥٠م بعد أن بلغ من العمر ٨٦ عامًا. يراجع: مروج الأخبار في تراجم الأبرار (١/ ٨١)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٣٥٤، ٣٥٥).

(٣) ينظر: إظهار الحق (١/ ٨١).

نهاية القرن الأول الميلادي، أو أوائل القرن الثاني[(١)].

ولكن إذا لم يكن يوحنا هو كاتب الإنجيل الرابع، فمن؟

والواقع: أن علماء النصارى أنفسهم لا يجزمون برأي في ذلك، حتى إن القس فهيم عزيز يقول: «هذا السؤال صعب، والجواب عنه يتطلب دراسة غالبًا ما تنتهي بالعبارة، لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل».

ويقول مفسر إنجيل يوحنا جون مارش: «ومن المحتمل أنه خلال العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي قام شخص يدعى يوحنا، ومن الممكن أن يكون يوحنا مرقس، خلافًا لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي»[(٢)].

ويقول استادلين: «إن مصنف هذا الإنجيل طالب من طلبة المدرسة الأسكندرية»[(٣)].

ويقول يوسف الخوري: إن كاتب هذا الإنجيل هو تلميذ يوحنا المسمى بروكلوس، ويذهب بعض المحققين منهم استيريتر في كتابه: «الأناجيل الأربعة» إلى أن يوحنا كاتب الإنجيل ليس هو ابن زبدي، بل هو يوحنا آخر، وهو يوحنا الأرشد.

ويقول جورج إيلتون في كتابه «شهادة إنجيل يوحنا» معبرًا عن الحيرة في هذا الأمر: «إن كاتب هذا الإنجيل أحد ثلاثة: تلميذ ليوحنا الرسول، أو يوحنا الشيخ، وليس الرسول، أو معلم كبير في أفسس مجهول الهوية»[(٤)].

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٦٥).

(٢) المرجع السابق (ص٦٦).

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣٤٢).

(٤) يراجع: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص٦٦، ٦٧).

والحق: أن مثل هذه الأقوال المتضاربة تلفت نظر أي قارئ، إلى حيرة النصارى في تحديد من هو كاتب إنجيل يوحنا؟ وتجعله يقر كما أقروا: أن تحديد الكاتب أمر صعب، وأنه لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل.

تاريخ ومكان تدوين إنجيل يوحنا:

يكاد يتفق النصارى على أن إنجيل يوحنا كتب باليونانية في مدينة أفسس بآسيا الصغرى، ولكنهم اختلفوا في تحديد سنة كتابته، فالبعض يرجح أنه سنة ٩٥م. والبعض الآخر يرى سنة ٩٨م. تحديدًا لزمن الكتابة، والبعض يرى أنه كتب ما بين سنة ٨٠م إلى سنة ٩٠م.

والحق: أن باب الاختلاف في تحديد وقت كتابة هذا الإنجيل واسع، ويدل على ذلك ما قاله هورن: «ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨، أو سنة ٦٩، أو سنة ٧٠، أو سنة ٨٩، أو سنة ٩٨ من الميلاد»[١].

والله أعلم



(١) يراجع: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل (٣/ ٦)، إظهار الحق (١/ ٨٣)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٢٨٧)، محاضرات في النصرانية (ص٤٨، ٤٩).

المسلك الثاني
موقف القرافي من أناجيل النصارى

وفيه فروع:

الفرع الأول: رد القرافي على قول النصارى إن القرآن الكريم عظم الإنجيل ودل على أنه غير مبدل.

الفرع الثاني: بيان انقطاع سند الأناجيل وعدم تواترها.

الفرع الثالث: بيان تناقض الأناجيل وتكاذبها.

الفرع الرابع: هل في الأناجيل شيء مما نزل على عيسى عليه السلام؟



الفرع الأول
رد القرافي على قول النصارى إن القرآن الكريم عظم الإنجيل ودل على أنه غير مبدل

يستدل النصارى على صحة كتبهم وعدم تبديلها. بآيات من القرآن الكريم، ظنوا أنها نافعة لهم ولكن الأمر ليس كذلك فهي بالنسبة إليهم كالضريع، لا تسمن ولا تغني من جوع وقد غاب عنهم في مسلكهم هذا أنهم أخذوا من القرآن الكريم بعضه وردوا البعض الآخر الذي يخبر أنهم حرفوا وبدلوا، وهذا ليس غريبا فقد أثبتنا في منهج أهل الكتاب في الطعن على الإسلام والمسلمين أنهم يأخذون من الأدلة ما يلائم أهواءهم، ويردون سواه، والواقع أن النصارى ما لجأوا إلى هذا المسلك إلا؛ لأنهم أعياهم الاستدلال على صحة دينهم من الأناجيل فلجأوا إلى كتاب ليس إلى رده سبيل؛ عله أن ينفعهم فيما يقصدون، يقول الباجي زاده:

(وأظن الضرروة ألجأتهم بمراجعة القرآن الكريم، وذلك لعدم وجود سند ودليل على إثبات أناجيلهم، وتعذره؛ لأن تصوير عقيدتهم خارج عن الإدراك، فلذلك صاروا يخبصون بفهم آيات القرآن الكريم، وهي تشهد عليهم لا لهم)[1].

شبهة النصارى:

يقولون: القرآن الكريم دل على تعظيم الإنجيل، وأنه غير مبدل فقد جاء فيه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) ينظر ذيل الفارق بين المخلوق والخالق، للباجي زاده (رسالة الأقاويل القرآنية في كتب المسيحية (ص٢١ -٢٢).

قالوا: وإذا قصدها لا تكون مبدلة، ولا يطرأ عايها التغيير بعد ذلك، لشهرتها في الأعصار والأمصار فيتعذر تغييرها.

ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١-٢] ويقولون: الكتاب هنا هو الإنجيل لقوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤] فالكتاب هاهنا: الإنجيل(١).

ويقولون: لو كان المشار إليه هو القرآن لما قال (ذلك) ولقال (هذا)؛ لأن القرآن ليس بعيدًا، فحيث جاء باسم الإشارة للبعيد فقد عنى كتابنا، وهو الإنجيل.

ومما يدل على تعظيم كتابنا قول الله تعالى آمرًا رسولكم أن يؤمن به ﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ ﴾ [الشورى: ١٥] فالكتاب هنا هو الإنجيل(٢).

رد القرافي على هذه الشبهة:

أما الآية الأولى: التي فيها أن القرآن صدق ما بين يديه من كتب، فقد أجاب القرافي بأن الكتب التي يصدقها القرآن الكريم ليست كتب النصارى المبدلة، بل هي الكتب المنزلة قبل تغييرها وتبديلها، وذلك قوله «وأما تصديق القرآن الكريم لما بين يديه فمعناه: أن الكتب المتقدمة عند نزولها قبل تغييرها وتخبيطها

---

(١) غير خاف أن النصارى في الآية أخذوا منها ما يلائم مقصودهم -كما هو منهجهم- إذ الآية ليس فيها أن المكذب قبل رسولنا هو شخص واحد حتى يصدق على عيسى، ويحمل الكتاب على كتابه، بل كما هو مصرح في الآية أن المكذب رسل كثيرون ، فليتأمل ذلك.

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص١٩-٢٠).

كانت حقًّا موافقة للقرآن الكريم، والقرآن موافق لها، وليس المراد الكتب الموجودة اليوم، فإن لفظ التوراة والإنجيل إنما ينصرفان إلى المنزلين»[1].

وإذا توجهنا شطر السابقين واللاحقين للإمام القرافي فلا نجد أحدًا تناول هذه الشبهة غير ابن تيمية، والألوسي، حسب ما بين أيدينا من كتب.

أما ابن تيمية: فقال عن تصديق القرآن الكريم : إنه أمر معلوم متواتر كتواتر رسالته ﷺ وإن مدح القرآن للكتب إنما هو للكتب غير المبدلة، وفي حقيقة الأمر أنه لا محل لاستمساك النصارى بمدح لكتاب غير كتابهم الذي بأيديهم، فإذا انضم إلى ذلك معرفة أن النسخ لحق كتابهم، كانت حجتهم أوهى، وفي هذا يقول: «أما تصديق خاتم الرسل محمد ﷺ لما أنزل الله قبله من الكتب، ولمن جاء قبله من الأنبياء فهذا معلوم بالاضطرار من دينه، متواتر تواترًا ظاهرًا كتواتر إرساله إلى الخلق كلهم وقد قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾» [المائدة: ٤٨].

ويبين ابن تيمية أن النصارى وإن تمسكوا من الآية بتصديق القرآن لكتابهم مع أن الأمر ليس كذلك فإنهم نسوا أو تناسوا الصفة الأخرى للكتاب وهو قوله ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ والتي من معانيها: الشهادة على الكتب السابقة بما فيها من تحريف فيقول: «فبين سبحانه وتعالى أنه أنزل القرآن مهيمنًا على ما بين يديه من الكتب، والمهيمن الشاهد المؤتمن، الحاكم، فالقرآن يشهد بما فيها من الحق، ويبين ما فيها من تحريف، ويحكم بإقرار ما أقره الله من أحكامها، وينسخ ما نسخه الله منها، وهو في ذلك مؤتمن عليها وليس في ذلك مدح لمن تمسك بشرع مبدل، فضلا عمن تمسك بشرع مبدل منسوخ، ولم يؤمن بما أرسل الله إليه من الرسل،

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٢٠).

وما أنزل إليه من الكتب»[1].

وأما الألوسي: فيجيب عن تصديق القرآن للكتب السابقة بأنها بشرت بالقرآن قبل نزوله وأنه جاء مصدقا لما فيها، وأن هذا التصديق لا ينفع النصارى، إذ عيسى عليه السلام جاء بإنجيل واحد. وللنصارى أناجيل عدة، قاربت السبعين، فأي إنجيل مصدق؟ وذلك قوله: «المراد: أنزل القرآن الكريم لتصديق الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء قبله أي أنها قد بشرت به قبل نزوله، فجاء مصدقا لها فمدح للتوراة والإنجيل الحقيقي الصادق الصحيح، لا لكل إنجيل ألفه مؤرخ من النصارى، حتى زادت عن سبعين إنجيلاً، وكل نسخة منها مخالفة للأخرى، وقد زاد ونقص كل مؤرخ منها، وذكر أمورا وقعت بعد رفع المسيح عليه السلام، فكيف يجوز لعاقل، ويسوغ لفاضل أن يقول: إن هذه الأناجيل هي بعينها كلام الملك الجليل؟»[2].

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن رد ابن تيمية، والألوسي عما تمسك به النصارى في الآية، أشفى من رد القرافي، وبيان ذلك: أن الإمام القرافي لم يزد في جوابه عن أن المراد بالكتب المصدقة، إنما هي المنزلة لا المبدلة، وهذا الأمر شاركه فيه ابن تيمية والألوسي، ولكن الألوسي تطرق إلى أمر لا ينكره النصارى، وهو أن عيسى جاء بإنجيل واحد، لا أناجيل كثيرة. والقرآن الكريم إنما هو مصدق لما جاء به عيسى، ولكنه لا يمكن تحديده من بين الأناجيل، ومن ثم فلا ينفع النصارى تصديق القرآن الكريم الذي تمسكوا به.

وأما ابن تيمية، فقد لجأ إلى منهج استخدمه القرآن الكريم في جداله لأهل

---

(١) ينظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١/ ٢٦١-٢٦٢).

(٢) ينظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح: (٢/ ٦٧٩-٦٨٠).

الكتاب، وهو منهج التسليم، إذ سلم بأن التصديق أمر معلوم، إلا أن هذا لا ينفعهم؛ لأن في الآية ما ينقض مدعاهم وهو هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة. وبالإضافة إلى ذلك أشار إلى أن القرآن الكريم وإن صدق كتبهم، فإن ذلك لا ينفعهم أيضا؛ لأنها نسخت به، فالأولى أن يتمسكوا بالناسخ لا المنسوخ.

وأما جواب القرافي عن وجه تمسكهن بالآية الثانية: فإنه يتعجب من ذلك مبينا أن ذلك قول جاءوا به من عند أنفسهم، لم يقله رسول الله ﷺ ولا جاء عن أحد من المسلمين فضلاً عن أن الرسول ﷺ أخبر بخلافه فيقدم قوله على قول غيره وذلك قوله: «وأما قولهم: إن الكتاب المراد به في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ هو الإنجيل فمن الافتراء العجيب، والتخييل الغريب، بل أجمع المسلمون قاطبة على أن المراد به القرآن ليس إلا، وإذا أخبر الناطق بذا اللفظ. وهو رسول الله ﷺ أن المراد هذا الكتاب، كيف يليق أن يحمل على غيره؟! فإن كل أحد مصدق فيما يدعيه في قول نفسه، إنما ينازع في قول غيره إن أمكنت منازعته»(١).

ثم يبين القرافي أن سبب خلطهم هذا، إنما هو جهلهم بقواعد اللغة التي نزل بها القرآن الكريم فيقول: أما الإشارة بـ(ذلك) التي اغتر بها هذا السائل، فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال: ذا للقريب، وذاك للمتوسط، وذلك للبعيد، لكن البعد والقرب يكون تارة بالزمان، وتارة بالمكان، وتارة بالشرف، وتارة بالاستحالة، ولذلك قالت زليخا في حق يوسف عليه السلام بالحضرة، وقد قطعن أيديهن من الدهش بحسنه: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢] وكل هذه الصور مجتمعة في القرآن الكريم، وبيان ذلك: أن القرآن الكريم لما عظمت رتبته في الشرف أشير إليه بذلك، وقد أشير إليه بذلك لبعد مكانه. لأنه مكتوب في

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٢٠).

اللوح المحفوظ، وقيل لبعد زمانه؛ لأنه وعد به في الكتب المنزلة قديما، وقيل: لما كان أصواتًا والصوت يستحيل بقاؤه، فصار بسبب هذه الاستحالة في غاية البعد[١].

وإذا ما جئنا إلى ابن تيمية فسنجده في رده على تمسكهم بهذه الآية يتخذ مما قالوا فيها دليلا على أنهم حرفوا كتابهم فيقول: «فهذا مما تأولوه من القرآن على غير المعنى الذي أراد الله به، وهذا مما يؤيد أنهم فعلوا كذلك بالتوراة والإنجيل؛ فإنه إذا كان القرآن الذي قد عرف تفسيره، والمراد به ونقل ذلك عن الرسول ﷺ نقلاً متواترًا، حتى عرف معناه علمًا يقينيًّا اضطراريًا يبدلون معناه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فماذا يصنعون بالتوراة والإنجيل ولم ينقل لفظ ذلك، ولا معناه كما نقل القرآن، وليس في أهل الكتاب من يذب عن لفظهما ومعناهما، كما يذب المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه»، ثم يقول: «لو قال اليهودي: المراد بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ التوراة، لكان هذا مع بطلانه أقرب من قول القائل: إن المراد بذلك الكتاب الإنجيل؛ لأن التوراة أحق بذلك من الإنجيل، فإنها الأصل، والله يقرن بينها وبين القرآن في غير موضع كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [هود: ١٧] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [الأحقاف: ١٠] وقول الجن ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ثم رد على ما تمسكوا به من أن اسم الإشارة جاء للبعيد في الآية فلا يحمل إلا على الإنجيل، بأن القرآن الكريم يشار إليه في آيات القرآن الكريم باعتبارين: باعتبار أنه حاضر عند الله تعالى، وهذا يشار باسم الإشارة القريب، وذلك كقوله تعالى:

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٢٠).

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وباعتبار أنه قد نزل قبل ذلك[1] فصار كالغائب الذي يشار إليه كما يشار إلى الغائب، وهذا هو المقصود في الآية»[2]. وأما الألوسي فلم يتعرض لهذه الآية.

ومن خلال ما سبق يتبين أن كلا الإمامين القرافي وابن تيمية ذكر في رده أمرا لما يذكره الآخر، فبينما نجد القرافي يبين للنصارى أنهم مختلقون هذا القول من عند أنفسهم، نجد ابن تيمية يتخذ من قولهم هذا دليلا على تحريفهم كتبهم التي يستدلون بالقرآن على صحتها.

وإذا ما جئنا إلى معالجة صميم ما تمسك به النصارى وجدنا القرافي أوسع باعًا من ابن تيمية، ولذلك كان رده أفحم، فالقرافي استقصى صور الإشارة للبعيد، على عكس ابن تيمية فلم يذكر إلا صورة واحدة خرج عليها الآية، وأولى الصور في نظري هي الصورة الأولى لبعد الشرف.

وأما جواب القرافي على ما قالوه في الآية الثالثة ﴿ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ فهو: «اعلم أن اللام في لسان العرب تكون لاستغراق الجنس،نحو حرم الله الخنزير والظلم، وللعهد نحو قولك لمن رآك أهنت رجلا: أكرمت الرجل بعد إهانته؟ ولها محامل كثيرة ليس هذا موضعها، فتحمل في كل مكان على ما يليق بها، فهي في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢] للعهد؛ لأنه موعود به مذكور على ألسنة الأنبياء عليهم السلام، فصار معلومًا فأشير إليه بلام العهد، وأما اللام في الآية التي تمسكتم، فهي للجنس،

---

(١) لعله يقصد أنه أشير إليه في الكتب السابقة؛ لأن القرآن الكريم لم ينزل قبل ذلك إلا إلى السماء الدنيا، ولا يصح الحمل على هذا؛ لأن العرب لم يكونوا يعلمون ذلك وقت نزول الآيات.

(٢) يراجع: الجواب الصحيح: (١/ ٢٦٣-٢٦٥).

إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة، فليس المقصود هاهنا الإنجيل كما زعمتم»، ثم وضع القرافي قاعدة لفهم القرآن الكريم وهي أنه لا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا من فهم لسان العرب فهمًا متقنًا[(١)][(٢)].

هذا: ولم يتعرض للجواب على هذه الآية ابن تيمية ولا الألوسي.

وأما جواب الإمام القرافي عما قالوه في الآية الرابعة ﴿ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ فهو أن المراد الكتب المنزلة لا المبدلة، وهذا مما لا يمتري فيه عاقل، ونحن ننازعهم فيما بأيديهم من الكتب فما هي منزلة، بل هي مبدلة مغيرة في غاية الوهن والضعف، وسقم الحفظ والرواية والسند، بحيث لا يوثق منها بشيء[(٣)].

ولم يتعرض شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام الألوسي في ردهما على الشبهة لهذه الآية، وإن ذكرا آيات أخرى يتعلق بها النصارى، وردا عليها، لا أذكرها خوف الإطالة[(٤)]. ولكن الإمام الألوسي أشار في رده إلى لفتة طيبة لم يذكرها القرافي، وهي أن النصارى إذا أخذوا الشهادات التي في ظاهرها أن القرآن يفيد أن كتبهم صحيحة، وغير مبدلة، فليأخذوا بالشهادات التي أخبر فيها أن كتبهم أصابها التحريف التبديل، وهذا ما عناه بقوله: «فنقول لهذا النصراني: إن كتابنا

---

(١) لا يفهم من القاعدة التي ذكرها الإمام القرافي أن اللغة العربية تغني في فهم القرآن الكريم فالقرافي لم يقصد هذا ولكن دور اللغة يأتي بعد النظر في القرآن الكريم، هل فيه آية أو آيات توضح ما أشكل علينا، ثم النظر في السنة النبوية المشرفة هل فيها ما يوضح الآية التي نريد فهم معناها، ثم النظر في أقوال الصحابة، فإن لم نجد فالنظر في لغة العرب يغنينا.

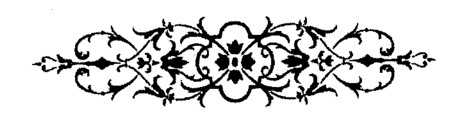
(٢) يراجع الأجوبة الفاخرة (ص٢١).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص٢١).

(٤) يراجع: الجواب الصحيح: (١/ ٢٦٠-٢٧٠)، الجواب الفسيح (٢/ ٦٧٠-٦٨٠).

الكريم يشهدُ أيضًا بأن ما في أيديكم من الأسفار محرف في آيات عديدة منها قوله: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥] وقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ ﴾ [المائدة: ١٣]»(١)

والله أعلم



(١) الجواب الفسيح: (٢/ ٦٧٠).

الفرع الثاني
بيان انقطاع سند الأناجيل وعدم تواترها

يبين الإمام القرافي انقطاع سند الأناجيل بفقد الرواية عند النصارى، وإذا فقدت الرواية فقد السند، وهذا قوله:

«أما أنتم فليس في أناجيلكم رواية العدل عن العدل إلى مؤلفي أناجيلكم ولا صرح مؤلفو أناجيلكم بكلمة واحدة يقول فيها متى وغيره. قال لي المسيح: إن الله أنزل عليه كذا، بل غاية ما في بعضها قال المسيح كذا، أما بيان أن ذلك القول المنزل من عند الله، أو هو من قبل عيسى عليه السلام على ما اقتضاه رأيه: أو أنزل عليه على سبيل أنه من الإنجيل، فهذا لم يتعرض له أنجيل من الأناجيل، وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بيننا وبينكم إن كنتم صادقين فقد وقفنا عليها، ولم نجد فيها شيئا من ذلك.»[1]

فالإمام القرافي في كلامه السابق يبين أن أناجيل النصارى لم يروها العدل عن العدل إلى كاتبيها ولم يصرح كاتبوها بأن عيسى عليه السلام أخبرهم بكذا، أو قال لهم كذا، هذا فضلاً عن أن فيها ما هو من عند الله، وما هو رأي ارتأه عيسى عليه السلام، وما هو نازل من عند الله ولكن ليس من الإنجيل، ولم يبين إنجيل من الأناجيل ما هو من عند الله وما هو من كلام غيره، ولا يقول القرافي ذلك ادعاءً عليهم، بل يطالبهم بدليل من كتبهم يثبت خلاف قوله.

اعتراض وجوابه:

قد يعترض النصارى، بأن التلاميذ متى نقلوا عن المسيح شيئًا فالمسيح قاله لهم، ولا يكذب التلاميذ فيما نقلوه اعتمادا على ما يدعيه النصارى من عصمة

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٩٨).

التلاميذ إذ يجعلونهم رسلاً كما سبق.

ويجيب الإمام القرافي على ذلك بقوله: «وليس لكم أن تقولوا متى نقل التلاميذ شيئًا فالمسيح قاله لهم؛ لأنا نقول: هم خلفاؤه على زعمكم، وكانوا فضلاء نجباء ومثل هؤلاء يكون لهم آراء واجتهادات، وأقيسة وفراسات يتحدثون باعتبارها، فليس لكم أن تقولوا كل ما يقولونه، فهو من قبل المسيح عليه السلام، أو من قوله، ولو سلمنا أنه من قوله عليه السلام، فيحتمل أنه من كلام الإنجيل ومن غيره فلا يوثق بحرف واحد عندكم، أنه من الإنجيل المنزل بل نقطع بأن أكثره ليس منزلا»[1].

فالإمام القرافي لا يقر بأن كل ما نقله التلاميذ فالمسيح قاله، لأن لهم أراء واجتهادات، اختلطت بأقوال المسيح، لا يمكن تمييزها، وإذا كان الأمر كذلك فلا يصح اعتقاد صحة شيء من الإنجيل أنه المنزل من عند الله؛ لعدم التمييز بين ما قاله المسيح وما قاله التلاميذ.

ثم يبين أن المسلمين لهذا السبب لم يجعلوا شيئا من أقوال النبي ﷺ ولا من أقوال أصحابه من القرآن الكريم حتى لا يختلط ذلك بالقرآن الكريم فيقول: «ولهذا لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئًا من الأحاديث النبوية مع صحتها من الكتاب المنزل ولا قول أحد من الصحابة، بل متى قال الصحابي قولا نسب له فقط، ولا يجوز أن يقال: هذا من قول النبي ﷺ فضلا عن كونه من القرآن، وأنتم جعلتم الجميع من الكتاب المنزل، وسميتموه كتاب الله، فوقعتم في الضلال وقول المحال»[2].

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٩٨).

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٩٩).

ويتخذ الإمام القرافي من انقطاع السند دليلا على عدم التواتر من باب أولى فيقول: «والنصارى واليهود إنما يعتمدون على التوراة، والإنجيل، ولا يوجد يهودي ولا نصراني على وجه الأرض يروى التوراة والإنجيل عدلاً عن عدل إلى موسى عليه السلام، أو عيسى عليه السلام وإذا تعذرت عليهم رواية العدل عن العدل، فأولى أن يتعذر التواتر»(١).

وإذا ما جئنا إلى السابقين للإمام القرافي نجد الإمام القرطبي يتناول قصة عدم تواتر الأناجيل ولم يتعرض لمسألة انقطاع السند، ويستدل على عدم تواتر الأناجيل، بأن كاتبيهما أربعة، وهذا العدد لم يصل إلى حد التواتر الذي يحيل السهو والغلط والكذب، الذي قد يكون في الأربعة وهذا ما عناه بقوله: «وأما هذا الكتاب الذي يدعي النصارى أنه الإنجيل فقد توافق هؤلاء النصارى على أنه إنما تلقى عن اثنين من الحواريين وهما: متاؤوش -متى- ويوحنا، وعن اثنين من تلاميذ الحواريين وهما: ماركش -مرقس- ولوقا. وأن عيسى عليه السلام لم يشافههم بكتاب مكتوب عن الله تعالى، كما فعل موسى ثم يقول: فقد حصل من هذا الكلام أن الإنجيل ليس نقله متواترًا؛ فإنه راجع إلى الأربعة الذين ذكرناهم، والعادة تجوز عليهم الغلط والسهو، والكذب»(٢).

ومن خلال ما ذكرنا عن الإمامين يتبين لنا، أن الإمام القرطبي اتخذ من عدد كاتبي الأناجيل الأربعة دليلا على عدم تواتر الأناجيل، ولم يتعرض لانقطاع سندها، وأما الإمام القرافي فلم يتعرض لمسألة العدد الأربعة متخذًا منها دليلاً على نفي التواتر، وكأنه جعل هذا الأمر مسلمًا يعرفه كل من عرف أن كاتبي الأناجيل أربعة، ولكنه نفي رواية العدل عن العدل، ثم طالبهم بأناجيلهم تحكم

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٥٣).

(٢) الإعلام: ص (٢٠٣-٢٠٤).

بينه وبينهم إن كانوا صادقين، ثم استخدم قياس الأولى؛ لأنه إذا انقطعت رواية العدل، فالتواتر معدوم من باب الأولى، وهذا يبين أن رد الإمام القرافي في عدم التواتر أقوى، فضلاً عن أنه ذكر ما لم يذكره القرطبي، وهذا لا ينقص من قدر الإمام القرطبي، فلكل وجهة هو موليها.

وأما المتأخرون فمنهم من تعرض لانقطاع السند وهو الشيخ رحمة الله الهندي، وقد أطال النفس في ذلك، إذ إنه تعرض لكل إنجيل على حدة مبينًا من كتبه، ومن ترجمه وموطن الكتابة، واللغة، متخذا من هذه الأمور أدلة على انقطاع السند[1] وأرى أنه لا حاجة في ذكر شيء من ذلك، لاسيما وقد ذكرت شيئًا كثيرًا من هذا في مبحث: الأناجيل وكاتبوها.

والله أعلم



(١) يراجع: اظهار الحق: ص(١/ ٥٦-٨٩).

الفرع الثالث
بيان تناقض الأناجيل وتكاذبها

إذا كان الإمام القرافي في المسلك السابق نقد الأناجيل من جهة سندها، فإنه في هذا المسلك ينقدها من جهة متنها، إذ يبين أن كثيرًا من نصوص الأناجيل يناقض بعضها بعضًا، ويكذب بعضها البعض الآخر، وهذا دليل على أن تلك الأناجيل ليس منزلة من عند الله تعالى إذ كلام الله تعالى يجل عن التناقض والتكاذب، وقد ذكر الإمام القرافي مواضع كثيرة بيَّن فيها تناقض الأناجيل، نذكر منها:

الموضع الأول:

يقول القرافي: «قال يوحنا: من يوسف خطيب مريم عليها السلام، وهو المسمى يوسف النجار -إلى إبراهيم عليه السلام اثنتان وأربعون ولادة[(١)] وقال لوقا: أربع وخمسون[(٢)(٣)]» هكذا ذكر الإمام القرافي هذا التناقض بدون تعليق.

ولكن إذا نظرنا في كلام السابقين عن الإمام القرافي فإنا نجد الإمام ابن

---

(١) لم يرد في إنجيل يوحنا ذكر نسب المسيح عليه السلام من ناحية أجداده وإنما هو وارد في إنجيل متى، الإصحاح الأول، الفقرات: (١-١٧) ولعل هذا الخطأ من النساخ، وعند عد سلسلة النسب التي ذكرها متى نجد أنها تسعة وثلاثون أبا إلى إبراهيم عليه السلام، ولعل الإمام القرافي ذكرها اثنتين وأربعين ولادة بناء على ما قال متى بعد عدد الآباء: (فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا) الإصحاح (١) الفقرات(١٧) وعند عد الأجيال يكونون اثنين وأربعين جيلا، وهذا أيضا غير صحيح. يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١٣).

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح: (٣) الفقرات: (٢٣-٣٥).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٢).

حزم يقول في نقده هذا التعارض: «فأعجبوا لهذه المصيبة.... متّى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار، ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبًا فأبًا، ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متى، حتى يخرجه إلى ناتان بن داود، أخي سليمان بن داود ولا بد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذبًا، فيكذب متى، أو لوقا أو لابد أن يكون كلا النسبين كذبا ولا يمكن ألبتة أن يكون كلا النسبين حقا»[1] ثم يذكر تعليل علماء النصارى لاختلاف النسبين، ويبين ما فيه من الكذب والهوس فيقول: «وقال بعض أكابر من سلف من مضليهم: إن أحد هذين النسبين هو نسب الولادة، والنسب الآخر، نسب إلى إنسان تبناه على ما قد كان في قديم زمن بني إسرائيل من أن من مات ولا ولد له، وتزوج آخر امرأته نسب إلى الميت من ولدت من هذا الحي، فقلنا لمن عارضنا منهم بهذا الهوس: من لك بهذا؟ وأين وجدته للوقا أو لمتى؟ والدعوى لا يعجز عنها أحد، وهي باطلة إلا أن يعضدها برهان، وبعد هذا فأي النسبين هو نسب الولادة، وأيهما هو نسب الإضافة لا الحقيقة فأيهما قال، قلب عليه قوله، وقيل له: هذه دعوى بلا برهان»[2].

ونجد أبا عبيدة الخزرجي يقول معلقا: فكيف يقع هذا الاختلاف في كتاب الله تعالى؟[3] ونجد الإمام القرطبي بعد أن تعجب من وجود مثل هذا في كتاب الله تعالى، وذكر ما تعلل به علماؤهم يقول معرضا بهم في أنهم نسبوا بذلك مريم إلى الزنا، ومتعجبًا من أنهم ينتهون بهذا النسب إلى آدم، ولا يقيسون عيسى إلى آدم: «ثم انظر هذه الشناعة التي ارتكبوها حيث نسبوا عيسى عليه السلام إلى

---

(١) الفصل في الملل والأهواء النحل (٢/ ١٥).

(٢)الفصل في الملل والأهواء النحل (٢/ ١٥).

(٣) بين الإسلام والمسيحية: (١٨٠-١٨١).

رجل زعموا أنه خطب أمه مريم، وأي نسبة تثبت بينهما بأن أراد أن يتزوج إنسان أمه؟ ثم إنهم يبلغون نسب يوسف إلى آدم، ثم يقولون: إلى الله، فهلا عليهم يستغنون عن ذكر نسب من لا ينتسب في عيسى، ويقولون في عيسى: ما يقولون في آدم، لولا الجهل والتحكم»(١).

وإذا ما جئنا إلى أبي البقاء الجعفري نجده يجعل المسئولية على لوقا، لأنه ليس من التلاميذ فيقول: «ولعل التوريك(٢) على لوقا أولى؛ لأن متى صحابي، ولوقا ليس بصحابي إلا أنه لا فرق بينهما عند النصارى، وذلك يقضي بانخرام الثقة بهما جميعا»(٣).

وأما المتأخرون: فنجد الشيخ رحمة الله الهندي يذكر الاختلاف بين النسبين، فيقول: «من قابل نسب المسيح الذي في إنجيل متى بالبيان الذي في إنجيل لوقا وجد ستة اختلافات:

١- يعلم من متى أن يوسف ابن يعقوب، ومن لوقا أنه ابن هالي.

٢- يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم. ومن لوقا: أنه من أولاد ناتان بن داود.

٣- يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين، ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود، وناتان.

---

(١) الإعلام (٢٠٧-٢٠٨).

(٢) التوريك: تحمل الذنب والمسئولية به، جاء في لسان العرب، والتوريك: توريك الرجل ذنبه غيره، كأنه يلزمه إياه، وورك فلانا ذنبه على غيره توريكا إذا أضافه إليه وورك الذنب عليه: حمله. لسان العرب (١٠/ ٥٠٩) وينظر القاموس المحيط: (ص١٢٣٥)، (مادة ورّك).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٨٥).

٤- يعلم من متى أن شتائيل ابن بوخانيا ويعلم من لوقا أنه ابن نيري.

٥- يعلم من متى أن اسم ابن زور بابل أبيهود، ومن لوقا أن اسمه ريصا.

٦- من داود إلى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلا على ما بين متى، وأربعون جيلا على ما بين لوقا.»(١)

ومما سبق يتضح أن كل من ذكرنا أقوالهم إنما ذكروا هذا التناقض، وأضافوا إليه ما يزيده قوة إلى قوته، إلا أن الإمام القرافي ذكره بدون تعليق، ولعله استغنى عن ذلك بوضوح التناقض وعدم التباسه على أحد.

الموضع الثاني:

يقول القرافي: قال لوقا: «قال جبريل الملك لمريم بناصرة: إنك ستلدين ولدًا اسمه يسوع يجلسه الرب على كرسي أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب»(٢) وكذبه يوحنا وغيره، فقال: «بل حمل يسوع هذا الذي وعده الله بالملك إلى القائد بيلاطس، وقد ألبسه شهرة الثياب، وتوجّه بتاج من الشوك، وصفَعُوهُ وسخروا منه وفاوضه بيلاطس طويلاً فلم يتكلم، فقال له: أما تعلم أن لي عليك سلطانًا، إن شئت صلبتك، وإن شئت أطلقتك، فأجابه يسوع عليه السلام، لولا أنك أعطيت ذلك من السماء، لم يكن لك على سلطان ومن ذلك خطيئتي التي أسلمتني إليك عظيمة، وصلبه بعد ذلك»(٣).

---

(١) إظهار الحق: (١/ ١٠٠)، وينظر: هداية الحيارى: (ص١٤٨)، الفارق بين المخلوق والخالق (ص٢٤).

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح (١) الفقرات (٣١-٣٣).

(٣) إنجيل يوحنا: الإصحاح (١٩) الفقرات (١-١٩) ، إنجيل متى: الإصحاح (٢٧) الفقرات (١١-٣٩) إنجيل مرقس: الإصحاح: (١٥) الفقرات (١-٣٢)

يقول الإمام القرافي: «وهو تناقض فاحش، أحدهما يجعل يسوع عليه السلام ملكًا عظيمًا لبني إسرائيل والآخر يصفه بهذه الذلة والمهانة، ثم إن هذا المُلْك لم يتفق قط، أما على رأيهم، لأنه صلب، وأما على رأينا فلأن الله رفعه من غير ملك، ولا مهانة، فهذا لا أصل له، ثم إن محاورة تجري بين جبار وعيسى عليه السلام، أي شيء أدخلها في الإنجيل المنزل من السماء[١] بل نقطع بأن هذا غير منزل»[٢].

وقد ذكر هذا التناقض من السابقين أبو البقاء الجعفري، وعلق عليه بأن أحدهما يجعله ملكا، والآخر يجعله ذليلاً ضعيفًا[٣] ومن المتأخرين ذكره رحمة الله الهندي، ولم يعلق عليه[٤] والباجي زاده وعلق بنحو تعليق الإمام القرافي إلا أنه مختصر[٥].

مما سبق يظهر لنا مدى ألمعية الإمام القرافي عند معالجة هذا التناقض، إذ إنه لم يكتف -كما فعل غيره- بمجرد بيان أن بين النصين تناقضًا، بل بين أن الملك الذي جاء به لوقا لم يقع على اعتقادنا واعتقادهم وبيَّن أن محاورة جرت بين جبار وعيسى عليه السلام أنى تدخل في الإنجيل المنزل.

---

(١) يمكن أن ترد محاورة في كتاب منزل بين جبار ورسول، إذا كان في ذكرها فائدة تعود على المنزل عليهم ذلك الكتاب كما جاء في سورة الشعراء بين موسى وفرعون قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الآيات [٢٣-٣١] فإن فيها تعليما لنا كيف حاج موسى فرعون بالأدلة العقلية، وكيف لجأ فرعون إلى البطش والظلم باستخدام القوة، وهذا شأن النزاع بين الحق والباطل في كل عصر.

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٢٣).

(٣) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٤) إظهار الحق: (١/ ١٠٧).

(٥) الفارق بين المخلوق والخالق (ص١٣).

الموضع الثالث:

قال لوقا: «لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه، وكان يصلي متواترًا، وصار عرقه كعبيط الدم»[١].

يقول الإمام القرافي: «ولم يذكر ذلك متى، ولا مرقس، ولا يوحنا، وإذا تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض، والأحكام، وإن كان الترك صحيحًا، فتكون الزيادة كذبًا في النسخ الأخرى، وهذا هو التحريف والتبديل»[٢]. فالإمام القرافي يحصر المسألة في أمرين إما أن يكون ترك أصحاب الأناجيل الثلاثة هو الصواب وهذا يلزم عليه كذب لوقا، وإما أن يكون خطأ، وعندئذ، إذا تركوا هذا خطأ فلا يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام.

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي فنجد الإمام أبا البقاء الجعفري يقول معلقًا «فإن كان ما ذكره لوقا صحيحًا فكيف تركه الجماعة؟ وإن لم يصح عندهم، لم يؤمن أن يدخل لوقا في الإنجيل أشياء أخر أفظع من هذا»[٣] فالإمام الجعفري عكس النتيجة، وهي إما أن يكون ما ذكره لوقا خطأ فلا يؤمن أن يزيد ما هو أفظع أو يكون صوابا فكيف يتركه أصحاب الأناجيل الأخرى؟

وإذا جئنا إلى المتأخرين نجد الباجي زاده يذكر التناقض، ويعلق عليه بنحو تعليق القرافي.[٤]

---

(١) إنجيل لوقا، الإصحاح: (٢٢) الفقرات (٤٣-٤٥).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٢٣).
(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٨٨).
(٤) الفارق بين لمخلوق والخالق (ص١٣).

الموضع الرابع:

قال يوحنا: «إن أول آية أظهرها المسيح عليه السلام تحويل الماء خمرًا»[١].

يقول القرافي: «ولم يذكرها الثلاثة، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين، وإن كانت لم تصح عندهم فكيف ينقل الدين شخص واحد، وهو يوحنا وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر؟»[٢].

فالإمام القرافي يلزم النصارى بأحد أمرين، إما أن يكون كاتبو الأناجيل الثلاثة متهاونين بالدين، وذلك إذا صحت هذه المعجزة، إذ كيف لا يذكرون معجزة تدل على صدق عيسى عليه السلام وإما أن يعترفوا بأنهم يقبلون دينهم عن شخص واحد وذلك عند عدم صحة هذه المعجزة الأمر الذي جعل أصحاب الأناجيل الثلاثة أغفلوها، وذكرها يوحنا، ومعلوم أن أخبار الآحاد لا تثبت بها أصول الأديان، ولا ما يوصل إليها من المعجزات.

هذا وفي هذه القصة التي ذكرها يوحنا ما يدل على الكذب، إذ إن هذه الآية وقعت -كما ذكر يوحنا- في عرس يوحنا المعمدان، ابن خالة عيسى -عليه السلام- وإذا كان الأمر كذلك، فكيف لا يذكرها إلا شخص واحد ولاسيما وهي آية عظيمة؟ ومعلوم أن مثل هذه الأمور تتوافر الدواعي على نقلها.

الموضع الخامس:

يقول القرافي: قال يوحنا: قال اليسوع عليه السلام: «إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي لكانت شهادتي باطلة، ولكن غيري يشهد لي، فأنا أشهد لنفسي، وأبى

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢) الفقرات: (١-١١).
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٢٤) وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٩١).

أيضا يشهد لي أنه أرسلني»[١].

وقد قالت توراتكم: «إن شهادة رجلين صحيحة»[٢]، يقول الإمام القرافي: «فجعلوا الله تعالى رجلا، وأثبتوا شهادته لنفسه، مع القول ببطلانها، وهذا الكلام يتنزه عنه المسيح عليه السلام وأصحابه»[٣] فالإمام القرافي يقول للنصارى أنتم تقولون: إن الله هو عيسى ابن مريم وفي هذا الكلام جعلتموه رجلاً شاهدًا لنفسه، وهذا متناقض مع قوله: «فشهادتي باطلة» ناهيك عن أن شهادته وشهادة أبيه أحداهما موصوفة بالبطلان، وهذا مناقض لما جاء بالتوراة التي يدين بها النصارى أن شهادة الاثنين صحيحة.

وإذا اتجهنا إلى السابقين للإمام القرافي فإنا نجد أبا عبيدة الخزرجي يذكر شهادته لنفسه وأنها غير مقبولة، ثم يقول: «ثم موضع آخر من الإنجيل -إنجيل يوحنا- يقول «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب»»[٤]. ثم يقول: أخبرني كيف تكون شهادته حقًّا، وباطلاً، ومقبولة وغير مقبولة، وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى؟[٥]

وأما المتأخرون فقد ذكر التناقض ابن القيم[٦] ورحمة الله الهندي بدون تعليق[٧] والباجي زاده كذلك[٨].

---

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٥) الفقرات (٣١-٣٧).

(٢) سفر التثنية: الإصحاح (١٩) الفقرة (١٥).

(٣) الأجوبة الفاخرة (٢٤)

(٤) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢) الفقرة: (١٤).

(٥) بين الإسلام والمسيحية: (ص١٧٨-١٧٩).

(٦) هداية الحيارى: (ص١٤٦).

(٧) إظهار الحق: (١/ ١١٢).

(٨) الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٣٧٢) وينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل =

ومن خلال ما ذكرنا تتضح مهارة الإمام القرافي وبراعته في تعليقه على النص؛ إذ بين أن الكلام المذكور من الإنجيل مناقض أوله لآخره، فأوله أن شهادة عيسى باطلة، وآخره أنها حق، وبيَّن أيضا -أنه مع التسليم بصحته فإنه مناقض لما جاء في التوراة بخلاف غير القرافي فإنه إما أن يذكر النص بدون تعليق ومن علق إنما ركز على أن الشهادة متناقضة مع شهادة أخرى - وكلام من بين تناقض الكلام في نفسه ومع غيره أقوى من كلام من بيَّن تناقضه مع غيره فقط.

الموضع السادس:

يقول القرافي: قال يوحنا: «لما مضى يسوع عليه السلام ليوحنا المعمداني ليعتمد منه، قال له المعمداني حين رآه: هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم، وهو الذي قلت لكم: إنه يأتي به بعدي، وإنه أقوى مني»[1] وقال متى «لما رآه المعمداني قال: إني لمحتاج إلى أن أنصبغ على يدك، فكيف جئتني تنصبغ على يدي؟[2] وأرسل إليه بعد ذلك: أأنت الآتي، أو ننتظر غيرك؟»[3] ومرقس لم يقل شيئًا من ذلك[4].

يقول الإمام القرافي: «فاختلف الثلاثة فجزم الأول، وجعله الثاني غير عالم حتى

=

(٢/ ٦٦) الإعلام (ص٢٠٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٩١).

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح (١) الفقرتان: (٢٩-٣٠).

(٢) إنجيل متى: الإصحاح (٣) الفقرات: (١٣-١٥).

(٣) إنجيل متى: الإصحاح (١١) الفقرة: (٣).

(٤) إنجيل مرقس: الإصحاح (١) الفقرات: (٩-١٣) ولم يذكر ذلك لوقا أيضا: الإصحاح (٣) الفقرتان (٢١-٢٢).

يسأله، وسكت الثالث بالكلية»[١] فالقرافي يتعجب كيف يكون يوحنا المعمداني جازمًا بأنه الآتي عند يوحنا، غير متأكد عند متى، غير مذكور قوله عند مرقس.

وإذ ما جئنا إلى ابن حزم -وهو من السابقين على القرافي- وجدناه ذكر قول يوحنا «هذا خروف الله» ولم يبين تناقضه مع ما ذكره متى، إلا أنه علق قائلاً: «هذه طامة بينما كان كلمة الله وابن الله، وإلها يخلق، صار خروف الله ، وحاشى لله أن يضاف إليه خروف إلا على سبيل الخلق والملك، وإنما يضاف الخروف إلى من يتخذه للأكل أو الذبح»[٢].

ويقول الشيخ رحمة الله الهندي مبينًا ما في الوقعة من التكاذب: «في الباب الثالث من إنجيل متى جاء عيسى إلى يحيى عليهما السلام للاصطباغ فمنعه يحيى قائلاً: إني محتاج أن اصطبغ منك وأنت تأتي إلي؟ ثم اصطبغ عيسى منه وصعد من الماء فنزل عليه الروح مثل حمامة، وفي الباب الأول من إنجيل يوحنا لم أكن أعرفه، وعرفته بنزول الروح مثل الحمامة، وفي الباب الحادي عشر من إنجيل متى، أنه لما سمع يحيى أعمال المسيح أرسل تلميذين إليه، وقال له: أأنت هو الآتي، أم ننتظر آخر؟ يقول الشيخ رحمة الله الهندي: فعلم من الأول أن يحيى كان يعرفه قبل تزول الروح، ومن الثاني ما عرف إلا بعد نزول الروح، ومن الثالث أنه لم يعرف بعد نزول الروح أيضا»[٣].

الموضع السابع:

يقول الإمام القرافي: قال متى: يوسف خطيب مريم عليه السلام اسم أبيه

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٤).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٢/ ٦٤).

(٣) إظهار الحق: (١/ ١١١، ١١٢) وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٩٢) الفارق بين المخلوق والخالق: ص (١٣).

يعقوب[١] وقال لوقا: أقام يسوع ثلاثين سنة يظن أنه ابن يوسف بن هال[٢].

يقول القرافي: «فجعل اسم أبيه هال، والأول جعله يعقوب، وهو تكاذب، ثم إن قضية عيسى عليه السلام في كونه ولد من غير أب، كانت في غاية الشهرة عند بني إسرائيل حتى آذوا مريم عليها السلام إيذاءً عظيمًا برميها بالزنا، ووصلت القضية إلى أقطار الأرض، فكيف يخفى على عيسى عليه السلام ذلك ثلاثين سنة؟»[٣].

الموضع الثامن:

يقول الإمام القرافي: قال متى: صلب مع المسيح -عليه السلام- لصان (عن يمينه وعن شماله) كانا يهزءان به جميعا، ويعيرانه[٤] وقال لوقا: إنما هزأ به أحدهما، وكان الآخر يقول لصاحبه: أما تتقي الله تعالى؟ أما نحن فبالعدل جوزينا، وأما هذا فلم يعمل قبيحا، ثم قال للمسيح عليه السلام، اذكرني في ملكوتك، فقال حقا: إنك تكون معي اليوم في الفردوس[٥] يقول القرافي: «فكذَّب قول متى إنهما يهزءان به وأغفل هذه القضية مرقس[٦] ويوحنا[٧] ومن المحال أن يحدث مثل هذا، ولا يشيع في ذلك الوقت، فإن كان صحيحًا فلم

---

(١) إنجيل متى: الإصحاح (٣) الفقرة: (٢٣).

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح (١) الفقرة: (١٦).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص (٢٤) وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٩٣) الفارق بين المخلوق والخالق (ص١٤).

(٤) إنجيل متى: الإصحاح (٢٧) الفقرات: (٣٩-٤٠-٤٠٠).

(٥) إنجيل لوقا: الإصحاح (١) الفقرات: (٣٣-٤٣).

(٦) قصة صلب المسيح في إنجيل مرقس واردة في الإصحاح الخامس عشر وفيه أنه صلب معه لصان، وأنهما كانا يعيرانه وليس كما ذكر الإمام القرافي أن مرقس أغفلها.

(٧) قصة الصلب في إنجيل يوحنا في الإصحاح التاسع عشر وفيه أنه صلب معه اثنان، ولكن لم يذكر شيئا عن تعييرهما له أو أحدهما.

تركاه؟ أو كذبا، فلم اختلقه الآخر؟!»[1].

وإذا ما وجّهنا وجهنا قبل السابقين عن الإمام القرافي فإنا نجد الإمام ابن حزم يقول معلقا على هذا التناقض: «إحدى القضيتين كذب بلا شك، لأن متى ومارقش أخبرا بأن اللصين جميعا كانا يسبانه، ولوقا يخبر بأن أحدهما كان يسبه والآخر كان ينكر على الذي يسبه، وليس يمكن هاهنا أن يدعي أن أحد اللصين سبه في وقت، وآمن به في آخر؛ لأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك، ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبه إنكار من لم يساعده قط على ذلك، وكلهم متفق على أن كلام اللصين، وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب، فوجب ضرورة أن لوقا كذب، أو كذب من أخبره، أو أن متى كذب وكذب مارقش أو الذي أخبره، ولا بد»[2].

ونجد أبا البقاء الجعفري يقول معلقًا: «فإن كان صحيحا فلم تركاه، وإن أهملاه سهوا لم يؤمن، أن يهملاً شيئًا كثيرًا من الإنجيل ولعلهما لم يصح عندهما، والدليل على عدم صحته تناقض متى، ولوقا فيه، فإن اللصين عند متى كافران بالمسيح، وعند لوقا: أحدهما كافر، والآخر مؤمن، وذلك قبيح جدا»[3].

وأما المتأخرون فإنا نجد الباجي زاده يبين أن أحدى الروايتين كذب ثم بين تكاذبًا آخر ....فيقول: «فإذًا لا بد من تكذيب إحدى الروايتين وهنا أمر يقتضي التنبيه عليه، وهو أن المسيحي لا يكمل إيمانه حتى يعتقد أن المسيح مكث بعد الصلب في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما في الأناجيل الأربعة ووعد المسيح هنا لأحد المصلوبين بقوله: (إنك اليوم تكون معي في الفردوس) يكذِّب

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٢٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٥٠).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٩٤).

روايات الصلب والقيام بعد ثلاثة أيام. وإن صدقنا رواية بقائه في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال يلزم تكذيب وعده للمصلوب بأنه يكون معه في نفس اليوم في الفردوس، وإن أغمضنا عن المباينة بين الروايتين وصدقنا الجهتين أي وعده للمصلوب، وروايات القيام يلزم حينئذ تكذيب الأناجيل الأربعة، لأنها اتفقت على دفنه ليلة السبت، وقيامه ليلة الأحد صباحًا، فإذا لم يبق إلا يوم واحد وأقل من ليلتين، فثبت بالبداهة كذب رواة الأناجيل الأربعة معا، وإلا فيلزم تكذيب عيسى عليه السلام، وتكذيبه كفر(١).

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن الإمام القرافي يؤخذ عليه في تعليقه على التناقض ما يلي:

١- كان على الإمام القرافي أن يتحرى الدقة قبل أن يقول: إن مرقس لم يشر إلى ما كان من اللصين أو أحدهما؛ لأن مرقس ذكر ما كان منهما من تعيير للمسيح عليه السلام، والإمام القرافي نفى ذلك، وقد التمست العذر له في بادئ الأمر معللاً أنه يمكن أن يكون زاد النصارى ذلك في إنجيل مرقس، بعد عصر القرافي، ولكني رأيت الإمام ابن حزم يذكر أن مرقس ذكر ذلك فخاب ما التمسته من عذر، والذي يظهر لي أن الإمام القرافي وقع في هذا الأمر لأنه أخذه عن أبي البقاء الجعفري، حتى أنه متأثر في تعليقه به(٢) ولعله لثقته به لم يتحر وراءه.

٢- الذي ينظر في تعليق الإمام القرافي يجد صورتين غائبتين، ذلك لأن مرقس ويوحنا على فرض صحة ما قيل عن مرقس إما أن يهملا ذلك في حال

---

(١) ينظر الفارق بين المخلوق والخالق ص (٢٦١-٢٦٣)، تحفة الأريب (ص١٠٢)، إظهار الحق: (١/ ١١٤).

(٢) ينظر تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٩٣).

صحته عمدًا أو سهوًا والإمام القرافي لم يذكر صورة السهو، وقد يهملا ذلك لأنه لم يصح عندهما كل ذلك لم يذكره القرافي ولكن ذكره أبو البقاء الجعفري.

٣- ناهيك عما ذكره ابن حزم من إمكان التعليل، ودفعه، وما أفاده الباجي من التكاذب بين النص المذكور، وما يعتقده النصارى، وتخبر به الأناجيل. كل هذه الأمور ليس على القرافي من لوم في تركها، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، إلا أن تركها يجعل كفة القرافي مرجوحة، وليست راجحة.

الموضع التاسع:

قال متى: إن مريم خادمة المسيح عليه السلام جاءت لزيارة قبره عشية السبت، ومعها امرأة أخرى وإذا ملك قد نزل من السماء وقال لهما: لا تخافا، فليس يسوع هاهنا، قد قام من بين الأموات، ثم لقيا المسيح وقال، لا بأس عليكما: قولا لإخواني: ينطلقون إلى الجليل[1].

وقال يوحنا: جاءت وحدها يوم الأحد بغلس فرأت الصخرة رفعت عن القبر، فأسرعت إلى شمعون[2] وتلميذ آخر، فأخبرتهما أن المسيح عليه السلام قد أخذ من تلك المقبرة ولا أدري أين دفن، فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر، فبينما هي كذلك، التفتت فرأت المسيح عليه السلام قائما فلم تعرفه، وحسبته حارس البستان فكلمها فعرفته وقال لها: إني لم أصعد بعد اذهبي إلى إخواني فقولي: إني منطلق إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم[3]».

يقول الإمام القرافي: «فأحدهما يقول: عشية السبت والآخر يقول: يوم

---

(١) إنجيل متى: الإصحاح (٢٨) الفقرات: (١-١١).

(٢) كبير الحواريين المسمى بطرس.

(٣) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢٠) الفقرات: (١-١٨).

الأحد، وأحدهما يحكي عن مريم وحدها، والآخر عنها مع غيرها ويجعل النصارى هذا الكلام مع اضطرابه أصلا لمعتقدهم، ويقولون: قد قال: إني منطلق إلى أبي، ويغفلون عن قوله: وأبيكم وعن قوله: إلهي. ويقبلون في أصل دينهم قول امرأة وحدها، مع أن هذا الكلام لو خوطب به قوم مغفلون لم يقبل، واستهجن، ولا يظهر في مرآة عقولهم.

ثم كيف يعبدون من ولد في رطوبات الأرحام ودمائها، ونشأ في ضعف الطفولة ولأوائها[1]؟ تعتوره الأمراض والأسقام والأنكاد والآلام، والحاجة إلى الشراب والطعام ثم يصفع على زعمهم ويصلب ويهان، ثم يبكي عليه ويندب بالثكلان ويلتبس على من رآه بناطور البستان؟ فلو أن اليهود بالغوا في الهزء والسخرية بالنصارى، ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان»[2].

فالإمام القرافي يبين ما بين النصين من تناقض، ثم يبين أن النصارى يأخذون من كتبهم ما يوافق أهواءهم فهم يستدلون بقول عيسى (إلى أبي) على بنوة عيسى، ولم يقولوا إنهم أبناء الله كبنوة عيسى مستدلين بقوله: «وأبيكم» ويقولون: عيسى عليه السلام هو إله مع أنه يقول: «إني ذاهب إلى إلهي» وهذا ليس غريبًا، بل هو طبيعة فيهم كما ذكرنا في طريقتهم في الطعن على الإسلام،

---

(١) **اللأواء**: الشدة والضيق والمشقة يقال: أصابتهم اللأواء أي الشدة وفي الحديث «**من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجابًا من النار**» أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم (٨٤٠٦) (٢/ ٢٣٥) والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه حديث رقم (٧٣٤٦) (٤/ ١٩٥) كلاهما عن أبي هريرة. ينظر: لسان العرب (١٥/ ٢٣٧)، القاموس المحيط (١٧١٤) مادة: (لأى).

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة ص (٢٥-٢٦) وينظر تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٩٥-٢٩٦) إظهار الحق (١/ ١١١٦-١١٢٠) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣٠١).

أنهم يأخذون ما يوافق أهواءهم ويعرضون عن غيره.

الموضع العاشر:

يقول الإمام القرافي: صعود المسيح إلى السماء أغفله يوحنا، ومتى، وهما من الحواريين الأثنى عشر، وذكره لوقا[١] ومرقس[٢] وليسا من الحوراريين واختلفا فقال مرقس إن سيدنا يسوع لما قام كلم تلاميذه تكليما، ثم صعد من يومه[٣] وخالفه لوقا فقال: إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوما[٤]. يقول القرافي: مع أن الصعود أمر العظيم لا ينبغي أن يخفي على التلاميذ، ويعلمه غيرهم[٥]

ويقول الباجي زاده وهو من المتأخرين عن القرافي: إن عبارة لوقا في إنجيله صريحة في أن صعوده كان في ذلك اليوم الذي انبعث فيه .. وعبارة مرقس قريبة من ذلك ولكن عبارة أعمال الرسل التي كتبها لوقا. تكذبهما؛ لأنها تفيد أن المسيح تلبث بعد انبعاثه أربعين يوما [٦].

فالإمام القرافي في كلامه السابق ذكر أن اللذين ذكرا قصة الصعود ليسا من الحوراايين وإن هذا لعجيب، ثم إنهما لم يصدقا بل ما ذكره مرقس مكذب بما جاء عند لوقا.

---

(١) سفر أعمال الرسل: الإصحاح (١) الفقرات (١-٣).
(٢) إنجيل مرقس: الإصحاح (١٦)، الفقرات (١٤-١٨).
(٣) وكذلك لوقا في إنجيله ذكر أن صعوده كان من يومه. ينظر: إنجيل لوقا: الإصحاح (٢٤) الفقرات (٣٦-٥٣).
(٤) أعمال الرسل: الإصحاح (١)، الفقرتان (٢، ٣).
(٥) الأجوبة الفاخرة (ص٢٦).
(٦) ينظر: الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣١٠)، وينظر: تخجيل من حرف التوراة الإنجيل (١/ ٣٠٠) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (ص٧٤).

ولكن الباجي ذكر أمرًا غريبًا وهو تكاذب لوقا مع نفسه فتارة يقول صعد من يومه وأخرى يقول مكث أربعين يومًا ثم صعد، وإن هذا لغريب إذ إن الإنسان قد يكذب غيره وله صور كثيرة، أما أن يكذب نفسه فليس له صور إلا في أناجيل النصارى.

ولذلك يمكن أن نقول: إن بيان الباجي زاده لهذا التناقض، وتعليق عليه أقوى من تعليقه وبيان الإمام القرافي.

الموضع الحادي عشر:

قال متى: قال يسوع: حقا أقول لكم: إن قوما من القيام هاهنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته[١]. يقول الإمام القرافي: وقد مضى نحو ألف سنة، ولم يأت في ملكوته ومات القيام ومن بعدهم فدل على أن هذا الكلام كذب وافتراء، وهو يحرم الثقة بجميع ما يقولونه[٢].

وإذا ما اتجهنا إلى السابقين عن الإمام القرافي نجد ابن حزم يقول: وكذب هذا المقول قد ظهر علانية فقد استوعبوا مدائن بني إسرائيل وغيرها ولم يروا ما وعدهم به من رجوعه بالقدرة علانية قبل أن يموت كل من بحضرته يومئذ فحاش لله أن يكذب نبي فكيف إله؟

ثم يذكر ما يمكن ان يعترض به النصارى علينا من صحيح أحاديث النبي ﷺ وهو شبيه بما ذكر عنهم فيقول فإن قالوا: فإن في صحيح حديثكم أن نبيكم ﷺ قال وأشار إلى غلام بحضرته من بني النجار إن استكمل هذا عمره أدرك الساعة، فمات ذلك الغلام في حد الصبا، وأنه كان يقول للأعراب إذا سألوه

---

(١)إنجيل متى: الإصحاح (١٦) الفقرة: (٢٨).

(٢) الأجوبة الفاخرة: ص (٢٦).

ومتى تقوم الساعة فيشير إلى أصغرهم يقول: إن يستكمل هذا عمره لم يأته الموت حتى تقوم الساعة[(١)].

ويجيب عن هذا بقوله: «هذا لفظ غلط فيه قتادة ومعبد بن هلال فحدثا به عن أنس على ما توهما من معنى الحديث ورواه ثابت بن أسلم البناني عن أنس كما قاله رسول الله ﷺ بلفظه فقال: **قامت عليكم ساعتكم**[(٢)]» وهكذا رواه الثقات أيضا عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما رواه ثابت عن أنس وهذا هو الحق الذي لا شك فيه أن المراد قيامة المخاطبين.

ولا خلاف في أن ثابتًا البناني أثقف لألفاظ الأخبار من قتادة، ومعبد فكيف وقد وافقته أم المؤمنين ونحن لا ننكر غلط الرواة إذا قام عليه البرهان أنه خطأ، وقد صح في القرآن والأخبار الثابتة من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال لا يدري متى تقوم الساعة أحد إلا الله[(٣)] ولو قال

---

(١) أخرجهما الإمام مسلم في صحيحه: ك: الفتن، باب قرب الساعة، تحت رقم (٢٩٥٣) الحديث الأول عن معبد بن هلال العنزي عن أنس، والثاني: عن قتادة عن أنس (٤/ ٢٢٦٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ك: الفتن باب قرب الساعة حديث رقم: (٢٩٥٢) عن عائشة: (٤/ ٢٢٦٩)، وما ذكره ابن حزم من أن ذلك وارد عن ثابت فغير صحيح فقد روى عن ثابت عن أنس باللفظ الذي ذكر ابن حزم أن فيه غلطًا وتوهمًا. صحيح مسلم، ك: الفتن باب قرب الساعة حديث رقم (٢٩٥٣) (٤/ ٢٢٦٩)، وعليه فما أجاب به ابن حزم من دفع الاعتراض ليس قويا؛ لأن ما اعترض به وارد من طريق ثابت البناني، وليس كما ذكر ويمكن أن يدفع هذا الاعتراض بأن يحمل العام الذي روى من طريق ثابت البناني وقتادة، ومعبد بن هلال على الخاص الذي ورد عن عائشة، ويرتفع التناقض، والله أعلم.

(٣) وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم ترجع علم الساعة إلى الله وحده كقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وكقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٦٣]
=

النصارى واليهود مثل هذا في نقلة كتبهم، ما عنفناهم، ولا أنكرنا عليهم وجود الغلط في نقلهم، وإنما ننكر عليهم أن ينسبوا إلى الله تعالى الكذب البحت، ويقطعون أنه من عند الله تعالى، وننكر على النصارى أن يجعلوا من صح عنه الكذب معصومًا، يأخذون عنه دينهم[(١)].

وإذا جئنا إلى المتأخرين عن الإمام القرافي نجد الباجي زاده يذكر قول متى السابق ثم يقول: «فانظر أيها العاقل، فإن القوم الذين كانوا معاصرين له عليه السلام من المؤمنين به والجاحدين له قد ماتوا جميعا ومضى على ذلك تسعة عشر قرنًا ولم يأت ابن الإنسان في ملكوته فإما أن يكون المسيح قد كذب وهو صلوات الله عليه معصوم من الكذب أو يكون هذا المترجم كذب في افترائه» ثم يذكر ما يدفع به النصارى كذب متى بقولهم: إن المراد من إتيان المسيح بملكوته هو معجزة التجلي للتلاميذ بعد قيامته[(٢)]

ويجيب عن ذلك بقوله: «إن هذا الكلام لا طائل تحته، ولو كان صدوره من المسيح حقًّا وأراد به التجلي لقلنا إنه من العبث لأن بين قول المسيح هذا، ووقوع التجلي أيامًا قلائل لا تزيد عن الأسبوع، فإذا كان هذا هو المراد حقيقة لم يكن هناك موجب لعدها من قسم المعجزات والعاقل لا ينكر على القائل بين ألوف من العالم: إن من هذه الألوف قومًا لا يذوقون الموت إلى سبعة أيام، وهذا ما

=

وأما الحديث فقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (١٨٤/ ١/ ٢٧) وأبو داود في السنن، ك: السنة باب ما جاء في القدر، حديث رقم (٤٦٩٢) (٢/ ٦٣٥) كلاهما عن ابن عمر عن أبيه سنن أبي داود، ت/ محمد محي الدين عن الحميد، دار الفكر، بدون تاريخ.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢٧-٢٨).

(٢) إنجيل متى: الإصحاح (١٧) الفقرات (١-١٣).

يسلم له ولا يستغرب منه إذ ليس بخارق للعادة»[١]

ومن خلال ما سبق ندرك:

أن ثلاثتهم متفقون على أنه قد مرت القرون، ولم تصدق نبوة عيسى عليه السلام مما يلزم عنه إما كذب عيسى عليه السلام وهذا محال لعصمته ﷺ، وإما كذب متى أو مترجمه وهو الصحيح.

إلا أن ابن حزم انفرد بإيراد ما يمكن أن يعترض به النصراني علينا من أن نبينا ﷺ وعد بمثل ما وعد به عيسى عليه السلام، ولم يصدق خبره وأجاب عنه وإن كانت إجابته غير شافية، إلا أن فيها منهجًا للمحاورة جميلاً، وهو ما يسمى بمنهج القوقلة (فإن قالوا، قلنا) وهو غير موجود عند الإمام القرافي.

وأما الباجي زاده، فإنه وإن شاركهم تكذيب الخبر، إلا أنه أجاب، عما يدفع به النصارى تكذيب إنجيلهم، وهذا يجعلنا نقول: إن أقوى الردود هنا هو رد الباجي زاده، ولا عجب في ذلك فكم ترك الأوائل للأواخر؟



(١) ينظر: الفارق بين المخلوق والخالق (ص١٢٥-١٢٦).

الفرع الرابع
هل في الأناجيل شيء مما نزل على عيسى عليه السلام؟

يرى الإمام القرافي أن الأناجيل وإن أصابها التحريف والتغيير، إلا أن فيها شيئا قليلا مما نزل على عيسى عليه السلام، لا يعتمد عليه في استدلال على أصل دين؛ لأنه مخلوط بغيره من غير المنزل، وإذا اختلط بغيره فلا يعول عليه، وذلك قوله: «ثم الذي ينقلونه عن عيسى عليه السلام وهو القليل لا يلزم أن يكون منزلا من عند الله تعالى، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة ومن مقتضى الطباع البشرية وغير ذلك فهذا كله ليس من عند الله تعالى.

ولذلك لا يقول المسلمون كل ما تكلم به محمد ﷺ من القرآن وأما النصارى فلا يتعين لهم شيء مما أنزل الله تعالى أبدا، فضلا عن نقله بعد تعينه، والمسلمون نقلوا القرآن نقلاً متواترًا يقطع بصحته خلفًا وسلفًا.

فانظر هذه الحال ما أشد بعدها عن الصواب، وما أخلصها للشك والارتياب ومع ذلك لا يستحيون ويجاهرون بقولهم: نحن متمسكون بالإنجيل المنزل من عند الله تعالى وهو مضبوط عن الخلل برئ عن الزلل فهم جديرون بأن يضحك عليهم أبد الدهر، وإن شئت قلت يبكي عليهم[1].

والله أعلم

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٢٧) وينظر: بين الإسلام والمسيحية (ص١٩١).

المطلب الرابع
عقائد النصارى وموقف القرافي منها

وفيه مسالك:

المسلك الأول: ألوهية المسيح وموقف القرافي منها.

المسلك الثاني: عقيدة الصلب والفداء وموقف القرافي منها.

المسلك الثالث: عقيدة التثليث وموقف القرافي منها.

المسلك الرابع: عقيدة الحلول والاتحاد وموقف القرافي منها.



المسلك الأول
ألوهية المسيح وموقف القرافي منها

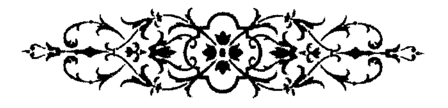
وفيه فروع:

الفرع الأول: موقف الأناجيل من تأليه المسيح عليه السلام.

الفرع الثاني: شبهة النصارى التي يعتمدون عليها في تأليه عيسى عليه السلام ورد القرافي عليها.

الفرع الثالث: أدلة القرافي العقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام.

الفرع الرابع: أدلة القرافي النقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام.



الفرع الأول
موقف الأناجيل من تأليه المسيح عليه السلام

يعتقد النصارى أن عيسى ابن مريم عليه السلام إله يستحق العبادة، وبالتالي عبدوه، ويصرحون بذلك فيقولون «المسيح في عقيدتنا كمسيحيين ليس نبيًا ولا رئيسًا للأنبياء، إنه الله الظاهر في الجسد، إن جميع المسيحيين يجمعون على ألوهية المسيح وأنه الإله المتأنس.... نعم فنحن نؤمن بألوهية المسيح»(١).

وإذا كانوا يقولون: إنهم آمنوا بألوهية الفادي عيسى عليه السلام بناءً على نبوات الأنبياء بالتصريح والتلويح والرموز الإشارات(٢).

فهل أناجيلهم تؤيد ما اعتقدوه؟ وإذا لم يكن لهذه العقيدة مستند من الأناجيل فمن أين جاءت هذه للعقيدة إلى دين النصارى؟

الواقع أن أناجيل النصارى تقرر ثلاث قضايا مهمة:

القضية الأولى: أن الله واحد لا شريك له.

ويؤكد ذلك ما جاء في إنجيل متى من قول عيسى عليه السلام «ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات»(٣)

وما جاء في إنجيل مرقس من قول عيسى عليه السلام: «إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية

---

(١) ألوهية المسيح لملاك لوقا (ص٦٠) نشر مكتبة المحبة بالقاهرة، بدون تاريخ.
(٢) ينظر: موسوعة علوم الدين، لابن المكين القبطي: (ص١٢) تلخيص وتعليق د/ ميخائيل مكس إسكندر، مكتبة المحبة، بدون تاريخ.
(٣) إنجيل متى: الإصحاح (٢٣) الفقرة: (٩).

الأولى»[١].

وما جاء في إنجيل لوقا من قول عيسى عليه السلام لمن دعاه بالمعلم الصالح: «لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله»[٢].

وما جاء في إنجيل يوحنا من قول عيسى عليه السلام: «إني اصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[٣].

القضية الثانية: أن عيسى عليه السلام إنسان:

وقد ورد التصريح بذلك في مواطن كثيرة في الأناجيل نذكر منها:

ما جاء في إنجيل متى من أن عيسى عليه السلام قدم إليه مفلوج فلما رآه قال له: «ثقْ يا بني مغفورة لك خطاياك» فتعجب قوم من الكتبة وظنوه يجدف فقال لهم «لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟ أيها أيسر، أن يقال: مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا، حينئذ قال للمفلوج: قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك. فقام ومضى إلى بيته فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا»[٤].

ففي النص الذي ذكرناه تصريح عيسى عليه السلام أنه ابن إنسان، كما فيه أن الجموع الكثيرة كانت لا تعتقد في عيسى الألوهية، بل هو واحد من الناس أعطاه الله سلطانا.

---

(١) إنجيل مرقس: الفقرتان: (٢٩-٣٠).

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح (١٨) الفقرة: (١٩).

(٣) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢٠) الفقرة: (١٧).

(٤) متى: الإصحاح (٩) الفقرات: (٢-٨).

وجاء في إنجيل متى أيضا قول عيسى عليه السلام مبينا تعنت بني إسرائيل: «لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هُوَذا إنسان أكول وشريب خمر»[١].

وما جاء في إنجيل مرقس من قول عيسى عليه السلام: «وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد»[٢].

وما جاء في إنجيل لوقا من قول عيسى عليه السلام: «ولكن هوذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة، وابن الإنسان ماض كما هو محتوم»[٣].

وما جاء في إنجيل يوحنا من قول عيسى عليه السلام: «الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلىس لكم حياة فيكم»[٤]. وجاء فيه أيضا قول عيسى عليه السلام: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله»[٥].

القضية الثالثة : أن عيسى عليه السلام رسول:

ويؤكد ذلك ما جاء في إنجيل متى: «هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل»[٦].

وما جاء في إنجيل لوقا: «من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني»[٧].

---

(١) متى: الإصحاح (١١) الفقرتان: (١٨-١٩).
(٢) مرقس: الإصحاح: (١٣) الفقرة: (٢٦).
(٣) لوقا: الإصحاح: (٢٢) الفقرتان: (٢١-٢٢).
(٤) يوحنا: الإصحاح: (٦) الفقرة: (٥٣).
(٥) يوحنا: الإصحاح: (٨) الفقرة: (٤٠).
(٦) متى: الإصحاح: (٢١) الفقرة: (١١).
(٧) متى: الإصحاح: (١٠) الفقرة: (٤٠).

وما جاء في إنجيل لوقا: «قد قام فينا نبي عظيم»[١].

وما جاء فيه أيضا لما قيل لعيسى عليه السلام «اخرج واذهب من هاهنا لأن هيردوس يريد أن يقتلك» فقال: «بل ينبغي أن أسير اليوم وغدا وما يليه؛ لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجا عن أورشليم»[٢].

وما جاء في إنجيل يوحنا: «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله».

وجاء فيه أيضا: «فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم»[٣].

فمما سبق يتبين أن الأناجيل ذكرت عن عيسى عليه السلام إقراره بوحدانية الله تعالى كما أنها ذكرت أنه عليه السلام إنسان إلا أنه خص بالنبوة والرسالة ووصف الأناجيل عيسى بذلك يفيد أنه ليس إلها، إذ لو كان إلها لا يكون إنسانا ولا ابن إنسان ولو كان إلها لا يكون نبيا، ولا يكون رسولا وها هو ذا يقول: الذي أرسلني فمن الذي أرسله؟ لا شك أنه الله، وهل الله يرسل الله مثله؟

وحتى لو كان ذلك ممكنا فإن عيسى عليه السلام يكون إلها من الدرجة الثانية -إن صح هذا التعبير- وإلا لم يكن رسولاً لإله سواه وهذا يناقض مدعي القوم أن الأقانيم الثلاثة (الأب -الابن_ الروح القدس) متساوية في السلطان[٤].

---

(١) لوقا: (٧) الفقرة: (١٦).

(٢) لوقا: الإصحاح: (١٣) الفقرتان: (٣١-٣٣).

(٣) يوحنا: الإصحاح: (٦) الفقرة: (١٤).

(٤) ينظر: الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي د/ عبد العظيم المطعني: (ص٤٠٣-٤٠٤) دار الوفاء مصر ط الأولى ١٤٠٧هـ، ويراجع: المسيحية: (ص٢٤٢) وما بعدها ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس (ص٤٣٨-٤٣٩).

وإذا كانت مصادر المسيحية المعتمدة عندهم تقرر التوحيد لله تعالى وأن عيسى عليه السلام إنسان وأنه رسول، فكيف انتقلت المسيحية إلى القول بتأليه المسيح؟ ومن الذي قام بذلك؟ ومتى؟

والحقيقة أنه قد مر أثناء حديثنا عن شخصية بولس شيء من الإجابة عن هذه الأسئلة إلا أنه قد يكون غير كاف، مما يضطرنا إلى ذكر مزيد من البيان في الإجابة عن هذه الأسئلة فنقول.

لقد عاش المسيح عليه السلام رسولاً نبيًا، أدى بكل أمانة وإخلاص الرسالة التي بعثه الله من أجلها فأخلص النصح لبني إسرائيل وجاهد ليقيم بينهم أمر الله، فضاقوا به ذرعًا، وناصبوه العدا . حتى اقتادوه إلى خشبة الصلب، لولا أن نجاه الله منهم، وأوقع شبهه على من دل عليه، فقتلوه ظانين أنه المسيح فارتكبوا إثم مقتله بنياتهم وظل حواريو المسيح مؤمنين به الإيمان الصحيح، ومثلهم من آمن به حق الإيمان من بني إسرائيل وبعد فترة من غيبة المسيح، عبث برسالته العابثون وكان في مقدمة هؤلاء بولس اليهودي[(١)].

يقول ويلز عن بولس وكيف استقى أفكارًا من ديانات أخرى وأدخلها المسيحية ومن هذه الأفكار القول بموت الإله: «كان القديس بولس من أعظم من أنشئوا المسيحية الحديثة وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس .... وقد أوتي هذه الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فتراه على علم عظيم باليهودية وديانة ذلك الزمان التي تعتنقها الإسكندرية، فنقل إلى المسيحية كثيرا من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم وعلم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود الموعود فقط

(١) ينظر: الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي (ص٤١١-٤١٢).

بل هو ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيرًا عن خطيئة البشر.... وراح القديس بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس كان ربًا مات ليبعث حيًا، وليمنح الناس الخلود».

يقول د/ أحمد شلبي: «وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح»[١].

ولكن لم يكن قبول ادعاء بولس أن عيسى إله أمرا سهلا، وخاصة في موطن المسيح الأصلي فلسطين، ولذلك قوبلت دعوته بالرفض، وعاداه أتباع المسيح الحقيقيون، وهجره تلاميذ المسيح -وقد ذكرت ذلك في الحديث عن شخصية بولس قبل ذلك- مما اضطر بولس أن يبحث عن مكان آخر لدعوته فذهب إلى أوربا وهناك وجدت دعوته أرضًا خصبة فالتثليث ونزول الإله من السماء تضحية بنفسه وتكفيرا عن خطيئة البشر وصعوده إلى السماء مرة أخرى كل هذا كان له جذور قديمة في الأساطير الأوربية، ولم يكن التوحيد عميق الجذور بأوربا[٢].

وهكذا عاشت المسيحيتان (مسيحية الشرق، ومسيحية الغرب) مختلفتين في شأن المسيح عليه السلام، وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح أهو رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكثر؟ أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول؟ فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله، لأنه هو كلمته، ومن قائل: إنه ابن الله له صفة القدم، كما لله تعالى تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت، وكل يزعم أن نحلته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ولقد كانت تلك

---

(١) ينظر: المسيحية: (ص١٢٦-١٢٧).

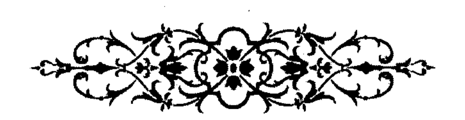
(٢) يراجع: المسيحية (ص٢٤٦).

الاختلافات كامنة لا تظهر مدة الاضطهادات الرومانية، لأنهم شغلوا بدفع الأذى ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث وكانوا يستسرون بدينهم ولا يظهرونه ويخفون عقائدهم ولا يعلنونها حتى إذا رزقوا الأمان، ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان، ظهرت الخلافات الكامنة، وإذا هم لم يكونوا متفقين إلا في التعلق باسم المسيح، والاستمساك بالانتساب إليه، من غير أن يتفقوا على شيء في حقيقته، ولذا لما منحهم قسطنطين الأكبر باني القسطنطينية عطفه، واعتزم الدخول في النصرانية، ووجد هذا الاختلاف الشديد، فعزم على عقد مجمع لفصل النزاع في هذه الاختلافات[1]، فجمع البطاركة والأساقفة وعقد مجمعا عرف بمجمع نيقية وذلك سنة (٣٢٥م) وكان الهدف من المجمع فضلا عن حسم الخلاف تقرير حقيقة المسيح وكان عدد المجتمعين (٢٠٤٨) أسقفا وبطريركًا وفي هذا الاجتماع صاح عالم مصري اسمه أريوس مرددا: أن الأب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن، ولكن ممثلي كنيسة الإسكندرية أبوا ذلك وانضم إليهم ممثلو كنيسة روما، واختلف المجتمعون وتضاربوا ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار، فقرر الإمبراطور أن يفصل في الأمر بالتدابير الشديدة بعد أن تبني رأي صديقه الممثل الديني للغرب (كاهن روما) فأصدر أمره بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ونفي الكثيرين منهم، ونفي أريوس مع بعض من أيدوا رأيه واجتمع الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم (٣١٨) عضوًا، فاتخذوا قرارًا بذلك، وهكذا تدخلت السلطة فخلقت هذا القرار الذي اتخذته أقلية المجتمعين، ولم تكتف القوة بذلك بل فرضت هذا القرار فرضًا على الناس وحرمت كل ما سواه، وحرَّمت على الناس الحديث بما يخالفه وصادرت وأفنت

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية (ص١١٢-١١٣).

كل ما كتب متجها غير هذا الاتجاه وتعدت ذلك إلى اضطهاد من يقولون بالتوحيد وعزلهم عن مكان الرياسة ومعاقبتهم بالنفي والتشريد عند اللزوم وكان هذا العامْ (٣٢٥) أول تاريخ يتخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بألوهية المسيح[١].



(١) ينظر: المسيحية (ص١٢٧-١٢٨).

الفرع الثاني
شبهة النصارى التي يعتمدون عليها في تأليه عيسى عليه السلام ورد القرافي عليها

أولا: الشبهة:

يستدل النصارى على ألوهية عيسى عليه السلام بما أظهره الله على يديه من خارق إحياء الموتي وذلك قولهم: «وافقنا المسلمون على أن المسيح عليه السلام كان يحيي الموتى، وإحياء الموتى مختص بالله تعالى، فيصح قولنا: إن المسيح عليه السلام هو الله تعالى ويبطل قول المسلمين، إنه عبد من عبيد الله تعالى؛ لأن إحياء الموتى دليل قاطع على ذلك.

ولذلك بعث الله النبيين على كثرتهم، ولم يكن فيهم من يحيي الموتى، فدل ذلك على أن الإحياء لا يكون إلا لله، ولذلك لما تعدى النمرود طور العبودية حاجه إبراهيم عليه السلام بأن الله يحيي ويميت.

ولولا أن الإماتة والإحياء خاصان بالله تعالى لم يحسن ذلك من إبراهيم عليه السلام وصريح القرآن يؤيد ذلك يقول تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٩] فجعل تعالى الإحياء لمن له الإنشاء، وعيسى عليه السلام أحياها، فيكون أنشأها أول مرة. وهذا هو الله قطعا، والعجب من المسلمين كيف يغفلون عن مثل هذا؟!

وحيث وافق المسلمون على صحة ذلك قامت الحجة القاطعة عليهم بربوبية المسيح عليه السلام. وصحة قول النصارى، وأن المسلمين هم المشركون بجعلهم مع الله تعالى من يشاركه في إحياء الموتى، وأن النصارى هم الموحدون؛ لأنهم لم يشركوا مع الله غيره في خواص ملكه[1].

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٦٣-٦٤).

ثانيا: رد القرافي عليها:

يلاحظ في الشبهة أن النصارى يستدلون على ألوهية عيسى عليه السلام بما نعتقده نحن المسلمين من أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى والإمام القرافي في دفعه تلك الشبهة يسلك مسلكين.

المسلك الأول: يبين فيه أن ما اتخذه النصارى سبيلا لإثبات ألوهية المسيح عليه السلام من اعتقاد المسلمين بإحيائه الموتى غير نافع لهم؛ لأن اعتقاد المسلمين على خلاف ما يذكره النصارى إذ النصارى يذكرون أنا نعتقد إحياء عيسى عليه السلام الموتى بنفسه، ونحن نعتقد غير ذلك من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى وذلك قوله: «إنكم لم تفهموا قول الله تعالى في القرآن[١] ولا قول المسلمين إن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، فإن المسلمين من أولهم إلى آخرهم متفقون على أن الإحياء والإماتة لا يكونان إلا لله تعالى، ويستحيل أن يجعل ذلك لأحد كائنا ما كان، وأن عيسى لم يحيي قط ميتًا، ولا أبرأ أكمه ولا أبرص وإنما الفاعل لهذه الأمور هو الله تعالى عند إرادة المسيح عليه السلام، لا أن المسيح عليه السلام كان يفعل ذلك كما أن موسى عليه السلام لم يكن يقلب لون يده[٢] ولا

---

(١) يقول الله تعالى عن معجزة إحياء الموتى لعيسى عليه السلام: ﴿ ... وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩] ويقول أيضًا: لعيسى عليه السلام ﴿ ... وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠].

(٢) قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٢٢] وجاء في التوراة «ثم قال له الرب أيضا أدخل يدك في عُبك، فأدخل يده في عبه، ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج، ثم قال له: رد يدك إلى عبك، فرد يده إلى عبه ثم أخرجها، من عبه وإذا هي قد عادت مثل جسده» [سفر الخروج: الإصحاح: (٤) الفقرتان: (٦-٧).

يحول جمادية عصاه[١] بل الله تعالى هو الفاعل لذلك عند إرادته، فالمعجزة في اختصاص إرادتها بهذه الآثار لا أنها الفاعلان لها.

والذي حاج به إبراهيم عليه السلام النمرود، إنما هو نفس الإماتة والإحياء اللذين هما خاصان بالله تعالى، ولذلك حسن احتجاجه عليه السلام، وكذلك المراد نفس الإحياء في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٩] فلا يحيي على الحقيقة إلا المنشئ وهو الله تعالى، فاندفع الإشكال وصح مذهب أهل الإسلام، وأنهم الموحدون حقا، وبطل الكفران[٢].

والمسلك الثاني:

يسلم الإمام القرافي للنصارى أن عيسى عليه السلام كان يفعل نفس الإحياء، ولكن هذا التسليم أيضا لا ينفعهم؛ إذ يلزم عنه أن كل من أحيا ميتا كان إلها، وقد صرحت كتب النصارى بأن غير عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، فهل هؤلاء مشاركون لعيسى عليه السلام في الألوهية؟ وهذا لا يقول به النصارى.

وهذا ما عناه القرافي بقوله: «سلمنا أن الإماتة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما

(١) قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ١٧-٢١] وفي التوراة: «فقال له الرب: ما هذه في يدك، فقال: عصا فقال: اطردها إلى الأرض فطردها إلى الأرض، فصارت حية فهرب موسى منها، ثم قال الرب لموسى: مد يدك، وأمسك بذنبها، فمد يده وأمسك به فصارت عصا في يده» سفر الخروج: الإصحاح (٤) الفقرات (٢-٥).

(٢) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص٦٤-٦٥).

عيسى عليه السلام لكن قد شهد الإنجيل أن الحواريين كانوا يفعلون ذلك[١] بل نص الإنجيل على أن كل من استقام على شريعة عيسى عليه السلام يفعل كفعله[٢] وإن داود عليه السلام أحيا ميتا بعد مائتي سنة[٣] وأن أليأس[٤] واليسع[٥] وحزقيال[٦] وغيرهم كانوا يحيون الموتى فإن كان هذا يدل على الربوبية والإلهية فليكن الحورايون كلهم وداود عليه السلام وهؤلاء الأنبياء، آلهة مساويين للمسيح عليه السلام في الإلهية، وجميع ما ينسب إليه ولما لم يقل بذلك أحد دل على بطلان ما اعتمدوا عليه في إلوهية عيسى عليه السلام»[٧].

ويمكن أن يعترض النصارى بأن عيسى عليه السلام يفارق غيره في هذا الأمر، فغيره من الأنبياء والحواريين أحيوا الموتى بإذن الله تعالى، أما عيسى عليه السلام فإنه أحيا بنفسه وهذا ما يجيب عنه الإمام القرافي في قوله: «فإن قالوا غير عيسى عليه السلام كان يحيي بإذن الله تعالى، بخلافه.

قلنا: هذا قائم في حق عيسى عليه السلام وهو أنه إنما كان يحيي بإذن الله تعالى، فيستوون[٨].

---

(١) إنجيل متى: الإصحاح (١٠) الفقرة: (٨).
(٢) إنجيل متى: الإصحاح (١٧) الفقرة: (٢٠) والإصحاح: (٢١) الفقرتان: (٢١-٢٢) إنجيل مرقس: الإصحاح (١١) الفقرة: (٢٣) إنجيل لوقا: الإصحاح (١٧) الفقرة: (١٦) إنجيل يوحنا: الإصحاح (١٤) الفقرات: (١٢-١٤).
(٣) لم أجد ذلك في التوراة الحالية، بعد الاطلاع على سفر أخبار الأيام الأول والثاني، وسفر الملوك الأول والثاني، وسفر صموئيل الأول والثاني، ومزامير داود.
(٤) سفر الملوك الأول: الإصحاح (١٧) الفقرات (٢٠-٢٣).
(٥) سفر الملوك الثاني: الإصحاح (٤) الفقرات (٣٢-٣٧).
(٦) سفر حزقيال: الإصحاح: (٣٧) الفقرات: (١-١١).
(٧) الأجوبة الفاخرة: (ص٦٥).
(٨) الأجوبة الفاخرة: (ص٦٥).

فالإمام القرافي في مسلكه الثاني يلزم النصارى بأحد أمرين: إما أن يقولوا إن غير عيسى ممن أحيوا أمواتًا آلهة، وهذا لا يقوله النصارى، أو يقولوا: إن هؤلاء أحيوا بإذن الله تعالى فإن قالوا ذلك فالجواب أن عيسى عليه السلام مساوٍ لهم في ذلك، فلا فرق.

وإذا ما اتجهنا إلى السابقين عن الإمام القرافي نجد حجة الإسلام الغزالي يذهب إلى أنه وإن كانت معجزة إحياء الموتى أُيد بها عيسى، وادعى النصارى بذلك ألوهيته فإن غيره من الأنبياء كانت لهم معجزات أقوى في الدلالة على الإعجاز من إحياء الموتى، ومع ذلك فلم يدع أحد ألوهيتهم مع أنهم أولى بذلك من عيسى وذلك قوله: «فإنهم معترفون بأن موسى عليه السلام قلب العصا ثعبانًا وهل إحياء الميت إلا عبارة عن اتصاف الجماد بالحيوانية؟ بل هذا أدل على المعجز؛ لأن جعل ما لم يتصف بحياة قط حيّا أدل على القدرة من إعادة الشيء إلى حالته الأولى»[1].

ونجد أبا عبيدة الخزرجي وتبعه الإمام القرطبي يقولان: «إن من عجيب أمر هؤلاء القوم: أنهم يزعمون أن عيسى عليه السلام أيد نفرًا من الحورايين بإحياء الموتى، وجعلهم رسلاً إلى الأجناس، فأحيوا الموتى بزعمهم، فما الذي أوجب أن يكون المسيح في حال الألوهية قد أيد بذلك بشرًا وجعله رسولاً إلى الأجناس ومنع أن يكون الله عز وجل يؤيد بشرًا ويجعله رسولاً للناس؟»[2]. فالنصارى بذلك يفرقون بين الأمور المتساوية في الحكم، فإذا كان عيسى إلها على زعمهم وأرسل رسلا أحيوا الموتى ولم يدع النصارى أن هؤلاء الرسل آلهة

---

(١) الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل، لحجة الإسلام الغزالي (ص٥٢) ت/ د أحمد حجازي السقا. مكتبة زهران -القاهرة- ط: الأولى، بدون التاريخ.

(٢) ينظر بين الإسلام والمسيحية (ص١٦٧) الإعلام (ص١٣٦).

فليحكموا أن عيسى رسول ليس إلها؛ لأن الله أرسله وأحيا الموتى.

ونجد أبا البقاء الجعفري يقول: «فإن استروح النصارى في دعواهم ربوبيته إلى إحياء الموتى أريناهم من كتبهم التي بأيديهم جماعة من أنبيائهم قد أحيوا الموتى مثل: إلياس واليسع وحزقيال وغيرهم ولم يخرجهم هذا الصنع عن كونهم عبادًا لله تعالى.

فإن قال النصارى: إن أولئك كانوا إذا راموا شيئا من ذلك تضرعوا إلى المسيح وسألوه، وطلبوا منه المعونة، ودعوه، قلبنا عليهم السؤال، وقلنا: فلعل المسيح كان إذا رام شيئًا من هذه الآيات تضرع إلى أحد ممن ذكرنا وسأله ودعاه، وطلب منه، فهم متقدمون عليه، وأرواحهم في حضرة الملكوت قبله، وهو متأخر عنهم فهو أحق أن يسألهم من أن يسألوه»[(١)].

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين نجد الشيخ رحمة الله الهندي يذكر استدلال النصارى على ألوهية عيسى عليه السلام بإحيائه الموتى، ويعلق عليه بتعليق قريب مما ذكره الإمام القرافي في مسلكه الثاني[(٢)] ونجد الباجي زاده رحمة الله تعالى يذكر تعليقًا قريبًا مما ذكره الإمام الغزالي، إلا أن فيه اتساعا[(٣)].

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٠١).

(٢) ينظر: إظهار الحق: (١/ ٤٢٩).

(٣) ينظر: ذيل الفارق بين المخلوق والخالق: (رد رسالة أبحاث المجتهدين) (ص٥٣)، وينظر: رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم (ص٥٦)، ت/ خالد محمد عبده، مكتبة النافذة، ط/ الأولى، ٢٠٠٦م، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٢٧٧)، هداية الحيارى (ص١٩٣-١٩٤).

الفرع الثالث
أدلة القرافي العقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام

بعد أن رد الإمام القرافي على شبهة النصارى في تأليههم عيسى عليه السلام ذكر أدلة عقلية يلزم بها النصارى بعدم ألوهية عيسى عليه السلام، نذكرها فيما يلي:

الدليل الأول:

يقول الإمام القرافي: «نقول: الإله الواحد الأزلي جسم، ولحم ودم، أم يستحيل عليه ذلك فإن أحالوا ذلك عليه خرج المسيح عليه السلام من الربوبية؛ لأن الأناجيل الأربعة تشهد بأنه كذلك، لا يباين البشر في شيء، وإن لم يحيلوا ذلك أكذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات ففي التوراة: «لا تشبهوني بشيء مما في السموات فوق ولا في الأرض أسفل ولا في البحار تحت ولا بشيء»[1] هو قول القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وفي الإنجيل: أن الله لا يأكل ولا يشرب، وما رآه أحد قط[2] وفي المزامير: يا رب

---

(١) جاء في التوراة «لا تضع تمثالا منحوتاً ولا صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض» خروج: الإصحاح: (٢٠) الفقرة: (٤) تثنية: الإصحاح (٥) الفقرة: (٨) وهذا لا يدل على المعنى الذي يقصده الإمام القرافي ولم أجد نصا يشابه النص الذي ذكره الإمام القرافي في التوراة، ولكن جاء فيها ما يدل على نفي مشابهة الله لأحد من خلقه، فقد جاء في سفر التثنية «ليس مثل الله يا يَشُورون» الإصحاح: (٣٣) الفقرة: (٢٦).

(٢) لم أجد في العهد الجديد هذا النص بهذه الصيغة، ولكن وجدت نصوصًا تقاربه، منها ما جاء في إنجيل يوحنا: الإصحاح (١)، الفقرة (١٨): «الله لم يره أحد قط». وما جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس: «والذي وحده له عدم الموت... الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه» الإصحاح: (٦)، وما جاء في رسالة يوحنا الأولى: «الله لم

أنت صانع العجائب لا نظير لك[١][٢].

فالإمام القرافي يلزمهم بواحد من اثنين: إما أن يقروا بعبودية عيسى عليه السلام وذلك في حال اعترافهم بأن الإله يستحيل أن يكون جسما لحمًا ودمًا؛ لأن الأناجيل الأربعة من أولها إلى آخرها تشهد بأن عيسى عليه السلام كان كذلك.

أو يقروا بتكذيبهم كتبهم المقدسة -في نظرهم- إن قالوا: إن الإله يكون جسمًا من لحم ودم. والإمام القرافي هنا ينهج طريقة السبر والتقسيم إذ إنه حصر المسألة في أمرين: إما استحالة أن يكون الإله جسدًا أو الاعتراف بذلك وباطل أن يكون الإله جسدًا لنصوص الكتب التي دلت على ذلك فلم يبق إلا الأمر الأول وهو استحالة كون الإله جسدا وعليه فعيسى عليه السلام بشر وليس ربا لأن الأناجيل تعترف بذلك من أولها إلى آخرها.

الدليل الثاني:

يقول الإمام القرافي: «نقول للنصارى: آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى وأممهم كانوا يعرفون المسيح عليه السلام ويعتقدون أنه خالقهم ومدبرهم أم لا؟ فإن قالوا: لا، كفروا بهؤلاء الأنبياء لنسبتهم فيها إلى الجهل بخالقهم.

وإن قالوا: نعم، كذبتهم الكتب جميعا إذ ليس فيها حرف يدل على أن أحدا من هؤلاء كان يعتقد أن المسيح عليه السلام إله»[٣].

=

ينظره أحد قط»، الإصحاح: (٤)، فقرة (١٢).

(١) يراجع: مزمور: (٧١) الفقرة (١٩) مزمور (٧٧) الفقرة (١٣) مزمور (٨٥) الفقرة (٨).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٥)، وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٦١).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٦).

هذا وقد ذكر هذا الدليل أبو البقاء الجعفري بمعنى قريب مما ذكره الإمام القرافي ولكنه أضاف: «كيف يكون المسيح رب موسى وإبراهيم ومن ذكرنا، وشمعون رئيس الحواريين يقول في رسائله إلى إخوانه: «اعلموا أن الله أرسل إليكم يسوع المسيح»[١] ويقول: «اعلموا أن المسيح رجل جاءكم من الله بالقوة والأيدي؟»[٢].

وكيف يكون المسيح ربا وإلها والمعمداني يغسله ويعمده بالماء ويقول حين رآه: «وهذا الذي قلت لكم: إنه من بعدي وهو أقوى مني؟»[٣].

وكيف يكون المسيح إلها لداود وغيره، وداود عليه السلام يقول في مزاميره: «إن المسيح يكون كاهنا مؤيدًا من الله تعالى يشبه ملكي صادق خادم بيت المقدس؟[٤]

وقد قال المسيح: «إنه أفضل من يونس بن متى»[٥]. وإنه أفضل من سليمان[٦] وقال بولس: إنه أفضل من موسى بن عمران[٧]. فهذه الأقوال من المسيح، ومن خيار أصحابه ومن بينا من الأنبياء دليل على كذب النصارى»[٨].

أي إذا كان المسيح إلها فكيف يوصف بالرسالة؟ وكيف يعمد بالماء؟ وكيف

---

(١) أعمال الرسل: الإصحاح (١٠) الفقرة: (٣٦).
(٢) أعمال الرسل: الإصحاح (٢) الفقرة: (٢٢).
(٣) إنجيل متى: الإصحاح (٣) الفقرات (١١-١٦) مرقس: الإصحاح (١) الفقرات (٧-١٠) لوقا: الإصحاح (٣) الفقرات (١٦-٢٢).
(٤) مزمور (١١٠) الفقرة (٤).
(٥) متى: الإصحاح (١٢) الفقرة (٤١).
(٦) متى: الإصحاح (١٢) الفقرة (٤٢).
(٧) رسالة بولس إلى العبرانيين: الإصحاح (٣) الفقرة (٣).
(٨) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٦٨-٣٦٩).

يفاضل بينه وبين غيره من الأنبياء؟ فهو أقوى من يحيى عليه السلام. وأفضل من موسى وسليمان عليهما السلام. ولو كان إلها لما فوضل بينه وبين غيره، إذ المفاضلة تعني: المقاربة في الأمر إلا أن أحدهما زاد عن الآخر، والله تعالى لم يقاربه أحد من خلقه وإذا كان إلها فكيف يشبه خادم بيت المقدس، فكل هذه الأمور تقرب عيسى عليه السلام إلى البشرية، وتخرجه عن طور الإلوهية.

الدليل الثالث:

يعتقد النصارى أن عيسى عليه السلام مات ثم عاش، والإمام القرافي يسألهم بناءً على اعتقادهم من أحياه؟ ولا يخلو الجواب من أمرين: إما أن يقولوا: هو أحيا نفسه، أو يقولوا: أحيا غيره، فإن قالوا: هو أحيا نفسه، فالإمام القرافي يسألهم: أحيا نفسه، وهو حي أو هو ميت! فإن قلتم: وهو حي لزم تحصيل الحاصل، وإن قلتم: وهو ميت، لزمكم المحال، لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتا، بل أقل أحواله أن يكون عالما بمن يحييه وقيام العلم بغير الحي محال.

وإن قالوا: أحياه غيره وهو الذي أماته، فالإمام القرافي يلزمهم أن يكون المسيح عبدا مربوبا، إذ لو كان إلها معبودا فكيف يحييه غيره ويميته؟[1]

والله أعلم



---

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٨) وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٨٤).

الفرع الرابع
أدلة القرافي النقلية على إبطال ألوهية عيسى عليه السلام

لم يكتف الإمام القرافي بما ذكره من تفنيد لشبهة النصارى التي ذكروها، معتمدين عليها في اعتقادهم ألوهية المسيح عليه السلام، ولا بما ذكره من أدلة عقلية تثبت أن عيسى عليه السلام ليس إلها معبودا، بل عبدا مربوبا، بل يذكر أدلة من كتب النصارى تقرر عبودية عيسى عليه السلام، وتنفي عنه الألوهية نذكرها فيما يلي:

الدليل الأول:

يقول الإمام القرافي: «قال الله تعالى في نبوة إشعياء ويعني المسيح عليه السلام: هذا فتاي الذي اصطفيت، وحبيبي الذي ارتاحت له نفسي، أنا واضع عليه روحي ويدعو الأمم إلى الحق»(١).

ثم يقول معلقا: «فسماه عبدًا مصطفى على لسان إشعياء مبعوثًا مأمورًا بدعوة الأمم أسوة بغيره من الأنبياء وهذا ما نطق به القرآن الكريم»(٢).

ولكن قد يعترض النصارى على ما ذكره القرافي بأن الفتى المراد به الولد وليس المراد به العبد كما حمله الإمام القرافي، وهذا ما يدفعه الإمام القرافي بقوله: «لا يقال: الفتى هو الولد، عندنا ؛ لأنا نقول ليس ذلك عندكم، لما في السفر الأول من التوراة لما بلغ إبراهيم عليه السلام أن الملوك أغاروا على سدوم، وسبوا لوطا ابن أخي إبراهيم عليهما السلام عبى فتيانه ثلاثمائة وثمانية عشر

---

(١) سفر إشعياء: الإصحاح (٤٢) الفقرة (١) إنجيل متى: الإصحاح (١٢) الفقرتان (١٧-١٨).
(٢) يشهد القرآن الكريم بعبودية ونبوة عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠] وقال أيضا: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف: ٥٩].

رجلا وسار في طلب العدو فهزمه واستنقذ لوطا وماشيته وجميع ماله»[١] يقول الإمام القرافي: ولم تكن أولاد إبراهيم عليه السلام باتفاق اليهود والنصارى ويذكر القرافي أن: في الإنجيل تسمية بعض تلاميذ المسيح فتيانا، وهذا يدفع ما اعترض به من أن الفتى يقصد به الولد إذ لم يقل أحد: إن واحدًا من تلاميذ المسيح كان ابنا له فضلا عن أن يكون تزوج أصلاً، وهذا ما قصده الإمام القرافي في قوله: «فقد جاء في إنجيل متى: أن المسيح عليه السلام مرّ بعد قيامه من الدفن على جماعة من تلاميذه يصيدون السمك، فقال: يا فتيان هل عندكم من طعام؟ فأطعموه جزءا من حوت، وشيئا من العسل»[٢].

ثم يقول الإمام القرافي: وإطلاق لفظ الفتى في التوراة والإنجيل على غير الولد كثير[٣][٤].

(١) سفر التكوين: الإصحاح (١٤) الفقرات (١٤-١٧).

(٢) النص غير موجود في إنجيل متى، بل هو في إنجيل لوقا: الإصحاح (٢٤) الفقرات (٤١-٤٣)، وليس فيه التعبير بلفظ الفتى ولا غيره، وجاء في إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢١) الفقرة (٥) وما بعدها، وفيه التعبير بلفظ الغلمان بدل الفتيان.

(٣) جاء في سفر التكوين قول قايبل عن أخيه: «فإني قتلت رجلا لجُرْحى وفتى لشدخي» الإصحاح (٤) الفقرة (٢٣) وفي سفر التثنية: «الفتى مع الفتاة والرضيع مع الأشيب، قلت: أبددهم إلى الزوايا، وأبطل من الناس ذكرهم» الإصحاح (٣٢) الفقرتان (٢٥-٢٦)، وفي سفر الملوك الأول قول سليمان عليه السلام: «أيها الرب إلهي أنت ملكت عبدك مكان داود أبي وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول» الإصحاح (٣) الفقرة (٧).

وفي إنجيل لوقا قول مريم أم عيسى عليهما السلام عن الله تعالى: «عضد إسرائيل فتاة ليذكر رحمة»، الإصحاح (١)، الفقرة (٥٤)، وفي سفر أعمال الرسل: «أيها السيد، أنت هو الإله الصانع السماء والأرض... القائل بفم داود فقال»، الإصحاح (٤)، الفقرة (٢٥)، وفيه أيضًا: «وأتوا بالفتى حيًّا، وتعزوا تعزية ليست بقليلة»، الإصحاح (٢٠)، الفقرة (١٢).

(٤) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص٦٥، ٦٦).

وإذا ما جئنا إلى غير الإمام القرافي من السابقين لا نجد غير الإمام القرطبي، وأبي البقاء الجعفري يذكران ذلك على ما تحت يدي من كتب.

أما الإمام القرطبي فذكر النص بدون تعليق[١] وأما أبو البقاء الجعفري فقد ذكر تعليقا قريبًا مما ذكره الإمام القرافي وأضاف: «قوله: (هذا فتاي) مكذب للنصارى في دعواهم ربوبية المسيح وألوهيته؛ إذ أضافه سبحانه إلى نفسه إضافة الملك، فقال جل من قائل: هذا فتاي وحبيبي، أنا أفعل به كذا وكذا، وهذا تصريح من متى الحواري[٢] بأن المسيح ليس هو الله، وأن الله ليس هو المسيح، وأن الله قائل، والمسيح مقول له، وأن الله معطٍ ومنعِم، وأن المسيح معطى ومنعَم عليه، وأنه فتى من فتيان بني آدم، وأن الله مالكه، وأنه عبد وأن الله سيده... أيهم أعلم بالمسيح من تلميذه متى، وسائر أصحابه الذين عاصروه وشاهدوه؟ فليس فيهم من ينتحل هذا الهذيان الذي صار إليه المتأخرون من النصارى»[٣].

وإذا ما جئنا إلى المتأخرين عن الإمام القرافي نجد ابن تيمية يذكر هذا النص ويعلق عليه تعليقًا قريبًا مما ذكره الإمام القرافي[٤].

الدليل الثاني:

يقول الإمام القرافي: «قال متى: أخذ إبليس يسوع المسيح -عليه السلام-، وأخرجه إلى البرية ليجربه، وقال له: إن كنت أنت ابن الله فقل لهذه الحجارة

---

(١) الإعلام (ص٢٥٠).

(٢) نقل متى النص الذي ذكره الإمام القرافي من نبوة إشعياء، والإمام أبو البقاء الجعفري نقله من متى، ولم ينقله من سفر إشعياء، ولذلك صرح بذكر متى، ولم يصرح بذكر إشعياء، بعكس ما ذكر القرافي.

(٣) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٢٠- ١٢٢).

(٤) الجواب الصحيح (٢/ ٢٨٠).

تصير خبزًا، فقال المسيح -عليه السلام-: إنه مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من الله تعالى، فأخذه إبليس ومضى به، حتى أقامه على أعلى جبل في الأرض وأراه جميع ممالك العالم، وقال: هذا كله لي، وأنا أعطيكه إن سجدت لي سجدة واحدة، فقال: اغرب عني يا شيطان، فإنه مكتوب للرب إلهك أسجد، وله وحده أعبد، فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: انطرح من هاهنا إلى أسفل، فإنه مكتوب أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رجلك بحجر، فقال المسيح -عليه السلام-: ومكتوب لا تجرب الرب إلهك، ومضى عنه إبليس وتركه، وجاءت الملائكة تحرسه، وصام المسيح -عليه السلام- عند ذلك ثلاثين يومًا بلياليها»[(١)].

يقول الإمام القرافي: «فقد صرح المسيح -عليه السلام- في هذه القصة بأنه يعبد الله تعالى ويسلك الأدب معه على سنن العباد في عدم تجربة الرب تعالى»[(٢)].

وكيف يجرب إبليس المسيح -عليه السلام- ويسحبه من مكان إلى مكان، ويسوسه السجود له، وهو خالق كل شيء وإله العالم عندكم؟ وعلى هذا التقدير يكون إبليس لا مطمع له فيه، فلما طمع فيه وعامله بتلك المعاملة واعترف المسيح -عليه السلام- بالعبودية ولزوم الأدب مع الله تعالى؛ دل ذلك على أنه

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح (٤)، الفقرات (١- ١١)، لكن الذي ورد فيه أن عيسى -عليه السلام- صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة، وليس كما ذكر الإمام القرافي في أنه صام ثلاثين يومًا بلياليها.

(٢) كلام القرافي هذا فيه نظر؛ لأن معناه أنه -عيسى عليه السلام- يُعَلِّم إبليس أن الله تعالى لا ينبغي أن يجرَّب من الشيطان، وهذا ما جعل الإمام القرافي يقول: إنه من تأدب عيسى -عليه السلام- مع الله تعالى، وهذا يصح لو كانت التجربة معه سبحانه وتعالى، ولكن التجربة مع عيسى -عليه السلام-، والصواب: أن هذه الفقرة مقحمة لإثبات ألوهية عيسى -عليه السلام.

عبد مربوب، وهو المطلوب[١].

وإذا ما وَجَّهنا وجهتنا قبل السابقين عن الإمام القرافي نجد أبا البقاء الجعفري يذكر هذا الدليل ويقول معلقًا: «هذا متى الحواري، قد ذكر هذه القصة، وهي شاهدة على المسيح بصريح العبودية وافتقار البشرية، وسلوك سنة المتعبدين، وطريق المتبتلين من المجتهدين، ودأب الأولياء، ومقدمات أمور الأنبياء، ينقطعون إلى مولاهم في أعالي الجبال، ويفرغون البال بمواصلة الوصال، ألم يأتكم نبأ ابن عمران إذ طوى الأربعين لا يفطر؟[٢].

ونحن نسألهم عن هذا المتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان والمقهور في يده، والشيطان طامع في استتباعه وصيرورته عبدًا له، أهو إنسان مخلوق أو إله خالق؟ فإن قالوا: إنسان مخلوق؛ وافقوا شرعنا، وخالفوا شريعتهم التي تقول: إن المسيح إله خالق غير مخلوق، وإن قالوا: إله خالق، فقد حكموا أن الإله الأزلي سحبه الشيطان وردده وجرت عليه أحكامه، وطمع فيه أن يسجد له، وفيه امتهان الرب القديم، والإله العظيم في يد الشيطان الرجيم»[٣].

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي فإنا نجد عبد الله الترجمان يذكر النص الذي تعرض فيه الشيطان لعيسى -عليه السلام-، ويقول: «فهذا منه إقرار بأنه بريء من الألوهية، ولو كان إلهًا لما اجترأ عليه الشيطان بمثل هذه القول، وفي جوابه له اعتراف لله تعالى بأنه هو الإله ولا يسجد أحد إلا له تبارك وتعالى»، ثم يعتذر عن سبب ذكر النص الذي فيه تعرض الشيطان لعيسى -عليه

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٦٦، ٦٧).

(٢) يقصد موسى بن عمران النبي -عليه السلام-، إذ قد جاء في التوراة أنه صام قبل بعثته أربعين يومًا وليلة. [سفر الخروج، الإصحاح (٣٤)، الفقرة (٢٨)].

(٣) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٢٩) وما بعدها.

السلام-، فيقول: «وهذا تنزل مع النصارى واحتجاج عليهم بما أظهروه في أناجيلهم، وإلا فعيسى وغيره من الأنبياء -عليهم السلام- معصومون من الشيطان في وسوسة الباطن الخفية، فكيف يدعوهم للكفر الصريح بالسجود من دون الله؟ وهذه مجاهرة جلية، ولا شك أنها من اختلاق كتاب الأناجيل ورعونتهم في تجويز مثل هذا على المسيح -عليه السلام»(١).

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر عن الحسن بن أيوب أنه ذكر هذا النص في رسالته إلى النصارى، وعلق عليه بقوله: «أفلا يعلم من كان في عقله أدنى مسكة أن هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إله، ولو كان إلهًا لأزاله عن نفسه قبل أن يأتيه الملك من عند ربه»(٢).

ونجد الباجي زاده يقول: «إن في عرضه على إبليس ليجرب أقوى شاهد على عبوديته، وهل يصدق الصغير الذي لم يبلغ الحلم أن من يكون إلهًا يعرض نفسه على المطرود من رحمته ليجربه؟ ولو كان كما تزعمون فما معنى جواب المسيح -عليه السلام- بقوله لإبليس: «مكتوب لا تجرب الرب إلهك، وأين أنت من دعواك أنه إله، ومن قول إبليس له بعد أن أراه ممالك العالم ومجدها: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي؟ فهل يتصور في فكر من عنده ذرة من العقل أن إبليس الذي هو أحقر مخلوق لله يتجاسر على الإله بأن يطلب منه السجود لنفسه... وتأمل قول المسيح وخطابه لمجربه: اذهب يا شيطان، مكتوب للرب إلهك تسجد، فلو كان المسيح -عليه السلام- يشم من نفسه رائحة ما تصفه أنت به من البهتان لأجاب إبليس بنحو: اذهب يا مطرود من رحمتي، أو

---

(١) تحفة الأريب (ص٩٧).

(٢) الجواب الصحيح (٢/ ٢٧١).

بنحو مكتوب أن تسجد لي وتعبدني»[(١)].

ومن خلال ما سبق ندرك: أن الإمام القرافي قام دليله على ركيزتين:

الركيزة الأولى: أنه اتخذ من عبادة عيسى -عليه السلام- دليلاً على عبوديته لله تعالى، وإذا كان عبدًا انتفى كونه إلهًا، وهذا الأمر شاركه فيه أبو البقاء الجعفري، إلا أنه زاد عن الإمام القرافي سؤال النصارى عن التابع للشيطان في القصة المذكورة، هل هو مخلوق أو خالق؟ فإن قالوا بالأول؛ ناقضوا عقيدتهم أن المسيح إله، وإن قالوا بالثاني؛ فقد امتهنوا وانتقصوا الخالق الباري؛ إذ كيف يتعرض له الشيطان؟!

والركيزة الثانية: أنه اتخذ من تعرض الشيطان لعيسى -عليه السلام- دليلاً آخر على عبوديته؛ إذ لو كان إلهًا لما تعرض له الشيطان؛ لأنه لا مطمع للمخلوق في الخالق ولكن لما طمع الشيطان في عيسى دل على أنه غير إله.

وهذا الأمر شاركه فيه أبو عبد الله الترجمان، وإن كان لم يرتضِ القصة أصلاً واعتبرها من مبتدعات كاتب إنجيل متى، وشاركه فيه الباجي زاده، إلا أنه ذكر ما لم يذكره القرافي ولا غيره من أنه إذا كان عيسى إلهًا عرض نفسه للتجربة، فقد ناقض ما كتبه أزلاً من أن الشيطان لا يجرب الرب الإله، وأيضًا كيف يكون الإله لا يملك ما خلق؟ إذ الشيطان هو المالك لجميع الممالك، ولم أخفى عيسى -عليه السلام- ما يصرح بألوهيته في خطابه لإبليس حتى يعلم الناس حقيقة الأمر من كلام ربهم؟ فلم لم يقل: «مطرود من رحمتي»، أو مكتوب أن تسجد لي وتعبدني؟

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣٤).

الدليل الثالث:

يقول القرافي: قال متى: «سمع هيردوس ملك اليهود خبر يسوع -عليه السلام-، فقال لغلمانه: أترى يوحنا قد قام من بين الأموات، وهذه القوى تعمل معه؟ وكان هيردوس قد قتل يوحنا المعمدان في السجن، وهو يحيى بن زكريا، وأعطى رأسه لابنة هيروديا زوجة أخيه فيلبس، وكانت قد تمنت عليه ذلك يوم رقصت في مجلسه لمولود ولد له، فجاء التلاميذ وأخبروا يسوع -عليه السلام- بمصاب يوحنا، فجذع يسوع وخرج من وقته من الموضع الذي كان فيه منفردًا»[1].

يقول الإمام القرافي: «والله تعالى عالم بجميع المعلومات، محيط بسائر الكائنات، قادر على جميع الممكنات، جلبًا ونفعًا، وإعطاءً ومنعًا، فلما لم يعلم المسيح -عليه السلام- حتى أخبره التلاميذ وخاف من الجبار لعجزه عن دفع الجبابرة، كان ذلك دليلاً قاطعًا على أنه عبد محتاج، خلق من جملة الخلق، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وهو المطلوب»[2].

فالإمام القرافي يتخذ من عدم علم عيسى -عليه السلام- بما كان ليحيى -عليه السلام- حتى أخبره التلاميذ، ومن جزعه وخوفه من الجبار هيردوس، وهربه إلى مكان انفرد فيه دليلاً على أن هذا ليس إلهًا، وإلا لعلم قبل أن يخبر؛ لأن الله بكل شيء عليم، ولقهر الجبار بدل أن يهرب منه.

هذا:

ولم يذكر هذا الدليل من السابقين واللاحقين للإمام القرافي، على ما أعلم

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح (١٤)، الفقرات (١- ١٤)، ولكن الوارد في إنجيل متى: أنها رقصت في ميلاد هيردوس، وليس في ميلاد ولدٍ له.

(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٦٧).

غير أبي البقاء الجعفري، وعلق عليه بما هو قريب مما قاله القرافي، وإن كانت عبارة الإمام القرافي أوضح بيانًا، وأسهل في الوصول إلى المقصود، إلا أنه زاد ما لم يذكره الإمام القرافي من أنه كيف يشتبه المسيح على الناس، والرب لا يقع التشابه بينه وبين خلقه؟ وأنهم ما شبهوه بيوحنا إلا لاشتراكهما في إعلام النبوة.

ثم بين للنصارى أن عيسى -عليه السلام- في جزعه وهربه -كما ذكروه- لم يصل إلى مرتبة ولي من الأولياء، فضلاً عن أن يرقوا به إلى درجة الأنبياء أو الربوبية، فهم قد عابوه وذموه أكثر من غيرهم، وهذا قوله: «وقد اتفق مثل هذا الابتلاء لطائفة من الأولياء، ولم يجد بهم الهلع بزمامه، ولا أنزلهم عن غارب[(١)] التوكل سنامه، قال بعض السلف: نفر من قدر الله إلى قدر الله»[(٢)].

ثم يسألهم قائلاً: «أين قولكم: إنه حين تعمد جاءته روح الله[(٣)] وأنتم رويتم

---

(١) غارب كل شيء أعلاه. يراجع: لسان العرب، (١/ ٦٤٢)، القاموس المحيط (١٥٤)، مادة: (غرب).

(٢) قائل هذا الكلام هو عمر بن الخطاب ﷺ، عندما خرج بأرض الشام، فلقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الوباء وقع بأرض الشام، فدعا عمر المهاجرين الأولين فاستشارهم، فاختلفوا بين الرجوع والإقدام، ثم دعا الأنصار فاختلفوا اختلاف المهاجرين، فدعا من كان معه من مشيخة مهاجرة الفتح فلم يختلف فيهم رجلان، ورأوا الرجوع، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله.
أخرج هذا الحديث الإمام البخاري، ك: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، حديث رقم (٥٧٢٩)، وأخرجه الإمام مسلم، ك: السلام، باب: الطاعون والطيرة، حديث رقم (٢٢١٩) عن ابن عباس.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح (٣)، الفقرة (١٦)، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١)، الفقرة (١٠)، إنجيل لوقا، الإصحاح (٣)، الفقرة (٢٢)، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١)، الفقرة (٣٢).

لنا أن موسى قد قاتل الجبابرة، وأباد الفراعنة، وطهر الأرض من العمالقة، ولم يفر من خصمه وإن عظم بأسه، ولا نكل عن فرعون، وإن اشتدت شوكته، وقد كان يدخل على فرعون فينغص عليه سلطانه، ويرغم مجاهرة شيطانه، أفكانت الروح التي مع موسى أقوى من الروح التي ادعيتموها للمسيح؟ فما نرى موسى إلا أحق من المسيح بالربوبية؛ إذا كان لم يخف، والمسيح قد خاف، وكذلك يوشع[١] وداود[٢] قد قهرا الصناديد، والمسيح قلتم: إنه قتله اليهود![٣].

الدليل الرابع:

قال متى: مر يسوع -عليه السلام- بشجرة وقد جاع، فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق، فقال: لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيبست الشجرة لوقتها، فتعجب التلاميذ، فقالوا: كيف يبست؟ فقال: الحق أقول لكم: إنه لو كان لكم إيمان بغير شك، وقلتم للجبل: تعال واسقط في البحر لفعل، وكان كل ما سألتموه تنالوه[٤].

يقول الإمام القرافي: وهذا يدل على أن عيسى -عليه السلام- عبد وليس ربًّا من وجوه:

أحدها: جوعه، وهو ينافي الربوبية، ويثبت العبودية.

وثانيها: عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة، والله بكل شيء عليم، فدل على أنه بشر لا يعلم إلا ما علم، وذلك يثبت عبوديته وينافي إلهيته.

---

(١) سفر يشوع، الإصحاح (٨)، والإصحاح (١٠).
(٢) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح (١٨)، وسفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح (١٩، ٢٠).
(٣) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٣٢) وما بعدها.
(٤) إنجيل متى، الإصحاح (٢١)، الفقرات (١٨- ٢٣).

وثالثها: غضبه على الشجرة؛ لأنه لما انخرم عليه أمله قوى غضبه، وهذه خاصية البشرية.

ورابعها: تعجب التلاميذ من يبسها بقوله، ولو كانوا يعتقدون أنه الله تعالى لم يعجبوا من ذلك، فإن يسوع عند النصارى هو الخالق للعالم، والذي تاب على آدم، وبيده كل شيء، والتلاميذ لم يعتقدوا ذلك، فدل ذلك على عبوديته -عليه السلام- وضلال النصارى.

وخامسها: قوله لهم: لو كان إيمانكم بغير شك لطاوعكم الجبل، ونلتم ما شئتم، فدل هذا على أنه إنما ظهرت كرامته -عليه السلام- في الشجرة بإيمانه الصادق، لا بكونه إله العالم، وإلا كان يكون الجواب: لو كنتم مثلي آلهة وأبناءً لله لفعلتم مثل فعلي، ولا كان يحسن ذكر الإيمان، ولما علل به دل ذلك على أنه نبي، وعلى إثبات عبوديته وإبطال ألوهيته، وهو المطلوب(١).

ونجد هذا الدليل عند أبي البقاء الجعفري وهو من السابقين للإمام القرافي، ونجده في تعليقه واستدلاله بهذا الدليل يذكر الوجه الأول والثاني الذين ذكرهما الإمام القرافي بعبارة فيها إجمال، فصله الإمام القرافي، لكنه يتخذ من هذه القصة دليلاً على علم الله تعالى الأزلي فيقول: «ولما سبق في علم الله تعالى ما سيدعى فيه من الربوبية والإلهية حفظ هذه المواضع من الإنجيل وحرسها عن التغيير والتبديل؛ لتكون وازعة ذوي الأحلام عن عبادة رجل من الأنام يفتقر إلى الطعام والشراب»، ثم يسأل النصارى: من الذي جاع؟ فإن قالوا: الإله؛ أكذبهم الإنجيل؛ إذ يقول: «إن الله لا يأكل ولا يشرب»، وإن قالوا: جاع عيسى بناسوته دون لاهوته؛ بطل اعتقادهم بالاتحاد؛ لأن الاتحاد عندهم جعل الاثنين

---

(١) الأجوبة الفاخرة (ص٦٨).

واحدًا، فكيف يجوع الناسوت دون اللاهوت؟

ثم يدفع ما قد يتوهمه النصارى من أن جفاف الشجرة دليل ربوبية عيسى فيقول: «وأما جفاف الشجرة بدعوته فليس في ذلك معتصم في دعوى ربوبيته، ولو جاز أن يدعى في المسيح الربوبية بهذه القضية؛ لجاز لإبراهيم(١) وموسى(٢) وإلياس(٣) ودانيال(٤)، وخلق كثير من أصفياء الله، فقد أجيبت لهم دعوات»(٥).

ولم أجده عند أحد من المتأخرين عن الإمام القرافي على ما أعلم.

الدليل الخامس: قال مرقس: قال عيسى «إن نفسي حزينة حتى الموت، ثم خر على وجهه يصلي لله تعالى، وقال: أيها الرب كل شيء بقدرتك، أخر عني هذا الكأس، لكن كما تريد، لا كما أريد أنا»(٦).

يقول الإمام القرافي: «وهو يدل على أن عيسى -عليه السلام- ليس ربًّا من وجوه:

أحدها: أنه وصف نفسه بالحزن، والله تعالى لا يحزن، بل هو من خصائص البشر.

وثانيها: قول مرقس: يصلي لله، والمعبود غير العابد، فلا يكون هو الله.

وثالثها: أنه أخبر عنه أنه سأل الله تأخير الموت، والسائل غير المسئول، فلا يكون هو الله تعالى.

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح (٢٠)، الفقرة (١٧).
(٢) سفر التكوين، الإصحاح (٨)، الفقرات (٢٥- ٣٣)، الإصحاح (٩)، الفقرات (٢٧- ٣٥)، الإصحاح (١٠)، الفقرات (١٦- ٢٠).
(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح (١٧)، الفقرات (١٧- ٢٤).
(٤) سفر دانيال، الإصحاح العاشر، الفقرات (٤- ٣٦).
(٥) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٤١، ١٤٢).
(٦) إنجيل مرقس، الإصحاح (١٤)، الفقرات (٣٤- ٣٧).

ورابعها: قوله: كما تريد لا كما أريد، جعل إرادة الله تعالى فوق إرادته، فلا يكون هو الله تعالى، فهذه الوجوه كلها دالة على عدم الربوبية، وإثبات العبودية، وهو المطلوب»(١).

فحزن عيسى -عليه السلام-، وقيامه يصلي لله تعالى سائلاً إياه تأخير الموت عنه، وجعله إرادته تابعة لإرادة الله تعالى، كل هذه الأمور جعلت الإمام القرافي -كما أنها تجعل كل عاقل منصف- يحكم بعبودية عيسى -عليه السلام.

وقد ذكر هذا الدليل من السابقين أبو البقاء الجعفري، وعلق عليه بقوله: «فها هو سائل والله مسئول، وأي عبودية تزيد على هذا؟»(٢).

ومن اللاحقين ذكره الباجي زاده وعلق عليه بقوله: «فليت شعري، لأي إله كان يتضرع؟ هل كان يستغيث من نفسه لنفسه؟»(٣).

ولا ريب أن ما ذكره الإمام القرافي أجمع مما ذكره هذان الإمامان، وأفصح في العبارة من عبارتيهما.

الدليل السادس:

قال لوقا: «قال رجل ليسوع -عليه السلام-: أتبعك إلى حيث تمضي يا سيدي، فقال له يسوع -عليه السلام-: للثعالب أحجار، وللطيور أوكار، وابن الإنسان ليس له موضع يسند رأسه»(٤).

يقول الإمام القرافي: «سمى نفسه ابن الإنسان مناقضة لما يقوله النصارى،

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة (ص٦٩، ٧٠).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٥٥).

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٣٥٢).

(٤) إنجيل لوقا، الإصحاح (٩)، الفقرتان (٥٧، ٥٨).

وقد كرر -صلوات الله عليه- هذه العبارة في مواضع كثيرة من الإنجيل»[1]، ولعله ليس ببعيد من حالة الأنبياء -عليهم السلام- أن يكون اطلع على ما سيقوله النصارى فيه، وما يجترءون على الربوبية بسببه، فكان -عليه السلام- يكرر ما يكون سببًا للهداية لمن اهتدى، وعذرًا له -عليه السلام- إذا سئل عن ذلك في الموقف غدًا.

ووصف نفسه -عليه السلام- بغاية التخلي عن الملك، حتى لا يملك مسقطًا لرأسه ولا يحوز شيئًا لنفسه، وهذا غاية العبودية[2].

فالإمام القرافي يتخذ من تصريحه بإنسانيته وعدم تملكه لشيء حتى إنه لا يجد مسقطًا لرأسه دليلاً على دفع ضلال النصارى فيما يعتقدونه من ألوهية عيسى -عليه السلام.

ولم يذكر هذا الدليل من السابقين غير أبي البقاء الجعفري، ويتخذ من هذا النص دليلاً على ما اتصف به عيسى -عليه السلام- من قوة إيمان، وتوكل على الرحمن، حتى إنه لا يملك شيئًا من متاع الدنيا حتى يتفرغ لعبادة الله تعالى، وذلك قوله: «اشتغل المسيح بالزهد والنسك وتفرغ لخدمة ربه فرفض الملك، ورضى فقره فسكن القفر، وحقق صبره فتوسد الحجر وافترش العفر، فكيف تعبد النصارى من لا يحوى مسقط رأسه فقرًا؟ ولا يملك لنفسه نفعًا ولا

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح (٨)، الفقرة (٢٠)، والإصحاح (٩)، الفقرة (٦)، والإصحاح (١٠)، الفقرة (٢٣)، والإصحاح (١١)، الفقرة (١٩)، إنجيل مرقس، الإصحاح (٢)، الفقرة (١٠)، والإصحاح (٨)، الفقرة (٣١٢- ٣٨)، والإصحاح (٩)، الفقرات (١٠، ١٢، ٣١)، والإصحاح (١٠)، الفقرة (٣٣، ٤٥).

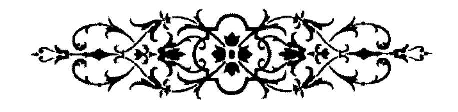
(٢) الأجوبة الفاخرة (ص٦٩).

ضرًّا؟[1].

وقد ذكر هذا النص من اللاحقين الباجي زاده وعلق بقوله: «صدق بقوله -عليه السلام- لأنه زهد عن الدنيا وما فيها، وهذا النص من البراهين الدالة على أنه مخلوق لله تعالى»[2].

وإذا قارنا ما قاله الإمام القرافي بما قاله الجعفري والباجي يمكن القول: إن الإمام القرافي في استدلاله بالنص كان أكثر دقة؛ إذ إنهما اعتمدا على جانب الزهد الذي هو من سمات البشر، أما هو فقد ذكر هذا الجانب، وأضاف إليه، ما هو قاطع لحجة النصارى، وهو التصريح من عيسى -عليه السلام- ببشريته.

والله أعلم



(١) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٥٢).

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق (ص٥٤).

المسلك الثاني
عقيدة الصلب والفداء وموقف القرافي منها

وفيه فروع:

الفرع الأول: عقيدة الصلب والفداء عند النصارى.

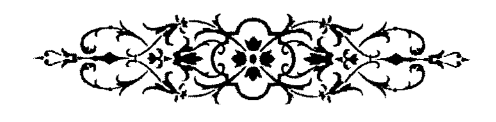
الفرع الثاني: شبهة النصارى في إثبات الصلب وتفنيد الإمام القرافي لها.

الفرع الثالث: أدلة الإمام القرافي العقلية على نفي الصلب لعيسى عليه السلام.

الفرع الرابع: أدلة الإمام القرافي النقلية على نفي الصلب لعيسى عليه السلام.

الفرع الخامس: نفي النصارى اعتقاد المسلمين إلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام ورد القرافي عليهم.

الفرع السادس: أدلة الإمام القرافي على وقوع شبه عيسى عليه السلام على غيره.



الفرع الأول
عقيدة الصلب والفداء عند النصارى

يعتقد النصارى أن عيسى عليه السلام مات على الصليب، ليفدي كل البشر من شرك الخطيئة التي وقع فيه أبوهم آدم.

وتمثل عقيدة الصلب والفداء أساس العقيدة النصرانية، وعليها انبنت كل عقائد النصارى، ولولاها عندهم ما عبدوا المسيح، ولا ماتوا في سبيل دعواه يقول صاحب كتاب مخلص العالم:

(إن عقيدة الصلب أساس الديانة المسيحية، وموضوع الإيمان المسيحي، والمحور المسيحي الذي تدور عليه جميع العقائد لمسيحية، والدعامة التي يرتكز عليها الإيمان والنبع الذي تصدر عنه جميع الفضائل المسيحية، وهي مادة الإيمان الذي على كل مسيحي أن يعرفها، إذا لم يستطع معرفة الحقائق المسيحية كلها، ويؤيد هذا الإجماع المسيحي العام على هذه العقيدة مع اختلافهم في كثير من الآراء والتفاسير التي فرقتهم إلى شيع ومذاهب، إلا أن عقيدة صلب المسيح بقيت بينهم الرابطة الحقيقية التي ربطتهم معًا فلم يختلفوا فيها، ولا تشعبت آراؤهم عنها إذ الكل يعترفون بصوت واحد: أن المسيح مات لأجل خطايانا[١]
ويقول القمص شنودة السرياني: «إن الإيمان المسيحي بشخص الرب يسوع المسيح، وبعمله الفدائي الكفاري الخلاصي هو حجر الزاوية في التعليم المسيحي» وتجاهله أو إسقاطه، أو الإقلال من أهميته القصوى هو هدم للمسيحية في صميم جوهرها)[٢].

---

(١) ينظر: مخلص العالم، للقمص لوقا الأنطوني: (ص٦٦) وما بعدها، مكتبة المحبة، القاهرة، ط/ الأولى، ١٩٩٨م.

(٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: (ص٢١٨).

ويقول البروفسور جوردن مولتهان في كتابه: «الإله المصلوب»: «ومجمل القول هو أن انتفاء الصلب انتفاء للمسيحية»[١].

فعقيدة الصلب عند النصارى هي عصب كل العقيدة المسيحية، وأساس بنيانها في نظرهم.

وأصل اعتقادهم ذلك أنهم يقولون: لما عظمت المباعدة بين البشر وبين الله تعالى وحكم عليهم بالموت الأبدي، والعصيان السرمدي، جاء ابن الله عيسى -تعالى الله عنه- ذلك. ليقرب تلك المباعدة، وليرضي أباه -تنزه الله عن ذلك-، فمات على الصليب؛ إرضاءً لأبيه، وحبًا في بني البشر وبذلك صالحهم مع الله تعالى، وبيان ذلك.

أنهم يقولون: إن الله خلق آدم مستقيمًا؛ لأنه خلقه على صورته -أي في القداسة والطهارة كما يقولون - ولما وضعه في جنة عدن أوصاه ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، منذرًا إياه بأنه يوم يأكل منها، فإنه يموت موتًا، ولكنه خالف الوصية، بغواية الشيطان، وأكل، وبذلك صار خاطئًا، مستوجبًا للموت.

وإذا كان الإنسان يرث أمراضًا معينة من والديه، فهو يرث منهما أيضًا أمراضًا نفسية وروحية.

ولذلك أصبح جميع نسل آدم خاطئًا ومحكومًا عليه بالموت لكون النسل ولد من آدم الخاطئ المحكوم عليه بالموت، لأن هذا النسل كان في ظهر آدم يوم أخطأ، ويوم حكم عليه بالموت، والحكم صدر على كل ذرة كائنة في هيكل آدم،

---

(١) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء للشيخ أحمد ديدات: (ص١٠)، ترجمة: علي الجوهري، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.

فورث بنوه خطيئته[(١)(٢)].

وإذا كان الله قد حكم على الجنس البشري بالموت الروحي والجسدي؛ لأنهم أبناء الخطيئة، فإما أن يموت الجنس البشري موتًا أبديًا بالروح والجسد وإما أن يسامحهم الله، ويمنحهم الغفران.

ولئن سألناهم: هل تكفي الأعمال في غفران تلك الخطيئة؟ فإنهم يقولون: هذا الغفران لا يكون بالأعمال؛ لأن الطبيعة البشرية اختلت بالخطيئة، وفسدت بالآثام، فصار كل ما يصدر عن البشر من الأعمال فاسدًا[(٣)].

ولذلك يقولون: إن الله الذي جمع بين صفتي العدل المطلق، والرحمة الكاملة تحرك قلبه شفقة على النفوس البشرية، التي باتت في قبضة إبليس وتحت سلطانه، فخلصها بطريقة تطابق رحمته، وتتفق مع عدله، بتجسيد كلمته الابن الأزلي تجسدًا ظاهرًا، وموته على الصليب- وهو غير مستوجب للموت لكي يفي بموته ما كان واجبًا على الإنسان، وهو بذلك حقق عدل الله تعالى في حكمه بالموت على البشر، فمات هو على الصليب، وحقق رحمة الله تعالى إذا أخرج بموته

---

(١) لم يرد في أي شرع من الشرائع السماوية، أن يؤخذ الأبناء بأخطاء الآباء، ولا الأحفاد بأخطاء الأجداد، والنصارى إذ يعتقدون ذلك، فإنهم يخالفون ما جاء في الكتاب المقدس من أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، بل كل إنسان بخطيئته يقتل. سفر التثنية: الإصحاح: [٢٤] الفقرة: [١٦] وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقول الله تعالى حاكيًا ما جاء في صحف موسى وإبراهيم عليهما السلام : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٨].

(٢) يراجع: مقالات لاهوتية وإيمانية، ليوحنا الدمشقي: (ص١١٢) وما بعدها، تعليق: د/ ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، ط/ ٢٠٠٤م، موسوعة علوم الدين للعلامة القبطي: (ص٦٥)، تاريخ الأمة القبطية: (٢/ ٢٧)، مخلص العالم (ص١٤).

(٣) مخلص العالم، لمكسي (ص١٧، ١٨).

هذا آدم وذريته من شرك الخطيئة، وقضى بموته على الخطيئة إلى الأبد، وما فعل عيسى ذلك إلا محبة في البشر، ولم يكن في استطاعة إنسان أو ملاك أن يقوم بهذه الفدية؛ لأن الإنسان خاطئ، ولأن الملاك مخلوق(١).

ولكن لماذا دم المسيح هو الذي فدى البشر ولم يكن دم أحدٍ سواه؟

يقولون: الخطيئة هي عصيان الله تعالى، وتعدٍ على حقوقه، وعدم محبة له، والله غير محدود، إذن فالخطيئة غير محدودة؛ لأنها موجهة ضد الله غير المحدود، ومهما عمل الإنسان فإن أعماله غير محدودة، ولذلك لا تغفر الخطيئة إلا كفارة غير محدودة ولا يوجد غير محدود إلا الله، لذلك لم يكن هناك حل لمغفرة الله الخطيئة سوى أن يتجسد الله ذاته ويموت، ويكون موته كفارة غير محدودة، توفي عدل الله غير المحدود في الاقتصاص من الخطيئة غير المحدودة الموجهة ضد الله غير المحدود. فافتقدنا نعمة الله تعالى وخلصتنا بدم المسيح -غير المحدود- الذي به وحده الخلاص، والذي هو كاف لمغفرة خطايا العالم كله، ما دام آمن بصلب المسيح لأجل الخلاص(٢).

فلو لم يكن عيسى عليه السلام -قد صلب- لما كان خلاص للبشرية في المسيحية.

---

(١) يراجع: مقالات لاهوتية: (ص١١٦، ١١٧)، تاريخ الأمة القبطية: (٢/ ٢٧، ٢٨)، خلاصة الأصول الإيمانية في الكنيسة، لحبيب جرجس (ص٢٣) وما بعدها، مكتبة الهلال، الفجالة، ط/ التاسعة، ١٩٢٦م، الأمور المتيقنة عندنا للقس كارل سي، وليمين الكبير (ص٦٢)، مكتبة ومطبعة إيزيس، الإسكندرية، بدون تاريخ، يسوع المصلوب للقس منسي يوحنا (٣٠،٣١)، مكتبة المحبة، بدون تاريخ، العصر الذي صلب فيه المسيح وقام لملاك لوقا (ص٦٤) مكتبة المحبة، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، للبابا شنودة الثالث: (١/ ١٩،١٨) مكتبة المحبة، ط/ الثامنة، ١٩٩٣م.

تعقيب:

إن عقيدة صلب المسيح -عليه السلام- تكفيرًا عن خطيئة البشر يلزم عنها ما لا ترضاه العقول ولا تقره الشرائع، مثل:

١- إن جميع الأنبياء والرسل قبل عيسى عليه السلام وسائر المؤمنين، أهل عصيان وفسوق في الدنيا، وأصحاب جحيم في الآخرة، وقد صرح النصارى بذلك، ولم يخفوه، فقالوا: إن الدليل الأكبر على وراثة الجنس البشري لخطيئة آدم هو وقوع جميع الأنبياء في الخطايا الجسام[١]؛ لأنه لو لم تكن خطيئة آدم قد سرت إلى عموم نسله، وأصبحت طبيعتهم فاسدة لما كان الأنبياء الذين حملوا إلى الناس وحي الله يسقطون في الخطيئة والإثم[٢].

ويقول يوحنا الدمشقي: (نزل الفادي بلاهوته إلى قاع الجحيم بناءً على وعده القديم بخلاص الأنبياء وقديسي العهد القديم، وبعدما حرر المعتقلين المؤمنين من سجن الجحيم منذ عهد آدم، عاد ثانية من بين الأموات، وقام حيًا معلنًا غلبة الموت وكسر شوكته)[٣].

٢- أنه لا فائدة لبعث الله تعالى جميع الأنبياء والرسل، قبل عيسى عليه السلام ولا لما أنزل عليهم من الكتب ما دام الإيمان بهم لم يكن سببًا في مغفرة الخطايا، ويصرح النصارى بذلك أيضًا فيقولون: ماذا يفيد البشر من مجئ نبي تلو نبي، إذا كانت مهمة النبي الإنذار والتعليم، وإعلان غضب الله على الخطاة دون أن يكون في مقدور هذا النبي أن يخلص الناس من الخطيئة وعواقبها؟ وماذا

---

(١) يراجع: مبحث موقف الإمام القرافي من التوراة.

(٢) مخلص العالم: (ص١٥).

(٣) مقالات لاهوتية: (ص١٤٦).

نفيد من تعاليم الأنبياء إذا كانت الخطيئة غير مغفورة والآثام غير مكفر عنها، والضمير لا يزال مثقلاً بالذنوب، والإنسان رازح تحت حملها الثقيل؟[1].

ولا ريب أن في ذلك وصفًا لله تعالى بأنه لا يعلم مصالح عباده ، إذ أرسل إليهم ما لا ضرورة في إرساله وأنزل عليهم ما لا حاجة في إنزاله، والله تعالى منزه عن ذلك.

٣- أنه لا قيمة للأعمال الصالحة، لا قبل عيسى، ولا بعده، أما قبل عيسى عليه السلام فلأن النصارى يحكمون بفسادها -وإن كانت صالحة- لأنها صدرت من جسد الخطيئة تجري في دمه، وأما بعد عيسى، فلم العمل ما دامت الخطيئة كفر عنها بموت عيسى، وما دام خلصهم من عواقبها؟

ثم إن كان النصارى يقولون: إن عيسى عليه السلام قضى على الخطيئة، فما بال العالم مليئًا بالشرور والآثام؟ وإذا كان عيسى عليه السلام خلصهم من عواقب الخطايا فما فائدة سر الغفران، والاعتراف بالذنوب للمقدم عندهم حتى يغفر لهم؟ وكل النصارى الكاثوليك والأرثوذكس يعتقدون ذلك ولا ينكرونه ثم إن النصارى في قولهم هذا يرمون الله تعالى بالظلم، إذ سوى بين من عمل صالحًا وغيره إذ الكل دخلوا الجحيم ولم يخلصوا إلا بصلب عيسى كما يقولون.

وأخيرًا: مما يجدر ذكره أن عقيدة الصلب للتكفير ليست من المسيحية التي جاء بها عيسى عليه السلام في شيء، بل إنها وردت إلى المسيحية التي جاء بها بولس من عقائد أخرى، وبخاصة عقيدة الهنود البراهمة، فهي معتقد سائد عندهم قبل المسيح بمئات السنين، فهم يعتقدون أن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، تحرك حنوًا كي يخلص الأرض

---

(١) مخلص العالم: (ص١١، ١٢).

من ثقل حملها، فأتاها وقدم نفسه ذبيحة عن الإنسان ويصورونه مصلوبًا مثقوب اليدين والرجلين، ويصفون كرشنا لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتًا؛ لأنه قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر والمعتنقون للديانة البوذية يرون أن بوذا تجسد في الناسوت، وقدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ومن ثم يسمونه الابن المخلص.

ويؤيد أن هذه الفكرة فكرة صلب المسيح تكفيرًا عن خطايا البشر واردة على المسيحية، وليست من أصولها، أنها كانت سائدة قبل ميلاد المسيح بأزمنة سحيقة، إذ وجدت في ديانة اليونان في أبولو، وديانة متراس التي جاءت إلى الرومان من بلاد فارس(١).

والله أعلم



(١) ينظر: المسيحية (ص١٤٣)، النصرانية والإسلام (٥٥، ٥٦).

الفرع الثاني
شبهة النصارى في إثبات الصلب وتفنيد الإمام القرافي لها

أولاً: شبهة النصارى:

يقولون: اليهود والنصارى أمتان عظيمتان طبقوا مشارق الأرض ومغاربها، وكلهم يخبر أن المسيح عليه السلام صلب، وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، والإنجيل أيضًا مخبر عن الصلب[١] فإن جوزتم كذب اليهود والنصارى، وقلتم إنه يمكن تواطؤهم على الكذب، وجوزتم كذب الإنجيل، لزم المحال من وجوه:

أحدها: يتعذر عليكم كون القرآن متواترًا[٢].

وثانيها: أن قاعدة التواتر تبطل بالكلية، فإن غاية خبر التواتر يصل إلى مثل هذا.

وثالثها: أن إنكار الأمور المتواترة جحد للضرورة، فلا يسمع، فلو قال إنسان: الخبر عن وجود بغداد ودمشق كذب، لم يسمع ذلك منه، وعد خارجًا عن دائرة العقلاء، وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق، وأن إخبار القرآن والمسلمين عن عدم ذلك مشكل[٣].

---

(١) يراجع: متى: الإصحاح: [٢٧] الفقرات: [٣٢-٥١]/ مرقس: الإصحاح: [١٥] الفقرات: [٢٢-٣٨]، لوقا: الإصحاح: [٢٣] الفقرات: [٢٦-٤٧]، يوحنا: الإصحاح: [١٩] الفقرات: [١٦-٣١].

(٢) يوضح هذا ابن حزم بقوله على لسان النصارى: (فإن جوزتم على هذه الكوافِّ العظام المختلفة الأهواء والأديان والأزمان والبلدان والأجناس نقل الباطل فليس ذلك أولى من كافتكم التي نقلت أعلام نبيكم وشرائعه وكتابه) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٥٧).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٥٠).

ثانيًا: تفنيد الإمام القرافي للشبهة:

يلاحظ أن شبهة النصارى تعتمد على جانبين:

الأول: أن مسألة الصلب نقلت نقلاً متواترًا.

والثاني: إخبار الأناجيل بذلك.

والإمام القرافي في تفنيده للشبهة، يبطل اعتمادهم على الجانبين، أما **الجانب الأول**: ادعاء النصارى تواتر الصلب، فيبين قبل الرد شروط التواتر، ثم يبيني عليها رده على ادعائهم، فيقول في بيان شروط التواتر، التواتر له شروط:

الشرط الأول: أن يكون المخبر عنه أمرًا محسوسًا، ويدل على اعتبار هذا الشرط أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا العظيمة وهي باطلة كأخبار المعطلة عن عدم الصانع، والمجسمة عن التجسيم، والفلاسفة عن قدم العالم وهم كثيرون ومع ذلك فتلك الأخبار باطلة.

والسبب في اعتبار هذا الشرط: أن الأخبار العقلية يكثر وقوع الخطأ فيها، فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات حتى ينظر فيجد البرهان القطعي يعضد ذلك الخبر فحينئذ يقطع بصحة ذلك الخبر، وأما الأمور المحسوسة مثل المبصرات ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ، وإنما يقع الخلل من التواطئ على الكذب، فإن كان المخبرون يستحيل تواطؤهم على الكذب حصل القطع بصحة الخبر[١].

فالإمام القرافي يقول: إنما اشترط في التواتر أن يكون الأمر المخبر عنه محسوسًا، لكثرة الأخطاء في الأخبار العقلية، فلا يحصل القطع بصدقها حتى

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٥٠، ٥١).

يحصل برهان من الحس يؤيد ما أخبر عنه، بخلاف الأمور المحسوسة بأداة من أدوات الحس، فإنه لا يشك أحد في حصولها ما دام أحسها، ولا يحصل كذب في خبرها إلا من طريق ناقليها، بأن يتواطأ المخبرون على الكذب.

والشرط الثاني: استواء الطرفين والواسطة، وبيان ذلك: أن المخبرين لنا إذا كانوا عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب، وكانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه حصل العلم بخبرهم، وإن لم يكن المخبرون لنا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس، بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك، فلا بد أن يكون غير المباشر عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب، فإن كان المخبر لنا عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب، وأصلهم الذي ينقلون عنه كذلك، لكن أصلهم لم يباشر ذلك الأمر المحسوس بل ينقل عن غيره أيضًا، فأصل ذلك الأصل يجب أن يكون عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب، فهذا معنى قولنا: استواء الطرفين والواسطة[١].

أي أن الإمام القرافي يريد أن يقول: إنه يشترط أن يبلغ عدد الناقلين للخبر المحسوس عددًا يستحيل تواطؤهم على الكذب في جميع حلقات الخبر مهما كثرت وبعد أن بين الإمام القرافي حقيقة التواتر رد على شبهة النصارى بأمرين:

الأول: يبين لهم أن حادثة الصلب وإن كانت من الأمور المحسوسة في ذاتها فإن الحس لا يجزم بتحديد عين المصلوب، فقد يكون عيسى عليه السلام، وقد يكون غيره، والسبب في ذلك أن الحس لا يستطيع أن يمايز بين الشيئين المتماثلين، وذلك قوله: (الحس إنما يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة، وأما أنه عيسى عليه السلام -نفسه أو غيره- فهذا لا يفيده الحس ألبتة؛ بل إنما يعلم

---

(١) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص٥١).

بقرائن الأحول، وبأخبار الأنبياء عليهم السلام عن الله الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

والذي يدل على أن الحس لا يفرق بين المتماثلات: أنا لو وضعنا في إناء رطلاً من الماء، أو الزيت أو نحو ذلك، وأريناه الإنسان ثم رفعنا ذلك المائع، ووضعنا فيه رطلاً آخر من ذلك المائع، ثم أريناه لذلك الإنسان، وقلنا له: هذا الماء هو عين الماء الأول أو مثله؟ فإنه إذا أنصف يقول: الذي أدركه بحسي أن هذا ماء بالضرورة، أما أنه عين الأول أو مثله فلا أعلم لكون الحس لا يحيط بذلك، وكذلك كف من تراب، أو أوراق الأشجار، أو أنواع الحنطة ونحو ذلك[1].

وبعد أن قرر الإمام القرافي أن الحس لا يمايز بين الأمور المتماثلة، وأنه لا مدخل له في تمييز عين المصلوب هل هو عيسى عليه السلام أو غيره، يبين أنه لا مانع أن يخرق الله العادة لعيسى بإلقاء شبهه على غيره، ورفعه صونًا له عليه السلام، ولا غرابة في ذلك فهذا الأمر ليس أغرب من إحياء الموتى، وإذا جاز خرق العادة بإلقاء الشبه على غيره بقي القرآن صادقًا فيما أخبر من عدم الصلب، وذلك قوله:

(إذا تقرر أن الحس لا سلطان له على الفرق بين المثيلين، فيجب القطع أن كون المصلوب هو خصوص عيسى عليه السلام دون شبهه، أو مثله ليس مدركًا بالحس، وإذا لم يكن مدركًا بالحس، جاز أن يخرق الله تعالى العادة لعيسى عليه السلام بخلق شبهه في غيره، كما أخرق العادة في إحياء الموتى وغيره، ثم يرفعه ويصونه عن إهانة أعدائه، وهو اللائق بكريم آلائه في إحسانه لخاصة أنبيائه وأوليائه، وإذا جوز العقل مثل هذا مع أن الحس لا مدخل له في ذلك بقي إخبار

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٥٢).

القرآن الكريم عن عدم الصلب سالمًا عن كل معارض، مؤيدًا بكل حجة وسقط السؤال بالكلية[١].

والثاني: يسلم الإمام القرافي للنصارى أن الحس يفرق بين المثلين فرضًا، لكن لا يسلم لهم أن العدد المباشر للصلب، بلغوا عدد التواتر، أما من ناحية النصارى، فلأنه لم يحضره أحد منهم، وأما من ناحية اليهود؛ فلأنه لم يقم بالصلب إلا أعوان الملك، وهم في الغالب قلة، وذلك قوله: (سلمنا أن الحس يتعلق بالتفرقة بين المثلين، والتمييز بين الشبيهين، لكن لا نسلم أن العدد المباشر للصلب كانوا بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب، ويدل على أنهم ليسوا كذلك: أن الحواريين فروا عنه[٢]؛ لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود، فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى، فخبر النصارى عن أسلافهم لا يفيد علمًا، بل هو حرز وتخمين لا عبرة به ... وأما من جهة الملة اليهودية، فلأن المباشر منهم للصلب إنما هم الوزعة[٣]، وأعوان الولاة، وذلك في مجرى العادة يكون نفرًا قليلاً كالثلاثة، ونحوها، يجوز عليهم الكذب، ولا يفيد خبرهم العلم. اهـ

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٥٢، ٥٣).

(٢) جاء في إنجيل متى: الأصحاح: [٢٦] [حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا] الفقرة: [٥٦] وفي إنجيل مرقس: الإصحاح: [١٤] [فتركه الجميع وهربوا، وتبعه شاب لابسًا إزارًا على عريه، فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عريانًا] الفقرات: [٥٠-٥٢]، وفي إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرة [٥٤] أنه لم يتبعه إلا بطرس من بعيد، وفي إنجيل يوحنا: الإصحاح: [١٨] الفقرة: [٨] [فإن كنتم تطلبوني فدعوا هؤلاء يذهبون].

(٣) الوَزَعة: جمع وازع، والوازع: من يدبر أمور الجيش، ويرد من شذ منهم، وقيل: الوزعة: هم الولاة، المانعون من محارم الله، يراجع: القاموس المحيط: (ص٩٩٥). مادة (و ز ع).

وقد يدعي النصارى أن العدد المباشر للصلب، بلغ حد التواتر، وهذا يجيب عنه القرافي بأن ذلك يفتقر إلى نقل متواتر، وهو غير موجود عند النصارى، وذلك قوله: (وكون العادة خولفت، وخرج للصلب عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب يفتقر إلى نقل متواتر، فإنه لو وقع، ونقل بأخبار الآحاد لم يحصل لنا علم بالمصلب، فإن المتواترات إذا نقلت بأخبار الآحاد سقط اعتبارها في إفادة العلم، لجواز كذب الناقل، فلا يكون عدد التواتر حاصلاً في نفس الأمر)[1].

هذا ما أجاب به الإمام القرافي على الجانب الأول من شبهة النصارى وهو ادعاؤهم تواتر الصلب، وأما الجانب الثاني وهو قولهم: نصوص الإنجيل شاهدة بذلك فسيأتي رد الإمام القرافي عليه في مسلك أدلة الإمام القرافي النقلية على إبطال عقيدة الصلب إن شاء الله تعالى.

وإذا ما جئنا إلى السابقين عن الإمام القرافي فإنا نجد الإمام ابن حزم بعد أن ذكر شروط التواتر بعبارة فيها إيجاز يقول: (نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسيح فوجدنا كواف عظيمة صادقة بلا شك في نقلها جيلاً بعد جيل إلى الذين ادعوا مشاهدة صلبه، فإن هنالك تبدلت الصفة، ورجعت إلى شرط مأمورين، مجتمعين، مضمون منهم الكذب، وقبول الرشوة على قول الباطل، والنصارى مقرون بأنهم لم يقدموا على أخذه نهارًا خوف العامة، وإنما أخذوه ليلاً عند افتراق الناس عن الفصح، وأنه لم يبق في الخشبة إلا ست ساعات من النهار، وأنه أنزل إثر ذلك، وأنه لم يصلب إلا في مكان نازح عن المدينة ليس موضعًا معروفًا بصلب من يصلب، ولا موقوفًا لذلك، وأنه بعد هذا كله رشى الشرط على أن يقولوا: إن أصحابه سرقوه، ففعلوا ذلك، فبطل أن يكون صلبه منقولاً

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٥٣).

بكافة، ثم ذكر ما كان من حال التلاميذ)[١].

أي أن ابن حزم يسلم للنصارى تواتر النقل إلى المشاهدين للحادثة، أما هم فلا يسلم بها قد يقال من أنهم بلغو عدد التواتر، ويستدل على ذلك بقرائن الأحوال، إذ إنه أخذه عدد من الشرط ليلاً بعد تفرق الناس خوفًا من انقلاب الناس عليهم، وصلبوه في مكان بعيد عن المدينة لا يعلمه إلا نفر قليل من الناس، ولم يبق على خشبة الصلب إلا ست ساعات فقط، ناهيك عن أن القائمين بعملية الصلب أهل رشوة، وأصحاب كذب، فلم لم يكونوا ارتشوا في أن يطلقوه ويقتلوا غيره، ما دام ارتشوا أن يقولوا إن أصحابه سرقوه؟

ونجد أبا البقاء الجعفري يسأل النصارى عن قتل المسيح وصلبه: أنقلوه تواترًا أم آحادًا؟ ثم يقول: (فإن زعموا أنهم ينقلونه نقل الآحاد، لم تقم بذلك حجة ولم يثبت العلم؛ إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد يعرض لهم ذلك فلا يحتج بهم في القطعيات ثم يذكر الزعم بنقل ذلك متواترًا، ويدفعه بها هو قريب مما ذكره الإمام القرافي في الأمر الثاني من أنه لم يحضر الصلب أحد من النصارى، ولم يحضره إلا قلة من اليهود ثم يصل من ذلك إلى أنه إذا لم يثبت تواتر النقل من قبل اليهود والنصارى، فليقدم ما هو متواتر في هذا الباب وهو خبر القرآن الكريم عن عدم الصلب، وذلك قوله: (وإذا ثبت أن أتباع المسيح لم يحضر منهم أحد، واليهود الذين حضروا عصابة قليلة دون عدد التواتر يجوز عليهم السهو والغلط واعتماد الكذب، فلا جرم قدم تواتر الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ٥٨، ٥٩).

شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧][(١)].

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي، فلا نجد أحدًا أشار إلى مسألة عدم تواتر الصلب غير نجم الدين الطوفي، فنجده يتخذ من التنازع في الصلب دليلاً على عدم تواتره فيقول: (إن قتله إن لم يكن كولادته من غير ذكر فهو مثله في الشهرة، ولابد ثم إن ولادته من غير ذكر لما كان لها وجود تواترت تواترًا لم يختلف فيه اثنان منا ومنكم، فلما اختلفنا في قتله دل على أنه لم يبلغ تلك المرتبة من التواتر، فلم يثبت بمجرد الدعاوي أو الحجج الضعيفة، ويؤكد ذلك من أن المسيح طبق ذكره الآفاق؛ لما ظهر على يديه من الخوارق وقتل مثل هذا لا يقبل بمثل هذا النزاع لما يجب له في مطرد العادات من الشهرة والغلبة، وإذا كان يحيى وزكريا -عليهما السلام- دونه في الشهرة، ثم لم يختلف في قلتهما فما الظن بالمسيح الذي أجمعنا على أنه أفضل أبناء إسرائيل، وأنتم تدعونه إلهًا؟[(٢)]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا: أن الإمام القرافي بيَّن أن الحكم بالتواتر راجع إما إلى الحس، أو العدد، وكلا الصورتين غير متحقق في مسألة الصلب، أما الحس فلعجزه عن تميز عيسى عن غيره، وأما العدد فلعدم تحققه من قبل اليهود والنصارى، فالإمام القرافي بنى رده على شرطي التواتر، أما الإمام ابن حزم وأبو البقاء الجعفري فلم يُبن ردهما إلا على شرط واحد وهو بلوغ العدد حد التواتر، وإن كان يذكر لأبي البقاء إضافته أنه إذا انتفى التواتر من قبل اليهود والنصارى، فليقدم ما هو متواتر وهو خبر القرآن الكريم.

وأما نجم الدين الطوفي، فإنه بنى رده على أنه إذا تنازعنا وإياهم في الصلب

---

(١) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٣٧-٣٤٠).
(٢) ينظر: الانتصارات الإسلامية: (ص١١١، ١١٢)، وينظر أيضًا في المسألة: الإعلام: (ص٤١٦).

وعدمه دل ذلك على أن الصلب غير متواتر، وهذا ليس قويًا في نظري لإمكان عوده علينا؛ ولأنه ليس من شروط التواتر انتفاء المنازعة، ومن خلال هذا الكلام يتبين لنا أن رد الإمام القرافي أجمع وأشمل من رد غيره في هذه المسألة.

والله أعلم



الفرع الثالث
أدلة الإمام القرافي العقلية على عدم الصلب لعيسى عليه السلام

لم يكتف الإمام القرافي بتفنيد شبهة النصارى التي تمسكوا بها في إثبات الصلب، بل ذكر أدلة عقلية تلزم النصارى بعدم الصلب، نذكرها فيما يلي:

الدليل الأول: يقول الإمام القرافي سائلاً النصارى: (آدم عليه السلام تاب وأناب أم لا؟ فإن قالوا نعم، بطل القول بالصلب، فإنهم يقولون: إن سر الصلب محو خطيئة آدم، وإن الله تعالى فداه بابنه كما فدا إسحاق بالكبش، فضرب المسيح عليه السلام عوضًا عن رفاهية آدم، وإهانته بدلاً من الأكل من الثمرة، وصلبه على الخشبة لتناوله الشجرة، وسمرت يداه لامتداد يد آدم عليه السلام إلى الثمرة، وسقي الخل والمر عند عطشه لاستطعام آدم عليه السلام حلاوة ما أكله، ومات بدلاً عن موت المعصية التي كان آدم عليه السلام يتوقعه.

وإن قالوا: لا، كذبتهم كتبهم فإنها مصرحة كلها بتوبة آدم عليه السلام[1] والتوبة تنفي الحوبة، فلا معنى لعقوبة الولد)[2].

فالإمام القرافي يلزمهم إما أن يقولوا بتوبة آدم عليه السلام، وساعتها فلا معنى للقول بالصلب؛ لأن الصلب كان تكفيرًا عن معصية آدم عندهم أو يقولوا

---

(١) في التوراة أن آدم لما عصى الله تعالى اختبأ منه هو وحواء، وأن الله تعالى توعد حواء بآلام الحمل والوضع، وتوعد آدم بأنه لا يأكل إلا من تعب يده وأخرجه من الجنة إلى الأرض وليس فيها أن الله تاب عليه. يراجع: سفر التكوين: الإصحاح [٣] الفقرات: [٨-٢٤]، التوراة السامرية: سفر التكوين: الإصحاح [٣] الفقرات: [٨-٢٤]، لكن صرح القرآن الكريم بتوبة الله تعالى على آدم قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٦).

بعدم توبته، وساعتها يلزمهم تكذيب كتبهم.

ثم يتعجب الإمام القرافي من أنه كيف يفدي الإله البشر بناءً على اعتقادهم ألوهية عيسى؟ وعلى القول بأن الفادي من البشر فالأولى أن يكون فداء آدم عليه السلام بولد من صلبه، لا بولد بينه وبين أبيه آدم قرون، وذلك قوله: (ثم الفداء بهابيل أولى؛ لأنه ولد الصلب وفداء البشر بالبشر الصرف أولى من فداء البشر بإله قديم، وفي كتبهم: أن الله تعالى فدى إسحاق بكبش[(١)] ففداء آدم على خطيئته بكبش أولى)[(٢)].

هذا: ولم يذكر هذا الدليل غير أبي البقاء الجعفري[(٣)]، وذكر مثل ما ذكر الإمام القرافي من أنه إما أن يكون آدم قد تاب، وعليه فلا معنى للصلب، أو لم يتب، وعليه تكذبهم كتبهم، وأضاف أنهم قد يسلمون بالتوبة، ويقولون: لا بد من قتل المسيح، إذ التوبة وحدها لا تكفي، وهذا ما أجاب عنه بقوله: (فإن قالوا: إنه لا بد من قتل المسيح، فالتوبة لا أثر لها، بل حال التائب بعد التوبة النصوح كحالة قبل التوبة في ملابسة القبيح، فالقول بصحة التوبة ينفي القول بالقتل والصلب، والقول بالقتل والصلب ينفي صحة التوبة)[(٤)].

الدليل الثاني: يسأل الإمام القرافي النصارى قائلاً: (هل كان الله تعالى قادرًا على خلاص آدم وذريته بغير صلب المسيح، أم لا؟

---

(١) سفر التكوين: الإصحاح: [٢٢] الفقرة: [١٣].

(٢) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٦).

(٣) ذكر الإمام القرطبي جانبًا من هذا الدليل في مقام إلزامات ذكرها على قول النصارى بالصلب، فقال: (ويلزمكم على ذلك أن يكون الله تعالى لم يتب على آدم عليه السلام إلا بعد أن صلب المسيح، وبذلك تكذيب كتب الأنبياء) الإعلام: (ص٤١٧).

(٤) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٦٩، ٣٧٠).

فإن قالوا: لا كفروا بنسبة الله تعالى للعجز والاضطراب: وأكذبهم ما في كتبهم من أن الله على كل شيء قدير[١]، وإن قالوا: يقدر، كفروا بنسبته تعالى إلى الحيف على يسوع عليه السلام. وإهانته الخاصة بأيدي السفلة على قاعدتهم في التحسين والتقبيح[٢]، وليس من العدل أن ينجي آدم فيفدي بابن الله تعالى)[٣].

فالإمام القرافي يلزمهم الكفر إما بنسبة الله تعالى إلى العجز، وإما بنسبته إلى الحيف والظلم، إذ كيف يكون قادرًا على خلاص آدم بدون دم المسيح، ويصر على قتله؛ ثم كيف يفدي آدم بولده على زعمهم؟ فذلك غاية الظلم إذ ترك المستوجب للعقوبة، وعاقب غيره، وليته آحاد الناس بل هو ولده لصلبه.

والذي جعل الإمام القرافي يلجأ إلى الحكم بالكفر في نسبة الله تعالى إلى الجور والظلم ليس عقيدة الإمام القرافي في الله تعالى من أنه لا يوصف بالظلم، بل ما يعتقده النصارى من أن الله تعالى لا يصدر عنه القبيح، فإذا كان لا يصدر عنه القبيح، فكيف صدر عنه الظلم وهو قبيح؟

الدليل الثالث: يسأل الإمام القرافي النصارى عن موت المسيح على الصليب، هل هو حكمة أو سفه؟ فإن قالوا: حكمة لزمهم الثناء على اليهود

---

(١) في إنجيل متى: الإصحاح [٧] الفقرات: [٧-١٣] إشارة إلى عموم قدرة الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام.

(٢) بيّن الإمام القرافي مذهب النصارى في التحسين والتقبيح فقال: (مذهب النصارى أن الخير من الله، والشر من الشيطان، ثم رد عليهم ذلك بأنه يلزمهم أن يكون مراد الله تعالى أقل وقوعًا، وأن مراد الشيطان أكثر وقوعًا وأنفد وأغلب لكون أكثر العالم كفارًا وضلالاً وشريرين، ويلزمهم أن يكون الشيطان أولى بالربوبية ثم بين عقيدة أهل السنة من أن الخير والشر، والضر والنفع كُلٌ بيد الله) يراجع: الأجوبة الفاخرة (ص١٣٥).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٧)، وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٣٧١).

بالخير لإعانتهم على الحكمة، وفعلهم لها مع أن النصارى يكرهون اليهود لصلبهم إلههم وقتلهم إياه وإن قالوا: سفه: نسبوا الرب تعالى إلى السفه، وهو كفر[(١)].

الدليل الرابع: يذكر الإمام القرافي عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام من أنهم يقولون: إنه إله العالم، وخالقهم، ورازقهم ومدبرهم إلى منتهى آجالهم، ثم صلب، ودفن ثلاثة أيام[(٢)] ثم يقول لهم: (يا سخفاء العقول، والجاهلين بالمعقول والمنقول، من كان يقوم برزق الأنام والأنعام في تلك الأيام؟ وكيف كان حال الوجود والإله في اللحود؟ ومن المدبر للسموات والأرض بالبسط والقبض، والرفع والخفض؟ وهل دفنت الكلمة بدفنه، وقتلت بقتله أم خذلته وهربت مع التلاميذ؛ فإن دفنت، فإن القبر الذي وسع الكلمة لقبر عظيم، وإن أسلمته وذهبت، فكيف أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج؟ وكيف يحسن بهذا الإله إسلامه محله لأعدائه، وخذلان سائر أوداته[(٣)].

ثم إن كان صلبه برضاه، وهو قادر على دفعه عن نفسه فينبغي أن يترحموا على اليهود ويعظموهم؛ لتحصيلهم رضاه، وإن كان بغير رضاه، فاطلبوا إلهًا سواه، فإن العاجز عن حفظ حشاشته[(٤)] كيف يرجى منه دفع، أو يتوقع منه نفع؟[(٥)]

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٨).

(٢) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٧] الفقرة: [٦٣]، ولوقا: الإصحاح [٢٤] الفقرة [٧].

(٣) الأوداء: الأحباب، جاء في لسان العرب: [يقال: ودُّك ووديدك كما تقول: حبك وحبيبك وهما يتوادان وهم أوِدّاء]. لسان العرب: (٣/ ٤٥٣) مادة [ودد].

(٤) الحشاشة: الروح قال في اللسان: [الحشاشة روح القلب، ورمق حياة النفس، والحشاشة، بقية الروح في المريض] لسان العرب: (٦/ ٢٨٣) مادة [حشش].

(٥) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٨، ١٠٩).

حقًا: إنه لأمر عجيب إذا كان الإله قد قتل وصلب، فمن دبر أحوال عباده في وقت صلبه ودفنه؟ وأي قبر وسع الإله الخالق للسموات والأرض، وكيف مكن أعداءه من صلبه؟ وهل المصلوب كلمة الله الابن -كما يقولون- أو جسد عيسى بدون اللاهوت كل هذه الأمور تسترعى كل صاحب عقل، فضلاً عن أن يكون من العلماء المهتمين بالدفاع عن دينه، ولذلك ألزمهم الإمام القرافي بالإلزامات السابقة.

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي فلا نجد غير أبي عبيدة الخزرجي يذكر جانبًا من هذا الدليل، وهذا قوله: «من كان الممسك للسموات والأرض، إذا كان الله كما تقولون مربوطًا في خشبة الصليب؟ هل بقيا ساكنتين؟ أم كان استخلف عليهما غيره وهبط هو لربط نفسه في خشبة الصليب؟»[(١)].

وأما اللاحقون للإمام القرافي فلا نجد إلا ابن القيم يذكر رد الإمام القرافي من أوله إلى تعجبه من قبر وسع إله السموات والأرض[(٢)].

وإذا قورن دليل الإمام القرافي بما ذكره الخزرجي كان دليل الإمام القرافي أفصح عبارة، وأشفى بيانًا، وأقوى إلزامًا؛ إذ إنه اشترك مع الخزرجي في مسألة: من دبر العالم؟ ولكن بعبارة أوضح وأشمل، وزاد عنه كيف مكن الإله خلقه من مكان صلبه، وهو مالك له؟ وهل فعل ذلك برضى نفس أم لا؟ فإن كان برضا نفس فاليهود أولى بالمدح، وإن لم يكن برضا نفس، فليطلبوا إلهًا غيره، إذ قد عجز الإله. أما ابن القيم فهو متأثر بالقرافي.

الدليل الخامس: يقول النصارى: إن قتل عيسى عليه السلام كان لأجل

---

(١) بين الإسلام والمسيحية: (ص٢١٤).

(٢) ينظر: هداية الحيارى: (ص١٩٢)، إغاثة اللهفان: (ص٦١٨، ٦١٩).

الخلاص، والإمام القرافي يسألهم من أي شيء كان الخلاص؟ هل هو من محن الدنيا؟ فإن قالوا بذلك، فالإمام القرافي يجيبهم بأنهم مشاركون لسائر البشر في النفع والشر، أو من عهدة التكاليف، فإن قالوا بذلك، أجابهم الإمام القرافي بأنهم ما بالهم يدأبون في الصلاة والصيام، وتكاليف كثيرة؟

أو هو من أهوال القيامة، وما تكابده الخلائق فيه؟ فإن قالوا بذلك أجابهم الإمام القرافي بقوله: (أكذبكم الإنجيل بقوله: «إني جامع الناس في القيامة عن يميني وشمالي، فأقول لأهل اليمين فعلتم خيرًا، فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم شرًا فاذهبوا إلى الجحيم»[١] يقول الإمام القرافي فقد أخبر أن الناس كلهم ينجون بالحسنات، ويهلكون بالسيئات، وضاع الصلب في البين)[٢].

الدليل السادس: يقول النصارى: إن صلب عيسى عليه السلام كان لأجل التطهير من الخطيئة، والإمام القرافي يسألهم ثم يلزمهم هل هو لتطهير من آمن به أو من كفر؟ فإن قالوا: من كفر، فكيف يكون تطهير الخطايا بأقبح منها من صلب الإله، وإهانة الخالق الأكبر، وإن قالوا: من آمن، فكيف يكون فعل الكفار طهرًا للأبرار؟ وإنما يطهر الإنسان عمله الصالح، ثم الإيمان كاف في التطهير، وإلا فلا عبرة به، وأي فساد زال من العالم بقتله؟ وأي صلاح حصل؟ بل العالم على حاله، والناس على ما كانوا عليه من صالح وطالح، ورفع وخفض، وإبرام ونقض، بل المصيبة التي حصلت بإهانة الرب على زعمهم لم يحصل في العالم مثلها، ولا يحصل بعدها مثلها، وكان في غناء عن هذا التطهير[٣].

(١) يراجع: إنجيل متى: الإصحاح: [٢٥] الفقرات: [٣١-٤٦].
(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٩).
(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص١٣٦).

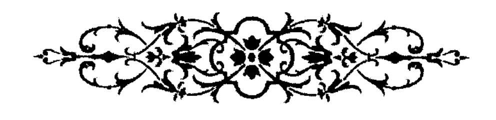
فالإمام القرافي يلزم النصارى في دليله هذا بالآتي:

١ - أن يقولوا: إن الخطيئة كفر عنها بما هو أقبح منها، وذلك في حال كون التكفير عن الكفار.

٢- أو يقولوا: إن فعل اليهود الكافرين كان تطهيرًا للأبرار المؤمنين، وذلك إذا كان التكفير عن المؤمنين.

٣- أو يسلموا بأنه لا قيمة للإيمان والعمل الصالح، ما دام الصلب تكفيرًا عن الخطايا، وهي إلزامات، لا سبيل إلى دفعها من قبل النصارى.

والله أعلم



الفرع الرابع
أدلة الإمام القرافي النقلية على عدم الصلب لعيسى عليه السلام

يقول الإمام القرافي: إن نصوص الإنجيل والكتب النصرانية متضافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام بخصوصة[١] وذلك من وجوه:

أحدها: قال لوقا: «صعد يسوع إلى جبل الجليل، ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا فبينما هو يصلي إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه وابيضت ثيابه، فصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران، وإيلياء قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلتهم فوقع النوم على الذين معه»[٢].

يقول الإمام القرافي: فظهور الأنبياء عليهم السلام، وتظليل السحاب، ووقوع نوم على التلاميذ دليل ظاهر على الرفع إلى السماء وعدم الصلب، وإلا فلا معنى لظهور هذه الآيات[٣].

وثانيها: ما في الأناجيل: أن المصلوب استقى اليهود فأعطوه خلاً مذاقًا بمر فذاقه، ولم يسغه، فنادى: إلهي إلهي لم خذلتني[٤]؟ والأناجيل مصرحة بأنه عليه

---

(١) يفهم من كلام الإمام القرافي أن المنازعة ليست في الصلب، وإنما هي في عين المصلوب فنحن المسلمين لا ننفي كون الصلب قد وقع، ولكن ننفي كون المصلوب هو عيسى عليه السلام.

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح: [٩] الفقرات: [٢٨-٣٥].

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص٥٤) وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٤٢، ٣٤٣).

(٤) متى: الإصحاح: [٢٧] الفقرات [٤٦-٤٩] مرقس: الإصحاح: [١٥] الفقرتان [٢٣، ٣٤]، يوحنا: الإصحاح: [١٩]، الفقرتان: [٢٨، ٢٩].

السلام كان يطوي أربعين يومًا وأربعين ليلة(١)، يقول للتلاميذ: إن لي طعامًا لستم تعرفونه(٢).

يقول الإمام القرافي: ومن يصبر أربعين يومًا على العطش والجوع، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه، وأعداء الله بسبب عطش يوم وليلة؟ فإنه عندهم لم يمكث على الخشبة أكثر من يوم وليلة، لإجماع الأناجيل على أن الصلب في الثالثة من يوم الجمعة، ثم أنزل من يومه، ودفن ليلة السبت، وأقام يوم السبت كله مدفونًا، ثم طلب يوم الأحد بغلس فلم يوجد(٣). ومنهم من قال: أقام ليلة الأحد(٤).

يقول الإمام القرافي: إظهار الجوع والعطش والمهانة من شخص يواصل أربعين يومًا لا يفعله من هو من أدنى الناس، فكيف بخواص الأنبياء؟ فكيف بالرب تعالى عما يدعونه فيكون حينئذ المدعي للعطش وغيره غير عيسى عليه

---

(١) متى: الإصحاح: [٤] الفقرتان: [١، ٢]، لوقا: الإصحاح: [٤] الفقرتان: [١، ٢].

(٢) يوحنا: الإصحاح: [٤] الفقرة [٣٢].

(٣) إنجيل متى: الإصحاح [٢٧] الفقرات: [٤٥-٦٦] والإصحاح: [٨] الفقرة [١] وما بعدها، إنجيل مرقس: الإصحاح [١٥] الفقرات [٣٣- وما بعدها]، الإصحاح: [١٦] الفقرة [١-وما بعدها]، إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٣] الفقرات: [٤٤- وما بعدها] والإصحاح: [٢٤] الفقرة [١- وما بعدها]، يوحنا: الإصحاح: [١٩] الفقرات: [٣٨-وما بعدها] والإصحاح: [٢٠] الفقرات: [١- وما بعدها].

(٤) لا معنى لهذا الكلام؛ لأنه إذا طلب يوم الأحد فبدهي أنه أقام ليلة الأحد، إلا أن يكون الكلام ومنهم من قال: أقام يوم الأحد، وعليه يستقيم الكلام، ولكني قارنت ثلاث نسخ للأجوبة الفاخرة، منها نسخة محققة بتحقيق د/ بكر زكي عوض، فوجدت النص كما هو مذكور ليلة الأحد، وعلى فرض أنه يوم الأحد، فلم يوجد في الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى، فلعله في إنجيل آخر غيرها اطلع عليه الإمام القرافي.

السلام وهو المطلوب[(١)].

فالإمام القرافي يسلم للنصارى مجازًا بالنصوص الدالة على أن عيسى عليه السلام كان يواصل الأيام الكثير مجاراة لهم ويسلم لهم أن المصلوب طلب الماء فلم يسقوه، ولكنه وكل عاقل يرفض أن يكون الشخص الثاني المصلوب، عين الشخص الأول المواصل؛ لأنه لو كان عينه، فكيف لا يصبر على الجوع والعطش، وقد اعتاد على تركهما أربعين يومًا؟ فإنه لو كان من آحاد الناس لأنفت نفسه -والحالة هذه- من طلب الطعام والشراب، فكيف لو كان نبيًا؟ وكيف لو كان رب الأرباب الذي هو منزه عن الطعام والشراب؟

وإذا نظرنا إلى من تناول مسألة الصلب من السابقين واللاحقين للإمام القرافي فإنا نجد أبا عبيدة الخزرجي وأبا البقاء الجعفري من السابقين يذكران هذا الدليل، ويعقبان عليه بنحو ما علق عليه الإمام القرافي، إلا أن عبارتهما أوجز من عبارة الإمام القرافي، وبها إجمال مفصل عند الإمام القرافي[(٢)].

ونجد الباجي زاده من اللاحقين بذكر هذا الدليل بعبارة تشير إلى أنه متأثر بالإمام القرافي ولكن عبارته مختصرة عن عبارة الإمام القرافي[(٣)].

وثالثها: قوله: «إلهي إلهي لم خذلتني فتركتني».

يقول الإمام القرافي: هذا كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء، وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك، فيكون المصلوب غيره،

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٥٤).

(٢) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص١٩٩)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٤٩).

(٣) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٢٨٧، ٢٨٨).

لاسيما وهم يقولون: إن المسيح عليه السلام، إنما تعنى ونزل ليؤثر العالم بنفسه، ويخلصه من الشيطان ورجسه، فكيف يرون عنه أن تبرم بالإيثار، واستقال من العثار مع روايتهم في توراتهم أن إبراهيم(١) وإسحاق(٢)، ويعقوب(٣)، وموسى(٤) وهارون(٥) عليهم السلام لما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بانقلابهم إلى سعيهم، ثم لم يجزعوا من الموت ولا هابوه، ولا استقالوا مذاقه ولا عابوه، مع أنهم عبيده والمسيح بزعمهم ولد ورب؟ فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم، ولما لم يكن كذلك دل على أن المصلوب غيره وهو المطلوب(٦).

يمكن حصر دليل الإمام القرافي في النقاط الآتية:

١- عدم الرضا بالقضاء، وعدم التسليم لأمر الله تعالى، لا يليق بعيسى عليه السلام أما على اعتقاد المسلمين، فلأنه نبي، والأنبياء أولى الناس بالرضا بالقضاء، وأما على قول النصارى، فلأنه إله من إله، والإله لا يجزع.

٢- صدور الجزع من عيسى عليه السلام ينافي ما ينادي به النصارى من أنه نزل ليؤثر العالم بنفسه، فكيف يجزع مما نزل لأجله؟

٣- صدور الجزع من عيسى عليه السلام ينافي أيضًا ما ذكروه مما هو سبيل الأنبياء من الرضا وعدم الجزع من الموت، فلو كان عيسى عليه السلام نبيًا، فهو

---

(١) سفر التكوين: الإصحاح: [٢٥] الفقرتان: [٧، ٨].
(٢) سفر التكوين: الإصحاح: [٤٩] الفقرة: [٣٢].
(٣) سفر التكوين: الإصحاح: [٤٩] الفقرة: [٣٣].
(٤) سفر التثنية: الإصحاح: [٣٤] الفقرتان: [٥، ٦].
(٥) سفر العدد: الإصحاح: [٢٠] الفقرات: [٢٥-٢٩].
(٦) الأجوبة الفاخرة: (ص٥٤، ٥٥).

تشبيه بغيره من الأنبياء وإلا فثقتهم بالله أقوى من ثقته، وهذا لا يرضاه النصارى، ولو كان إلهًا فهو أولى.

كل هذه الأمور جعلت الإمام القرافي يحكم بأن المصلوب غير عيسى عليه السلام.

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي، فإنا نجد أبا عبيدة الخزرجي، وأبا البقاء الجعفري يذكران هذا الدليل، ويستدلان بنحو ما استدل به الإمام القرافي[1]، ونجد من اللاحقين الباجي زاده يذكر نص كلام الإمام القرافي أو قريبًا منه[2].

الدليل الرابع: بعد أن ذكر الإمام القرافي الوجوه الثلاثة باعتبارها ثلاثة أدلة على أن عيسى عليه السلام لم يصلب، ذكر دليلاً رابعًا يبطل عقيدة الصلب رأسًا مضمونه أن قولهم: إنه لا يطهرهم من خطاياهم إلا قتل عيسى عليه السلام، مخالف لما دلت عليه الكتب السماوية من أن الحوبة يمحوها التوبة، وذلك قوله: يقولون في أمانتهم[3] التي هي أصل دينهم: إن خطيئة آدم عليه السلام عمت جميع أولاده، وإنه لا يطهرهم من خطاياهم إلا قتل المسيح عليه السلام[4]

---

(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص١٩٩، ٢٠٠)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٣٤٩، ٣٥٠).

(٢) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٢٨٨).

(٣) أمانة النصارى هي المسماة عندهم بقانون الإيمان المسيحي، وهذه الأمانة هي ما اتفق عليه أساقفة النصارى في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، فهي وليدة اتفاقهم. يراجع: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص١١٢) وما بعدها، تاريخ الكنيسة القبطية: (ص١٩١) وما بعدها، هداية الحيارى: (ص١٨٧)، الأمور المتيقنة عندنا (ص١٠١، ١٠٩).

(٤) نص الأمانة: (ومن أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطي)، تاريخ الكنيسة القبطية: (ص١٩٦)، الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٨).

والتوراة والنبوات ترد عليهم.

ففي السفر الأول من التوراة يقول الله تعالى لقابيل قاتل هابيل: (إن أحسنت يقبل منك وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك)(١)، وفي بعض النبوات: (لا آخذ الولد بخطيئة الوالد، ولا الوالد بخطيئة الولد(٢)، طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطئ عليه تكون)(٣). يقول الإمام القرافي: وهذا تصريح بعدم تخطي الخطيئة محلها، كقول القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ثم ذكر نصًا آخر من المزمور الرابع يدل على أن الندم نافع صاحب الذنب، فقال: (وفي المزمور الرابع: يا بني البشر حتى متى أنتم ثقيلو القلوب؟ لماذا تحبون الباطل وتتبعون الكذب، اغضبوا ولا تأثموا، والذي تهتمون به في قلوبكم اندموا عليه في مضاجعكم، اذبحوا لله ذبيحة البر، وتوكلوا على الرب)(٤).

يقول الإمام القرافي: فأخبرهم أنهم إذا فعلوا وآمنوا فلا حاجة إلى صلب الرب، ولا إلى صلب ولده)(٥).

فالنصوص السابقة تبطل عقيدة النصارى في الصلب، إذ لا معنى للصلب فداءً عن الخطيئة، ما دام الابن لا يؤخذ بعقوبة الأب، والأب لا يؤخذ بعقوبة

---

(١) سفر التكوين: الإصحاح: [٤] الفقرتان: [٦، ٧].
(٢) سفر التكوين: الإصحاح: [٢٤] الفقرة [١٦]، سفر حزقيال: الإصحاح [١٨] الفقرة: [٢٠].
(٣) سفر اللاويين: الإصحاح: [٢٤] الفقرة [١٥]، وسفر الأمثال: الإصحاح [٥] الفقرة [٢٢].
(٤) المزمور الرابع: الفقرات [٢-٦].
(٥) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٧).

الابن، وما دام الطاهر مجازى بما له، والخاطئ معاقب بما عليه، وهذا ما تقر به الفطر السليمة، والنفوس المؤمنة، إذ كيف يكون غير الجاني معاقبًا بجريرة غيره؟

وإذا انظرنا في كلام السابقين واللاحقين للإمام القرافي فإنا لا نجد غير أبي البقاء الجعفري من السابقين ذكر هذا الدليل، وزاد فيه: (والدليل على أن التوبة ماحية للخطيئة، قول الإنجيل: «إنه لما أسلم المعمداني للقتل خرج يسوع إلى الجليل، وجعل ينادي ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالبشرى»[(١)].

يقول: فقد شهد المسيح عليه السلام في هذا الكلام بأن التوبة تستقل بمحو الآثام فلا حاجة إلى محوها بأمر آخر)[(٢)].

والباجي زاده ذكر هذا الدليل وذكر فيه أن عقيدة الصلب تكفيرًا عن الخطيئة تناقض ما جاء في سفر حزقيال: (النفس التي تخطئ فهي تموت، والابن لا يحمل ذنب الأب، والأب لا يحمل ذنب الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه)[(٣)].

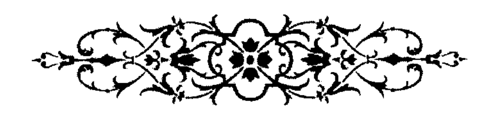
ثم بيَّن أنه عند التسليم بهذه العقيدة، فإنه لا معنى لنبوة الأنبياء ماداموا متلبسين بالخطيئة، إذ كيف أصطفاهم الله تعالى، وقد جاء في المزمور الأول: (لا تقوم الأشرار في الدين)[(٤)] فإذا كانَ الأنبياء من أهل الخطيئة لأنها عمت جميع أولاد آدم فكيف دخلوا جماعة الرب؟[(٥)]

---

(١) إنجيل مرقس: الإصحاح: [١] الفقرتان: [١٤، ١٥].
(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٨١).
(٣) حزقيال: الإصحاح: [١٨] الفقرتان: [٢٠، ٢١].
(٤) المزمور الأول: الفقرة: [٥].
(٥) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٢٩٠، ٢٩١).

ولا شك أن هذه زيادة لطيفة، توقع النصارى في مأزق إن أنصفوا من أنفسهم.

والله أعلم



الفرع الخامس
نفي النصارى اعتقاد المسلمين إلقاء الشَّبه على غير عيسى عليه السلام ورد القرافي عليهم

أولاً: شبهة النصارى:

تعدى النصارى طور الاستدلال على صحة عقيدة الصلب عندهم إلى طور التشكيك وإلقاء الشُّبه على ما نعتقده نحن المسلمين من أن الله تعالى نجى عيسى عليه السلام وألقى شبهه على غيره فصلب، فقالوا: القول بإلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام يفضي إلى السفسطة والوقوع في الجهالات، وما لا يليق بالعقلاء، وبيان ذلك:

أنا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره، فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأنه ولده، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده، وكذلك القول في امرأته وسائر معارفه لا يثق الإنسان بأحد منهم، ولا يسكن إليهم، ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان، يقطع بأن ابنه هو ابنه، وأن كل واحد من معارفه هو هو من غير شك ولا ريبة بل القول بالشبه يمنع من الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله، ولعله مكان آخر ألقى عليه الشبه، فلا يثق الإنسان بوطنه ولا بسكنه، ولا بشيء مما يعرفه ويألفه، بل إذا غمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه ثم فتحها في الحال ينبغي له أن لا يقطع بأنه صديقه، لجواز أن يلقي شبهه على غيره. لكن جميع ذلك خلاف الضرورة، فيكون القول بالشبه خلاف الضرورة، فلا يسمع كالقول بأن الواحد نصف العشرة[١].

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٥).

ثانيًا: رد القرافي على الشبهة:

يرد القرافي على النصارى بما لا ينكره أحد من أن الله عز وجل هو الخالق لكل شيء وأنه على كل شيء قدير، وإذا كان كذلك أفلا يقدر على أن يلقي شبه عيسى على غيره. ولاسيما وهو أمر ممكن؟ وذلك مضمون قوله: (البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الإنسان، وجملة أجزاء العالم، وأن حكم الشيء حكم مثله فما من شيء خلقه الله تعالى في العالم إلا هو قادر على خلق مثله؛ إذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه في نفسه، فيلزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلاً، بل جملة العالم وهو محال بالضرورة، وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء في العالم فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال في حيز الإمكان، يمكن خلقها في محل آخر غير جسد عيسى عليه السلام، فيحصل الشبه قطعًا، فالقول بإلقاء الشبه قول بأمر ممكن، لا بما هو خلاف الضرورة).

ثم يذكر أن النصارى يسلمون بما هو أغرب من إلقاء الشبه، فليسلموا بإلقاء الشبه من باب أولى فيقول: (التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصاة موسى عليه السلام[1] وهو أعظم من الشبه، فإن جعل حيوان يشبه حيوانًا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانًا، وقلب العصا مما أجمع عليه اليهود والنصارى كما أجمعوا على قلب النار لإبراهيم بردًا وسلامًا[2] وعلى قلب

(١) لا يقول النصارى: إن العصا التي صارت حية هي عصا موسى عليه السلام، بل هي عصا هارون عليه السلام، والإمام القرافي ذكر أنها عصا موسى؛ لأنه هو الصواب، لإخبار القرآن الكريم بذلك، وأيا كان الأمر فالحجة قائمة على النصارى. يراجع: سفر الخروج: الإصحاح: [٧] الفقرات: [٧-١١].

(٢) لم يرد ما جرى بين إبراهيم عليه السلام ونمروذ في التوراة، ولا في الأناجيل، بل جاء في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

لون يد موسى عليه السلام(١) وعلى انقلاب الماء خمرًا وزيتًا للأنبياء عليهم السلام(٢) وإذا جوزوا مثل هذا، فليجوزوا إلقاء الشبه من غير استحالة(٣).

فيتلخص دليل الإمام القرافي في:

١- أن الله تعالى هو الخالق لجملة أجزاء العالم بما في ذلك أعضاء الإنسان، والخالق للشيء ابتداء، لا شك أنه قادر على خلق مثله؛ لأنه إذا عجز عن خلق مثله كان على خلق الشيء الأصلي أعجز، وعليه يكون العالم كله، خلقه مستحيلاً. وإذا تقرر أن الله تعالى خالق الشيء ومثله بلا منازع، فلا محل لنزاع النصارى في أن الله تعالى خلق أمثال صفات عيسى عليه السلام في جسد آخر؛ لأنه لو عجز عن خلق مثل صفاته في جسد آخر، لكان عاجزًا عن خلق الصفات الأصلية ومن ثم لم يكن عيسى عليه السلام موجودًا، وهذا لم يقل به أحد.

٢- أن النصارى يسلمون بأن الله تعالى قلب العصا حية تسعى، وهو أغرب من إلقاء شبه عيسى على غيره؛ لأن جعل صفات الحي في الجماد أغرب من جعل صفات الحي في مثله، وإذا أسلموا بذلك فلا محل لإنكار إلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام فليسلموا به.

وإذا ما اتجهنا نحو السابقين واللاحقين للإمام القرافي فلا نجد إلا ابن حزم وأبا عبيدة الخزرجي تعرضا لمسألة إلقاء الشبه، أما الخزرجي فذكر مثل ما ذكر الإمام القرافي(٤).

---

(١) سفر الخروج: الإصحاح: [٤] الفقرتان: [٦، ٧].
(٢) جاء تحويل الماء خمرًا في إنجيل يوحنا: الإصحاح: [٢] الفقرات: [١-١١] وأما تحويل الماء زيتًا، فقد جاء في سفر الملوك الثاني: الإصحاح: [٤] الفقرات: [١-٨].
(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص ٥٥، ٥٦).
(٤) بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٠٠، ٢٠١).

وأما ابن حزم فلا يرى أن شبه عيسى ألقى على غيره فصلب، كما يرى غيره من العلماء - بل يرى أن قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧] معناه أن اليهود ما قتلوا عيسى ولا شبهه، بل قتلوا رجلاً غيره، وأخبروا الناس أنهم قتلوا عيسى عليه السلام[١] وبذلك شبهوا على من لم يحضر الصلب، وعلى من لحق بهم من أجيال بقتل عيسى عليه السلام وصلبه، أي أوقعوهم في شبهة، وخلطوا عليهم الأمور، والذي دفع ابن حزم إلى هذا الرأي هو قوله: (ولو أمكن أن يشبه ذلك على ذي حاسة سليمة لبطلت النبوات كلها؛ إذ لعلها شبهت على الحواس السليمة، ولو أمكن ذلك لبطلت الحقائق كلها، ولأمكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فيما يأكل ويلبس، وفيمن يجالس وفي هذا خروج إلى السخف)[٢].

ولا شك أن كلام ابن حزم يكون مقبولاً إذا لم يكن مضافًا إلى قدرة الله تعالى الخالق أما إذا أضيف إلى قدرة الله تعالى فلا غرابة فيه، ولا يفضي إلى السخف لأن الله على كل شيء قدير، ولا يفعل ما فيه سخف، ولم لا يجوز أن يكون الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه غيره، ورفعه إليه صونًا وتكريماً له عن أذى اليهود؟

والله أعلم

---

(١) والذي دفعهم إلى أن يقولوا ذلك خوفهم أن يؤمن الناس بدعوته، وذلك لأن الناس كانوا قد أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسى عليه السلام، فلما دخلوه ولم يجدوا عيسى عليه السلام خاف رؤساء اليهود أن يكون ذلك سببًا لإيمان اليهود به، ففعلوا ما فعلوا، هذا: وقد ذهب إلى مثل رأي ابن حزم، أبو علي الجبائي من المعتزلة، ينظر تفسير الألوسي: (٤/ ٣٠١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٥٩، ٦٠).

الفرع السادس
أدلة الإمام القرافي على وقوع شبه عيسى عليه السلام على غيره

بعد أن رد الإمام القرافي على شبهة النصارى في نفي إلقاء الشبيه، ذكر أدلة من الأناجيل، تثبت أن شبه عيسى عليه السلام ألقى على غيره، نذكرها فيما يلي:

الدليل الأول: يقول الإمام القرافي: الإنجيل ناطق بأن المسيح عليه السلام نشأ بين أظهر اليهود، وكان في مواسمهم، وأعيادهم، وهياكلهم، يعظهم، ويعلمهم، ويناظرهم، ويعجبون من براعته، وكثرة تحصيله حتى يقولون: أليس هذا ابن يوسف؟ أليس أمه مريم؟ أليس إخوته عندنا؟ فمن أين له هذه الحكمة؟(١) وإذا كان في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، فكيف نص الإنجيل على أنهم وقت الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهمًا ليدلهم عليه(٢)؟ فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان(٣)، ومعه جماعة من اليهود، معهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة، وقال لهم التلميذ. واسمه يهوذا: الرجل الذي أقبله هو مطلوبكم فأمسكوه، فلما جاء: قال: السلام عليك يا معلم الخير، ثم قبله، فقال له يسوع: ألهذا جئت يا صاحب؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه(٤)، فتركه التلاميذ كلهم، وهربوا وتبعه

---

(١) إنجيل مرقس: الإصحاح: [٦] الفقرات: [٢-٤]، إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢] الفقرة: [٤٧].

(٢) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرات: [١٤-١٧]. إنجيل مرقس: الإصحاح: [١٤] الفقرتان: [١٠، ١١]، إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرات: [٣-٧].

(٣) شهر نيسان هو الموافق لشهر إبريل في الأشهر الميلادية.

(٤) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرات: [٤٧-٥١]، مرقس: الإصحاح: [١٤] الفقرات: [٤٣-٤٧] لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرتان: [٤٧-٤٨].

بطرس من بعيد[١]، فقال له رئيس الكهنة: بالله الحي أنت المسيح؟ فقال له المسيح: أنت قلت ذاك، وأنا أقول لكم: إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى تروه جالسًا عن يمين القوة، آتيا في سحاب السماء[٢].

يقول الإمام القرافي: فهذا اللبس العظيم بعد تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاثين سنة في المحاورات العظيمة، والمجادلات البالغة، أدل على وقوع الشبه قطعًا[٣] فالإمام القرافي يستدل بخفاء أمر عيسى عليه السلام على اليهود رؤساء ومرؤوسين بعد معرفته الشائعة بين جميعهم، على أن المخفي عنهم ليس هو المعروف لديهم من قبل، وإلا فلا معنى لاستئجار رجل ليدلهم عليه، وسؤال رئيس الكهنة له: هل أنت عيسى؟ ما دام مشهورًا لديهم إلا أن عيسى عليه السلام قد التبس عليهم بغيره، فلم يعودوا يعرفونه، وهذا دليل إلقاء الشبه.

وإذا نظرنا في كلام السابقين على الإمام القرافي فإنا نجد أبا البقاء الجعفري يذكر هذا الدليل ويعلق بقوله: (وإذا كان اليهود عارفين بعينه واسمه ونسبه فما حاجتهم إلى أن اكتروا رجلاً من تلاميذه بالأجرة حتى عرفهم بشخصه لولا وقوع الشبه؟ ثم: كيف يقسم عليه رئيس الكهنة، بالله هل هو المسيح فلم يجبه؛ فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال له: نعم، ولم يستجز أن يورِّي في الجواب وهو يحلف بالله الحي، وهذا دليل على أنه غير المسيح، ثم المسيح إنما جاء لبث الحق، ونشر الظلم، فكيف تجشم لشيء، ثم يكتمه؟

ثم قد يعترض النصارى بأنه لو كان المسئول غير عيسى لم يخف ذلك ولبينه،

---

(١) إنجيل متى: الإصحاح: ٢٦] الفقرة [٥٨] إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرة: [٥٤].

(٢) متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرتان [٦٣، ٦٤]، مرقس: الإصحاح [١٤] الفقرتان: [٦٢، ٦٣].

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٥٦).

ولقال: لست أنا المسيح بل أنا رجل سواه. وهذا ما يدفعه الجعفري بقوله: (قلنا: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الشبه قد أدركته دهشة منعته من البيان والإفصاح عن حاله كما يجري للبشر، وهذا لا بعد فيه أن يأخذ الله على لسانه، ويسد عنه مادة الكلام صونًا لنبيه المسيح أن يفصح الرجل عن أمره.

والوجه الثاني: أن يكون الشبه لصدِّيقيته آثر المسيح بنفسه، وفعل ذلك بعهد عهده إليه المسيح رغبة منه في الشهادة، ويؤيد هذا الوجه قول التلاميذ للمسيح: لو دفعنا إلى الموت معك لمتنا[(١)])[(٢)].

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي فلا نجد إلا الباجي زاده يذكر تعليق أبي البقاء الجعفري على سؤال رئيس الكهنة بدون أن يذكر اعتراض النصارى[(٣)].

وإذا قارنا ما قاله الإمام القرافي وما قاله الجعفري، فإنا نجد ما قاله أبو البقاء أقوى وأشمل مما قاله القرافي؛ لاشتراكهما في الاستدلال بالالتباس بعد الشهرة ولكن زاد أبو البقاء: كيف يستحلف عيسى، ولم يجب، ويكتم أمرًا جاء لنشره؟ ثم فرع على ذلك ما يمكن أن يعترض به النصارى، وأجاب عنه بما هو شاف وكاف.

الدليل الثاني: يقول الإمام القرافي: في الإنجيل: (أنه أخذ في حندس من

---

(١) إنجيل مرقس: الإصحاح: [١٤] الفقرة: [٣١].

(٢) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٣) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٢٨٦)، وينظر: في هذا الدليل: بين الإسلام والمسيحية: (١/ ٢٠١، ٢٠٢).

الليل مظلم[١] من بستان شوهت صورته، وغيرت محاسنه بالضرب والسحب، وأنواع النكال)[٢].

يقول الإمام القرافي: (ومثل هذه الحالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه فكيف بين الشيء وشبهه؟ فمن أين للنصارى أو اليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهه؟ بل إنما يحصل الظن والتخمين كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨])[٣].

فالإمام القرافي يستدل بقرينة الحال من أخذه في ليل مظلم، مضروبًا، مشوهة صورته بالسحب، ووضع الشوك على رأسه كما جاء في الأناجيل على أن النصارى لا يجزمون بأن الشخص المقبوض عليه هو عيسى، إذ كيف يجزمون والظلام مع التشويه يوقعان في اللبس بين الشيء والمباين عنه، فكيف بالمشابه له؟ وإذا لم يجزموا بذلك، بل كل ما عندهم إنما هو ظن، والظن لا يغني من الحق شيئًا، صح قول الله عز وجل عنهم إنهم ما قتلوه وما صلبوه، وإنهم مختلفون في أمره وهو المطلوب.

وإذا ما اتجهنا إلى السابقين عن الإمام فإنا نجد أبا عبيدة الخزرجي، وأبا البقاء الجعفري يذكران هذا الدليل ويذكران نحو ما ذكر الإمام القرافي[٤].

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي فإنا نجد الباجي زاده يذكر كيفية

---

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح: [١٨] الفقرة: [٣].

(٢) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٧] الفقرات: [٢٧-٣١]، إنجيل مرقس: الإصحاح: [١٥] الفقرات: [١٦-٢٠]، إنجيل لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرات: [٦٣-٦٦]، إنجيل يوحنا: الإصحاح: [١٩] الفقرات: [١-٤].

(٣) لوقا: الإصحاح: [٢٣] الفقرة: [٧].

(٤) بين الإسلام والمسيحية (ص٢٠٢)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٣٤٤).

القبض على المصلوب، وما جرى له من الإهانة والتشويه ثم يقول بعد أن ذكر أن هذه الأمور توجب تغيير الصورة والالتباس: (إن لوقا حكى في الإصحاح الأول أن جبرائيل بشر مريم والدة المسيح بأن الله يجلس ولدها على كرسي داود، ويملكه على بيت يعقوب إلى الأبد[١]، ولا شك أن قول جبرائيل حق ووعد الله صدق، فلو قلنا: إن المهان المصلوب هو المسيح للزم منه بطلان تلك البشارة الصادقة، وهو محال، فبالضرورة يثبت أن المصلوب ليس هو ذات المسيح عليه السلام)[٢].

وما أجمل هذه الزيادة التي ذكرها الباجي زاده من إنجيل متى لو صحت، لأنها غير صحيحة أما على اعتقاد المسلمين فلأنا نقول: إن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام، ولم يملكه إلى الأبد وأما على اعتقاد النصارى فلقولهم بالصلب والقتل، فهم أهانوه ولم يملكوه، وعليه فلا معنى لزيادة الباجي زاده إلا في معرض تكاذب الأناجيل.

الدليل الثالث: يقول الإمام القرافي: في الإنجيل لمتى: أن يهوذا دل عليه بثلاثين درهمًا دفعها إليه اليهود[٣] وزاد مرقس: أنهم لما قبضوا عليه تخلى عنه التلاميذ وهربوا، فاتبعه شاب عريان، وهو ملتف في ردائه فراموا قبضه فأسلم الرداء ونجا عريانًا[٤] وزاد لوقا: أن بيلاطس القائد لما علم أنه من سلطنة هيردوس بعثه إليه[٥] وزاد يوحنا: أن المسيح عليه السلام تقدم للجماعة، وقال لهم: من تريدون؟ فقالوا: يسوع، فقال: أنا هو، وكان يهوذا الدال عليه واقفًا

---

(١) لوقا: الإصحاح: [١]، الفقرات: [٢٨-٣٣].
(٢) الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٢٨٧).
(٣) متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرات: [١٤-١٧].
(٤) مرقس: الإصحاح: [١٤] الفقرات: [٥٠-٥٣].
(٥) لوقا: الإصحاح: [٢٣] الفقرة: [٧].

معهم، فلما قال لهم: أنا هو تقهقروا إلى خلف، فتساقطوا في الأرض ثم سألهم وقال: من تريدون؟: فقالوا: يسوع، فقال: قد قلت لكم: أنا هو، فإن كنتم إنما تريدونني فأطلقوا هؤلاء[(١)].

وذكر لوقا أن يهوذا الدال عليه لما بصر ما فعله به ندم ورد الدراهم جميعًا، وقال أخطأت إذ بعت دمًا صالحًا، فقالوا له: ما علينا أنت بريء، فألقى الدراهم في البيت، وتوجه إلى موضع خنق فيه نفسه[(٢)].

بعد أن ذكر الإمام القرافي هذه النصوص من الأناجيل، بيَّن أنها ليست قاطعة في أن المصلوب هو عيسى عليه السلام، بل فيها احتمالات:

الاحتمال الأول: أن يهوذا كذب في قوله: (هو هذا)، ويدل على وقوع ذلك ويقويه ظهور الندم بعد هذا، وقول المسيح له: يا صديق لم أقبلت؟[(٣)] ولو كان مصرًا على الفساد لما سماه صديقًا؛ ولأن الإنجيل شهد أن المسيح عليه السلام شهد للتلاميذ الاثنى عشر بالسعادة[(٤)] وشهادته حق، والسعيد لا يتم منه هذا الفساد العظيم إذا شرع فيه، ويهوذا أحد الاثنى عشر، فيلزم، أما أن يهوذا ما دلَّ، أو كون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق، أو أن كتابكم محرف، اختاروا واحدة من هذه الثلاثة[(٥)].

فالإمام القرافي في هذا الاحتمال لا ينكر أن يكون يهوذا شرع في الدلالة على عيسى عليه السلام، بل ينكر أن يكون فعل ذلك، بل دلهم على غيره، ويستدل

---

(١) يوحنا: الإصحاح: [١٨] الفقرات: [٤-٩].

(٢) النص ليس في لوقا، إنما هو في متى: الإصحاح: [٢٧]، الفقرات: [٣-٦].

(٣) إنجيل متى: الإصحاح: [٢٦]، الفقرة: [٥٠].

(٤) إنجيل لوقا: الإصحاح: [٦] الفقرات: [٢٠-٢٤].

(٥) الأجوبة الفاخرة: (ص٥٧، ٥٨).

على ذلك بأنه أظهر الندم على هذا الذنب؛ إذ دل على إنسان بريء، ويستدل أيضًا بما كان من عيسى عليه السلام إذ وصفه بالصديقية، وهذه لا تكون مع الخيانة، وبأن عيسى عليه السلام شهد لجميع الحواريين بالسعادة، وكيف تكون سعادة لمن خان إلهه على زعم النصارى؟ أو لمن خان نبيًا على اعتقاد المسلمين؟ ولا يقال: إن دلالته على الإنسان البريء تعد خيانة، تخرجه من الصديقية، ومن السعادة؛ لأن هذه إذا قيست بنجاة نبي لم تكن خيانة بل هي أمانة، ودليل صدق الإيمان؛ فلأن يموت آحاد الناس خير من أن يموت نبي، وأما ندمه على دلالته، فهذا شأن أصحاب الإيمان الصادق أنهم يندمون على الذنب ولو كان صغيرًا.

ويخلص الإمام القرافي من هذا الاحتمال بإلزام النصارى بواحد من ثلاثة إلزامات، لا يقرُّ بها النصارى.

إما أن يقولوا: إن يهوذا ما دل على عيسى عليه السلام بل دل على غيره.

أو يقولوا: إن عيسى عليه السلام ما تكلم بالصدق في وصف يهوذا بالصديقية وفي وعده التلاميذ جميعهم بالسعادة الأبدية.

أو يقولوا: إن إنجيلهم محرف فتارة يخبر بخيانة يهوذا، وتارة يخبر بصديقيته، وثالثة بسعادته، فهذه أمور متناقضة، والتناقض دليل التحريف.

الاحتمال الثاني: يقول الإمام القرافي: يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب في الجماعة الذين أطلقهم الأعوان، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام، وهذا ليس ببعيد في أتباع الأنبياء عليهم السلام، لا سيما أتباع الإله على زعمهم[١].

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٥٨).

فالإمام القرافي في هذا الاحتمال يبين أن أحد أتباع عيسى الصادقين، هو الذي أجابهم، حتى يفدي عيسى بنفسه، وأن عيسى عليه السلام هرب مع التلاميذ لخفاء أمره عليهم، فهم لا يعرفونه وكون بعض أتباع نبي يرضى أن يسجن ويهان فداء لنبيه، ليس ببعيد فكيف لو كان المُفْدَى ربَّ الأرباب كما يزعم النصارى؟

الاحتمال الثالث: يقول الإمام القرافي: يحتمل أن الأعوان اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه كما أخذوا رداء الشاب المتقدم ذكره وأطلقوه، وإذا نقلتم أن يهوذا التلميذ مع جلالته قبل الرشوة على أن يعين على أخذه، فقبول الأعوان الرشوة في طلاقه أقرب[1].

فالإمام القرافي يقول: إنه غير بعيد من أعوان الولاة القائمين بالقبض على عيسى عليه السلام أن يكونوا أخذوا رشوة في سبيل أن يطلقوا عيسى عليه السلام ليهرب، ولا يتقول ذلك على الأعوان، بل حالهم يدل على ذلك، فهم أخذوا ثوب العريان في سبيل أن يهرب مع عُرْيه، ولا معنى لأخذ ثوب في هذه الحال إلا أنهم طمعوا فيه.

وحال كتب النصارى تؤيد ذلك، فهم قد نقلوا أن يهوذا التلميذ الصديق المشهود له بالسعادة من عيسى عليه السلام قبل رشوة ليدل على إلهه، فلا يبعد أن يقبل الأعوان رشوة لإطلاقه ولاسيما وأنهم ليسوا صديقين كيهوذا الصاحب.

الاحتمال الرابع: يقول الإمام القرافي: يحتمل أن الله صور لهم شيطانًا أو غيره بصورة عيسى عليه السلام فصلبوه، ورفع عيسى عليه السلام، ويستدل

---

(١) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص٥٨).

على ذلك بأنهم سألوه: أنت المسيح؟ فسكت[١]، يقول القرافي: وفي تلك السكتة تغيبت تلك الصورة، أي صورة كون المصلوب غير عيسى عليه السلام[٢].

ثم ذكر أبياتًا ملزمة للنصارى وهي:

عجبي للمسيح بين النصارى ... وإلى أي والدٍ نسبوه؟

أسلموه إلى اليهود وقالوا: ... إنهم بعد قتله صلبوه

وإذا كان ما يقولون حقًّا ... وصحيحًا فأين كان أبوه!

حين خلى ابنه رهين الأعادي ... أتراهم أرضوه أم أغضبوه؟

فلئن كان راضيًا بأذاهم ... فاحمدوهم لأنهم عذبوه

ولئن كان ساخطًا فاتركوه ... واعبدوهم لأنهم غلبوه[٣]

هذا: ولم أجد أحدًا من السابقين واللاحقين للإمام القرافي ذكر هذا الدليل

---

(١) متى: الإصحاح (٢٦)، الفقرتان (٦٢، ٦٣)، مرقس: الإصحاح (١٤)، الفقرتان (٦٠، ٦١).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص٥٨، ٥٩).

(٣) الأبيات لأبي العلاء المعري، ولكن ليست بنفس النص الذي ذكره القرافي يقول أبو العلاء:

عجبًا للمسيح بين أناس ... وإلى أي والدٍ نسبوه؟

أسلمته إلى اليهود النصارى ... وأقروا بأنهم صلبوه

يشفق الحازم اللبيب على الطفـ ... ـل إذا ما لداته ضربوه

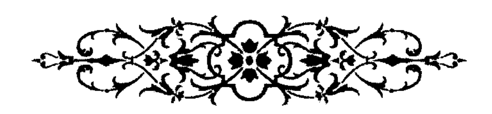
وإذا كان ما يقولون في عيسـ ... ـى صحيحًا فأين كان أبوه؟

كيف خلّى وليده للأعادي؟ ... أم يظنون أنهم غلبوه؟

ديوان اللزوميات لأبي العلاء المعري: (٢/ ٢٤٧، ٢٤٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

غير أبا عبيدة الخزرجي[١] والإمام القرطبي[٢] وكلاهما ذكر الاحتمالات الأربعة التي ذكرها القرافي، إلا أن الإمام القرطبي ذهب إلى أن الشاب الذي أخذوا رداءه وتركوه هو عيسى عليه السلام، وذلك قوله: (وإذا جاز أن يأخذ يهوذا هو حواريه على قتله ثلاثين درهمًا، جاز أن يأخذ الأعوان على إطلاقه رداء)[٣].

والله أعلم



(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٠٤، ٢٠٥).
(٢) يراجع: الإعلام: (ص٤١٤) وما بعدها.
(٣) الإعلام: (ص٤١٥).

المسلك الثالث
عقيدة التثليث وموقف القرافي منها

وفيه فروع:

الفرع الأول: عقيدة التثليث عند النصارى.

الفرع الثاني: التثليث ليس من النصرانية في شيء.

الفرع الثالث: شبهة النصارى في إثبات عقيدة التثليث ورد القرافي عليهم.

الفرع الرابع: إبطال القرافي لعقيدة التثليث.

الفرع الخامس: قياس النصارى التثليث على الصفات الموهمة للتشبيه ورد القرافي عليهم.



الفرع الأول
عقيدة التثليث عند النصارى

عقيدة التثليث من الأصول الجامعة بين جميع فرق النصارى، لا يختلف فيها اثنان منهم، يقول ابن كَبَر القبطي[١]: (الأصل المتفق عليه بين الطوائف المسيحية أن الله جوهر واحد، له ثلاث خواص، هي الأبوة، والبنوة والانبعاث[٢] وكل واحد من الثلاثة هو الإله، ولكن ليس ثلاثة آلهة)[٣].

وترجع أهمية هذه العقيدة عند النصارى أنها متصلة بذات الله تعالى فمعرفتها هي معرفة الله، يقول القس توفيق جيد: (إن عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية أهمية وأساسها كلها؛ لأنها تتصل بذات الله. فمعرفتها هي معرفة الله، والإيمان بها هو الإيمان بالله، ومن يجهلها يجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله)[٤].

كما أنه لا خلاص عندهم إلا بها.

يقول أثناسيوس[٥] الملقب بحامي الإنجيل: (من يريد أن يخلص يجب عليه

---

(١) ابن كبر: أبو البركات شمس الدين بن الأسعد القبطي اليعقوبي المعروف بابن كبر كاتب السلطان بيبرس الداوداري ت/ ٧٦٤هـ-١٣٦٣م له. كشف الأسرار الخفية وأسباب المسيحية، البيان الأظهر في الرد على من يقول بالقضاء والقدر، مصباح الظلمة وغيرها. معجم المؤلفين: (٣/ ٤١)، تاريخ الأمة القبطية: (ص١٥٢).

(٢) الانبعاث، هو الانبثاق عند النصارى، ويعنون به أن الروح القدس صدر أو انبعث من الأب مثل انبعاث الحرارة من الشمس، والضوء من الشعاع، ينظر: التثليث والتوحيد، أمين باسيلي، وفوزي جرجس، (ص١٤) مكتبة المحبة بالقاهرة، بدون تاريخ.

(٣) ينظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص١٣).

(٤) الله واحد أم ثالوث؟ محمد مجدي مرجان: (ص١٢) دار النهضة العربية، القاهرة بدون تاريخ.

(٥) ولد بمدينة الإسكندرية سنة ٢٩٦م من ولدين مصريين وثنيين، وتوفي والده وهو صغير، دخل هو وأمه النصرانية على يد البطريرك السكندروس تفوق في علوم =

قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الجامع، وكل من لا يحفظ هذا الإيمان بأكمله دون إفساد يهلك بلا شك هلاكًا أبديًا، والإيمان الجامع هو أن نعبد إلهًا واحدًا في ثالوث، وثالوثًا في وحدانية)[١].

بل الدخول في المسيحية لا يتم إلا بعقيدة التثليث، يقول القس توفيق جيد: (إن الدخول في المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسر الأزل سر الثالوث الأقدس.. هذا الاسم اسم الأب والابن والروح القدس، ينبغي أن يوضع على كل من يلج باب الملكوت، هذه هي السمة التي ينبغي أن يحملها على جبينه كل داخل إلى ملكوت السموات، سمة الثالوث الأقدس)[٢].

مفهوم عقيدة التثليث عند النصارى:

يعتقد النصارى أن الله تعالى مكون من ثلاثة أقانيم[٣] أقنوم الأب، وأقنوم الابن، أقنوم الروح القدس، وأن هذه الأقانيم الثلاثة ليست آلهة متعددة بل إله واحد، وهذه الأقانيم إن لم تكن متمايزة بجوهرها فهي متمايزة بصفاتها، فلكل منها صفة ذاتية مع جوهر اللاهوت، فالجوهر الإلهي واحد، والأقانيم ثلاثة:

=

الكنيسة، وتعمق في دراسة الكتاب المقدس مما جعل البطريرك السكندروس يختاره تلميذًا له، ثم قلد شماسًا لكنيسة الإسكندرية، ثم رئيسًا للشماسة، ثم بطريركًا لكنيسة الإسكندرية ت ٣٧٣م. له: الدفاع عن الإيمان الجامعي، تجسد الابن الكلمة وغير ذلك. يراجع ترجمته في: تاريخ اثناسيوس الرسول، لكامل صالح نخلة، (ص١٢) وما بعدها، مكتبة المحبة، بدون تاريخ، تاريخ الكنيسة القبطية (١١٦) وما بعدها.

(١) تاريخ أثناسيوس الرسول (ص١٣٦)، ويراجع: الله واحد أم ثالوث؟ (ص٢٤).

(٢) الله واحد أم ثالوث؟ (ص٢٥).

(٣) الأقنوم: كلمة سريانية تعني: صفة ذاتية في الله مع جوهر اللاهوت وهي اسم مشترك، تارة يشار به إلى الأب، أو إلى الابن، أو إلى الروح القدس، يراجع: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة (ص٨) التثليث والتوحيد: (ص١٤).

أقنوم الأب هو جوهر اللاهوت مع صفة الأبوة.

أقنوم الابن هو جوهر اللاهوت مع صفة البنوة.

أقنوم الروح القدس هو جوهر اللاهوت مع صفة الحياة.

والأبوة عندهم غير البنوة، غير الحياة، والثلاثة في واحد، ويقولون: الله الأب موجود بذاته، ناطق بابنه -أي كلمته- حي بالروح القدس، والله الابن ناطق بذاته مولود من الأب ولادة غير طبيعية كولادة الحرارة من الشمس حي بالروح القدس.

والله الروح القدس حي بذاته، ناطق بالابن، منبعث من الأب، فالله هو الأب، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، والله واحد موجود حي ناطق[١].

والأقانيم الثلاثة متحدة -عندهم- بدون اختلاط، ولا تركيب؛ لأن المركب يمكن أن ينقسم. وكل واحد من الأقانيم الثلاثة هو في الآخر، وهم إله واحد.

ويقيسون ذلك على الشمس، فالشمس عندهم تتكون من ثلاثة عناصر أو أجزاء: هي جرم الشمس، وشعاع الشمس، وحرارة الشمس، فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع والجرم، والكل شمس واحدة، ويقيسونه على التفاحة، فكما أن التفاحة لها ثلاث خواص هي الذات والطعم والرائحة ويمكن التمييز بين هذه العناصر الثلاثة، وإن كانت التفاحة واحدة، فالرائحة غير الطعم والذات، والذات هي علة الطعم والرائحة، وكما أن التفاحة لا توجد بدون الطعم والرائحة كذلك لا يمكن تصور الأب بدون الابن والروح

(١) يراجع: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص٧)، التثليث والتوحيد: (ص١٢، ١٣).

القدس[١].

فالله عند النصارى واحد ذو ثلاث صفات، وهذا الكلام يمكن قبوله وإن كان فيه نكارة لإطلاقه لفظ الأقنوم على الله مع أنه لم يرد بذلك نص، ولا من كتب النصارى أنفسهم، كما أن فيه أيضًا حصر صفات الله تعالى في ثلاثة -لأن فيه رائحة التوحيد.

إلا أن النصارى ينقضون قولهم: الله واحد ذو ثلاث صفات بتوظيفهم لكل صفة أو أقنوم وظيفة خاصة به، لا يتعداها إلى غيرها، وهذا معناه أن الثلاثة ليست متحدة كما قالوا، بل كل واحد بذاته.

فالله الأب جعلوه مصدر العدل، والله الابن جعلوه مصدر الرحمة والله الروح القدس جعلوه مصدر النعمة، فمن يريد العدل فليتجه إلى الأب، ومن يرجو الرحمة فليتوسل إلى الابن، ومن يطلب النعمة فليبتهل إلى الروح القدس.

والله الأب ينسب إليه الخلق والتبني، وأما الله الابن فينسب إليه فداء البشرية، وغفران الخطايا والذنوب، وأما الله الروح القدس فينسب إليه منح الميلاد الثاني، والحياة الطاهرة للبشر، وتقديس النفوس.

ومعنى ذلك: أن الله الأب لا يستطيع غفران الذنوب، وأن الله الابن ليس من اختصاصه تقديس النفوس، وأن الروح القدس لا يملك الخلق يقول القس توفيق جيد: (إن عملية خلاص الإنسان التي هي قضية التاريخ الكبرى من بدء الزمان، تفترض حاكمًا وقاضيًا، وتتطلب مخلصًا وفاديًا، وتستلزم مقدسًا ومحييًا،

---

(١) يراجع: مقالات لاهوتية: (ص٢٥، ٣٠، ٣١)، خلاصة الأصول الإيمانية: (ص١٠) وما بعدها، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: (٤/ ٥٩)، الله واحد أم ثالوث؟ (ص١٦).

إنها تفترض حاكمًا وقاضيًا أصدر حكمه بموت الإنسان الخاطئ، ومن يكون ذلك الحاكم القاضي سوى الأقنوم الأول في اللاهوت، (الله الأب؟).

وتتطلب مخلصًا وفاديًا يرفع الحكم عن الإنسان الشقي، ومن يكون ذلك المخلص الفادي سوى كائن إلهي مثله، ذلك الكائن هو الأقنوم الثاني في اللاهوت (الله الابن؟)، ثم إن عملية الخلاص تستلزم مقدسًا ومحييًا، محييًا يخلق من الإنسان الخاطئ إنسانًا جديدًا في البر وقداسة الحق، ومقدسًا يعيد للإنسان الفاسد صورة القداسة المفقودة، ومن يكون ذلك المقدس المحيي سوى كائن إلهي قادر على كل شيء؟ هو الأقنوم الثالث في اللاهوت أي روح القدس...

وتأسيسًا على هذا التقسيم لوظائف الألوهية وصفاتها بين هذا الثالوث الإلهي، ليتم التعاون بين الآلهية، ويساعد كل إله زميله في العمل، فلا يمس أحدهم تعب أو لغوب، قام المسيحيون بتقسيم الصلاة الربانية وهي التي يفتتح بها المسيحيون صلاتهم اليومية قسموها إلى دعوات ثلاثية يبتهل بها المسيحي إلى الثالوث الإلهي ويختص كل أقنوم منها بابتهال معين لا يقدمه إلى الأقنومين الآخرين وذلك الآتي:

أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك (توسل إلى الآب مصدر العدل).

ليأت ملكوتك (توسل إلى الابن مصدر الرحمة).

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض (توسل إلى الروح القدس مصدر النعمة).

خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم(١) (توسل إلى الآب)(٢).

---

(١) إنجيل متى: الإصحاح: [٥] الفقرات: [٩-١٢].

(٢) ينظر: الله واحد أم ثالوث: (ص٢٧-٣٠).

وإذا قيل لهم: لماذا كانت الأقانيم ثلاثة فقط ولم تكن أكثر من ذلك ولا أقل؟ فإنهم يقولون: (إن جميع المكونات في الدنيا: إما واحد كالشمس أو اثنان مثل الهيولي[١] والنوع، وإما أقانيم كثيرة مثل الكواكب والبشر، ولو قيل: إن الله أقنوم واحد، لقيل: إن الشمس نظيره، أو أقنومان، لقيل: إن الهيولي والنوع نظيره، وسر الثالوث ليس له شبيه)[٢].

يقول النصارى ذلك وينسون أن الله ليس له نظير، وطردًا لكلامهم فالإنسان نظير الله -تعالى الله عن ذلك- عندهم لأنهم يقولون: إنه مكون من أقانيم ثلاثة: الذات، والكلمة، والحياة، حتى إنهم يستدلون على التثليث بمكونات الإنسان[٣] والشمس نظير الله؛ لأن الشمس جرم واحد له ثلاث أقانيم كما سبق في كلامهم. وكذلك التفاحة.

والنصارى في تعليلهم هذا يجعلون عقولهم وراء ظهورهم؛ لأن الأقانيم عندهم صفات وليست ذواتًا، فالقول بوحدانية الله تعالى لا يوقع في المشابهة بالشمس؛ لأن الشمس ذات وليست صفة، والعجيب أنهم ينفون وحدانية الله حتى لا يشابه الشمس، ويقربون التثليث إلى العقول بالقياس على

---

(١) الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورتين الجسمية، والنوعية، ووجود هذا الجوهر إنما هو بالفعل، ويحصل بقبوله الصورة الجسمانية، فهو كقوة قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة إلا بمعنى القوة. يراجع: الحدود للإمام الغزالي حققه ونشره د/ عبد الأمير الأعسم، وحقق معه مجموعة رسائل في الحدود الفلسفية ونشرها في كتاب سماه: المصطلح الفلسفي (ص٢٩١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/ ٢٠٠٦م. ويراجع: التعريفات: (ص٣١٩)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٧٤٥).

(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص٩).

(٣) يراجع: الله واحد أم ثالوث؟ (ص١٤).

الشمس فأين عقولهم؟

ثم إنهم في التعليل السابق يجعلون الموجودات ثلاثة أقسام، إما واحدًا، وإما اثنين وإما ثلاثة. وكان سياق الكلام يقتضي: أن الله تعالى إن لم يكن واحدًا، ولا اثنين، فأقانيم كثيرة.. وليست ثلاثة.

ويقول القس عوض سمعان ذاكرًا تعليلاً آخر لكون الأقانيم ثلاثة: (إن العدد ثلاثة هو أول عدد فردي كامل بحيث لا يمكن لأقل منه أن تتوافر فيه خصائص الوحدانية الجامعة، ويستطرد قائلاً: إن الإنسان مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية والحيوانات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسية والنباتات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسية، وكذلك الله مكون من ثلاثة أقانيم وفي الاستدلال على أهمية العدد يقول: إن الأمثال العامية تقول: الحبل المثلوث لا ينقطع، والمرة الثالثة ثابتة من أجل هذا يكون الله مكونًا من ثلاثة أجزاء[1].

ولا ريب أن هذا التعليل يتوجه إليه النقد بالتعليل السابق إذ كيف يشبه الله عز وجل بشيء من خلقه إنسانًا كان أو حيوانًا أو نباتًا؟ وكيف يستدل على عقيدة هي من أصول العقائد النصرانية بأمثال عامية؟ وهل كانت الأمثال طريقًا لإثبات العبادات فضلاً عن العقائد؟ وإذا سئل النصارى هل الله ثلاثة آلهة مستقلة أم هو إله واحد؟ فإنهم يقولون كلامًا غير مفهوم، يقول أثناسيوس: (الإيمان الجامع هو أن نعبد إلهًا واحدًا في ثالوث، وثالوثًا في وحدانية، لا نخلط الأقانيم ولا نفصل الجوهر، فإن للأب أقنومًا على حدة، وللابن أقنومًا على حدة، وللروح القدس أقنومًا آخر على حدة، ولكن لاهوت الأب والابن والروح القدس كله واحد، والمجد متساوٍ والجلال أبدي معًا.

---

(١) ينظر: الله واحد أم ثالوث؟ (ص٣٤).

وكما هو الأب كذلك الابن وكذلك الروح القدس، فالأب غير مخلوق والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق، والأب غير محدود، والابن غير محدود والروح القدس غير محدود، ولكن ليس ثلاثة سرمديين بل سرمدي واحد، وكذلك ليسوا ثلاثة غير محدودين، ولا ثلاثة غير مخلوقين بل واحد غير مخلوق وواحد غير محدود، كذلك الأب ضابط الكل والابن ضابط الكل والروح القدس ضابط الكل، ولكن ليسوا ثلاثة ضابطي الكل بل واحد ضابط الكل.

فالأب إله والابن إله، والروح القدس إله، ولكن ليسوا ثلاثة إلهة بل إله واحد، كذلك الأب رب والابن رب والروح القدس رب ولكن ليس ثلاثة أرباب بل رب واحد ... الخ(١).

ولا شك أن هذا الكلام لا تتقبله العقول، إذ كيف يكون الثلاثة غير مخلوقين، وليس غير مخلوق إلا واحد؟ وكيف يكونون غير محدودين الثلاثة وغير المحدود واحد؟ وكيف يكون الثلاثة آلهة وأربابًا غير محدودين وليس الإله الرب غير المحدود إلا واحدًا؟ وكيف يكون الواحد في ثلاثة، والثلاثة في واحد؟ فبأي حساب حسب النصارى، لعل لهم قواعد حسابية خاصة بهم، فالقواعد الحسابية الأولية عند جميع الناس أن ١+١+١= ٣ أما عند النصارى فـ١+١+١= ١ !

ولعل عقولنا نحن قاصرة عن فهم هذا الكلام وعقيدة التثليث ككل، مما يجعلنا نضطر إلى مسألة النصارى هل تفهمون عقيدة التثليث، وكانت الرغبة في أن يجاوبوا بالإيجاب حتى يقربوا هذه العقيدة لعقولنا؛ ولكن الرغبة باءت بالخيبة، فوجدناهم يقولون إن هذه عقيدة صعب فهمها، وهي فوق العقول،

---

(١) تاريخ أثناسيوس الرسول: (ص١٣٤، ١٣٥).

وهذه أقوال علمائهم:

يقول القس حبيب سعيد: (يجب أن نميز بين ما هو فوق طاقة العقل، وبين ما هو ضد العقل فعقيدة الثالوث ليست ضد العقل بل فوق العقل)(١).

ويقول القس توفيق جيد: (إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه).

ويقول القمص باسيليوس إسحاق: (إن هذا التعليم عن الثالوث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله).

ويقول الأستاذ يس منصور الذي كان واعظًا للأقباط بالإسكندرية: (إن من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة).

ويقول القس عوض سمعان: (إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والإدراك، ولكنه يتوافق مع كمال الله كل التوافق)(٢).

وإذا كانت عقيدة التثليث فوق إدراك العقول، فكيف تعبد الله النصارى بها، والله تعالى لا يأمر باعتقاد ما لم يدرك بالعقول؟ والعقول هي مناط التكليف، فكيف يحاسب الله النصارى يوم القيامة على شيء لم تفهمه عقولهم، والله عز وجل رفع التكليف عن البهائم لعدم وجود عقل لها يميز أو يدرك حقائق الأمور؟ أفلا يرفع الله تكليف النصارى باعتقادهم التثليث؛ لأن العلة جامعة؟ أو يحاسب الله البهائم على ما يصدر عنهم من أفعال ما دام الله سيحاسب النصارى على ما لم تدركه عقولهم؟

---

(١) دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس: (ص٤٣٣).

(٢) الله واحد أم ثالوث؟ (ص٧١،٧٠).

وإنه لأمر عجيب أن لا يفهم علماء النصارى وأصحاب الدين عندهم حقيقة التثليث، فكيف بالعامة، والبسطاء من الناس؟!

يقول محمد مجدي مرجان الذي كان شماسًا فأسلم -في كتابه «الله واحد أم ثالوث؟»: (وإذا لم نستطع إدراك عقائدنا الدينية بعقولنا وأفهامنا فبماذا يا ترى يمكن إدراكها؟ هل يطلب منا دعاة الثالوث أن نتخلى عن عقولنا ونسلم بالثالوث؟ وإذا كنا جميعًا نحن وهم لا ندرك هذا الثالوث فكيف يمكن لأي منا أن يتبعه أو يسير عليه؟)(١)

ولكن: لماذا شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث، أو على الأقل يجتهد بعضهم في بيان أنه لا منافاة بينهما؟

لعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتابًا مقدسًا عندهم، وهي تصرح بالتوحيد وتدعو إليه، وتحث عليه، وتنهي عن الشرك بكل شعبه، وكل أحواله، بل تدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا، وحيثما ثقفوا(٢) ولذلك هم يجتهدون في استنباط نصوص من التوراة يحملونها الإشارة إلى التثليث(٣)

---

(١) الله واحد أم ثالوث؟ (ص٧١)، وينظر: خلاصة الأصول الإيمانية في الكنيسة: (ص١١).

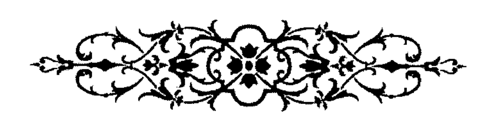
(٢) سفر الخروج: الإصحاح: [٢٠] الفقرات: [١-٥]، سفر اللاويين: الإصحاح: [١٩] الفقرتان: [٣،٤]، والإصحاح: [٢٦] الفقرة: [١]، سفر التثنية: الإصحاح: [٥] الفقرات: [٦-٩].

(٣) جاء في سفر التكوين في الإصحاح الأول الفقرة [٢٦]: [لنضع الإنسان على صورتنا كمثالنا] وجاء فيه أيضًا في الإصحاح الثالث الفقرة [٢٢]: [قال الرب هوذا آدم قد صار كواحد منا].

يقول مؤلف كتاب التثليث والتوحيد الأستاذ/ فوزي جرجس محاولاً الاستدلال بهذين النصين على عقيدة التثليث: (والتعبير بصغية الجمع في [لنضع، كواحد منا] يدل على أن المتكلم أكثر من أقنوم ذلك لأن العهد القديم كتب باللغة العبرية، وهي لا تعرف فيها =

ويحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوحدانية لتلتقي التوراة مع الإنجيل فهم يقربون التوراة إليهم بتحميل عبارتها ما لا تحتمل، ويقربون عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد، وإن كان هو أيضًا لا يحتمل ذلك[1].

والله أعلم



=

صيغة الجمع إلا للجماعة، وليس للمتكلم المعظم نفسه كما في اللغة العربية: يراجع: (ص٢٥، ٢٦) ويراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٤٥٥)، والمسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، د/ عبد الكريم الخطيب، (ص٢٧٠) وما بعدها، دار الكتب الحديثة، مصر، ط/ الأولى، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية: (ص٩٥).

الفرع الثاني
التثليث ليس من النصرانية في شيء

إن اعتقاد كون الإله واحدًا ذا ثلاثة أقانيم، وجد قبل المسيحية بأمدٍ بعيد فهو موجود عند المصريين القدماء، وعند الهنود، وعند اليونانيين، وعند غير هؤلاء، ولا ريب أن هؤلاء الأقوام لهم حضارات عريقة قبل قيام المسيحية.

وسوف أعرض إن شاء الله تعالى وجهة نظر كل من المصريين، والهنود، و اليونانيين في آلهتهم، وأدع العرض يبين لنا هل ثم تشابه بين عقيدة هؤلاء الأقوام وبين تثليث النصارى أو لا، فإن وجد تشابه؛ فإن العقل السليم، والفكر المستقيم يشهدان أن تثليث النصارى مستقى من فكر هؤلاء الأقوام، والذي يدفعهما إلى هذه الشهادة، ما هو معروف من وجود السبق الزمني لهؤلاء الناس، ولا ريب أن السابق -عند اتحاد الفكر- استناد اللاحق في أغلب الأحيان.

الثالوث المصري:

تدل الرموز التي اكتشفت عن الثالوث المقدس عند قدماء المصريين على مشابهته تمامًا للثالوث المسيحي، سواء في عدد الأقانيم، أم في خاصية كل أقنوم، ويتكون الثالوث المصري من ثلاثة أقانيم إلهية، وهي:

الإله أوسيري: ويسمى بـ«الآب أو الوالد».

الإله هور: ويسمى الابن أو النطق، أو الكلمة.

الإله إيس: وتسمى الأم أو الوالدة.

والإله أوسيري هو الإله الأكبر العظيم، علة ولادة الأقنوم الثاني هور، وخالق كل المخلوقات، وحاكم الأزلية، ورب الأرباب.

والإله هُور، هو ابن الإله أوسيري، وهو النور والشمس المشرقة، وهو إله

النطق والكلام ولد من نور اللاهوت، من عجلة بكر لم تلد سواه، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم، وهو غير الأقنومين الآخرين، تشبه وحده بإنسان ليكون قابلاً للموت، ولذلك شبهوه بالثور(١).

وإن أغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين القدماء هو قولهم بلاهوت الكلمة وإن كل شيء صار بواسطتها، وإنها أي الكلمة منبثقة من الله، وإنها الله.

والإله إيس: هو الأقنوم الثالث، الذي ولد الأقنوم الابن هور، وقد رمزوا لهذا الإله بصورة طائر جميل يشبه العصفور، والمعروف عن الروح القدس أنه مصدر الحياة عند أصحاب الثالوث.

هذا: وقد أكد العلامة جارسلاف كريني أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانيا في كتابه: «ديانة قدماء المصريين» وجود التماثل والتطابق التام بين الثالوث المسيحي والثالوث الفرعوني، الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحي مأخوذ عن الثالوث الفرعوني(٢).

الثالوث الهندي: كانت عقيدة الهنود القدماء أن الإله واحد ذو ثلاثة أقانيم وقالوا عن هذا الإله: إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه ثم يهلكه، ويرده إليه ويطلقون على التثليث عندهم (ترى مورتي) أي الثلاث هيئات، أو الثلاثة أقانيم.

---

(١) جاء في إنجيل يوحنا تشبيه عيسى عليه السلام بالخروف الذي يحمل خطايا العالم. وهذا شبيه بما جاء في الثالوث المصري من تشبيه هور بالثور الذي يحمل خطايا العالم. يراجع: إنجيل يوحنا: الإصحاح: [١] الفقرة: [٢٩].

(٢) ينظر: الله واحد أم ثالوث؟ (ص٧٨) وما بعدها، عقيدة التثليث عند النصارى وموقف الإسلام منها، د/ فضلون محمد محمد مصطفى، بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين، بقنا، العدد السادس، (ص٤٠٧) وما بعدها.

وقانون الإيمان الهندي أساسه التثليث، وهذا نصه: (نؤمن بسافتري أي الشمس، إله واحد ضابط الكل، خالق السموات والأرض، وبابنه الوحيد أني أي النار نور من نور مولود غير مخلوق، تجسد من فايو أي الروح في بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح الحي المنبثق من الآب، والابن، الذي هو مع الأب والابن يسجد له ويمجد[(١)].

وإذ ذكر قانون الإيمان المسيحي علم مدى تأثر المسيحية بالهنود، وقانون الإيمان المسيحي بإيجاز: (نؤمن بإله واحد، ضابط الكل، خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحدٍ، ويسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب، الذي هو مع الابن يسجد له، ويمجد)[(٢)].

ويبدو أن قانون الإيمان الهندي الذي ذكر هو قانون أكثر الهنود، لأن هناك طوائف في الهند أخرى تؤمن بثالوث آخر، وهو الإله براهما في صورة الخالق، والإله فشنو في صورة الحافظ، والإله سيفا في صورة الهادم[(٣)].

الثالوث اليوناني:

لقد كان اليونانيون القدماء الوثنيون يقولون: إن الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح، يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث، ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع، ويعتقدون أن الحكماء قد صرحوا أن كل

---

(١) ينظر: الله واحد أم ثالوث؟ (ص٨١)، عقيدة التثليث عند النصارى وموقف الإسلام منها: (ص٩).

(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص١١٢)، الأمور المتيقنة عندنا: (ص١٠١، ١٠٩).

(٣) يراجع: الله واحد أم ثالوث؟ (ص٨٢)، المسيحية: (ص١١٩).

الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة، ولهم اعتناء تام بالعدد ثلاثة في كافة أحوالهم الدينية، ويعتقدون أن كل الأشياء عملها الإله الواحد بمثلث الأقانيم(١).

وبعد:

فقد استبان من هذا العرض أن ثالوث النصارى موجود عند غيرهم من السابقين، وهذا يؤكد تسرب هذه العقيدة إلى النصارى من عند غيرهم.

ولكن، قد يعرض سؤال: كيف تسربت الوثنية إلى المسيحية وهي رسالة سماوية؟ وكيف أثرت فيها، وكان الأولى أن تؤثر المسيحية وقد نزلت من السماء في الوثنية فتمحوها؟

والجواب: أن سيدنا عيسى عليه السلام بعثه الله إلى بني إسرائيل داعيًا إياهم إلى عبادة الله وحده، وترك ما هم عليه من شرور وآثام، ورغم ما بذله عيسى عليه السلام من جهود في نشر دعوته بين اليهود، وما أجراه الله على يديه من معجزات لحملهم على الإيمان، فإن دعوته لم تجد بين اليهود أرضًا خصبة، ولم يؤمن بها سوى أفراد قلائل، وأما معظم الشعب اليهودي فقد أنكروا نبوته ورسالته، بل تعدو ذلك إلى الطعن في نسبه وشخصه، ورموه وأمه بأقبح الصفات، ثم دبروا مؤامرة لصلبه، لولا أن أحبط الله مؤامرتهم، وقد مضى عيسى عليه السلام إلى ربه غاضبًا على شعبه الذي لم يؤمن برسالته، وبعد عيسى عليه السلام اضطر تلاميذه وحواريوه من أجل إحياء دعوته إلى نقلها من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها.

ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة المسيحية بين تلك الشعوب

---

(١) عقيدة التثليث عند النصارى: (ص٤١١، ٤١٢).

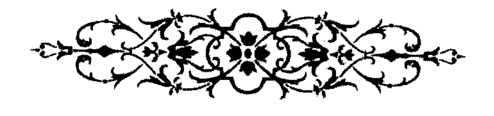
الوثنية، وخوفًا من أن تجد بين هذه الشعوب نفس المصير الذي وجدته بين اليهود اضطر المبشرون المسيحيون إلى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات، والشعائر التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية.

ولقد تحول فعلاً إلى المسيحية كثير من الوثنيين، ولكنهم نقلوا إليها أيضًا مزيدًا من العادات والشعائر الوثنية، واضطر الحواريون والمبشرون المسيحيون إلى السكوت وغض الطرف والمجاملة لإبقاء هؤلاء على المسيحية وعدم تنفيرهم منها، ولعلهم يستقيمون بعد ذلك على المنهج الصحيح.

ولكن الواقع الأليم أن الذي حدث هو عكس ما توقعه هؤلاء، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية، وطمس جوهر الرسالة السماوية التي أتى بها عيسى عليه السلام.

ولكن تسرب عقائد الوثنيين إلى المسيحية مع المتنصرين من أهل العقائد الوثنية كان يمكن أن تقاومه العقيدة المسيحية، لولا ما فعله بولس من تحويل النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ولقد ساعده على ذلك ما كان من موروثات عند الوثنيين المتنصرين، وهم كثير[1].

والله أعلم



(١) يراجع: الله واحد أم ثالوث؟ (ص٨٢) وما بعدها، المسيحية (ص١٢٠).

الفرع الثالث
شبهة النصارى في إثبات عقيدة التثليث
ورد القرافي عليها

أولاً: شبهة النصارى:

يقولون: لو علم المسلمون مرادنا بالآب والابن وروح القدس لما أنكروا علينا فإن مرادنا بالأب الذات، وبالابن النطق الذي هو القائم بتلك الذات، وبروح القدس الحياة، والثلاثة إله واحد، وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون، ونحن لم نطلق ذلك من قبل أنفسنا، بل في الإنجيل قال عيسى عليه السلام: «اذهبوا إلى سائر الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس»(١).

وفي أول القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم، فاقتصر على هذه الثلاثة، الآب، والابن وروح القدس(٢).

ونريد بقولنا: المسيح ابن الله،: أنه مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور، وأنه لم يزل نطقًا، ولم يزل الله ناطقًا، ثم أرسل الله -تعالى- نطقه من غير مفارقة الآب الوالد له، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد

---

(١) متى: الإصحاح: [٢٨] الفقرة [١٩].

(٢) يوضح القمص إسحاق باسيليوس استدلال النصارى بالبسملة على التثليث فيقول: (إن البسملة الإسلامية تؤيد التثليث، فالله هو الآب، والرحمن هو الابن، والرحيم هو الروح القدس).

ومما يدفع هذا الاستدلال: أنه لو كانت كل صفة وصف بها الله تعالى في القرآن الكريم، يستدل بها على وجود أقنوم كما فعل هذا القمص، فإنه يمكن أن يستدل بالقرآن ليس فقط على التثليث، بل على التسبيع، وذلك بما ورد في أول سورة غافر: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ١، ٣] يراجع: الله واحد أم ثالوث؟ (ص٥٣).

له، وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له، فتجسم النطق إنسانًا من الروح القدس ومن مريم رضي الله عنها، وولد منها بالطبيعة البشرية، لا بالإلهية، فإذا قلنا: المسيح ابن الله لا نريد بنوة بشرية، وأن له والدًا من صاحبة.

وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق، كقوله تعالى: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد: ٣] وكذلك سمى القرآن عيسى عليه السلام روح الله وكلمته واسمه عيسى[(١)] فيكون الخالق واحدًا وهو الآب ونطقه وحياته، ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين كما تقول: الخياط خيط الثوب، ويد الخياط خيطت الثوب، ولا يلزم أن يكون خيط الثوب خياطان، بل خياط واحد، كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد، ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة كما لا يلزم إذا قلنا: عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناسي[(٢)].

يلاحظ في هذه الشبهة ما يلي:

١- اعتماد النصارى على مسلمات المسلمين في إقناعنا بعقائدهم، فهم يقولون: كما أن المسلمين يعتقدون أن الله واحد، له صفة الكلام وصفة الحياة، فكذلك نحن -أي النصارى نعتقد أن الله واحد- ناطق، حي، فإن قلتم بالتثليث قلنا به، وإن قلتم بالتوحيد قلنا به، فكما أنكم أيها المسلمون لا تقولون بثلاثة آلهة، فكذلك نحن -النصارى- نقول هو واحد ذو صفتين أو أقنومين.

وغاب عن النصارى أو تناسوا أن المسلمين لا يقولون: إن الحياة،

---

(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١].

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص٣٣، ٣٤).

والكلام أقنومان قائمان بذات الله كما يقول النصارى: وأيضًا لا يحصر المسلمون الصفات في صفتي الحياة والكلام كما فعل النصارى، ومن هنا لا يصح قياسهم عقيدتهم على عقيدة المسلمين.

٢- كما أنه يلاحظ في الشبهة محاولة لي نصوص القرآن الكريم في استدلالهم على عقيدتهم، وهم يبغون بذلك فضلاً عن الاستدلال على عقيدة التثليث جذب عدد من المسلمين ضعيفي الإيمان إلى ضلالهم.

٣- يلاحظ أيضًا أنهم يأخذون من نصوص القرآن الكريم ما يلائم غرضهم، ويتركون الحق الواضح الذي يدفع ما يقولون، وإن كان في نفس النص الذي يستدلون به. فهم يستدلون على التثليث بتسمية عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه وينسون ما صرحت به الآية من التصريح برسالته.

٤- ويلاحظ أنهم يقولون: إن ولادة الابن من الآب إنما هي من غير مفارقة كولادة شعاع الشمس من الشمس من غير مفارقة القرص، وكولادة الكلام من العقل من غير مفارقة الكلام له، ونسوا أنهم يقولون: إنه اتحد بمريم عليها السلام، فكيف يكون اتحد بمريم من غير مفارقة الآب له، والآب في السماء ومريم في الأرض؟

وإذا لم يفارق الآب فهذا يعني أن الأب كان متحدًا بمريم مع الابن مع أن النصارى لا يقولون بذلك.

٥- ويلاحظ أيضًا: أنهم يستدلون على نفي تعدد الآلهة بالخياط الذي يحيك الثوب بيده، فكما أنه لم يقل أحد: إن الخياط أخاط، وإن اليد أخاطت: إذن هما خياطان، فكذلك لا يصح أن يقال: الله إله، والابن إله، والروح القدس إله فهو كالخياط.

وقد غاب عن النصارى أنهم يقولون في قانون الإيمان المسيحي: الآب إله

تام، والابن إله تام، والروح القدس إله تام، فكيف يكون كل واحد إلهًا تامًا ويقال: هم واحد كحال الخياط؟

ثانيًا: رد الإمام القرافي:

١- يرد الإمام القرافي على قول النصارى: (مرادنا بالأب الذات، وبالابن النطق الذي هو القائم بتلك الذات، وبروح القدس: الحياة، والثلاثة إله واحد) بأنه لو كان المعنى كما تقولون، فإنا لا ننازع في هذا المعنى، وإنما المنازعة بيننا وبينكم في إطلاق هذه الألفاظ على الله تعالى، فإن هذا الإطلاق منكر؛ لأنه لم يأت به دليل عن الله تعالى وذلك قوله: (أما قولهم: نريد بالآب: الذات، وبالابن: النطق، وبروح القدس: الحياة فلا كفر فيه، وإنما الإطلاق منكر)[1].

وإذا نظرنا في كلام السابقين فلا نجد إلا ابن حزم ينازع النصارى في هذا الإطلاق مبينًا لهم أنه لأي سبب سمي الله أبًا، وعيسى ابنًا، ما دام النصارى يقولون بأزلية كلٍ، إذًا النصارى رجحوا بدون مرجح؛ لأن جعل الله أبًا، فهذا معناه أنه أعلى رتبة من الابن، فكيف يكون ذلك وهما أزليان عند النصارى؟ وذلك قوله: (أخبرونا إذ هذه الأشياء لم تزل كلها، وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى أبًا، والثاني يسمى ابنًا، وأنتم تقولون: إن الثلاثة واحد، وإن كل واحد منها هو الآخر فالآب هو الابن، والابن هو الآب وهذا عين التخليط)[2].

وإذا جئنا إلى اللاحقين، فنجد الإمام ابن تيمية لا يرضى بتسمية حياة الله روحًا فيقول: (إن تسمية حياة الله روحًا) أمر لم ينطق به شيء من كتب الله

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٣٤).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٥٠).

المنزلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم)[1].

ونجد الألوسي لا يرد عليهم معنى قولهم بالأب والابن والروح القدس ما دام واحدًا ذا ثلاث صفات، وإنما ينازعهم من جهة الإطلاق اللفظي سمعًا، فهو لم يرد به نص من جهة الشرع، ولذلك لا يصح إطلاقه[2].

٢- أما ما اعتمدوا عليه من الإنجيل، فأجاب عنه الإمام القرافي أنه قد بين لهم أن إنجيلهم ليس شيئًا يعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل، ولا مضبوط العين، ولا يوثق بشيء منه في الدين، فلا يكون حجة[3].

وإذا ما جئنا إلى السابقين عن الإمام القرافي فإنا نجد الإمام القرطبي يجيب عن استدلالهم بالإنجيل بقوله: (يجب علينا أن نتوقف في أخباركم، ولا نقطع بتصديقكم، ولا بإكذابكم بل نقول ما أمرنا به الرسول، وبلغنا على ألسنة النقلة العدول: «آمنا بالله ورسله»[4] فإن صدقتم لم نكذبكم، وإن كذبتم لم نصدقكم، ثم بين أنه في حالة التسليم بذلك، فإن هذا يفهم منه أن رسالة عيسى عليه السلام لجميع الأمم وليس الأمر كذلك[5].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٩٤).

(٢) يراجع: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح: (١/ ٨٢).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٣٤).

(٤) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه عن أبي أنملة الأنصاري، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله ورسوله، فإن كان باطلاً لم تصدقوه، وإن كان حقًا لم تكذبوه**» سنن أبي داود: ك العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، حديث رقم (٣٦٤٤) (٢/ ٣٤٤).

(٥) لم يبعث عيسى عليه السلام -بنص الإنجيل- إلا لبني إسرائيل، فقد جاء في إنجيل متى لما أرسل تلاميذه الأثنى عشر أوصاهم قائلاً: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» متى: الإصحاح [١٠] الفقرتان: [٥، ٦].

ثم بين أن هذا النص (باسم الأب والابن والروح القدس) يحتمل وجوهًا:

١- إما أن يكون المعنى على حذف مضاف، كما نقول: امش على اسم الله، أي على بركة اسم الله، وعليه فالمضاف المحذوف من مادة (ترك) أي عمدوهم على تركهم هذا القول.

٢- وإما أن يكون أراد بالآب: الملك الذي نفخ في أمه مريم، إذ نفخه سبب علوق أمه وحبلها به، وأراد بالابن نفسه -عيسى عليه السلام-؛ إذ خلقه الله تعالى من نفخة الملك، فالنفخة له مثابة النطفة في حق غيره.

٣- أو يحتمل -إن صح عن عيسى عليه السلام- أنه كان يطلق على عيسى لفظ الابن، أن يكون مراده: أنه ذو حفظ له وذو رحمة وحنان عليه وعلى عباده الصالحين فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم، وهم له في القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار.

٤- ويحتمل أن يكون تجوز بإطلاق هذا اللفظ على الله تعالى؛ لأنه معلمه وهاديه ومرشده كما يقال: المعلم أبو المتعلم.

ثم بين أنه إذا احتمل النص هذه التأويلات كان من المتشابهات، وإذا كان من المتشابهات فلا ينبغي أن يصار إليه في الاحتجاجات وخصوصًا في الاعتقادات[1].

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي فلا نجد إلا الألوسي والباجي زاده، يتناولان نص النصارى المستدل به بالنقد، أما الألوسي فقد بيَّن في نقده أن هذا نص به احتمالات كثيرة وإذا تطرق الاحتمال إلى الدليل سقط به الاستدلال فيحتمل -على تقدير صحة الرواية- أن يراد بالأب: المبدأ فإن القدماء كانوا

---

(١) يراجع: الإعلام: (ص٦٤-٦٧).

يسمون الباري بالآباء، ومن الابن: الرسول، وسمى بذلك تشريفًا وتكريمًا أو سمى ابنًا باعتبار أنهم يسمون الآثار أبناء، أو سمى ابنًا لأنه حبيب لله تعالى، ويحتمل أن يراد بروح القدس جبرائيل عليه السلام وعليه يكون المعنى: عمدوا ببركة الله تعالى ورسوله والملك المؤيد للأنبياء على تبليغ أوامر ربهم(١).

وأما الإمام الباجي زاده فقد بين أنه قد جاء عن عيسى عليه السلام أنه أخبر بأن الله واحد ولم يقل أنه ثلاثة(٢) وهذا يناقض ما يستدل به النصارى، ويبين أيضًا أنه لو صح هذا النص لزم عنه أن عيسى عليه السلام وسائر الأنبياء ماتوا كافرين، لأنهم كلهم موحدون ولم يؤمنوا بالتثليث، ويؤيد هذا في حق عيسى ما جاء عنه من التصريح بوحدانية الله تعالى.

ثم بيّن أن وجود هذا النص في إنجيل متى، دليل على أن هذه الأناجيل مصطنعة وذلك قوله: (على أن وصية التعميد بالتثليث وحدها تكفينا بأن هذه الأناجيل مصطنعة، لأن يحيى عليه السلام صرح بأن عيسى عليه السلام سيعمد بروح القدس(٣) وكذلك متى ومرقس ولوقا ويوحنا اتفقوا وصرحوا في أناجيلهم بأن عيسى حين الرفع وقبله أوصى تلاميذه بأن يعمدوا بروح القدس فقط(٤) والمترجم المختلس لإنجيل متى افترى وذيل ترجمته وقال في آخرها: إن

(١) ينظر: الجواب الفسيح: (١/ ٩٧).

(٢) جاء في إنجيل متى: الإصحاح [٢٣] الفقرة [١٠] قول عيسى عليه السلام: (ولا تدعوا لكم أبًا على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات)، وفي الإصحاح: [١٢] الفقرة [٢٩] من إنجيل مرقس: [إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد].

(٣) متى: الإصحاح: [٣] الفقرة: [١١]، إنجيل يوحنا الإصحاح: [١] الفقرة [٣٤].

(٤) لم أجد في الأناجيل الثلاثة الأُوَل التعميد من التلاميذ بروح القدس فقط، بل جاء في إنجيل متى التعميد اسم الأب والابن والروح القدس، الإصحاح [٢٨]، الفقرة [١٩] =

المسيح قبل الرفع أوصى التلاميذ بأن يعمدوا باسم (الأب والابن وروح القدس) فتبين ببديهة العقل أن هذه الجملة إلحاقية من المترجم وإلا فلا يتصور أن متى يروي روايتين مخالفتين بإنجيله بآن واحد)[١].

٣- وأما استدلالهم بالبسملة على التثليث فقد أجاب عنه الإمام القرافي بأنه قياس مع الفارق فلا يصح؛ لأن النصارى يقولون: إن أقنوم الابن صادر عن الذات، وأقنوم الروح القدس منبثق من الذات بخلاف المسلمين، فإنا نعتقد أن الله تعالى له صفات الكمال، والتي منها صفة القدرة، اللازم عنها صفتا الرحمن الرحيم، فهما صفتان صادرتان عن صفة القدرة التي هي صفة أزلية وليستا صادرتين عن الذات مباشرة، وبذلك كان الفرق بين قولنا وقولهم، وهذا ما ذكره القرافي في قوله: «وأما ما في القرآن من بسم الله الرحمن الرحيم، فتفسيركم له غلط وتحريف كما فعلتم في الإنجيل؛ لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه الذات الموصوفة بصفات الكمال، ونعوت الجلال، والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته، وأما النطق والحياة فلا مدخل لهما في الرحمن الرحيم بل هو تحريف منكم للقرآن».

ثم بيّن الإمام القرافي أنه إذا لم يصح اعتمادهم على إنجيلهم، ولا على قرآننا،

=

ولم يذكر مرقس بأي شيء يكون التعميد [مرقس الإصحاح: [١٦] الفقرة [٦] ولم يذكر لوقا التعميد أصلاً [لوقا: الإصحاح [٢٤] الفقرات [٤٤-٥٠]] وجاء في إنجيل يوحنا: [فقال لهم يسوع أيضًا: سلام لكم كما أرسلني الأب أرسلكم أنا اقبلوا الروح القدس] يوحنا: الإصحاح [٢٠] الفقرتان: [٢١-٢٢] وليس في نص يوحنا تصريح بأمر عيسى التلاميذ بأن يعمدوا بالروح القدس فقط، فلعل الباجي اطلع على نسخ أخرى فيها تصريح بذلك.

(١) يراجع: ذيل الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٥٦).

فإنه حينئذ يكون ما أطلقوه على الله تعالى حرامًا حيث إنهم أطلقوا على الله تعالى ما لم يرد به نص، وذلك قوله: «وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حرم هذا الإطلاق، فإن إطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقلٍ صحيح ثابت عن الله تعالى، وليس هو عندكم، فكنتم عصاة بهذا الإطلاق»(١).

هذا: ولم نجد ردًا على استدلالهم بالبسملة على التثليث لأحد من السابقين أو اللاحقين -على ما تحت يدي من كتب- إلا عند الألوسي، وقد ذكر نفس تفنيد الإمام القرافي(٢).

٤- أما قولهم: (المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور، وإنه لم يزل نطقًا، ولم يزل الله تعالى ناطقًا) فقد أجاب عنه القرافي: بأنه كلام غير معقول ولا مسلم به، وعلى فرص التسليم به، فإن فيه قلبًا للحقائق، أو إبطالاً لاعتقاد النصارى ببنوة عيسى عليه السلام التي هي واحد الثالوث، ذلك لأن النطق صفة من الصفات والصفات معانٍ فلو قال النصارى: إن النطق الذي هو معنى، هو ابن الله تعالى الذي هو عيسى، فقد قلبوا الحقائق، وأتوا بما ليس مقبول، لأنه يلزم على ذلك أن يكون المعنى صار جسدًا وصلب وقتل وهذا لا يعقل.

وإن قالوا: إن المراد بكونه نطقًا أن الله أخبر عن وجود عيسى عليه السلام في الأزل عن طريق نطقه فقد شارك عيسى في هذه الخاصية سائر الخلائق وعليه فتكون سائر الخلائق أبناء لله تعالى، ولا متمسك للنصارى حالتئذ في قولهم ببنوة المسيح، وإن قصدوا معنى ثالثًا فليقولوه، وهذا قول القرافي: «هذا كلام غير

---

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص٣٤، ٣٥).

(٢) يراجع: الجواب الفسيح (١/ ١٥٨).

معقول أصلا إلا على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثر، وتقريره: أن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى -وقد سلمتم ذلك- فهو من المعاني لا من الأجسام بل هو كالعلم والحياة والإرادة، فإن أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذي يستحيل وقوعه في زمن من الأزمان، وكما يستحيل أن السواد يكون بياضًا، والعلم يكون طعامًا، والرائحة تكون لونًا، كذلك يستحيل أن يكون النطق إنسانًا، وإن أردتم أنه لم يزل نطقًا أي لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود عيسى عليه السلام في أزله فهو صحيح مقصود؛ لأن خبر الله تعالى يتعلق بجميع الأشياء الموجودات والمعدومات، الماضيات والحاضرات والمستقبلات، لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود؛ فإن خبر الله كما يتعلق بوجود عيسى عليه السلام يتعلق بوجود وكل واحد من اليهود وغيرهم في الأزل، ولم يزل كل واحد من اليهود نطقًا بهذا التفسير، فينبغي أن يكون كل واحد من اليهود ابن الله تعالى، ولا مزية لعيسى على أحد من اليهود في ذلك، بل ولا على شيء من الحشرات، وإن أردتم تفسيرًا ثالثًا فقولوه، فظهر أن أحد الأمرين لازم، وهو إما إبطال مذهب النصارى أو يكون كلامهم غير معقول».

وذكر القرافي احتمالا أُخر فقال: «وإن أردتم أن الله تعالى خلق في المسيح نطقًا بها طلبه الله من العباد وأراده منهم، فيقال: كذلك سائر الأنبياء عليهم السلام خلق الله في نفوسهم الإخبار عن أحكامه سبحانه، بل العلماء كذلك وليس أحد منهم صار ابنًا لله بذلك»[1].

ولم أجد أحدًا من السابقين واللاحقين تناول هذه الجزئية غير الألوسي رحمه

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٣٥، ٣٦).

الله وذكر نفس رد الإمام القرافي[1].

٥- أما قولهم: (ثم أرسل الله نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له كما ترسل الشمس ضوئها من غير مفارقة القرص الوالد له، وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له)، فقد رده الإمام القرافي بأن إرسال الله تعالى نطقه من غير مفارقة، كلام غير مقبولٍ؛ لأن الصفات لا تفارق موصوفها إلى غيره بذاتها، فكيف ترسل صفة النطق بدون محلها؟ ولا يصح أن يقال: إنها انتقلت مع محلها؛ لأن محلها يستحيل عليه الانتقال.

وأما قياسهم ذلك على الشمس فقد بين الإمام القرافي بأنه غير صحيح؛ لأن الضوء الموجود في الهواء ليس هو الموجود في قرص الشمس، فالله تعالى يخلق الأضواء والأنوار في أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض، فالضوء الحاصل في كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل في الجزء الآخر، وغير الضوء القائم بجرم الشمس[2].

وأما قياسهم ذلك على إرسال الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل، فقد بين الإمام القرافي أن هذا قياس غير صحيح؛ لأن كلام الإنسان أصوات نابعة من قصبة الرئة، والأصوات والرئة من خواص الأجسام، والله تعالى غير جسم، وكلامه نفسي ليس بصوت، فلا يصح القياس على الإنسان، ولا عن كلامه الصوتي؛ لأنه إن صح إرسال الكلام الصوتي، فلا يصح القول بإرسال الكلام النفسي.

---

(١) الجواب الفسيح: (١/ ١٥٩).

(٢) وعلى ما ذكره الإمام القرافي يكون الضوء الحاصل في أجزاء الهواء موجودًا في كل الأوقات، ويكون ضوء الشمس مظهرًا.

ثم بيَّن صور إرسال الكلام إلى الغير بأنها إما أن تكون عن طريق الكتابة وحينئذ المرسل أجسام ورقوم سود في أجسام بيض، ونطق الإنسان القائم بنفسه لم يرسله بل أرسل ما يدل عليه وهو الكتابة.

وإما أن يكون الإرسال عن طريق أن يوصي من يخبره بمقاصده مشافهة وساعتئذ فهو صوت صدر على لسانه سمعه رسوله، فقال هذا الرسول أصواتًا لذلك الغير، والأصوات من خواص الإنسان، وقصبة الرئة لا تكون إلا في الأجسام والأجسام محالة على الله تعالى؛ لأنه ليس بجسم، بل الثابت لله تعالى إنما هو الكلام النفسي الذي ليس بأصوات، والأصوات دالة عليه، وعلى كل تقدير فلم يرسل الإنسان كلامه النفسي ولا الصوتي، بل النفسي قائم بنفسه، والصوتي بسمعه رسوله، وعدم لحيينه، لم يأخذه الرسول معه)[1].

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي فلا نجد إلا المهتدي نصر بن يحيى يجيب عن قولهم تولد الابن من الأب كتولد الشعاع من الشمس بقوله: (وإذا جاز أن يتولد عن الأب ذات فيما لم يزل مثل تولد ضياء الشمس عن الشمس، ولا يكون متقدمًا عنه بزمان، جاز أن يكون العالم بأسره متولدًا عن الأب على هذه الجهة، وفي ذلك قدم العالم، والاستغناء عن تولد ابن ليخلق العالم كما قالوا: في تسبيحه إيمانهم الذي بيده اتقنت العالم كلها وليس بمصنوع إله

---

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (٣٦، ٣٧). بقيت صورة لم يذكرها الإمام القرافي، وهي: إرسال الكلام من غير واسطة بأن يسمعه إياه بنفسه، وهذه الصورة يسمى فيها الإنسان مرسلاً تجوزًا؛ لأن الكلام معنى من المعاني لم يرسل إلى الغير، بل سمعه الغير بسبب حصوله في مخارجه.

ويجاب عن هذه الصورة: بأن الإنسان أرسل أصواتًا، فلا يصح قياس إرسال كلام الله على ذلك، لأن كلام الله ليس بصوت والله أعلمَ.

حق، من إلهٍ حق، من جوهر أبيه)[١].

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي وجدنا ابن تيمية يقول: إن قياسهم تولد الابن من الأب على تولد شعاع الشمس من الشمس: قياس فاسد، لأنهم إن أرادوا بالضياء والحرارة ما يقوم بذات الشمس، فذلك صفة للشمس قائمة بها لم تحل بغيرها ولم تتحد به.

وإن أرادوا ما هو بائن عن الشمس قائم بغيرها كالشعاع القائم بالهواء والأرض، والحرارة القائمة بذلك، كان هذا دليلاً على فساد قولهم من وجوه:

أحدها: أن هذه أعراض منفصلة بائنة عن الشمس قائمة بغيرها لا بها وعلى هذا التقدير فليس في الناسوت شيء من اللاهوت وإنما فيه آثار كلمته وقدرته.

وثانيها: أن الحرارة والضوء القائم بالهواء والجدران أعراض قائمة بغير الشمس والكلمة وروح القدس عندهم جوهران.

وثالثها: أن هذا ليس هو الشمس، ولا صفة من صفات الشمس، وإنما هو أثر حاصل في غير الشمس بسبب الشمس، ومثل هذا لا ينكر قيامه بالأنبياء والصالحين، ولكن ليس للمسيح عليه السلام بذلك اختصاص، فما حل بالمسيح حل بغيره من المرسلين، وما لم يحل بغيره لم يحل به، فلا اختصاص له بأمر يوجب أن يكون إلهًا دون غيره من المرسلين، ولا هنا اتحاد بين اللاهوت والناسوت كما لم تتحد الشمس ولا صفاتها القائمة بها بالهواء والأرض التي حصل بهما الشعاع والحرارة[٢].

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية للمهتدي نصر بن يحيى: (ص٦٤) ت د/ محمد عبد الله الشرقاوي - دار الصحوة، القاهرة، ط/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
(٢) ينظر: الجواب الصحيح: (٢/ ٩٨، ٩٩).

ونجد الألوسي يجيب عن قياسهم تولد الابن من الأب على تولد الشعاع من الشمس وتولد النطق من العقل بنفس ما ذكر القرافي، بل بلفظه، ويزيد في مسألة الشمس: والعجب تنظيرهم لما ادعوه بالشمس فإن ضياء الشمس أو حرارتها إذا أثرا في محل لا يقال لذلك المؤثر فيه: إنه صار شمسًا أو حلت فيه الشمس أو اتحدت به كما هو ظاهر. فلم قالوا: إن جسم المسيح صار إلهًا، وهو الآن إله تام جالس عن يمين أبيه؟[1]

٦- وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى عليه السلام روح الله وكلمته، فقد أجاب عنه القرافي بوجوه:

الأول: بيَّن فيه أنه كيف يليق بسيدنا محمد ﷺ أن ينص كتابه على عقيدة النصارى ثم يكفرهم بها، ويقاتلهم عليها؟ فلو كان الأمر كذلك لكان في ذلك وصف له ﷺ بالظلم وهذا خلاف ما شهدت به الملل كلها من أنه ﷺ أكمل الناس خلقًا وخلقًا، وهذا يؤكد أن المراد غير ما يقصده النصارى، يقول الإمام القرافي: «من المحال أن يكون المراد بالروح والكلمة ما تدعيه النصارى وكيف يليق بأدنى العقلاء أن يصف عيسى عليه السلام بصفة وينادي بها على رؤوس الأشهاد، ويطبق بها الآفاق، ثم يكفر من اعتقد تلك الصفة في عيسى عليه السلام ويأمر بقتالهم وقتلهم وسفك دمائهم وسبي ذراريهم وسلب أموالهم؟!

بل هو بالكفر أولى؛ لأنه يعتقد ذلك مضافًا إلى تكفير غيره والسعي في وجوه ضرره، وقد اتفقت الملل كلها مؤمنها وكافرها على أنه عليه السلام من أكمل الناس في الصفات البشرية خلقًا وخلقًا وعقلاً ورأيًا، فإنها أمور محسوسة، إنما النزاع في الرسالة الربانية، فكيف يليق به عليه السلام أن يأتي بكلام هذا

---

(١) الجواب الفسيح: (١/ ١٦٠).

معناه ثم يقاتل معتقده ويكفره، وكذلك أصحابه رضي الله عنهم، والفضلاء من الخلفاء من بعده، وهذا برهان قاطع على أن المراد غير ما تعتقده النصارى»[١].

والثاني: بيّن فيه أن النصارى متحكمون في دينهم، إذ إنه لم يرد في لغة العرب أن يراد بالروح ما تقصده النصارى، ولا بالكلمة ما يعتقدونه فيها، فكيف صاروا إلى هذا الاعتقاد، وذلك قوله: «الروح اسم للريح الذي بين الخافقين[٢].

واسم لجبريل عليه السلام وهو المسمى بروح القدس، والروح اسم للنفس المقومة للجسم الحيواني.

والكلمة اسم للفظة المفيدة من الأصوات، واسم للخبر من الكلام النفسائي ولذلك يقال:

إن الكــــلام لفــــي الفـــؤاد وإنــــما جعــل اللــسان عــلى الفـؤاد دلــيلا[٣]

وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات، ولهذا يقال: هذه الكلمة خط حسن، ومكتوبة بالحبر.

وإذا كانت الروح والكلمة لهما معان عديدة، فعلى أيها يحمل هذا اللفظ؟ وحمل النصراني اللفظ على معتقده تحكم بمجرد الهوى المحض)[٤].

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٤).

(٢) الخافقان: أفق المشرق والمغرب، سميا بذلك تغليبًا؛ لأن المغرب يقال له: الخافق أي الغائب، فغلبوا المغرب على المشرق وقالوا: الخافقان، يراجع: لسان العرب (١٠/ ٨٠) مادة (خفق).

(٣) البيت منسوب للأخطل، وليس في ديوانه، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام (ص٣٥)، ت/ عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط/ الأولى، ١٩٨٤م.

(٤) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٤).

والثالث: بيَّن فيه أن المراد بالروح والكلمة الواردين في القرآن الكريم ليس ما يعتقده النصارى من أن صفة من صفات الله تعالى حلت في ناسوت عيسى عليه السلام؛ لأن العقل لا يقر أن تفارق الصفة موصوفها، بل المراد بالروح المذكورة في حق عيسى عليه السلام هو الروح بمعنى النفس المقوم للبدن، ومعنى نفخ الله تعالى في عيسى عليه السلام من روحه أنه خلق روحًا نفخها فيه.

والمراد بالكلمة الواردة في حق عيسى عليه السلام أنه قد وجد بقوله تعالى: {كن} لأن الله تعالى إذا أراد شيئًا يقول له: كن فيكون.

وإذا كان الأمر كذلك فلا مزية لعيسى على غيره من الناس؛ لأن جميع أرواح الناس يصدق عليها أنها روح الله تعالى -بالمعنى الذي بينه القرافي- وروح أي حيوان يصدق عليها أنها روح الله تعالى.

وكذلك لا مزية لعيسى عليه السلام على أي موجود؛ لأنه ما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة كن.

ولعل سائلاً يقول: وإذا كان الأمر كذلك، فلم خص عيسى عليه السلام بهذين الوصفين؟ وهذا ما يجيب عنه القرافي بأن ذلك تنبيه على شرف عيسى عليه السلام وعلو منزلته بذكر الإضافة إليه كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [الأنفال: ٤١] و ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] الجميع عبيده، وإنما التخصيص لبيان منزلة المخَصَّصِ)[١].

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإنا نجد أبا البقاء الجعفري يذكر أن كلمة الروح ترد على معان شتى منها:

---

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١٥).

أن ترد ويراد بها الوحي كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] وترد ويراد بها جبريل عليه السلام، وترد ويراد بها ملك كبير يقوم يوم القيامة صفًا وحده، والملائكة كلها صفًا آخر، وتراد ويراد بها أرواح الأشخاص كقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥] ثم يقول: (وإذا كان اللفظ مترددًا بين معان كثيرة فلا يسوغ التمسك به إلا مع اقترانه بما يفسره، وكل مفتقر للتفسير فلا وجه للاستدلال بظاهره).

ثم رجح أن عيسى عليه السلام سمي روحًا لتسمية جبريل عليه السلام روحًا؛ لأن الله تعالى نفخ في مريم بواسطة جبريل عليه السلام، والشيء يسمى بما يلازمه، ثم بيَّن أن كثيرين غير عيسى عليه السلام سموا روح القدس كما نصت على ذلك كتبهم ففي التوراة: أن بصلئيل رجل من سبط يهوذا، ورجل آخر من سبط دان قد ملأتهما روح القدس[١]، وفيها أن يوشع امتلأ من روح القدس[٢]، وفي الإنجيل أن يوحنا المعمداني امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمه[٣] ثم قال بعد أن ذكر أمثلة أخرى: (وذلك كله دليل على مساواة المسيح غيره من الأنبياء والأولياء في حلول هذه الروح، التي هي إما الملك أو العلم والحكمة)[٤].

ويذكر في كون عيسى عليه السلام كلمة معنى قريبًا مما ذكره الإمام القرافي مع اختلاف العبارتين إلا أنه يرجح أن المقصود من كون عيسى عليه السلام

---

(١) سفر الخروج: الإصحاح: [٣١] الفقرات: [١-٧].
(٢) سفر التثنية: الإصحاح: [٣٤] الفقرة: [٩].
(٣) إنجيل لوقا: الإصحاح: [١] الفقرة: [٤١].
(٤) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٤٠٦) وما بعدها.

كلمة لله أنه آية من آيات الله تعالى كما يدل سياق كلامه[١].

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي، فإنا نجد ابن تيمية يبيّن أن الروح يطلق ويراد به الوحي، وأن روح القدس ليس وصفًا خاصًا بعيسى عليه السلام بل وصف به كثيرون غيره، فما يقوله النصارى في عيسى عليه السلام يقال في غيره.

وبين أيضًا أن عيسى عليه السلام سمي بروح القدس، تسمية باسم جبريل عليه السلام، لأن الله أصطفاه لنفخ الروح في مريم، ووصف عيسى بكونه كلمة الله لكونه صدر عن قوله تعالى: {كن}[٢].

ونجد الإمام الألوسي يبين أن الوصف بالروح سمى به عيسى عليه السلام، إما لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم عليها السلام بامره سبحانه، وإما لأن الناس يحيون به كما يحيون بالأرواح.

أو سمى بذلك؛ لأن العادة جرت بأنهم إذا أرادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة، قالوا: إنه روح الله، وعيسى عليه السلام لطهارته سمي بذلك، أو سمى بذلك لأن الروح يعني السر، وعيسى عليه السلام سر من أسرار الله تعالى، وآية من آياته، وقيل إن أصل الكلمة: ذو الروح، أي صاحب روح الله تعالى، وكل من به حياة شارك عيسى عليه السلام في تلك الصفة.

وقال في كونه كلمة الله: سمي بذلك؛ لكونه كان بكلمة الله تعالى {كن} وقيل سمي بذلك؛ لأن الله تعالى يهدي بكلمته، وعيسى عليه السلام كان سببًا

---

(١) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٤٠٤، ٤٠٥).
(٢) يراجع: الجواب الصحيح: (٢/ ٨٠، ٨١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥).

لهداية الكثيرين[١].

٧- وأما قول النصارى: (الله وكلمته وروحه إله واحد، ولا يلزمنا القول بثلاثة آلهة كما تقول الإنسان وعقله وحياته ثلاثة، وهو إنسان واحد).

فقد أجاب عنه القرافي بأن التثليث لازم لهم؛ لأنهم يقولون: إن الله تعالى مستحق للعبادة بذاته، وعيسى عليه السلام استحق العبادة لانتقال الكلمة إليه، وروح القدس يستحق العبادة أيضًا لمساواته الإله الأب، وهذا تثليث وليس توحيدًا، ونظير ذلك من واقع الإنسان أن يعتقد أن عقل الإنسان انتقل إلى جمل مثلاً فاستحق الجمل لأجل ما انتقل إليه تعظيمًا كتعظيم الإنسان، وروح هذا الإنسان تستحق تعظيم الإنسانية، والإنسان في نفسه يستحق تعظيم الإنسانية، فلا يمكن أن يقال: إن الجمل والإنسان وروحه واحد، بل هو ثلاثة.

وأما ما قاس عليه النصارى قولهم بالتوحيد في تثليثهم فقد أجاب عنه القرافي بأن الإنسان إنما كان واحدًا؛ لأن صفاته لم تتعداه، ولم تعدل صفة من صفاته ذاته في التعظيم، بل المعظم واحد وهو الإنسان لما اشتمل عليه من كمال العقل، وجميل الصفات[٢]. ولم أجد أحدًا من السابقين تناول هذه الجزئية، ولم يتناولها أحد من اللاحقين سوى ابن تيمية والإمام الألوسي.

أما ابن تيمية: فإنه خاطبهم بأن قولهم لا يلزمنا ثلاثة آلهة كلام باطل؛ لأنهم صرحوا بذلك في عقيدة إيمانهم، فليس ذلك شيئًا ألزمهم الناس به، بل هم صرحوا به في قانون إيمانهم فهم يقولون: (نؤمن بإله واحد ضابط الكل، خالق ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع وبروح القدس الرب المحي المنبثق من

---

(١) يراجع: الجواب الفسيح: (١/ ٧٥) وما بعدها.

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص٣٩، ٤٠).

الأب) ثم ناقشهم في قياسهم ذلك على الإنسان فقال: (وأما تمثيلهم بروح الإنسان ونطقه، فإن أرادوا بالروح حياته، فليس هذا هو مفهوم الروح، وإن أرادوا بالروح التي تفارق بدنه بالموت، وتسمى النفس الناطقة فهذه جوهر قائم بنفسه ليست عرضًا من أعراضه، وحينئذ فيلزم أن تكون روح الله جوهرًا قائمًا بنفسه مع جوهر آخر نظير بدن الإنسان، ويكون الرب سبحانه وتعالى مركبًا من بدن وروح كالإنسان، وليس هذا قول أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى بل هو كفر عندهم فتبين أن تمثيلهم بالثلاثة باطل)[(١)].

وأما الألوسي فذكر رد الإمام القرافي رحمه الله تعالى[(٢)].

تعقيب:

١- يلاحظ في رد الإمام القرافي على مراد النصارى بالأب والابن وروح القدس أنه نازعهم في الإطلاق من جهة الشرع حيث لم يرد به نص، وشاركه في ذلك ابن تيمية والألوسي، أما ابن حزم فقد انفرد بمنازعتهم في إطلاق الأب والابن ليس من جهة الشرع، وإنما من جهة ذات اللفظ، فلفظ الأب يشعر بأنه أعظم من الابن لأن الأب مكانته أعلى من مكانة الابن.

ومن خلال هذا الكلام يتبين أن جواب ابن حزم على هذه الجزئية أقوى من رد القرافي وغيره، لأنه بين أن الألفاظ نفسها منقصة، فكأنه اعتبر الإطلاق الشرعي أمرًا مسلمًا، ولذلك عدل إلى الإطلاق اللفظي.

٢- أما في رد الإمام القرافي على تمسكهم بالإنجيل، فإنه يلاحظ أنه اكتفى ببيان ما ذكره قبلاً من انقطاع سند الأناجيل، وتناقضها الذين يوجبان عدم

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح: (٢/ ٢٠٦، ٢١١).

(٢) يراجع: الجواب الفسيح: (١/ ١٦٦، ١٦٧).

الوثوق بشيء منهما، بخلاف القرطبي، فإنه بيَّن أن النص المعتمد عليه من الإنجيل يحتمل وجوهًا عدة -ذكرها- مبينًا أنه بهذه الاحتمالات صار النص من المتشابهات والمتشابهات لا يتمسك بها في الاعتقادات.

وصنع الألوسي قريبًا من صنيع القرطبي إذ بين أن الدليل به احتمالات، وإذا تطرق الاحتمال إلى الدليل فإنه يسقط به الاستدلال.

وأما الباجي زاده فقد بين أن هذا النص المتمسك به مخالف لما صرح به عيسى عليه السلام من الوحدانية فضلاً عن أنه يلزم عنه أن يكون عيسى عليه السلام والأنبياء قبله عليهم السلام ماتوا كفارًا لعدم إيمانهم بالتثليث ثم بين أن النص المتمسك به يدل على تحريف الأناجيل، لانفراد متى به دون غيره، ولتناقضه مع ما جاء في إنجيل متى نفسه.

ومن خلال ما ذكر يتبين أن الإمام القرافي كان الأولى به ألا يكتفي بما ذكره من عدم الوثوق بالأناجيل، بل كان عليه أن يذكر نص الإنجيل المتمسك به النصارى ويتناوله بالنقد والتفنيد كما فعل غيره من السابقين واللاحقين.

٣- وأما ما استدل به النصارى من البسملة فقد انفرد القرافي في الرد عليه بفضيلة السبق حيث لم يتناول هذه الفقرة أحد من السابقين، ولم يتناولها من اللاحقين سوى الألوسي متأثرًا بالقرافي.

٤- وأما قول النصارى: المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث.. إلخ.

فيلاحظ أن الإمام القرافي في مناقشته ألزمهم إما قلب الحقائق إن قالوا: إن النطق الذي هو معنى هو ابن الله، إذ كيف يكون المعنى إنسانًا يصلب ويقتل؟ وإما أن يقولوا: إن المراد بالنطق أن الله تعالى أخبر عن وجود عيسى في الأزل، وهذا لا يبقي لاعتقاد النصارى في المسيح أثرًا لمشاركة جميع الخلائق لعيسى في

هذه الخاصية، وأما أن يقول معنى ثالثًا، فطالبهم الإمام القرافي به.

هذا: وانفرد القرافي بأنه حاز قصب السبق في هذه الجزئية أيضًا.

٥- وأما قول النصارى: إن الله تعالى أرسل نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له... الخ، فيلاحظ: أن الإمام القرافي خاطبهم ببداهة العقول، إذ الصفات لا تفارق موصوفها، ثم بيّن عدم فهم النصارى لأمور الكون قبل أن يقيسوا عليها، لأن شعاع الشمس وضوءها الموجودين في الشمس ليسا هما الموجودان في الهواء، ثم أبطل قياسهم ذلك على الإنسان ونطقه وعقله، بأن هذا القياس لا يصح لما في الإنسان من أدوات الكلام بخلاف الباري سبحانه وتعالى، فإن كلامه بدون أدوات يتكلم بها.

وأما المهتدي نصر بن يحيى فإنه ألزم النصارى القول بقدم العالم لإمكان أن يصدر عن الله تعالى بطريق صدور الابن عن الوالد، وإذا كان الأمر كذلك فهذا يخالف اعتقاد النصارى أن الإله الابن هو خالق كل العالم.

وأما ابن تيمية فقد بين أن الضوء والحرارة قائمان بذات الشمس لم يحلا بغيرها ولم يتحدا به، وإن قال النصارى إنها بائنان عن الشمس فهذا يفسد قياسهم لأنهما إن بانا عن الشمس فيكف يقاس عليهما أن الإله الابن لم يفارق الإله الأب كحال الشعاع والحرارة، والصورة مختلفة؟ هذا فضلاً على أن الشعاع والضوء.

في حالة الإبانة لا يكونان صفة من صفات الشمس، وإنما هما حاصلان في غير الشمس بسبب الشمس، وهو بهذا اقترب من قول القرافي حيث بين أن هذه أمور في الهواء الحاصل بين السماء والأرض.

وأما الألوسي فقد سار وراء القرافي.

ومن خلال ما سبق نقول: إن رد القرافي على هذه الجزئية أقوى من رد غيره من السابقين واللاحقين؛ لأنه ألزمهم.

- مناقضة العقول.

- عدم فهم حقائق الأمور.

- القول بالتجسيم عند صحة القياس.

وقد شاركه ابن تيمية في الأول والثاني، وانفرد القرافي بالأمر الثالث، وأما ما ذكره المهتدي نصر بن يحيى فهو إذا قورن بما ذكره القرافي كان ما ذكره القرافي أجمع وأشمل.

٦- وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى روحًا وكلمة فيلاحظ في الرد انفراد القرافي بما ذكره في الوجه الأول. ومشاركة غيره له في الوجهين الآخرين ولذلك كان رده أجمع، ناهيك عن أنه انفرد في الوجه الثالث ببيان اختصاص عيسى عليه السلام بكونه روحًا وكلمة.

٧- وأما ما قاله النصارى من عدم لزوم التثليث لهم، فقد حاز القرافي فضيلة السبق في رده، حيث لم يوجد هذا الرد ولا تلك الجزئية عند أحد من السابقين.

هذا: وتفنيد القرافي لتلك الشبهة يبين لنا سعة أفق الإمام القرافي، كما أنه يتضح طول النفس في المناقشة، مما يوضح أن الإمام القرافي لم يكن مجادلاً عاديًا يعرض للفكرة هامشيًا، بل يعرض الشبهة ويفندها تفنيدًا مستفيضًا بما لا يدع مجالاً لأحد أن يعترض.

والله أعلم

الفرع الرابع
إبطال القرافي لعقيدة التثليث

بعد أن رد الإمام القرافي على شبهة النصارى في إثبات التثليث، ناقشهم في عقيدتهم ليبين لهم أنها عقيدة باطلة.

فيسألهم أولاً: هل الله تعالى الأزلي الخالق للعالم، النافخ للروح في آدم واحد أم لا؟ ولا يخلو أن يجيب النصارى إما بالنفي، وإما بالإثبات، فإن قالوا: لا، بين القرافي لهم أنهم بذلك كفروا لمخالفتهم كتبهم: التوراة والإنجيل، ففي التوراة: قال الله لموسى عليه السلام: أنا إلهك فلا يكن لك إله غيري[١] وفيها: اعلم أنني أنا الله وحدي وليس معي غيري أنا أُميت وأحيي، وأسقم وأبرئ، ولا ينجو أحد من يدي[٢].

وفي إنجيل متى: (لا صالح إلا الله الواحد)[٣] وفي إنجيل يوحنا: قال المسيح وقد رفع بصره إلى فوق: إلهي: إن الحياة الدائمة تجب للناس إذا علموا أنك الواحد الحق الذي أرسلت المسيح[٤].

وإن قالوا: نعم: بيَّن الإمام القرافي أنهم بذلك كفروا لمخالفتهم الأمانة لأن فيها إثبات ثلاثة آلهة، ففيها: (نؤمن بالله الأب الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالرب الإله الواحد يسوع المسيح إله الخلق، ونؤمن بروح القدس الواحد الحي)[٥].

---

(١) سفر الخروج: الإصحاح: [٢٠] الفقرتان: [٢، ٣].

(٢) سفر التثنية: الإصحاح: [٣٢] الفقرة: [٣٩].

(٣) الإصحاح: [١٩] الفقرة: [١٧].

(٤) الإصحاح: [١٧] الفقرة: [٣].

(٥) ينظر: تاريخ الكنيسة القبطية: (ص١٩٦)، التوحيد والتثليث: (ص٧)، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية: (ص٦٨، ٦٩).

كما أنهم كفروا لمخالفة صلواتهم التي تثبت التثليث، فهم يقرؤون في صلاة النوم[1]: (الملائكة يمجدونك بتهليلات مثلثة أيها الأب، لأنك لم تزل، وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة ثالوث واحد).

يقوم الإمام القرافي: فقد صرحوا بثلاثة أزلية، وإنسان من بني آدم يسمى يسوع، فهم بذلك يقولون بأربعة آلهة وهم لا يشعرون[2].

فهم كفرة على التقديرين، على قولهم بإثبات التثليث، وعلى القول بنفيه، إما كفرة بكتبهم، وإما كفرة بصلواتهم وأمانتهم. ثم يحصر الإمام القرافي تثليث النصارى في احتمالات ثلاث:

١- إما أن يقولوا: إن الإله واحد، والزائد صفتان، فإن قالوا ذلك، يقول القرافي: فهو كقول المسلمين: إن الله واحد، وله صفات سبع (العلم، الحياة، الإرادة، والكلام، والقدرة، والسمع، والبصر).

ثم يلزمهم بذلك مخالفة قول مشايخ الأمانة: الأب إله واحد، والابن يسوع إله واحد، والروح القدس إله ثالث: كما أنه ألزمهم مخالفة صلواتهم التي فيها إثبات التثليث.

٢- وإما أن يقولوا: الجميع إله واحد، ولا يستقل واحد منهم بالإلهية وهنا يبين لهم القرافي مخالفتهم أمانتهم التي تثبت أن كل واحد من الثلاثة إله مستقل.

٣- وإما أن يقولوا: إن كل واحد من الثلاثة إله، ومجموعها إله واحد، وفي

---

(١) تكون في الساعة الثانية عشر ليلاً، والغرض منها، ذكر دفن المسيح، والطلب منه أن يمكث معهم طوال الليل. ينظر: الصلاة لملاك لوقا (ص٧١)، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٤، ١٠٥).

هذه الصورة يسألهم القرافي قائلاً: الإله عندكم يتصور بدون صفات الكمال من الحياة والكلام أم لا؟

فإن قالوا: نعم، فيلزمهم القرافي بأن كل جماد في العالم إله، ما دام المطلوب لتصور الإله مجرد وجود الذات، وذلك قوله: (فإن زعموا تصور ذلك فكل جماد في العالم أو نبات، أو حيوان هو إله مستقل لاقتصارهم على مجرد ذات المفهوم من الإله فيكون حمار الأسقف إلهًا له، وكذلك جميع حشرات بيته، بل نعله الذي في رجله.

وإن قالوا: لا بد في مفهوم الإله من كونه حيًا متكلمًا، ألزمهم الإمام القرافي أن يقولوا بتسعة آلهة، وبيان ذلك أنهم يقولون: إن كل واحد من الثلاثة إله مستقل، ثم إنه يشترط لكونه إلهًا مستقلاً أن يكون ذا حياة وكلام، فيكون الإله الأب له حياة وكلام، ويكون الإله الابن له حياة وكلام ويكون الإله الروح القدس له حياة وكلام، وحاصل هذه تسعة آلهة ثم يلزمهم القول بوجود آلهة متناهية؛ لأن كل واحد من الآلهة التسعة لا بد لكونه إلهًا أن يكون ذا حياة وكلام، وهذا هو قول القرافي: «وإن قالوا: لا بد من هذه الصفات في مفهوم الإله لزمهم أن يكون لكل واحد من الثلاث علم وحياة وكلام التي هي عندهم: الأقانيم الثلاث، فيصير التثليث تتسيعًا، ويلزمهم أن يكون كل واحد من التسع إلهًا؛ لأن كل واحد منها مساو لكل واحد من الثلاثة الأول، فيحتاج كل واحد من التسع إلى صفات ثلاث؛ لأنه حينئذ إله، فيلزم التسلسل، وآلهة غير متناهية وموجودات ليس لها غاية وهذا محال كله»[1].

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإنا نجد الحسن ابن أيوب، وتبعه المهتدي نصر

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١١١).

بن يحيى يذكران صورة واحدة من الاحتمالات الثلاث التي ذكرها الإمام القرافي، وهي أن القول بان كل واحد من الأقانيم الثلاثة إلهًا يستلزم آلهة غير متناهية وذلك قولهما: (وإذا قلتم بثلاثة أقانيم كل أقنوم بذاته، فلا بد من أن تعترفوا ضرورة بأن كل أقنوم منها حي سميع بصير عالم حكيم منفرد بذاته وإذا كان الأمر كذلك، فقد جعلتم الله أقانيم له صفة الحياة والحكمة وسائر الصفات، ولكل واحد من أقنومي الحياة، والحكمة، له مثل الذي له، وما فيها أقنوم له صفة إلا ويحتمل على قياس قولكم -لأنهم جعلوا الابن مثل الأب، والروح القدس كذلك- أن تكون صفته مثله، فإذا كانت هذه الأقانيم آلهة، وكل صفة إله، وهي من جوهره، فيجب أن تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الأقانيم إلهًا مثله، إذ كان من جوهره فيتسع الأمر في ذلك حتى لا يكون له غاية ولا نهاية)[1].

ونجد الإمام القرطبي يذكر احتمالات ثلاثة، وهي: إما أن يكون كل واحد من الثلاثة أقانيم إلهًا، أو جزء إله، او يكون مجموعها إلهًا واحدًا، فإن كان جزء إله فإنه يلزمهم أن يكون الإله متركبًا متبعضًا، وإن كان كل واحد منها إلها بانفراده، فإنه يلزمهم:

- أن يكون كل واحد من هذه الأقانيم حيًا عالمًا مريدًا قادرًا موصوفًا بصفات الكمال لأن الإله هو الموصوف بصفات الكمال، وإذا أقر النصارى بذلك لزمهم أن تقوم الصفة بالصفة، وقيام الصفة بالصفة باطل.

- وإذا جاز قيام الصفة بالصفة، جاز أن يقوم بالصفة صفة، وبتلك الصفة

---

(١) ينظر: رسالة الحسن بن أيوب ضمن كتاب ابن تيمية: الجواب الصحيح: (٢/ ٢٩٣، ٢٩٤)، والنصيحة الإيمانية: (ص١٢٦، ١٢٧).

صفة، ويتسلسل الأمر، وإذا تسلسل الأمر -يلزم مع بطلان التسلسل- أن تكون الأقانيم لا نهاية لها.

وإن لم يعترف النصارى أن هذه الأقانيم موصوفة بصفات الكمال، فلا تكون هذه الأقانيم آلهة، وقد أطبق النصارى على أنها آلهة، ويلزمهم إن لم تكن هذه الأقانيم موصوفة بهذه الصفات وصفها بأضدادها، أو الانفكاك عنها، فإن لم يوصف بحياة وصف بالانفكاك عنها، والمنفك عن الحياة ميت فيلزمهم أن يقولوا بآلهة أموات، وذلك يلزم في سائر الصفات.

وأما الاحتمال الثالث فلم يجب عنه القرطبي[1].

ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر السؤال الذي سأله الإمام القرافي، بدون أن يلزمهم القول بأربعة ألهة كما فعل القرافي، ويذكر الاحتمالات الثلاثة التي ذكرها القرافي مع توسع في المناقشة والتمثيل، ولكن المضمون واحد، إلا أنه في الاحتمال الثالث الذي ذكره القرافي -قول: إن كل واحد من الثلاثة إله- ذكر صورتين، إما أن يقول النصارى: كل واحد من الثلاثة إله على سبيل الحقيقة، أو على سبيل التجوز والتوسع، فإن قالوا بالأول فإنه يسألهم كما سألهم القرافي هل يجوز خلو الإله من العلم والحياة أم لا؟

فإن قالوا: نعم، فإنه يلزمهم أنه لا حاجة إلى الأقانيم مادام الإله مستغنيًا عنها. وإن قالوا: لا، فالجواب كما ذكره القرافي.

وإن قالوا بالثاني، فالجواب: أن هذا ترك للتثليث، وإثبات للواحدانية، وأيضًا فيه تسمية صفات الله تعالى آلهة تحكمًا وتخرصًا من غير توقيف ولا دلالة، بل فيه مخالفة لما في الأمانة من أن المسيح إله أتقن العوالم بيده، ولا يصح ما جاء

(١) يراجع: الإعلام: (ص٨٦) وما بعدها.

في الأمانة على القول بأن الابن إله على سبيل التجوز والتوسع[١].

وإذا جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي، فلا نجد إلا الألوسي اختصر ما ذكره أبو البقاء الجعفري، من الاحتمالات الثلاثة، وقد صرح الألوسي بذلك قبل ذكر كلام أبي البقاء الجعفري[٢].

تعقيب:

يلاحظ أن الإمام القرافي في مناقشته للنصارى في هذا المسلك يلزم النصارى الكفر -في سؤاله الذي يسأله لهم- لمخالفة كتبهم، أو مخالفة الأمانة والصلوات، وفي الاحتمالات الثلاثة التي ذكرها يلزمهم مخالفة كتبهم إن قالوا: الإله واحد والزائد صفات، وكذا إن قالوا: الجميع إله واحد، أو يلزمهم وجود آلهة لا تتصف بصفات الكمال إن قالوا بعدم اشتراط ذلك في الإله، أو يلزمهم القول بتعدد آلهة إلى ما لا نهاية لها، إن قالوا: إنه يشترط في الإله أن يتصف بصفات الكمال من الحياة والكلام.

والإمام القرافي في رده هذا يسير وراء أبي البقاء الجعفري مع الاحتفاظ بشخصيته، لأنه في السؤال الذي سأله للنصارى ألزمهم القول بأربعة آلهة، وهذا لم يذكره أبو البقاء الجعفري، وإن ذكر نفس السؤال.

كما أن القرافي في الاحتمال الثالث ألزم النصارى القول بوجود آلهة غير متناهية لا تتصف بصفات الكمال، وأبو البقاء الجعفري لم يأت بهذا الإلزام مع أنه ذكر نفس الاحتمال.

وإذا ما قورن ما ذكره الحسن بن أيوب والمهتدي نصر بن يحيى بما ذكره

---

(١) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٣٥٧، ٤٩٤) وما بعدها.
(٢) يراجع: الجواب الفسيح: (١/ ١٥٥) وما بعدها.

القرافي، كان رد القرافي أقوى وأشمل لاشتراكه معهما في نفس الجزئية، وزيادة ما لم يذكراه، وعند المقارنة بينهما وبين القرافي في الجزئية المشتركة، كانت عبارة القرافي أوضح وأشفى بيانًا.

أما ما ذكره القرطبي فزيادة تحسب له، ولكن يؤخذ عليه أن صورة من الاحتمالات غائبة وهي أن يكون واحد من الأقانيم إلهًا، والباقي صفات له، كما يؤخذ عليه أنه ذكر ثلاث صور ولم يجب عن صورة منها.

والله أعلم



الفرع الخامس
قياس النصارى التثليث على الصفات الموهمة للتشبيه ورد القرافي عليهم

أولاً: قياس النصارى:

لما كان تثليث النصارى فيه تعدد للآلهة، وفيه قول بتركيب ثلاثة آلهة في إله واحد، كما أن فيه ولادة مباضعة (ولادة الإله الابن من الأب عن طريق التناسل)، لما كان كل ذلك في تثليث النصارى، فروا من ذلك بقولهم: نحن لا نعتقد ذلك، وقاسوا ذلك على مسلمات للمسلمين، وهي ألفاظ وردت في كتابنا توهم أن الله تعالى جسم، كلفظ اليد والعين وغيرهما، ومع ذلك لا يعتقده المسلمون.

فكأنهم يقولون: كما أنكم لا تعتقدون في هذه الألفاظ التجسيم فكذلك نحن لا نعتقد في التثليث تعدد الآلهة، ولا التركيب ولا بنوه المباضعة، وهذا نص كلامهم: (إذا قال المسلمون: لم أطلقتم لفظ الابن والروح والأقانيم، مع أن ذلك يوهم أنكم تعتقدون تعدد الآلهة وأن الآلهة ثلاثة أشخاص مركبة، وأنكم تعتقدون ببنوة المباضعة، قلنا للمسلمين: هذا كإطلاق المتشابه عندكم من لفظ اليد والعين، ونحوهما مما يوهم التجسيم، وأنتم لا تعتقدونه)[1].

ثانيًا: رد الإمام القرافي:

أجاب الإمام القرافي على هذا الكلام، بأنه لو سلم بما تقولون من عدم اعتقادكم ذلك، فإن أصل العقيدة عندكم غير ثابت، وغير مسلم به، بخلاف

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٤١)، وهذه الشبهة ذكرها ابن تيمية بتفصيل عما ذكره القرافي، ينظر: الجواب الصحيح (٣/ ١١٠) وذكرها عبد المسيح، ورد عليه الألوسي: ينظر: الجواب الفسيح (١/ ١٦٧).

إطلاق المسلمين المتشابه على الله تعالى، فإنهم يطلقون المتشابه، بعد ثبوته نقلاً متواترًا يقطع به عن الله تعالى أنه أمر بتلاوته.

أما أنتم فليس عندكم نقل متواتر للأناجيل، حتى نسلم بصحة العقيدة، ونقول بعدها: إنكم لا تعتقدون التعدد، ولا التركيب والمباضعة، بل إنكم تنقلون أصول دينكم عن امرأة[1]، بل لو طولبوا برواية الأناجيل لعجزوا. ثم يطالبهم القرافي بدليل من كتبهم فيه إطلاق الأقانيم التي أطلقوها على الله، وفيه تسمية الله بالجوهر، فلا يجدون، وإذا انتفى الدليل ثبت أنهم عصاة؛ حيث أطلقوا على الله تعالى ما لم يثبت عندهم بالنقل[2].

ولم أجد أحدًا ذكر هذه الشبهة وأجاب عنها قبل القرافي، وأما المتأخرون عن الإمام القرافي، فنجد ابن تيمية ذكر هذا القياس، وأطال النفس جدًا في الجواب عليه، نذكر أهم ما ذكره من وجوه، وهي:

١- أن ما جاء عند المسلمين مما يوهم التجسيم، وصْف لله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفته به رسله عليهم الصلاة والسلام، وأما ما جاء به النصارى، فليس في كلام الأنبياء -لا المسيح ولا غيره- ذكر أقانيم لله ثلاثة، ولا أكثر، ولا إثبات ثلاثة صفات، ولا تسمية شيء من صفات الله تعالى ابنًا، ولا أبًا، ولا تسمية حياته روحًا، بل كل ذلك ابتدعوه بعد عيسى عليه السلام. وهذا هو سر إنكار المسلمين عليهم أنهم ابتدعوا ما لم تأت به الرسل، ولم تشهد به

---

(١) يشير القرافي إلى ما جاء من الأناجيل منقولاً عن مريم المجدلية من أن المسيح قام من بين الأموات، وأمرها أن تذهب إلى التلاميذ وتخبرهم عن صعوده إلى أبيه -كما يقولون- في السماء. إنجيل لوقا: الإصحاح: [١٦] الفقرات: [٩-١١]، إنجيل يوحنا: الإصحاح: [٢٠]، الفقرات: [١١-١٨].

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص٤١، ٤٢).

الكتب[(١)].

٢- ما ذكره المسلمون من ألفاظ توهم التجسيم موجود مثله في التوراة التي يدين بها النصارى -والنصارى يختلفون في معناه كما يختلف المسلمون في معناه- وإذا كان الأمر كذلك فقد شاركوا المسلمين في هذه النصوص، وزادوا ما لم يأت به كتاب، ولم يقله أحد من أهل الملل من القول بالتثليث. يقول ابن تيمية: (ما في القرآن والحديث عن النبي ﷺ من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس تجسيمًا هو مثل ما جاء في التوراة وسائر الأنبياء، فقد جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن حبرًا من أحبار اليهود جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إن الله عز وجل يوم القيامة يحمل السموات على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: «أنا الملك» قال: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجزه تعجبًا وتصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧][(٢)].
وفي التوراة: (أن الله كتب التوراة بإصبعه)[(٣)].

ثم يقول: (فإذا كانت هذه الصفات قد جاءت في الكتب الإلهية، التوراة

---

(١) يراجع: الجواب الصحيح: (٣/ ١١١-١١٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري: ك: التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ حديث رقم (٤٥٣٣)، صحيح البخاري (٤/ ١٨١٢). وأخرجه الإمام مسلم: ك: صفة القيامة، ولم يذكره النووي تحت باب. حديث رقم (٢٧٨٦)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٤٧) عن ابن مسعود.
ووجه الدلالة من الحديث: أن الرجل سأل رسول الله ﷺ عن شيء لا يعلم إلا من كتاب سماوي ورسول الله صدقه، مما يدل على أن هذا وارد في توراة اليهود.

(٣) سفر الخروج: الإصحاح (٣١)، الفقرة (١٨).

وغيرها كما جاءت في القرآن، لم يكن للمسلمين اختصاص بذلك، ولم يجز للنصارى أن يجعلوا ذلك نظير ما اختصوا به من التثليث والاتحاد، فإن ذلك مختص بهم، وهذه الصفات قد اشترك فيها أهل الملل الثلاث، فكيف يجوز تشبيه هذا بهذا؟[1]

٣- بيَّن فساد تشبيه النصارى بالمسلمين في هذا القياس فقال: [غاية مقصودكم: أن تقولوا: إن المسلمين لما أطلقوا ألفاظًا ظاهرها كفر عندهم؛ لمجيء النص بها، وهم لا يعتقدون ظاهر مدلولها، كذلك نحن أطلقنا هذه الألفاظ التي ظاهرها كفر؛ لمجيء النص بها، ونحن لا نعتقدها مدلولها. فيقال لكم: إن ما أطلقه المسلمين من نصوص الصفات أنتم أطلقتموه، كما وردت به التوراة، فهو مشترك بينكم وبينهم، وما اختصصتم به من التثليث والاتحاد لم يشركوكم فيه.

ثم يقال ثانيًا: إن المسلمين أطلقوا ألفاظ النصوص، وأنتم أطلقتم ألفاظًا لم يرد بها نص، والمسلمون قرنوا تلك الألفاظ بما جاءت به النصوص من نفي التمثيل، وأنتم لم تقرنوا بألفاظكم ما ينفي ما أثبتموه من التثليث والاتحاد. والمسلمون لم يعتقدوا معنى باطلاً، وأنتم اعتقدتم من التثليث في الأقانيم والاتحاد ما هو معنى باطل.

والمسلمون لم يسموا صفات الله بأسماء أحدثوا تسمية الصفات بها، وحملوا كلام الرسل عليها، وأنتم أحدثتم لصفات الله أسماء سميتموه أنتم بها، لم تسمه بها الرسل، وحملتم كلام الرسل عليها، والمسلمون لم يضعوا لهم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل، وأنتم وضعتم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل،

---

(١) يراجع: الجواب الصحيح: (١/ ١١٧، ١١٩).

والمسلمون لم يقولوا قولاً لا يعقل، وأنتم قلتم قولاً لا يعقل، والمسلمون لم يتناقضوا، فيجعلوا الإله واحدًا، ويجعلونه اثنين، بل ثلاثة، وأنتم تناقضتم، فهذه الفروق وغيرها مما يبين فساد تشبيهكم أنفسكم بالمسلمين][(١)].

ونجد الإمام الألوسي يقول: (إن المتشابه الوارد عندنا وارد في جميع الكتب السماوية، وكافة الكتابيين يؤولون ذلك بما يليق بجلال الله سبحانه وذاته العلية، أو يؤمنون به من غير بحث عن الكيفية، ولا يعتقدون التجسيم والتشبيه بمخلوقاته سبحانه وتعالى، والمسلمون يقرأون الآيات كما وردت، ولا يشبهون ولا يعطلون، أو يؤلون تأويلاً حسنًا، كما أن اليهود والنصارى يؤولون الآيات المتشابهة عندهم، فإن كانوا هم أولوه فنحن أولناه على معنى حسن، أو لا نؤوله، فنحن وسائر أصحاب الكتب السماوية على ذلك) ثم بيّن أن النصارى، كتبهم غير موثوق بها، ومع عدم الوثوق بما فيها من الدلالة على التثليث من قول عيسى: (عمدوا باسم الأب والابن والروح القدس) فليتهم رووا ذلك وسكتوا، بل أخذوا بظاهره وحكموا أن عيسى عليه السلام إله تام ابن جوهر أبيه، فأين هذا من صنيع المسلمين بالمتشابه، إما أن يحملوه على معنى حسن صحيح، أو يسكتوا عنه، ويكلوا علمه إلى الله تعالى بدون تشبيه ولا تعطيل؟ فأين هذا من ذاك حتى يشبهوا أنفسهم بالمسلمين؟[(٢)]

والإمام الألوسي في رده هذا لخص ما ذكره ابن تيمية في الوجه الثاني[(٣)]، وفرَّع على رده هذا هذه المفارقة بيننا وبين النصارى في التأويل.

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح: (٣/ ١٢٨، ١٢٩).
(٢) يراجع: الجواب الفسيح: (١/ ١٦٧، ١٦٩).
(٣) يقارن ما ذكره الألوسي بما جاء في الجواب الصحيح: (٣/ ١١٧، ١١٩).

تعقيب:

من خلال ما سبق يتبين أن:

الإمام القرافي في رده على قياس النصارى بين لهم أن القياس هنا متعذر؛ لأنه قياس لما هو غير ثابت على ما هو ثابت، فمستند النصارى في عقيدة التثليث، إنما هو الأناجيل، والأناجيل لا تثبت بها عقيدة لفقد الرواية لها، فضلاً عن كون نقلها ليس متواترًا، بخلاف الآيات الموهمة للتشبيه، فإنها واردة في القرآن الكريم المنقول نقلاً متواترًا، وإذا كان الأمر كذلك، فلا يصح قياس ما هو غير ثابت على ما هو ثابت.

كما أنه بيّن للنصارى زيادة -على ما سبق- أن في التثليث إطلاق الأقانيم والجوهر على الله تعالى، وهذه الأقانيم، ولفظ الجوهر، لم يأت بها كتاب من الكتب السماوية، فكيف أطلقوه على الله تعالى؟

وقد شارك ابن تيمية الإمام القرافي في أن عقيدة التثليث ما فيها من الأقانيم والجوهر لم يأت به كتاب سماوي، إذًا فهي ابتداع من النصارى، وكذا شاركه في هذا الأمر الإمام الألوسي.

لكن ابن تيمية زاد أن النصوص الموهمة للتشبيه موجودة في كتب أهل الكتاب، فهم قد شاركوا المسلمين في هذا الأمر، وزادوا ما لم يأت به شرع من القول بالتثليث، وسار وراءه الألوسي في هذا الأمر.

ثم بيّن ابن تيمية فساد المشابهة بين المسلمين وأهل الكتاب، وإذا لم تصح المشابهة فإن القياس فاسد.

وأما الألوسي فزاد أن النصارى مع عدم صحة كتبهم متكلفون في عقيدتهم فهم يحملون النصوص على ما لم يذكر في كتاب، ولا جاء به رسول مما لا يليق

بالباري سبحانه وتعالى، فأين هم من المسلمين السالكين في الآيات الموهمة للتشبيه مسلك التأويل الصحيح، أو التفويض الصريح حتى يصح القياس؟

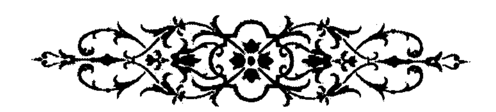
ومن خلال هذا يتبين:

أن للإمام القرافي -رحمه الله تعالى- قصب السبق في الرد على هذه الشبهة، كما أنه انفرد ببيان فساد القياس من جهة أنه لا يقاس ما هو مقطوع سنده، وغير مجزوم به، على ما هو مقطوع ومجزوم بثبوته.

وأما ابن تيمية فله فضيلة معالجة القضية من جميع جوانبها، فهو بيَّن أنها مبتدعة، وأنها موجودة في كتبهم، فما يقال علينا يقال عليهم، كما أنه بيَّن فساد المشابهة بيننا وبينهم، وبالتالي لا يصح القياس.

وأما الألوسي، فقد لخص بعض ما ذكره ابن تيمية، وفرع عليه المفارقة بيننا وبينهم في التأويل.

والله أعلم



المسلك الرابع
عقيدة الحلول والاتحاد، وموقف القرافي منها

وفيه فروع:

الفرع الأول: عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى.

الفرع الثاني: مناقشة القرافي لفرق النصارى الثلاثة في عقيدة الحلول والاتحاد.

الفرع الثالث: المحالات العقلية التي ألزم القرافي النصارى بها على قولهم بالحلول والاتحاد.

الفرع الرابع: استدلال النصارى بالقرآن الكريم على جواز الاتحاد ورد القرافي عليهم.



الفرع الأول
عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى

الحلول، والاتحاد، والتجسد، والتأنس، ألفاظ تصادف الباحث في عقائد النصارى عند حديثهم عن عقيدة الحلول والاتحاد، فلا بد من بيان معاني هذه الألفاظ قبل بيان مفهوم هذه العقيدة عند النصارى.

الاتحاد:

هو تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من اثنين فصاعدًا، وقيل: هو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا، لاتصال نهايات الاتحاد[١].

والاتحاد عند النصارى يدل على ارتباط بين ذاتين، أما ماهية هذا الارتباط فغير معروفة[٢].

الحلول:

عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفًا للآخر، كحلول الماء في الكوز، وقيل: هو عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد[٣].

ومن خلال ما ذكر يتضح أن معنى الاتحاد قريب من معنى الحلول، وخصوصًا عند مقارنة تعريف الحلول الثاني بتعريف الاتحاد، ولعل لهذا السبب اكتفى بعض من ناقش النصارى في هذه العقيدة بالترجمة بالحلول وحده، أو

---

(١) التعريفات: (ص٢٢)، التوقيف على مهمات التعاريف: (ص٣١).
(٢) ينظر: مقالات لاهوتية: (ص١٣٦).
(٣) التعريفات: (ص١٢٥).

الاتحاد والحلول، وجعل الحديث منصبًا على الاتحاد مما يبين تقارب المعنى[(١)].

ويؤكد تقارب المعنى بينهما ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية من تعريف الحلول بأنه عبارة عن الاتحاد الجوهري بين اللاهوت والناسوت[(٢)].

والذي يظهر صوابه: أن الحلول غير الاتحاد، فالحلول: جعل أحد الجسمين طرفًا للآخر، وقد يكون ذلك بدون اختلاط، أما الاتحاد: ففيه معنى الممازجة والمخالطة بحيث يصيران شيئًا واحدًا، ويدل على هذا اختلاف اللفظين، وأن العرب لا تجعل للمعنى الواحد لفظين إلا إذا أفاد أحدهما معنى جديدًا، فالترادف التام غير موجود في لغة العرب.

التجسد Incarnation:

يعني النصارى به أن الأقنوم الثاني من الثالوث اتخذ جسدًا بشريًا من العذراء مريم، بحلول الروح القدس في أحشائها.

والتأنس:

يعنون به: أن الإله الابن -الأقنوم الثاني- صار كالبشر في كل شيء ما عدا الخطيئة وحدها. ويعبر النصارى عن التجسد بالتأنس، وعن التأنس بالتجسد[(٣)].

---

(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص٨٣)، الإعلام (ص٩١) وما بعدها.

(٢) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية -أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشيد وغيرهما: (٨/ ٥٥) تحت مادة الحلول.

(٣) يراجع: مقالات لاهوتية: (ص١٣٦)، موسوعة علوم الدين (ص٧)، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (٤/ ٥٧).

مفهوم الاتحاد والحلول عند النصارى:

يتفق النصارى على أن الإله الابن هبط من السماء، وحل في مريم العذراء، واتحد لاهوت الابن بجسد عيسى أو ناسوته، ولكنهم اختلفوا بعد ذلك هل للابن طبيعة واحدة أو طبيعتان:

فقالت اليعاقبة: إن الإله الابن اتخذ من جسد مريم جسدًا بشريًا له نفس ناطقة وعاقلة، دون تحول في الطبيعة اللاهوتية، فالطبيعتان قد اتحدتا بدون تحويل، ولا تغيير، فلا الطبيعة الإلهية تزحزحت عن بساطتها وعدم تركيبها، ولا الطبيعة البشرية تحولت إلى الطبيعة اللاهوتية، ولاهوت المسيح وناسوته عندهم وحدة تصدر عنها كل أعماله، طبيعة واحدة من طبيعتين: ومشيئة واحدة من مشيئتين. وما دام لاهوت المسيح متحدًا بناسوته، فالأعمال التي تصدر عنه تكون صادرة عن هذه الوحدة[(١)(٢)].

وقالت النساطرة: إن الاتحاد تم بين القديم والمحدث، وإن تسمية المسيح ابن الله بطريق الإكرام البشري، وفي المسيح جوهران وأقنومان أحدهما جوهر الكلمة، والآخر جوهر الإنسان، والاتحاد عندهم مجازي لا حقيقي[(٣)].

---

(١) يراجع: الملل والنحل: (١/ ٢٢٥)، مقالات لاهوتية: (ص١٨)، مصباح الظلمة (ص١١٩)، التوحيد والتثليث: (ص١٠٩، ١١٠).

(٢) الكنائس التي تقول بالطبيعة الواحدة الآن هي:

١- الكنيسة المصرية في مصر والحبشة.

٢- الكنيسة الأرثوذكسية السريانية التي يرأسها بطريرك السريان، وتتبعها كثير من مسيحي آسيا.

٣- الكنيسة الأرثوذكسية الأرمينية، يراجع حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة: أحمد حجازي السقا: (ص١٣٥، ١٣٦)، دار الفضيلة - القاهرة.

(٣) يراجع: الملل والنحل: (١/ ٢٤٢)، مصباح الظلمة: (ص١٣، ١٤).

وقالت الملكانية: إن المسيح جوهران، وطبيعتان، وله فعلان ومشيئتان، أحدهما الإلهية عملت المعجزات، والأخرى الإنسانية نالها الألم والموت والصلب، ويقولون: الكلمة مازجت جسد عيسى عليه السلام تماذج الخمر أو اللبن والماء(١).

فالخلاف بين النساطرة والملكانية إنما هو في كيفية الاتحاد، فالنسطورية يقولون: إنه مجازي على سبيل التكريم، والملكانية يقولون: إنه حقيقي كما يمازج الماء اللبن.

سبب الاتحاد عند النصارى:

١- أن الاتحاد إنما هو لخلاص البشر من شرك الخطيئة، وقد سبق ذلك مفصلاً في عقيدة الصلب والفداء.

---

(١) يراجع: الملل والنحل: (١/ ٢٢٠)، مصباح الظلمة: (ص١٤). والكنائس التي تقول: إن للمسيح طبيعتين هي جميع الكنائس الأخري غير الكنائس الثلاث التي تقول بالطبيعة الواحدة.

وقد ظلت الطوائف القائلة بالطبيعتين والمشيئتين متفقة في آرائها إلى أن دب بينها في منتصف القرن التاسع خلاف بشأن الأقنوم الذي انبثق منه روح القدس، فذهب بعض هذه الطوائف إلى أن انبثاق روح القدس كان من الأب وحده، وذهب بعضها الآخر إلى أن انبثاقه كان من الأب والابن وحده، وكان ذلك سببًا في انقسام الكنائس القائلة بالطبيعتين إلى كنيستين رئيستين:

أحدهما: الكنيسة الشرقية اليونانية، وهي التي يذهب أصحابها إلى أن روح القدس منبثق من الأب وحده: والمشايعون لها أكثرهم في الشرق في بلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب وغيرها.

وثانيتهما: الكنيسة الغربية اللاتينية أو كنيسة روما، وهي التي تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الأب والابن معًا، والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم في الغرب في بلاد إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية، يراجع: حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة: (ص١٣٩، ١٤٠).

٢- يذهب بعض النصارى إلى أن الله عز وجل لما كلم العالم على ألسنة أنبيائه، ولم يمتثلوا لهم، نزل هو سبحانه، واتحد بجسد عيسى عليه السلام؛ ليكلم الناس بذاته؛ لئلا يكون لهم حجة عليه، فتنقطع حجتهم حينئذ، من أجل أنه كلمهم بذاته، لا بواسطة بينهم وبينه[١].

تعقيب:

إن عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى بهذه الصورة التي صورت بها تثير في النفس أسئلة كثيرة منها:

١- كيف فارق الإله الابن أباه، وهو كلامه؟ ولا سيما أن النصارى يقولون -فرارًا من هذا السؤال-: إن الاتحاد بدون انفصال[٢] وإذا كان بدون انفصال، فكيف حصل الاتحاد والامتزاج؟

٢- كيف يكون اتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج -على رأي اليعاقبة أو الأرثوذكس-؟ فالقول بعدم الاختلاط والامتزاج ينافي القول بالاتحاد، والقول بالاتحاد ينافي القول بعدم الاختلاط والامتزاج، ولا يصح قبول هذا الكلام إلا عند جعل العقول وراء الظهور، والذي يؤيد هذا أنهم لكي يجعلوا عقيدة الاتحاد مقبولة يقولون: هي فوق طور العقول[٣].

٣- كيف تصدر المخلوقات عن مشيئتين على قول الملكانية والنساطرة؟ ومن منهما الغالبة؟ هل الإلهية أو الإنسية؟ فإن كانت الإلهية، فلا حاجة إلى الإنسية، وإن كانت الإنسية فلا حاجة إلى الإلهية، وكفى بذلك كفرًا أن يغلب

(١) ينظر: بين الإسلام والمسيحية: (ص٨٢، ٨٣).
(٢) التثليث والتوحيد: (ص١٠٥).
(٣) يراجع: مصباح الظلمة: (ص١٠)، خلاصة الأصول الإيمانية في الكنيسة: (ص١١).

البشر ربه.

وإن استغنت إحداهما عن الأخرى، فلا داعي للقول بالاتحاد، وإن تعاونتا، فالإله عاجزًا لاحتياجه إلى غيره، فلا يكون إلهًا.

والله أعلم



الفرع الثاني
مناقشة القرافي لفرق النصارى الثلاثة في عقيدة الحلول والاتحاد

مناقشة اليعاقبة (الأرثوذكس):

يبين الإمام القرافي رأى اليعاقبة في قوله: (اليعاقبة ادعت أن المسيح عليه السلام صيره الاتحاد طبيعة واحدة وأقنومًا واحدًا)[١] ثم ناقشهم بأنه لا يخلو الحال من أن تبقى حقيقة اللاهوت والناسوت بعد الاتحاد كل على حالها، أو أن تتغيرا فإن بقيتا على حالهما، فلا معنى للقول بالطبيعة الواحدة، بل ولا للقول بالاتحاد؛ لأنهما حقيقتان وإن تغيرتا، فهذه حقيقة ثالثة لا لاهوت، ولا ناسوت، وعليه فلا يوصف المسيح بأنه إله، ولا بشر، بل اطلبوا له وصفًا آخر لم يقله أحد قبلكم.

كما أنه يلزم في حال تغيير الطبيعتين بالاتحاد أن يصير الإله محدثًا، والمحدث قديمًا، وأن يصير المخلوق خالقًا، والخالق مخلوقًا، ضرورة اتحاد الحقيقتين، وهذا لازم باطل بالضرورة، يقول القرافي في رده على اليعاقبة مبينًا ما ذكرت: (والسؤال عليهم: أن حقيقة اللاهوت والناسوت إن بقيتا بعد الاتحاد على حالهما بطل قولهم: صارتا طبيعة واحدة، وإن تغيرتا عن حالهما، فهذه حقيقة أخرى لا لاهوتًا ولا ناسوتًا، فلا تصفوا المسيح عليه السلام بأنه إله، ولا إنسان، ويلزمهم: أن القديم صار محدثًا، والمحدث صار قديمًا؛ لضرورة اتحاد الحقيقة، وأن يصير الخالق مخلوقًا والمخلوق خالقًا؛ لضرورة اتحاد الحقيقة)[٢].

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٩).
(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٩).

مناقشة الملكانية[١]:

يبين الإمام القرافي رأي الملكانية أولاً، فيقول: (يقولون: هما بعد الاتحاد جوهران في أقنوم واحد، ومشيئتان، فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب، وله بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود عليهما السلام. وهو شخص واحد، فأوجبوا الاتحاد في الشخص فقط: لاعتقادهم استحالته في الحقائق)[٢].

ثم يناقشهم مبينًا لهم أن الاتحاد في شخص كلام غير معقول؛ إذ كيف يكون اتحاد جوهر اللاهوت والناسوت في شخص واحد بدون اختلاط كل بالآخر؟

ثم بين أن الاتحاد إما أن يقصدوا به الامتزاج، فإن قصدوا ذلك، فقد لزمهم ما لزم اليعاقبة، وإما أن يقصدوا أن الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحد وإن قصدوا ذلك فإن الإمام القرافي يبين لهم أن خلطًا في المفهوم حصل لهم، فهذا حلول وليس اتحادًا[٣].

ثم بيَّن ما في الحلول من استحالة، ذلك لأنه لوحل الإله الابن في جسد عيسى عليه السلام، يلزم أن يكون الإله أصغر من آحاد اليهود؛ لأنه إن حل الإله في عيسى، وهو كان سياحًا قليل الغذاء، كثير الأسفار، ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم، والحالُّ أبدًا يكون أصغر من المحل، فيكون بذلك اليهودي البَدنُ أعظم من عيسى الذي هو إله عندهم، وهذا لا يقوله عاقل، ثم يقول

---

(١) الملكانية والنسطورية موزعون الآن بين الكاثوليك، والبروتستانت.

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١١٠).

(٣) يلاحظ أن الإمام القرافي يقول بالفرق بين الحلول والاتحاد، بأن الاتحاد فيه امتزاج، وأن الحلول فيه معنى جعل الحالِّ مظروفًا للمحل وهذا يجعلنا نطمئن شيئًا ما إلى ما ذكرناه من الفرق بين الحلول والاتحاد.

الإمام القرافي: وإن أرادوا بالاتحاد معنى ثالثًا فهذا غير معقول[١]؛ لأنه لا يوجد للاتحاد غير هذين المعنيين.

مناقشة النساطرة:

يبين الإمام القرافي مذهب النساطرة في قوله: (يقولون: هما بعد الاتحاد جوهران، أقنومان باقيان على طبعهما) ثم يناقشهم الإمام القرافي مبينًا لهم، أن الطبيعتين إن كانتا في شخص واحد فهذا باطل، لأن الطبيعتين لا تقومان في محل واحد.

وإن كانتا في شخصين فذلك يكذبه الحس؛ لأن عيسى عليه السلام كان شخصًا واحدًا، وعليه يكون مذهبهم من قبيل السفسطة، ومخالفًا للضروريات وكفى بذلك بطلانًا[٢].

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإنا نجد ابن حزم رد على الفرق الثلاثة إجمالاً، مبينًا أنه ليس في أناجيلهم ما يدل على الطبيعة الواحدة، ولا الطبيعتين، فمن أين أتوا بهذا؟ ثم ناقش كل فرقة على حدة، فبين أن قول اليعاقبة بالطبيعة الواحدة كاتحاد الماء يلقى في الخمر، فيصيران شيئًا واحدًا فيه: أنه إذا كان الإله استحال إنسانًا، فالمسيح إنسان وليس إلهًا، وإن كان الإنسان استحال إلهًا فالمسيح إله، وليس بإنسان، وإن كان كلاهما لم يستحل واحد منهما إلى الآخر، فهذا قول النساطرة لا قولهم.

وإن كان كل واحد منهما استحال إلى الآخر فقد صار الإله إنسانًا لا إلهًا، وصار الإنسان إلهًا لا إنسانًا، وإن كانا استحالا إلى غير الإنسان والإله، فالمسيح

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١١٠).
(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١١٠).

لا إله، ولا إنسان، وكل هذا خلاف قولهم.

وناقش النساطرة فبيّن أن قولهم ليس فيه زيادة على أن الإنسان إنسان والإله إله، وكذلك كل فاضل وفاسق في هذا العالم هو إنسان، والإله إله فالمسيح وغيره من الناس سواء.

وناقش الملكانية بأن قولهم: إن للمسيح طبيعتين: اتحد فيه اللاهوت بالناسوت كاتحاد النار في الصفيحة المحماة، فيه أن الإله عرض حل في الإنسان الجوهر، وهذا في غاية الفساد(١).

كما أننا نجد المهتدي نصر بن يحيى يناقش فرق النصارى، فيرد على اليعاقبة بما هو قريب مما ذكره القرافي، إذ بين لهم: أنه بعد الاتحاد، لا يخلو من أن تبقى حقيقة كل، وهذا يدفع القول بالطبيعة الواحدة، كما أنه قول النساطرة أو أن يبطل أحدهما الآخر، ويخرجه عما كان عليه قبل الاتحاد، وهذا يخرج المسيح عن أن يكون قديمًا، أو محدثًا، وعن كونه إلهًا، وعن كونه بشرًا مع أن العيان يبطل هذا الكلام؛ لأنه شاهد بأن ناسوت المسيح كان على ما كان عليه ناسوت غيره من الناس.

ثم ناقش النساطرة في قولهم: إن المسيح جوهران وأقنومان، بأنه لا يخلو أن يقولوا: إن الجوهرين قديمان أو محدثان، أو أحدهما قديم والآخر محدث، فإن كانا قديمين، فقد أثبتوا قديمًا رابعًا هو ناسوت المسيح، وإن كانا محدثين فقد قالوا بحدوث الابن الأزلي، وعبدوا ما ليس بإله؛ لأنهم يعبدون المسيح، وإن قالوا: أحدهما قديم، والآخر محدث، كانوا قد عبدوا القديم والمحدث؛ لأنهم يعبدون المسيح، وهو عندهم مجموع الجوهرين القديم والمحدث.

---

(١) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٥٣، ٥٤).

ولم أجد له ردًا على الملكانية، ولعله اكتفى في الرد عليهم بما رد به على النساطرة لتقارب المذهبين؛ إذ كلاهما يقول بالطبيعتين(١) والله أعلم.

ونجد أبا البقاء الجعفري يناقش اليعاقبة بما ناقشهم به القرافي، إلا أن عبارة الجعفري أوضح في المناقشة، كما أنه ذكر أوجهًا عدة لم يذكرها القرافي في مناقشة اليعاقبة نذكر منها:

١- هذا الرأي من اليعقوبية مردود بأقوال المسيح في الإنجيل حيث يقول: (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)(٢) ففرق بين الذاهب، والذي يذهب إليه، فبطل أن يكون قد صارا واحدًا، وإلا لاتحد الذاهب ومن يذهب إليه، والداعي والمدعو، ودعاء المسيح نفسه محال.

٢- قال يحيى بن زكريا حين رأي المسيح: (هذا خروف الله وحمل الله الذي يحمل خطايا العالم)(٣)، ففرق بينه وبين الباري تعالى فبطل أن يكونا واحدًا.

٣- سئل المسيح عن يوم القيامة فقال: (لا يعرف ذلك إلا الأب وحده، فأما الابن فلا يعرفها)(٤)، يقول أبو البقاء: وقول المسيح أولى بالتصديق، وقد أخبر أنه لا يعلم بالمغيبات، ولو قد صار مع الله شيئًا واحدًا لعلم ما يعلمه الله؛ لأن الشيء الواحد لا يمكن أن تثبت لبعضه من الحكم ما يجب نفيه عن البعض الآخر، فبطل أن يكونا شيئًا واحدًا.

وناقش الملكانية بقوله: إذا قلتم: إن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته

---

(١) يراجع: النصيحة الإيمانية: (ص٦٦، ٦٧).

(٢) يوحنا: الإصحاح: [٢٠] الفقرة: [١٧].

(٣) يوحنا: الإصحاح: [١] الفقرتان: [٢٩، ٣٦].

(٤) مرقس: الإصحاح: [١٣] الفقرة: [٣٢].

ومشيئته كما كان قبل الاتحاد، فقد أبطلتم الاتحاد، إذ افتراق أحد الجوهرين بالطبيعة والمشيئة هو غاية الافتراق، وإذا كان كذلك فلا معنى للاتحاد؛ إذا الاتحاد عبارة عن صيرورة أكثر من الواحد واحدًا، وإذا كان جوهر الأزلي باقيًا بحاله، وجوهر الإنسان باقيًا بحاله فقد آل الاتحاد مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية عن الفائدة.

وأيضًا: إذا كان الأقنومان قد صار أقنومًا واحدًا مع تنافي طباعهما فهذا إنما يتم بالامتزاج والاختلاط، فيلزم أن يتغير الإله ويستحيل مع طبع الإنسان، وذلك متعذر على ذات الباري تعالى، وذكر أوجهًا أخرى، اكتفى بما ذكرت حتى لا يكون ملال من الإطالة.

وناقش النساطرة بما ناقشهم به القرافي، وزاد أوجهًا عدة من أهمها: انه قال: إن كان المسيح شخصين فلا يخلو الأمر فيه من أن يكونا متجاورين، أو متداخلين، فإن كانا متجاورين فيلزم منه أن يكون أقنوم الإله مذروعًا ممسوحًا، له قدر وكمية، إذ كل شيئين تحاذيا، فلا بد أن يكونا متساويين أو متفاوتين، فإن كانا متساويين فقد ساوى الأقنوم الإلهي الأقنوم الإنساني وذلك محال، وإن كانا متفاوتين، فإن كان أقنوم اللاهوت أصغر لم يصلح للربوبية، وإن كان أكبر فقد أخذ الأقنوم الثاني بعضه بالمسامتة والمحاذاة، والقدر الزائد منه على الأقنوم الإنساني يعود إليه التقسيم -التساوي والتفاوت بصورتيه- وذلك يقضي بالكمية على الأقنوم الإلهي وهو محال.

وإن كانا متداخلين، فلا يخلو أن يتداخلا تداخل امتزاج، أو تداخل إدراع كلابس الدرع. فإن كانا تداخلا تداخل امتزاج حتى صار طبيعة واحدة، فهذا مذهب اليعقوبية. وقد ثبت بطلانه.

وإن تداخلا تداخل ادراع، فيلزم منه أن يكون الأقنوم الأزلي الذي لا

يوصف بالجسم قد تشكل بشكل الأجسام، وصار له لحية وفرج مسامت لما تشكل به من أقنوم الإنسان، وكل ذلك محال، فالقول به محال(١).

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي فإنا نجد ابن تيمية يناقش اليعاقبة بأن قولهم: تجسد ابن الله الكلمة يقتضي أن الكلمة صارت جسدًا وجسمًا، وذلك يقتضي استحالتها وتغييرها، فكيف يقولون: إنه اتحاد من غير استحالة ولا تغيير؟

وأيضًا: قولهم: اتحدت الكلمة بدون اختلاط ولا تغيير، كلام متناقض؛ لأن الاتحاد معناه أن يصير الاثنان واحدًا، ثم إنه بعد الاتحاد، إما أن يكون الاثنين كما كانا من قبل، وعليه فلا اتحاد حينئذ، أو يكونا قد صارا شيئًا واحدًا، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم، وهذا عدم لأحدهما لا اتحاد، وإن كان هذا الذي صار واحدًا ليس هو أحدهما، فلابد من تغييرهما واستحالتهما، وهذا باطل.

وناقش من قال بالطبيعتين بأنهم إن قالوا: الناسوت واللاهوت جوهر واحد صار قولهم من جنس قول اليعقوبية، فيلزمهم ما لزمهم.

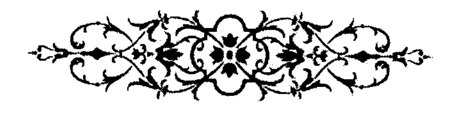
وإن قالوا: فيه جوهران ومشيئتان، قيل: لا بد مع ذلك أن تتغير قوة كل عما كانت عليه، فتكسر الأخرى كما يعرف في سائر صور الاتحاد كما إذا اتحد الماء البارد بالماء الحار انكسرت قوة البرد وقوة الحر، وعلى هذا فيجب إذا اتحدا أن تتغير قوة اللاهوت ومشيئته وطبيعته عما كانت، وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيئة عما كانت، ويبقى هذا المتحد ممتزجًا من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كما له، كما أنه يوجب من كمال

(١) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٤٧٦-٤٩٢).

الناسوت ما لم يكن.

كما أنه لو كانت مشيئتان لزم اجتماع الضدين في محل واحد بأن نريد المشيئة اللاهوتية أمرًا، والناسوتية أمرًا آخر، وهذا باطل[1].

والله أعلم



(١) يراجع: الجوب الصحيح: (٢/ ٢٢٢) وما بعدها، (٣/ ١٠١) وما بعدها، (٢/ ٢٦٤).

الفرع الثالث
المحالات العقلية التي ألزم القرافي النصارى بها على قولهم بالحلول والاتحاد

بعد أن ناقش الإمام القرافي فرق النصارى الثلاث في قولهم بالحلول والاتحاد، بيّن أن في قول النصارى بالحلول والاتحاد محالات عقلية، تؤكد بطلان تلك العقيدة، نذكرها فيما يلي:

المحال الأول:

أن القول بالاتحاد فيه قلب للحقائق، وبيان ذلك: أن الروح القدس عند النصارى هو حياة الله تعالى، والحياة معنى من المعاني، كالإرادة والعلم، وصيرورة الحياة جسدًا قلب للحقائق كصيرورة اللون رائحة، والطعم حركة، والأعراض أجسامًا، وذلك كل محال، فالقول بتجسيد الروح القدس محال.

المحال الثاني:

القول بالاتحاد فيه موت الباري سبحانه وتعالى وهو محال، وبيان ذلك: أنه إذا تجسد المسيح عليه السلام من الروح القدس، والروح حياة الله تعالى فيلزم أن يبقى الله تعالى ميتًا؛ لعدم الحياة وانتقالها إلى المسيح عليه السلام وذلك محال.

المحال الثالث:

وهو من قلب الحقائق أيضًا وهو أن القول بحلول الكلمة التي هي الكلام في مريم، وتجسد المسيح من الروح القدس يقتضي انتقال المعاني من محالها إلى محال أخرى، وانتقالها محال؛ لأن الحركة من خواص الأجسام والمتحيزات، فيلزم أن تكون المعاني أجسامًا، والصفات موصوفات، وذلك قلب للحقائق وهو محال

عند جميع العقلاء[1].

فالإمام القرافي في كلامه السابق بيّن للنصارى أنهم يلزمهم في الحلول والاتحاد ما لم يقله عاقل، فيلزمهم أن تصير المعاني أجسامًا -كما في المحال الأول- وأن تتحرك وتنتقل -كما في المحال الثالث- وأن يكون الباري سبحانه وتعالى ناله الموت فترة اتحاد الكلمة بعيسى عليه السلام، وهذا لم يقله عاقل، ولكنه لازم للنصارى مما يدل على بطلان عقيدتهم.

ولم أجد أحدًا من السابقين ذكر هذه المحالات، ولم يذكرها أحد من اللاحقين.

والله أعلم



(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١١٦).

الفرع الرابع
استدلال النصارى بالقرآن الكريم على جواز الاتحاد ورد القرافي عليهم

يستدل النصارى من القرآن الكريم بدليلين على عقيدة الاتحاد التي يدينون بها نذكرهما ورد القرافي عليهما.

الدليل الأول: يقول النصارى: إن القرآن الكريم دل على اتحاد الباري سبحانه وتعالى بغير عيسى، وإذا صح ذلك، صح قولنا بالاتحاد وبطل إنكار المسلمين علينا، وبيان ذلك:

أن القرآن الكريم ناطق بان الله تعالى كلم موسى تكليما[1]. وأجمعت الملل على أنه تعالى كلمه بصوت -يقول النصارى-: وهذا الصوت يستحيل أن يقوم بالله تعالى؛ لأنه تعالى ليس بجسم، فيكون قائمًا بشجرة العليق بالوادي المقدس، وتكون الشجرة هي المتكلمة، وهي التي قالت: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه: ١٤] وقالت: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤]، وخاطبها موسى بأنها الله تعالى فقال: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ [طه: ٤٥].

يقول النصارى: ولولا الاتحاد بين ذات الله وذات الشجرة لما صح الكلام لموسى، ولا جواب موسى عليه، ولا صح القول بأن الله كلم موسى عليه السلام كما في القرآن الكريم، وإذا صح الاتحاد بالشجرة صح بذات عيسى عليه السلام، وصح لنا بأن نخاطبه بأنه الرب، وبأنه الله تعالى، اقتداءً بموسى عليه

---

(١) قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤].

السلام فنحن على الحق حينئذ، والمسلمون غالطون في تكفيرنا[١].

يلاحظ في هذا الدليل:

١- محاولة النصارى تفريع ما هو باطل على أصل صحيح، فهم يفرعون على ما هو صريح صحيح في كتابنا من كلام الله موسى -عليه السلام- أن الله تعالى اتحد بشجرة العليق، وكلم موسى منها، ليصلوا من ذلك إلى أنه إذا اتحد بشجرة العليق، فبعيسى عليه السلام من باب أولى، وإذا خاطبه موسى عليه السلام متحدًا بالشجرة فنحن -النصارى- لنا في موسى أسوة.

٢- كما يلاحظ محاولة توهيم المستمع لهم أنهم على شيء، وذلك بادعاء الإجماع فإذا سمع، من يناظرهم، أو يسمع لكلامهم دعوى الإجماع -ولم يكن على علم وقع في الوهم بأنهم صادقون فيما زعموا وقد ينقطع من بداية الطريق.

٣- كما أنه لا يخفى في الدليل تحميل نصوص القرآن الكريم ما لا تحتمله من المعاني، كما لا يخفى أيضًا أنهم يستدلون بما يدين به المسلمون من كون الباري سبحانه وتعالى ليس جسمًا.

وهذا الملاحظات تؤكد ما ذكرنا قبلاً في طريقة أهل الكتاب في الطعن والمحاورة ضد الإسلام والمسلمين، من أنهم يعتمدون على مسلمات المسلمين، وتحميل النصوص الشرعية ما لا تحتمل.

رد الإمام القرافي على هذا الدليل:

بنى النصارى دليلهم على أن الإجماع قد قام على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بصوت، ثم رتبوا على ذلك اتحاده سبحانه وتعالى بشجرة العليق،

---

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص٩٠).

وإذا اتحد بشجرة العليق صح قولهم باتحاده بعيسى عليه السلام.

والإمام القرافي في رده هذا الدليل أبطل ما قام عليه الدليل من دعوى الإجماع، وإذا بطل معتمد الدليل، بطلت النتائج المترتبة عليه، فيقول في رد هذا الدليل (أما قوله: إن الملل متفقة على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بصوت فكذب، إذ لم يقع في ذلك اتفاق، بل جمهور المسلمين على أن الله تعالى لم يكلم موسى عليه السلام بصوت، بل اسمعه كلامه النفسي القائم بذاته، من غير حرف، ولا صوت، وإذا لم يكلمه تعالى بصوت بطل السؤال من أصله فإنه بناه على هذه المقدمة)[1].

فالإمام القرافي بيَّن في كلامه السابق أن المسلمين -وهم من أهل الملل الثلاث غير داخلين في هذا الإجماع، وإذا لم يدخلوا سقطت دعوى الإجماع بالكلية ثم يذكر الإمام القرافي الدليل على أن موسى عليه السلام إنما سمع الكلام النفساني، ولم يسمع صوتًا فيقول: (والموجب لعدول أهل الحق عن سماع موسى عليه السلام للكلام الصوتي إلى أنه سمع الكلام النفسي، قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

يقول القرافي: جعل بعض النبيين كلّمهُ دون البعض، -مع اشتراك الجميع، بل هم والمؤمنين والمشركون- في سماع الكلام الصوتي من التوراة وغيرها، فلولا اختصاص البعض بسماع الكلام النفسي لما حسن ذكر لفظه: «من» المقتضية للتبعيض، وموسى عليه السلام من أجلهم، فهو أولى بأن يخصص بسماع الكلام النفسي لاسيما وقد أكد الله تعالى كلامه بقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] والمصادر تأكيد وتقوية للمذكور فيتعين أن يكون المراد

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص٩١).

الكلام النفسي لا الصوتي)[١].

فالإمام القرافي يريد أن يقول: إن السبب في القول بالكلام النفسي مع موسى عليه السلام دون الصوتي: أن الله تعالى ذكر في كلامه عن تكليم الأنبياء لفظه «من» التي هي للتبعيض، وهذا يعني: أن بعض الأنبياء كلمه الله تعالى، وبعضهم لم يحصل له التكليم، ولو كان المراد بالكلام هو سماع الكلام الصوتي، لما صح التبعيض المفهوم من الآية، لاشتراك عدد كثير من الأنبياء وغيرهم من المسلمين والمشركين في سماع التوراة، وغيرها من الكتب بالصوت، وهي كلام الله تعالى.

فلولا أن الله اختص موسى بالكلام النفسي لما حسن ذكر لفظه من التي تقتضي التبعيض، ولما صح التأكيد الوارد في سورة النساء.

ولكن: كيف يسمع موسى عليه السلام الكلام النفسي وهو غير ملفوظ؟ وهذا ما أجاب عنه الإمام القرافي بأن الله تعالى بقدرته أوجد في نفس موسى عليه السلام -وقت تكليمه إياه- قوة سمعية سمع به كلام الله النفساني وذلك قوله: (والقدرة الربانية يمكن إيجادها لكل ممكن، فيخلق الله تعالى هذا العلم الخاص، الذي هو السمع في نفس موسى عليه السلام، متعلقًا بصفات الكلام القائم بذات الله تعالى، فهذا هو سماع موسى عليه السلام ولكلام الله تعالى النفسي)[٢].

ولم يخف عن الإمام القرافي أن هناك من المسلمين من يقول بالكلام الصوتي مما جعله يتعرض لهذا الرأي مبينًا للنصارى أنهم قد يكونون متمسكين في دعوى

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٩٢، ٩٣).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص٩٢).

الإجماع بهذا القول، ومع ذلك فهذا القول لا ينفع النصارى؛ لأن أصحاب هذا القول: لا يقولون بالاتحاد كما يقول النصارى بل يقولون[1]: إن موسى عليه السلام سمع الكلام الصوتي من شجرة العليق بدون أن يتحد الباري بها، بل الله تعالى خلق الأصوات والكلام في الشجرة، ليدل على ما قام بذات الله تعالى، فالشجرة الأصوات فيها مبلغة عن الله والمتكلم في الحقيقة هو الله تعالى.

فكما تبلغ الملائكة عن الله سبحانه وتعالى من غير حلول ولا اتحاد، فالشجرة ما هي إلا واسطة، وكما يحسن أن يقال: إن الله خاطب موسى على لسان الملك، يحسن أن يقال: إن الله كلم موسى بصوت سمعه من الشجرة، ووجود الوسائط من الملائكة وغيرها لا يمنع كون الكلام كلام الله، ولذلك أجمعت الملل على أن الكتب التي بلغتها الملائكة كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وغيرها، كلام الله تعالى.

ثم ذكر الإمام القرافي سبب ذكره هذا الرأي مع أنه غير صحيح فقال: (وهو ليس بصحيح -أي الرأي الثاني- وإنما أردت أن أبين فساد السؤال على القولين)[2].

ولم أجد أحدًا من السابقين واللاحقين تناول هذا الدليل بالرد عليه غير الإمام القرطبي المحدث، فإنه قال في معرض الرد على احتجاج النصارى بتكليم

---

(١) القائل بأن موسى عليه السلام كلمه الله تعالى بكلام صوتي صادر من الشجرة، هم المعتزلة، وذهب أبو منصور الماتريدي وأبو إسحاق الإسفراييني من أهل السنة إلى أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بصوت غير مكتسب للعباد، بمعنى: أن الله تعالى أكرم موسى عليه الصلاة والسلام فأفهمه كلامه بصوت كوني خلقه له من غير أن يخلقه لأحد من خلقه. يراجع: شرح الأصول الخمسة (ص٥٢٩)، شرح المقاصد: (٣/ ١١٥)، حاشية الدسوقي على أم البراهين: (ص١١٤).

(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص٩١).

الله لموسى عليه السلام على جواز الاتحاد: كيف يستدل النصارى بالقرآن الكريم مع أنهم منكرون له، ولا يعترفون بأنه كلام الله تعالى؟ فلا يحل لهم أن يحتجوا لأنفسهم ولا لغيرهم بما يعتقدون أنه كذب، وحتى لا يعود السؤال علينا في احتجاجنا بالتوراة والإنجيل على النصارى واليهود، يقول: (وأما نحن فيمكننا أن نحتج عليكم وعلى اليهود بالتوراة والإنجيل، لأننا نعتقد أن الله أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، وهما هدى قبل أن يغيرا ويبدلا، وينسخا بغيرها، ثم بيّن أن الكلام الذي سمعه موسى عليه السلام أنما هو الكلام النفسي بإدراك خلقه الله لموسى عليه السلام.

ويرى الإمام القرطبي أنه لا يجوز أن يسأل عن كيفية سماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى؛ لأن السؤال بكيف إنما هو سؤال عن حال موجود يناسب حال السائل بكيف، فإذا قيل: كيف زيد؟ يكون المعنى على أي حال هو من الأحوال التي تناسب أحوالنا؟ وإذا قيل: كيف سمع موسى كلام الله؟ فكأنه قيل: على أي حالة سمع موسى عليه السلام كلام الله من الأحوال التي نحن عليها، حين يسمع بعضًا من بعض؟ وجميع العقلاء يعلمون أنه يستحيل أن يسمع موسى كلام الله على شيء من الأحوال التي يسمع عليها بعضًا من بعض فالسائل عن كيفية سماع موسى عليه السلام كالعنين يسأل عن لذة الجماع فكما أن كالعنين يصعب تفهيمه هذا السؤال؛ لعدم ذوقة لذة الجماع، فكذلك السائل هنا يصعب تفهيمه لعدم سماعه كلام الله القديم، ولا اتصف بالإدراك الذي اتصف به موسى عليه السلام[1].

---

(١) يراجع: الإعلام: (ص١٠٦، ١٠٨، ١٤٨).

تعقيب:

عند مقارنة ما ذكره الإمام القرطبي، وما قاله الإمام القرافي نجد أن القرافي أبطل ما قام عليه دليل النصارى من دعوى الإجماع على أن كلام الله لموسى عليه السلام كان بصوت، ثم بيَّن كيفية سماع موسى كلام الله تعالى من أنه سمع الكلام النفساني، وعضد ذلك بالدليل من القرآن الكريم، ثم ذكر المذهب الضعيف الذي يقول بالكلام الصوتي، وبيَّن فساد دليل النصارى حتى على هذا المذهب.

والإمام القرطبي سأل النصارى: كيف يستدلون بشيء ينكرونه؟ وحتى لا يعود السؤال علينا بين أننا غيرهم، إذ إننا نؤمن بالتوراة والإنجيل قبل التبديل والنسخ، فيصح لنا أن نحتج بهما عليهم.

ثم شارك الإمام القرافي في بيان المراد من سماع موسى كلام الله تعالى وشاركه أيضًا في إبطال دعوى الإجماع ولكنه أشار إلى أنه لا يصح أن يسأل عن كيفية سماع موسى كلام الله تعالى، وهذا لم يذكره القرافي، ومن هنا نقول: إن للإمام القرطبي فضيلة السبق، وأنه وإن شارك القرافي في بيان المراد بسماع موسى عليه السلام، وإن سأل النصارى كيف يستدلون بما لا يصدقون، إلا أن القرافي رحمه الله ذكر كيفية سماع موسى عليه السلام مشفوعة بالدليل الذي لا يجعل في النفس شكا ولا ريبًا، كما أنه زاد أيضًا، بيان فسار رأي النصارى إن حمل على الرأي الضعيف القائل بالسماع الصوتي.

الدليل الثاني للنصارى:

يستدل النصارى بهذا الدليل على أن الاتحاد حصل فعلاً بنص القرآن

الكريم فيقولون: لما ذكر الله تعالى يحيى عليه السلام في القرآن الكريم قال في حقه: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم: ١٥] ولما ذكر عيسى عليه السلام قال في حقه: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم: ٣٣].

يقول النصارى: اتحد المسلِّم والمسلَّم عليه في حق عيسى لأجل ما اختص به من الاتحاد، ولما لم يحصل الاتحاد ليحيى عليه السلام سلم عليه بصيغة التعدد فقال: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ ﴾ وهذا نص جلي في الاتحاد في حق عيسى عليه السلام دون غيره، والمسلمون ينكرونه وهو في كتابهم.

رد الإمام القرافي:

بيّن الإمام القرافي أن ما قاله النصارى اغترار بما لا طائل تحته، لأن ما صدر على لسان عيسى عليه السلام لا يخلو من أن يقصد به الدعاء لنفسه بالسلامة في المواضع الثلاثة، أو يخبر بذلك عنها إن علم ذلك وقطع به، ولا اتحاد في الصورتين؛ لأن كل واحد منا يحسن منه أن يقول في حق نفسه، دعاء أو خبرًا: السلام عليَّ، ولا يفهم من كلامه أن شيئًا اتحد به.

ثم بيّن أن ما جاء في حق يحيى عليه السلام أفضل مما جاء في حق عيسى عليه السلام، فيحيى أولى بالتشريف في هذا الموضع من عيسى عليه السلام؛ لأن تسليم الله على يحيى عليه السلام أفضل من قول عيسى في حق نفسه: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ ﴾، إذ خبر الله تعالى عن يحيى عليه السلام، وحصول السلامة له واقع قطعًا، وخبر الله تعالى صدق، وكلام عيسى عليه السلام دعاء، والدعاء ليس من لوازمه الإجابة، واللازم الوقوع أفضل من غير اللازم الوقوع، وإخبار الله عن

العبد، أفضل من إخبار العبد عن العبد؛ لمزيد شرف الربوبية على العبودية[1].

ولم أجد أحدًا من السابقين، ولا اللاحقين للإمام القرافي ذكر هذا الدليل وأجاب عنه.

والله أعلم



(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص٩٤).



المطلب الخامس
شعائر دين النصارى وموقف القرافي منها

وفيه مسالك:

المسلك الأول: المعمودية عند النصارى وموقف القرافي منها.

المسلك الثاني: رفض النصارى للختان وموقف القرافي من ذلك.

المسلك الثالث: الاعتراف بالذنوب للقسيس ليغفرها وموقف القرافي من ذلك.

المسلك الرابع: العشاء الرباني عند النصارى وموقف القرافي منه.



المسلك الأول
المعمودية عند النصارى وموقف القرافي منها

وفيه فرعان:

الفرع الأول: المعمودية عند النصارى

الفرع الثاني: موقف القرافي من معمودية النصارى



الفرع الأول
المعمودية عند النصارى

للنصارى أسرار كنسية سبعة[١] يتفقون في الإيمان ببعضها، ويتنازعون في البعض الآخر، من هذه الأسرار التي يؤمن بها جميع النصارى سر المعمودية.

وسر المعمودية يحتل الرتبة الأولى بين الأسرار السبعة المقدسة -عند النصارى-؛ لأنه بمثابة باب يدخل منه النصراني إلى النصرانية، ولذلك يمنح هذا السر قبل أي سر آخر، ومن لا يقبله فلا حق له في الاشتراك في باقي الأسرار[٢].

والمعمودية هي السبيل الوحيد الذي بسببه يستحق النصراني أن يخلصه يسوع المسيح، فمجرد الإيمان بالمسيح لا يكفي للخلاص عند النصارى، وهي شرط أساس؛ لنيل عضوية الكنيسة، وحصول بركات العهد الجديد عندهم[٣].

والمعمودية تعني الصبغ بالماء، وهي كلمة معربة عن الأصل اليوناني [فابتزم] والذي هو صيغة مبالغة من كلمة [فابتين] اليونانية، والتي معناها الصبغ بالماء.

ويسمى النصارى المعمودية تسميات عدة باعتبارات مختلفة، فباعتبار طقسه المنظور يسمونه ينبوعًا مقدسًا، وباعتبار نتائجه غير المنظورة يسمونه: ولادة جديدة، وختم الإيمان، وختم الدين المسيحي، والولادة الثانية، وماء

---

(١) هي: سر المعمودية، وسر المسحة المقدسة، وسر الشكر، وسر التوبة، وسر مسحة المرضى، وسر الزيجة، وسر الكهنوت، أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس: (ص٣٦)، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: أسرار الكنيسة السبعة: (ص٤٣).

(٣) يراجع: مصباح الظلمة: (ص٤٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: (ص٢٣٢، ٢٣٣)

الحياة الدائمة[١].

كيفية المعمودية:

لا يقوم بالتعميد إلا الأسقف، أو القسيس، والشمامسة يخدمون معهم، ولا يصح أن يتقدم للتعميد من القسوس، والشمامسة الخدام إلا من تكون قراءته جيدة، وعنده معرفة بأحكام التعميد والدُّهن[٢] وقبل العماد يشترط أن يلقب طالب العماد بعض مبادئ الديانة المسيحية خاصة النواحي الأدبية، وبعض العقائد الإيمانية الأساسية، كما أنه على المعمَّد أن يصوم يومًا أو يومين قبل العماد، ويصوم معه الكاهن الذي سيعمده[٣].

وفي كل كنيسة حوض رخام يوقد حوله الشمع والمصابيح، ويملؤه القسيس بالماء، ويقرأ عليه ما تيسر من الإنجيل، ويرمي فيه ملحًا كثيرًا وشيئًا من الدهن، فإذا جاء أحد وطلب أن يتغطس، يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس، ليشهدوا عليه -بزعمهم بين يدي الله بالتغطيس ويقول له القسيس: يا هذا اعلم: أن التنصر أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة، وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلا بالتغطيس، وأن يسوع ابن الله، وأنه التحم في بطن أمه مريم فصار إنسانًا وإلهًا، فهو إله من جوهر أبيه، وإنسان من جوهر أمه، وأنه صلب ومات وعاش، وصار حيًا بعد ثلاثة أيام من دفنه، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، ويوم القيامة هو الذي يحكم بين الخلق، وأنك آمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة، فهل آمنت بهذا كله؟ فيقول المتنصر: نعم، فحينئذ يغطس المعمد

---

(١) ينظر: أسرار الكنيسة السبعة: (ص٦٥،٤٣)، الأمور المتيقنة عندنا: (ص١٣٨) وما بعدها.

(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: (ص٢٣٤، ٢٣٥).

(٣) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: (ص٢٣٣).

ثلاثًا في الماء، ويقول له: وأنا أغطسك باسم الأب والابن والروح القدس[١].

ثم بعد ذلك يدهن القسيس، أو من يقوم بالعماد الشخص المتعمد بزيت الميرون[٢]، ولا يسكب من يقوم بالتعميد الميرون في كفه، بل يأخذه من وعائه بطرف إصبعه، ويرشم به المتعمدين مهما كثروا[٣] وإذا كان المعمد من النساء، فلا يكون التعميد بالحلي، ولا بشعور مضفورة ويتم عمادهن بملابسهن الداخلية، بعدما يخرج الكاهن من حجر المعمودية، وتقوم الشماسة بتغطيسهن في الماء ثلاثة مرات، ثم يرتدين ملابسهن[٤]، وإذا كان من الأطفال فإنه يؤتى به في اليوم الثامن من ولادته مع أبيه، أو أمه، أو وصيه، ويوضع الولد بين يدي القسيس، ويخاطبه القسيس بالكلام -السابق- ويجاوب عنه أبوه أو أمه، بقول: نعم، فيقوم بتغطيسه ثلاثًا -كما سبق- ثم يدهن، ويلبس الزنار[٥] ويستمر الزنار مربوطًا على المعمد ثلاثة أيام، أو ثمانية، ولا يحله إلا قس، أو شماس بعد صلاة تسمى صلاة الطشت، وصلاة أخرى تسمى صلاة الشكر[٦].

ويزعم النصارى أن المعمودية تغفر الخطايا جميعًا، سواء أكانت موروثة، أو

---

(١) يراجع: تحفة الأريب: (ص٨٠)، مصباح الظلمة: (ص٢٣٥) أسرار الكنيسة السبعة: (ص٦١).

(٢) الميرون: كلمة يونانية معناها: (طيب) تطلق في الاصطلاح الكنسي على المزيج السائل المركب من نحو ثلاثين صنفًا من أصناف الطيب، أسرار الكنيسة السبعة: (ص١٠٤).

(٣) يراجع: مقالات لاهوتية (ص١٥١)، مصباح الظلمة: (ص٢٣٤، ٢٣٥).

(٤) مصباح الظلمة: (ص٢٣٤).

(٥) الزُّنار: بضم الزاي المشددة: خيط غليظ بقدر الأصبع يصنع من الحرير، يربطه الذمي والمجوسي على وسطه وهو خاص بهما، يراجع: لسان العرب: (٤/ ٣٣٠)، القاموس المحيط: (٥١٤) مادة (زنر)، التعريفات (ص١٥٣).

(٦) يراجع: تحفة الأريب: (ص٨٠)، مصباح الظلمة: (ص٢٣٦)، وينظر أيضًا أسرار الكنيسة: (ص٥٤) وما بعدها.

سبق عملها للكبار[١].

أنواع المعمودية:

المعمودية عند النصارى ثلاثة أنواع:

١- معمودية الدخول في النصرانية: وهي التي ذكرناها.

٢- معمودية التوبة والدموع: وهي الندم على ما فعله الخاطئ وبكائه بشدة على خطاياه، طالبًا رحمة الله.

٣- معمودية الدم أو الشهادة: ويقصدون بها: الذين يقدمون أنفسهم للشهادة على اسم المسيح، قبل وجود فرصة لعمادهم بالماء[٢].

تعقيب:

لا نترك المعمودية عند النصارى حتى نقول: ما هذا التناقض الذي يقول به النصارى فهم يقولون: إن العماد شرط للخلاص والفداء بدم المسيح من شرك الخطيئة، ثم يقولون: العماد يمحو الخطايا جميعًا بنفسه، فإذا كان المسيح فدى النصارى من شرك الخطيئة، فما هي فائدة العماد؟ وإذا كان العماد مكفرًا عن الخطايا فما هي الحاجة إلى صلب الإله وتعذيبه؟!

ولنترك الرد للإمام القرافي وذلك في المسلك التالي.

والله أعلم

---

(١) يراجع: مقالات لاهوتية: (١٤٨)، موسوعة علوم الدين (ص٣١١)، مصباح الظلمة: (ص٢٣٤)، أسرار الكنيسة: (ص٥١).

(٢) ينظر: مقالات لاهوتية: (ص١٥٠)، أسرار الكنيسة: (ص٧٧).

الفرع الثاني
موقف القرافي من معمودية النصارى

بيّن الإمام القرافي -بعد أن ذكر كيفية التعميد- أن التعميد غير مذكور في التوراة، ثم ذكر مستند النصارى من الأناجيل فقال: (ولم يذكر التعميد في التوراة بل كتبوا في الإنجيل: أن يوحنا عمّد المسيح عليهما السلام بوادي الأردن، فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء[1] وزعمت النصارى أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: إذا مررتم بالأجناس فعمدوهم بالآب والابن والروح القدس[2].

وبعد أن ذكر القرافي ما يتمسك به النصارى من نصوص كتبهم الدالة على المعمودية، كان المتوقع أن يضرب بتلك النصوص في وجوههم؛ بحجة أنه بيّن لهم من قبل بطلان الأناجيل، وتناقضها، ولكن الإمام القرافي سلك مسلكًا آخر وهو طريق التسليم الجدلي بصحة هذه النصوص، إلا أنه وإن سلم بصحة النصوص تسليمًا جدليًا، فإنه لا يسلم بعموم تلك النصوص حتى يجرى النصارى الحكم عليهم، فقد تكون النصوص خاصة بعيسى عليه السلام والحوريين، وإن لم تكن خاصة فأين الدليل على عمومها؟ وإذا لم يأت النصارى بالدليل ثبت أنهم متحكمون في دينهم، بعكس المسلمين فإنهم إذا عمموا حكمًا لم يثبت تخصيصه إنما يعمموه بنص شرعي صحيح عن الله ورسوله، كل ذلك ذكره الإمام القرافي في قوله: (سلمنا جدلاً صحة ما ذكرتموه من النقل، فلم قلتم: إنه إذا عمد يحيى عليه السلام والحواريون، نعمد نحن؟ فلعله مخصوص بهم، فما الدليل على أن ما فعلوه كان شرعًا عامًا، والمسلمون لم يعتمدوا على مثل

---

(١) متى: الإصحاح: [٣] الفقرات: [١٣-١٧].

(٢) متى: الإصحاح: [٢٨] الفقرة: [١٩].

ذلك حتى ورد عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر: ٧] وقوله عليه الصلاة والسلام «خذوا عني مناسككم»[(١)] ونحو ذلك فأين لكم مثله؟ ولن تجدوه أبدًا)[(٢)].

ولكن قد ينازع النصارى في عموم تلك النصوص، وهذا ما يجعل الإمام القرافي يسلم بعمومها، إلا أنه يلزمهم التحكم في الدين حتى مع التسليم بعموم النصوص فهم متحكمون على كل حال، وذلك قوله: (سلمنا عموم شرعيتها، فلم زدتم العدد ووضع اليد على الرأس، والنفخ في الوجه، ولم ينقل ذلك عمن تقدم؟ ولم تكفرون مخالفيها من غير دليل على تكفيره؟).

ثم يسألهم عن الماء الذي يكون به العماد، هل هو مقدس أو لا؟ فإن لم يكن مقدسًا فلا يصح به التعميد، وإن كان مقدسًا، فمن قدسه؟ ولا يخلو أن يقولوا: إن الله الذي قدسه، وهنا يجيب عن ذلك الإمام القرافي بقوله: (فإن قلتم الله قدسه، فما الدليل عليه؟ فلعله نجسه).

أو يقولوا: إنهم هم الذين قدسوه، وهذا يدفعه الإمام القرافي بقوله: (ومن أنتم حتى تقدسوا المياه؟ وما الدليل على أهليتكم لذلك؟).

ثم يسلك الإمام القرافي طريقًا آخر ينازع النصارى من خلال مضمونه في صحة ما ذكروه وذلك قوله: (ثم إن قولكم إن يحيى عليه السلام عمد المسيح عليه السلام، فهل كان عيسى عليه السلام قبل ذلك مقدسًا أم لا؟ فإن قالوا:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ك الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر، حديث رقم (١٢٩٧)، صحيح مسلم: (٢/ ٩٤٣). وأخرجه أبو داود، ك المناسك، باب في رمي الجمار حديث رقم (١٩٧٠) (١/ ٦٠٤)، وأخرجه الإمام أحمد حديث رقم (١٤٤٥٩) عن جابر بن عبد الله.

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٥٤، ١٥٥).

كان مقدسًا فلا أثر لتعمده، وإن قالوا: لا، فكيف يعتقدون أن من ليس بمقدس إله، أو ابن إله؟[١]

فالإمام القرافي سلم لهم بداية صحة النصوص ثم نازعهم في عمومها ثم سلم ثانية بعموم النصوص، ولكن ألزمهم القول في الدين بغير مستند من كتاب صحيح، ثم عاود وسلك طريقًا مضمونه أن القول بمعمودية عيسى عليه السلام الذي تتمسكون به، لا فائدة من ورائه، وإذا لم تكن فائدة فقد اشتمل كتاب سماوي على ما لا فائدة من ذكره وهذا دليل على عدم صحة النص المذكور.

وبيّن الإمام القرافي -أيضًا- في رد المعمودية: أنَّ قولهم: نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا، مناقض لقولهم: إن خطيئة آدم عليه السلام عمت ذريته، ولا يتخلصون منها إلا بقتل المسيح عليه السلام.

ثم يقول الإمام القرافي: (وإذا كانت المعمودية توجب غفران الخطايا فقد اعترفوا بأنه لا حاجة إلى قتل المسيح عليه السلام)[٢].

وإذا ما جئنا إلى السابقين عن الإمام القرافي فإنا نجد الإمام القرطبي رحمه الله تعالى تناول معمودية النصارى، وأبطلها بنفس ما أبطلها به القرافي[٣]، إلا أنه لم يذكر أن المعمودية مناقضة لعقيدة الخلاص بدم المسيح عليه السلام، بل هذه الجزئية ذكرها أبو البقاء الجعفري، واكتفى بها فقط في إبطال المعمودية عند

---

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١٥٥).
(٢) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١١٧).
(٣) يراجع: الإعلام: (ص٤٠٣) وما بعدها.

النصارى[١].

وإذا ما جئنا إلى المتأخرين، فإنا نجد عبد الله الترجمان، أبطل المعمودية بقوله: (يعتقد النصارى أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس، فيقال لهم: ما تقولون في إبراهيم وموسى وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء؟ هل هم في الجنة أم لا؟ ولا بد أن يقولوا: هم في الجنة، فيقال لهم: كيف دخلوها وهم لم يتغطسوا؟) ثم ذكر جواب النصارى عن هذا السؤال بأن الاختتان أجزأهم عن التغطيس، وأجاب عن جوابهم بقوله: (وما تقولون في آدم ونوح -عليهما السلام- وذريته لصلبه فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط وهم في الجنة بالإجماع؟[٢]

ونجد الألوسي يذكر ما ذكره الإمام القرافي من تناقض المعمودية مع عقيدة الخلاص بدم المسيح عليه السلام[٣].

والله أعلم



(١) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٥١٥).

(٢) ينظر: تحفة الأريب: (ص٧٩، ٨٠).

(٣) يراجع: الجواب الفسيح: (١/ ٩٦).

المسلك الثاني
رفض النصارى للختان وموقف القرافي من ذلك

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الختان عند النصارى

الفرع الثاني: موقف الإمام القرافي من رفض النصارى للختان



الفرع الأول
الختان عند النصارى

يرفض النصارى الختان قائلين: لا حاجة إليه؛ إذ هو أمر يتعلق بظاهر الجسد، والأولى أن يترك الجسد كما خلقه الله تعالى. وإذا كان لا بد من تأصيل مسألة الختان عند النصارى، فلا بد من تأصيل المسألة في التوراة، والأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل ورسائلهم، لنرى هل اتفقت كلمة هذه الكتب، أو اختلفت فيضعف متمسك النصارى، ويظهر تحكمهم في دينهم.

الختان في التوراة:

الذي ينظر في التوراة يجد أن الختان شريعة إبراهيم عليه السلام، وعهد جعله الله تعالى بين إبراهيم ونسله ومواليه وبين الله تعالى إلى الأبد، ومن لم يفعله يستحق القتل، وذلك تغليظًا في فرضية الختان، ففي سفر التكوين: «قال الله لإبراهيم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر، فتختتنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم، ابن ثمانية أيام يختتن منكم كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك، يختن ختانًا، وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهدًا أبدًا، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي»(١).

ولذلك ختن إبراهيم عليه السلام بعدما جاوز التسعين، وختن معه ولده إسماعيل بعدما جاوز الثانية عشرة(٢).

---

(١) تكوين: الإصحاح: [١٧] الفقرات: [٩-١٥].

(٢) تكوين: الإصحاح: [١٧] الفقرتان: [٢٤، ٢٥]، والصواب: أن سيدنا إبراهيم عليه =

كما يجد أن الختان كان شريعة موسى عليه السلام، فقد جاء في سفر اللاويين: (وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل قائلاً: إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام .. وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته)(١).

فالختان في التوراة -كتاب النصارى الأول- شريعة كل من إبراهيم وموسى عليهما السلام، وعهد أبدي بين الله تعالى وإبراهيم ونسله من بعده.

الختان في الأناجيل الأربعة:

والذي ينظر في أناجيل النصارى، يجد الختان ذكر غير مرة، فمرة: جاء فيها ختان عيسى عليه السلام، ختنه قومه وهو ابن ثمان، تأسيًا بناموس موسى عليه السلام فقد جاء في إنجيل لوقا: (ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمى يسوع)(٢).

ومرة: لما اعترض اليهود على عيسى عليه السلام: كيف يشفي مريضًا يوم السبت؟ فأجابهم: بأن الختان شريعة موسى تأسى فيها بمن قبله من الآباء، ثم دفع اعتراضهم: بأنه يصح الختان يوم السبت لئلا ينقض ناموس موسى عليه السلام، وإذا كانوا يختنون يوم السبت، فكيف يعترضون عليه في شفائه مريضًا

=

السلام اختتن وهو ابن ثمانين كما جاء عن النبي ﷺ مرويًا عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : «اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين بالقدوم» أخرجه البخاري، ك: الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، حديث رقم (٣١٧٨) صحيح البخاري (٣/ ١٢٢٤)، ومسلم ك: الفضائل، باب من فضائل إبراهيم عليه السلام حديث رقم (٣٧٠)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٩).

(١) لاويين: الإصحاح: [١٢] الفقرات: [١-٤].

(٢) لوقا: الإصحاح: [٢] الفقرة: [١].

يوم السبت؟[١]

ولا ريب أن في جواب عيسى عليه السلام إقرارًا لهم على حكم الختان إذ لا يليق برب العباد -كما يقول النصارى- ورسول مرسل من رب العالمين كما هي عقيدة المسلمين أن يترك الناس على أمر قد جاء لإبطاله إن كان رسولاً أو شرع غيره إن كان ربًا كما يقولون.

فالختان في الأناجيل فعله عيسى عليه السلام، وأقر الناس على فعله إذًا هو شريعة عيسى عليه السلام، ولا سيما وأنه لم يأت لينقض الناموس بل جاء ليكمله، ولكن: هل بقى الأمر كما كان عليه في عهد سيدنا عيسى عليه السلام أو تغير؟

الختان في سفر أعمال الرسل ورسائلهم:

بعد المسيح عليه السلام التزم التلاميذ فترة بدعوة اليهود إلى النصرانية كما هي شريعة عيسى عليه السلام، ولكن الظروف اضطرت بعضهم إلى الخروج بالدعوة إلى الأمم الأخرى، فخرج بطرس يدعو الأمم الأخرى إلى النصرانية؛ فاعترض عليه الرسل في بادئ الأمم قائلين: (إنك دخلت إلى رجال ذوي غلفه) ولكن بطرس أقنعهم بضرورة دعوة الأمم فاقتنعوا[٢].

فهذا يبين أن الختان كان لا زال شريعة أتباع عيسى عليه السلام، وأن الذي جعلهم يعترضون هو كونه دعى من لا يختتن، وشريعة عيسى إنما هي لأصحاب الختان.

---

(١) يراجع: يوحنا: الإصحاح: [٧] الفقرات: [٢٠-٢٤].

(٢) أعمال الرسل: الإصحاح: [١٠] الفقرات: [٤٤-٤٨]، الإصحاح: [١١] الفقرات: [١-١٩].

لكن التلاميذ إذا أرادوا دخول النصرانية إلى تلك الأمم، فعليهم أن يلاحظوا أنهم درجوا على عدم الختان، ولما كان المرسل إلى الأمم هو بولس وبرنابا أراد بولس عدم نفرة الأمم من النصرانية، فرأى أنه إذا أمرهم بالختان، فلن يدخلوا النصرانية فجعل يبشر بالنصرانية بين الأمم التي لم يكن الختان شريعة لها، ويأمرهم بعدم الختان.

ولكن ما فعله بولس أثار اليهود المتدينين، والذين كانوا يدعون إلى النصرانية مؤكدين على ضرورة الختان، مما جعل النزاع يشتد بين هؤلاء اليهود من جهة وبين بولس وبرنابا من جهة أخرى ولهذا اضطر التلاميذ إلى عقد مجمع في أورشليم قرروا فيه أنه إذا أراد أن يدخل الأمم غير اليهود في النصرانية فليس عليهم أن لا يختتنوا وأرسلوا رسالة من هذا القرار إلى الأمم وهذا نص القرار: (الرسل والمشايخ والأخوة يهدون سلامًا إلى الأخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسورية وكليكية إذ قد سمعنا أن أناسًا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا ... قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم تقلا أكثر من هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا)(١).

فيلاحظ:

١- أن الرسل تركوا الختان؛ لأجل الأمم الداخلة في النصرانية، ولم تكن تختتن، ولكن لم يكن الختان مباح الترك للجميع، بل كان مفروضًا على أتباع عيسى الذين كانوا يختتنون، ولذلك جعلوا بطرسًا كبير الحواريين ومعه غيره من التلاميذ يدعون إلى الختان، وجعلوا بولس يدعو الذين لا يختتنون، يقول بولس:

---

(١) يراجع: أعمال الرسل: الإصحاح: [١٥] الفقرات: [١-٣٦].

(إذا رأوا أنى أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان، عمل في أيضًا للأمم، فإذا علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب، وصفا، ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة؛ لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان)[1].

٢- كما يلاحظ أن أول من دعى إلى عدم الختان هو بولس وكان من المفترض أن يبقى الأمر على ما تفق عليه الرسل، أن الختان لليهود، وتركه لغيرهم ولكن ما لبث بولس أن نهى عن الختان، وبين أنه من اختتن فلا ينفعه المسيح شيئًا، وأنه أمر جسدي لا فائدة فيه، وأن الإيمان بالمسيح يكفي[2].

ولكن لما كان من الصعب على اتباع عيسى الذين هم أهل الختان تركه، لجأ بولس إلى وجود بديل لهم عن الختان، فعلمهم أن المعمودية إنما هي بدل الختان، وذلك قوله: (وبه أيضًا ختنتم ختانًا غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية)[3].

ومما سبق يتضح: أن الختان موجود في التوراة والأناجيل، وظل عليه أتباع المسيح، حتى جاء بولس وتدرج في القضاء على شريعة الختان، فهو الذي أبطلها والنصارى اتبعوه في هذا الضلال.

والله أعلم

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية: الإصحاح : [٢] الفقرات: [٧-١٠].

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية: الإصحاح: [٥]، الفقرة: [٢]، والإصحاح: [٦] الفقرات: [١١-١٦].

(٣) رسالة بولس إلى أهل كولوسي: الإصحاح: [٢] الفقرتان: [١١، ١٢].

الفرع الثاني
موقف الإمام القرافي من رفض النصارى للختان

ناقش الإمام القرافي النصارى في تركهم الختان، فبين أنهم لم يستندوا في ذلك إلى نص عن الله تعالى، ولا عن عيسى عليه السلام، بل تركوه تحكما وهوى وذلك قوله: (ترك جمهور النصارى الاختتان وحرموه بهواهم، لا بأمر مولاهم، ورأوا إطالة الغرلة دينًا، لا يسع أحدهم خلافة)[١].

ثم بيّن أنهم بذلك خالفوا شريعة التوراة وشريعة عيسى عليه السلام، ونهج التلاميذ من بعده[٢]، وذلك قوله: (وتركوا التوراة والإنجيل وسار النبوات[٣] ففي التوراة: أن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل عليه السلام بالختان فقال له: (هذا عهدي بيني وبينك وبين نسلك بعد أن يختن غرلته كل ذكر منكم، ومن عبدانكم، ليكون عهدًا مسيمًا في أجسادكم عهدًا دائمًا إلى الأبد، وكل ذكر لا يختن غرلته، فلتهلك تلك النفس من شعبها؟ لأنها أبطلت عهدي)[٤].

يقول الإمام القرافي: مستدلاً بهذا النص على كفر النصارى: (فنصت التوراة على الختان للأبد، وأن تاركه يقتل، وذلك يدل على كفر تاركه، فإن القتل من شعائر الكفر عندهم، فهم الكفرة حينئذ). وقال في مخالفة ما كان عليه المسيح

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص١١٩).

(٢) وذلك قبل أن يندس بينهم بولس، ويحض على ترك الختان كما ذكر.

(٣) ذكر الإمام القرافي أن النصارى مخالفون للنبوات، ولم يذكر نصًا على ذلك من النبوات غير أسفار موسى الخمسة، مما يجعلنا نضطر إلى ذكر شيء من ذلك، فقد جاء في سفر يشوع: (أن الله تعالى أمره أن يختن جميع بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، ففعل يشوع كما أمر الله تعالى، وختن بني إسرائيل) الإصحاح: [٥] الفقرات: [٢-٩].

(٤) تكوين: الإصحاح: [١٧] الفقرات: [٩-١٥].

وتلاميذه من الاختتان: (وقد اختتن المسيح وتلاميذه)[1].

ثم ذكر ما يدل على إلمامه بدين النصارى، وتاريخهم من أنهم لم يزالوا على الختان حتى جاءهم بولس، وذلك قوله: (ولم تزل النصارى كلها تختتن إلى زمان بولس فنهاهم بولس)[2].

ثم ذكر ما يحتج به النصارى في ترك الختان وأجاب عنه:

الحجة الأولى:

يقولون: المراد بالختان الوارد في التوراة: هو نقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب؛ لأن اليهود كانت قلوبهم غلفة، فغلوفة القلب هي المضرة، أما غلفة اللحم فلا مضرة فيها[3].

جواب الإمام القرافي:

يرد الإمام القرافي ما قاله النصارى من أن المراد بالختان إنما هو طهارة القلب بأن هذا كذب، ولو كان صحيحًا ما قالوه، فكيف خفيت هذه النكتة على موسى عليه السلام وسائر الأنبياء؟ ولم فعل الختان يحيى وعيسى عليهما السلام.

هل هؤلاء الأنبياء لم يفهموا المراد من الختان حتى جاء هؤلاء وفهموه هم؟

---

(١) ختان المسيح جاء في إنجيل لوقا: الإصحاح: [٣] الفقرة: [٢١]، وما ذكر في المسلك الأول من اعتراض الرسل على بطرس أنه كيف يدعو ذوي الغلفة، يدل على أن الرسل كانوا مختونين.

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٠).

(٣) يقول بولس: (لأن اليهودي في الظاهر ليس يهوديًا، ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانًا، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح هو الختان) رسالة بولس إلى أهل رومية: الإصحاح: [٢] الفقرتان [٢٨، ٢٩].

أوهم فهموه، وأخفو المراد منه على أقوامهم؟ حاش للرسل أن يفعلوا ذلك[١].

الحجة الثانية للنصارى:

يقولون: لا منفعة في الختان، ولا حاجة إليه[٢].

جواب الإمام القرافي:

يتعجب الإمام القرافي من أمر حكم الله به، وبلغته رسله عليهم السلام، وعملوا به، كيف يعترضون عليه بأنه لا منفعة فيه؟ فقد كان يكفي أن الله تعالى أمر به، ثم بين أن النصارى بذلك ينسبون الله تعالى إلى السفه والعبث؛ لأنه يشرع ما لا منفعة فيه.

وبعد أن أجاب الإمام القرافي بالجواب السابق، أكده ببيان المنافع في الختان حتى لا تبقى لهم حجة، ويظهر كذبهم فيما قالوا. وهذه هي منافع الختان التي ذكرها الإمام القرافي:

١ - ما يترتب عليه من ثواب الله تعالى في الآخرة، وأعظم بالسعادة الأبدية فائدة.

٢ - أنه لا يتأتي مع بقاء الغلفة مبالغة في النظافة، ومع زوالها يتأتى ذلك.

٣- أنه ألذ في الجماع، وأسرع لمجيء الشهوة، وقد تكسل الغرلة عن الإنزال.

٤ - أنه أسرع في تدفق الإنزال، وانزعاج الماء لعدم الغلوف، والغرلة تثبطه وتفتره، وإذا خرج فاترًا قلت اللذة، وبعد عن محل التخليق فيبعد حصول الولد الذي هو أسمى المقاصد في النكاح استبقاء للنوع الإنساني الشريف، وتسببًا لإيجاد من يوحد الله تعالى ويعبده.

---

(١) يراجع الأجوبة الفاخرة: (ص٢٤، ٢٥).

(٢) ينظر: موسوعة علوم الدين: (ص٢٣٧).

٥- أن أوامر الله تعالى وطاعته خلع إحسان وأياد امتنان، وكلها تذهب بالفراغ من ملابستها، ولا يبقى لها أثر في الوجود إلا الختان، فإنه يبقى مخلدًا في الجسد إلى المات، وهذه خصيصة عظيمة، دالة ما بقى الإنسان على توجه الأمر الرباني عليه، وأنه حاز شرف الإنابة، والطاعة لديه، وكفي بهذه المنة للإنسان على مر الزمان، وإليه الإشارة في التوراة: (ليكون عهدي مسيمًا في أجسامكم عهدًا دائمًا إلى الأبد)[1].

يقول الإمام القرافي: (فهذه خمس فوائد جليلة جهلها الأغبياء، وشقى بتركها السفهاء)[2].

وإذا نظرنا في كلام السابقين عن الإمام القرافي، فإنا نجد الإمام أبا العباس القرطبي يذكر تحكم النصارى في دينهم، ومخالفتهم أحكام التوراة، ويذكر الحجتين اللتين ذكرهما الإمام القرافي عن النصارى، ويجيب عنهما بمثل ما أجاب به الإمام القرافي، إلا أن عبارة القرطبي أوسع وأشمل من عبارة القرافي، وأيضًا نجد أن القرطبي ذكر للختان الفوائد الأربعة الأول التي ذكرها الإمام القرافي، وأما الفائدة الخامسة فهي من نتاج الإمام القرافي، وهذا يبين شخصية القرافي العلمية، وهي أنه وإن تأثر بالقرطبي إلا أن أضاف فائدة جليلة نفت عنه أن يكون كحاطب ليل.

ومما يذكر أن الإمام القرطبي زاد ما يبين تناقض النصارى وكذبهم وذلك قوله: (ثم العجب من كذبهم وتناقضهم حيث حكوا عن عيسى أنه قال: «لم آت لأنقض شريعة من قبلي، وإنما أتيت لأتممها»[3] فإن كان هذا القول حقًا عندهم،

(١) تكوين: الإصحاح: [١٧] الفقرتان: [١٠، ١١].

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٥).

(٣) متى: الإصحاح: [٥] الفقرة: [١٧].

فلأي شيء نقضوا شريعة من قبله حرفًا حرفًا؟ وإن كان كذبًا فكفاك بذلك فسادًا وخلفًا»[١].

ونجد أيضًا أبا البقاء الجعفري يذكر مخالفة النصارى لنصوص التوراة والإنجيل، بنص قريب من نص الإمام القرافي، ويذكر أن النصارى لم يزالوا يختتنون إلى أن جاء بولس كما ذكر الإمام القرافي[٢].

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي، فإنا نجد الإمام الألوسي يذكر أن ترك النصارى للختان مخالف لما جاء عن عيسى عليه السلام من كونه لم يأت ليبطل شريعة موسى عليه السلام، ثم يذكر حكم الختان في الإسلام ويؤيد ذلك بالأحاديث ثم يذكر كل ما ذكره الإمام القرافي في رده على النصارى في ترك الختان، مصرحًا بالنقل عن القرافي[٣].

تعقيب:

من خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي رحمه الله تعالى تأثر بالإمام القرطبي وأبي البقاء الجعفري، إلا أنه أضاف ما لم يذكراه من كون الختان سمة ثابتة في المرء تدل على كون الإنسان امتثل طاعة مولاه وأذعن لشرعة، ولا ريب أن تلك الإضافة أبرزت شخصية القرافي وأنه وإن تأثر بغيره إلا أنه احتفظ بمعالم شخصيته.

كما يظهر تأثير القرافي في الإمام الألوسي رحمه الله.

والله أعلم

---

(١) يراجع: الإعلام: (ص٤٢٠-٤٢٢).

(٢) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٥٨٨، ٥٨٩).

(٣) يراجع: الجواب الفسيح: (٢/ ٣٢٧-٣٣٦)، وينظر: تحفة الأريب (ص١١٢)، الجواب الصحيح: (١/ ١١٧)، هداية الحيارى: (ص١٨٤)، إظهار الحق: (١/ ٣٥٥).

المسلك الثالث
الاعتراف بالذنوب للقسيس ليغفرها
وموقف القرافي من ذلك

وفيه فرعان:

الفرع الأول: سر الاعتراف عند النصارى (سر التوبة)

الفرع الثاني: موقف القرافي من الاعتراف بالذنوب للقسيس



الفرع الأول
سر الاعتراف عند النصارى
(سر التوبة)

الاعتراف بالذنوب أمام الكاهن، أو القسيس لنيل الغفران منه، سر مقدس من أسرار الكنيسة السبعة، يقدسه النصارى الكاثوليك، والأرثوذكس، ويرفضه النصارى البروتستانت.

ويسمى: حلاً للخطايا، واعترافًا، ومصالحة، ومعمودية ثانية(١)، ويعتقد النصارى: أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، وأن كل من يخفى منه ذنبًا فلا ينفعه إقراره بعد ذلك(٢).

ويقصد النصارى بسر الاعتراف: أن يعترف الخاطئ بخطاياه أما كاهن الله، إقرارًا مصحوبًا بالندامة والتأسف والعزم الثابت على ترك الخطيئة، وعدم الرجوع إليها؛ لينال الغفران بفعل الروح القدس الذي يستدعيه الكاهن في صلاة التحليل(٣) ويعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام هو الذي منح تلاميذه وخلفاءهم سلطانًا أن يحلو الخطايا ويربطوها، وأن يتركوها ويمسكوها بقوة روح الله القدس، وأن يعلنوا غفران الخطايا للبشر.

والكاهن أو القسيس عندهم أفضل من الملائكة؛ لأن ساكني الأرض - الكاهن أو القسيس- قد سمح لهم أن يسوسوا ما في السموات، وأخذوا سلطانًا لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة؛ لأنه لم يقل لأولئك كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة: (ص٩٧).

(٢) ينظر: الأريب (ص٩١).

(٣) يراجع: أسرار الكنيسة السبعة (ص١٩٧، ٢١٠)، الأمور المتيقنة عندنا، (ص٧١)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: (ص٢٤).

في السماء[١] والمسيح قال لهم ذلك، فقد جاء في إنجيل متى أنه قال للتلاميذ: (الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء)[٢].

والكاهن أو القسيس لا يغفر خطايا المسيحيين الذين على وجه الأرض فقط، بل يمسح وينظف ذنوب النصارى المتوفين أيضًا، بل إنه ليملك القدرة على إصدار قرار يمنع من دخول الجنة، لأي فرد شاء، وهو ما يعرف بالحرمان عندهم[٣].

والكاهن عندهم وكيل أسرار الله، وهو طبيب وأخصائي اجتماعي ونفسي ومرشد روحي يعرف أمراض الخطيئة، ويقدم العلاج بما له من خبرة[٤].

ويستدلون على الاعتراف إضافة لما ذكر من قول عيسى عليه السلام للتلاميذ بأن الإنسان في كل أدوار حياته يحتاج على من يواسيه في أموره، فتراه يشكو همومه وأتعابه وما يضايق نفسه إلى صديق أو حبيب له؛ طلبًا لمشورة، أو تنفيسًا لكرب، أو تخفيفًا لألم، أو مشاطرة له فيما يشعر به، أضف إلى ذلك: أن الإنسان إذا أخطأ ضد إنسان آخر، واعترف له بخطأه وطلب سماحه استراح ضميره وتصالح مع خصمه[٥].

ولكن: هذا الكلام يكون مقبولاً، لو أن صاحب الذنب يعترف؛ ليجد مخرجًا من ذنبه؛ أو تخفيفًا عما وقع فيه، وأين مشاورة الصاحب أو الصديق،

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة: (ص١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١).
(٢) متى: الإصحاح: [١٨] الفقرة: [١٨].
(٣) ينظر: المدخل إلى علم مقارنة الأديان بين اليهودية والمسيحية والإسلام د/ بكر زكي عوض: (١/ ٢١٤، ٢١٥)، طبعة وزارة الأوقاف، ط: الثانية ١٤٢٦هـ.
(٤) مصباح الظلمة: (ص٢٧٧) هامش (١).
(٥) ينظر: أسرار الكنيسة: (ص٢١٠، ٢١١).

والتي هي بمحض اختيار الإنسان من الاعتراف جبرًا -وإلا لا دخول للجنة- لواحد من البشر يصيب ويخطئ؟ وأين طلب المسامحة من المساء إليه من طلب المسامحة من شخص لم يسيء إليه؟ فالأولى أن تطلب المسامحة من الله تعالى بدلاً من القسيس وإن قالوا: إن القسيس وسيط بيننا وبين الله، قلنا فمن هو الوسيط بن القسيس وبين الله تعالى؟

ونظرًا لأن سر التوبة لا يمنح إلا مرة واحدة في الحياة، ولأن التأديبات الكنسية التي تفرض على التائب قد تكون شاقة، فعليه أن يرتدي ثياب الفقراء، ويهمل الاهتمام بالنظافة ويصوم ويمتنع عن أكل اللحم ويتصدق، وعليه أن يمتنع من العلاقات الزوجية، وربما امتد الحرمان من العلاقات الزوجية بعد المصالحة حتى الموت، نظرًا لكل هذا، فإن الخاطئين يؤجلون توبتهم إلى أطول وقت ممكن وغالبًا إلى دنو الموت[1].

والاعتراف بالذنوب ماحي لجميع ذنوب العاصي مهما عظمت أو كثرت عند النصارى[2] هذا على العكس مما ذكره الإمام القرافي عنهم من أنهم يحصون ذنوبًا تغفر وذنوبًا بعدم المغفرة[3] ولعل الأمر قد تغير في أيامنا عما كان عليه النصارى زمن القرافي وهذه هي طبيعتهم إذا استحسنوا أمرًا جعلوه دينًا حتى ولو لم يكن له ذكر في كتبهم.

والله أعلم

---

(١) ينظر: موسوعة الأديان في العالم (المسيحية) إعداد البروفسور: جان ماري كريزاس ود. جمال مدكور بالتعاون مع دار كريبس انترناشيونال (ص٥٦، ٥٧)، الناشر: دار كريبس، ط/ الأولى، ٢٠٠٠م، وينظر أسرار الكنيسة: (ص٢٢٤) وما بعدها.

(٢) ينظر: أسرار الكنيسة السبعة، (ص٢٣٤).

(٣) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١٥٥) وما بعدها.

الفرع الثاني
موقف الإمام القرافي من الاعتراف بالذنوب للقسيس

قبل أن يناقش الإمام القرافي النصارى في مسألة الاعتراف، صوَّر مذهبهم مبينًا كيفية الاعتراف وما يلحقه من تأديبات. ثم ذكر تقسيم النصارى الذنوب إلى قسمين:

ذنوب يغفرونها، وذنوب ليست كذلك(١): ثم ألزمهم على مسألة الغفران إلزامين هما:

الإلزام الأول:

يلزم الإمام القرافي النصارى على ما يذهبون إليه من وجوب الاعتراف للقسيس أنهم بذلك يساعدون على المجاهرة بالمعاصي(٢)، ونشر الفضيحة والعار، وهذا خلاف ما جاءت به الأديان السماوية من كتمان المعصية، والأمر بستر الذنوب على الناس، وذلك قوله: (يبعثون العصاة على المجاهرة بالمعاصي، وينشرون الفاحشة والفضيحة والعار في الذراري والأعقاب، ويبقى أهل ذلك

---

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٧ ، ١٥٥) وما بعدها، ولا داعي لذكر تصوير الإمام القرافي لمذهب النصارى: لأنا قد صورناه في المسلك السابق، وأما ما ذكره من ذنوب تغفر، وذنوب لا تغفر، فهذا هو مذهب النصارى زمن الإمام القرافي أما اليوم، فلا يقوم ذنب مهما عظم أمام غفران الراهب أو القسيس كما ذكر في المسلك السابق، ولذلك لا داعي لذكر ما ذكره الإمام القرافي هنا.

وقد شارك الإمام القرافي في تقسيمات النصارى الذنوب إلى ما يغفر، وما لا يغفر الإمام القرطبي وهو معاصر للإمام القرافي: الإعلام (ص٤٠٥) وما بعدها، مما يؤكد ما ذكره الإمام القرافي عن القوم.

(٢) لأن العاصي إذا علم أنه متى اعترف غفرت ذنوبه، فما يمنعه من اقتراف المعاصي، والمجاهرة بها، ما دام لم يكن هناك حد رادع عن اقترافها سوى أنه لا بد أن يعترف بذنوبه يومًا ما.

البيت مسبة على وجه الدهر، وهذه مفاسد كبيرة، لم تأمر بها شريعة، لكنها من بدعهم الفظيعة)[١].

الإلزام الثاني:

ويلزمهم أيضًا أن يكون قسيسوهم، وأساقفتهم أفضل من الأنبياء والرسل عليهم السلام، فإنه لم يكن لنبي ولا رسول أن يغفر ذنوب أحد من الناس، أما قساوسة النصارى، والأساقفة، فلهم أن يغفروا الذنوب مهما عظمت، وأن يحرموا من أرادوا حرمانه، وذلك قوله: (بل عظم القسيسون أنفسهم حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء، فحكموا في الشرائع وليس ذلك للأنبياء، وقالوا للعوام: إن غفران أحدنا غفران الله، و حرمانه حرمان الله، وإن أعطينا القربان يقبله الله، وإن لم نعطه لم يقبله الله، وليس للأنبياء عليهم السلام شيء من ذلك، بل الحكم كله عند كل نبي من الأنبياء لله تعالى)[٢].

وبعد أن ذكر الإمام القرافي ما يلزم النصارى على اعترافهم يستدل عليهم بما جاء في القرآن الكريم من أن ملك السموات والأرض لله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ولا يقدر على ذلك سواه سبحانه، وذلك قوله: (بل الحق ما قاله رب العالمين في كتابه المبين: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨])[٣].

وإذا نظرنا في كلام السابقين عن الإمام القرافي، فإنا نجد الإمام القرطبي

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٧).
(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٥٧).
(٣) ينظر : الأجوبة الفاخرة: (ص١٥٧).

صنع مثل صنيع الإمام القرافي بأن صور مذهب النصارى، وذكر تقسم الذنوب عندهم إلى ما يغفرونه، وما لا يغفرونه، وذكر أنه يلزم النصارى أن يكون قساوستهم أفضل من الأنبياء عليهم السلام، إلا أنه لم يذكر الإلزام الأول الذي ذكره القرافي، ولكنه زاد مخاطبًا القسيسين: (فإن غركم الشيطان وقد فعل بأن تقولوا: إن لنا لأجل القسيسية منزلة وحظوة فاتركوا العمل بشريعتكم؛ لأجل ما لكم عند الله من الفضل، ولا تحرموا على أنفسكم شيئًا من الفواحش)[١].

ونجد أبا البقاء الجعفري يشرح مذهب النصارى ويكتفي بأن ما يقوله النصارى فضيحة من فضائح النصارى، يعير بها أولاد صاحب الذنب جيلاً بعد جيل[٢].

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي، فإنا نجد عبد الله الترجمان يسأل النصارى لأي شيء تفعلون ذلك، ولم يأمر به عيسى عليه السلام، ولا أقر له تلاميذه يومًا ما بذنب مع أنه أقدر في زعمكم على غفران الذنوب من جميع القسيسين، إذ هو عندكم هو الله وابنه؟ كما أنه يسألهم: إذا كان القسيس هو الذي يغفر الذنوب لكم فمن الذي يغفر له ذنوبه؟ ثم يؤكد لهم أنهم بكفرهم وإشراكهم لا يغفر الله لهم ذنوبهم، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وإذا كانت مغفرة الله لهم محالاً - بخبر الصادق- فمغفرة القسيس لهم أشد في المحال[٣].

ونجد الإمام الألوسي يذكر نقدًا لبعض علماء النصارى البروتستانت الذي يرفضون الاعتراف بشدة، من هذا النقد:

---

(١) ينظر: الإعلام: (٤٠٥) وما بعدها.

(٢) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٩٥).

(٣) يراجع: تحفة الأريب (ص٩٢).

١- أن جميع الكهنة ولا سيما الغير متزوجين لا يقدرون على ضبط شهواتهم، فاستماعهم الاعترافات مما ينهض شهواتهم، ويحركها للوقوع في فخ الشيطان ويسهل عليهم طريق الوصول إلى مرغوبهم؛ لأنهم بواسطته يعرفون من هي أهل لذلك، ولولا هذه المعرفة ربما كان برقع الوظيفة يجعلهم يستحيون من الطلب خوفًا من أن الباب الذي يقرعونه لا يفتح لهم.

١- أن بعض النساء والرجال إذا عملوا خطيئة، وكانوا من أرباب الحياء أو يخشون إظهارها، يتركون التوبة، وربما يكون ذلك باعثًا على فتح باب الخطايا، وارتكاب المحرمات.

ثم يقول الإمام الألوسي بعد أن أطال النقل عن علماء البروتستانت: (هذه العقيدة -الاعتراف- هل يقول بها ذو عقل، ويُجَوِّزها غيور على البنات والأهل؟ وهل هذه نظافة القلوب والصدور أم آلة الفسق والفجور، ودنس لا يزيله الماء، ووسخ لا تطهره وإن أمطرت عليه السماء؟[(١)]

ومن خلال ما سبق يتضح: أن الإمام القرافي متأثر بالإمام القرطبي إلا أنه وإن تأثر به لا يفقد شخصيته العلمية، ولذا أضاف ما لم يذكره الإمام القرطبي، من أن الاعتراف يعين على إشاعة الفاحشة ويفضح أسرار الناس، وهذا مخالف لما أمرت به الشرائع كلها، من وجوب الستر، والأمر بكتم الفواحش.

وإذا قورن ما ذكره القرافي بما ذكره غير الإمام القرطبي نجد أن رد الإمام القرافي أقوى من رد أبي البقاء الجعفري والألوسي؛ لأن الأول لم يزد عن كون الاعتراف فضيحة من فضائح النصارى، يلزم منها مذمة أبناء صاحب الذنب على مر الأجيال، والألوسي لم يزد عما ذكره عن علماء البروتستانت إلا أن هذا

---

(١) الجواب الفسيح: (٢/ ٣٢١) وما بعدها، وينظر: هداية الحيارى (ص١٨٥).

الاعتراف لا يقوله عاقل أو غيور، ولا ريب أن رد القرافي أقوى من هذين الردين فضلاً عن كونهما غير كافيين لرد مسألة كهذه، إذ مجرد الإعلان عن كون الأمر فضيحة بدون بيان ما يؤكد ذلك لا يكفي ومجرد الإعلام بأن الأمر لا يقبله عاقل لا يكفي؛ لأنه يمكن رد الجواب عليه فيقال مثلاً: إن نفي الاعتراف لا يقول به عاقل، وهذا سهل.

ولكن إذا قورن رد الإمام القرافي بما ذكره أبو عبد الله الترجمان، كان رد الترجمان أقوى من رد الإمام القرافي؛ لأنه نفى وجود مستند وقوعي للنصارى على ما يقولون به، وإذا انتفى المستند مع وجود من هو أحق بأن يغفر الذنوب وهو عيسى عليه السلام؛ لأن النصارى يقولون بربوبيته، بطلت العقيدة من أصلها.

والله أعلم



المسلك الرابع
العشاء الرباني عند النصارى وموقف القرافي منه

وفيه فرعان:

الفرع الأول: العشاء الرباني عند النصارى.

الفرع الثاني: موقف القرافي من العشاء الرباني





الفرع الأول
العشاء الرباني عند النصارى

العشاء الرباني عند النصارى الكاثوليك والأرثوذكس سر مقدس، به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس، ويشرب دمه الزكي.

وبيان ذلك عندهم:

أنهم يجتمعون في كنائسهم يوم الأحد من كل أسبوع، ويوم عيد الفصح[١] على قسيس يأتي بخبز وخمر، ويدعو عليهما بأدعية خاصة، يزعم أنها تحول هذا الخبز والخمر إلى دم المسيح ولحمه، ويأمرهم بأن يأكلوا من جسد المسيح، ويشربوا من دمه، وذلك ليتحد جسدهم بجسد المسيح، ولينالوا حياة أبدية، لأن المسيح قال لهم: (من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية)[٢].

ويتناول كل من حضر من الخبز والخمر، واضعًا كفه اليسرى على اليمنى، ويقول الأسقف، أو القسيس لكل متناول: خبز السماء في المسيح يسوع، ويجيب المتناول، آمين، ويقول الأسقف: خمر السماء في المسيح يسوع ويجيب المتناول: آمين[٣].

ويسمى النصارى هذا السر تسميات عدة فيسمونه: العشاء السري،

---

(١) عيد الفصح من أعياد اليهود أصلاً، يقيمونه في الرابع عشر من شهر نيسان (إبريل) وهو يسمى عند النصارى بعيد القيامة المجيد، ويحددونه يوم الأحد التالي ليومي الرابع عشر والسادس عشر من شهر (نيسان). يراجع تاريخ الكنيسة القبطية (ص٥٦)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (ص٢٥٨)، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: (ص٦٧).

(٢) يوحنا: الإصحاح: [٦] الفقرة [٥٤].

(٣) يراجع: أسرار الكنيسة السبعة: (ص١١٥، ١٧٤، ١٧٥) الأمور المتيقنة عندنا: (ص١٤٤) وما بعدها، الكنيسة المسيحية: (ص٢٣٩)، موسوعة الأديان في العالم (المسيحية) (ص٣٦، ٣٧).

والعشاء الإلهي ومائدة الرب، وجسد المسيح، وسر الشكر، والخبز السماوي وغير ذلك.

ويزعم النصارى أن كل جزء من الخمر ومن الخبز في العشاء الرباني، حتى أصغر الأجزاء ليس هو جزء من جسد المسيح ودمه، بل ينال به المؤمن جسد المسيح كله ودمه كله، وأنه إذا كان العشاء الرباني يقام في كنائس كثيرة في وقت واحد فجسد المسيح هو واحد ودمه واحد في جميع الأمكنة والأزمنة.

ولئن قيل لهم: كيف يتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح عليه السلام ودمه؟ فإنهم يقولون: إنهما يتحولان تحولاً سريًا لا يدخل تحت الحواس، ولا ينبغي لأحد أن يسأل عن أعمال الله بكيف(١).

ويحتاج هذا السر عند النصارى إلى تطهير النفس من الخطيئة بالتوبة، والاعتراف، والتصميم الشديد على هجر الشر، وتهذيب النفس بالأخلاق الحميدة، كما أنه إذا كان الخبز والخمر هما جسد المسيح ودمه حقيقة -عندهم- فيجب أن تقدم لهما العبادة والسجود يقول يوحنا ذهبي الفم: (هذا الجسد كما كان بعد في المزود خجل منه المجوس ورجال كفرة وبرابرة، تركوا أوطانهم وبيوتهم، وقطعوا طريقًا طويلة، وأتوا وسجدوا له، فلنقتدي إذن بالبرابرة على الأقل) ويقول أغطسطينوس(٢): (ما من أحد يشارك جسد يسوع المسيح ما لم

---

(١) ينظر أسرار الكنيسة: (ص١١٦، ١٤٠، ١٤١، ١٥٢).

(٢) ولد في بلاد أفريقيا بمدينة تاغا في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) في السنة الرابعة والخمسين من القرن الرابع لميلاد المسيح، أنشأ مدرسة في قرطاجنة؛ لتعليم الفلسفة وعلم البيان، توفي في اليوم الثامن والعشرين من شهر آب (أغسطس) عام ٤٣٠ للميلاد وله من العمر ٧٦ سنة قضى منها أربعين عامًا في خدمة المسيحية، مروج الأخبار في تراجم الأبرار (٢/ ٤٨٦، ٤٩٠).

يقدم له عبادة إلهية)[١].

هذا: وإذا كان النصارى الكاثوليك والأرثوذكس يتفقون على العشاء الرباني ويرفضه بشدة البروتستانت فإنهم يختلفون في تفاصيله، فبينما تقدم الكنائس الأرثوذكسية الخبز والخمر؛ ليتحولا إلى جسد المسيح ودمه، ترفض الكنائس الكاثوليكية تقديم الخمر، وترى أن الذي يتحول هو الخبز فقط دون الخمر وبينما يشترط الأرثوذكس الخبز والخمر في العشاء الرباني، يرى الكاثوليك أنه لا يتم العشاء الرباني إلا بالفطير[٢].

والله أعلم



---

(١) ينظر: مقالات لاهوتية (ص١٦١)، مصباح الظلمة (ص٢٧)، أسرار الكنيسة السبعة (١٤١، ١٤٢).

(٢) يراجع: أسرار الكنيسة السبعة: (ص١٦٧، ١٦٨، ١٧٦).

الفرع الثاني
موقف الإمام القرافي من العشاء الرباني

لا يكتفي النصارى بمجرد اعتقاد أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسم ودم المسيح عليه السلام وأنهم يأكلون الجسد، ويشربون الدم، بل يتخذون ذلك قربانًا يتقربون به إلى الله تعالى، بل هو القربان الوحيد عندهم[(١)].

والإمام القرافي في مناقشته النصارى فيما يتصل بالعشاء الرباني (القربان) بين لهم أن التوراة تخبر أن القربان إنما يكون عن طريق الذبائح لله تعالى، وكون النصارى يجعلونها بالخبز والخمر دليل على أنهم خالفوا أحكام التوراة التي لم يكن لعيسى عليه السلام أن ينقضها، وذلك قوله: (إن الأنبياء وبني إسرائيل كانوا يقربون القربان على ما في التوراة: العجول والجزر والخرفان[(٢)] فانظر إلى هؤلاء، كيف ينقلون عن التوراة أن المشروع في القربان الأنعام، وهم يغيرونه ويبدلونه بالخبز والخمر، لأنهم متبعون لهواهم؟)[(٣)].

ثم بيَّن لهم أن عيسى عليه السلام كان يؤمن بقربان موسى، ويعتبره القربان إلى الله، ويقر الناس عليه، فإذا جاء النصارى وابتدعوا قربانًا من عند أنفسهم، فقد خالفوا شريعة عيسى عليه السلام بمجرد الرأي والهوى، وذلك قوله: (ومن العجيب أن في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال للمبروص الذي شفاه أمض وأعرض نفسك على القسيسين وأنفذ قربانك الذي أمر به موسى عليه

---

(١) ينظر: أسرار الكنيسة السبعة (ص١٥٧).

(٢) جاء في سفر اللاويين: (إذ قرب إنسان منكم قربانًا للرب فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم) الإصحاح: (١) الفقرة: (٢)، وينظر الإصحاح: [٣] والإصحاح: [٤] والإصحاح: [٥] الفقرة: [٦].

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص١٥٩).

السلام[1].

يقول القرافي: (وهو نص على أن القربان عند عيسى عليه السلام، هو ما شرع على لسان موسى عليه السلام، لا ما شرعتموه من الهذيان، فظهر أنهم تركوا التوراة لغير شيء بل للهوى، والتحكم في الشرع)[2].

رد استدلال النصارى:

النصارى يستدلون على صحة القربان بقول عيسى عليه السلام في الإنجيل: (من أكل لحمي وشرب دمي كان فيّ وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء، فمن أكلني يحيى بي)[3].

والإمام القرافي يرد ما تمسك به النصارى، بأنهم ينبغي عليهم أن يتحققوا صحة نقل ذلك عن عيسى عليه السلام، فإن لم يصح فلا معنى للاستدلال به، وإن صح فالأولى ألا يحمل على ظاهره، بل يحمل على ما يليق بمنصب عيسى عليه السلام من أنه عليه السلام شبه ما جاء به من الهدايات وهي أمور معقولة، بما هو محسوس من غذاء الأجساد، كأن عيسى عليه السلام يريد أن يقول من اتبعني وصدق ما جئت به، تحققت له الحياة الحقيقية التي هي حياة الأرواح وسعادتها، ومن لم يتبعني شقيت روحه وتعست وعاش حياة بائسة، وذلك قوله: (وأما قول عيسى عليه السلام: «من أكل لحمي وشرب دمي كان فيّ وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء» فقد حملوه على ظاهره، وإنما ينبغي لهم أن يسعوا في صحة النقل أولاً، فإذا صح حمل على ما يليق بمنصبه، وهو انه عليه

---

(١) متى: الإصحاح: [٨] الفقرات: [١-٤] مرقس: الإصحاح: [١] الفقرات: [٤٠-٤٥] لوقا: الإصحاح: [٥] الفقرات: [١٢-١٥].

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٦٠).

(٣) يوحنا: الإصحاح: [٦] الفقرات: [٥٦-٥٩].

السلام عبر عن المعنى المعقول بمثال محسوس، وشبه غذاء الأرواح بغذاء الأجساد، وهو أنه عليه السلام أتى بأنواع الهدايات، وتفاصيل الأحكام وأحيا ما أماته بنو إسرائيل من ذلك فمن اتبعه اغتذت روحه، وتوفرت قواها، وحصلت لها مسرتها ونعماها، وأمنت شقاها وخيبة مسعاها، وليس المراد الخبز المحسوس ولا الدم المشاهد)[1].

وأخيرًا يعجب القرافي من إنكار النصارى على اليهود قتل عيسى وصلبه كما يعتقدون مع أنهم بما يفعلونه إن كان صحيحًا فهم أشد نكاية من اليهود بالمسيح، فاليهود قتلوه وصلبوه، وهذا أهون من تمزيق لحمه وشرب دمه، وذلك قوله (رووا عن المسيح عليه السلام أنه أعطاهم خبزًا وقال: هذا جسدي فكلوه، وأعطاهم خمرًا وقال: هذا دمي فاشربوه)[2] يقول القرافي: (وقد اقتصر اليهود على القتل والصلب، وكأن النصارى لم يرضوا بهذا للرب حتى مزقوا لحمه على رؤوس الأشهاد، وشربوا دمه في المواسم والأعياد، وإنما يفعل ذلك أرباب الضغائن والأحقاد!)[3].

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإنا نجد الإمام القرطبي يذكر ما ذكره الإمام القرافي[4]، ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر المقارنة التي قارنها القرافي بين النصارى واليهود، والتي لزم عنها أن يكون النصارى أشد

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص١٥٩، ١٦٠) وقد جاء في إنجيل يوحنا ما يؤيد ما ذكره الإمام القرافي فقد قال عيسى: (أنا هو خبز الحياة، من يقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا) الإصحاح: [٦] الفقرة: [٣٥].

(٢) متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرتان [٢٦، ٢٧]، مرقس: الإصحاح: [٤]، الفقرات [٢٢-٢٤] لوقا: الإصحاح: [٢٢] الفقرات: [١٩-٢١].

(٣) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص١١٩).

(٤) ينظر: الإعلام: (ص٤٢٩) وما بعدها.

نكاية بعيسى من اليهود[١].

وإذا نظرنا في كلام المتأخرين عن الإمام القرافي فإنا نجد عبد الله الترجمان يذكر أن أمر المسيح عليه السلام تلاميذه بأن يأكلوا جسده ويشربوا دمه ذكره متى، ولم يذكره يوحنا[٢] مع أن يوحنا عاشر المسيح حتى رفع، ويجعل ذلك من الاختلاف الدال على الكذب ثم يناقش النصارى في قولهم: إن كل جزء من أجزاء الخبز هو عيسى عليه السلام بجميع جسده، حتى ولو بلغت أجزاء الخبز مائة ألف جزء لكان كل جزء منها هو عيسى.

بقوله: (إن كان جسد عيسى طوله عشرة أشبار وعرضه شبرين وعمقه شبرًا، والخبز الذي يقرأ عليه القسيس لا يمكن أن يكون ثلاثة أشبار، فكيف يكون جسد طوله عشرة أشبار، وعرضه شبران، وعمقه شبر في شيء طوله ثلاثة أشبار؟ هذا محال في كل عقل سليم، ثم إن النصارى قد يعترضون بأن المرآة تكون قدر الدرهم، والإنسان يرى فيها أكبر الأبراج والمباني العالية، فكذلك جسد عيسى يظهر في الخبز وإن كان أكبر منه، وهذا ما يدفعه الترجمان بقوله: (إن الذي يرى في المرآة عرض لا جوهر وأنتم تعتقدون أن جوهر، عيسى وعرضه جميعًا في رغيف الخبز).

ثم يقول: (ثم إن عيسى رجل واحد، وأنتم تعتقدون أن في كل جزء من أجزاء الخبز جميع جسد عيسى، فلو أنقسم الخبز على مائة ألف جزء، لزمكم أن يكون في كل خبز يقرأ عليه القسيس مائة ألف عيسى، ثم يتضاعف ذلك

---

(١) ينظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٨٥، ٥٨٦).

(٢) متى: الإصحاح: [٢٦] الفقرات: [٢٦-٢٩] وذكر يوحنا عند تناول عيسى الفصح مع التلاميذ أنه أتى بماء وغسل أرجل تلاميذه ليعلمهم التواضع ولم يذكر قول عيسى الذي فيه الأمر بأكل لحمه وشرب دمه، يوحنا: الإصحاح: [١٣] الفقرات: [١-١٧].

بمضاعفة عدد الكنائس فيصير عيسى أعدادًا لا تتناهى، وكل من قال هذا أو اعتقده فقد جعله الله أضحوكة للعالمين، ومسخرة للشياطين)[١].

ونجد رحمة الله الهندي يذكر: أنه إذا استحال الخبز مسيحًا كاملاً حيًا بلاهوته وناسوته، فيكف لا تظهر فيه عوارض الأجسام من الجلد والدم والعظام وغير ذلك؟ ولا يستطيع النصارى أن يقولوا بظهور ذلك، بل عوارض الخبز، باقية كما كانت، فإذا نظره أحد أو لمسه أو ذاقه لا يحس شيئًا غير الخبز وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذي يطرأ على الخبز، لا الفساد الذي يطرأ على الجسم الإنساني.

ويتعجب الهندي قائلاً: كيف يمكن تعدد عيسى عليه السلام بجسمه في أماكن غير محصورة في آن واحد حقيقة، مع أنه ما وجد قبل عروجه إلى السماء بهذا الاعتبار في مكانين فضلاً عن الأمكنة الغير متناهية[٢].

ونجد الإمام الألوسي يذكر قربان النصارى، ويطيل النفس في مناقشتهم ذاكرًا واحدًا وعشرين وجهًا لإبطال هذه العقيدة، نذكر منها بعضها؛ خوف الإطالة:

١- إن كان الذي أكله التلاميذ هو المسيح حقيقة، فاليهود حينئذ لم يصلبوه، بل صلبوا خيالاً أو غيره، وإن كان هو الذي صلب كما يزعمون، فالتلاميذ أكلوا خبزًا فقط لا مسيحًا، فالاستحالة لا أصل لها.

٢- أن الخبز بزعمهم إذا استحال وصار إلهًا يسجد له، فإن كان هذا حقًا يلزم دوامه ما دام الله موجودًا بلا زوال ولا فساد، مع أنه ليس بدائم، لأنهم كل

---

(١) ينظر: تحفة الأريب: (ص٨٩، ٩٠).

(٢) يراجع: إظهار الحق: (١/ ٣٨٦، ١٨٧)، وينظر أيضًا: (ص١٢٤) من نفس الجزء.

يوم يحتاجون أن يقدسوا غيره؛ لأن ما قبله قد فسد وتلاشى.

٣- أنهم يزعمون أن عيسى هو الله سبحانه، وأنه يكون الخبز عينه، فينبغي أن من أكله يكون الإله حالاً فيه، وأن تحل فيه صفاته أيضًا، فصارت النصارى كلها آلهة، فلماذا بعد ذلك يغفر لهم القس ذنوبهم أيضًا؟ وكيف جاز على من حل به الإله أن يموت، أو يعذب، أو يدخل النار؟ فالاستحالة باطلة.

٤- إذا حل عيسى في جسد الآكل الذي ارتكب الخطايا، فهل هو يدخل جهنم معه أم لا؟ فإن دخل معه فقد دخل المسيح أيضًا، وإن لم يدخل لم يكن متحدًا[1].

ونجد الإمام الباجي زاده يطيل في عرض مسألة القربان عند النصارى وفي مناقشتها، ومن مناقشته لهم، أن من تفحص الأناجيل الأربعة لم يجد فيها أن التلاميذ اقتدوا بالمسيح في (إجراء مراسم هذا الفرض الديني ثم يقول: تصور هداك الله نتيجة ما يستحيل إليه بعد تناول جسد هذا الإله ودمه المتحول من صفة الخبز والخمر، فيا عجبًا أيرضى هذه الإله بذلك، أو يرضى المسيحي الحقيقي بها هنالك؟)، ثم بين أن صنيع النصارى ذلك فيه مشابهة بمشركي العرب الذين كانوا يصنعون آلهتهم من طعام، وإذا جاعوا أكلوها، كما فيه ما لا تقبله الطبائع من أكل لحم الآدمي وشرب دمه، إلا الطبائع المتوحشة الخارجة عن طور الإنسانية، ثم أجاب عما تمسك به النصارى من قول عيسى (هذا جسدي، وهذا دمي) بنحو ما أجاب به القرافي[2].

ومن خلال ما سبق يظهر: أن الإمام القرافي متأثر في رده تلك المسألة

---

(١) ينظر: الجواب الفسيح: (٢/ ٤٤١، ٤٤٥).

(٢) يراجع: الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٢١١، ٢١٧).

بالإمامين القرطبي، وأبي البقاء الجعفري، كما أنه أثر في الباجي زاده من المتأخرين، وإن كان الباجي زاده رحمه الله ذكر ما لم يذكره القرافي من أنه لا يوجد في الأناجيل ما يدل على أن التلاميذ باشروا القربان بالصورة التي يقول بها النصارى، وأن النصارى بذلك يشبهون مشركي العرب.

والله أعلم



المطلب السادس
شبهات النصارى على الإسلام ورد القرافي عليها

وفيه مسالك:

المسلك الأول: انتشار الإسلام بالسيف ودحض القرافي ذلك.

المسلك الثاني: ادعاء النصارى أن شريعتهم شريعة الكمال وأن شريعة الإسلام شريعة النقص ورد القرافي عليهم.

المسلك الثالث: ادعاء النصارى أن المسلمين على ضلال في دينهم ورد القرافي عليهم.



المسلك الأول
انتشار الإسلام بالسيف ودحض القرافي ذلك

تمهيد:

يثير النصارى منذ زمن بعيد، أن الإسلام دين العنف، ولولا ذلك لما انتشر، ولما قبله الناس.

جاء في رسالة القسيس القوطي إلى أبي عبيدة الخزرجي ما نصه: (ودين الصليب فشا في الأرض دون سيف ولا قهر، ودينكم إنما ظهر بالسيف والقهر في الأرض، وقاتل صاحب شريعتكم الأمم وغلبهم، وكان سببًا في تغيير أمرنا وتكفيرنا، وإنما جاء المسيح ابن مريم مهينًا ضعيفًا، ولم يقاتل أحدًا)(١).

ويقول الإمام القرافي مصورًا شبهتهم: (يقولون: إن دين المسلمين في غاية الضعف، وإنما ظهر بسبب القتال والقهر والغلبة، والإخافة، وسلب الذراري، والأموال، ولو سلكوا العدل والإنصاف لما ظهر في دينهم حق)(٢).

ويتساءل النصارى اليوم قائلين: (إن المسيح لم يقاتل أحدًا في حياته وكان يقابل الإساءة بالصفح حتى من أشد خصومة وأعدائه، فأي الأسلوبين أعدل وأكمل: الدعوة بالجهاد والحرب، أم الدعوة بالتسامح والحب؟)(٣).

---

(١) بين الإسلام والمسيحية: (ص١٤١، ١٤٥).

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٨٨).

(٣) ينظر: الإسلام وخرافة السيف: د/ عبد الودود شلبي: (ص١٤٣)، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة: ط/ الثانية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ويراجع هذه الشبهة عند النصارى المحدثين في كتاب: بيان الحق، ليسَّ منصور: (ص١١) وما بعدها، طبعة المؤلف، سنة ١٩٦٦م.

وخير ما يدفع به تلك الشبهة شهادات علماء النصارى ومؤرخيهم:

يقول رينو في كتابه (تاريخ غزوات العرب): (إن المسلمين في مدن الأندلس كانوا يعاملون =

رد القرافي هذا الافتراء:

يدفع الإمام القرافي تلك الشبهة بالآتي:

١- بين أن أناجيل النصارى تأمر بالمسالمة وعدم الاعتداء، وبرغم ذلك فهم يعيثون في الأرض فسادًا ونهبًا، فهم بذلك كفروا؛ لأنهم يستحلون محارم الله، أما نحن وإن جاهدنا غيرنا، فلأن ديننا يأمرنا بمجاهدة الأعداء، ورد العدوان علينا، فنحن مقتدون، وهم مخالفون لأوامر دينهم، وذلك قوله: (الإنجيل بين أيديهم ناطق مصرح بالمسالمة، والتزام التواضع والمذلة وأن يبتعدوا عن القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة، وهذا نص الإنجيل: قال المسيح عليه السلام: (سمعتم ما قيل: العين بالعين، والسن بالسن، ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك، ومن سخرك ميلاً، فامش معه ميلين، ومن سألك فأعطه، ومن اقترض منك فلا تمنعه،

=

النصارى بالحسنى) اهـ، ويقول أرنولد وهو يتحدث عن المذاهب الدينية بين الطوائف المسيحية: (ولكن مبادئ التسامح الإسلامي حرمت الأعمال التي تنطوي على الظلم، بل كان المسلمون على خلاف غيرهم، إذ يظهر لنا: أنهم لم يألوا جهدًا في أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس)اهـ.

ويقول الكونت دي كاستري: لقد درست تاريخ النصارى في بلاد المسلمين، فخرجت منه بحقيقة مشرقة: هي أن معاملة المسلمين للنصارى تدل على لطف المعاشرة وترفع عن الغلظة، وعلى حسن مسايرة ورقة مجاملة، وهذا إحساس لم يؤثر عن غير المسلمين) اهـ

ويقول الأسقف دوشين الفرنسي في دراساته حول التاريخ القديم للكنيسة: (إن إله الثأر حين رأى شراسة الرومان الذين يسلبون كنائسنا.. قد قاد أولاد إسماعيل من الجنوب ليطلق سراحنا بواسطتهم وليس بالمكسب البسيط. أن نجد أنفسنا بسلام). يراجع: الإسلام دين المستقبل، روجيه جارودي (ص٤٢) ترجمة عبد المجيد بارودي، نشر دار الإيمان، بيروت، بدون تاريخ، والإسلام وخرافة السيف: (ص١١٦) دفع شبهات ورد مفتريات: محمد عبد الله الخطيب (ص٢٣) دار الأنصار - القاهرة، بدون تاريخ.

وسمعتم ما قيل: أحبب قريبك وأبغض عدوك، وأنا أقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلوا على من يطردكم ويخزيكم؛ لكي تكونوا بني أبيكم، كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل)(١).

يقول القرافي: (ومع ذلك فهم من أشد الناس تكالبًا على القتال، والقتل، وبسط الأيدي بالأذى في أقطار الأرض، بسلب النفوس، والأموال، مستبيحين لذلك(٢) يعتقدونه من أعظم القربات، وأوثق أسباب السعادات، مع تحريم إنجيلهم عليهم ذلك، ومن استحل حرمات الله فهو أشد الناس كفرًا بالله تعالى وكتبه وأحكامه، وأما نحن وكتابنا، فنحن أولياء الله تعالى وأنصاره.. وكتابنا أوجب علينا القتال، ونص أنه من أعظم القربات، وأتم أسباب السعادات)(٣).

٢- أعاد الإمام القرافي الشبهة على النصارى؛ لأن التاريخ يشهد أنهم ما انتشر دينهم إلا بالقتال، وأما المسلمون فدعوتهم بالحسنى قامت، عن طريق إقامة البراهين على الحق، وإبطال الباطل، فمن قبل حاز السعادة، ومن رفض كان أولى بالذل والصغار، وذلك قوله: (إن ابتداء دينهم إنما كان بسبب القتال مع اليهود، وأنهم كانوا يحرقونهم بالنيران، ويغرقونهم في السفن في البحار، وعملوا في اليهود كل نوع من أنواع الأذى، ولولا ذلك لم يبق لهم اليهود أثرًا، فإن الدولة كانت لهم، وقد قتلوا إلههم على زعمهم، ولم يترك بعده أكثر من اثني

---

(١) متى: الإصحاح: [٥] الفقرات: [٣٨-٤٦].

(٢) لعل الإمام القرافي يشير إلى ما كان في زمانه من الحروب الصليبية التي قام النصارى بها ضد العالم الإسلامي وقد ضرب النصارى خلالها كثيرًا من الأمثلة للتعصب، وأتوا من الفظائع والمذابح والكبائر ما تقشعر منه الأبدان، وقد اعترف بذلك المؤرخون الأوربيون، يراجع: الإسلام وخرافة السيف من (ص١٦٤-١٦٦).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص٨٨-٨٩).

عشر حواريًا وسبعين مبشرًا هاربين خائفين، ولو ظهر منهم أحد لقتل شر قتلة، فلو التزموا شريعتهم من المسالمة لم تقم لهم قائمة[1] لكنهم التزموا القتل والعسف.. فسؤالهم ينعكس عليهم بل هو خاص بهم؛ لأنهم على خلاف كتبهم، وأما نحن فممتثلون لأمر الله تعالى ناصرون لدينه، قائمون بحقه في أرضه على خلقه.. نناظر بالمعجزات الباهرة، والبراهين القاطعة فندعو إلى مكارم الأخلاق، وننهي عن لئامها، فمن اهتدى إليها ظفر بالسعادة، وحاز أسباب السيادة، ومن

---

(١) ذكر المقريزي ما أوقعه اليهود بالنصارى -متعاونين مع الفرس- من قتل لهم، وتخريب لكنائسهم، ثم بيّن أن الأمر استمر كذلك حتى ملك هرقل على النصارى وغلب الفرس، وصار من القسطنطينية؛ ليمهد ممالك الشام، ويجدد ما خربه الفرس منها، فخرج إليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم، ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالأناجيل والصلبان والبخور والشموع فوجد المدينة وكنائسها خرابًا، فساءه ذلك، وأعلمه النصارى بما كان من اليهود، وحرضوا على الوقيعة بهم، وضمنوا له التكفير عن يمينه بأن يصوموا لأجله أسبوعًا من كل عام، ويأمر الرهبان والقساوسة النصارى بذلك على مر الدهور والأزمان، فمال إلى قولهم وأوقع باليهود وقيعة شنعاء، أبادهم جميعهم فيها، حتى لم يبق في ممالك الروم بمصر والشام منهم إلا من فر واختفى، ينظر المواعظ والاعتبار: (٣/ ٢٧١، ٢٧٢) وقد جاء في كتاب: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام: (منذ اللحظة الأولى لظفر الكنيسة بسلطة مدنية في عهد قسطنطين دخل مبدأ الكبح العام، واستمر عشرة قرون شداد، رسف فيها العقل والقلب في الأغلال وعاني من قسوته اليهود والوثنيون كثيرًا، وقد أصدر قسطنطين قانونًا يقضي بإحراق كل يهودي يلقى على من اعتنق المسيحية حجرًا، وعقاب كل مسيحي تهود، ثم عدل العقاب إلى مصادرة الأملاك، فإن تزوج يهودي بمسيحية أعدم، وقد أبان نسطوريوس بطريق القسطنطينية عن مبدئه في الاضطهاد حين قال للامبراطور: أعطني الدنيا وقد تطهرت من الملحدين أمنحك نعيم الجنة المقيم.. إلخ. ينظر: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، للشيخ محمد الغزالي: (ص٨٣) وما بعدها، دار نهضة مصر، ١٩٩٧م.

أعرض عنها كان جديرًا بالصغار، والذل والعار)[١].

٣- بين الإمام القرافي أنه إن وجد القتال في ديننا، فقد شهدت الكتب السابقة التي يدين بها النصارى أن القتال سنة الأنبياء والمرسلين، وإذا سلم النصارى بذلك ولا يمكن إنكاره: نتج أمران:

١- أن النصارى لا يطعنون في أديان الأنبياء السابقين؛ لوجود القتال فيها فكذلك لا يطعن في دين الإسلام لوجود القتال فيه.

٢- أن المسلمين بامتثال شريعة الجهاد متبعون لسنة الأنبياء السابقين مصدقون لما جاء عنهم، بخلاف النصارى فهم مخالفون لما جاء عن الأنبياء السابقين في دعواهم هذه، وهذا هو قول القرافي: (إن الكتب التي بأيديهم شاهدة بقتال الأنبياء عليهم السلام، مع طوائف من الطغاة، كداود عليه السلام مع جالوت[٢]، وسليمان عليه السلام مع طوائف من أهل الكفر[٣].

ولم يقدح ذلك في صحة أديانهم؛ وإذا كان القتال سنة الله تعالى، وعادته لأهل الحق مع أهل الضلال، فنحن على تلك السنة سالكون، وبها عاملون، فتكون من مناقبنا لا من مثالبنا، ومن حسناتنا لا من سيئاتنا)[٤].

وإذا نظرنا في كلام السابقين عن الإمام القرافي، فإنا نجد أبا عبيدة الخزرجي يذكر في جوابه عن انتشار الإسلام بالسيف ما ذكره الإمام القرافي، بعبارة أوسع

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٨٩).
(٢) صموئيل الأول: الإصحاح: السابع عشر كله.
(٣) جاء في سفر الملوك الأول: (وكان سليمان متسلطًا على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر) الإصحاح: [٤]، الفقرة: [٢١].
(٤) الأجوبة الفاخرة: (ص٩٠).

مما ذكره الإمام القرافي[١].

ونجد الإمام القرطبي يذكر ما ذكره القرافي من أن القتال سنة الأنبياء والمرسلين قبل محمد ﷺ، وأن حال النصارى شاهد بمخالفة ما جاء في إنجيلهم من الأمر بالمسالمة، ثم بيَّن أن النصارى باعتراضهم هذا منكرون لكتبهم التي يؤمنون بها؛ إذ فيها أن محمدًا ﷺ يبعث بالقتل والسيف لمن اعتدى عليه، أو ظهر له الحق، ولم يؤمن به، وذلك قوله: (وذلك أنهم يجدون في كتبهم أوصاف النبي ﷺ ويجدون فيها أنه يبعث بالقتل والسيف، ثم ينكرون ذلك ويباهتون فيه ... ومن ذلك ما جاء في نبوة إشعياء أنه أخبر عن هزيمة العرب، وقتل أشرافهم فقال لما ذكر النبي ﷺ : «يدوسون الأمم دوس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب ويهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي موتورة من شدة الملحمة»[٢].

ثم ذكر أن ما ينكرونه علينا موجود في الإنجيل، فعيسى عليه السلام ذكر انه لم يأت ليلقي سلامًا بل سيفًا[٣] يقول القرطبي: (وهذا عين ما ينكرونه علينا).

ثم يقول للنصارى: (قتالكم من خالفكم لا يخلوا إما أن يكون مشروعًا لكم، أو غير مشروع لكم، فإن كان مشروعًا لكم، فلأي معنى تخالفونا في ذلك وتذموا شرعنا لأجله؟ وإن لم يكن مشروعًا لكم فلأي معنى تركتم شرعكم، وفعلتم خلافه؟[٤].

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي، فإنا نجد رحمة الله الهندي يذكر

---

(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص٣٤٨) وما بعدها.

(٢) سفر إشعياء: الإصحاح: [٢١] الفقرتان: [١٥-١٦].

(٣) متى: الإصحاح: [١٠] الفقرة: [٣٤].

(٤) يراجع: الإعلام: (ص٤٤٩) وما بعدها.

في رد دعوى انتشار الإسلام بالسيف مع ذكره نصوصًا كثيرة تدل على مشروعية القتال من الكتب السابقة، وإطالة نفسه في ذكر تاريخ اضطهادات النصارى لليهود، واضطهادات مذاهب النصارى لبعضهم البعض، نجده يذكر أن الله تعالى يبغض الكفر، ويجازي عليه في الدنيا بعقوبات كثيرة من هذه العقوبات: الجهاد في سبيل الله تعالى، ولا سبيل إلى إنكار ذلك، فكما لا ينكر النصارى إغراق قوم فرعون، وإهلاك قرى قوم لوط، رغم أنَّ هذا أشد من الجهاد في سبيل الله، فعليهم ألا ينكروا أمر الإسلام بالجهاد بعد وضوح الحق وظهوره، ثم ذكر أنه إذا لم يكن جهاد في شريعة عيسى عليه السلام على فرض جعلها شريعة، وكان في شريعة محمد ﷺ فهذا لا يقدح في شريعة محمد ﷺ لاحتمال النسخ، ولا يمكن النصارى أن يدفعوا ذلك، لأنهم إن قالوا: لا نسخ قيل لهم: الجهاد نفسه لم يكن مفروضًا على قوم موسى إلا بعد خروجهم من مصر، ففرض الجهاد بعد عدمه هذا نسخ فلا مانع من جعل الجهاد فرضًا في شريعة محمد ﷺ بعد عدمه في شريعة موسى كما كان الحال في شريعة موسى عليه السلام.

ثم بين أنه لا شناعة في الجهاد الإسلامي من ناحية العقل؛ لأنه قد ثبت بالبرهان الصحيح أن إصلاح القوة النظرية مقدم على إصلاح القوة العملية فإصلاح العقائد مقدم على إصلاح الأعمال وهذا أمر لا ينكره كافة المليين، وكذلك ثبت بالتجربة الصحيحة أن الإنسان قد يتنبه على خطأه وقبحه بتنبيه الغير وكذلك قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الإنسان لا يطيع الحق غالبًا لأجل وجاهة قومه وشوكتهم، ولا يصغي إلى قول رجل من صنف آخر، بل يأنف من سماع كلامه سيما إذا كان هذا القول مخالفًا لطبائع صنفه وأصولهم، ويكون في قبوله لزوم المشقة في أداء العبادات البدنية والمالية، بخلاف ما إذا انكسرت

وجاهة قومه وشوكتهم، فلا يأنف من الإصغاء[(١)].

ونجد الألوسي رحمه الله تعالى يذكر ما ذكره رحمة الله الهندي، كما أنه يذكر ثلاثة أجوبة أخرى قالها الإمام الماوردي في الرد على تلك الشبهة، وهي:

- أن الجهاد فرضيته تابعة لمصالح الأزمنة والأمكنة، وهذا ما يسمى بالنسخ.

- أن السيف إذا كان لطلب الحق كان خيرًا، واللطف إذا كان مع إقرار الباطل كان شرًا.

- أن الجهاد سنة الأنبياء والمرسلين[(٢)].

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي في جوابه عن شبهة انتشار الإسلام بالسيف متأثر بأبي عبيدة الخزرجي، ولم يزد عما ذكره الخزرجي شيئًا، كما أنه لم يتأثر أحد ممن ذكرت من اللاحقين بالإمام القرافي.

كما أنه يظهر أن الإمام القرطبي شارك القرافي في أن الجهاد سنة الأنبياء والمرسلين قبل محمد ﷺ وأن النصارى مخالفون لأوامر دينهم، كما شاركه رحمة الله الهندي أيضًا في أن الجهاد سنة الأنبياء السابقين، وفي أن تاريخ النصارى يشهد بأن التهمة أولى بهم منا نحن المسلمين.

إلا أن القرطبي ذكر: أن النصارى بإنكارهم عن الإسلام أمره بالجهاد والقتال، ينكرون ما جاء في وصف محمد ﷺ فيما يعتقدونه من كتبهم من أنه ﷺ سيجيء بالسيف، كما أنه ألزم النصارى أن دينهم يخبر أن عيسى عليه السلام إنما

---

(١) يراجع: إظهار الحق: (٢/ ٢٨٧-٣١٨).

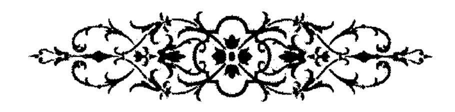
(٢) يراجع: الجواب الفسيح: (١/ ٤٦٦-٤٩٠)، وينظر: النصيحة الإيمانية (ص١٤١) وما بعدها، هداية الحيارى (ص٢٠).

جاء بالسيف فلم الإنكار إذًا؟

وذكر الهندي احتمال النسخ، والاستدلال العقلي وغير ذلك مما لم يذكره القرافي، مما يجعلنا نقول:

إن رد الإمام القرطبي والهندي أقوى من رد القرافي؛ لأنهما شاركاه فيما ذكره، وزاد ما لم يذكره مما هو ملزم للنصارى، وفي الزيادة إفادة كما يقولون.

والله أعلم



المسلك الثاني
ادعاء النصارى أن شريعتهم شريعة الكمال وأن شريعة الإسلام شريعة النقص ورد القرافي عليهم

شبهة النصارى:

يزعم النصارى أن شريعتهم شريعة الكمال وإذا أكملت شريعتهم، فلا حاجة لشريعة جاءت بعدها؛ لكونها نقصًا وقد ذكر الإمام القرافي شبهتهم في ذلك فقال: (يقولون: الله له عدل وفضل، وهو سبحانه وتعالى يتصرف بهما، فأرسل موسى عليه السلام بشريعة العدل؛ لما فيها من التشديد، فلما استقرت نفوسهم وقد بقي الكمال الذي لا يصنعه إلا أكمل الكملاء، وهو الله تعالى، ولما كان جوادًا تعين أن يجود بأفضل الموجودات، وليس في المجودات أجود من كلمته -أي نطقه فجاد بها، واتحدت بأفضل المحسوسات، وهو الإنسان لتظهر قدرته فحصل غاية الكمال، ولم يبق بعد الكمال إلا النقص)[1].

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة:

أجاب الإمام القرافي على هذه الشبهة بالآتي:

١ - بيّن أن ادعاء أن شريعة موسى عليه السلام كانت عدلاً فقط، إنما هو ادعاء خاطئ؛ لأنه ليس عدل تام إلا لأهل النار، وليس فضل تام إلا لأهل الجنة، بل شريعة موسى عليه السلام كانت شريعة الفضل والعدل معًا.

وذلك قوله: (أما شريعة موسى عليه السلام فكانت عدلاً وفضلاً، وقل أن

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٤٣)، ويراجع: موسوعة علوم الدين: (ص١٧١) وما بعدها.

يقع في العالم عدل مجرد، وإنما وقع ذلك لأهل النار خاصة، كما لم يقع الفضل وحده إلا لأهل الجنة، وتقرير هذا الباب: أن كل جود وإحسان فهو فضل من الله تعالى، وجود، لا يجب عليه فعله، فما عرى عن الخير والإحسان ألبتة فهو العدل المحض؛ لأن الملك ملكه، والتصرف في المملوك كيف كان عدل ليس بظلم، وإنما يكون الظلم في مملوك الغير، فإن وقع الخير المحض فهو التفصيل المحض، وهذا هو شأن أهل الجنة، وإذا تقرر هذا، فشريعة موسى عليه السلام كان فيها من الإحسان أنواع كثيرة، كتحريم القتل، والزنا[1] والغصب[2]، والقذف[3]، والمسكر[4] من الخمور.. وكإباحة الفواكه واللحوم الزواج وغير ذلك وهذه كلها أنواع من الفضل)[5].

٢- بيّن الإمام القرافي أن عيسى عليه السلام لم يأت بشريعة حتى يقال: هي شريعة الفضل وما تلاها نقص، وإنما كان عيسى عليه السلام تابعًا لشريعة موسى، فلم يأت عيسى عليه السلام بأحكام جديدة حتى يقال له شريعة هي شريعة الكمال، وذلك قوله: (ثم إن عيسى عليه السلام جاء مقررًا لشريعة موسى، وعاملاً بمقتضاها مستعملاً لأحكامها، ولم يزد شيئًا من الأحكام، وإنما زاد المواعظ، والأمر بالتواضع والرقة، والرأفة، فلم يأت عيسى بشريعة أخرى

(١) جاء في سفر الخروج: (لا تقتل، ولا تزن، لا تسرق) الإصحاح: [٢٠] الفقرات: [١٣، ١٤، ١٥].

(٢) جاء في سفر اللاويين أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أنه إذا أخطأ أحد، وخان خيانة، كأن جحد وديعة، أو اغتصب غصبًا، فعليه أن يرد المغصوب، ويكفر عن ذنبه بذبيحة من الغنم تقدم إلى الكاهن، فيذبحها تكفيرًا عن ذنبه: الإصحاح: [٦] الفقرات: [١-٨].

(٣) تحريم القذف وعقوبته وردا في سفر التثنية: الإصحاح: [٢٢] الفقرات: [١٣-٢٠].

(٤) سبق بيان ذلك (ص٣٥٢).

(٥) الأجوبة الفاخرة: (ص٤٣-٤٤).

حتى يقال: إنها الفضل)[١].

٣- بيَّن الإمام القرافي أنه لو سلم أن هناك شريعة عدل، وشريعة فضل، كانت شريعتنا هي شريعة الفضل والكمال، وذلك قوله: (بل مقتضى قولهم أن تكون شريعة الفضل هي شريعتنا؛ لأنها هي الشريعة المستقلة التي ليست تابعة لغيرها، ولا مقلدة سواها، وهذا هو اللائق لمنصب الكمال أن يكون متبوعًا لا تابعًا، فهذه الحجة عليهم لا لهم)[٢].

٤- لم يدَّع الإمام القرافي مجرد ادعاء أن شريعة الإسلام هي شريعة الفضل وهي شريعة الكمال، بل أكد ذلك بذكر فضائل الإسلام ومزاياه على سائر الشرائع، مما يدحض ادعاء المفترين، ويزيد المؤمنين إيمانًا، وهذه الفضائل منها:

١- أن معجزات جميع الشرائع ذهبت بذهاب أنبيائها، فوقع الخبط في تلك الشرائع، ودثرت بعد طول المدة، ومعجزة شرعنا هي القرآن الكريم بوصفه ونظمه، وما اشتمل عليه من المغيبات، وحلاوة السماع حلاوة لا يخلفها الآباد، ولا يسئمها الترداد، ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة آلاف معجزة، واحدة منها كافية، فكيف بالجميع؟ وجميعها باق بمشاهدة الأخلاف بعد الأسلاف، والأبناء بعد الآباء، فلا يزداد الإسلام إلا قوة، ولا الإيمان والتوحيد إلا جدة.

٢- أن كل نبي بعث إلى قومه خاصة، ومحمد ﷺ بعث للثقلين جميعًا الإنس والجن على اختلاف أنواعهم.

وبيان ذلك: أن أكمل الشرائع المتقدمة شريعة التوراة، مع أن موسى عليه السلام لم يبعث إلا لبني إسرائيل، ولما أخذهم من مصر وعبر البحر لم يعد لمصر،

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٤٤).
(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص٤٤).

ولا وعظ أهلها ولا عرج عليهم، وإذا كان هذا حال موسى عليه السلام -أنه لم يعظ إلا بني إسرائيل وشريعته من أكمل الشرائع المتقدمة، فغيره أولى، وقد أخبرنا سيدنا محمد ﷺ أنه لم تكن دعوة عامة إلا دعوة محمد ﷺ [(١)]، ولا شك أن المصالح إذا عمت كانت أكمل.

٣- أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، فتكون شريعتها أفضل الشرائع، أما أنها خير أمة، فلقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ولأنها صنفت من العلوم ما لم يصنف في ملة من الملل، حتى أن العالم الواحد منهم يصنف ألف كتاب في المجلدات العديدة في العلوم المتباينة، ولعله لا يوجد في شريعة الإسرائيليين كلهم من النصارى واليهود من التصانيف مثل هذا العدد، فيكون العالم منا ألف قدر شريعتهم بأكملها؛ فكم فيها من عالم؟

وأما أنها إذا كانت أفضل الأمم فتكون شريعتها أفضل الشرائع، فلأنها إنما نالت ذلك ببركة شريعتها، واتباع نبيها عليه السلام، ومتى كانت الثمرة أفضل كان المثمر أفضل.

٤- أن الله تعالى جعل عبادة هذه الأمة في شريعتها على نسق عبادة الملائكة، فكل الأمم يصلون همجًا من غير ترتيب إلا هذه الأمة تصلي صفوفًا كما تصلي الملائكة، لقوله تعالى إخبارًا عن قول الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا

(١) أخرج الإمام البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» ك: التيمم، باب التيمم، حديث رقم (٣٢٨) صحيح البخاري (١/ ١٢٨).

لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦][1]. والشريعة المشتملة على أحوال الملائكة أفضل من غيرها، فشريعتنا أفضل الشرائع.

٥- أن سائر الأمم أمرت بتطهير الباطن عن الرذائل، وهذه الأمة أمرت بذلك، وزيد لها وحدها تطهير الظاهر بالوضوء والغسل، واجتناب النجاسات والقاذورات.

٦- أن هذه الشريعة أمرت باستقبال أفضل الجهات، وهو البيت الحرام، فتكون أفضل الشرائع، أما كون المسجد الحرام أفضل من المسجد الأقصى فلأمور:

- أنه أقدم منه بناءًا بأربعين سنة[2]، والتقدم دليل الفضل.

- أن آدم عليه السلام إنما تيب عليه عنده بعرفة[3].

- أن جميع الأنبياء آدم فمن دونه حجوه، بخلاف البيت المقدس[4].

---

(١) أخرج الإمام مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ...**» الحديث - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد مواضع الصلاة، حديث رقم (٥٢٢) صحيح مسلم (١/ ٣٧١).

(٢) أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي ذر ﷺ قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد في الأرض وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». ك: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المساجد ومواضع الصلاة: حديث رقم (٥٢٠) صحيح مسلم (١/ ٣٧٠).

(٣) توبة آدم عند البيت أخرجها الطبراني في الأوسط عن عائشة، باب من اسمه محمد، حديث رقم: (٥٩٧٤)، المعجم الأوسط للطبراني (٦/ ١١٧)، ت/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط/ ١٤١٥هـ، وذكرها السيوطي في الدر المنثور عن عائشة (١/ ١٤٣)، دار الفكر، بيروت، ط/ ١٩٩٣م.

(٤) أخرج البيهقي عن عروة بن الزبير أنه قال: (ما من نبي إلا وقد حج البيت، إلا ما كان من هود وصالح... فلما بوأه الله لإبراهيم حجه، ثم لم يبق نبي بعده إلا حجه)، السنن

٧- أن الله تعالى جوّز في شريعة موسى عليه السلام أن يتزوج الرجل من شاء من النساء[(١)] فراعى مصلحة الرجال دون النساء، فإنهن يتضررن بالغيرة والإهمال إذا كثرن، وحجر في شريعة عيسى عليه السلام على ما زاد على المرأة الواحدة[(٢)] فراعى مصلحة النساء دون الرجال؛ لأنهم يتضررون بالاقتصار على الواحدة، فقد لا تلائم فتكون في حيز العدم. وفي شريعتنا جمع بين مصالح الفريقين، فجعل للرجل أربع نسوة، فلا ضرر عليه ولم يكثر ضرر المرأة بأكثر من ثلاث، فكانت شريعتنا أتم.

٨- أن جميع الشرائع إنما يؤذن لهم بالصلاة في البيع، وشريعتنا وردت بالصلاة في كل موضع طاهر في جميع أقطار الأرض[(٣)]، ومعلوم أن الإنسان قد تتعذر عليه البيعة؛ لكونه في البرية والسفر، أو تتيسر له، لكن قد تفتر عزيمته قبل وصوله إليها، فتكون الصلاة في أهل تلك الشرائع في غاية القلة، وفي شريعتنا في غاية الكثرة، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع، لكثرة تعظيم الله فيها بكثرة صلاتها.

=

الكبرى للبيهقي، ك: الحج، باب: دخول مكة بغير إرادة حج ولا عمرة، حديث رقم (٩٦١٨) (٥/ ١٧٧)، ت/ محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط/ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وذكر ذلك السيوطي -أيضًا- في الدر المنثور (١/ ٣١٣).

(١) جاء في سفر أخبار الأيام الأول: أن داود عليه السلام كان له سبع نساء حرائر غير السراري، الإصحاح: [٣] الفقرات: [١-١٠] وأخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أن سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة: ك: الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد، حديث رقم (٢٦٦٤). صحيح البخاري (٣/ ١٠٣٨).

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: الإصحاح: [٧] الفقرات: [١-٤].

(٣) أخرج الإمام البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي... وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» الحديث، ك: التيمم، باب: التيمم حديث رقم (٣٢٨) صحيح البخاري (١/ ١٢٨) وأخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (١٤٣٠٣) (٣/ ٣٠٤).

٩- أن جميع الشرائع لم تحل فيها الغنائم لأحد، بل تقدم للنيران فتحرقها، وأحلت في هذه الشريعة[١] ومعلوم أن صون المالية عن الضياع، والاستعانة على الدين والدنيا بها، واقع في نظر الحكمة، وأتم في مراعاة المصلحة، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع.

١٠- أن الإعلام للصلوات في سائر الشرائع لا يشتمل على مصلحة غير الإعلام، بخلاف شريعة الإسلام؛ إذ فيها الأذان، وهو فيه مصالح أخرى غير الإعلام، كالثناء على الملك العلام، وتجديد كلمة الإيمان، وتفخيم قدر رسول الملك الديان والحض على الصلاة وسبل النجاة، والإشعار بالتوحيد، وأنواع التمجيد وأين هذا من النفخ في البوقات، وقراقع الخشبات، والنواقيس؟[٢]

هذا: ولم أجد أحدًا من السابقين تناول هذه الشبهة ورد عليها، على ما تحت يدي من كتب.

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين، فإنا نجد شيخ الإسلام ابن تيمية ينفي انحصار الشرائع في قسمين: عدل، وفضل، فالشرائع ثلاثة: غلب عليها جانب العدل، وهي شريعة موسى عليه السلام، وغلب عليها جانب الفضل، وهي شريعة

---

(١) أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: **«غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها... فجمع الغنائم، فجاءت - يعني النار- لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين، أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»** صحيح البخاري، ك: فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ : «أحلت لكم الغنائم» حديث رقم (٢٩٥٦) (٣/ ١١٣٦)، صحيح مسلم: ك: الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم، حديث رقم (١٧٤٧)، (٣/ ١٣٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٤٥-٤٧).

عيسى عليه السلام، لو سلم أنه جاء بشريعة وجمعت بين الفضل والعدل وهي شريعة الكمال شريعة الإسلام، ثم ذكر أدلة تبين أن الإسلام جمع بين الفضل والعدل، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فهذا عدل واجب، ثم قال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فهذا فضل مستحب مندوب إليه، وكقوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٩٢] فهذا عدل، ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢] فهذا فضل، وكقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فهذا عدل، ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فهذا فضل. إلى غير ذلك من الأمثلة التي ذكرها ابن تيمية، ثم بين أن الله تعالى أرسل الرسل؛ ليرشدوا الناس لما يصلحهم وينفعهم إذا فعلوه، وأن في إرسال محمد ﷺ من المصالح ما ليس في إرساله موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام.

فدين محمد ﷺ قبله خلق كثير من سائر الأمم، بعكس شريعة موسى، فإنه بعث إلى بني إسرائيل، وكان فيهم الرد والعناد في حياة موسى عليه وبعد موته. وهذا يظهر فضل شريعة محمد ﷺ، إذ كثرة الاتباع تدل على أن الشريعة كاملة فاضلة، ولم تكن شريعة موسى من الكمال كما كانت شريعة محمد ﷺ.

وفي القرآن الكريم ذكر المعاد وإقامة الحجج عليه، ووصف الجنة والنار، ما لم يذكر مثله في شريعة موسى، كما أن فيها ذكر أسماء الله تعالى وصفاته وصفات ملائكته وأصنافهم، وخلق الإنسان والجن ما لم يفصل في التوراة.

وفي القرآن الكريم تقرير التوحيد وإقامة الأدلة عليه ما لم يذكر في التوراة، وكل هذا وغيره مما ذكره في مقارنته بين شريعة موسى ومحمد ﷺ يبين أن شريعة محمد ﷺ أكمل وأفضل من شريعة موسى عليه السلام.

وأما شريعة عيسى عليه السلام، فليس له شريعة مستقلة، وليس في الإنجيل كلام على التوحيد، وخلق العالم وقصص الأنبياء وأممهم، مما يجعل القرآن الكريم كتاب شريعة الإسلام أكمل من الإنجيل وأفضل.

ثم ذكر ابن تيمية: أن شريعة التوراة تغلب عليها الشدة، وأن تعاليم الإنجيل يغلب عليها الرحمة، وشريعة القرآن معتدلة جامعة بين هذا وهذا كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال في وصف أمة محمد ﷺ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال أيضًا: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤][(١)].

ونجد الإمام الألوسي رحمه الله تعالى يذكر أن تقسيم النصارى الشرائع، إلى شريعة عدل وفضل وشريعة نقص، تقسيم باطل؛ لأن القسمة رباعية: شريعة عدل، شريعة فضل، شريعة عدل وفضل، شريعة ليس فيها عدل ولا فضل، وهذه الصورة غير موجودة، فشريعة العدل شريعة موسى عليه السلام وشريعة الفضل شريعة عيسى عليه السلام، وشريعة العدل والفضل شريعة محمد ﷺ.

ثم أكد ما قاله بذكر أمثلة من الشرائع الثلاثة، ففي شريعة موسى: ان النفس بالنفس والعين بالعين[(٢)] وهذا عدل.

وفي الإنجيل: أنه من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر[(٣)] فقد انفردت كل شريعة من الشريعتين بشطر من شطري الكمال، وقد اشتملت الشريعة المحمدية على الشطرين معًا، ففي جانب العدل جاء قول الله تعالى: ﴿ كُتِبَ

---

(١) يراجع: الجواب الفصيح: (٣/ ١٨٣-٢٠٧).
(٢) سفر اللاويين: الإصحاح: [٢٤] الفقرات: [١٧-٢١].
(٣) متى: الإصحاح: [٥] الفقرة [٤٠].

عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨] وفي جانب الفضل جاء قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ومن الأمثلة التي تبين أن الإسلام جمع بين الحسنيين: أن الله تعالى جعل التوبة من الذنب العظيم في التوراة بقتل النفس[١] وعند النصارى أن الذنب العظيم يغفره القسيس بعد الاعتراف له[٢]، وجمع الإسلام بين ذلك فنجى من إهلاك النفس كما في التوراة، ومن الفضيحة عند القسيس وفي الذرية والأعقاب كما عند النصارى، بالتوبة الصادقة إلى الله تعالى[٣].

تعقيب:

من خلال ما سبق يظهر اشتراك الأئمة الثلاثة في أن شريعة الإسلام هي الشريعة الجامعة بين الفضل والعدل معًا، فهي شريعة الكمال، مؤيدين ذلك بالأدلة، كما يظهر اشتراك القرافي وابن تيمية في كون عيسى عليه السلام، ليست له شريعة، حتى يقال هي شريعة الفضل، كما شارك ابن تيمية القرافي في أن شريعة موسى عليه السلام كان بها عدل وفضل، إلا ان القرافي لم يذكر ذلك مجردًا عن المثال كما فعل ابن تيمية بل ذكر أمثلة فيها الفضل ولا ينكرها النصارى.

كما أنه لا يخفى أن للإمام القرافي في المسألة فضيلة السبق، كما أنه انفرد ببيان فضائل دين الإسلام على ما سواه، تلك الفضائل التي لا ينكرها إلا جاحد، لا يبغي إلى الحق وصولاً.

والله أعلم

---

(١) سفر الخروج: الإصحاح: [٣٢] الفقرات: [٣٠-٣٦].

(٢) ما ذكره الألوسي ليس إقرارًا بأن هذا شرع شرعه الله تعالى للنصارى، بل مخاطبته لهم بما يعتقدون، والله أعلم.

(٣) يراجع: الجواب الفسيح: (٢/ ٧١-٨١).

المسلك الثالث
ادعاء النصارى أن المسلمين على ضلال في دينهم ورد القرافي عليهم

ادعاء النصارى:

يقول النصارى: المسلمون على ضلال في دينهم بنص نبيهم، وهم لا يشعرون، فقد جاء في الأحاديث الصحيحة باتفاق المسلمين أن نبيهم قال لهم عند موته: (هلموا أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا، فمنعهم عمر من ذلك، وقال: حسبنا كتاب ربنا)[1].

وإذا قال النبي الصادق: إن الكتاب الذي يكتبه سبب عدم الضلال، ولم يكتبه فيكون سبب عدم الضلال لم يوجد، فينتفى مسببه، وهو عدم الضلال، فيكون الواقع هو ضلالهم جزمًا بشهادة نبيهم التي لا يمكنهم ردها[2].

رد الإمام القرافي:

رد الإمام القرافي ادعاء النصارى وجود الضلال، في ديننا، لعدم وجود الكتاب المقتضى عدم الضلال بأمور:

١ - أنه لا يلزم من عدم وجود الكتاب حصول الضلال، لجواز أن يُمنع منه بهداية الله وعنايته بهذه الأمة، وذلك قوله: (ولا يلزم من عدم سبب معين لنفي الضلال أن يقع الضلال، بل جاز أن ينتفي الضلال بالهداية الإلهية والعناية

---

(١) أخرجه البخاري - ك: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، حديث رقم: (٤١٦٩) - صحيح البخاري: (٤/ ١٦١٢)، وأخرجه مسلم - ك: الوصية باب: ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصى فيه، حديث رقم: (١٦٣٧) صحيح مسلم: (٣/ ١٢٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٩٦).

الربانية، كما إذا قلنا للمسافر: إن أخذت هذا الخفير لا تضل، يحتمل انه إذا لم يأخذه أن يهتدي من تلقاء نفسه، بإلهام ربه أو سبب آخر)[١].

٢- بيَّن أن المراد بنفي الضلال ليس في أصل من أصول الدين، وإنما هو فيمن يكون خليفة بعده ﷺ وذلك قوله: (... ذلك الكتاب كان المقصود به نفي الضلال فيمن يعين للخلافة بعده عليه السلام، والخلافة ليست من قواعد الأديان، ولا شرطًا في صحة الإيمان) ولكن: هل حصل الضلال في أمر الخلافة لعدم وجود الكتاب؟ هذا ما يجيب عنه القرافي في قوله: (مع أنا ما أثبتنا الخلافة بعده ﷺ إلا بنصه، وإمائه، وذلك في معنى الكتاب، كقوله عليه الصلاة والسلام (الأئمة من الأئمة من قريش)[٢] وقد ولينا قرشيًا، وكقوله عليه السلام لما وعد المرأة بعدة، فقالت له عليه السلام: فإن لم أجدك؟ قال: ائت أبا بكر»[٣] يقول الإمام القرافي: (فصرح بأنه يتولى أعباء المسلمين بعده، وهذا هو الخلافة، وما ولينا غير أبي بكر، فلما ضللنا في الخلافة، ولا في غيرها)[٤].

٣- بيَّن أن كَتَبَ الكتاب لو كان واجبًا، لما تركه رسول الله ﷺ؛ لأنه لم يترك أمرًا أمر بتبليغه إلا بلغه، وقد صرح بذلك في حجة الوداع فقال: «ألا قد بلغت؟

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٩٦، ٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (١٢٣٢٩) (٣/ ١٢٩)، والنسائي في الكبرى: ك: القضاء - باب الأئمة من قريش، حديث: (٥٩٤٢) (٣/ ٤٩٧)، والبيهقي في الكبرى: ك: جماع أبواب الرعاة، باب: الأئمة من قريش: حديث رقم: (١٦٣١٩) (٨/ ١٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الإمام مسلم، ك: فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب: من فضائل أبي بكر الصديق، حديث رقم: (٢٣٨٦)، صحيح مسلم: (٤/ ١٨٥٦)، عن جبير بن مطعم عن أبيه.

(٤) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٩٧).

ألا قد بلغت؟»[١] ولو ترك رسول الله ﷺ أمرًا أمر بتبليغه لم يكن الدين كاملاً، وهذا خلاف ما صح عن الله عز وجل من قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣].

٤- أنه قد عرف من حال عمر بن الخطاب أنه من أشفق الناس على هذه الأمة فلولا أنه علم أن في النصوص -الكتاب والسنة- ما ينوب عن الكتاب ما أهمله.

٥- ويستخلص الإمام القرافي من عدم كتابة النبي ﷺ ذلك الكتاب مع أنه أمر به ﷺ ، ومع أن التبليغ عليه واجب، ومما عرف من حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن أمره ﷺ يكتب الكتاب إنما هو من باب الاحتياط وإذا كان للاحتياط فلا يلزم من عدمه حصول الضلال كما يقول النصارى، وذلك قوله: (وحينئذ يتعين أن ذلك الكتاب كان من باب الاحتياطات التي لا يضر الإخلال بها، وحينئذ لا يلزم من عدمه مفسدة في شيء من الأحوال)[٢].

هذا: ولم أجد أحدًا من السابقين أو اللاحقين ذكر هذه الشبهة وأجاب عنها على ما تحت يدي من كتب.

والله أعلم

---

(١) أخرجه البخاري: ك: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب، حديث رقم: (١٠٥) صحيح البخاري (١/ ٥٢). وأخرجه مسلم، ك: القسامة والمحاربين، باب: تغليظ تحريم الدماء حديث رقم: (١٦٧٩) صحيح مسلم: (٣/ ١٣٠٥)، عن أبي بكرة رضي الله عنه.
(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص٩٧).

المطلب السابع
شبهات النصارى على القرآن الكريم
ورد القرافي عليها

وفيه مسلكان:

المسلك الأول: دعوى النصارى أن القرآن الكريم فيه ما ليس بصحيح ورد القرافي عليها.

المسلك الثاني: دعوى النصارى أن القرآن الكريم ليس مقطوعًا به ورد القرافي عليها.



المسلك الأول
دعوى النصارى أن القرآن الكريم فيه ما ليس بصحيح
ورد القرافي عليها

يدعي النصارى -دائمًا- أن القرآن الكريم به أغلاط، وإذا كان به أغلاط فلا يكون كتابًا سماويًا، وقد ذكر الإمام القرافي لهم في هذا الفصل شبهتين ورد عليهما، بما خيب مسعاهم، وجعل كيدهم في نحورهم.

الشبهة الأولى:

يقول النصارى: القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح، فلا يكون من عند الله تعالى وبيان ذلك اشتماله على ما ينقله المسلمون عنه من قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحريم: ١٢] يقولون: ومريم ليست ابنة عمران؛ لأن عمران أبو موسى عليه السلام، وبين موسى عليه السلام، ومريم رضي الله عنها نحو ستمائة سنة، فأين عمران من مريم رضي الله عنه حتى يكون أباها؟[(١)]

رد القرافي رحمه الله تعالى على هذه الشبهة:

أجاب القرافي على هذه الشبهة بأمرين:

الأمر الأول: لا يسلم الإمام القرافي رحمه الله تعالى للنصارى دعواهم أن اسم والد مريم عليها السلام غير عمران، بل عمران اسمه، ولا يلزم من الاشتراك في الاسم أن يكون المسمى واحدًا، ولا يعتقد ذلك إلا جاهل، وذلك قوله: (نقول: إن أباها رضي الله عنها كان اسمه عمران، ولا يلزم من أن اسم أبي

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٦١، ٦٢)، مفتريات المبشرين على الإسلام، د/ عبد الجليل شلبي: (ص١٦٣)، المختار الإسلامي، الفجالة، مصر، بدون تاريخ.

موسى عليه السلام عمران، ألا يسمى غيره عمران، واعتقاد وجوب ذلك جهل)(١).

الأمر الثاني: سلم الإمام القرافي أن اسم والد مريم عليها السلام ليس عمران وأن عمران المقصود في الآية هو والد موسى، ولكن لا يعني ذلك اشتمال القرآن الكريم على ما ليس بصحيح؛ لأن مريم نسبت إلى عمران والد موسى، وهو جدها والنسبة إلى الجد بعيدًا كان أو قريبًا غير منكرة، كما يتسمى بنو إسرائيل بهذا الاسم إلى يوم القيامة، مع أن إسرائيل يعقوب عليه السلام ليس أباهم المباشر، وكما يتسمى بنو آدم بهذا الاسم، مع أن آدم عليه السلام لم يلدهم جميعهم ولادة مباشرة، وذلك قول الإمام القرافي: (سلمنا أن اسم أبيها ليس عمران، إلا أن عمران أبو موسى عليه السلام جدها من بني إسرائيل، والإنسان يضاف لجده البعيد، كما يضاف لجده القريب، ولولا ذلك لبطلت التوراة والإنجيل في تسمية البطون والأشعاب المتأخرة عن يعقوب عليه السلام ببني إسرائيل(٢) ويعقوب عليه السلام لم يلدهم، بل بينه وبينهم المئون من السنين، ومع ذلك فكل من جاء إلى يوم القيامة يسمى من بني إسرائيل، وهذا لا غرو فيه. وكذلك كل إنسان يوجد إلى يوم القيامة يسمى ابن آدم عليه السلام، ولم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الإنسان إلى أحد أجداده دون أبيه إذا كان أشرف وأشهر، وعمران عليه السلام كان في غاية الشهرة، فلذلك أضيفت إليه ليتحقق مورد الثناء)(٣).

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٦٢).

(٢) ينظر: سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح [١٦] الفقرة [٣، ١٣]، سفر إرميا: الإصحاح: [٣٣] الفقرات: [٣٠-٣٢].

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص٦٢).

الشبهة الثانية:

يقول النصارى: مما يستدرك على المسلمين: ما في كتابهم من جعل مريم رضي الله عنها أخت هارون صلوات الله عليه(١) وبينهما ستمائة سنة، فلا تكون أخته، فكيف يخبر كتابهم بأنها أخته؟

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة:

أجاب الإمام القرافي على هذه الشبهة بالآتي:

١- أن مريم لم تكن أخت هارون عليه السلام، وليس المقصود بهارون أخا موسى عليه السلام، بل هو رجل صالح كان معروفًا بالعبادة، دعوا مريم أخته، لشدة عبادتها، فلما جاءت بوليد من غير أب ذكروها بحال عبادتها، وبأنها أخت هارون في عبادته فكيف يصدر منها القبيح؟ أو هارون كان رجلاً فاسقًا معروفًا بذلك، فجعلوا مريم أخته لما اعتقدوا زناها، ففي الحالتين ليس المقصود أخوة النسب، بل المقصود بالأخوة: المشاركة في الصفة الحسنة أو القبيحة، وذلك قول الإمام القرافي: (كان في زمانها عابد يسمى هارون وكانت رضي الله عنها في غاية العبادة، فلما جاءت بعيسى عليه السلام من غير زواج وأتهمها -رضي الله عنها- بنو إسرائيل بالزنا، قيل لها: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٨] متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله، وأصل الأخوة التساوي في الصفة، ومنه قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ [الزخرف: ٤٨] أي مساويتها في الدلالة ... فلما حصلت المساواة بين مريم رضي الله عنها، وبين

---

(١) جاء في سورة مريم قول قوم مريم لها، لما جاءتهم بعيسى وليدًا من غير زوج ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٨].

ذلك العابد، سميت أخته على القاعدة، وقيل: كان في ذلك الزمان فاسق، يسمى هارون، فلما اعتقدوا فيه التهمة جعلوها أخته في ذلك الفعل القبيح)[(١)].

٢- أن المقصود في الآية هو هارون أخو موسى عليهما السلام، ومريم إنما هي نسل موسى، وليست أختًا لهارون، ولكن جعلت أختًا له، وهي بنت أخيه، كما جعلت التوراة بني إسماعيل إخوة لبني يعقوب مع أنهم ليسوا إخوتهم، بل أبناء أخي أبيهم، فكما لا يصح الطعن في التوراة لوجود ذلك فيها لا يصح الطعن في القرآن لوجود ذلك فيه، وذلك قول الإمام القرافي: (إنها من ذرية موسى عليه السلام، وهو أخو هارون، فقيل لها: أخت هارون كما جاء في التوراة: (إني سأقيم لبني إسرائيل نبيًا من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي على فيه)[(٢)].

يقول الإمام القرافي: وأخوة بني إسرائيل بجملتهم هم بنو إسماعيل، فجعل بني أخي أبيهم إخوتهم، فكذلك سميت مريم رضي الله عنها أخت هارون عليه السلام[(٣)].

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي، فإنا نجد أبا عبيدة الخزرجي يجيب عن الآية الأولى، بأن مريم هي بنت عمران، ولكن ليس عمران أبا موسى كما يزعم النصارى، بل هو عمران بن متان بن أليود ينتهي نسبه إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحاق، أما عمران والد موسى فهو عمران بن يصهر بن قاهت ينتهي نسبه إلى لاوي بن يعقوب بن إسحاق.

---

(١) ينظر الأجوبة الفاخرة: (ص٦٢، ٦٣).

(٢) سفر التثنية: الإصحاح: [١٨] الفقرة: [١٨].

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٦٣).

ويجيب عن الآية الثانية: بأنهم دعوها أخت هارون على سبيل السب لها؛ لأن هارون هذا كان رجلاً مشهورًا بالفجور والفسوق[(١)].

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين للإمام القرافي فإنا نجد نجم الدين الطوفي يجيب عن الاعتراض: بكيف تسمى مريم أخت هارون؟ بقوله: (هذا سؤال قد كفانا جوابه صاحب الشريعة ﷺ فروى عن المغيرة شعبة -رضي الله عنه- قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: ألستم تقرأون: يا أخت هارون، وقد كان بين عيسى وموسى ما كان؟ فلم أدر ما أجيبهم، ورجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ألا أخبرتكم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»[(٢)] قال الطوفي: والمعنى: أن هارون هذا الذي نسبت إليه مريم كان رجلاً صالحًا سمي باسم هارون عليه السلام تبركًا، فشبهوها به في الصلاح أهـ[(٣)]، أي يا شبيهة هارون الرجل الصالح، كيف يصدر منك هذا الفعل؟

ومن خلال ما سبق يظهر: أن الإمام أبا عبيدة الخزرجي شارك القرافي في الجواب عن الآية الأولى بأن الاشتراك في الاسم لا يعني أن المسمى واحد، ولكن ما ذكره الخزرجي من تسمية العمرانين لا شك أنه أقوى مما ذكره القرافي، ولا شك أن ما ذكره القرافي في الجواب عن الآية الأولى من أن مريم نسبت إلى جدها عمران والد موسى، وهي من نسل موسى -والنسبة إلى الجد غير مرفوضة- لا شك أنها زيادة قوية لو صح أن مريم عليها السلام من نسل موسى

---

(١) يراجع: بين الإسلام والمسيحية: (ص٣١٨، ٣١٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، ك: الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم (٢١٣٥)، صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥)، عن المغيرة بن شعبة.

(٣) ينظر: الانتصارات الإسلامية: (ص٧٤، ٧٦)، وينظر: الجواب الصحيح (١/ ٦٧، ٦٨).

عليه السلام، لكن الصحيح أنها من نسل هارون عليه السلام كما ذكر ذلك ابن حزم[١] وأثبته رحمة الله الهندي[٢].

وأما في الجواب عن الشبهة الثانية: فرد القرافي رحمه الله تعالى أقوى وأشمل من رد أبي عبيدة الخزرجي، لذكره ما ذكره، وزيادة ولأنه أقام الحجة على النصارى من كتبهم بأنه تسمية مريم أختًا لهارون لا شيء فيها، فإن كان ذلك قادحًا في القرآن -كما يقول النصارى- فعندهم مثله إذ سمى أولاد إسماعيل عليه السلام إخوة لأولاد إسحاق مع أنهم ليسوا أخوة لهم بل هم أبناء أخي أبيهم.

ولكن الأولى في الجواب هو ما ذكره الطوفي البغدادي من حديث صح عن رسول الله ﷺ؛ لأن قوله ﷺ مقدم على قول من سواه.

والله أعلم



(١) ينظر: الفصل في الملل والنحل: (٢/ ٥٦، ٥٧).

(٢) ينظر: الظهار الحق: (١/ ١٠٣).

المسلك الثاني
دعوى النصارى أن القرآن الكريم ليس مقطوعًا به ورد القرافي عليها

شبهة النصارى:

يقول النصارى: المسلمون ليسوا على ثقة بما بأيديهم من القرآن الكريم، مع أنهم يعتقدون أنه لا خلل فيه، والذي يدل على ذلك: أن عبد الله بن مسعود الذي كان من أجل الصحابة حتى قال فيه عليه الصلاة والسلام: «رضيت لأمتي ما رضيه لها ابن أم عبد»(١) خالف الصحابة في القرآن الكريم، وخالفوه فيه حتى أوجعه عثمان ﷺ ضربًا، ولو كان القرآن مقطوعًا به لما وقع فيه الخلاف بين الصحابة، وهم حديثو العهد بالنبي ﷺ؛ لأن القطع يمنع وقوع الخلاف، كما لا يختلف العقلاء في وجود بغداد، ولا في أن الواحد نصف الاثنين، وإذا لم يحصل للصحابة رضي الله عنهم القطع لم يحصل لغيرهم بطريق الأولى؛ لأنهم أصل لغيرهم، والفرع لا يكون أقوى من الأصل.

والذي خالف فيه ابن مسعود الصحابة وخالفوه فيه: أنه كان يثبت القراءات الشاذة، والصحابة نفوها، وكان ينفي المعوذتين، وأثبتها الصحابة(٢)،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عمرو بن حريف عن أبيه بلفظ: «رضيت لكم ما رضى لكم ابن أم عبد» ك: معرفة الصحابة، باب من مناقب عبد الله بن مسعود، حديث رقم (٥٣٦٤) قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح، المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: (٣/ ٣٦٠) ت/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن القاسم بن عبد الرحمن، باب العين، حديث رقم: (٨٤٥٨)، المعجم الكبير للطبراني: (٩/ ٨٠)، ت/ حمدي بن عبد الرحمن السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط/ الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله الزركشي (١/ ٢٥١) (٢/ ١٢٧)، ت/ =

يقول النصارى وإذا وقع مثل هذا الاختلاف العظيم نفيًا وإثباتًا، اختلت الثقة بجملة القرآن الكريم[١].

رد الإمام القرافي:

أجاب الإمام القرافي عن هذه الشبهة بأن الخلاف بين عبد الله بن مسعود ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، لم يكن لأجل أن القرآن الكريم غير معلوم عندهم، بل هو مجرد اجتهاد رآه ابن مسعود، ورأى الصحابة أن الحق ليس معه فخالفوه.

ففي مسألة القراءات الشاذة كان ابن مسعود ﷺ يرى إضافة القراءات؛ لبيان معاني القرآن الكريم، ورأى الصحابة عدم إضافتها حتى يمتاز القرآن عن غيره، ولا يلتبس على الناس ما ليس من القرآن بما هو من القرآن، وكان الحق والصواب مع الصحابة، يقول الإمام القرافي: (الذي اتفق بين الصحابة، ليس لأن القرآن غير معلوم عندهم، بل هو معلوم متواتر خلفًا وسلفًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].. وإنما اختلفوا رضي الله عنهم في أن ابن مسعود كان يقرأ القرآن، ويضم إليه تفسيره، نحو قوله تعالى: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦] كان يقرؤها متتابعات، وغير ذلك مما كان ﷺ يعتقد أنه تفسير لتلك الآيات التي نازعوه فيها[٢]، حرصًا منه على بيان معناها، فكانوا هم

=

محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط/ ١٣٩١هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٧٥) وما بعدها، (٤٧١-٤٧٣).

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٩٤-٩٥).

(٢) كقراءته: ﴿ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ [ص: ٢٣] أنثى، وقراءته ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ [الكهف: ٨٠] وكان كافرًا، وكقراءته: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] أيمانهما وغير ذلك. ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢١٥، ٣٣٦) مناهل العرفان: (١/ ١٩٢).

يحرصون على أن لا يضاف للقرآن غيره.. فميزوا كلام الله من غيره، ولم يخلطوه بسواه فسلم من الخطأ والزلل)[١].

وفي **مسألة المعوذتين**: أجاب الإمام القرافي بأنه كان اجتهاد من ابن مسعود إذ كان يرى أن تُفْرد المعوذتان عن المصحف، حتى يقرأهما الجنب وغيره، ظنًا منه أنهما جعلا للتعوذ، فلا يشترط في قراءتهما الطهارة، وخالفه الصحابة في ذلك -وكان الحق معهم- إذ رأوا أن إفراد شيء من القرآن سبيل إلى إسقاط شيء منه، ولذلك منعوا ابن مسعود من تنفيذ مقصوده، وذلك قوله: (وأما المعوذتان، فكان ابن مسعود يريد أن يفردهما عن القرآن؛ ليقرأهما الجنب وغيره للتعوذ حتى يتميز ما يشترط فيه الطهارة من القرآن عما لا يشترط، فهذا وجه اجتهاده ﷺ، ورأى الصحابة رضي الله عنهم، أن إفراد شيء عن القرآن ذريعة، ووسيلة إلى إسقاط بعض القرآن، فمنعوا منه، وكان الحزم معهم رضي الله عنهم)[٢].

ولم أجد أحدًا من السابقين واللاحقين ذكر هذه الشبهة وأجاب عنها على ما وقع بين يدي من كتب إلا ابن حزم ذكر اعتراض النصارى بأن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفنا، وأجاب عنه بأنه باطل وكذب، لأن مصحف ابن مسعود فيه قراءته بلا شك، وقراءته هي قراءة عاصم المشهورة عند جميع أهل الإسلام[٣].

والله أعلم

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٩٥).

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٩٦).

(٣) ينظر: الفصل: (٢/ ٧٦، ٧٧).



جهود الإمام القرافي في إثبات نبوة خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إنكار اليهود نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم.

المبحث الثاني: اعتراض النصارى على نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم.

المبحث الثالث: بشارات نبوته ﷺ من كتب اليهود والنصارى المقدسة عندهم.

المبحث الأول
إنكار اليهود نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم

ينكر اليهود نبوة سيدنا محمد ﷺ وهم في ذلك فريقان:

الفريق الأول: هم أكثر اليهود، وهؤلاء ينكرون نبوته ﷺ من أصلها، معللين بأنه لو كان نبيًا ﷺ، لكانت شريعته ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، والنسخ باطل لما يلزم عنه من البداء، وإذا بطل النسخ بطلت نبوة محمد ﷺ، وخصوصًا: أن موسى عليه السلام قال: «تمسكوا بالسبت أبدًا»(١) أي تمسكوا بشريعة السبت، فلا شريعة بعدها، ولا نبوة(٢).

والفريق الثاني: ينكر نبوته ﷺ إلى بني إسرائيل وهؤلاء العيسوية أتباع أبي عيسى الأصفهاني، والموشكانية من أتباع يوذعان بن همذان، مؤسس فرقة اليوذعانية من فرق اليهود، فأما العيسوية: فيقولون: بنبوة سيدنا محمد ﷺ إلى بني إسماعيل وإلى سائر العرب.

وأما الموشكانية: فيقولون بنبوته ﷺ إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود؛ لأنهم أهل ملة وكتاب(٣).

والإمام القرافي ناقش الفريقين ملزمًا إياهم بنبوة سيدنا محمد ﷺ.

مناقشة الإمام القرافي للفريق الأول:

---

(١) الخروج: الإصحاح: [٣١] الفقرتان: [١٦-١٧].

(٢) يراجع: الملل والنحل: (١/ ٢١١)، شرح المقاصد: (٣/ ٣٠٣) وما بعدها، إطلالة على دلائل النبوة والرسالة لدى المتكلمين: (ص١٩٢) وما بعدها.

(٣) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/ ٩٩)، الملل والنحل: (١/ ٢١٧).

ناقش الإمام القرافي من ينكر نبوة سيدنا محمد ﷺ من رأسها من اليهود بالآتي:

١- أبطل ما يعتمدون عليه في الإنكار من تعذر النسخ، ذاكرًا أن النسخ واقع عندهم، وإذا وقع فلا متمسك لهم يعتمدون عليه في الإنكار وذلك قوله: (جمهوركم يعتذر عن الإسلام بتعذر النسخ، لئلا يلزم منه الندم والبداء في حق الله تعالى وقد تقدم أن النسخ وقع عندكم[١].. وإذا كان النسخ واقعًا انقطع العذر، ولم يبق إلا العناد)[٢].

٢- لا ينكر اليهود أن الإتيان بالمعجزات دليل قوي على صحة دعوى النبوة[٣]، ولذلك الإمام القرافي يلزمهم نبوة سيدنا محمد ﷺ بما يعتقدون ويسلمون به، فيقول لهم: (حقيقة المعجزة لا تختلف، وهي فعل خارق يقترن به التحدي، وهذا قد وجد في حق محمد ﷺ، كما وجد في حق موسى عليه السلام، فإذا كانت المعجزة لا تفيد النبوة، يلزمهم ألا يعتقدوا نبوة موسى عليه السلام وإن أفادت النبوة يلزمهم اعتقاد نبوة محمد ﷺ، وإنما قلنا: إنه عليه السلام جاء بالمعجزة؛ لأنه جاء بالقرآن في زمن الفصحاء البلغاء، وسأل من جميعهم أن يأتوا بمثله فأعجزهم[٤] فسألهم سورة منه ... فعجزوا[٥] فنادى بينهم على رؤوس

---

(١) يراجع : موقف اليهود من النسخ ورد القرافي عليهم: (ص٣٤٣) وما بعدها.
(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٤٥، ١٤٦).
(٣) يقول ابن كمونة اليهودي: (ومما يدل على صدق المدعين للنبوات المعجزات.. والمعجز في مصطلح جمهور أهل الشرائع: هو الدال على صدق النبي في دعواه النبوة) تنقيح الأبحاث (ص٧).
(٤) قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤].
(٥) قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿أَمْ =

الأشهاد بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] ومع ذلك كله أظهروا العجز، وآثروا العدول إلى القتال، وسلب النفوس مع الأموال، ومثل هذا لا يفعله الجمع العظيم من العقلاء إلا للمبالغة في العجز).

ثم ذكر الإمام القرافي معجزات أخرى جاء بها ﷺ فقال: (ومن معجزاته ﷺ: انشقاق القمر[١]، وهي أعظم من انشقاق البحر[٢]؛ لأن الماء في كل حين يفترق من حيث الجملة، وأجرى الماء من أصابعه[٣]، وهو أعظم من إجراء الماء من الحجر[٤]؛ لأن الحجر مكان الماء من حيث الجملة، وكلمه الحصى[١]

=

يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

وهناك صورة من صور التحدي لم يذكرها القرافي وهي: أنه سبحانه وتعالى تحداهم قبل أن يطلب منهم الإتيان بسورة مثل القرآن الكريم أن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن الكريم، فعجزوا قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣] فلما عجزوا عن العشر، طلب منهم أن يأتوا بسورة، فعجزوا كما ذكر القرافي.

(١) معجزة انشقاق القمر، أخرجها البخاري، ك: المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم رسول الله ﷺ آية، حديث رقم (٣٤٣٧) صحيح البخاري: (٣/ ١٣٣٠). وأخرجه مسلم، ك: صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث رقم (٢٨٠٠) صحيح مسلم: (٤/ ٢١٥٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) سفر الخروج: الإصحاح: [١٤] الفقرات: [١٥-٢٤].

(٣) معجزة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أخرجها البخاري: ك المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٣٨٣) (٣/ ١٣١٠)، وابن حبان في صحيحه، ك: التاريخ، باب المعجزات، حديث رقم: (٦٥٤١)، صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٧٩)، ت/ شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ الثانية: ١٤١٤هـ. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

(٤) سفر الخروج: الإصحاح: [١٧] الفقرات: [١-٧].

والجمل[٢] والشجر[٣] والذراع[٤] ومعجزاته ﷺ كثيرة)[٥].

فالإمام القرافي يقول لليهود: إن كانت المعجزة طريقًا لإثبات النبوة، فقد جاء محمد ﷺ بمعجزات كثيرة أعظم مما جاء بها موسى عليه السلام، فلتؤمنوا بنبوته ﷺ كما آمنتم بنبوة موسى عليه السلام ما دام كلاهما جاء بالمعجز.

وإن لم تكن المعجزة طريقًا لإثبات النبوة، فاعتقادكم نبوة موسى عليه السلام اعتقاد باطل، إذ كيف أثبتم نبوته عليه السلام، فالقرافي يلزم اليهود بواحد من اثنين: إما الإيمان بنبوة محمد ﷺ ، أو اعتقاد أن موسى عليه السلام ليس نبيًا.

٣- يلزم الإمام القرافي اليهود بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، بشهادات لعلمائهم وخيارهم بصحة نبوته ﷺ، أمثال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، فهؤلاء أسلموا مقرين بأن وصفه ﷺ هو ما جاء في التوراة عن النبي الخاتم، وتكفي شهادة هؤلاء لإقامة الحجة على اليهود، وذلك قوله: (أسلم خيار اليهود، وخيار

=

(١) كلام الحصى له ﷺ ذكره القاضي عياض في الشفا (١/ ٢٥٩).

(٢) كلام الجمل له ﷺ ذكره القاضي عياض في الشفا (١/ ٢٦٥).

(٣) تكليم الشجر: أخرجه الترمذي: ك: المناقب، باب: تسليم الجبال والشجر على رسول الله ﷺ حديث رقم (٣٦٢٦) (٥/ ٥٩٣)، والحاكم في المستدرك: ك: تواريخ المتقدمين، باب: آيات رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٤٢٣٨)، وقال الذهبي: صحيح، (٢/ ٦٧٧) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٤) تكليم الذراع أخرجه أبو داود، ك: الديات، باب: فيمن سقى رجلاً أو أطعمه فمات أيقاد منه؟ حديث رقم (٤٥١٢) (٢/ ٥٨٢). والبيهقي في الكبرى. ك: جماع أبواب صفة قتل العمد، باب: من سقى رجلاً سما، حديث رقم (١٥٧٨٨) (٨/ ٤٦) عن أبي سلمة ﷺ.

(٥) الأجوبة الفاخرة: (ص١٤٣، ١٤٤).

علمائهم، كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار، وأخبروا بأن مقتضى التوراة صحة نبوة محمد ﷺ، وأجمع اليهود قديمًا وحديثًا على سيادة هؤلاء، وعظم شأنهم في العلم والدين وكثرة الاطلاع فتكون شهادتهم حجة على اليهود)[١].

مناقشة القرافي للفريق الثاني:

لم يطل الإمام القرافي النفس في مناقشة من ينكر عموم رسالته ﷺ من اليهود، وإنما ألزمهم: أنهم إذا اعترفوا بنبوته ﷺ ومن شأن النبي ألا يكذب - فليصدقوه فيما جاء به، وقد جاء ﷺ بأن رسالته عامة لجميع الناس، كما أن القرافي يتعجب من أنه ﷺ إذا لم يكن رسولاً إلى اليهود، فكيف دعاهم إلى دينه، وقاتلهم في خيبر وغيرها؟

يقول الإمام القرافي: (إذا سلمتم نبوته - والنبي من شأنه الصدق وحسن السيرة والسريرة- فكيف قتل اليهود في خيبر، وغيرها، ودعاهم إلى دينه؟ فلو لم يكن رسولاً إليهم لما دعاهم، فكل من اعترف بنبوته عليه السلام للعرب، يلزمه تصديقه في كل ما أخبر به، وهو قد أخبر أنه بعث للناس كافة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال عليه السلام: «**بعثت للأحمر والأسود**»[٢])[٣].

وإذا نظرنا في كلام السابقين للإمام القرافي، فإنا نجد ابن حزم -رحمه الله تعالى- في رده على من ينكر نبوة محمد ﷺ يذكر أن طريق إثبات النبوة هو الإتيان بالمعجز، فإن صدقوا موسى عليه السلام لكونه أتى بمعجزات، فليصدقوا محمدًا

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص١٤٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم عن جابر ﷺ ك: المساجد، باب: المساجد، حديث رقم (٥٢١) (١/ ٣٧٠)، وأخرجه أحمد في المسند عن ابن عباس حديث رقم (٢٢٥٦) (١/ ٢٥٠).

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص١٤٦، ١٤٧).

ﷺ لكونه جاء بها، وذلك قوله: (فإذا كانت إحالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه، فوجوب تصديق موسى عليه السلام... ومحمد ﷺ واجب وجوبًا مستويًا، ولا فرق بين شيء منه بالضرورة) ثم ذكر بعضًا من المعجزات التي جاءت مصدقة للنبي ﷺ كالقرآن الكريم، ونبع الماء، وانشقاق القمر، وغير ذلك من المعجزات.

ويقول في رده على من ينكر عموم رسالته ﷺ من اليهود -وهم العيسوية- كما ذكرهم، إذا صدقتم الكافة في نقل القرآن الكريم عن النبي ﷺ وفي نقل معجزاته وصحة نبوته، فقد لزمكم الانقياد لما في القرآن من أنه عليه السلام بعث إلى الناس كافة لقوله تعالى فيه، آمرًا الرسول ﷺ أن يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ثم أنه ﷺ حارب اليهود، ولو لم يكن مرسلاً إليهم لما حاربهم(١).

كما أنا نجد السموأل يلزم اليهود المنكرين نبوته ﷺ بالإقرار بصحتها بأن طريق إثبات النبوة في عصر دعواها هو رؤية الخوارق، وبعد النبي تثبت نبوته بنقل التواتر أنه جاء بالمعجزات، فإذا سلم اليهود بذلك -وهم لا ينكرونه، لأنه لا طريق إلى إثبات نبوة موسى غير هذا- قيل لهم: فقد تواتر عن محمد ﷺ أنه جاء بالمعجزات، كما تواتر النقل عن موسى عليه السلام، فهما متساويان في التصديق والتكذيب ولا فرق، فمن صدق بأحدهما فليصدق بالآخر، ومن كذب بأحدهما فليكذب بالآخر(٢).

ونجد أبا البقاء الجعفري يرد على العيسوية من اليهود، بأنه إذا صدقوا محمدًا

---

(١) يراجع: الفصل: (١/ ١٠٢، ١٠٥، ١١٤، ١١٥).
(٢) يراجع: بذل المجهود في إفحام اليهود: (ص١٠٣-١٠٧).

ﷺ في قوله: إنه نبي لزمهم تصديقه في كل ما أخبر به، ومن جملة ما أخبر به أنه رسول إلى الناس أجمعين مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولكن قد يعترض اليهود بأن الناس في الآية المقصود بهم أهل مكة: اعتمادًا على ما هو مذكور في علوم القرآن من أن كل ما في كتاب الله تعالى: «يا أيها الناس» فهو خطاب لأهل مكة، وكل ما فيه: «يا أيها الذين آمنوا» فهو خطاب لأهل المدينة[١]، وهذا دفعه أبو البقاء بأن في القرآن الكريم آيات أخرى تبطل هذا الزعم كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨][٢].

وإذا جئنا إلى المتأخرين فلا نجد إلا ابن القيم رحمه الله تعالى يذكر في إقناع اليهود المنكرين نبوة سيدنا محمد ﷺ ما ذكره السموءل في مناقشته اليهود بعبارة متقاربة[٣].

كما أنه يذكر ما كان من شهادة علماء اليهود كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار وغيرهما بنبوته ﷺ ولكن بعبارة فيها تفصيل عما ذكره الإمام القرافي[٤].

مما سبق يظهر:

١- اشتراك القرافي مع ابن حزم، والسموأل، وابن القيم، في الاستدلال

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ١٨٨).

(٢) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٥٤٠).

(٣) يراجع: إغاثة اللهفان: (ص٦٥٩-٦٦١).

(٤) يراجع: هداية الحيارى: (ص١٥٢، ١٥٣).

بالمعجزة على صدق نبوته ﷺ.

٢- كما يظهر الاشتراك بين القرافي، وابن حزم، والجعفري، وابن القيم في الرد على من ينكر عموم رسالته ﷺ في أن التصديق بنبوته ﷺ يستلزم التصديق بكل ما جاء به؛ لأن النبي لا يكذب، ومما جاء به ﷺ أن رسالته عامة.

٣- وكما يظهر: أنه لم يذكر فريقي اليهود، ويناقشهما غير ابن حزم والقرافي، وعند المقارنة تظهر مدى قوة الإمام القرافي في رده؛ لأنه ألزم اليهود الاعتراف بنبوته ﷺ بشهادة من هو معظم عندهم، ولا ريب أن الإنسان إذا عظم أحدًا، قبلت شهادته عنده، وإلا فلا معنى للتعظيم، وهؤلاء شهدوا بصحة نبوته ﷺ، وهذه الشهادة، وإن ذكرها ابن القيم بشيء فيه سعه عما ذكره القرافي، فإن ابن القيم لم يتعرض لمن ينكر عموم رسالته ﷺ من اليهود، ما يجعل رد القرافي أقوى الردود وأشملها.

والله أعلم



المبحث الثاني
اعتراض النصارى على نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم

لا يؤمن النصارى بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ولذلك يثيرون الشبه ضدها من حين لآخر، والنصارى في إثارة الشبه ضد نبوة خير الخلق محمد ﷺ لهم طريقتان:

الطريقة الأولى: أنهم يطعنون في نبوته ﷺ من أصلها، ومن شبههم في هذا الفصل، قولهم: إن محمدًا ﷺ ما جاء بمعجزة حتى تثبت نبوته، مستدلين بقول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩][١] وقولهم: إنه ﷺ كان شاكًا في دينه فكيف يسوغ اتباعه، وغير ذلك من الشبه[٢].

والطريقة الثانية: هي طعنهم في عموم رسالته ﷺ، وكأنهم لما أعياهم السير في الطريقة الأولى، لجاءوا إلى الطريقة الثانية علهم أن يجدوا متنفسًا لما يضمرونه من الحقد والحسد ضد النبي ﷺ وضد رسالته.

وقد ذكر الإمام القرافي بعض شبه النصارى ضد نبوته ﷺ وأجاب عنها، نذكرها في السطور الآتية:

الشبهة الأولى: زعم النصارى أن محمدًا ﷺ كان شاكًا في أمره.

---

(١) تراجع الشبهة والجواب عنها في: إظهار الحق: (٢/ ٣١٨) وما بعدها، المخرس في الرد على القس المفلس زكريا بطرس: (ص٦٨) وما بعدها.

(٢) يراجع ذلك في كتاب: شبهات المعترضين ومفترياتهم حول صدق نبوة محمد ﷺ لماهر عبد الوهاب محمد حجاج، الجزء الأول، مطبعة الاتحاد الأخوي بمصر، طبعة: ١٩٩٨م.

يقول النصارى: القرآن الكريم أخبر بأنا نؤمن بعيسى عليه السلام بقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩] فكيف نتبع من أخبر الله تعالى عنه أنه شاك في أمره بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤] وأمره في سورة الفاتحة أن يسأل الهداية في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]؟ يقول النصارى: والمنعم عليهم هم النصارى، والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون عبدة الأصنام[١].

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة:

بين الإمام القرافي أن النصارى لما حرفوا وبدلوا في كتبهم، ظنوا سهولة ذلك في القرآن الكريم، ولكن لا يقبل القول في القرآن الكريم إلا بدليل، فأين دليل النصارى على ما ذكروه؟ وذلك قوله: [النصارى لما لعبوا في كتابهم بالتحريف والتخليط، صار ذلك لهم سجية، فسهل عليهم تحريف القرآن[٢]، وتغيير معانيه لأغراضهم الفاسدة .. وكيف يخطر لهم هذه التحكمات بغير دليل ولا برهان، بل بمجرد الأوهام والوساوس؟][٣].

ثم رد الإمام القرافي الاستدلال بالآية الأولى على أن النصارى على الحق مبينًا أن في الآية تفسيرين، كلاهما لا يخدم النصارى.

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٣١).

(٢) المقصود بالتحريف في كلام الإمام القرافي هو: تحريف معاني القرآن الكريم، وحمله الآيات على غير معانيها، أما تحريف ألفاظ القرآن الكريم، فهذا لا يستطيعه أحد؛ لحفظ الله تعالى القرآن من ذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٣١).

التفسير الأول:

أن يكون الضمير في (به) عائدًا على عيسى عليه السلام، والضمير في (موته) عائدًا على اليهودي، أو النصراني المحتضر، والمعنى: أن كل يهودي أو نصراني يحتضر يرى ملائكة الله تعالى تنكر عليه ما كان يقوله في عيسى، فيؤمن أن عيسى عبد الله ورسوله، ولكن لا ينفعه إيمانه؛ حيث إنه سلب الاختيار، وذلك قول الإمام القرافي: (إن كل كافر إذا عاين الملائكة عند قبض روحه ساعة الموت، ظهر له منهم الإنكار عليه، بسبب ما كان عليه من الكفر، فيقطع حينئذ بفساد ما كان عليه، ويؤمن بالحق على ما هو عليه.. لكنه إيمان لا ينفع، ولا يعتد به، وإنما يقبل الإيمان من العبد حيث يكون متمكنًا من الكفر، فإذا عدل عنه، وآمن بالحق كان إيمانه من كسبه وسعيه فيؤجر عليه، وأما إذا اضطر إليه فليس فيه أجر، فما من أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن بنبوة عيسى عليه السلام، وعبوديته لله تعالى قبل موته، لكن قهرًا لا ينفعه في الخلوص من النيران وغضب الديان)[1].

والتفسير الثاني:

أن الضمير في (به) و(موته) راجع إلى عيسى عليه السلام، وذلك عند نزوله في آخر الزمان، يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الحزية، ويعلن عبوديته لله تعالى فيؤمن أهل الكتاب وقتئذ بذلك فالمقصود بأهل الكتاب هم الذين في زمن عيسى عليه السلام، لا الموجودون في زمن القرافي، والآن، وذلك قول الإمام القرافي: (إن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان عند ظهور المهدي، وبعد أن

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٣١).

يفتح المسلمون القسطنطينية من الفرنج[(١)] فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير[(٢)]، ولا يبق على الأرض إلا المسلمون، ويستأصل اليهود بالقتل، ويصرح بأنه عبد الله ونبيه، فتضطر النصارى إلى تصديقه حينئذ، لإخباره لهم بذلك)

يقول القرافي: (وعلى التفسيرين ليس فيه -نص القرآن الكريم- دلالة على أن النصارى الآن على خير)[(٣)].

أما استدلال النصارى بقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤] على أنه ﷺ كان شاكًا في أمره: فقد أجاب عنه الإمام القرافي بأن رسول الله ﷺ لم يكن شاكًا -كما يقولون- بل كان على يقين أنه على الهدى، وإنما أمره الله تعالى يقول ذلك، من باب التلطف في الخطاب حتى لا ينفر

---

(١) فتح المسلمون القسطنطينية كان في يوم الثلاثاء الموافق (٢٠) من جمادى الأولى ٨٥٧هـ، ٢٩ مايو ١٤٣٥م على يد السلطان العثماني محمد الفاتح، يراجع: فتح القسطنطينية في: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط: علي محمد الصلابي: (ص١١٠) وما بعدها، دار الفجر، القاهرة، ط/ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ولكن هذا الفتح ليس هو الذي يقصده الإمام القرافي، لكن الفتح المقصود يكون في آخر الزمان، ويعقبه ظهور العلامات الكبرى للساعة، أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهليكم ...» الحديث، صحيح مسلم: ك الفتن وأشراط الساعة، باب: فتح قسطنطينية، حديث رقم (٢٨٩٧) (٤/ ٢٢٢١).

(٢) حديث نزول عيسى عليه السلام وقَتْلِه الخنزير وكسره الصليب، أخرجه البخاري ك: البيوع، باب قتل الخنزير، حديث رقم (٢١٠٩) (٢/ ٧٧٤). وأخرجه مسلم: ك: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة الإسلام، حديث رقم (١٥٥) (١/ ١٣٥) عن أبي هريرة.

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص٣١، ٣٢).

المشركون منه لو قال لهم: أنتم في ضلال مبين، وحتى يتفكروا في حقيقة الأمر، فإذا فعلوا ذلك علموا أنهم على ضلال، فلعلهم يثوبون إلى رشدهم، وهذا هو المقصد من لزوم هذه الطريقة، وذلك قول القرافي: (وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤] فهو من محاسن القرآن الكريم؛ لأنه من تلطف الخطاب، وحسن الإرشاد، فإنك إذا قلت لغيرك: أنت كافر فآمن ربما أدركته الأنفة، فاشتد إعراضه عن الحق، فإذا قلت له: أحدنا كافر، فينبغي أن يسعى في خلاص نفسه من عذاب الله تعالى، فهلم بنا نبحث عن الكافر منا، فنخلصه، فإن ذلك أوفر لداعيته في الرجوع إلى الحق، والفحص عن الصواب، فإذا نظر فوجد نفسه هو الكافر، فر من الكفر من غير منافرة منك عنده، ويفرح بإسلامه، ويسر منك بالنصيحة. هكذا في الآية سهلت الخطاب على الكفار؛ ليكون ذلك أقرب لهدايتهم)[1].

وأما استدلال النصارى بآيتي الفاتحة على أنه ﷺ لم يكن مهتديًا، ولذلك أمر أن يطلب الهداية إلى طريق المنعم عليهم وهم النصارى، فقد رده الإمام القرافي بأن طلب الهداية ليس في الحال، وإنما هو في المستقبل من العمر، وطلب الهداية في المستقبل لا يُنكَر، كما أنه لا يعني أن الطالب غير مهتد في وقت طلبه، وقد اعتمد القرافي في هذا الرد على دلالة الدعاء اللغوية على الاستقبال.

كما رد قولهم إنهم هم المنعم عليهم المقصودون في الآية، بأن هذا خلاف ما جاء عن علماء المسلمين الذين هم المقبول قولهم في هذا الشأن لا من سواهم، وذلك قوله: [وأما أمره تعالى لمحمد ﷺ ولأمته بالدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، فلا يدل على عدم حصول الهداية في الحال؛ لأن القاعدة اللغوية: أن

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٣٢).

الأمر والنهي والدعاء والوعد والوعيد والشرط وجزاءه إنما يتعلق بالمستقبل من الزمان دون الماضي والحاضر؛ لأن ما عداه قد تعين وقوعه أو عدم وقوعه، فلا معنى لطلبه، والإنسان باعتبار المستقبل، لا يدري ماذا قضى عليه، فيسأل الله العظيم في المستقبل ليأمن من سوء الخاتمة، كما أن النصراني إذا قال اللهم أمتني على ديني، لا يدل على أنه غير نصراني إلى وقت الدعاء، ولا أنه غير مصمم على صحة دينه، وكذلك سائر الأدعية، وأجمع المسلمون والمفسرون على أن المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى، فتبديل ذلك بما قالوه مصادمة، ومكابرة، ومغالطة، وتحريف وتبديل فلا يسمع من مدعية][1].

هذا: ولم أجد أحدًا من السابقين واللاحقين تناول تلك الشبهة غير شيخ الإسلام ابن تيمية فذكر احتجاج النصارى بقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٢٤].

وأجاب عنه بأن السياق قبل هذه الآية يؤكد أن محمدًا ﷺ على الهدى، وأن المشركين هم أهل الضلال، فالآيتان اللتان قبل هذه الآية[2] تبينان أن أهل التوحيد هم الذين يعبدون الله تعالى الذي يملك كل شيء، بلا شريك، ولا ظهير، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ومحمد ﷺ يعبد الله تعالى الموصوف بالصفات السابقة، وأما المشركون فيعبدون ما لا يملك شيئًا، ولا يشارك الله في ملكه، ولا يعين الله عليه، ولا يشفع عند الله تعالى، فهم على الضلال.

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٣٢، ٣٣).

(٢) الآيتان: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [٢٢-٢٣] من سورة سبأ.

ثم بعد أن ذكر الله تعالى صفات أهل التوحيد وصفات أهل الضلال، أمر نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ وذلك ليس شكًا، بل من باب الإنصاف في الخطاب، واعتمادًا على ما سبق من الآيات التي تبين أن محمدًا ﷺ وأتباعه على التوحيد، واعتمادًا على أن أتباع جميع الملل يعلمون أن أهل التوحيد هم أهل الهدى وأن من عداهم هم أهل الضلال.

وذكر ابن تيمية استدلال النصارى بآيتي الفاتحة على أن رسول الله ﷺ كان يطلب الهداية إلى طريق النصارى المستقيم وأجاب عنه بقوله: (فيا سبحان الله! ألم يعرف العام والخاص علمًا لا تمكن المنازعة فيه من دين محمد ﷺ، ودين أمته الذي تلقوه عنه، من تكفير النصارى وتجهيلهم، واستحلال جهادهم وسبي حريمهم، وأخذ أموالهم -ما يناقض كل المناقضة أن يكون محمد ﷺ وأمته في كل صلاة يقولون: اللهم أهدنا صراط النصارى؟ ولو كانوا يسألون الله هداية طريق النصارى لدخلوا في دين النصارى، ولم يكفروهم ويقاتلوهم، ويضعوا عليهم الحرية التي يؤدونها عن يد وهم صاغرون، ولم يشهدوا عليهم بأنهم من أهل النار).

ثم بين أن المنعم عليهم هم المقصودون في قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩].

ثم ذكر ابن تيمية أنه إذا كان محمد ﷺ صادقًا عند النصارى فليصدقوه في كل ما جاء به ، وقد جاء بأن النصارى كفار على ضلال، وإن كان كاذبًا عندهم، فلم يستدلون بما جاء به ﷺ تأييدًا أو اعتراضًا؟ فهذا لا يصح(١).

---

(١) يراجع: الجواب الصحيح: (٢/ ٦٤-٦٨).

ومن خلال ما سبق يظهر: اشتراك القرافي وابن تيمية في دفع استدلال النصارى بما جاء في سورة الفاتحة وسورة سبأ، وكان جواب ابن تيمية في الآيتين على ما يظهر لي أقوى من جواب الإمام القرافي؛ لأنه شارك القرافي في جوابه عن آية سبأ بأن ذلك من باب التلطف في الخطاب، وإن كانت عبارة القرافي أوضح وأوفى من عبارة ابن تيمية وأضاف الاستدلال بسياق الآيات على أن محمدًا ﷺ كان على الهدى، وليس من شك أن الاستدلال بالسياق فيه لفتة قوية، وهي أن النصارى وإن انتزعوا الآية مستدلين بها على مدعاهم، فإن السياق يبطل ما صنعوا.

وفي الآية الثانية كان رد الإمام ابن تيمية أقوى من رد الإمام القرافي؛ لأنه شاركه في بيان المقصود بالمنعم عليهم من الآية وأن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى، إلا أن ابن تيمية بين أن النصارى.

كيف يكذبون محمدًا ﷺ ويستدلون ببعض ما جاء به ﷺ ؟

كما أنه لا يخفى فيما سبق أن للإمام القرافي فضيلة السبق، وأنه أضاف ما لم يذكره ابن تيمية من استدلال النصارى بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ الآية، وأجاب عنه. والله أعلم

الشبهة الثانية: نفي النصارى عموم رسالته ﷺ :

يزعم النصارى أن سيدنا محمدًا ﷺ لم يرسل إليهم، وإنما هو رسول إلى العرب وحدهم، متمسكين في ذلك بآيات من القرآن الكريم ظنوها صالحة لما قالوا، وقد ذكر الإمام القرافي ذلك فقال: (يقولون: إن محمدًا ﷺ لم يبعث إلينا، فلا يجب علينا اتباعه، وإنما قلنا: إنه لم يرسل إلينا؛ لقوله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ

إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤]، ولقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [القصص: ٤٦]، ولقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] يقول النصارى ولا يلزمنا إلا من جاء بلساننا، وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغاتنا)[1].

رد الإمام القرافي عن هذه الشبهة:

أجاب الإمام القرافي عن هذه الشبهة بالآتي:

١- أنه لو صح ما يقوله النصارى: إنهم لا يلزمهم الإيمان إلا بمن جاء بلسانهم، وبكتاب فيه لغتهم، لكان النصارى كلهم على ضلال في اتباع أحكام التوراة؛ حيث إنهم متبعون لأحكامها، والتوراة لم تنزل بلسان النصارى، بل نزلت باللسان العبري، وترجمت إلى لغتهم، واللغة العبرية ليست لغة النصارى، بلا إنكار منهم لذلك.

ولكان أيضًا عدد كثير من النصارى على ضلال في اتباع ما جاء في الإنجيل كنصارى مصر والحبشة؛ لأن لغتهم ليست لغة الإنجيل التي نزل بها، ولكن ترجم إلى لغتهم، وذلك قول الإمام القرافي: (التوراة نزلت باللسان العبراني، والإنجيل بالرومي[2]، فلو صح ما قالوه، لكان النصارى كلهم مخطئون في اتباع أحكام التوراة؛ فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا كما يعلم الرومي اللسان العربي بطريق التعليم، وأن يكون القبط -المصريون- كلهم -والحبشة مخطئين في اتباعهم التوراة والإنجيل؛ لأن الفريقين غير عبرانيين أو روميين، ولو

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٩).

(٢) سبق بيان اللغة التي كتب بها الإنجيل. (ص٤٦١).

لم ينقل هذان الكتابان بلسان القبط وترجما، كما ترجما بالعربي، لم يفهم قبطي ولا حبشي، ولا رومي شيئًا من التوراة، ولا قبطي ولا حبشي شيئًا من الإنجيل، إلا ان يتعلموا ذلك اللسان كما يتعلمون العربي)[1].

٢- يلزم القرافي النصارى أنهم ما داموا يسلمون برسالة محمد ﷺ والرسول لا يكذب، فليصدقوه في دعواه أن رسالته عامة ﷺ وهذا قوله: (إذا سلم أن النبي ﷺ رسول لقومه، ورسل الله تعالى خاصة خلقه وخيرة عباده معصومون من الزلل، مبرؤون عن الخطأ.. وهو الصادق البر فيكون رسولاً للجميع؛ لأن من جملة ما نزل عليه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨])[2].

٣- بيَّن الإمام القرافي أن ما فهمه النصارى من الآيات التي ذكروها من دعوى خصوص الرسالة بالعرب، لم يفهمه من نزل عليه الوحي ﷺ ، ولا من نزلت فيهم تلك الآيات، ولم يفهمه أعداء رسول الله ﷺ آنذاك، ولو فهموا ذلك، لما تركوا معارضته بذلك، ولكنهم لم يفعلوا فدل على أنهم لم يفهموا ما فهمه النصارى زمن الإمام القرافي من فهم خاطئ، وذلك قوله: (وإذا كان عليه السلام هو المتكلم بهذه الألفاظ، ولم يفهم تخصيص الرسالة، ولا إرادته، بل أنذر الروم، والفرس. وسائر الأمم، والعرب لم تفهم ذلك، وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك، ولا فهموه، ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليهم، ونحن أيضًا لم نفهم ذلك، ولم يفهمه إلا النصارى الذين ساءوا سمعًا وفهمًا، فساءوا إجابة)[3].

٤- بين الإمام القرافي أنه كيف يدعي أن رسالته ﷺ كانت خاصة إلى العرب وهو الذي أرسل الرسل إلى سائر الأمم يدعوهم إلى الإسلام وذلك

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠، ١١).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١١).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٢).

قوله: (فليت شعري من كتب إلى قيصر (هرقل ملك الروم) وإلى المقوقس أمير القبط يدعوهم إلى الإسلام؟ ولولا ذلك لم يسلط السيف على دين النصرانية إلى اليوم منذ ستمائة سنة)(١).

٥- بيّن الإمام القرافي أنه ليس في الآيات التي تمسك بها النصارى دليل على أن رسالته ﷺ ليست لغير العرب:

فقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤] أجاب القرافي عن تمسكهم به، ببيان الحكمة من الإرسال بألسنة الأقوام، وهي أن يفهم الأقوام عن الرسل، ومنهم، فإذا فهموا وعرفوا ما يقصدونه، وآمنوا قامت بهم الحجة على غيرهم؛ لأن غير أقوام الرسل إذا رأوا أقوامهم: آمنوا بهم، ودعاهم الرسل إلى الإيمان بدعوتهم، في حال عموم الدعوة، مثل سيدنا محمد ﷺ فإن هؤلاء الناس يحكمون على الرسول بحال قومه معه، فإن كانوا آمنوا به، فقد عرفوا صدقه، وإلا فقد بان كذبه، وذلك قول القرافي: (الحكمة في أن الله تعالى إنما يبعث رسله بألسنة قومهم؛ ليكون ذلك أبلغ في الفهم عنه، ومنه، وهو أيضًا يكون أقرب ليفهم عنهم جميع مقاصدهم في الموافقة والمخالفة وإزاحة الأعذار والعلل والأجوبة عن الشبهات المعارضة، وإيضاح البراهين القاطعة، فإن مقصود الرسالة في أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد، وهو مع اتحاد اللغة أقرب.. فإذا تقررت نبوة النبي في قومه قامت الحجة على غيرهم، فإن أقارب الإنسان، ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه أكثر من غيرهم، إذا أسلموا ووافقوا، فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق).

ثم بين الإمام القرافي أن الآية ليس فيها ما يدل على التخصيص، وإنما كانت

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص٣٣).

تدل على التخصيص لو كانت: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه، وذلك قوله: (وفرق بين قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤] وبين قوله: (وما أرسلنا من رسول إلا لقومه) فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول)[١].

وأما تمسك النصارى بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ ﴾ [الجمعة: ٢] فقد رده القرافي بقوله: (إن هذا لا يقتضي أنه لم يبعث إلى غيرهم، فإن الملك العظيم إذا قال: بعثت إلى مصر رسولاً من أهلها، لا يدل ذلك على أنه ليس على يده رسالة أخرى لغيرهم، ولا أنه لا يأمر قومًا آخرين بغير تلك الرسالة).

وأما تمسكهم بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فقد أجاب عنه القرافي بقوله: (ليس فيه دليل على أنه لا ينذر غيرهم، كما إذا قال القائل لغيره: أدب ولدك، لا يدل أنه أراد ألا يؤدب غلامه، بل ذلك يدل على أن مراد المتكلم في هذا المقام تأديب الولد؛ لأن القصد مختص به، ولعله إذا فرغ من الوصية على الولد، يقول له: وغلامك أيضًا أدبه، وإنما بدأت بالولد، لاهتمامي به، ولا يقول عاقل: إن كلامه الثاني مناقض للأول، فكذلك قرابته عليه السلام لما كانوا أولى الناس ببره وإحسانه، وإنقاذه خصهم بالذكر، لا أن غيرهم غير مراد كما هو واضح في صورة الولد والعبد).

وأما تمسكهم بقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ [القصص: ٤٦] فقد أجاب عنه القرافي بقوله: (ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم، بل لما كان الذي يتلقى الوحي أولاً هم العرب، كان التنبيه عليهم بالمنة والهداية أولى

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص١٠).

من غيرهم، وإذا قال السيد لعبده: بعثتك لتشتري ثوبًا، لا ينافي أنه أمره بشراء الطعام، بل تخصيص الثوب بالذكر لمعنى اقتضاه، وسكت عن الطعام؛ لأن المقصد الآن لا يتعلق به، فلما كان المقصود إظهار المنة على العرب خصوا بالذكر)[(١)].

وقد ذكر ابن تيمية أجزاء هذه الشبهة التي يتمسك بها النصارى في مواطن عدة من كتابه: (الجواب الصحيح) وأجاب عنها.

فذكر دعواهم أن محمدًا ﷺ أرسل إلى العرب متمسكين في ذلك بآيات من القرآن الكريم، وأجاب عنها بالآتي:

١- بيّن أن النصارى إن صدقوا محمدًا ﷺ في كونه رسولاً، فليصدقوه في كل ما جاء به، وقد جاء بأن دعوته عامة، وأن النصارى على الباطل، وإن كذبوا محمدًا ﷺ في كون رسالته عامة، فلا معنى لاحتجاجهم بشيء مما جاء به[(٢)].

٢- بيّن أنه ﷺ دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإسلام، كما دعا من لا كتاب له من العرب، وسائر الأمم، وهو الذي أخبر عن الله تبارك وتعالى بكفر من لم يؤمن به من أهل الكتاب وغيرهم، وبأنهم يصلون جهنم وساءت مصيرا.. وقد علم جميع الطوائف بذلك، فدعوى أنه ﷺ لم يبعث إلا إلى العرب كذب ظاهر[(٣)].

٣- وأما استدلال النصارى بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤] فقد أجاب عنه ابن تيمية ببيان الحكمة من كون كل

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١١، ١٢).

(٢) يراجع: الجواب الصحيح: (١/ ٣٨-٤٠).

(٣) يراجع: الجواب الصحيح (١/ ٥٠) وما بعدها.

رسول جاء بلسان قومه -كما ذكر الإمام القرافي- مع اختلاف العبارة، والإطناب في الجواب[١].

٤- وأيضًا بيّن أن جميع النصارى متبعون للتوراة، وهي لم تنزل بلسانهم، وكثير منهم متبع للإنجيل وهو لم ينزل بلسانهم، فكيف يقال: إنهم لا يلزمهم اتباع إلا من جاء بلسانهم؟[٢]

٥- ثم قال: (قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ [يس: ٦]، لا يقتضي أنه لا ينذر غيرهم، كما أن قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] يقتضي إنذار قومه ولا ينافي أن ينذر غيرهم من العرب، كما أن قوله في قريش: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش: ٣، ٤] ولا يمنع ان يكون غير قريش مأمورين بعبارة ﴿ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾)[٣].

ومن خلال ما سبق يظهر أن جواب الإمام القرافي عن تلك الشبهة أقوى من جواب ابن تيمية؛ لأنه وإن شارك ابن تيمية في إلزام النصارى بأنهم إن صدقوا كونه ﷺ رسولاً إلى العرب فليصدقوه في كل ما جاء به، وإن شاركه في أن ما يقوله النصارى يرجع على اتباعهم أحكام التوراة بالبطلان، وكذا على اتباع أكثرهم لما جاء في الإنجيل؛ لأن التوراة لم تنزل بلسانهم؛ ولأن الإنجيل لم يكن بلغة أكثر النصارى، فقد جاءت عبارة القرافي أوضح من عبارة ابن تيمية، كما أن فيها بيانًا ليس عند ابن تيمية؛ لأن معظم الذي ذكره ابن تيمية ذكره ضمن كلام كثير، أصابه القرافي في عبارات ليست مختصرة، ولا هي مطنبة.

---

(١) يراجع: الجواب الصحيح (١/ ١٧١، ١٧٤).
(٢) ينظر: الجواب الصحيح: (١٨٤).
(٣) ينظر: الجواب الصحيح: (٢/ ٦٣).

وأيضًا: عند مقارنة جواب القرافي وابن تيمية عن الآيات التي تمسك بها النصارى يظهر الفرق، فكلاهما بيّن أن الآيات ليس فيها ما يفيد التخصيص، لكن بيان الإمام القرافي جاء مشفوعًا بالمثال الذي لا يدع في النفس شيئًا من الغموض أو الارتياب، هذا بالإضافة إلى إضافة الإمام القرافي الفريدة، وهي أنه إذا لم يفهم رسول الله ﷺ التخصيص من الآيات، وكذا الصحابة، والعرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وأعداء الإسلام آنذاك، فكيف فهم النصارى ذلك، مع أنهم ليسوا حجة في فهم القرآن الكريم، ولا في لغة القرآن الكريم؟

كل أولئك يجعل جواب الإمام القرافي أقوى من رد الإمام ابن تيمية.

والله أعلم

المبحث الثالث

بشارات نبوته ﷺ من كتب اليهود والنصارى المقدسة عندهم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بشارات نبوته ﷺ من التوراة (أسفار موسى الخمسة).

المطلب الثاني: بشارات نبوته ﷺ من مزامير داود عليه السلام.

المطلب الثالث: بشارات نبوته ﷺ من سفر إشعياء.

المطلب الرابع: بشارات نبوته ﷺ من الأناجيل.

المطلب الأول
بشارات نبوته ﷺ من التوراة
(أسفار موسى الخمسة)

البشارة الأولى:

في السفر الأول من التوراة: (قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: في هذا العام يولد لك ولد اسمه إسحاق، فقال إبراهيم عليه السلام: يا ليت إسماعيل هذا يحيى بين يديك يمجدك، فقال الله تعالى: قد استجبت لك في إسماعيل، وإني أباركه وأنميه وأعظمه جدًا جدًا، بما قد استجبت فيه، وأصيره أمه كثيرة وأعطيه شعبًا حليلاً، سيلد اثنى عشر عظيمًا)[1].

يقول الإمام القرافي: (اتفقت الأمم على أنه لم يظهر من قبل إسماعيل عليه السلام إلا نبينا صلوات الله عليه، فإن الأنبياء إنما كانوا يكونون من ذرية إسحاق عليه السلام.

ولما ظهرت بركته ونمت أمته كان الشعب الجليل الذي أعطيه إسماعيل عليه السلام فملأت منه المشارق والمغارب)[2].

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإنا نجد الماوردي ذكر هذه البشارة معلقًا عليها بقوله: (ليس في ولد إسماعيل من جعله الله لأمة عظيمة، غير محمد ﷺ)[3]. ونجد السمؤال يذكر هذه البشارة باللسان العبري وترجمتها باللسان العربي فيقول: (قال الله تعالى مخاطبًا إبراهيم عليه السلام: وأما في إسماعيل فقد

---

(١) تكوين: الإصحاح (١) الفقرات: (١٥-٢٠).

(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٦٣).

(٣) أعلام النبوة: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي: (ص١٧١)، ت/ محمد المعتصم بالله البغدادي. دار الكتاب العربي - بيروت، ط/ الأولى، ١٩٨٧م.

قبلت دعاءك، ها أنا قد باركت فيه، وأثمره وأكثره جدًا جدًا، ذلك قوله: وليشماعيل سمعيتحا هني يبرختى أونوا وهفريشي أوثوا وهزبيثي أوثو بمادماد). ثم يقول: (فهذه الكلمة (بمادماد) إذا عددنا حساب حروفها بالجمل[1] كان اثنين وتسعين.

وذلك عدد حساب حروف اسم محمد فإنه أيضًا اثنان وتسعون)[2] وما أجمله السموأل هنا فصله الإمام القرطبي في قوله: (فأما قوله: جدًا جدًا، فهو بتلك اللغة بمادماد، وعدد هذه الحروف: اثنان وتسعون وذلك أن الباء عندهم: اثنان، والميم: أربعون، والألف: واحد، والدال: أربعة والميم الثانية: أربعون، والألف: واحد، والدال: أربعة.

وكذلك الميم من محمد: أربعون، والحاء: ثمانية، والميم: أربعون، والدال: أربعة)[3] ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر نفس تعليق القرافي مع اختلاف

---

(١) حساب الجُمل: هو أن كل حرف يساوي رقمًا معينًا وضعه له العرب، وحساب الجمل إنما هو على ترتيب الهجاء عند الشاميين، قبل أن يرتبها نصر بن عاصم الترتيب المعروف الآن، وترتيب الشاميين هكذا (أبجد - هوز - حطي - كلمن - سعفص - قرشت - تخذ - ضظغ)

وكيفية حساب الجمل: أن الحروف التسعة الأول: (أبجد - هوز - حطى) تساوي من [١-٩] أ = ١، ب = ٢ وهكذا. والحروف التسعة الثانية [ي - كلمن - سعفص] تساوي العقود من عشرة إلى تسعين، الياء = ١٠ والكاف = ٢٠ وهكذا.

والحروف التسعة الثالثة (قرشت - ثخذ - ضظ) تساوي الأرقام من: [١٠٠ إلى ٩٠٠] هكذا: القاف = ١٠٠ والراء = ٢٠٠ وهكذا، والغين = ١٠٠٠ يراجع: المعجم الوسيط. مادة (أبجد) (١/ ١٧) مجمع اللغة العربية، ط/ الثالثة، بدون تاريخ، تحفة الأريب، بتحقيق د/ أحمد حجازي السقا، مقدمة المحقق: (ص١٩).

(٢) بذل المجهود: (ص١١٥) وما بعدها.

(٣) الإعلام: (ص٢٦٥، ٢٦٦).

العبارة[١].

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين فلا نجد إلا الشيخ رحمة الله الهندي ذكر كلام أبي العباس القرطبي الذي نقلناه بعد أن ذكر أن القرآن الكريم فيه ما يؤيد تلك البشارة من دعاء إبراهيم وإسماعيل بمحمد ﷺ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ ۚ ﴾ [البقرة: ١٢٩][٢].

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي تأثر بأبي البقاء الجعفري من السابقين ولم يؤثر في أحد من اللاحقين.

البشارة الثانية:

في التوراة قال الله لموسى عليه السلام: (إني سأقيم لبني إسرائيل نبيًا من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي في فيه، ويقول لهم ما آمرهم به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي، أنا أنتقم منه ومن سبطه)[٣].

يقول الإمام القرافي: (ولم يخرج من إخوة بني إسرائيل من أولاد إسماعيل غير سيد المرسلين، ولم يأت برسالة مستأنفة غيره، لا من بني إسرائيل ولا من غيرهم، والله تعالى يقول: (ما آمره به) يجعله أمرًا مستأنفًا، ولأنه قال: (مثلك) ولم يخرج مثله في الجلالة والرسالة العظيمة المبتكرة إلا سيد المرسلين صلوات الله

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٦٥٢).

(٢) إظهار الحق: (٢/ ٢١٠، ٢١١) وينظر: بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٩٤). الجواب الصحيح: (٣/ ٢٤٦، ٢٥٠).

(٣) سفر التثنية: الإصحاح (١٨) الفقرات: (١٨-٢٠).

عليه، فيكون هو الموعود به)[١].

فالإمام القرافي يحدد المماثلة بين موسى ومحمد ﷺ في أن كليهما كانت له رسالة جديدة، ولم يأت أحد برسالة جديدة بعد موسى إلا سيدنا محمد ﷺ.

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإنا نجد أبا الربيع محمدًا بن الليث يذكر هذه البشارة ثم يقول: (فمن إخوة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل؟ أما تعلم أن لو كان الله عز وجل يعني أحدًا منهم -بني إسرائيل- لقال لهم أقيم لكم نبيًا منكم؟ ألا تسمع قول الله عز وجل: (لأجعل كلامي على فمه) يعني به أميًا لا يقرأ ولا يكتب)[٢].

ونجد نصر بن يحيى يذكر البشارة ويقول: (وهذا يدل على أن النبي الذي يقام، لا يكون من بني إسرائيل؛ لأن من خاطب قومًا فقال لهم: إني أقيم من إخوتكم رجلاً، استفيد من ذلك أنه ليس من أنفسهم، كما أن من قال لبني أمية: إنه سيكون من إخوتكم إمام، عقل منه أنه لا يكون من بني أمية، وكل نبي بعث بعد موسى لم يكن من إخوتهم، والنبي ﷺ من إخوتهم؛ لأنه من ولد إسماعيل، وإسماعيل هو أخو إسحاق، ولو كانت هذه البشارة لنبي من بني إسرائيل لم يكن لها معنى؛ لأن الله قد بعث بعد موسى خلقًا كثيرًا من الأنبياء من بني إسرائيل، واليهود تعتقد أنه لا يجيء من بني إسرائيل بعد موسى مثل موسى[٣] وهذا يدل على أن البشارة لنبي من غيرهم، فهذا تصريح باسم النبي محمد ﷺ)[٤].

---

(١) الأجوبة الفاخرة: (ص١٦٤).

(٢) رسالة أبي الربيع محمد بن الليث: (ص٥٤، ٥٥).

(٣) في سفر التثنية: (ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى) الإصحاح: [٣٤] الفقرة: [١٠].

(٤) النصيحة الإيمانية: (ص١٤٤-١٤٥).

ونجد أبا عبيدة الخزرجي يذكر تلك البشارة ويقول: (فإن قلت: إن ذلك يوشع بن نون، فماذا تقول فيما ذكر بعد في التوراة أنه لا يخلف من بني إسرائيل نبي مثل موسى، فلا محالة أن الذي بشرت به التوراة لا يكون من بني إسرائيل لكن من إخوة بني إسرائيل ولا محالة أنهم العرب والروم، فأما الروم فلم يكن منهم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى بزمان، فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبق إلا العرب، فهو إذًا محمد ﷺ)(١).

ونجد أبا العباس القرطبي ذكر ما ذكره الخزرجي وأضاف: (ويدل على ذلك أيضًا قوله: (أجعل كلامي على فيه) فإن هذا تصريح بالقرآن؛ إذ هو كلام الله الذي جاء به محمد ﷺ، وتلقيناه من فلق فيه، ويدل أيضًا على ذلك قوله: (من عصاه انتقمت منه) إذ قد فعل الله ذلك بصناديد قريش على وجه الصغار والذلة)(٢).

ونجد أبا البقاء الجعفري يقول بعد ذكر البشارة: (قلت: هذه آثار النقمة على من فارقه لائحة، وآثار النعمة على من وافقه واضحة، واعلم أن أخوة بني إسرائيل، هم ولد إسماعيل.. ولم يبعث من بني إسرائيل نبي مثل موسى جاء بكتاب منزل وشرع مبتدأ، فوجب أن يكون من بني إسماعيل، ولم يقم من ولد إسماعيل من يمكن تنزيل هذا الوعد الحق عليه سوى رسول الله ﷺ فلو لم يبعث محمدًا ﷺ لأخلفته أقوال التوراة، وخبر الله تعالى محاشًا عن الخلف)(٣).

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين فإنا نجد ابن القيم يذكر البشارة، ويذكر أن اليهود يحملونها على صموئيل النبي وأن منهم من يقول: إن أصل الكلام: أأقيم

---

(١) بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٦٠، ٢٦١).

(٢) الإعلام: (ص٢٦٣، ٢٦٤).

(٣) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٦٥٦، ٦٥٧).

لبني إسرائيل؟ بالاستفهام الإنكاري أي لا يقيم، ويدفع قولهم بالاستفهام بأنه من تحريفهم الذي أخبر عنه ﷺ، كما دفع حملهم النبوة على صموئيل بأن قوله: [مثلك] يدل على أنه صاحب شريعة عامة مثل موسى، ولم يكن صموئيل كذلك، كما أنه ذكر أن النصارى يحملون البشارة على عيسى عليه السلام ويدفع ذلك بقوله: (ولا يصح حمل هذه البشارة على المسيح باتفاق النصارى؛ لأنها إنما جاءت بواحد من إخوة بني إسرائيل، وبنو إسرائيل وإخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم إله، والمسيح عندهم إله معبود، وهو أجل عندهم من أن يكون من إخوة العبيد، والبشارة وقعت بعبد مخلوق يقيمه الله من جملة عبيده وإخوتهم، وغايته أن يكون نبيًا لا غاية له فوقها، وهذا ليس هو المسيح عند النصارى) فالبشارة صريحة في محمد ﷺ؛ لأنه من بني إسماعيل إخوة بني إسرائيل، ويؤيد ذلك أنه قال: (أجعل كلامي في فيه) أي أنه ينزل عليه كتابًا يظهر للناس من فيه، وهذا لم يكن لأحد بعد موسى غير النبي ﷺ[1].

ونجد رحمة الله الهندي يذكر تلك البشارة ويقول: هذه البشارة ليست بشارة يوشع كما يزعم الآن أحبار اليهود، ولا بشارة عيسى عليه السلام، بل هي بشارة محمد ﷺ ، ثم ذكر أوجهًا عشرة تدل على أنها بشارة محمد ﷺ، وليست بشارة يوشع، ولا عيسى عليهما السلام نذكر منها:

١- أن اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيًا آخر مبشرًا به، وكان هذا المبشر به عندهم غير المسيح، فلا يكون هذا المبشر به يوشع، ولا عيسى عليهما السلام.

٢- أنه وقع في هذه البشارة لفظ (مثلك) ويوشع وعيسى عليهما السلام لا

---

(١) يراجع: هداية الحيارى: (ص٧٢-٧٤).

يصح أن يكونا مثل موسى عليه السلام، للآتي:

١- لأنهما من بني إسرائيل، ولا يجوز أن يقوم أحد من بني إسرائيل مثل موسى كما جاء في سفر الاستثناء[1].

٢- لأنه لا مماثلة بين يوشع وبين موسى عليهما السلام؛ لأن موسى صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامر ونواهٍ، ويوشع ليس كذلك، بل هو متبع لشريعته.

وكذلك لا توجد المماثلة التامة بين موسى وعيسى عليهما السلام؛ لأن عيسى عليه السلام -كان إلهًا وربًا- على زعم النصارى، وموسى عليه السلام كان عبد إله، وعيسى عليه السلام صلب على زعم النصارى، وموسى عليه السلام ما صلب، وموسى عليه السلام كان رئيسًا مطاعًا في قومه، وعيسى لم يكن كذلك.

٣- المماثلة لا تنطبق إلا على محمد ﷺ في أمورٍ كثيرة:

- كونه ذا والدين.

- كونه ذا نكاح وأولاد.

- كونه مأمورًا بالجهاد.

- كونه عبدًا لله ورسوله.

- كون شريعته مشتملة على العبادات البدنية والرياضات الجسمانية.

- موته على فراشه.

---

(١) سفر التثنية: الإصحاح (٣٤)، الفقرة (١٠).

- كونه مدفونًا كموسى.

- أمره بحد الزنا.

- تعيين الحدود والتعزيرات والقصاص، وكل هذه الأمور وغيرها موجود في موسى عليه السلام وفي شريعته، وتنطبق على سيدنا محمد ﷺ وشريعته[١].

كما أنا نجد الألوسي رحمه الله تعالى ذكر بعض ما ذكره الهندي ملخصًا[٢]، ونجد العلامة أحمد ديدات يذكر ما قاله الهندي من أن البشارة لا تنطق على عيسى عليه السلام للأوجه المذكورة، وأنها تنطبق على محمد ﷺ للأوجه المذكورة وغيرها، بطريقة عرض رائعة، جذابة مقنعة[٣].

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي لم يتأثر بأحد سبقه، ولم يؤثر في أحد جاء بعده.

البشارة الثالثة:

في التوراة: (أقبل الله من سينا، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران معه ربوات الأطهار عن يمينه)[٤].

يقول الإمام القرافي: (فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه

---

(١) يراجع: إظهار الحق: (٢/ ١٩٩-٢٠٨).

(٢) يراجع: الجواب الفسيح: (١٢٦٥-٢٦٩).

(٣) يراجع: ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ، للداعية الإسلامي: أحمد ديدات: (ص٢٢-٣٨). ترجمة وتعليق/ وليد عثمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

وينظر: إعلام النبوة: (ص١٧١)، الفصل (١/ ١١١)، بذل المجهود: (ص١١١) وما بعدها، الانتصارات الإسلامية: (ص١٢٠، ١٢١)، تحفة الأريب: (ص١١٥، ١١٦).

(٤) سفر التثنية: الإصحاح (٣٣) الفقرات: (١-٣)

السلام، وساعير هو جبل الخليل بالشام، وكان المسيح عليه السلام يتعبد فيه ويناجي ربه، وفاران جبل بني هاشم الذي كان محمد عليه الصلاة والسلام يتحنث فيه ويتعبد.

فإقبال الله تعالى من سينا إقبال رسالته، وتجليه من ساعير: ظهور فضله بإرسال عيسى عليه السلام بإحياء ما في التوراة، وظهوره من جبال فاران - وفاران هي مكة باتفاق أهل الكتاب ولذلك عندهم أن إسماعيل وهاجر كانا ببرية فاران[1]، وهما كانا بمكة- فظهوره تعالى منها: ظهور الرسالة المحمدية إلى جميع البرية، وخصص موسى عليه السلام نبينا عليه السلام بها لم يذكره لغيره، وهو ربوات الأطهار عن يمينه، وهم أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين)[2].

فالبشارة في نظر القرافي ترجع إلى أن موسى عليه السلام بشر بمكان بعثته ﷺ وبصحابته عليهم رضوان الله تعالى.

وإذا نظرنا في كلام السابقين، فإنا نجد الماوردي يقول بعد ذكر الشبهة: (وفاران هي جبال مكة -في قول الجميع- فإن ناكروا كان دفعًا لما في التوراة، ولأنه لم يستعل الدين كاستعلائه منها فاندفع الإنكار)[3].

ونجد نصر بن يحيى يذكر البشارة ويطبقها على موسى وعيسى عليهما السلام ويقول: (وأنزل القرآن على محمد ﷺ في جبال فاران، وهي الحجاز، وفاران: أحد العمالقة السبعة الذي اقتسموا الأرض، فجعلوا لفاران

---

(١) سفر التكوين: الإصحاح (٢١) الفقرتان: (٢٠، ٢١).
(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٦٥).
(٣) أعلام النبوة: (ص١٧١).

الحجاز)[١].

ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر ما ذكره القرافي بعبارة متقاربة، ويضيف أن بولس ذكر أن جبل فاران متصل ببلاد أرابيا[٢] (أي بلاد العرب).

ثم يقول: (ويحتمل أنه أراد بربوات الأطهار: جماعة الملائكة وهو الأقرب؛ لأن الربوات الجماعات، وأحدها ربوة، وقال داود: (الرب ناصري، لا أخاف من ربوات الشعوب المحيطين بي)[٣]، فيكون ذلك كناية عن تأييد الله نبيه محمدًا ﷺ بالملائكة في حروبه وغزواته)[٤].

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين فإنا نجد ابن تيمية يذكر البشارة مطبقًا لها على الأنبياء الثلاثة ثم يقول: (ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني، فذكر إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القرآن، وقال في الأول: جاء أو ظهر، وفي الثاني: أشرق، وفي الثالث: استعلن، وكأن مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس، زاد به النور والهدى، وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال: استعلن من جبال فاران؛ فإن النبي ﷺ ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها، كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض، ومغاربها... وهذه الأماكن الثلاث أقسم بها في القرآن في قوله: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين: ١-٣].

فأقسم بالتين والزيتون، وهو الأرض المقدسة الذي ينبت فيها ذلك، ومنها

(١) ينظر: النصيحة الإيمانية: (ص١٤٤).

(٢) لم أجد هذا النص في رسائل بولس.

(٣) مزموز (٣) الفقرتان (٥، ٦).

(٤) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٦٥٤، ٦٥٦).

مبعث المسيح، وأنزل عليه فيها الإنجيل، وأقسم بطور سنين، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى، وأقسم بالبلد الأمين، وهي مكة، وهو البلد الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه... ولما كان ما في التوراة خبرًا عنها، أخبر بها على ترتيبها الزماني، فقدم الأسبق فالأسبق.

وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيمًا لشأنها ... فأقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة، فأقسم أولاً بالتين والزيتون، ثم بطور سينا، ثم بمكة؛ لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن، ثم التوراة، ثم الإنجيل)(١).

ونجد رحمة الله الهندي يذكر البشارة ويطبقها على الأنبياء الثلاثة ثم يقول: (ولا يصح أن يراد أن النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير ومن فاران أيضًا فانتشرت في هذه المواضع؛ لأن الله لو خلق نارًا في موضع لا يقال: جاء الله من ذلك الموضع، إلا إذا اتبع تلك الوقعة وحي نزل في ذلك الموضع أو عقوبة، أو ما أشبه ذلك، وقد اعترفوا أن الوحي اتبع تلك في طور سينا، فكذا لا بد أن يكون في ساعير وفاران)(٢).

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي ذكر ما قاله أبو البقاء الجعفري، ولكن مختصرًا، فهو متأثر به، ولم يؤثر في أحد من اللاحقين له.

والله أعلم



---

(١) الجواب الصحيح: (٣/ ٢٤١-٢٤٥).

(٢) إظهار الحق: (٢/ ٢٠٩، ٢١٠)، وينظر: رسالة أبي الربيع: (ص٥٤).

المطلب الثاني
بشارات نبوته ﷺ من مزامير داود عليه السلام

البشارة الأولى:

قال داود عليه السلام: (ليفرح بالخالق من اصطفى له أمته، وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه)[١].

يقول الإمام القرافي: (يشير صلوات الله عليه إلى هذه الأمة، ورفع أصواتهم بالأذان؛ فإنه لم يكن لغيرها من الأمم، والسيوف العربية ذوات شفرتين، والعجمية لها شفرة واحدة، وانتقم الله بهم من جملة الأمم؛ لأن دعوته عامة ﷺ، وغيرهم لم ينتقم الله بهم إلا من أمة واحدة، كموسى عليه السلام لم يقاتل إلا جبابرة الشام)[٢].

وإذا نظرنا في كلام السابقين فإنا نجد أبا عبيدة الخزرجي يقول بعد ذلك البشارة: (أخبرني من هذه الأمة التي سيوفها ذوات شفرتين ينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء؟ ومن الذين يكبرون بأصوات مرتفعة في الأذان؟)[٣].

وذكر القرطبي نفس هذا التعليق[٤]، ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر البشارة

---

(١) مرموز (١٤٩) الفقرات: (٥-٨).
(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٧٠).
(٣) بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٦٥، ٢٦٦).
(٤) الإعلام: (ص٢٦٦، ٢٦٧).

ثم يقول بعدها: (فقوله يكبرون الله بأصوات مرتفعة) إشارة إلى ما يفعله الحجيج من التلبية، وهذه كلها صفات النبي محمد ﷺ وأمته)[١].

وإذا نظرنا في كلام اللاحقين للإمام القرافي، فإنا نجد ابن تيمية يذكر البشارة ثم يقول: (وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد ﷺ وأمته، فهم الذين يكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس، وعلى الأماكن العالية ... وهم يكبرون الله بأصوات عالية في أعيادهم، (عيد الفطر، وعيد النحر) في الصلاة، والخطبة، وفي ذهابهم إلى الصلاة، وفي أيام منى، الحجاج وسائر أهل الأمصار يكبرون عقيب الصلوات... وليس هذا لأحد من الأمم -أهل الكتاب ولا غيرهم- غير المسلمين، وإنما كان موسى يجمع بني إسرائيل بالبوق، والنصارى لهم الناقوس... وقوله: (يسبحون على مضاجعهم) بيان لنعت المؤمنين الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ... ولا يمكن أن يكون ذلك للنصارى؛ لأنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم، بل أخبارهم تدل على أنهم كانوا مغلوبين مع الأمم، لم يكونوا يجاهدونهم بالسيف، بل النصارى قد تعيب من يقاتل الكفار بالسيف)[٢].

ونجد رحمة الله الهندي بعد ذكره البشارة يقول: (المبشر به محمد ﷺ وأصحابه، ويصدق جميع الأوصاف المذكورة في هذا الزبور عليه، وليس المبشر به سليمان عليه السلام؛ لأنه ما وسع مملكته على مملكة أبيه على زعم أهل الكتاب؛ ولأنه صار مرتدًا عابدًا للأصنام على زعمهم، ولا عيسى ابن مريم عليهما السلام؛ لأنه بمراحل عن الأوصاف المذكور فيه، لأنه أسر ثم قتل على

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٦٥٩، ٦٦٠).

(٢) الجواب الصحيح: (٣/ ٢٥٣-٢٥٧).

زعمهم، وكذا أسر أكثر حواريه بالقيود والأغلال، ثم قتلوا بأيدي الملوك والأشراف الكفار)(١).

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي لم يتأثر بمن سبقه، ولم يؤثر في أحد جاء بعده.

البشارة الثانية:

قال داود عليه السلام: (سيكون من يحوز البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، تخر أهل الجزائر بين يديه، ويلحس أعداؤه التراب، وتسجد له ملوك الفرس، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ونصلي عليه ونبارك في كل حين)(٢).

يقول القرافي: (وهذه صفات محمد عليه الصلاة والسلام، ولم توجد لغيره، خرت الملوك بين يدي أصحابه، ودانت بالطاعة له الأمم، وصلى عليه مع طول الأيام)(٣).

وإذا نظرنا في كلام السابقين، فإنا نجد الإمام القرطبي يقول بعد ذكر البشارة: (تأمل أوصاف النبي ﷺ فهي على ما ذكر، ما غادر منها واحدًا، ولم تجتمع هذه الصفات والعلامات لأحد قبله على ما هو معروف من أحوال الأنبياء المتقدمين)(٤). ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر ما ذكره القرافي بعبارة

---

(١) إظهار الحق: (٢/ ٢٢٠) وينظر أيضًا: رسالة أبي الربيع (ص٥٣). أعلام النبوة: (ص١٧١)، هداية الحيارى: (ص٩٧، ٩٨).

(٢) مزمور: (٧٢)، الفقرات: (٨-١٦).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٧١).

(٤) الإعلام: (ص٢٦٧).

مقاربة تبين تأثير أبي البقاء في القرافي[١].

وإذا ما جئنا إلى اللاحقين فإنا نجد الإمام ابن تيمية يقول: (وهذه الصفات منطبقة على محمد ﷺ وأمته لا على المسيح، فإن محمدًا حاز من البحر الرومي إلى البحر الفارسي، ومن لدن الأنهار كسيحون، وجيحون إلى منقطع الأرض بالمغرب... وهو يصلى عليه في كل حين في الصلوات الخمس وغيرها... وقد خرت أهل الجزائر بين يديه أهل جزيرة العرب، وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة، وأهل جزيرة قبرص، وأهل جزيرة الأندلس، وهذا بخلاف المسيح، فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته، ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن، ولا حازوا ما ذكر، ولا صلى عليه، وبورك عليه في اليوم والليلة، فإن النصارى يدعون إلهية عيسى، فلا يصلون عليه، وإنما يصلون له)[٢].

ونجد ابن القيم يذكر ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ملخصًا[٣]، ونجد عبد الله الترجمان يقول: (وهذه كلها صفات نبينا محمد ﷺ، والوجود يشهد له، وكل من دفع هذه الصفات عنه، فلا يجد في العالم أحدًا يستحقها، وإن ادعاها مدعٍ لغيره، كان مجاهرًا بالبهتان)[٤].

ومن خلال ما سبق يتضح تأثر القرافي بأبي البقاء الجعفري، وعدم تأثيره في أحدٍ من اللاحقين.

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٦٦٢، ٦٦٣).

(٢) ينظر: الجواب الصحيح: (٣/ ٢٦٠، ٢٦١) وينظر:

(٣) ينظر: هداية الحيارى: (ص٩٨، ٩٩).

(٤) تحفة الأريب: (ص١١٨)، وينظر: أعلام النبوة: (ص١٧١)، بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٩٦).

البشارة الثالثة:

قال داود عليه السلام: (أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك، سلني أعطك الشعوب ميراثك وسلطانك إلى أقصى الأرض، ترعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار تسحقهم)[١].

يقول الإمام القرافي: (ومحمد ﷺ هو الذي ورث، وبلغ سلطانه أقطار الأرض، وحاط الأمم، وسامهم بسيفه، ولم يتفق هذا لداود عليه السلام، ولا لأحد من بعده، فيكون هو المبشر به، وسمى ابنا على العادة القديمة في تسمية المطيع والنبي ابنًا، كما في التوراة في إسرائيل عليه السلام: (ابني بكرى)[٢])[٣].

هذا: ولم أجد أحدًا من السابقين واللاحقين ذكر هذه الشبهة غير أبي البقاء الجعفري، ذكر ما قاله القرافي بعبارة أوضح، وأوسع مما ذكر القرافي[٤]. فالقرافي اختصر ما قاله أبو البقاء الجعفري.

والله أعلم



(١) مزمور: (٢) الفقرات: (٧-١٠).

(٢) الخروج: الإصحاح: [٤] الفقرة: [٢٢].

(٣) الأجوبة الفاخرة: (ص١٧١، ١٧٢).

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٦٦٤، ٦٦٥).

المطلب الثالث
بشارات نبوته ﷺ من سفر إشعياء

البشارة الأولى:

قال إشعياء: (قيل لي: قم ناظرًا، فانظر ماذا ترى، فقلت: أرى راكبين أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: تسقط بابل وأصنامها للمنحر)[١].

يقول الإمام القرافي: (فراكب الحمار: المسيح عليه السلام، وراكب الجمل، محمد ﷺ، فشهرته بركوب الجمل أكثر من شهرة المسيح عليه السلام بركوب الحمار؛ فإن المسيح عليه السلام، كان كثير الـ سياحة على رجليه، وفي الإنجيل: (أنه دخل المدينة راكبًا الحمار، والصغار حوله يقولون: مبارك الآتي باسم الرب)[٢] ومحمد عليه السلام أسقط أصنام بابل وغيرها)[٣].

ونجد أبا عبيدة الخزرجي يقول: (فصاحب الجمل هو محمد ﷺ، وصاحب الحمار، باتفاق منّا، ومنكم هو المسيح... وإنما سقطت عبادة الأصنام ببابل من دون الله، وهدمت أوثانها بالنبي محمد ﷺ وأمته، لا بعيسى ولا بغيره، فما زالت ملوك بابل يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم إلى زمان محمد ﷺ وأمته)[٤].

ونجد الإمام القرطبي يذكر ما قاله الخزرجي[٥] ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر ما ذكره القرافي من كون المسيح صاحب الحمار، وكون محمد ﷺ صاحب

---

(١) إشعياء: الإصحاح: (٢١) الفقرات: (٦-١٠).

(٢) لوقا: الإصحاح: (١٩) الفقرتان: (٣٧، ٣٨).

(٣) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٧٢).

(٤) بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٧٦، ٢٧٧).

(٥) الإعلام: (ص٢٧٥).

الجمل، وأن بابل سقطت على يديه ﷺ، إلا أن استدلاله خلا من الدليل الذي ذكره القرافي من الإنجيل(١)، ومن بيان حال المسيح في حياته عليه السلام من أنه كان كثير السياحة الذي ذكره القرافي ذلك الدليل الذي أضاف لما قاله الجعفري قوة إلى قوته، كما أنه أبرز شخصية القرافي في أنه وإن تأثر بغيره، فلا يفقد شخصيته العلمية، بل يضيف ما يثبت شخصيته.

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر ما قاله القرافي مختصرًا(٢)، ونجد ابن القيم يذكر ما ذكره أبو عبيدة الخزرجي(٣).

ومن خلال ما سبق يظهر تأثر القرافي بأبي البقاء الجعفري، مع احتفاظ القرافي بشخصيته، كما يظهر تأثير القرافي في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

البشارة الثانية:

قال إشعياء: (افهمي أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد، وذكر اسمي، وأنا في الرحم، وجعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن، وخاصني بطل يمينه، وجعلني كالسهم المختار من كنانته، وخزنني لسره، وقال لي: (أنت عبدي، فصرفيّ، وعدلي حقًّا قدام الرب، وأعمالي بين يدي إلهي، فصرت محمدًا عبد الرب، وبإلهي حولي وقوتي)(٤).

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٥، ٦٦٦).

(٢) الجواب الفصيح: (٣/ ٢٦١).

(٣) هداية الحيارى: (ص١٠٠). وينظر: رسالة أبي الربيع: (ص٥٢) أعلام النبوة: (ص١٧١).

(٤) الإصحاح: [٤٩] الفقرات: [١-٦]، ولكن ليس فيه ذكر لفظة محمد ﷺ، وذكر فيه أن العبد المقصود هو إسرائيل، ولا ريب أن هذا من تحريفهم الذي تبطله دلالة السياق، إذا ما قبل اللفظة المحذوفة، لا يدل ولا ينطبق إلا على محمد ﷺ.

يقول الإمام القرافي مطبقًا هذه البشارة على سيدنا محمد ﷺ: (وهذا الفصل العظيم فيه إشارات قوية جدًا منها:

١- أنه خاطب جميع الأمم، فتكون رسالته عامة، فلم يوجد ذلك إلا لمحمد عليه السلام.

٢- أن الله تعالى أهاب من بعيد إشارة إلى أنه لم يبعثه من بني إسرائيل الذين عادوا الأنبياء منهم، وهذه صفته عليه السلام.

٣- أن الله تعالى أشار إلى عظيم فصاحته ﷺ حتى عاد كالسيف، ولم يؤت جوامع الكلم إلا هو عليه السلام.

٤- الإشارة إلى أنه عليه السلام خير الرسل، وأعظمها كلها شأنًا بقوله (جعلني كالسهم المختار من كنانته).

٥- الإشارة إلى أن شريعته أعظم الشرائع، حازت من المصالح ما لم تحزه شريعة، لقوله: (وخزنني لسره) أي كمال الحكمة الإلهية إنما ظهرت في شريعته.

٦- أن إشعياء عليه السلام صرح باسم محمد، ولم يُحجم، وأعرب عنه ولم يعجم.

ثم يقول الإمام القرافي: (فهذه ست إشارات عظيمة من نبي عظيم، اتفق أهل الكتاب على صدقه وتعظيمه ونبوته)[1].

ولا نجد هذه البشارة إلا عند نصر بن يحيى، ذاكرًا أن المقصود في البشارة هو محمد ﷺ بدون بيان وجه الاستدلال[2] كما نجد أبا البقاء الجعفري يذكرها

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٧٣، ١٧٤).

(٢) النصيحة الإيمانية: (ص١٤٥، ١٤٦).

مستدلاً بالتصريح باسم محمد ﷺ على مطابقة النبوة عليه[(١)].

ومن خلال ما سبق تظهر لنا قوة استدلال القرافي ودقته، وسعة استنباطه، وأنه وإن سبقه غيره، فكم ترك الأول للآخر؟!

البشارة الثالثة:

قال إشعياء في نبوته: (عبدي الذي برضى نفسي أعطيه كلامي، فيظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، ولا يضحك ولا يصخب، يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الميتة، وما أعطيه لا أعطيه غيره، أحمد، يحمد الله تعالى حمدًا جديدًا، يأتي من أفضل الأرض، فتفرح به البرية بسكانها، ويوحدون الله تعالى على كل طرف، ويعظمونه على كل رابية، ولا يضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقضيب الضعيف، بل يقوى الصديقين المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ، أثر سلطانه على كتفه)[(٢)].

يستدل الإمام القرافي على أن المقصود هو سيدنا محمد ﷺ بأوجه عدة منها:

١ - الإشارة إلى عموم رسالته ﷺ، بكتاب من عند الله تعالى إلى جميع الثقلين بقوله: (أعطيه كلامي فيظهرون في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، وهذا لم يكن

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٦٦٨، ٦٦٩).

(٢) إشعياء: الإصحاح (٤٢) الفقرات (١-٨) ولكن ليس في النص اسم أحمد، ولا ذكر مكة، ولا خاتم النبوة، وهذا يدل على أن التوراة الموجودة الآن مخالفة لما كانت موجودة زمن الإمام القرافي، وقد ذكر النص كما ذكره القرافي، أو بلفظ مقارب، أبو الربيع محمد بن الليث في رسالته: (ص٥٣)، الخزرجي بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٧٤)، القرطبي في الإعلام: (ص٢٧٣)، الجعفري في: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢٠/ ٦٦٩) وغيرهم مما يؤكد أن التوراة الموجودة اليوم ليست هي الموجودة زمن هؤلاء العلماء.

إلا لمحمد ﷺ.

٢- أن الله تعالى ينشر هديه، وينشر على الأمم إجابته وتصديقه لقوله: (يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الميتة)، وهي صبغة عموم وشمول في جميع الخلائق، ولم يتفق ذلك إلا لمحمد ﷺ.

٣- أنه يفرح به البراري والقفار، وهذه الصفة لم تكن لغير العرب، ولم يهد العرب، وينشر فيهم ذكر الله تعالى إلا محمد ﷺ فيكون هو المقصود.

٤- أن هذه الرسالة تقتضي عبادة الله تعالى على كل رابية وشرف، وهو من خصائص هذه الأمة، فإن الأمم قبلها لا يصلون إلا في البيع، والكنائس، وهذه الأمة حيث أدركتها الصلاة صلت، وأذنت وسبحت وهللت، فتكون هذه الأمة هي الموعود بها[1].

وإذا وجهنا وجهنا شطر السابقين نجد أبا عبيدة الخزرجي يذكر البشارة قائلاً بعدها: (فكم وكم من وجوه يمتنع عليكم أن تدعوا فيها لغير محمد ﷺ؟ فمن ذلك أنه قال: (يوصي الأمم))[2].

ونجد أبا العباس القرطبي بعد أن ذكر أن المقصود في الكلام هو النبي ﷺ يقول: (فإن قلت: هو المسيح، قيل لك: تفهم الكلام ومساقه، وحينئذ تحكم بأنه محمد قطعًا، وذلك أنه قال فيه يوصى الأمم، وهذا التصريح ببعثته للناس كافة، وعيسى إنما بعث للأجناس من بني إسرائيل بدليل قوله في الإنجيل: (إن لم أبعث إلى الأجناس، وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل)[3]... ثم قال: (لا

---

(١) يراجع: الأجوبة الفاخرة: (ص١٧٤-١٧٥).
(٢) بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٧٤، ٢٧٥).
(٣) إنجيل متى: الإصحاح: (٥)، الفقرة (٢٤).

يضعف ولا يغلب) وأنتم تزعمون أن المسيح غلب على نفسه، وحمل على خشبة، وسمرت يداه فيها، وقتل عليها، بعد صفع وإهانة عظيمة، ولا درجة في الضعف والذلة تزيد على هذا... ومن أدل ما في كلامه أن نبينا محمدًا هو المراد والمبشر به قوله: (لا يخاصم، حتى تثبت في الأرض حجتي) فإن هذا تصريح بالقرآن الذي جاء به، إذ قد عجز عن الإتيان بمثله أو بسورة مثله، جميع البشر)[1].

ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر البشارة مستدلاً بما جاء فيها من التصريح باسم رسول الله ﷺ[2].

ونجد ابن القيم يقول: (فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدروا أن يذكروا نبيًا جمع هذه الأوصاف كلها -وهي باقية في أمته إلى يوم القيامة- غيره، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، فقوله: (عبدي) موافق لقوله في القرآن الكريم: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣] وقوله: «وخيرتي ورضا نفسي» مطابق لقوله ﷺ: **«أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم»**[3].

وقوله: (لا يضحك) مطابق لوصفه الذي كان عليه ﷺ، قالت عائشة: «ما رؤي رسول الله ﷺ ضاحكًا حتى تبدوا لهواته، إنما كان يتبسم تبسمًا»[4]. وقوله:

---

(١) الإعلام: (ص٢٧٣، ٢٧٤).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٦٦٩، ٦٧٠).

(٣) أخرجه مسلم: ك الفضائل، باب: فضل النبي ﷺ حديث رقم (٢٢٧٦) (٤/ ١٧٨٢)، وأخرجه الترمذي، ك: المناقب، باب: فضل النبي ﷺ : رقم (٣٦٠٦) (٥/ ٥٨٣)، وقال: حديث حسن صحيح، عن واثلة بن الأسقع.

(٤) لم أجد هذا الحديث بهذا النص، ولكني وجدت عند البيهقي في حديث طويل في وصف رسول الله ﷺ عن الحسن بن علي رضي الله عنه، عن خاله هند بن أبي هالة التيمي، وكان وصافًا عن حلية النبي ﷺ قال: (...جل ضحكه التبسم) شعب الإيمان: باب في حب النبي

(أنزل عليه روحي) مطابق لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]... وقوله: (فيظهر في الأمم عدلي) مطابق لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائدة: ٤٢] وقوله: (وما أعطيه فلا أعطي غيره) مطابق لقوله ﷺ : «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلي»(١)، وقوله: (وهو نور الله الذي لا يطفئ) مطابق لما شهد به القرآن في غير موضع، منها قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢] وهذه البشارة مطابقة لما جاء في صحيح البخاري أنه قيل لعبد الله بن عمرو: أخبرنا ببعض صفات رسول الله ﷺ في التوراة فقال: إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزئ بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، فأفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صما، وقلوبًا غلفا، بأن يقولوا: لا إله إلا الله(٢).

يقول ابن القيم: (وقوله: (إن هذا في التوراة) لا يريد به التوراة المعينة التي هي كتاب موسى، فإن لفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور يراد به الكتب المعينة تارة، ويراد به الجنس تارة أخرى.. فإجابة عبد الله بن عمرو بما هو في

=

ﷺ، فصل: في خلق النبي ﷺ ، حديث رقم (١٤٣٠)، شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، (٢/ ١٥٤)، ت/ محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ.

(١) سبق تخريجه في (ص٧٤٤).

(٢) صحيح البخاري: ك: البيوع، باب: كراهية الصخب في السوق، حديث رقم (٢٠١٨)، (٢/ ٧٤٧).

التوراة ليست في التوراة المعينة، بل في كتاب إشعياء)[١].

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي ليس متأثرًا بأحد سبقه، ولم يؤثر في أحد جاء بعده.

والله أعلم



---

(١) يراجع: هداية الحيارى: (ص١٠٣-١١٠)، وينظر: الجواب الصحيح: (٤/ ٥)، تحفة الأريب: (ص١١٨، ١١٩).

المطلب الرابع
بشارات نبوته ﷺ من الأناجيل

البشارة الأولى:

في إنجيل متى: (قال المسيح عليه السلام: ألم تقرأوا أن الحجر الذي أرذله البناؤون صار رأس الزاوية، من عند الله كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، ومن أجل ذلك أقول لكم: (إن ملكوت الله سيؤخذ منكم، ويدفع إلى أمة أخرى لتأكل ثمرتها، ومن سقط عليه هذا الحجر سيتشدخ، وكل من سقط عليه يمحقه)[١].

يقول الإمام القرافي: (فليت شعري، من هي هذه الأمة التي دفع لها ملكوت الله بعد نزعه من النصارى؟ أتراهم اليهود؟ فهم نحن قطعًا، ومن ذا الذي من عداه شدخه، ومن عانده قتله إلا محمد ﷺ وأمته؟ وهو الذي أريد بالحجر الذي صار أفضل البشر بكونه رأس الزاوية المشار إليها.

ومن المحال أن يقال: إنه عيسى عليه السلام؛ لأنه على زعم النصارى رب أي والنص يقول: (من عند الله) فكيف يكون هو الله، ومن عند نفسه؟ ثم يقول القرافي: وعندهم وعند اليهود لم يقدر على الانتصار، ولا ظهرت له صورة الاقتدار على أحدٍ من الأشرار)[٢].

ونجد أبا العباس القرطبي يقول: (ثم ذكر في المثل صخرة، وقال: من سقط على هذه الصخرة سينكسر، ومن سقطت عليه يتهشم، يريد بذلك محمدًا ﷺ من ناوأه وحاربه أظهره الله عليه، وكذلك قد أزاح الله ملككم، وأزاله عنكم، وأعطاه أمة محمد ﷺ بعد أن كان ملككم راسخًا، وجبله شامخًا، فهدَّ الله بنبيه ﷺ

---

(١) متى: الإصحاح: [٢١] الفقرات: [٤٢-٤٥].
(٢) الأجوبة الفاخرة: (ص١٧٠).

قواعده)[١].

ونجد أبا البقاء الجعفري يذكر ما قاله القرافي من أن أمة محمد ﷺ هي المقصودة في البشارة، وأن محمدًا ﷺ هو المراد من الحجر في البشارة، بعبارة قريبة من عبارة القرافي -مما يدل على تأثر القرافي بالجعفري في هذه الجزئية- ثم يدفع كون المراد في البشارة هو عيسى عليه السلام بقوله: (فإن زعم النصارى أنه عنى بالحجر نفسه، قلنا لهم: ما هكذا أخبرتمونا عنه، بل الذي حكيتم لنا أن شرذمة من اليهود وقعوا عليه فمحقوه وقتلوه وصلبوه، وهذا شيء لم نسمعه إلا منكم، ولا نقل إلينا إلا عنكم، وإذا قلتم: إن أراذل اليهود ظهروا عليه وشدخوه بطل قولكم إن المسيح عنى بالمثل نفسه، فإن أبيتم إلا أن يكون المسيح هو رأس الزاوية، فقد أكذبتم نفوسكم في القتل والصلب والإهانة)[٢].

ونجد رحمت اله الهندي بعد أن يذكر أن المقصود بالحجر في قول عيسى هو محمد عليه السلام، بدفع كون المراد به عيسى عليه السلام بوجوه، منها:

١ - أن داود عليه السلام قال: (الحجر الذي رذله البناؤون هو صار رأسًا للزاوية من قبل الرب كانت هذه وهي عجيبة في أعيننا)[٣]، يقول الهندي: (فلو كان هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام -وهو من اليهود- فأي عجب في أعين اليهود عمومًا، وفي عين داود خصوصًا الذي يزعم النصارى أنه يعظم عيسى عليه السلام في مزامير تعظيمًا بليغًا، ويعتقد الألوهية في حقه. لكن العجب: أن يكون هذا الحجر من آل إسماعيل عليه السلام الذين كانوا يحقرون من اليهود غاية التحقير.

(١) الإعلام: (ص٢٧٢).
(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٧١٥، ٧١٦).
(٣) المزمور: [١١٨] الفقرتان: [٢-٢٣].

- أنه وقع في وصف هذا الحجر: (كل من سقط عليه ترضض، وكل من سقط هو عليه سحقه) ولا يصدق هذا الوصف على عيسى عليه السلام؛ لأنه قال: (وإن سمع كلامي أحد ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لم آت لأدين، بل لأخلص العالم)(١) وصدقه على محمد ﷺ غير محتاج إلى بيان.

٣- أن المتبادر من كلام المسيح أن هذا الحجر غير الابن(٢).

ونجد الألوسي يذكر ما قاله الهندي(٣).

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي متأثر بأبي البقاء الجعفري، إلا أنه وإن تأثر به، فقد أضاف ما يؤكد شخصيته وهو أنه كيف يكون المراد بها جاء في النص هو عيسى عليه السلام، والنصارى يقولون: إنه رب والنص يقول هو من عند الله؟

كما يظهر أن الإمام القرافي لم يؤثر في أحد ممن جاء بعده.

البشارة الثانية:

قال يوحنا: (قال المسيح عليه السلام: إن كنتم تحبوني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعصيكم فارقليطا آخر، يثبت معكم إلى الأبد، روح القدس الذي لم يطق العالم أن يقبلوه؛ لأنهم لم يعرفوه)(٤).

---

(١) يوحنا: الإصحاح: [١٢] الفقرة: [٤٧].

(٢) إظهار الحق: (٢/ ٢٣٥، ٢٣٦).

(٣) الجواب الفسيح: (١/ ٣٢٣-٣٥)، وينظر: بين الإسلام والمسيحية: (ص٧٣). الجواب الصحيح: (٤/ ٦، ٧)، هداية الحيارى: (٧٨)، الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٣٨٢، ٣٨٣).

(٤) يوحنا: الإصحاح: [١٤] الفقرات: [١٥-١٨] لكن بدل الفارقليط (المعزى) وهو من التحريف الذي أصاب الأناجيل.

يقول الإمام القرافي: (والذي يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول، لا ذاته، ورسالة نبينا عليه السلام باقية على مر الدهور والأيام، ومستمرة إلى يوم البعث والنشور).

ثم إن النصارى يقولون: إن الفارقليط الموعود به، هو ألسن نارية تنزل من السماء على التلاميذ، فيفعلوا الآيات والعجائب أي المقصود به هم التلاميذ مؤيدين بهذه الألسن، وهذا يدفعه الإمام القرافي:

بأنه لم يثبت نزول هذه الألسن، ولا مجال لتصديق المسيح عليه السلام على أمر لم يثبت، أي أن القرافي يلزمهم من ذلك أن يكون المسيح كذب فيما أخبر؛ لأنه لم يثبت ما أخبر به.

كما أن القرافي ينفي أن يكون المراد بهذه الألسن التلاميذ للآتي:

١ - أن التلاميذ لم يتحدثوا إلا مع اليهود، أي أن القرافي يقصد أن النص جاء فيه أنه لم يطق العالم أن يقبلوه، فكيف يكون المراد به التلاميذ وهم لم يخاطبوا بدعوة عيسى إلا اليهود؟[(١)]

٢- أن التلاميذ جماعة في وقت واحد، والمسيح عليه السلام يشير لواحد عظيم منفرد.

٣- لا يمكن أن يكون المراد به التلاميذ؛ لأن الخطاب مع التلاميذ أنفسهم، أن يعطيهم الله الفارقليط[(٢)].

قلت: أما نفي القرافي لنزول الألسن، فالنصارى يكذبونه بما جاء في أعمال

---

(١) هذا في بادئ الأمر، ولكن بعد فترة من رفع عيسى عليه السلام، اضطرت الظروف التلاميذ أن يخرجوا بالدعوة إلى الأمم، كما سبق بيان ذلك (ص٦٩٨).

(٢) يراجع الأجوبة الفاخرة: (ص١٦٦).

الرسل من أن هذه الألسن نزلت على التلاميذ في يوم الخمسين[١]، وهذه الألسن كانت مذكورة في سفر الأعمال زمن الإمام القرافي.

والدليل على ذلك: إن أبا البقاء الجعفري لما ذكر هذه الألسن، لم ينفها، بل قال في دفع احتجاج النصارى بها: ... ثم إن المسيح يقول: إن هذه (الفارقليط) الآخر يأتي بعده، ويدوم مع الناس إلى الأبد، ويعلم الخلائق كل شيء، وأنه قد سمى روح الله) فكيف تقول النصارى إنه هو هذا الذي يزعمونه أنه ألسنة من نار نزلت ثم انقضت ومضت، ولم تدم إلى الأبد، ولم تعلم أحدًا شيئًا؟) فهذا يدل على أن نزول هذه الألسن كانت مشهورة في ذلك الحين ويؤكد ذلك ما جاء في سفر الأعمال كما ذكرنا فلعله خفى على الإمام القرافي، ولكن كيف يخفى ذلك، وهو متأثر في استدلاله بما جاء في إنجيل يوحنا بأبي البقاء الجعفري؟ إذ هو لخص ما ذكره الجعفري؟[٢]

ونجد أيضًا أبا عبيدة الخزرجي وأبا العباس القرطبي يذكران أن الفارقليط - ويعبران عنها بالبرقليط- كلمة رومية، ترجمتها بالسريانية المنحمنا، وبالعربية: محمد، مما يدل على ان المراد منها هو سيدنا محمد ﷺ[٣].

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر أن النصارى مختلفون في المراد من الفارقليط فبعضهم يقول: معناه الحماد، وقيل: الحامد[٤]، وقيل: المعز، وقيل: إنه الحمد، وقيل: المخلص، ثم يقول: (فإن معنى الفارقليط إن كان هو الحامد أو

---

(١) أعمال الرسل: الإصحاح: (٢) الفقرات: (١-٤).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/ ٧٠٣-٧٠٥).

(٣) بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٦٨)، الإعلام: (ص٢٦٨، ٢٦٩).

(٤) يراجع: سبب إسلام عبد الله الترجمان في كتابه تحفة الأريب، فإنه ذكر أن سبب إسلامه هو أنه علم أن الفارقليط، معناه محمد وأحمد. تحفة الأريب: (ص٥٣) وما بعدها.

الحماد، أو الحمد أو المعز، فهذا الوصف ظاهر في محمد ﷺ، فإنه وأمته الحمادون، الذي يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته، ومفتاح صلاته، ولما كان حمَّادًا جوزى بوصفه؛ فإن الجزاء من جنس العمل، فكان اسمه محمدًا وأحمد... وأما من فسره بالمعز، فلم يعرف نبي قط أعز أهل التوحيد لله والإيمان، كما أعزهم محمد ﷺ فهو أحق باسم المعز من كل إنسان.

وأما معنى المخلص: فهو أيضًا ظاهر فيه، فإن المسيح هو المخلص الأول كما ذكر في الإنجيل[1]، وهو معروف عند النصارى أن المسيح صلوات الله عليه قد سمى مخلصًا، فيكون المسيح هو الفارقليط الأول، وقد بشر بفارقليط آخر فإنه قال: (وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطًا آخر يثبت معكم إلى الأبد)، فهذه بشارة بمخلص ثانٍ يثبت معهم إلى الأبد... ومحمد ﷺ هو المخلص الذي جاء بشرع باقٍ إلى الأبد لا ينسخ).

وذكر ابن تيمية أن النصارى يزعمون أن المراد بالفارقليط هو روح نزلت على الحواريين، وأجاب عن ذلك بأن هذا باطل؛ لأن روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب ... وليست موصوفة بهذه الصفات ... وإذا كان كذلك ولم يسم أحد هذه الروح فارقليطًا دل على أن الفارقليط أمر غير هذا[2].

ونجد رحمة الله الهندي يذكر نصوصًا كثيرة جاء بها لفظ الفارقليط، ويقف مع هذه النصوص مطبقًا إياها على سيدنا محمد ﷺ، ويذكر زعم النصارى أن المراد به هو الروح التي نزلت على التلاميذ ويجيب عن ذلك بأجوبة كثيرة منها:

---

(١) يوحنا: الإصحاح: (١٢) الفقرة (٤٧).

(٢) يراجع: الجواب الصحيح: (٤/ ٦-١٤).

- أن عيسى عليه السلام قال: (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي)، ثم أخبر عن فارقليط، فمقصوده عليه السلام من هذه العبارة -إن كنتم تحبوني- أن يعتقد السامعون بأن ما يلقى عليهم بعد ضروري، واجب الرعاية، فلو كان فارقليط عبارة عن الروح النازل لما كانت الحاجة إلى هذه الفقرة؛ لأنه ما كان مظنونًا أن يستبعد الحواريون نزول الروح عليهم مرة أخرى؛ لأنهم كانوا مستفيضين به من قبل، وحقيقة الأمر أن المسيح عليه السلام لما علم بالتجربة، وبنور النبوة أن الكثيرين من أمته ينكرون النبي المبشر به عند ظهوره فأكد أولاً بهذه الفقرة، ثم أخبر عن مجيئه.

ثم ذكر الهندي شبهًا خمسة للنصارى في دفع أن يكون المراد بالفارقليط هو محمد ﷺ وأجاب عنها لا نذكرها خوف الإطالة(١).

ويقول الباجي زاده بعدما أحال في هذه البشارة على الجواب الصحيح، وهداية الحيارى، وإظهار الحق، والجواب الفسيح، يقول: (فقوله: يعطيكم فارقليطًا آخر) أي يرسل رسولاً آخر غيره. وقوله: (يبقى معكم إلى الأبد) أي تبقى شريعته قائمة في العالم إلى قيام الساعة، فلا يأتي بعده نبي ولا رسول، فكانت دعوى خاتم الأنبياء، كما أخبر عيسى عليهما السلام -وقد مضى ثلاثة عشر قرنًا- ولم يبعث رسول من الله عز وجل، بعدما كانت أنبياء بني إسرائيل تترى، وهو أعظم دليل على صدقها)(٢).

---

(١) يراجع: إظهار الحق: (٢/ ٢٣٨-٢٥٦).

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق: (ص٣٧٨، ٣٧٩)، وينظر: أعلام النبوة: (ص١٧١)، هداية الحيارى: (ص٧٧-٨٨)، الجواب الفسيح: (١/ ٢٧٧- ٣١٥)، وقد ذكرت بشارات أخرى تحمل لفظ فارقليط غير هذه البشارة التي ذكرها القرافي عند غير القرافي، وطبقوها على النبي ﷺ. يراجع: رسالة أبي الربيع: (ص٥٢) الفصل: =

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام القرافي متأثر بأبي البقاء الجعفري، ولم يؤثر في أحد من اللاحقين.

البشارة الثالثة:

قال يوحنا: (قالت امرأة من أولاد يعقوب للمسيح عليه السلام: يا سيدي أباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وهم يقولون: إنه أورشليم، فقال المسيح: يا هذه، متى؟ فإنه سيأتي ساعة لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم يسجدون للأب)(١).

يقول القرافي: (وهذا إشارة إلى تغيير البيت المقدس بالكعبة الحرام، فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة، وصار السجود لله تعالى فيها، لا في أورشليم، ولا في غيرها)(٢).

هذا: ولم يذكر هذه البشارة أحد من السابقين واللاحقين غير القرافي إلا أبو البقاء الجعفري، ذكرها وذكر نفس تعليق القرافي عليها مع اختلاف العبارة مما يدل على تأثر القرافي به.

والله أعلم

=

(١/ ١١٢)، النصيحة الإيمانية: (١٣٩) وما بعدها. الانتصارات الإسلامية: (ص١٢١)، تحفة الأريب: (ص١١٧).

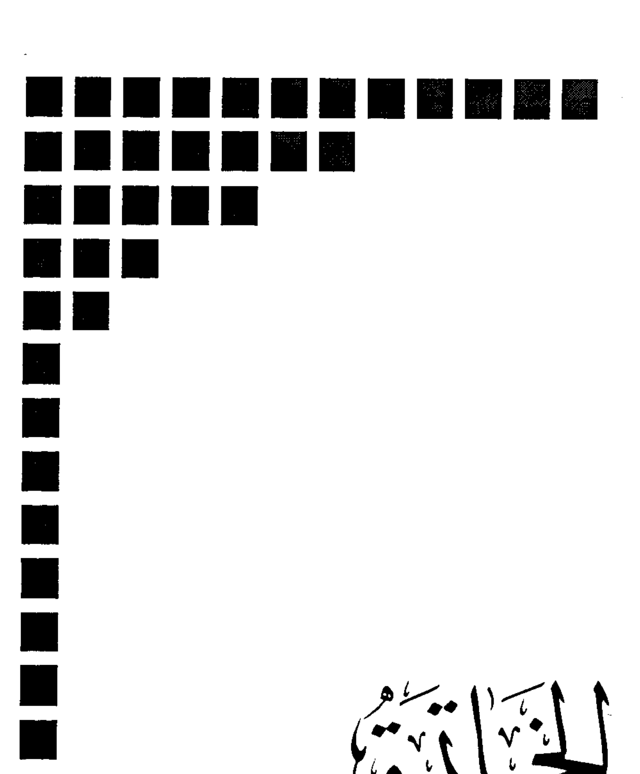
(١) يوحنا: الإصحاح: [٤] الفقرات: [١٩-٢٢].

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٦٨).

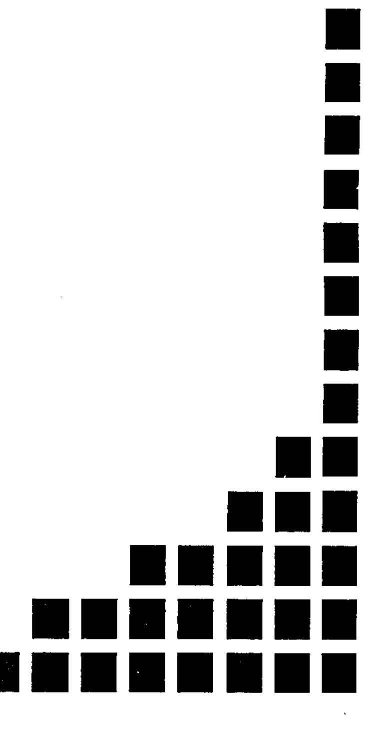
وبعد:

فالبشارات السابقة صرحت بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبها يحسن أن نختمك هذا البحث المتواضع، وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. والحمد لله رب العالمين.





الخاتمة





الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

وبعد،،،

فقد عشت مع هذا البحث عامين، أو يزيد، أدرس مسائله، وأعالج قضاياه، غير متعصب، ولا منحاز، محاولاً بيان الحقائق، وكشف الملابسات، وقد أسفر البحث عن النتائج الآتية:

١- سلك القرآن الكريم في مناقشته أهل الكتاب أحكم المناهج، وأفضل السبل. ولم يجنح في حواره معهم إلى ألفاظ نابية، بل دائمًا يناديهم بيا أهل الكتاب، يا أيها الذين أتوا الكتاب، وهكذا.

٢- أن أهل الكتاب لم يتركوا طريقًا يوصل إلى الطعن في الإسلام إلا ولجوه، وفي كل عصر يقيض الله تعالى للإسلام من يقطع عليهم ما سلكوه.

٣- أن الإمام القرافي في حواره مع أهل الكتاب تأثر بمن سبقه، مع الاحتفاظ بشخصيته العلمية، وأثر في اللاحقين من بعده.

٤- التوراة الموجودة اليوم ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، بل أصابها التبديل والتحريف.

٥- أن موسى عليه السلام -بشهادة علماء أهل الكتاب- ليس هو كاتب التوراة.

٦- أن إنكار اليهود النسخ الذي بنوا عليه إنكار نبوة سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى عليه السلام، لا معنى له؛ لأن توراتهم تصرح بالنسخ وتحكم به.

٧- النصرانية الحالية ليست نصرانية عيسى عليه السلام، بل هي نصرانية بولس بشهادة علماء النصارى.

٨- لا يدري النصارى من كتب الأناجيل، ولا زمان كتابتها، وكل ما يعولون

عليه لا يعدو الحدس والتخمين.

٩- عيسى عليه السلام في الأناجيل بشر رسول.

١٠- عقيدة الصلب والفداء لا تقرها العقول ولا الفطر السليمة؛ إذ فيها أن جميع الأنبياء والرسل قبل عيسى عليه السلام وسائر المؤمنين أهل عصيان وفسوق في الدنيا وأصحاب جحيم في الآخرة، كما أنه لا فائدة لبعث الله تعالى جميع الأنبياء والرسل قبل عيسى عليه السلام ولا لِما أنزل عليهم من الكتب ما دام الإيمان بهم لم يكن سببًا في مغفرة الخطايا، ولا ريب أن في ذلك وصفًا لله تعالى بأنه لا يعلم مصالح عباده، إذ أرسل إليهم ما لا ضرورة في إرساله، وأنزل عليهم ما لا حاجة في إنزاله، والله تعالى منزه عن ذلك.كما أن فيها أنه لا قيمة للأعمال الصالحة، لا قبل عيسى -عليه السلام- ولا بعده، أما قبل عيسى عليه السلام فلأن النصارى يحكمون بفسادها؛ لأنها صدرت من جسد تجري الخطيئة في دمه، وأما بعد عيسى عليه السلام فلم العمل ما دامت الخطيئة كفر عنها بموت عيسى، وما دام خلصهم من عواقبها؟ ثم إذا كان النصارى يقولون: إن عيسى عليه السلام قضى على الخطيئة فما بال العالم مليئًا بالشرور والآثام؟ وإذا كان عيسى عليه السلام قد خلصهم من عواقب الخطايا فما فائدة سر الاعتراف بالذنوب للمقدم عندهم حتى يغفرها؟ ثم إن النصارى في قولهم هذا يرمون الله تعالى بالظلم؛ إذ سوى بين من عمل صالحًا وغيره؛ إذ الكل دخلوا الجحيم ولم يخلصوا إلا بصلب عيسى كما يقولون.

١١- النصرانية في تثليثها متأثرة بمن سبقها من عقائد وثنية.

١٢- الحلول والاتحاد الذي يعتقده النصارى يثير أسئلة يعجز العقل السليم عن الإجابة عنها؛ إذ كيف يفارق الإله الابن أباه وهو كلامه؟ ولاسيما أن النصارى يقولون فرارًا من هذا السؤال: إن الاتحاد بدون انفصال، وإذا كان

بدون انفصال فكيف حصل الاتحاد والامتزاج؟ وكيف يكون اتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج على رأي اليعاقبة -الأرثوذكس- فالقول بعدم الاختلاط والامتزاج، ولا يصح قبول هذا الكلام إلا عند هل العقول وراء الظهور.

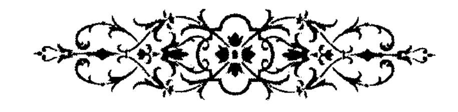
وكيف تصدر المخلوقات عن مشيئتين على قول الملكانية والنساطرة؟ ومن منهما الغالية؟ هل الإلهية أو الإنسية، فإن كانت الإلهية فلا حاجة إلا الإنسية، وإن كانت الإنسية، فلا حاجة إلى الإلهية، وكفى بذلك كفرًا أن يغلب البشر ربه، وإن استغنت إحداهما عن الأخرى فلا داعي للقول بالاتحاد، وإن تعاونتا فالإله عاجز لاحتياجه إلى غيره فلا يكون إلهًا.

١٣- الختان الذي يرفضه النصارى موجود في كتبهم، ومعروف من حال عيسى عليه السلام، وحوارييه من بعده.

١٤- المعمودية عند النصارى توقعهم في تناقض، إذ هم يقولون: إن العماد شرط الخلاص والفداء بدم المسيح من شرك الخطيئة، ثم يقولون: العماد يمحو الخطايا جميعًا بنفسه، فإذا كان المسيح فدى النصارى من شرك الخطيئة فما هي فائدة العماد؟ وإذا كان العماد مكفرًا عن الخطايا فما هي الحاجة إلى صلب الإله وتعذيبه؟

١٥- كتب أهل الكتاب لا زالت بها بشارات كثيرة بنبوة سيدنا محمد ﷺ، رغم ما أصابها من تبديل وتحريف.

والله أعلم



الفهارس العلمية للبحث

١ - فهرس الآيات القرآنية.

٢ - فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

٣ - فهرس الأبيات الشعرية.

٤ - فهرس نصوص العهد القديم والعهد الجديد.

٥ - فهرس التراجم.

٦ - فهرس المصادر والمراجع.

٧ - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة آل عمران		
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ	٣١	٢٩
وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ	٤٩	٥٢٨
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ	٥٠	٣٧١
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ	٥٤	١٣٦
إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ	٥٩	٢٠٦
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا...	٦١	٢٠٩
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...	٦٤	٧
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ...	٧٠-٧١	٢١٨
وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا...	٧٢	٢٣٠
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ	٧٥	٨
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ...	٨٥	٢١٢
كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ...	٩٣	٢١١
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ	٩٧	٢١٣
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...	١١٠	٧٤٣
لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ...	١١٣	١٩٩

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ	١٨	٢٤٠
فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ	٢٤	٣٩٣
وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ...	٣٨	٧٦٢
وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ	٤٢	٨١٥
يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ...	٤٤	٢٣٧
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا ...	٤٨	٤٨٣
فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...	٥٤	٧٤٨
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ...	٥٧	٢٣٢
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ ...	٩٠	٣٥٢
وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى	١١٠	٥٢٨
سورة الأنعام		
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ...	٢٠	٢٢٤
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ...	١١٢	٢٧
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ	١١٥	٢٢٤
قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ...	١٤٥	٣٥١
وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ	١٤٦	٣٥٠
وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	١٥٥	٢٠٠

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ	١٦٤	٥٨٣
سورة الأعراف		
كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ	٣٨	٧٥٧
أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ	٤٤	٣٢٥
وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ	١٠٨	١٨٣
وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى ...	١٤٢	٣٣٥
وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ...	١٥٦	٢١١
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...	١٥٨	٧
وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ...	١٦٣	٣٥١
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ	١٨٧	٥١٣
سورة الأنفال		
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ...	٩	٣٩٤
وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ	٤١	٦٣٤
لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ	٤٢	٢٠٣
وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...	٦٠	٢٨
سورة التوبة		
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ...	٣٠	٢٠٨
يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ ...	٣٢	٨١٥
وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ...	١٢٠	٣٠

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة يونس		
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ...	٣٨	٧٦٩
قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ	٦٨	٣٠
سورة هود		
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ...	١٣	٧٦٩
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ...	١٧	٤٨٨
قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ	٤٣	٣٢١
فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ...	٧٠	٣٤١
فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ	٧١	٣٦٠
رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ	٧٣	٣٣٤
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ	٨٢	١٩٥
سورة يوسف		
إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٢	١٩٤
قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ	٣٢	٤٨٧
سورة إبراهيم		
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ...	٤	١٩٤
سورة الحجر		
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ...	٩	٢٢٤

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة القصص		
نُودِيَ مِن شَـٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ...	٣٠	٢٣٧
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ	٤٦	٧٨٣
لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	٧٠	٧
سورة الروم		
الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ...	١-٢-٣	١٩٢
سورة الأحزاب		
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا	٤٥	٨١٥
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ...	٥٧	٣٢٥
يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ	٦٣	٥١٣
سورة سبأ		
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ	٢٤	٧٧٣
وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ...	٢٨	٧٧١
سورة يس		
لِتُنذِرَ قَوْمًا ...	٦	٧٨٨
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ	٧١	١٦٠
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ	٧٩	٥٢٧
سورة الصافات		
وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ	١٦٥، ١٦٦	٧٤٤

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ...	٥٩	٥٣٧
سورة الأحقاف		
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ	١٠	٤٨٨
إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ	٣٠	٤٨٨
سورة محمد		
فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ...	١٥	٢٤٦
سورة الفتح		
يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ	١٠	١٦٠
وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا	١٣	١٢٥
لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ...	٢٧	١٩٢
مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ	٢٩	٧٤٨
سورة ق		
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ...	٣٨	٣١٣
سورة الطور		
فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ	٣٤	٧٦٨
سورة النجم		
وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ	٢٠	٢٢٦

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البلد		
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ	٣	٦٢٠
سورة التين		
وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ	١-٣	٨٠٢
سورة العلق		
ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ	١-٢	١٧٨
سورة قريش		
فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ	٣-٤	١٢٥

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	الراوي	الصفحة
بعثت للأحمر والأسود	ابن عباس	٧٧١
تكليم الجمل	أبو هريرة، جابر بن عبد الله	٧٧٠
تكليم الحصى	أنس بن مالك	٧٧٠
تكليم الذراع	أبو سلمة	٧٧٠
تكليم الشجرة إياه ﷺ	علي بن أبي طالب	٧٧٠
تلك الغرانيق العلا	عبد الله بن عباس والحديث موضوع	٢٢٦
توبة آدم عليه السلام عند البيت الحرام	عائشة، عروة بن الزبير	٧٤٤
خذوا عني مناسككم	جابر بن عبد الله	٦٩٢
رضيت لأمتي ما رضيه لها ابن أم عبد	عبد الله بن حريف عن أبيه	٧٦١
عرضت عليّ الأمم	ابن عباس	١٧٩
غزا نبي من الأنبياء	أبو هريرة	٧٤٦
فإن لم أجدك؟	جبير بن مطعم عن أبيه	٧٥١
فانطلقت به خديجة	أم المؤمنين عائشة	٢٦١
فضلت على الناس بثلاث	حذيفة بن اليمان	٧٤٤
قال الحواريون لعيسى بن مريم ما تأكل؟	سعيد بن المسيب	٣٨٠
قامت عليكم ساعتكم	أنس بن مالك	٨٥١
كان أهل الكتاب يقرأون التوراة	أبو هريرة	٢٦١
كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه	ميمونة أم المؤمنين	٣٥١

الحديث	الراوي	الصفحة
كان لسليمان عليه السلام مائة امرأة	أبو هريرة	٧٤٥
لا تباغضوا ولا تحاسدوا	أنس بن مالك	٧٤
لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم	أبو هريرة	٧٧٨
لا يدري متى تقوم الساعة	عمر بن الخطاب	٥١٣
لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة	أنس بن مالك	٤٠٠
ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم	أبو أنملة الأنصاري عن أبيه	٦٢٣
ما رؤي رسول الله ﷺ ضاحكًا	أبو هالة التيمي	٨١٤
معجزة انشقاق القمر	عبد الله بن مسعود	٧٦٩
من سره أن ينظر إلى زهد عيسى	مالك بن دينار	٣٨٠
من كان له ثلاث بنات	أبو هريرة	٥١٠
نحن معاشر الأنبياء	عمر بن الخطاب	٢٤٠
نزول المسيح عليه السلام	أبو هريرة	٧٧٨
نفر من قدر الله	ابن عباس	٥٤٥
هلموا أكتب لكم كتابًا	ابن عباس	٧٥٠
يا سارية الجبل	عبد الله بن عمر	١٨٥
ينزل ربنا إلى سماء الدنيا	أبو هريرة	١٦١

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	القافية	الصفحة
وإذا أراد الله نشر فضيلة	حسود	٢٧
عتبت على الدنيا لتقديم جاهل	العذرا	٤٧
والخل كالماء	الكدر	٣٩٤
وكان ظني بأن الشيب يرشدني	كثرا	٧٦
إن الكلام لفي الفؤاد	دليل	٦٣٣
ليس فيها ما يقال له	كملا	٣٩٩
ومن رام في الدنيا حياة خلية	محالا	٨٢
ما يقول الفقيه أيده الله	إحسان	٧٦
عجبي للمسيح بين النصارى	نسبوه	٥٩٨

فهرس نصوص العهد القديم

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
لا تسكن روحي في البشر	٦/ ٣	٣٥٩
لما رأى الله معاصي ابن آدم	٦/ ٥-٨	٣١٣
دعوة موسى عليه السلام برفع الذباب	٨/ ٢٥-٣٣	٥٤٨
مباركة نوح بعد الطوفان	٩/ ١-٤	٣٨٦
شرب نوح الخمر	٩/ ٢١-٢٦	٣١٣
دعوة نوح على كنعان	١٠/ ٦-١١	٣٢٣
نزول الله ومنعه الناس من بناء مدينة	١١/ ١-٩	٣١٦
أرفخشد عاش	١١/ ١٣	٣٦٤
إبراهيم بن تارح	١١/ ١٥-٢٧	٢٥٨
أرغو عاش مائة	١١/ ٢١	٣٦٤
وقال الرب لإبرام	١٢/ ١-٥	٢٨١
وكان الكنعانيون والفريزون	١٣/ ٨	٢٨٢
سدوم تشبه فردوس الله	١٣/ ١٠	٤٠٣
فأتى من نجا وأخبر إبراهم	١٤/ ١٢	٢٥٩
لما بلغ إبرام أن الملوك	١٤/ ١٤-١٧	٥٣٨
الجمع بين الحرة والأمة في شريعة إبراهيم	١٦/ ١-٥	٣٣١
نزل الله من السماء وبشر إبراهيم بالولد	١٧/ ١-٤	٣١٦
مباركة إبراهيم عليه السلام	١٧/ ١-١٠	٣٣٢
قال الله لإبراهم هذا هو عهدي	١٧/ ٩-١٥	٦٩٧

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
ليكون عهدي ميسمًا	١٧/ ١٠، ١١	٧٠٥
في هذا العام يولد لك ولد	١٧/ ١٥-٢٠	٧٩٣
ختن إبراهيم بعد ما جاوز التسعين	١٧/ ٢٤-٢٥	٣٦٤
ضيافة إبراهيم للملائكة	١٨/ ١-٩	٣٤٠
تحريم الجمع بين الأختين	١٨/ ١٨	٣٦٥
لقد وصل إلى إثم سدوم	١٨/ ٢٠-٢٢	٣١١
أتهلك الأبرار مع الفجار	١٨/ ٢٣	٣٣٧
لوط عليه السلام عشى الملائكة فطيرًا	١٩/ ٣	٣٤٠
زنا لوط بابنتيه	١٩/ ٣٠-٣٨	٣٢٥
وبالحقيقة هي أختي	٢٠/ ١٢	٣٦٢
إسماعيل وهاجر ببرية فاران	٢١/ ٢٠-٢١	٨٠١
الجمع بين الأختين في شريعة يعقوب	٢١/ ٢١-٣١	٣٦٥
أن الله تعالى فدى إسحاق بكبش	٢٢/ ١٣	٢٣٥
لأباركك بركة وأكثر نسلك	٢٢/ ١٧-١٩	٣٣٧
لا آخذ الولد بخطيئة	٢٤/ ١٦	٥٨٣
إبراهيم لما حضرته الوفاة	٢٥/ ٧، ٨	٥٨١
إبراهم حرم أولاده من الميراث	٢٥/ ٥-٧	٣٢٤
فظهر الرب له وقال	٢٦/ ٢	٣٣٠
أكون معك وأباركك	٢٦/ ٣-٥	٣٣٠

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
احتال يعقوب على إسحاق	٢٧/ ٥-٣٤	٣٢٩
تعبدك الأمم وتسجد لك	٢٧/ ٢٩	٣٣٨
يعقوب رأى الله في المنام	٢٨/ ١٢-١٦	٣٣٢
زنى روبيل بسرية يعقوب	٢٩/ ٣-٥	٣٣١
جمع إسرائيل بين أختين	٢٩/ ٢١-٣٠	٣٢٧
جزاء إبراهيم على ذبح ولده	٣٢/ ١٦، ١٧	٣٨٧
كنت قويًا مع الله	١٢/ ١٨	٣٤٠
مصارعة يعقوب مع الملك	٣٢/ ٢٤-٣٢	٢٦٢
أخرج أنت وشعبك	٣٣/ ١-٢	٣٦٣
موت موسى راضيًا	٣٤/ ٥، ٦	٥٨١
خرجت فرآها سجم بن حمور	٣٤/ ١-٢٩	٣٣٣
يهوذا يزني بثامور	٣٨/ ١٠-١٢	٣٣٢
كان يهوذا حظيًا عند أبيه	٤٩/ ٨	٣٣٣
موت إسحاق راضيًا	٤٩/ ٣٢	٥٨١
موت يعقوب راضيًا	٤٩/ ٣٣	٥٨١
سفر الخروج		
نزل الله تعالى إلى الأرض	٣/ ٣-٦	٣١٦
ما هذا في يدك؟	٤/ ٢-٥	٥٢٩
أدخل يدك في عبك	٤/ ٦-٧	٥٢٨

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
وإذا هو شعب صلب الرقبة	٣٢/ ٩	٣٩٠
سأهلك هذه الأمة	٣٢/ ٩-١٥	٣٥٥
موسى عليه السلام لما نزل من الجبل وبيده الألواح	٣٢/ ١٩-٢٧	٣٥٥
التوبة بقتل النفس	٣٢/ ٢٦-٣٠	٧٤٩
الله تعالى أبى من السير	٣٣/ ١-٣	٣٢٠
صام موسى أربعين يومًا	٣٤/ ٢٨	٥٤١
الله أمرهم ببناء قبة	٣٥/ ١٠- إلخ	٣١٩
تقديم موسى لهارون وبينه	٤٠/ ١٢-١٥	٢٩٣
يا رب إن هذه الأمة القاسية	٤٠/ ٣١	٣١٩
سفر اللاويين		
دعا الرب موسى وكلمه	١/ ١	٢٨٣
إذا قرب إنسان منكم	١/ ٢	٧٢٢
فريضة دهرية في أجيالكم	٣/ ١٧	٣٥٠
وكلم الرب موسى قائلاً	٦/ ١	٢٨٣
إذا أخطأ أحد وخان	٦/ ٢-٨	٧٤١
وكلم الرب موسى وقال له	٧/ ٢٨	٣٠٦
في اليوم الثامن يختن	١٢/ ٣	٣٦٤
وكلم الرب موسى	١٢/ ١-٤	٦٥٩
الحائض نحبسه سبعة أيام	١٥/ ١٩-٢٤	٣٥١

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
تحريم السبت	٢١/١٦	٣٥١
عورة أختك بنت أبيك	٩/١٨	٣٦٢
ولا تأخذ امرأة على أختها	١٨/١٨	٣٢٧
تصريح التوراة بالتوحيد	٤،٣/١٩	٦١٢
الأمر بقتل من تزوج أخته	١٧/٢٠	٣٦٢
تحريم السبت	٣/٢٣	٣٥١
طهارة الطاهر له	١٥/٢٤	٥٨٣
النفس بالنفس	٢١-١٧/٢٤	٧٤٨
هذه هي الوصايا التي	٣٤/٢٧	٢٨٣
الثواب زيادة في غلة الأرض	١٨-٣ /٣٦	٣٨٧
سفر العدد		
اقبض حساب بني جرشون	٢١/٤	٣٠٦
هارون وأخته مريم وقعًا في موسى	١١،١/١٢	٣١٨
لا تدخلوا لأنكم عصيتموني	٢٣/١٤	٣٦٣
اختصاص بني هارون بتقديم الكهنوت	الثامن عشر كله	٢٩٣
البقرة التي أمروا بذبحها تكون لهم سنة أبدًا	١٠/١٩	٣٥٨
استبشار هارون بالموت	٢٩-٢٥/٢٠	٥٨١
قربوا إليّ كل يوم خروفين	٥-١/٢٨	٣٥٨

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
الفتى مع الفتاة	٣٢/ ٢٥، ٢٦	٥٣٨
أعلم أني أنا الله	٣٢/ ٣٩	٦٤٢
أقبل الله من سيناء	٣٣/ ١-٣	٨٠٠
ليس مثل الله	٣٣/ ٢٦	٥٣٣
توفى موسى في أرض مواب	٣٤/ ٦-١٠	٣٠٥
يوشع امتلأ من روح القدس	٣٤/ ٩	٦٣٥
لم يقم بعد في بني إسرائيل	٣٤/ ١٠	٧٩٦
سفر يوشع		
ختان بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر	٥/ ٢-٩	٧٠٢
فحل بنو إسرائيل في الجلجال	٥/ ١٠-١٢	٢٨٣
يوشع قهر الصناديد	٨/ ١ وما بعدها	٥٤٦
وحينئذ بنى يوشع مذبحًا	٨/ ٣٠-٣١	٢٩٠
سفر القضاة		
من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تشرب	١٣/ ١٤	٣٥٢
سفر صموئيل الأول		
قتال داود مع جالوت	١٧	٧٣٥
سفر صموئيل الثاني		
أمر داود بني إسرائيل بشرب الخمر	٨/ ٨	٥٤٦
داود قهر الصناديد	٦/ ١٨	٣٥٢

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
الرب ناصري	٣/ ٥-٦	٨٠٢
يا بني البشر حتى متى	٤/ ٢-٦	٥٨٣
الله لا يأكل ولا يشرب	٧١/ ١٩، ٨٥/ ٨	٥٣٤
سيكون من يحوز البحر	٧٢/ ٨-٢٦	٨٠٦
المسيح كاهن مؤيد من الله	١١٠/ ٤	٥٣٥
الحجر الذي رفضه البناءون	١١٨/ ٢٠-٢٣	٨١٨
ليفرح بالخالق من اصطفى	١٤٩/ ٥-٨	٨٠٤
سفر الأمثال		
طهارة الطاهر له	٥/ ٢٢	٥٨٣
لمن الوبل؟ لمن الشقاوة؟	٢٣/ ٢٩	٣٥٢
سفر أشعياء		
اليهود ينتظرون مسيحًا ملكًا	٩/ ٦-٨	٣٦٩
يدوسون الأمم	٢١/ ١٥-١٦	٧٣٦
قيل لي: قم ناظرًا	٢١/ ٦-١٠	٨٠٩
قل لحزقيال يوصي	٣٨/ ١-٦	٣٥٤
هذا فتاي الذي	٤٢/ ١	٥٣٧
عبدي الذي يرضى نفسه	٤٢/ ١-٨	٨١٢
افهمي أيتها الأمم أن الرب	٤٩/ ١-٦	٨١٠
يا معشر العطاش	٥٥/ ١-١٠	٤٠٤

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
حديث عن الجنة والنار	١٦/٦٦	٣٩١
سفر أرميا		
بني إسرائيل	٣٢-٣١/٣٣	٧٥٦
سفر حزقيال		
النفس التي تخطئ تموت	٢٠/١٨	٥٨٣
لا آخذ الولد بخطيئة الوالد	٢٠/١٨	٥٨٣
إحياء حزقيال الموتى	١١-١/٣٧	٥٣٠
سفر دانيال		
إحياء دانيال الموتى	٣٦-٤/٧	٥٤٨
وكثيرون من الراقدين	٢/١٢	٣٩١

فهرس نصوص العهد الجديد

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
إنجيل برنابا		
كانوا عديمي التقوى	مقدمة الإنجيل فقرات [٢-١٠]	٤٣٩
إنجيل متى		
نسب المسيح عليه السلام	١/ ١-١٧	٤٩٦
فجميع الأجيال من إبراهيم	١/ ١٧	٤٩٦
يأتي من بعدي وإنه أقوى مني	٣/ ١١-١٦	٥٣٥
تعميد عيسى بروح القدس	١٣/ ١١	٦٢٥
لما رآه المعمداني قال: إني	٣/ ١٣-١٥	٥٠٤
خرج منه روح القدس كالحمامة	٣/ ١٣-١٧	٦٩١
يوسف خطيب مريم	٣/ ٢٣	٥٠٦
تجربة إبليس ليسوع	٤/ ١-١١	٥٤٠
صوم يسوع أربعين يومًا	٤/ ٢١	٥٧٩
كان يسوع يطوف كل الجليل	٤/ ٢٣	٤٤٨
أبانا الذي في السموات	٥/ ٩-١٢	٣٧٠
لم آت لأنقض	٥/ ١٧-١٨	٣٧١
فإنهم هكذا طردوا الأنبياء	٥/ ٣٤	٣٧٠

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
سمعتم ما قيل	٥/ ٣٨-٤٦	٧٣٢
من لطمك على خدك الأيمن	٥/ ٤٠	٧٤٨
عموم قدرة الله تعالى	٧/ ٧	٥٧٣
احذروا الأنبياء الكذبة	٧/ ١٥-١٧	٢٢٣
امض وأعرض نفسك	٨/ ١-٤	٧٢٣
ابن الإنسان	٨/ ٢٠	٥٥٠
ثق يا بني	٩/ ٢-٨	٥٢٠
ابن الإنسان	٩/ ٦	٥٢٠
وفيما يسوع مجتاز	٩/ ٩	٤٥٢
اسم متى	١٠/ ٣	٤٥٢
إلى طريق أمم لا تمضوا	١٠/ ٥-٦	٦٢٣
الحواريون يحيون أمواتًا	١٠/ ٨	٥٣٠
لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما	١٠/ ٣٤	٣٧١
من يقبلكم يقبلني	١٠/ ٤٠	٥٢١
أأنت الآتي؟	١١/ ٣	٥٠٤
لأنه جاء يوحنا لا يأكل	١١/ ١٨، ١٩	٥٢١
يا أولاد الأفاعي	١١/ ٣٤	٣٧٠
قدسية السبت وتحريم العمل فيه	١٢/ ١-٩	٣٧١

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
هذا فتاي	١٢/ ١٧، ١٨	٥٣٧
المسيح أفضل من يونس	١٢/ ٤١	٥٣٥
المسيح أفضل من سليمان	١٢/ ٤٢	٥٣٥
سمع هيردوس	١٤/ ١-١٤	٥٤٤
قاتل يوحنا هو هيرودس	١٤/ ١٠-١٢	٢٩٤
حقًا أقول لكم إن قومًا	١٦/ ٢٨	٥١٢
معجزة التجلي	١٧/ ١-١٣	٥١٤
كل من استقام على شريعة عيسى يفعل كفعله	١٧/ ٢٠	٥٣٠
كل ما تر بطونه على الأرض	١٨/ ١٨	٧١٠
لا صالح إلا الله الواحد	١٩/ ١٧	٦٤٢
هذا يسوع النبي	٢١/ ١١	٥٢١
مر يسوع بشجرة	٢١/ ١٨-٢٣	٥٤٦
كل من استقام على شريعة عيسى يفعل كفعله	٢١/ ٢١-٢٢	٥٣٠
ملكوت الله سيؤخذ منكم	٢١/ ٤٢-٤٥	٨١٧
لا تدعوا لكم أبًا	٢٣/ ٩، ١٠	٥١٩
ويل لكم أيها الكتبة	٢٣/ ١٣-٣٦	٣٧٠
يا قاتلة الأنبياء	٢٣/ ٣٧	٣٧١
الدعاء على أورشليم بالخراب	٢٣/ ٣٧	٣٧٠

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
أنا جامع الناس في القيامة	٢٥/ ٣١-٤٦	٥٧٦
ارتشاء يهوذا	٢٦/ ١٤، ١٧	٥٩٠
هذا جسدي فكلوه	٢٦/ ٢٢-٢٩	٧٢٤
القبض على يسوع	٢٦/ ٤٧-٥١	٥٩٠
يا صديق لم أقبلت؟	٢٦/ ٥٠	٥٩٥
تركه التلاميذ وهربوا	٢٦/ ٥٦-٥٨	٥٦٦
بالله الحي أنت المسيح؟	٢٦/ ٦٣-٦٤	٥٩١
لما أبصر يهوذا	٢٧/ ٣-٦	٥٩٥
محاكمة يسوع	٢٧/ ١١-٣٩	٤٩٩
أخذ يسوع من البستان	٢٧/ ٢٧-٣١	٥٩٣
الإخبار عن الصلب	٢٧/ ٣٢-٥١	٥٦٢
صلب مع المسيح لصان	٢٧/ ٣٩، ٤٠	٥٠٦
الصلب في الثالثة من يوم الجمعة	٢٧/ ٤٥-٦٦	٥٧٩
إلهي إلهي	٢٧/ ٤٦-٤٩	٥٧٨
الدفن ثلاثة أيام	٢٧/ ٦٣	٥٧٤
مريم المجدلية جاءت لزيارة القبر	٢٨/ ١-١١	٥٠٩
عمدوهم باسم الآب	٢٨/ ١٩	٦١٩

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
إنجيل مرقس		
إنه يأتي من بعدي	١/ ٧، ١٠	٥٣٥
إني المحتاج إلى أن انصبغ	١/ ٩-١٣	٥٠٤
قد كمل الزمان	١/ ١٤-١٥	٥٨٤
امض واعرض نفسك	١/ ٤٠-٤٥	٧٢٣
ابن الإنسان	٢/ ١٠	٥٥٠
لاوى بي حلفي العشار الذي لقيه المسيح مكان الجباية	٢/ ١٤-١٥	٤٥٢
المسيح نشأ بين أظهر اليهود	٦/ ٢-٤	٥٩٠
ابن الإنسان	٨/ ٣١، ٣٢ ٩/ ١، ١٢، ٣١ ١٠/ ٣٣، ٤٥	٥٢٠
من استقام على شريعة عيسى يفعل كفعله	١١/ ٢٣	٥٣٠
اسمع يا إسرائيل	١٢/ ٢٩، ٣٠	٥٢٠
وحينئذ يبصرون ابن الإنسان	١٣/ ٢٦	٥٢١
لا يعرف ذلك إلا الأب وحده	١٣/ ٣٢	٦٦٩
ارتشاء يهوذا	١٤/ ١٠، ١١	٥٩٠
لو دفعنا إلى الموت	١٤/ ٣١	٥٩٢
إن نفسي حزينة	١٤/ ٣٤-٣٧	٥٤٨

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
القبض على يسوع	١٤/ ٤٣-٤٧	٥٩٠
تخلى عنه التلاميذ وتبعه شاب عريان	١٤/ ٥٠-٥٣	٥٦٦
بالله الحي أنت المسيح؟	١٤/ ٦٢-٦٣	٥٩١
القبض على يسوع	١٥/ ١٦-٢٠	٥٩٣
الإخبار عن الصلب	١٥/ ٢٢-٣٨	٥٦٢
إلهي إلهي	١٥/ ٢٣-٣٤	٥٧٨
تعيير اللصين	١٥/ ٢٦، ٢٧، ٣٢	٥٠٦
وقت خروج روح المسيح عند النصارى وما كان بعد ذلك	١٥/ ٣٣ وما بعدها	٥٧٩
تكليم المسيح للتلاميذ بعد قيامته	١٦/ ١٤-١٩	٥١١
لم يذكر مرقس بأي شيء يكون التعميد من التلاميذ	١٦/ ١٥-١٦	٦٢٦
صعود المسيح إلى السماء	١٦/ ١٩	٤٥٩
إنجيل لوقا		
أقام يسوع ثلاثين سنة يظن أن ابن يوسف بن هال	١/ ١٦	٥٠٦
قال جبريل الملك لمريم بناصرة	١/ ٣١-٣٣	٤٩٩
يوحنا المعمدان امتلأ من روح القدس	١/ ٤١	٥٠٦
عضد إسرائيل فتاة	١/ ٥٤	٥٣٨

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
ولما تمت ثمانية أيام	٢/ ١	٦٩٨
نشأة المسيح بين أظهر اليهود	٢/ ٤٧	٥٩٠
إنه من بعدي وإنه أقوى مني	٣/ ١٦-٢٢	٥٣٥
تعميد يسوع بدون قول يوحنا له: إن لمحتاج أن انصبغ على يديك	٣/ ٢١-٢٢	٥٠٤
جاءته روح القدس	٣/ ٢٢	٥٤٥
من يوسف إلى إبراهيم	٣/ ٢٣-٣٥	٤٩٦
المسيح يطوي أربعين يومًا	٤/ ١، ٢	٥٧٩
امض وأعرض نفسك	٥/ ١٢-١٥	٧٢٣
لقاء المسيح مع لاوى بن حلفى	٥/ ٢٧-٢٩	٤٥٢
شهادة المسيح للتلاميذ	٦/ ٢٠-٢٤	٥٩٥
قد قام فينا نبي عظيم	٧/ ١٦	٥٢٢
صعد يسوع إلى جبل الجليل	٩/ ٢٨-٣٥	٥٧٨
قام رجل ليسوع	٩/ ٥٧-٥٨	٥٤٩
اخرج واذهب من هاهنا	١٣/ ٣١-٣٣	٥٢٢
أمر المسيح مريم المجدلية أن تذهب للتلاميذ	١٦/ ٩-١١	٦٥٠
من استقام على شريعة عيسى فعل كفعله	١٧/ ١٦	٥٣٠
لماذا تدعوني صالحًا؟	١٨/ ١٩	٥٢٠

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
إن كنتم تحبوني	١٤/ ١٥-١٨	٨١٩
إلهي إن الحياة	١٧/ ٣	٦٤٢
أخذ يسوع في ظلمة الليل	١٨/ ٣	٥٩٣
من تريدون؟	١٨/ ٤-٩	٥٩٥
فإن كنتم تطلبوني	١٨/ ٨	٥٦٦
أخذ يسوع من البستان	١٩/ ١-٤	٥٩٣
أخذه إلى بيلاطس	١٩/ ١٠-١٩	٤٩٩
الإخبار عن الصلب	١٩/ ١٦-٣١	٥٦٢
صلب معه لصان	١٩/ ١٨	٥٠٦
إلهي إلهي	١٩/ ٢٨-٢٩	٥٧٨
الصلب في الساعة الثالثة	١٩/ ٣٨	٥٧٩
مريم المجدلية تذهب إلى القبر	٢٠/ ١-١٨	٥٠٩
إني أصعد إلى أبي وأبيكم	٢٠/ ١٧	٥٢٠
مر المسيح بعد قيامته على جماعة من التلاميذ	٢١/ ٥	٥٣٨
هذا هو ذا التلميذ الذي يشهد	٢١/ ٢٤	٤٧٧
أعمال الرسل		
صعود المسيح إلى السماء	١/ ٢	٥١١
صعد بعد قيامته بأربعين يومًا	١/ ٢-٣	٥١١

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
الألسن نزلت على التلاميذ يوم الخمسين	٢/ ١-٤	٨٢١
اعلموا أن المسيح	٢/ ٢٢	٥٣٥
فلما رأوا مجاهرة بطرس	٤/ ١٣	٤٧٧
أيها السيد أنت هو	٤/ ٢٥	٥٣٨
وحدث في ذلك اليوم	٨/ ١-٣	٤٢٦
أما شاول فكان لم يزل	٩/ ١-٣	٤٢٦
ظهور عيسى لبولس	٩/ ٣-٩	٤٢٩
دفاع برنابا عن بولس وتخوف التلاميذ منه	٩/ ٢٦-٢٩	٤٣٨
اعلموا أن الله أرسل	١٠/ ٣٦	٥٣٥
إنك دخلت إلى رجال ذوي غفلة	١٠/ ٤٤-٤٨ ١١/ ١-١٩	٦٩٩
الرسل والمشايخ والإخوة	١٥/ ١-٣٦	٧٠٠
قال بولس لبرنابا لنرجع	١٥/ ٣٦	٤٣٩
والآن أيها الإخوة	١٦/ ١٨-٢٥	٢٢٣
وأتوا بالفتى حيًا	٢٠/ ١٢	٥٣٨
وكنت غيورًا لله	٢٢/ ٣-٥	٤٢٥
رسالة بولس إلى أهل رومية		
أولاً: أشكر إلهي	١/ ٨-١٠	٤٤٩

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
لأن اليهودي في الظاهر	٢/ ٢٨-٢٩	٧٠٣
ترك النصارى شريعة الختان	٣/ ١	٤٣٣
رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس		
ترك النصارى الختان	٧/ ١٨-٢٠	٤٣٣
إذا كنت حرًا من الجميع	٩/ ١٩	٤٣٧
صرت للضعفاء كضعيف	٩/ ٢٢-٢٥	٤٤٩
رسالة بولس إلى أهل غلاطية		
فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً	١/ ٣،٤	٤٢٦
وأعرفكم أيها الإخوة	١/ ١١-١٤	٤٣٥
فإن هؤلاء المغترين	٢/ ٧-١٠	٤٣٨
من اختتن فلا ينفعه	٥/ ٢،٦/ ١١-١٦	٧٠١
رسالة بولس إلى أهل أفسس		
وصية بولس بما يحدث في الكنائس من الأغاني والمزامير	٥/ ١٩	٤٣٤
أيها العبيد أطيعوا سادتكم	٦/ ٥	٤٣٦
رسالة بولس إلى أهل كولوسي		
ختنتم ختانًا غير مصنوع	٢/ ١١، ١٢	٧٠١
يسلم عليكم لوقا الطبيب	٤/ ١٤	٤٦٩

النص	الإصحاح والفقرة	الصفحة
رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس		
جميع الذين هم عبيد	٦/١	٤٣٦
رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس		
أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا	١/١٥	٤٣٨
رضا بولس برفقة مرقس	٤/١١	٤٤٠
رسالة بولس إلى تيطس		
والعبيد أن يخضعوا لساداتهم	٢/٩-١٠	٤٣٦
رسالة بولس إلى العبرانيين		
يسوع أفضل من موسى بن عمران	٣/٣	٥٣٥

فهرس التراجم

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم وعلومه:

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.

٣- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د/ محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، بدون تاريخ.

٤- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله الزركشي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط/ ١٣٩١هـ.

٥- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، ت د/ محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط/ الثانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط/ ١٩٩٣م.

٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، مكتبة مصر، الفجالة، بدون تاريخ.

٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الغرناطي، ت/ السيد عبد العال السيد، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ط: الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، أمير دولة قطر، ط/ الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩- الناسخ والمنسوخ، لقتادة بن دمامة السدوسي، ت د/ حاتم صالح الضامن، الرسالة، بيروت، ط/ الثانية، ١٤٠٩هـ.

١٠- النسخ في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة منشورة، د/ مصطفى زيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

١١- تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين ابن كثير، دار مصر، بدون تاريخ.

١٢- جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ت/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
١٤- في ظلال القرآن، للشهيد سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط/ ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
١٥- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركان النسفي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.
١٦- مفاتيح الغيب (المسمى بالتفسير الكبير) لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

*** كتب الحديث الشريف وعلومه:**

١- الجامع الصحيح (صحيح البخاري) للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د/ مصطفى أديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٧/ ١٩٨٧م.
٢- الجامع الصحيح (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٣- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ الأولى، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م.
٤- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١١هـ.
٥- السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة دار الباز،

مكة، ط/ ١٤١٤هـ.

٦- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ت/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٩٩٠م.

٧- المسند للإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة -القاهرة- بدون تاريخ.

٨- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن أبي شيبة، ت/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ الأولى، ١٤٠٩هـ.

٩- المعجم الأوسط للطبراني ت/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط/ ١٤١٢هـ

١٠- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت/ حمدي بن عبد الرحمن السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط/ الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

١١- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، ت/ محي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، ط/ الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٢- سنن أبي داود (سليمان بن الأشعث الأزدي)، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

١٣- شعب الإيمان، أبي بكر البيهقي، ت/ محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ.

١٤- صحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي، ت/ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٥- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي، شارع الكحكيين، مصر.

١٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت/

الشيخ عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط/ أولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٧- لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٦هـ.

١٨- مسند الحميدي، ت/ حبيب الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

*** العقيدة وعلم الكلام:**

١- أساس التقديس، لفخر الدين الرازي، ت/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط/ ١٤٠٩هـ.

٢- إطلالة على دلائل النبوة والرسالة لدى المتكلمين، للأستاذ الدكتور/ عبد الحميد عز العرب.

٣- إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، د/ منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط/ ١٩٧٧م.

٤- إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني، ت/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/ الخامسة.

٥- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة العكبري، ت/ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الثانية، ٢٠٠٥م.

٦- الاتجاه العقلي في مشكلة المعرفة عند المعتزلة، لمهري حسن أبو سعدة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٧- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني، ت/ أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ.

٨- الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، ط/ ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

٩- الآمدي وآراؤه الكلامية، د/ حسن الشافعي، دار السلام، القاهرة، ط/ الأولى، ١٩٩٨م.

١٠- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر الباقلاني، ت/ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ.

١١- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، طاهر بن محمد الإسفراييني، ت/ كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط/ الأولى، ١٩٨٣م.

١٢- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت د/ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشيد، الرياض، ط/ الخامسة، ١٩٩٤م.

١٣- التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، ت د/ فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.

١٤- الحدود للإمام الغزالي، حققه ونشره د/ عيد الأمير الأعسم، وحقق معه مجموعة رسائل في الحدود الفلسفية، ونشرها في كتاب سماه المصطلح الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/ ٢٠٠٦م.

١٥- الرسل والرسالات، د/ عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، ط/ الرابعة، ١٤١٠هـ.

١٦- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزيه، ت/ علي محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، ط/ الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٦م.

١٧- الغنية في أصول الدين، لأبي سعيد عبد الرحمن بن محمد المتولي الشافعي، ت/ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت.

١٨- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، لأبي الحسن الأشعري، ت د/ محمود غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٠م.

١٩- المحيط بالتكليف، للقاضي عبد الجبار، ت/ عمر السيد عزمي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، بدون تاريخ.

٢٠- المطالب العالية من العلم الإلهي، لفخر الدين الرازي، ت/ أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ أولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢١- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، ت/ بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر الجفان والجابي، قبرص، ط/ الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٢- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للبيجوري، الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٣- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للقاضي أبي بكر الباقلاني، ت/ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط/ الأولى، ١٩٨٧م.

٢٤- حاشية البيجوري على متن السنوسية، للبيجوري، المطبعة المليجية، مصر، ط/ أولى، ١٣٣٢هـ.

٢٥- حاشية الدسوقي على أم البراهين، للشيخ محمد الدسوقي، مكتبة المشهد الحسيني القاهرة، بدون تاريخ.

٢٦- حاشية محمد الأمير على شرح عبد السلام بن إبراهيم المالكي لجوهرة التوحيد، للإمام اللقاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/ الأخيرة، ١٩٤٨م.

٢٧- دلائل النبوة، للحافظ البيهقي، ت/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٨- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ت/ د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

٢٩- شرح السعد على العقائد النسفية، لسعد الدين التفتازاني، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى لمصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وإسماعيل مصر، بدون

تاريخ.

٣٠- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ت/ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ الحادية عشر، ١٤١٨هـ.

٣١- شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني، ت/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٢- شرح المواقف، للشريف الجرجاني، ت/ د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط/ الأولى، ١٩٩٧م.

٣٣- طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، ناصر الدين البيضاوي، ت د/ محمد ربيع جوهري، دار الاعتصام، مصر، ط/ الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٤- عصمة الأنبياء، لفخر الدين الرازي، صححه وعلق عليه لأول مرة سنة ١٣٥٥هـ العالم الفاضل محمد منير الدمشقي من علماء الأزهر.

٣٥- غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الأمدي، ت/ حسن محمود عبد اللطيف، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩١هـ.

٣٦- قواعد العقائد، لحجة الإسلام الغزالي، مكتبة الإيمان -العجوزة مصر، بدون تاريخ.

٣٧- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة للجويني، ت د/ فوقية حسين محمود، عالم الكتب، بيروت، ط/ الثالثة، ١٩٨٧م.

٣٨- لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، لفخر الدين الرازي، ت/ طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ط/ ١٣٩٦هـ.

٣٩- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين لفخر الدين الرازي، ت/ د. حسن أتاي، مكتبة التراث، القاهرة، ط/ أولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٤٠- معالم أصول الدين، لفخر الدين الرازي، ت/ طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة

الكليات الأزهرية، بدون تاريخ.

٤١- نهاية الأقدام في علم الكلام، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، ت/ الفرجيوم، مكتبة زهران بالأزهر، بدون تاريخ.

* كتب الفقه وأصوله:

١- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي، دار الحديث، القاهرة، ط/ أولى، ١٤٠٤هـ.

٢- الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين الآمدي، ت/ عبد الرازق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط/ أولى، ١٤١٧هـ.

٣- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي الإمام، للقرافي، ت/ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط/ الثانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ونسخة أخرى بتحقيق القاضي/ محمود عرنوس، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، بدون تاريخ.

٤- الأم، للإمام الشافعي (محمد بن إدريس) دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٥- العقد المنظوم في الخصوص والعموم، للقرافي، ت/ د. أحمد عبد الله الختم، دار الكتبي -القاهرة- ط/ أولى ١٤٢٠هـ.

٦- اللمع في أصول الفقه، لأبي إسحاق الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ.

٧- الأمنية في إدراك النية للقرافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٨- أنوار البروق في أنواء الفروق (الفروق) للقرافي، ط/ د. محمد أحمد سراج، د/ علي جمعة محمد، دار السلام، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ، ونسخة أخرى، طبعة عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٩- حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، لابن عابدين، دار

الفكر، بيروت، ط/ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٠- الذخيرة، للإمام القرافي، ت/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/ أولى، ١٩٩٤م.
١١- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول، للقرافي، ت/ محمد عبد الرحمن الشاغول، المكتبة الأزهرية، مصر، ط/ ٢٠٠٥م.
١٢- العقد المنظوم في الخصوص والعموم للقرافي، ت/ الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
١٣- غاية الوصول إلى دقائق علم الأصول، د/ جلال الدين عبد الرحمن، دار الصفوة، مصر، بدون تاريخ.
١٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لسلطان العلماء العز بن عبد السلام، ت/ طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ط/ ١٣٨٨هـ.
١٥- نفائس الأصول في اختصار المحصول، للقرافي، ت/ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ.

*** التاريخ الإسلامي والتراجم:**

١- إتمام الأعلام (ذيل كتاب الأعلام) لخير الدين الزركلي، د/ نزار أباظة، محمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٢- إعجام الأعلام، محمود مصطفى، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٠٣هـ.
٣- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي، ت/ محمد شرف الدين، رفعت الكليسي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
٤- أعلام أجانب (مستشرقون - مؤلفون - مشاهير) محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ الخامسة، ١٩٨٠م.

٦- الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم السمعاني، ت/ عبد الله عمرو البارودي، مركز الخدمات الثقافية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٠٨هـ.

٧- البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين ابن كثير، ت/ د. عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ط/ الخامسة، ١٤١٨هـ.

٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ط/ الثانية، ١٩٧٢م.

٩- الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٠- الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية) لأبي شامة المقدسي، ت/ إبراهيم الزيبق، الرسالة، بيروت، ط/ أولى، ١٩٩٧م.

١١- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت.

١٢- العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي، ت/ د. صلاح المنجد، ط/ الكويت، ١٩٨٤م.

١٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر «تاريخ بن خلدون»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/ الرابعة بدون تاريخ.

١٤- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، لشيخ الأزهر عبد الله مصطفى المراغي، الناشر/ محمد أمين، بيروت، ط/ الثانية، ١٣٩٤هـ.

١٥- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير، ت/ أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الرابعة، ١٤١٥هـ.

١٦- الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط/ الثانية،

١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٧- المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، ط/ الرابعة.

١٨- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لبرهان الدين بن مفلح، ت/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ أولى، ١٩٩٠م.

١٩- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ليوسف بن تغري بردي، ت/ محمد محمد أمين، سعيد عبد الفتاح عاشور، طبعة الهيئة المصرية العامة، بدون تاريخ.

٢٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي، ت/ د. محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط/ أولى، ١٩٨٨م.

٢١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

٢٢- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، دار صادر، بيروت، ط/ ١٣٩٢هـ.

٢٣- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة د/ عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط/ الرابعة.

٢٤- تاريخ الإسلام السياسي، د/ حسن إبراهيم، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط/ السابعة، ١٩٦٥م.

٢٥- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.

٢٦- تاريخ الخلفاء للحافظ، جلال الدين السيوطي، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة، مصر، ط/ أولى، ١٣٧١هـ.

٢٧- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي، مطبعة الموسوعات، باب الخلق، مصر، بدون تاريخ.

٢٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي،

بيروت، ط/ الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٢٩- درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس المكناس، ت/ محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، ط/ أولى، ١٣٩٠هـ.

٣٠- ذيل التقييد، لأبي الطيب القاسمي، ت/ كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤١٠هـ.

٣١- سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، ت/ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ التاسعة، ١٤١٣هـ.

٣٢- شجرة النور الزكية، محمد محمد مخلوف، دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٣٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الكتاب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٣٤- طبقات الحفاظ للحافظ، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٠٣هـ.

٣٥- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، ت/ د. عبد الفتاح محمد الحلو، د/ محمود الطناحي، دار هجر، الجيزة، مصر، ط/ الثانية، ١٩٩٢م.

٣٦- طبقات الشافعية، لأبي بكر أحمد بن قاضي شهبة، ت/ د. عبد الحافظ خان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٠٧هـ.

٣٧- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي، ت/ خليل عيسى، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

٣٨- طبقات المفسرين، للسيوطي، مكتبة وهبة، مصر، ط/ ١٣٩٦هـ.

٣٩- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

٤٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط/ ١٩٩٢م.

٤١- لب اللباب في تحرير الأنساب، للسيوطي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٤٢- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للشيخ محمد الخضري، المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ.

٤٣- مشاهير علماء الأمصار لأبي حاتم محمد بن حبان، ت/ فلا يشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٩٥٩م.

٤٤- معجم المؤلفين، لرضا كحالة، مكتبة المتنبي، بيروت، بدون تاريخ.

٤٥- معجم المطبوعات، ليوسف سركيس، مطبعة سركيس، مصر، بدون تاريخ.

٤٦- معرفة القراء الكبار، للحافظ الذهبي، ت/ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ أولى، ١٤٠٤هـ.

٤٧- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني، ت/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط/ ١٩٩٧م.

٤٨- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأبي العباس أحمد بن باب التنبكتي، مكتبة الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط/ أولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٩م.

٤٩- هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٥٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ت/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط/ أولى، ١٩٩٤م.

*** اللغة والمعاجم والأدب:**

١- الأدب العربي وتاريخه، د/ علي محمد حسن العماري، د/ محمد بن خليفة، طبعة المعاهد الأزهرية، ١٤٢٥هـ.

٢- الاستغناء في أحكام الاستثناء، للقرافي، ت/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ونسخة أخرى

بتحقيق د/ طه محسن، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط/ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ت/ سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط/ الثانية، بدون تاريخ.

٤- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، ت/ إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥- التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرءوف المناوي، ت د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط/ أولى، ١٤١٠هـ.

٦- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٧- اللزوميات [لزوم ما لا يلزم] لأبي العلاء المعري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وغيرهما، مجمع اللغة العربية، سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٩١م.

٩- خزانة الأدب وغاية الإرب، لأبي بكر علي بن عبد الله الحموي، ت/ عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/ الأولى، ١٩٨٧م.

١٠- ديوان أبي تمام بشرح محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، ط/ الأولى، ١٤٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١١- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام المصري، ت/ عبد الغني الذفر، الشركة المتحدة للتوزيع والنشر، دمشق، ط/ أولى ١٩٨٤هـ.

١٢- قواعد الشعر لثعلب، ت/ محمد عبد المنعم خفاجي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/ أولى، ١٣٦٧هـ.

١٣- لسان العرب، لابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط/ الأولى، بدون تاريخ.

١٤- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، ت/ عبد السلام هارون،

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/ الثانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

* كتب البلدان والأماكن:

١- آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٢- الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد عبد العظيم الحميري، ت/ إحسان عباس، مؤسسة ناصر، بيروت، ط/ ثانية، ١٩٨٠م.

٣- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون للدكتورة/ سعاد ماهر محمد، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بدون تاريخ.

٤- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله البكري الأندلسي، ت/ مصطفى السقا، دار الكتب، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٣هـ.

* كتب الملل والنحل والمذاهب:

١- الآثار الباقية عن القرون الخالية، للبيروني، دار صادر بيروت -بدون تاريخ.

٢- الفرق بين الفرق، لأبي منصور البغدادي، ت/ محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، بدون تاريخ.

٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤- الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني، شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط/ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٥- تاريخ الملل والنحل، لأمين الخولي، ط/ مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.

* كتب في اليهودية والنصرانية:

١- أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

٢- أضرار تعليم التوراة والإنجيل، تشالز واطس، ت/ محمد علي سلامة، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.

٣- إفلاس الكنيسة، د/ نوح الغزالي، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر، ط/ أولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤- الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د/ يحيى محمد علي ربيع، دار الوفاء المنصورة، مصر، ط/ أولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٥- الإسلام والأديان، د/ مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية، ط/ أولى، ١٤١١هـ.

٦- الأمور المتيقنة عندنا للقس كارل سي، وليم الكبير، مطبعة ومكتبة إيزيس بالإسكندرية، بدون تاريخ.

٧- الإنجيل والصليب، للقس عبد الأحد داود، طبع في القاهرة، ١٣٥١هـ.

٨- التثليث والتوحيد، لأمين باسيلي وفوزي جرجس، مكتبة المحبة بالقاهرة، بدون تاريخ.

٩- التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري، أبو الحسن إسحاق الصوري، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٣٩٨هـ.

١٠- الجوانب الخفية من حياة المسيح، ناصر منشاوي، دار الهواري للتراث، مصر، ط/ ٢٠٠٣م.

١١- الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، للبابا شنودة الثالث، مكتبة المحبة، ط/ الثانية، ١٩٩٣م.

١٢- الصلاة لملاك لوقا، مكتبة المحبة القاهرة، بدون تاريخ.

١٣- العصر الذي صلب فيه المسيح، وقام فيه، لملاك لوقا، مكتبة المحبة، بدون تاريخ.

١٤- العهد الجديد، دار الكتاب المقدس، القاهرة، ط/ ١٩٩٧م.
١٥- الكتاب المقدس، دار الكتب المقدس، المركز العالمي للكتاب المقدس، جبل الزيتون القدس، بدون التاريخ.
١٦- الكنز الثمين، في أخبار القديسين، مكسيموس مظلوم، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، ط/ ١٨٦٣م.
١٧- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، د/ وليم إدي، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م.
١٨- الكنز المرصود في فضائح التلمود، د/ محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ ١٤٢٢هـ.
١٩- الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، للقمص شنودة السرياني، نشر لجنة أصدقاء الكلية الأكليركية، ١٩٧١م.
٢٠- الله واحد أم ثالوث؟ لمحمد مجدي مرجان، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون تاريخ.
٢١- المدخل إلى علم مقارنة الأديان بين اليهودية والمسيحية والإسلام، للدكتور/ بكر زكي عوض، طبعة وزارة الأوقاف، ط/ الثانية، ١٤٢٦هـ.
٢٢- المدخل لدراسة التوراة والعهد الجديد، د/ محمد عبد البار، دار القلم، دمشق، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٢٣- المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، د/ عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة، مصر، ط/ الأولى، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
٢٤- المسيحية نشأتها وتطورها، شار جنير، تقديم، د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف، بدون تاريخ.
٢٥- المسيحية، د/ أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط/ العاشرة، ١٩٩٣م.
٢٦- النصرانية والإسلام، تأليف المستشار عزت الطهطاوي، مطبعة التقدم، مصر،

بدون تاريخ.

٢٧- ألوهية المسيح، لملاك لوقا، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٨- اليهود واليهودية، د/ السيد أحمد فرج، دار الوفا، المنصورة، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٩- اليهودية، د/ أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط/ الثانية، ١٩٦٧م.

٣٠- بيان الحق، الأستاذ يس منصور، طبعة المؤلف، سنة ١٩٦٦م.

٣١- بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، د/ محمد سيد طنطاوي، دار الشروق، مصر، ط/ الثانية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٢- تاريخ أثنا سيوس الرسولي، لكامل صالح نخلة، مكتبة المحبة، بدون تاريخ.

٣٣- تاريخ الأمة القبطية، تأليف لجنة التاريخ القبطي، مطبعة التوفيق بمصر، ١٩٢٢م.

٣٤- تاريخ الكنيسة القبطية، للقس: منسي يوحنا، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٥- تفسير العهد الجديد، نشر دار الثقافة المسيحية، ٢٠٠٢م.

٣٦- تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث، لابن كمونة، دار الأنصار، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٧- حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة، د/ أحمد حجازي السقا، دار الفضيلة، القاهرة.

٣٨- خلاصة الأصول الإيمانية في الكنيسة، حبيب جرجس، مكتبة الهلال الفجالة، القاهرة، ط/ التاسعة، ١٩٢٦م.

٣٩- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٩٩٦م.

٤٠- دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس، تاريخيًا، موضوعيًا، د/ محمد عبد الحليم أبو السعد، (رسالة دكتوراة)، مطبعة الجبلاوي، شبرا، مصر، ط/ أولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤١- رسالة في اللاهوت والسياسة لسبنيوزا، ترجمة وتقديم د/ حسن حنفي، دار رهوان للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ.

٤٢- على هامش الحوار بين القرآن واليهود، حسني يوسف الأطير، دار الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٣- قاموس الكتاب المقدس لمجموعة من الأساتذة اللاهوتيين، مكتبة البعل بيروت، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية، ط/ السادسة، ١٩٨١م.

٤٤- محاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٥- مخلص العالم للقمص لوقا الأنطواني، مكتبة المحبة، القاهرة، ط/ الأولى، ١٩٩٨م.

٤٦- مدخل إلى الكتاب المقدس، جون بالكين، بيتركو تريل، ماري إيفا نز وغيرهم، دار الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٧- مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، د/ محمد خليفة حسن، ط/ ١٤١٧هـ.

٤٨- مروج الأخبار في تراجم الأبرار، الأب بطرس مرماج اليسوعي، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، ط/ الثانية، ١٨٨٠م.

٤٩- مصباح لظلمة في إيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر القبطي، تعليق ميخائيل مكسي، إسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

٥٠- مقالات لاهوتية وإيمانية، ليوحنا الدمشقي، تعليق د. ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، ط/ ٢٠٠٤م.

٥١- مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنَّكة، دار القلم، بيروت، ط/ السادسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٥٢- موسوعة اليهود واليهودية، د/ عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط/ أولى، ١٩٩٩م.

٥٣- نقد التوراة، لأحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ط/ ١٩٧٦م.

٥٤- هل العهد الجديد كلمة الله، د/ منقذ السقار، مكتبة النافذة، الجيزة، ط/ أولى، ٢٠٠٦م.

٥٥- يسوع المصلوب، للقس منسي يوحنا، مكتبة المحبة، بدون تاريخ.

* **كتب الردود والمناظرات:**

١- إظهار الحق لرحمة الله الهندي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزيه، ت/ محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، مصر، ط/ الأولى ١٤١٨هـ.

٣- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، للقرافي، ت/ د. بكر زكي عوض، ط/ الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤- الأجوبة الفاخرة للقرافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ أولى، ١٤٠٦هـ.

٥- الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، د/ عبد العظيم المطعني، دار الوفاء، مصر، ط/ أولى ١٤٠٧هـ.

٦- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للقرطبي المحدث، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي.

٧- الانتصارات الإسلامية لنجم الدين البغدادي الطوفي، ت/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ.

٨- الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، للألوسي بن الألوسي المفسر، ت/ أحمد حجازي السقا، دار البيان العربي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت/ سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ط/ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٠- الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل، لحجة الإسلام الغزالي، ت/ د.

أحمد حجازي السقا، مكتبة زهران، القاهرة، ط/ الأولى، بدون تاريخ.

١١- الفارق بين المخلوق والخالق، للعلامة عبد الرحمن الباجي زاده، مطابع البيان التجارية، ط/ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٢- المخرس في الرد على القس المفلس زكريا بطرس، أبو يحيى مفتاح محمد فاضل، مركز التنوير الإسلامي، مصر، ط/ الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٣- المناظرة التقريرية بين رحمة الله الهندي، والقسيس بفندر، ت/ محمد عبد الحليم مصطفى أبو السعود، ط/ الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٤- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، للمهتدي نصر بن يحيى، ت/ د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، ط/ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٥- بذل المجهود في إفحام اليهود، السمؤال بن يحيى المغربي، ت/ محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط/ الثالثة، ١٩٩٠م.

١٦- بين الإسلام والمسيحية، لأبي عبيدة الخزرجي، ت/ د. محمد شامة، مكتبة وهبة، ط/ الثانية، بدون تاريخ.

١٧- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لعبد الله الترجمان، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار الحرم للتراث، مصر، ط، أولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٨- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل للقاضي أبي البقاء الهاشمي الجعفري، ت/ د. محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٩- دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشيد وغيرهما.

٢٠- دفع شبهات ورد مفتريات، محمد عبد الله الخطيب، دار الأنصار، القاهرة، بدون تاريخ.

٢١- رد رسالة الأقاويل القرآنية في كتب المسيحية، للعلامة عبد الرحمن الباجي زاده، مطابع البيان التجارية، ط/ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٢- رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم، ت/ خالد محمد عبده، مكتبة النافذة، ط/ الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٣- على التوراة، لأبي الوليد الباجي، ت/ أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، ط/ أولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٤- ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ للداعية الإسلامي أحمد ديدات، ترجمة وتعليق: وليد عثمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٥- مختصر إظهار الحق لرحمة الله الهندي، ت/ محمد عبد القادر ملكاوي، وزارة الشئون الإسلامية السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٦- مفتريات المبشرين على الإسلام، د/ عبد الجليل شلبي، المختار الإسلامي، الفجالة، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٧- مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية، مجموعة من رجال الفكر من الديانتين، طبع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٢٨- مناظرتان في استكهولهم بين: الشيخ أحمد ديدات، وكبير قساوسة السويد استانلي شوبيرج، ترجمة: علي الجوهري، دار الفضيلة، مصر.

٢٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، دار الحديث، القاهرة، ط/ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* **الموسوعات ودوائر المعارف:**

١ - دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشناوي، إبراهيم زكي خورشيد وغيرهما.

٢- قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة.

٣- موسوعة الأديان في العالم [المسيحية] إعداد البروفسور، جان ماري كريذاس، و، د. جمال مدكور، بالتعاون مع دار كريبس انترناشونال، الناشر دار كريبس،

ط/ الأولى، ٢٠٠٠م.

٤- موسوعة المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ الثالثة عشرة، ١٩٩٥م.

٥- موسوعة تراث الإنسانية، مجموعة من الأدباء والكتاب والعلماء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٦- موسوعة علوم الدين، للعلامة القبطي ابن المكين، تعليق وتلخيص، د. ميخائيل مكسي، مكتبة المحبة بدون تاريخ.

٧- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

* كتب أخرى

١- أدب الحوار في الإسلام، سيد طنطاوي، دار النهضة، مصر، ط/ ١٩٩٧م.

٢- استخراج الجدال من القرآن، للإمام ناصح الدين أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن الحنبلي، ت/ محمد صبحي حسن، مؤسسة الريان، بيروت، ط/ أولى، ١٤١٣هـ.

٣- الإسلام دين المستقبل، روجيه جارودي، ترجمة عبد الرحمن بارودي، نشر دار الإيمان، بيروت، بدون تاريخ.

٤- الإسلام وخرافة السيف، د/ عبد الودود شلبي، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، ط/ الثانية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٥- الاستبصار فيما تدركه الأبصار، لشهاب الدين القرافي، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم (٣٠٩٨٢)، (٥٢٩٢٥)

٦- الجدل الإسلامي لأهل الكتاب وأثره الحضاري، د/ خالد السيوطي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٧- الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، د/ ماجد عبد السلام، ط/

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٨- الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، تأليف خالد عبد الله القاسم، دار المسلم، الرياض، ط/ أولى، ١٤١٤هـ.

٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضي عياض، طبعة أبي حازم عز الدين بمكة المكرمة، بدون تاريخ.

١٠- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، ت/ هشام عبد العزيز عطا، مكتبة نزار مصطفى، مكة، ط/ الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١١- تاريخ الجدل، للشيخ أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

١٢- دراسات إسلامية، لمحمد عبد الله دراز، ت/ أحمد مصطفى فضلية، دار القلم، القاهرة، ط/ الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٣- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، ت/ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ الرابعة عشرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٤- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، ت/ حامد محمد طاهر، دار الفجر، القاهرة، ط/ أولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٥- نظرية النسخ في الشرائع السماوية، د. شعبان محمد إسماعيل، دار السلام، القاهرة، ط/ أولى، ١٤٠٨هـ.

* الأبحاث والمجلات

١- عقيدة التثليث عند النصارى وموقف الإسلام منها، د/ فضلون محمد محمد مصطفى، بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بقنا، العدد السادس.

٢- مجلة الهدي الإسلامي الصادرة عن الهيئة العامة للأوقاف الليبية، العدد الثالث عشر، رمضان ١٣٩٣هـ، أكتوبر ١٩٧٣م.

*** فهارس الكتب**

١- فهرس الخزانة التيمورية المحفوظ بدار الكتب المصرية، ط/ دار الكتب المصرية.

٢- فهرس مخطوطات الجامعة الأردنية الموجودة بدار الكتب المصرية.

٣- فهرس المخطوطات الموجود بدار الكتب المصرية.

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

